
رواية من سلسلة كورموران سترايك
روبرت غالبريث
الرواية الأكثر مبيعاً
دماء مضطربة
ترجمات مكتبة الوادي
ترجمة / كاميليا

دماء مضطربة

TROUBLED BLOOD

للمزيد من الترجمات

t.me/wadistreambooks

تُرجم هذا الكتاب بدعم من مبادرة ترجم
مبادرة ترجم
Tarjim Initiative
هيئة الأدب والنشر والترجمة
Literature, Publishing & Translation Commission
Translation funded by the Tarjim Initiative

ترجمة / كاميليا

روبرت غالبريث

ROBERT GALBRAITH

دماء مضطربة

TROUBLED BLOOD

للمزيد من الترجمات

t.me/wadistreambooks

الجزء الأول

ثم أقبل الصيف الجَذِل...

— إدموند سبنسر، ملكة الجن (The Faerie Queene)

1

وذاك كان هو، من لديّ عنه حديثٌ يُروى،
بطل العدالة الحقّة، آرتيجال...
— إدموند سبنسر، ملكة الجن (The Faerie Queene)

قال ديف بولورث بحدة:

– "أنت رجل كورني، مولدًا ونشأة. «سترايك» ليس حتى اسمك الحقيقي. بحكم الحقوق، أنت نانكارو. لا تجلس هنا وتقول لي إنك تعتبر نفسك إنجليزيًا"

كانت حانة فيكتوري إن مكتظة في تلك الأمسية الدافئة من شهر أغسطس، حتى فاضت جموع الساهرين إلى الدرجات الحجرية العريضة المؤدية إلى الخليج. كان بولورث وسترايك يجلسان إلى طاولة في الزاوية، يحتسيان بعض أكواب الجعة احتفالاً بعيد ميلاد بولورث التاسع والثلاثين. كان النقاش حول القومية الكورنية دائرًا منذ عشرين دقيقة، لكنه بدا لـ سترايك أطول من ذلك بكثير.

تمتم سترايك مفكرًا بصوت مسموع:

– "هل أسمي نفسي إنجليزيًا؟ لا، ربما أقول بريطانيًا."

قال بولورث، ومزاجه الحاد يشتعل:

– "كُف عن هذا الهراء. لن تقول ذلك. أنت تحاول فقط إثارة أعصابي."

كان الصديقان نقيضين جسديًا. كان بولورث قصيرًا ونحيلاً كفارس سباق الخيل، لوّحت الشمس وجهه وخطت عليه التجاعيد قبل أوانها، وفروة رأسه

المحروقة تطل من خلال شعره الخفيف. كان قميصه مجعدًا، وكأنه سحبه لتوّه من على الأرض أو من سلة الغسيل، وسروال الجينز ممزقًا. على ساعده الأيسر وُشم صليب القديس بيران بالأبيض والأسود؛ وعلى يده اليمنى ندبة غائرة، تذكار للقاء وشيك مع سمكة قرش.

أما صديقه سترايك فكان يشبه ملاكمًا فقد لياقته، وهو ما كان عليه في الواقع؛ رجل ضخم، يتجاوز طوله الست أقدام بكثير، بأنف أعوج قليلاً، وشعر داكن كثيف ومجعد. لم يحمل أي وشوم، ورغم الظل الدائم للحية كثيفة، كانت تحيط به تلك الهالة من الانضباط والنظافة الجوهرية التي توحي برجل شرطة سابق أو عسكري سابق.

أصرّ بولورث:

– "لقد ولدت هنا. إذن أنت كورني."

– "المشكلة هي أنك بهذا المعيار، تُعد من برمنغهام."

صرخ بولورث مجددًا، وقد لسعته الكلمة بصدق:

– "اخرس! أنا هنا منذ كان عمري شهرين وأمي من عائلة تريفليان. إنها الهوية – ما تشعر به هنا،" وضرب بولورث صدره فوق قلبه.

وتابع:

– "عائلة أمي تعود لقرون في كورنوال..."

– "أجل، حسنًا، الدم والأرض لم يكونا يومًا..."

قاطعه بولورث قائلاً:

– "هل سمعت عن آخر استطلاع أجروه؟ سألوهم: «ما هو أصلك العرقي؟»، والنصف – النصف – وضعوا علامة أمام «كورني» بدلاً من «إنجليزي». زيادة هائلة."

قال سترايك:

– "عظيم. وماذا بعد؟ خانات لقبائل الدومنون والرومان؟"

– "استمر في استخدام نبرة التعالي اللعينة تلك، وانظر إلى أين ستوصلك. لقد بقيت في لندن طويلاً يا فتى... ليس هناك عيب في أن تفتخر بجذورك. لا

عيب في أن ترغب المجتمعات باستعادة بعض السلطة من ويستمنستر. الاسكتلنديون سيقودون الطريق العام المقبل. راقب فقط. عندما يحصلون على الاستقلال، سيكون ذلك هو الشرارة. الشعوب السلتية في جميع أنحاء البلاد ستقوم بتحركها."

وأضاف مشيرًا نحو كوب سترايك الفارغ:

– "أتريد واحدًا آخر؟"

كان سترايك قد خرج إلى الحانة طمعًا في استراحة من التوتر والقلق، لا ليتلقى خطبة عصماء حول السياسة الكورنية. بدا أن ولاء بولورث لحزب "ميبيون كيرنو"، الحزب القومي الذي انضم إليه في السادسة عشرة، قد أحكم قبضته عليه بشكل أكبر خلال العام المنصرم منذ آخر لقاء بينهما. عادة ما كان ديف يضحك سترايك كما لا يفعل أحد غيره تقريبًا، لكنه لم يكن يتحمل أي دعابات حول استقلال كورنوال، وهو موضوع كان بالنسبة لـ سترايك يحمل جاذبية تعادل جاذبية الحديث عن المفروشات الناعمة أو مراقبة القطارات. للحظة فكر سترايك في القول إنه بحاجة للعودة لمنزل عمته، لكن احتمال حدوث ذلك كان أكثر كآبة من سيل شتائم صديقه القديم ضد المتاجر الكبرى التي ترفض وضع صليب القديس بيران على البضائع ذات المنشأ الكورني.

قال سترايك وهو يناول كوبه الفارغ لـ ديف:

– "عظيم، شكرًا."

توجه ديف إلى البار، يومئ يمينًا ويسارًا لمعارفه الكثر.

تُرك سترايك وحيدًا على الطاولة، وجالت عيناه بشرود في أنحاء الحانة التي طالما اعتبرها مكانه المفضل. لقد تغيرت عبر السنين، لكنها ظلت المكان الذي يمكن تمييزه، حيث كان يلتقي هو ورفاقه من "الكورنيين" في أواخر مراهقتهم. انتابه شعور مزدوج غريب بأنه بالضبط حيث ينتمي، وحيث لم ينتمِ أبدًا؛ شعور بالألفة الشديدة والانفصال في آن واحد.

وبينما كانت نظرته تنتقل بلا هدف من الأرضية الخشبية إلى اللوحات البحرية، وجد سترايك نفسه ينظر مباشرة في العينين الواسعتين القلقتين لامرأة

تقف عند البار مع صديقة لها. كان وجهها طويلاً وشاحبًا، وشعرها الداكن الذي يصل إلى كتفيها تتخلله خيوط رمادية. لم يتعرف عليها، لكنه كان مدركًا طوال الساعة الماضية أن بعض السكان المحليين كانوا يلوون أعناقهم للنظر إليه، أو يحاولون التقاء أعينهم بعينيه.

أشاح بنظره بعيدًا، وأخرج هاتفه المحمول متظاهرًا بكتابة رسالة. كان لدى المعارف عذر جاهز للحديث، لو أبدى أدنى إشارة لتشجيعهم، لأن الجميع في "سانت ماوز" بدا عالمًا بأن عمته جوان قد تلقت تشخيصًا بسرطان مبيض متقدم قبل عشرة أيام، وأن هو، وأخته غير الشقيقة لوسي، وأبناء لوسي الثلاثة، قد هرعوا فورًا إلى منزل جوان وتيد لتقديم ما أمكنهم من دعم. طوال أسبوع الآن، كان يتصدى للاستفسارات، ويتقبل المواساة، ويرفض بأدب عروض المساعدة في كل مرة يغامر فيها بالخروج من المنزل. لقد سئم من إيجاد طرق جديدة لقول: *"نعم، يبدو أنه مرض عضال، ونعم، الوضع سيء لنا جميعًا."*

شق بولورث طريقه عائدًا إلى الطاولة، حاملاً كوبين جديدين.

قال وهو يستعيد مقعده المرتفع:

– "تفضل يا ديدي."

لم يُطلق عليه اللقب القديم، كما افترض معظم الناس، في إشارة ساخرة لحجم سترايك، بل اشتق من كلمة "ديديكوي"، وهي الكلمة الكورنية التي تعني "غجري". ألان وقع الكلمة قلب سترايك، مذكرًا إياه بسبب كون صداقته مع بولورث هي الأطول بقاءً في حياته.

قبل خمسة وثلاثين عامًا، دخل سترايك مدرسة "سانت ماوز" الابتدائية متأخرًا فصلاً دراسيًا، ضخمًا بشكل غير معتاد بالنسبة لسنه، وبلكنة تختلف بشكل صارخ عن اللكنة المحلية الخشنة. ورغم أنه ولد في كورنوال، إلا أن والدته هربت به فور تعافيها من الولادة، متسللة في الليل، والطفل بين ذراعيها، عائدة إلى حياة لندن التي عشقتها، متنقلة من شقة إلى أخرى، ومن حفل لآخر. بعد أربع سنوات من ولادة سترايك، عادت إلى "سانت ماوز" مع ابنها ومولودتها الجديدة لوسي، لتغادر مجددًا في ساعات الصباح الأولى، تاركة سترايك وأخته غير الشقيقة خلفها.

ما قالته ليدا بالضبط في الرسالة التي تركتها على طاولة المطبخ، لم يعرفه سترايك قط. بلا شك كانت تمر بفترة صعبة مع مالك عقار أو حبيب، أو ربما كان هناك مهرجان موسيقي ترغب بشدة في حضوره: أصبح من الصعب عليها أن تعيش تمامًا كما يحلو لها مع طفلين في ذيلها. ومهما كان سبب غيابها الطويل، فإن أخت زوج ليدا، جوان – التي كانت تقليدية ومنظمة بقدر ما كانت ليدا طائشة وفوضوية – اشترت زيًا مدرسيًا لـ سترايك وسجلته في المدرسة المحلية.

حملق الأطفال الآخرون، الذين تبلغ أعمارهم أربع سنوات ونصف، عندما قُدِّم للفصل. قهقه قلة منهم عندما ذكر المعلم اسمه الأول، كورموران. كان قلقًا من مسألة المدرسة هذه، لأنه كان واثقًا أن أمه قالت إنها ستعلمه في المنزل. حاول إخبار عمه تيد بأنه لا يظن أن أمه ستريد ذهابه، لكن تيد، الذي كان متفهمًا عادة، قال بحزم إنه يجب عليه ذلك، وهكذا وجد نفسه هناك، وحيدًا وسط غرباء بلكنات مضحكة. جلس سترايك، الذي لم يكن يومًا كثير البكاء، إلى المكتب القديم ذي الغطاء المنزلق، وفي حلقه غصة بحجم تفاحة.

لماذا قرر ديف بولورث، "زعيم الجيب" في الفصل، أن يصادق الصبي الجديد؟ لم يتم تفسير ذلك بشكل مُرضٍ أبدًا، حتى لـ سترايك. لم يكن بدافع الخوف من حجم سترايك، لأن أفضل صديقين لـ ديف كانا ابني صيادين ضخمين، وكان ديف على أية حال معروفًا كمقاتل تتناسب شراسته عكسيًا مع طوله. بحلول نهاية ذلك اليوم الأول، أصبح بولورث صديقًا ومدافعًا، آخذًا على عاتقه أن يرسخ في أذهان زملائهم كل الأسباب التي تجعل سترايك جديرًا باحترامهم: إنه كورني المولد، ابن أخ لـ تيد نانكارو من خفر السواحل المحلي، هو لا يعرف أين أمه وليس ذنبه أنه يتحدث بطريقة مضحكة.

رغم مرض عمة سترايك الشديد، وبقدر ما استمتعت بوجود ابن أخيها لمدة أسبوع كامل، ورغم أنه سيغادر في صباح اليوم التالي، إلا أن جوان دفعته عمليًا خارج المنزل للاحتفال بعيد ميلاد "ديف الصغير" تلك الأمسية. كانت تولي قيمة هائلة للروابط القديمة، وتبتهج بحقيقة أن سترايك وديف بولورث ما زالا رفيقين، بعد كل هذه السنوات. اعتبرت جوان حقيقة صداقتهما دليلاً على أنها كانت محققة

في إرساله للمدرسة رغم رغبات أمه المستهترة، ودليلاً على أن كورنوال هي موطن سترايك الحقيقي، مهما تجول بعيدًا، وحتى لو كان مقره حاليًا في لندن.

تجرع بولورث رشفة طويلة من كوبه الرابع وقال، مع نظرة حادة فوق كتفه نحو المرأة السمراء وصديقتها الشقراء، اللتين كانتا ما تزالان تراقبان سترايك:

– "مجرد نمل لعين."

سأله سترايك:

– "وأين ستكون حديقتك، بدون السياح؟"

رد بولورث فورًا:

– "ستكون رائعة. لدينا الكثير من الزوار المحليين، والكثير من الزبائن الدائمين."

كان بولورث قد استقال مؤخرًا من منصب إداري في شركة هندسية في بريستول ليعمل كرئيس بستانيين في حديقة عامة كبيرة على مسافة قصيرة بمحاذاة الساحل. غواص مؤهل، وراكب أمواج بارع، ومنافس في مسابقات الرجل الحديدي؛ كان بولورث نشيطًا بدنيًا بلا هوادة ومتململاً منذ طفولته، ولم يروضه الزمن ولا العمل المكتبي.

سأل سترايك:

– "لا ندم إذن؟"

قال بولورث بحماس:

– "اللعنة، لا. كنت بحاجة لأن تتسخ يداي مجددًا. بحاجة للعودة إلى الخلاء. سأبلغ الأربعين العام القادم. إما الآن أو أبدًا."

كان بولورث قد تقدم للوظيفة الجديدة دون إخبار زوجته بما يفعله. وبعد حصوله على العرض، استقال من وظيفته وعاد للمنزل ليعلن الأمر الواقع لعائلته.

سأل سترايك:

– "بيني تقبلت الأمر، أليس كذلك؟"

أجاب بولورث بلامبالاة:

– "لا تزال تخبرني مرة أسبوعيًا أنها تريد الطلاق. لكن كان من الأفضل وضعها أمام الحقيقة، بدلاً من الجدال حول الاحتمالات لخمس سنوات. لقد سارت الأمور بشكل رائع. الأولاد يحبون المدرسة الجديدة، وشركة بيني سمحت لها بالنقل إلى المكتب في المدينة الكبيرة،" وكان بولورث يقصد "ترورو"، وليس لندن. "إنها سعيدة. فقط لا تريد الاعتراف بذلك."

شكك سترايك في سره بصحة هذا التصريح. كان تجاهل الحقائق المزعجة يميل للسير جنبًا إلى جنب مع حب بولورث للمخاطرة والقضايا الرومانسية. ومع ذلك، كان لدى سترايك ما يكفيه من مشكلات دون القلق بشأن مشكلات بولورث، لذا رفع كوبه الجديد وقال، آملاً في إبعاد ذهن بولورث عن السياسة:

– "حسنًا، عقبال مائة سنة يا صاحبي."

بادله بولورث النخب:

– "في صحتك. ما رأيك في فرص آرسنال إذن؟ هل سيتأهلون؟"

هز سترايك كتفيه، لأنه خشي أن مناقشة احتمالية تأمين نادي كرة القدم اللندني الخاص به لمكان في دوري أبطال أوروبا ستؤدي للعودة إلى الحديث عن نقص الولاء الكورني.

سأل بولورث، مجربًا مسارًا مختلفًا:

– "كيف حال حياتك العاطفية؟"

– "منعدمة."

ابتسم بولورث ابتسامة عريضة.

– "جواني تعتقد أنك ستنتهي مع شريكتك في العمل. تلك الفتاة روبن."

قال سترايك:

– "حقًا؟"

– "أخبرتني بكل شيء عندما كنت هناك، في عطلة نهاية الأسبوع قبل الماضية. بينما كنت أصلح جهاز Sky Box الخاص بهم."

قال سترايك وهو يميل كوبه مرة أخرى تجاه بولورث:

– "لم يخبراني أنك فعلت ذلك. هذا لطف منك يا صديقي، شكرًا."

إذا كان يأمل في تحويل دفة صديقه، فقد فشل.

قال بولورث:

– "كلاهما. هي وتيد، كلاهما يعتقد أنها روبن."

وعندما لم يقل سترايك شيئًا، ضغط عليه بولورث:

– "لا شيء يحدث إذن؟"

– "لا."

سأل بولورث، عاقدًا حاجبيه مرة أخرى. وكما هو الحال مع الاستقلال الكورني، كان سترايك يرفض اعتناق هدف واضح ومرغوب.

– "كيف ذلك؟ إنها فاتنة. رأيتها في الجريدة. ربما ليست على مستوى الليدي المجنونة،" أقر بولورث. كان هذا هو اللقب الذي أطلقه منذ زمن بعيد على خطيبة سترايك السابقة. "ولكن من ناحية أخرى، هي ليست مختلة عقليًا، أليس كذلك يا ديدي؟"

ضحك سترايك.

– "لوسي تحبها. تقول إنكما ستكونان مثاليين معًا."

سأل سترايك، بلمسة أقل من المجاملة:

– "متى كنت تتحدث مع لوسي عن حياتي العاطفية؟"

قال بولورث:

– "منذ شهر أو نحو ذلك. أحضرت أولادها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع ودعوناهم جميعًا لحفل شواء."

شرب سترايك ولم يقل شيئًا.

قال بولورث وهو يراقبه:

– "أنتما تتفاهمان بشكل رائع، هكذا تقول."

– "أجل، هذا صحيح."

انتظر بولورث، رافعًا حاجبيه وبنظرة متوقعة.

قال سترايك:

– "سيفسد ذلك كل شيء. لن أخاطر بالوكالة."

– "مفهوم. لكنك تشعر بالإغراء رغم ذلك؟"

كان هناك صمت قصير. أبقى سترايك نظره بحذر بعيدًا عن المرأة السمراء ورفيقتها، اللتين كان متأكدًا أنهما تناقشان أمره.

اعترف قائلاً:

– "ربما كانت هناك لحظات، خَطَرَ لي فيها الأمر. لكنها تمر بطلاق سيء، ونحن نقضي نصف حياتنا معًا كما هو الحال، وأنا أحب وجودها كشريكة عمل."

بالنظر لصداقتهما الطويلة، وحقيقة أنهما تصادما بالفعل بشأن السياسة وأن اليوم هو عيد ميلاد بولورث، كان يحاول ألا يظهر أي تلميح للاستياء من هذا الخط في الاستجواب. كل شخص متزوج يعرفه بدا يائسًا لدفع الآخرين نحو الزواج، بغض النظر عن مدى سوء الدعاية التي يمثلونها هم أنفسهم لهذه المؤسسة. آل بولورث، على سبيل المثال، بدوا وكأنهم يعيشون في حالة دائمة من العداء المتبادل. سمع سترايك في كثير من الأحيان بيني تشير لزوجها بـ "ذلك المعتوه" أكثر مما تناديه باسمه، وكثيرة هي الليالي التي أمتع فيها بولورث أصدقاءه بتفاصيل سعيدة عن الطرق التي تمكن بها من متابعة طموحاته ومصالحه الخاصة على حساب زوجته، أو رغم احتجاجاتها. كلاهما بدا أكثر سعادة واسترخاءً بصحبة جنسه، وفي تلك المناسبات النادرة التي استمتع فيها سترايك بالضيافة في منزلهما، كانت التجمعات تبدو دائمًا وكأنها تتبع نمطًا من الفصل الطبيعي، حيث تتجمع النساء في منطقة واحدة من المنزل، والرجال في أخرى.

سأل بولورث:

– "وماذا سيحدث عندما تريد روبن أطفالاً؟"

– "لا أعتقد أنها تريد. إنها تحب العمل."

قال بولورث باستخفاف:

– "جميعهن يقلن ذلك. كم عمرها الآن؟"

– "أصغر منا بعشر سنوات."

قال بولورث بثقة:

– "ستريد أطفالاً. جميعهن يردن ذلك. ويحدث الأمر بشكل أسرع للنساء. إنهن في سباق ضد الساعة."

– "حسنًا، لن تنجب أطفالاً معي. أنا لا أريدهم. وعلى أية حال، كلما كبرت، قل اعتقادي بأنني من النوع الذي يتزوج."

قال بولورث:

– "ظننت ذلك بنفسي يا صاحبي. لكنني أدركت بعد ذلك أنني فهمت الأمر كله خطأ. أخبرتك كيف حدث ذلك، أليس كذلك؟ كيف انتهى بي الأمر بطلب يد بيني؟"

– "لا أظن ذلك."

سأل بولورث، مندهشًا من هذا السهو:

– "لم أخبرك أبدًا عن قصة تولستوي بأكملها؟"

خفض سترايك، الذي كان على وشك الشرب، كوبه بذهول. منذ المدرسة الابتدائية، كان بولورث، الذي يمتلك ذكاءً حادًا كالشفرة ولكنه يحتقر أي شكل من أشكال التعلم لا يمكنه وضعه موضع التنفيذ الفوري والعملي، يتجنب كل المواد المطبوعة باستثناء الأدلة الفنية.

قال بولورث، مفسرًا تعبير سترايك خطأً:

– "تولستوي. إنه كاتب."

– "أعرف. شكرًا. ما علاقة تولستوي...؟"

– "أخبرك، أليس كذلك؟ كنت قد انفصلت عن بيني للمرة الثانية. كانت تثرثر باستمرار حول الخطوبة، ولم أكن متحمسًا للأمر. لذا كنت في تلك الحانة، أخبر صديقي كريس عن مدى سأمي من إخبارها لي بأنها تريد خاتمًا – تتذكر كريس؟ الرجل الضخم الذي يلثغ. قابلته في تعميد روزوين."

وتابع:

– "المهم، كان هناك هذا الرجل السكّير الأكبر سنًا في البار بمفرده، يبدو كمتنطع يرتدي سترة مخملية، بشعر متموج، وكان يثير غضبي، لنكن صادقين، لأنني كنت أدرك أنه يسترق السمع، فسألته ما الذي ينظر إليه بحق الجحيم، فنظر

إلي مباشرة في عيني، وقال: «لا يمكنك حمل ثقل واستخدام يديك، إلا إذا ربطته على ظهرك. تزوج، وستستعيد استخدام يديك. لا تتزوج، ولن تكون يداك حرتين لأي شيء آخر أبدًا. انظر إلى مازانكوف، وإلى كروبوف. لقد دمروا حياتهم المهنية من أجل النساء»."

واستطرد:

– "ظننت أن مازانكوف وكروبوف صديقان له. سألته لمَ يخبرني بهذا الهراء. ثم قال إنه يقتبس من هذا الكاتب، تولستوي.

– "وبدأنا الحديث وأقول لك يا ديدي، كانت لحظة غيرت حياتي. المصباح أضاء،" قال بولورث، مشيرًا للهواء فوق رأسه الأصلع.

– "لقد جعلني أرى الأمر بوضوح. مأزق الذكور يا صديقي. ها أنا ذا، أحاول العثور على رفيقة في ليلة خميس، متجهًا للمنزل وحيدًا مرة أخرى، أفقر حالاً، وأشعر بملل قاتل؛ فكرت في المال الذي أنفقته وأنا أطارد النساء، والمتاعب، وما إذا كنت أريد أن أشاهد الأفلام الإباحية وحيدًا في الأربعين، وفكرت، هذا هو المغزى كله. هذا ما وجد الزواج لأجله. هل سأجد أفضل من بيني؟ هل أستمتع بالتحدث بالهراء للنساء في الحانات؟ أنا وبيني نتفاهم بشكل جيد. كان يمكن أن يكون وضعي أسوأ بكثير. إنها ليست سيئة المظهر. سأكون قد ضمنت رفيقتي في الفراش بالفعل في المنزل، بانتظاري، أليس كذلك؟"

قال سترايك:

– "مؤسف أنها لا تستطيع سماع هذا. كانت ستقع في حبك من جديد."

قال بولورث، متجاهلاً سخرية سترايك:

– "صافحت يد ذلك المتنطع. وجعلته يكتب لي اسم الكتاب وكل شيء. خرجت مباشرة من تلك الحانة، وركبت سيارة أجرة لشقة بيني، وطرقت الباب بعنف، أيقظتها. كانت غاضبة حد الجنون. ظنت أنني جئت لأنني ثمل، ولم أستطع العثور على شيء أفضل وأردت ممارسة الجنس. قلت: «لا، أيتها البقرة الغبية، أنا هنا لأنني أريد الزواج منك»."

أنهى بولورث كوبه وقال:

– "وسأخبرك باسم الكتاب. آنا كارينينا. إنه كتاب سيء."

ضحك سترايك.

تجشأ بولورث بصوت عالٍ، ثم تفقد ساعته. كان رجلاً يعرف كيف يختار جملة الختام، ولم يكن لديه وقت للوداع الطويل أكثر مما لديه للأدب الروسي.

وقف على قدميه وقال:

– "سأذهب الآن يا ديدي. إذا عدت قبل الحادية عشرة والنصف، سأحظى بهدية خاصة في الفراش بمناسبة عيد ميلادي – وهذه هي النقطة التي أوضحها يا صديقي. النقطة بالكامل."

مبتسمًا، قبل سترايك مصافحة بولورث. طلب بولورث من سترايك أن ينقل حبه لـ جوان وأن يتصل به في المرة القادمة التي ينزل فيها إلى هنا، ثم حشر نفسه خارجًا من الحانة، واختفى عن الأنظار.

2

القلبُ، الذي جُرِحَ ـ في أعماقه، ينال راحةً عظمى بأملٍ ـ في شيءٍ، قد يُخففُ من وجعه...
— إدموند سبنسر، ملكة الجن (The Faerie Queene)

بينما كان لا يزال يبتسم لقصة بولورث، أدرك سترايك الآن أن المرأة السمراء عند البار تبدي إشارات لرغبة في الاقتراب منه. بدت رفيقتها الشقراء ذات النظارات وكأنها تنصحها بعدم فعل ذلك. أنهى سترايك كوبه، وجمع محفظته، وتأكد من أن سجائره لا تزال في جيبه، وبمساعدة الجدار المجاور له، نهض واقفًا، متأكدًا من أن توازنه على ما يرام قبل محاولة المشي. كانت ساقه الاصطناعية تصبح غير متعاونة أحيانًا بعد أربعة أكواب من الجعة.

بعد أن طمأن نفسه بأنه يستطيع التوازن بشكل ممتاز، انطلق نحو المخرج، موزعًا إيماءات مقتضبة بلا ابتسام لأولئك القلة من السكان المحليين الذين لم يكن بوسعه تجاهلهم دون التسبب في إهانة، ووصل إلى الظلام الدافئ في الخارج دون أن يستوقفه أحد.

كانت الدرجات الحجرية العريضة غير المستوية التي تؤدي نزولاً نحو الخليج لا تزال مكتظة بالشاربين والمدخنين. شق سترايك طريقه بينهم، مخرجًا سجائره أثناء سيره.

كانت ليلة منعشة من ليالي أغسطس، ولا يزال السياح يتجولون حول الواجهة البحرية الخلابة. كان أمام سترايك مسيرة خمس عشرة دقيقة، جزء منها صعود لمنحدر حاد، للعودة إلى منزل عمته وعمه. بدافع نزوة مفاجئة، انعطف يمينًا، وعبر الشارع وتوجه نحو الجدار الحجري العالي الذي يفصل موقف

السيارات ونقطة العبّارة عن البحر. متكئًا عليه، أشعل سيجارة وحدق عبر المحيط الرمادي الدخاني والفضي، ليصبح مجرد سائح آخر في الظلام، حرًا في التدخين بهدوء دون الاضطرار للإجابة عن أسئلة حول السرطان، مؤجلاً عمدًا اللحظة التي سيضطر فيها للعودة إلى الأريكة غير المريحة التي كانت سريره طوال الليالي الست الماضية.

عند وصوله، قيل لـ سترايك، الرجل الأعزب بلا أطفال والجندي السابق، إنه لن يمانع النوم في غرفة الجلوس:

– "لأنك تنام في أي مكان."

كانت مصممة على إغلاق الباب أمام الاحتمال الذي طرحه سترايك عبر الهاتف، بأنه قد ينزل في فندق مبيت وإفطار بدلاً من تكديس المنزل فوق طاقته. كانت زيارات سترايك نادرة، خاصة بالتزامن مع وجود أخته وأبنائها، وأرادت جوان الاستمتاع بوجوده إلى أقصى حد، أرادت أن تشعر بأنها، مرة أخرى، المعيلة والراعية، رغم وهنها الحالي بسبب الجولة الأولى من العلاج الكيميائي.

وهكذا، استلقى سترايك الطويل والضخم، الذي كان ليكون أسعد حالاً بكثير على سرير مخيم، دون تذمر كل ليلة على تلك الكتلة الزلقة القاسية من شعر الخيل المغطى بالساتان، ليوقظه كل صباح أبناء أخته الصغار، الذين نسوا بشكل روتيني أنهم طُلب منهم الانتظار حتى الثامنة قبل اقتحام غرفة الجلوس. على الأقل كان لدى جاك اللياقة ليهمس باعتذارات كل مرة يدرك فيها أنه أيقظ خاله. أما الأكبر، لوك، فكان ينزل الدرج الضيق كل صباح محدثًا جلبة وصراخًا، ويكتفي بالقهقهة المكتومة وهو يندفع مارًا بـ سترايك في طريقه للمطبخ.

كان لوك قد كسر سماعات الرأس الجديدة تمامًا الخاصة بـ سترايك، والتي شعر المحقق بأنه ملزم بالتظاهر بأن الأمر لا يهم على الإطلاق. كما رأى ابن أخته الأكبر أنه من المسلي أن يركض إلى الحديقة بساق سترايك الاصطناعية ذات صباح، ويقف ملوحًا بها لخاله عبر النافذة. عندما أعادها لوك أخيرًا، قام سترايك، الذي كانت مثانته ممتلئة للغاية وكان عاجزًا عن القفز صعودًا على الدرج الحاد

للوصول للمرحاض الوحيد، بتوجيه توبيخ هادئ لـ لوك ترك الصبي هادئًا بشكل غير معتاد لمعظم الصباح.

في تلك الأثناء، كانت جوان تخبر سترايك كل صباح:

– "لقد نمتَ جيدًا."

دون أي نبرة تساؤل. كانت لدى جوان عادة لازمتها مدى الحياة في الضغط ببراعة على العائلة لإخبارها بما تريد سماعه. في الأيام التي كان فيها سترايك ينام في مكتبه ويواجه إفلاسًا وشيكًا (حقائق لم يشاركها، باعترافه، مع عمته وعمه)، أخبرته جوان بسعادة عبر الهاتف:

– "أنت تبلي بلاءً حسنًا للغاية."

وبدا الأمر، كما كان دائمًا، عدائيًا بلا داعٍ لتحدي إعلانها المتفائل. بعد أن نُسف الجزء السفلي من ساقه في العراق، وقفت جوان باكية عند سريره في المستشفى بينما كان يحاول التركيز عبر ضباب المورفين، وقالت له:

– "لكنك تشعر بالراحة. أنت لا تتألم."

كان يحب عمته، التي ربته لفترات طويلة من طفولته، لكن الفترات الممتدة بصحبتها جعلته يشعر بالاختناق والضيق. كان إصرارها على التمرير السلس للعملة الاجتماعية المزيفة من يد ليد، بينما يتم تجاهل الحقائق غير المريحة وإنكارها، يرهقه تمامًا.

لمع شيء في الماء – فضة مصقولة وزوج من العيون بلون السخام: كان هناك فقمة تدور بكسل أسفل سترايك مباشرة. راقب دوراتها في الماء، متسائلاً عما إذا كانت تستطيع رؤيته، ولأسباب لم يستطع تفسيرها، انزلقت أفكاره نحو شريكته في وكالة التحريات.

كان يدرك جيدًا أنه لم يخبر بولورث بالحقيقة كاملة حول علاقته بـ روبن إيلاكوت، والتي، في نهاية المطاف، لم تكن شأنًا لأحد غيره. الحقيقة هي أن مشاعره كانت تحتوي على ظلال وتعقيدات فضل عدم تفحصها. على سبيل المثال، كان لديه ميل، عندما يكون وحيدًا، أو يشعر بالملل أو انخفاض المعنويات، للرغبة في سماع صوتها.

تفقد ساعته. كانت في يوم عطلة، لكن كان هناك احتمال ضئيل بأن تكون لا تزال مستيقظة وكان لديه ذريعة لائقة لإرسال رسالة نصية: سول موريس، أحدث المتعاونين معهم، يستحق مصاريف شهره، ولم يترك سترايك أي تعليمات لتسوية هذا الأمر. إذا راسلها بشأن موريس، كانت هناك فرصة جيدة بأن تعاود روبن الاتصال به لمعرفة كيف حال جوان.

قالت امرأة بتوتر من خلفه:

– "عفوًا؟"

عرف سترايك دون أن يلتفت أنها المرأة السمراء من الحانة. كانت تتحدث بلكنة مقاطعات لندن، واحتوت نبرتها على ذلك المزيج الدقيق من الاعتذار والإثارة الذي عادة ما يصادفه لدى أولئك الذين يريدون التحدث عن انتصاراته كمحقق.

قال وهو يستدير ليواجه المتحدثة:

– "نعم؟"

كانت صديقتها الشقراء قد جاءت معها: أو ربما، فكر سترايك، كانتا أكثر من صديقتين. بدا أن شعورًا غير قابل للتحديد من القرب يربط بين المرأتين، اللتين قدر أن عمرهما يقارب الأربعين. كانتا ترتديان الجينز والقمصان، والشقراء على وجه الخصوص كانت تتمتع بتلك النحافة التي لوحتها العوامل الجوية قليلاً والتي تشير لعطلات نهاية أسبوع تُقضى في المشي في التلال أو ركوب الدراجات. كانت ممن يسميهم البعض امرأة "ذات وسامة"، ويقصدون بذلك أن وجهها خالٍ من المساحيق. بوجنتيها العاليتين، ونظارتها، وشعرها المسحوب للخلف في ذيل حصان، بدت أيضًا صارمة.

المرأة السمراء كانت أنحل في البنية. لمعت عيناها الرماديتان الواسعتان بشحوب في وجهها الطويل. كانت تحيط بها هالة من الحدة، وحتى التعصب، في الضوء الخافت، مثل شهيدة من العصور الوسطى.

سألت:

– "هل أنت... هل أنت كورموران سترايك؟"

قال بنبرة غير مرحبة:

– "نعم."

همست، مع إيماءة يد صغيرة مضطربة:

– "أوه. هذا... هذا غريب جدًا. أعلم أنك ربما لا تريد أن... أنا آسفة لإزعاجك، أعلم أنك خارج وقت العمل،" أطلقت ضحكة عصبية، "ولكن... اسمي آنا، بالمناسبة... كنت أتساءل،" أخذت نفسًا عميقًا، "ما إذا كان بإمكاني المجيء... ما إذا كان بإمكاني المجيء والتحدث معك عن أمي."

لم يقل سترايك شيئًا.

تابعت آنا:

– "لقد اختفت. مارغوت بامبورو هو اسمها. كانت طبيبة عامة. أنهت عملها ذات مساء، وخرجت من عيادتها ولم يرها أحد منذ ذلك الحين."

سأل سترايك:

– "هل اتصلتِ بالشرطة؟"

أطلقت آنا ضحكة صغيرة غريبة.

– "أوه نعم... أعني، كانوا يعلمون... لقد حققوا. لكنهم لم يجدوا أي شيء أبدًا. لقد اختفت في عام 1974."

تلاطمت المياه المظلمة بالحجر، وظن سترايك أنه يستطيع سماع الفقمة تفرغ أنفها الرطب. مر ثلاثة شبان سكارى يترنحون، في طريقهم إلى نقطة العبّارة. تساءل سترايك عما إذا كانوا يعلمون أن آخر عبّارة قد غادرت في السادسة.

قالت المرأة باندفاع:

– "أنا فقط... كما ترى... الأسبوع الماضي... ذهبتُ لرؤية وسيطة روحانية."

فكر سترايك: *اللعنة*.

كان قد اصطدم أحيانًا بمروجي البصائر الخارقة للطبيعة خلال مسيرته كمحقق، ولم يشعر تجاههم سوى بالاحتقار: طفيليات، أو هكذا رآهم، يمتصون المال من جيوب المخدوعين واليائسين.

جاء قارب بمحرك يشق الماء بصوت عالٍ، يطحن سكون الليل بمحركه. يبدو أن هذا كان التوصيلة التي ينتظرها الأولاد السكارى الثلاثة. بدأوا الآن يضحكون ويدفعون بعضهم بعضًا بمرفقيهم تحسبًا لدوار البحر الوشيك.

ألحّت آنا:

– "أخبرتني الوسيطة أنني سأحصل على «إشارة». قالت لي: «ستكتشفين ما حدث لأمك. ستحصلين على إشارة وعليك اتباعها. سيصبح الطريق واضحًا قريبًا جدًا». لذا عندما رأيتك للتو في الحانة – كورموران سترايك، في فيكتوري إن – بدا الأمر مجرد صدفة لا تصدق وفكرتُ... كان عليّ التحدث إليك."

بعثر نسيم ناعم شعر آنا الداكن المخطط بالفضة.

قالت الشقراء بحزم:

– "هيا يا آنا، يجب أن نذهب."

وضعت ذراعًا حول كتفي الأخرى. رأى سترايك خاتم زواج يلمع هناك.

قالت لـ سترايك:

– "نحن آسفتان لإزعاجك."

بضغط لطيف، حاولت الشقراء إبعاد آنا. استنشقت الأخيرة أنفها وتمتمت:

– "آسفة. أنا... ربما شربتُ نبيذًا أكثر مما ينبغي."

– "انتظري."

كثيرًا ما استاء سترايك من رغبته الفضولية غير القابلة للشفاء في المعرفة، عجزه عن ترك حكة دون خدشها، خاصة عندما يكون متعبًا كما هو الليلة. لكن عام 1974 كان عام ميلاده هو. مارغوت بامبورو كانت مفقودة طوال مدة حياته هو. لم يستطع منع نفسه: أراد أن يعرف المزيد.

– "هل أنتما في عطلة هنا؟"

– "نعم."

كانت الشقراء هي من تحدثت.

– "حسنًا، لدينا منزل ثانٍ في فالموث. مقرنا الدائم في لندن."

قال سترايك:

– "أنا عائد إلى هناك غدًا."

(*ما الذي تفعله بحق الجحيم؟* سأل صوت في رأسه).

– "لكن ربما أستطيع المرور لرؤيتكما صباح الغد في فالموث، إذا كنتما متفرغتين."

شهقت آنا:

– "حقًا؟"

لم يرَ عينيها تمتلئان بالدموع، لكنه علم أنهما فعلتا، لأنها مسحتهما الآن.

– "أوه، سيكون ذلك رائعًا. شكرًا لك. شكرًا لك! سأعطيك العنوان."

لم تبدِ الشقراء أي حماس لاحتمال رؤية سترايك مرة أخرى. ومع ذلك، عندما بدأت آنا تعبث في حقيبة يدها، قالت:

– "لا بأس، لديّ بطاقة."

سحبت محفظة من جيبها الخلفي، وناولت سترايك بطاقة عمل تحمل اسم "د. كيم سوليفان، أخصائية نفسية مسجلة في BPS"، وعنوان في "فالموث" مطبوع أسفلها.

قال سترايك وهو يدسها في محفظته:

– "عظيم. حسنًا، سأراكما صباح الغد إذن."

قالت كيم:

– "لدي في الواقع مكالمة عمل جماعية في الصباح. سأكون متفرغة بحلول الثانية عشرة. هل سيكون ذلك متأخرًا جدًا بالنسبة لك؟"

كان المغزى واضحًا: *لن تتحدث إلى آنا دون وجودي.*

قال سترايك:

– "لا، هذا سيكون جيدًا. سأراكما في الثانية عشرة إذن."

قالت آنا:

– "شكرًا جزيلاً لك!"

مدت كيم يدها ليد آنا وابتعدت المرأتان. راقبهما سترايك تمران تحت ضوء الشارع قبل أن يعود بوجهه نحو البحر. كان القارب الآلي الذي يحمل

الشاربين الصغار قد ابتعد الآن مجددًا. بدا صغيراً بالفعل، متضائلاً أمام الخليج الواسع، وهدير محركه خمد تدريجيًا ليصبح طنينًا بعيدًا.

ناسيًا لحظيًا أمر مراسلة روبن، أشعل سترايك سيجارة ثانية، وأخرج هاتفه المحمول وبحث في "غوغل" عن مارغوت بامبورو.

ظهرت صورتان مختلفتان. الأولى كانت لقطة رأس وكتفين غير واضحة الحبيبات لوجه جذاب، متناسق الملامح بعينين واسعتين، وشعرها الأشقر الداكن المتموج مفروق من المنتصف. كانت ترتدي بلوزة ذات طيات صدر طويلة فوق ما بدا أنه سترة صوفية بلا أكمام.

أظهرت الصورة الثانية المرأة نفسها تبدو أصغر سنًا وترتدي المشد الأسود الشهير لـ "أرنب بلاي بوي"، مزينًا بأذنين سوداوين، وجوارب سوداء وذيل أبيض. كانت تحمل صينية مما يشبه السجائر، وتبتسم للكاميرا. وقفت شابة أخرى، ترتدي ملابس مطابقة، تبتسم خلفها، بأسنان بارزة قليلاً وجسد أكثر امتلاءً من صديقتها الممشوقة.

مرر سترايك الشاشة لأسفل حتى قرأ اسمًا شهيرًا مقترنًا بـ مارغوت.

... الطبيبة الشابة والأم، مارغريت "مارغوت" بامبورو، التي تشارك اختفاؤها في 11 أكتوبر 1974 سمات معينة مع عمليات الاختطاف التي قام بها كريد لـ فيرا كيني وغايل رايتمان.

بامبورو، التي عملت في عيادة سانت جون الطبية في كليركينويل، رتبت للقاء صديقة في حانة "الملوك الثلاثة" المحلية في الساعة السادسة. لكنها لم تصل أبدًا.

رأى العديد من الشهود شاحنة بيضاء صغيرة تقود بسرعة في المنطقة في الوقت الذي كان من المفترض أن تتجه فيه بامبورو لموعدها. المفتش بيل تالبوت، الذي قاد التحقيق في اختفاء بامبورو، كان مقتنعًا منذ مرحلة مبكرة أن الطبيبة الشابة وقعت ضحية للقاتل المتسلسل المعروف بكونه طليقًا في منطقة الجنوب الشرقي. ومع ذلك، لم يتم العثور على أي أثر لـ بامبورو في الشقة الواقعة

في الطابق السفلي حيث قام دينيس كريد بسجن وتعذيب وقتل سبع نساء أخريات.

علامة كريد المميزة المتمثلة في قطع رؤوس جثث ضحاياه...

3

لكن الآن حان وقت بريتو مارت،
لتروي المغامرات الشاقة والأحداث الغريبة.
—إدموند سبنسر، *ملكة الجن* (The Faerie Queene)

لو سارت الأمور كما خُطط لها، لكانت روبن إيلاكوت الآن تنعم بالدفء في فراشها داخل شقتها المُستأجرة في "إيرلز كورت"، منتعشةً بعد حمّام طويل، وملابسها مغسولة، وبين يديها رواية جديدة تقرؤها. لكن بدلاً من ذلك، كانت تجلس في سيارتها الـ "لاند روفر" العتيقة، ترتعد من شدة الإنهاك رغم اعتدال الجو ليلاً، وما زالت ترتدي الملابس نفسها التي ارتدتها في الرابعة والنصف من صباح ذلك اليوم، تراقب النافذة المضاءة لمطعم بيتزا إكسبريس في مدينة "توركي".

بدا وجهها في المرآة الجانبية شاحبًا، وعيناها الزرقاوان محتقنتين بالدماء، وشعرها الأشقر المحمّر – المتواري حاليًا تحت قبعة صوفية سوداء – بحاجة ماسة للغسيل.

من حين لآخر، كانت روبن تمد يدها إلى كيس من اللوز موضوع على مقعد الراكب بجوارها. كان من السهل للغاية الانزلاق في فخ الوجبات السريعة والشوكولاتة عند العمل في المراقبة، وتناول الطعام بدافع الملل المحض أكثر من الحاجة إليه. كانت روبن تحاول جاهدة تناول طعام صحي رغم ساعات عملها غير المنتظمة، لكن اللوز فقد جاذبيته منذ فترة طويلة، ولم تكن تشتهي شيئًا أكثر من قطعة من تلك البيتزا التي تراءى لها زوجان بدينان يستمتعان بها خلف نافذة المطعم. كادت تتذوق طعمها في فمها، رغم أن الهواء المحيط بها كان مشبعًا

بملوحة البحر، وتخالطه تلك الرائحة المكتومة القديمة للأحذية المطاطية والكلب المبلل التي تغلغلت في نسيج مقاعد السيارة العتيق.

كان الهدف الخاضع للمراقبة – والذي أطلقت عليه هي وسترايك لقب "تافتي" بسبب شعره المستعار رديء الصنع – غائبًا عن الأنظار حاليًا. لقد اختفى داخل مطعم البيتزا قبل ساعة ونصف مع ثلاثة مرافقين، أحدهم مراهق ذراعه في الجبس، يمكن رؤيته إذا قامت روبن بمد عنقها جانبيًا نحو المساحة الموجودة فوق مقعد الراكب الأمامي. وهو ما كانت تفعله كل خمس دقائق تقريبًا لتفقد سير وجبة الرباعي. في آخر مرة نظرت فيها، كان الآيس كريم يُقدَّم إلى الطاولة. بالتأكيد، لن يطول الأمر أكثر من ذلك.

كانت روبن تغالب شعورًا بالكآبة تدرك أن سببه – جزئيًا على الأقل – هو الإرهاق التام، وتيبس جسدها بالكامل جراء الجلوس ساعات طوال خلف المقود، وضياع يوم عطلتها الذي طال انتظاره. فمع غياب سترايك الاضطراري عن الوكالة لأسبوع كامل، واصلت العمل لعشرين يومًا متصلة دون انقطاع. وكان من المفترض أن يتولى أفضل متعاون معهم، سام باركلي، مهمة "تافتي" اليوم في اسكتلندا، لكن "تافتي" لم يستقل الطائرة إلى "غلاسكو" كما كان متوقعًا. بل قام بانعطافة مفاجئة نحو "توركي"، تاركًا روبن بلا خيار سوى تعقبه.

كانت هناك أسباب أخرى لانخفاض معنوياتها بالطبع؛ أحدها تعترف به لنفسها، والآخر تشعر بالغضب من نفسها لمجرد التفكير فيه.

السبب الأول – والمشروع – هو طلاقها الجاري، والذي يزداد تعقيدًا وعدائية أسبوعًا بعد آخر. فبعد اكتشاف روبن خيانة زوجها المنفصل عنها، عقدا لقاءً أخيرًا باردًا مفعمًا بالمرارة، وللمفارقة كان ذلك في مطعم "بيتزا إكسبريس" أيضًا بالقرب من مكان عمل ماثيو، حيث اتفقا على السعي لطلاق "بدون خطأ" بعد انفصال دام عامين. كانت روبن صادقة للغاية مع نفسها لدرجة الاعتراف بأنها هي أيضًا تتحمل جزءًا من مسؤولية فشل علاقتهما. ربما كان ماثيو غير مخلص، لكنها كانت تعلم أنها لم تكرس نفسها تمامًا لهذا الزواج، وأنها فضّلت عملها على ماثيو

في كل مناسبة تقريبًا، وأنها – في النهاية – كانت تنتظر سببًا للرحيل. كانت الخيانة صدمة، لكنها كانت خلاصًا أيضًا.

ومع ذلك، وخلال الاثني عشر شهرًا التي انقضت منذ تناولها البيتزا مع ماثيو، أدركت روبن أن زوجها السابق – بعيدًا كل البعد عن السعي لحل "بدون خطأ" – يرى أن نهاية الزواج هي مسؤولية روبن بالكامل، وكان عازمًا على تدفيعها الثمن، عاطفيًا وماديًا، نظير إساءتها. تم تجميد الحساب البنكي المشترك الذي يحوي عائدات بيع منزلهما القديم، بينما يتجادل المحامون حول المبلغ الذي يمكن لـ روبن توقعه بشكل معقول، نظرًا لأنها كانت تكسب أقل بكثير من ماثيو، وأنها – كما أُلمح بقوة في الرسالة الأخيرة – تزوجته فقط بغرض الحصول على ميزة مالية لم تكن لتحققها بمفردها.

كل رسالة من محامي ماثيو كانت تسبب لـ روبن مزيدًا من التوتر والغضب والبؤس. لم تكن بحاجة لمحاميها ليشير إلى أن ماثيو يبدو وكأنه يحاول إجبارها على إنفاق أموال لا تملكها في محاكمات قانونية، لاستنزاف الوقت ومواردها حتى تخرج من الأمر بأقل القليل مما يستطيع تدبيره.

قال لها محاميها بكلمات لم تحمل أي عزاء:

– "لم يسبق لي أن رأيت طلاقًا بلا أطفال بهذا القدر من النزاع."

استمر ماثيو في احتلال مساحة في عقل روبن تكاد تعادل ما كان يحتله وهما متزوجان. ظنت أنها تستطيع قراءة أفكاره عبر الأميال والصمت الذي يفصل بين حياتيهما الجديدتين المتباعدتين. لقد كان دائمًا شخصًا لا يتقبل الخسارة. كان عليه أن يخرج من هذا الزواج القصير بشكل محرج منتصرًا، بالاستيلاء على كل المال، ووصم روبن بأنها السبب الوحيد لفشله.

كان كل هذا سببًا كافيًا لمزاجها الحالي بالطبع، ولكن كان هناك السبب الآخر؛ السبب غير المقبول، الذي كانت روبن منزعجة من نفسها لقلقها بشأنه.

لقد حدث ذلك في اليوم السابق، في المكتب. كان سول موريس، أحدث المتعاونين مع الوكالة، يستحق مصاريف شهره، لذا، وبعد أن أوصلت "تافتي" بأمان

إلى منزل الزوجية في "ويندسور"، قادت روبن عائدة إلى "دنمارك ستريت" لتدفع لـ موريس.

كان موريس يعمل لصالح الوكالة منذ ستة أسابيع. ضابط شرطة سابق، رجل وسيم بلا شك، بشعر أسود وعينين زرقاوين لامعتين، ومع ذلك كان فيه شيء يثير حفيظة روبن. كانت لديه عادة تليين صوته حين يحدثها؛ وكانت التلميحات الجانبية الماكرة والتعليقات الشخصية المفرطة تتخلل أكثر تفاعلاتهم اعتيادية، ولم تكن أي تورية تمر دون إشارة إذا كان موريس في الغرفة. لعنت روبن اليوم الذي اكتشف فيه أن كليهما يمر بإجراءات طلاق حاليًا، لأنه بدا وكأنه يعتقد أن هذا يمنحه أرضية خصبة جديدة لحميمية مفترضة.

كانت تأمل العودة من "ويندسور" قبل مغادرة بات شونسي، مديرة المكتب الجديدة، لكن الساعة كانت قد تجاوزت السادسة وعشر دقائق عندما صعدت روبن الدرج ووجدت موريس ينتظرها خارج الباب المغلق.

قالت روبن:

– "آسفة، الازدحام كان فظيعًا."

دفعت لـ موريس مستحقاته نقدًا من الخزنة الجديدة، ثم أخبرته بلهجة حازمة أنها بحاجة للعودة إلى المنزل، لكنه تشبث بها كعلكة عالقة في شعرها، يخبرها بكل تفاصيل الرسائل النصية المتأخرة التي وصلته من طليقته. حاولت روبن الجمع بين الأدب والبرود حتى رن الهاتف على مكتبها القديم. في العادة كانت لتتركه للبريد الصوتي، لكن رغبتها في قطع حديث موريس كانت قوية لدرجة أنها قالت:

– "يجب أن أرد على هذا، آسفة. أتمنى لك أمسية سعيدة."

ورفعت السماعة قائلة:

– "وكالة سترايك للتحريات، معك روبن."

جاءها صوت أنثوي أجش قليلاً:

– "مرحبًا روبن. هل الرئيس موجود؟"

بالنظر إلى أن روبن لم تتحدث إلى شارلوت كامبل سوى مرة واحدة، قبل ثلاث سنوات، فربما كان من المستغرب أنها عرفت فورًا من المتحدثة. قامت روبن بتحليل هذه الكلمات القليلة من شارلوت إلى درجة ربما تكون سخيفة منذ ذلك الحين. لقد التقطت نبرة ضحك مكتومة، كما لو أن شارلوت تجد روبن مسلية. كما أن الاستخدام السلس لاسم روبن الأول ووصف سترايك بـ "الرئيس" نالا نصيبهما من التأمل.

قالت روبن وهي تمد يدها لقلم بينما تسارعت دقات قلبها قليلاً:

– "لا، للأسف ليس موجودًا. هل يمكنني تلقي رسالة؟"

– "هل يمكنك أن تطلبي منه الاتصال بشارلوت كامبل؟ لديّ شيء يريده. هو يعرف رقمي."

قالت روبن:

– "سأفعل."

قالت شارلوت، وما زال صوتها يحمل نبرة التسلية:

– "شكرًا جزيلاً. وداعًا إذن."

كتبت روبن بضمير حي: *"اتصلت شارلوت كامبل، لديها شيء لك"*، ووضعت الرسالة على مكتب سترايك.

كانت شارلوت خطيبة سترايك السابقة. فُسخت خطبتهما قبل ثلاث سنوات، في اليوم نفسه الذي جاءت فيه روبن للعمل في الوكالة كموظفة مؤقتة. ورغم أن سترايك كان بعيدًا كل البعد عن الانفتاح في الحديث عن هذا الموضوع، إلا أن روبن كانت تعلم أنهما كانا معًا لستة عشر عامًا ("بشكل متقطع"، كما كان سترايك يميل للتأكيد، لأن العلاقة تعثرت مرات عديدة قبل نهايتها الأخيرة)، وأن شارلوت خُطبت لزوجها الحالي بعد أسبوعين فقط من ترك سترايك لها، وأنها الآن أم لتوأم.

لكن هذا لم يكن كل ما تعرفه روبن، لأنها بعد ترك زوجها، أمضت خمسة أسابيع تعيش في غرفة الضيوف بمنزل نيك وإلسا هربرت، اللذين كانا من أعز أصدقاء سترايك. نشأت صداقة بين روبن وإلسا خلال تلك الفترة، وما زالتا تلتقيان

بانتظام لتناول المشروبات والقهوة. لم تخفِ إلسا حقيقة أنها تأمل وتعتقد أن سترايك وروبن سيدركان يومًا ما – ويُفضل قريبًا – أنهما "خُلقا لبعضهما". ورغم أن روبن كانت تطلب من إلسا بانتظام الكف عن تلميحاتها الواضحة، مؤكدة أنها وسترايك سعيدان تمامًا بعلاقة الصداقة والعمل، إلا أن إلسا ظلت غير مقتنعة بمرح.

كانت روبن مولعة بـ إلسا، لكن توسلاتها لصديقتها الجديدة بأن تنسى أي فكرة للتوفيق بينها وبين سترايك كانت صادقة. كانت تشعر بالخزي من فكرة أن سترايك قد يظن أنها متواطئة في محاولات إلسا المستمرة لترتيب لقاءات رباعية بدت بشكل متزايد كمواعيد غرامية مزدوجة. رفض سترايك آخر نزهتين مقترحتين من هذا النوع، وبينما كان ضغط العمل الحالي في الوكالة يجعل أي نوع من الحياة الاجتماعية صعبًا بالتأكيد، كان لدى روبن شعور غير مريح بأنه مدرك تمامًا لدوافع إلسا الخفية. بالنظر إلى حياتها الزوجية القصيرة، كانت روبن واثقة من أنها لم تكن أبدًا مذنبة بمعاملة العازبين كما تجد نفسها تُعامل الآن من قبل إلسا: بلامبالاة مرحة تجاه مشاعرهم، ومحاولات تكون فجة أحيانًا لإدارة حياتهم العاطفية.

كانت إحدى الطرق التي حاولت بها إلسا استدراج روبن للحديث عن موضوع سترايك هي إخبارها بكل شيء عن شارلوت، وهنا كانت روبن تشعر بالذنب، لأنها نادرًا ما كانت تغلق أحاديث شارلوت، رغم أنها لم تخرج من أحدها أبدًا دون أن تشعر وكأنها أفرطت للتو في تناول الوجبات السريعة: غير مرتاحة، وتتمنى لو استطاعت مقاومة الرغبة في المزيد.

كانت تعلم، على سبيل المثال، عن العديد من تهديدات "أنا أو الجيش"، ومحاولتي الانتحار (قالت إلسا بسخرية لاذعة: "تلك التي في "آران" لم تكن محاولة حقيقية. مجرد تلاعب محض")، وعن الإقامة الجبرية لمدة عشرة أيام في المصحة النفسية. سمعت قصصًا منحتها إلسا عناوين تشبه روايات الإثارة الرخيصة: "ليلة سكين الخبز"، و"حادثة الفستان الدانتيل الأسود"، و"الرسالة الملطخة بالدماء".

كانت تعلم أنه في رأي إلسا، شارلوت شريرة وليست مجنونة، وأن أسوأ الشجارات

التي خاضتها إلسا وزوجها نيك كانت بسبب شارلوت، وقد أضافت إلسا: "وكانت ستعشق معرفة ذلك أيضًا، تباً لها".

والآن تتصل شارلوت بالمكتب، وتطلب من سترايك معاودة الاتصال بها، بينما روبن، الجالسة خارج "بيتزا إكسبريس"، جائعة ومنهكة، تقلب فكرة المكالمة الهاتفية مرة أخرى، تمامًا كما يتحسس اللسان تقرحًا في الفم. إذا كانت تتصل بالمكتب، فمن الواضح أن شارلوت لم تكن تعلم أن سترايك في "كورنوال" مع عمته المصابة بمرض عضال، مما لا يوحي بوجود تواصل منتظم بينهما. من ناحية أخرى، بدا أن نبرة شارلوت المتسلية قليلاً تلمح إلى تحالف ما بينها وبين سترايك.

اهتز هاتف روبن المحمول الملقى على مقعد الراكب بجانب كيس اللوز. ممتنة لأي إلهاء، التقطته ورأت رسالة نصية من سترايك:

أنتِ صاحية؟

كتبت روبن ردًا:

لأ

وكما توقعت، رن الهاتف فورًا.

قال سترايك دون مقدمات:

– "حسنًا، لا يجب أن تكوني كذلك. لابد أنكِ منتهية. كم مر عليكِ الآن؟ ثلاثة أسابيع متواصلة تراقبين تافتي؟"

– "ما زلتُ أراقبه."

قال سترايك بصوت بدا عليه الاستياء:

– "ماذا؟ أنتِ في غلاسكو؟ أين باركلي؟"

– "في غلاسكو. كان مستعدًا وفي موقعه، لكن تافتي لم يركب الطائرة. قاد سيارته إلى توركي بدلاً من ذلك. إنه يتناول البيتزا الآن. وأنا خارج المطعم."

– "ما الذي يفعله بحق الجحيم في توركي، والعشيقة في اسكتلندا؟"

قالت روبن، وهي تتمنى لو تستطيع رؤية وجه سترايك وهي تنقل له الخبر التالي:

– "يزور عائلته الأصلية. إنه متعدد زوجات."

قوبل إعلانها بصمت مطبق.

تابعت روبن:

– "كنتُ خارج المنزل في ويندسور عند السادسة، أتوقع أن أتبعه إلى مطار ستانستيد، وأراه بأمان على متن الطائرة وأخبر باركلي أنه في الطريق، لكنه لم يذهب للمطار. اندفع خارج المنزل وبدا عليه الذعر، وقاد إلى مخزن، وأدخل حقيبته وخرج بمجموعة حقائب مختلفة تمامًا وبدون شعره المستعار. ثم قاد طوال الطريق إلى هنا."

وأضافت:

– "عميلتنا في ويندسور على وشك اكتشاف أنها ليست متزوجة قانونيًا. تافتي لديه هذه الزوجة في توركي منذ عشرين عامًا. لقد تحدثتُ إلى الجيران. تظاهرتُ بأنني أقوم باستطلاع رأي. إحدى النساء في الشارع حضرت الزفاف الأصلي. قالت إن تافتي يسافر كثيرًا من أجل العمل، لكنه رجل رائع. ومكرس حياته لأبنائه."

واستطردت روبن، لأن صمت سترايك المذهول استمر بلا انقطاع:

– "هناك ولدان، طالبان، كلاهما في أواخر سن المراهقة وصورة طبق الأصل منه. سقط أحدهما عن دراجته النارية أمس – عرفتُ كل هذا من الجارة – ذراعه في الجبس ويبدو مصابًا بكدمات وجروح بالغة. لابد أن تافتي تلقى خبر الحادث، لذا جاء مسرعًا إلى هنا بدلاً من الذهاب إلى اسكتلندا."

– "يستخدم تافتي اسم إدوارد كامبيون هنا، وليس جون – اتضح أن جون هو اسمه الأوسط، لقد بحثت في السجلات عبر الإنترنت. هو والزوجة الأولى والابنان يعيشون في فيلا جميلة حقًا، تطل على البحر، ولها حديقة ضخمة."

تمتم سترايك:

– "يا للهول. إذن صديقتنا الحامل في غلاسكو..."

قاطعته روبن:

– "... هي أقل هموم السيدة كامبيون-التي-في-ويندسور. إنه يعيش حياة ثلاثية. زوجتان وعشيقة."

– "وهو يشبه قردًا أصلع. هذا يعني أن هناك أملاً لنا جميعًا. هل قلتِ إنه يتناول العشاء الآن؟"

– "بيتزا مع الزوجة والأولاد. أنا متوقفة بالخارج. لم أتمكن من التقاط صور له مع الأبناء في وقت سابق، وأريد ذلك، لأنهم دليل دامغ. نسخ مصغرة من تافتي، تمامًا مثل الاثنين في ويندسور. أين تظنه كان يدّعي التواجد؟"

اقترح سترايك:

– "منصة نفط؟ في الخارج؟ الشرق الأوسط؟ ربما لهذا هو حريص جدًا على الحفاظ على بشرته السمراء."

تنهدت روبن:

– "العميلة ستتحطم تمامًا."

قال سترايك:

– "وكذلك العشيقة في اسكتلندا. ذلك الطفل سيولد في أية لحظة."

قالت روبن:

– "ذوقه متسق بشكل مذهل. لو أوقفتهم جنبًا إلى جنب؛ زوجة توركي، وزوجة ويندسور، والعشيقة في غلاسكو، سيبدون وكأنهم المرأة نفسها بفواصل زمنية قدرها عشرون عامًا."

– "أين تخططين للنوم؟"

تثاءبت روبن مرة أخرى وقالت:

– "فندق ترافيلودج أو مبيت وإفطار، إن استطعت إيجاد أي مكان شاغر في ذروة موسم العطلات. كنت سأقود عائدة مباشرة إلى لندن طوال الليل، لكنني منهكة. أنا مستيقظة منذ الرابعة، وذلك يضاف إلى يوم عمل استمر عشر ساعات بالأمس."

أمرها سترايك:

– "لا قيادة ولا نوم في السيارة. خذي غرفة."

سألت روبن:

– "كيف حال جوان؟ يمكننا تدبر ضغط العمل إذا أردت البقاء في كورنوال لفترة أطول قليلاً."

– "لن تجلس هادئة ونحن جميعًا هناك. تيد يوافق على أنها تحتاج لبعض الهدوء. سأعود خلال أسبوعين."

– "إذن، هل كنت تتصل لمعرفة مستجدات تافتي؟"

– "في الواقع، كنت أتصل بشأن شيء حدث للتو. لقد غادرت الحانة حالاً..."

في بضع جمل موجزة، وصف سترايك لقاءه بابنة مارغوت بامبورو.

قال:

– "لقد بحثت عنها للتو. مارغوت بامبورو، طبيبة تبلغ من العمر تسعة وعشرين عامًا، متزوجة، ولديها ابنة عمرها عام واحد. خرجت من عيادتها في كليركينويل في نهاية يوم العمل، وقالت إنها ذاهبة لتناول مشروب سريع مع صديقة قبل التوجه للمنزل. كانت الحانة تبعد خمس دقائق مشيًا فقط. انتظرت الصديقة، لكن مارغوت لم تصل أبدًا ولم تُرَ مرة أخرى."

ساد صمت. قالت روبن، وعيناها ما زالتا مثبتتين على نافذة مطعم البيتزا:

– "وابنتها تظن أنك ستكتشف ما حدث، بعد ما يقرب من أربعة عقود؟"

– "يبدو أنها تعول كثيرًا على مصادفة رؤيتي في الحانة مباشرة بعد أن أخبرها وسيط روحاني أنها ستحصل على خيط أو إشارة."

همهمت روبن:

– "وما هي احتمالات اكتشاف ما حدث بعد كل هذا الوقت في رأيك؟"

اعترف سترايك:

– "ضئيلة إلى معدومة. من ناحية أخرى، الحقيقة موجودة هناك. الناس لا يتبخرون ببساطة."

استطاعت روبن سماع نبرة مألوفة في صوته تشير إلى تقليبه للأسئلة والاحتمالات.

– "إذن ستقابل الابنة مرة أخرى غدًا؟"

قال سترايك:

– "لن يضر، أليس كذلك؟"

لم تجب روبن.

قال مع أثر لنبرة دفاعية:

– "أعرف ما تفكرين فيه. عميلة مضطربة عاطفيًا – وسيط روحاني – وضع مهيأ للاستغلال."

– "أنا لا أقترح أنك ستستغل الأمر..."

– "قد أستمع إليها إذن، أليس كذلك؟ بخلاف الكثيرين، لن آخذ مالها مقابل لا شيء. وبمجرد أن أستنفد كل السبل..."

قالت روبن:

– "أنا أعرفك. كلما قل ما تجده، زاد اهتمامك."

– "أعتقد أنني سأضطر للتعامل مع رفيقتها ما لم أحصل على نتائج خلال فترة معقولة. هما زوجان مثليان،" ثم أوضح: "الزوجة طبيبة نف..."

قالت روبن:

– "كورموران، سأعاود الاتصال بك."

ودون انتظار رده، قطعت الاتصال وألقت الهاتف مرة أخرى على مقعد الراكب.

كان "تافتي" قد خرج لتوّه متهاديًا من المطعم، تتبعه زوجته وأولاده. مبتسمين ومتحدثين، وجهوا خطواتهم نحو سيارتهم التي كانت تقبع خلف سيارة الـ "لاند روفر" التي تجلس فيها روبن بخمس سيارات. رفعت كاميرتها، والتقطت سلسلة صور متتابعة بينما كانت العائلة تقترب.

بحلول الوقت الذي مروا فيه بجوار الـ "لاند روفر"، كانت الكاميرا تقبع في حجرها ورأس روبن منحني فوق هاتفها، تتظاهر بكتابة رسالة. راقبت في مرآة الرؤية الخلفية عائلة "تافتي" وهم يركبون سيارتهم الـ "رينج روفر" ويغادرون نحو الفيلا المطلة على البحر.

وهي تتثاءب مرة أخرى، التقطت روبن هاتفها وعاودت الاتصال بـ سترايك.

سألها:

– "هل حصلتِ على كل ما أردته؟"

قالت روبن وهي تتفقد الصور بيد واحدة واضعة الهاتف على أذنها:

– "أجل. لديّ بضع صور واضحة له وللأولاد. يا إلهي، جيناته قوية. الأبناء الأربعة يمتلكون ملامحه بالضبط."

أعادت الكاميرا إلى حقيبتها.

– "هل تدرك أنني على بعد ساعتين فقط من سانت ماوز؟"

قال سترايك:

– "أقرب لثلاث ساعات."

– "إذا أحببت..."

– "لا تريدين القيادة طوال الطريق إلى هنا، ثم العودة إلى لندن. لقد أخبرتني للتو أنكِ منهكة."

لكن روبن استطاعت أن تدرك أنه أحب الفكرة. لقد سافر إلى "كورنوال" بالقطار وسيارة الأجرة والعبّارة، لأنه منذ فقد ساقه، لم تعد القيادة الطويلة سهلة ولا ممتعة بشكل خاص.

– "أود مقابلة آنا هذه. ثم يمكنني أن أقلك عائدًا."

قال سترايك بصوت بدا مبتهجًا الآن:

– "حسنًا، إذا كنتِ متأكدة، سيكون ذلك رائعًا. إذا قبلنا القضية، يجب أن نعمل عليها معًا. ستكون هناك كمية هائلة من المعلومات لفرزها، قضية باردة كهذه، ويبدو أنكِ أنهيتِ أمر تافتي الليلة."

تنهدت روبن:

– "نعم. انتهى الأمر برمته باستثناء تدمير حياة نصف دزينة من البشر."

قال سترايك مشجعًا:

– "أنتِ لم تدمري حياة أحد. هو من فعل ذلك. أيهما أفضل: أن تكتشف النساء الثلاث الآن، أم عندما يموت، مع كل الفوضى اللعينة التي سيسببها ذلك؟"

قالت روبن وهي تتثاءب مجددًا:

– "أعرف. إذن، هل تريدني أن آتي إلى المنزل في سانت مـ..."

جاء رده بـ "لا" سريعة وحازمة.

– "إنهما – آنا وشريكتها – في فالموث. سأقابلك هناك. المسافة أقصر بالنسبة لك."

قالت روبن:

– "تمام. أي وقت؟"

– "هل يناسبك الحادية عشرة والنصف؟"

– "بسهولة."

– "سأرسل لكِ مكان اللقاء في رسالة. اذهبي الآن ونامي قليلاً."

بينما كانت تدير المفتاح في التشغيل، أصبحت روبن واعية بأن معنوياتها قد ارتفعت بشكل ملحوظ. وكأن هيئة محلفين لائمة كانت تراقبها – بينهم إلسا وماثيو وشارلوت كامبل – كبتت ابتسامتها بوعي وهي ترجع بالسيارة للخلف مغادرة مكان الوقوف.

4

مولو دُ من أبوين لأمٍ واحدة،
رغم تنافر الطباع بينهما...
— إدموند سبنسر، ملكة الجن (The Faerie Queene)

استيقظ سترايك قبيل الخامسة من صباح اليوم التالي. كان الضوء يتدفق بالفعل عبر ستائر جوان الرقيقة. كل ليلة، كانت أريكة شعر الخيل تعاقب جزءًا مختلفًا من جسده، واليوم شعر وكأن لكمة أصابت كليته. مد يده لهاتفه، ولاحظ الوقت، وقرر أن ألمه أشد من أن يسمح له بالعودة للنوم، فرفع نفسه إلى وضع الجلوس.

بعد دقيقة قضاها في التمدد وحك إبطيه بينما تعتاد عيناه على الأشكال الغريبة المنتصبة في كل جانب وسط عتمة غرفة جلوس جوان وتيد، بحث في "غوغل" عن مارغوت بامبورو للمرة الثانية. وبعد فحص سريع لصورة الطبيبة المبتسمة ذات الشعر المتموج والعينين المتباعدتين، مرر النتائج حتى وجد ذكرًا لها في موقع مخصص للقتلة المتسلسلين. هنا وجد مقالاً طويلاً تتخلله صور لـ دينيس كريد في مراحل عمرية مختلفة، من طفل أشقر جميل بشعر مجعد، وصولاً إلى صورة السجل الجنائي لرجل نحيل بفم ضعيف شهواني ونظارة كبيرة مربعة.

تحول سترايك بعد ذلك إلى مكتبة إلكترونية، حيث وجد سردًا لحياة القاتل المتسلسل، نُشر عام 1985 بعنوان *شيطان باراديس بارك*. كتبه صحفي استقصائي مرموق، توفي الآن. ظهر وجه كريد العادي الملون على الغلاف، مركبًا فوق صور شبحية بالأبيض والأسود للنساء السبع اللاتي عُرف أنه عذبهن وقتلهن. لم يكن وجه

مارغوت بامبورو بينهن. طلب سترايك الكتاب المستعمل، الذي كلف جنيهًا واحدًا، ليتم توصيله إلى المكتب.

أعاد هاتفه إلى شاحنه، وركّب ساقه الاصطناعية، والتقط سجائره وقداحته، ثم شق طريقه حول مجموعة طاولات متهالكة يعلوها إناء زهور مجففة، وحرص ألا يصدم أيًا من الأطباق المزخرفة المعلقة على الجدار، قبل أن يعبر المدخل وينزل ثلاث درجات حادة إلى المطبخ. كانت أرضية "المشمع"، الموجودة هناك منذ طفولته، باردة كالثلج تحت قدمه السليمة.

بعد أن أعد لنفسه كوبًا من الشاي، خرج من الباب الخلفي، لا يرتدي سوى ملابسه الداخلية وقميص قطني، ليستمتع ببرودة الصباح الباكر، متكئًا على جدار المنزل، يستنشق الهواء المشبع بالملح بين نفثات سيجارته، ويفكر في الأمهات المختفيات. مرات عديدة خلال الأيام العشرة الماضية تحولت أفكاره إلى والدته ليدا، امرأة تختلف عن جوان اختلاف القمر عن الشمس.

سألته ذات مرة بشرود، من وسط سحابة دخان زرقاء من صنعها:

– "هل جربت التدخين بعد يا كورمي؟ إنه ليس جيدًا لك، لكن يا إلهي، أنا أعشقه."

كان الناس يسألون أحيانًا لمَ لم تتدخل الخدمات الاجتماعية أبدًا مع عائلة ليدا سترايك. الإجابة كانت أن ليدا لم تبقَ ساكنة أبدًا لفترة تكفي لتقديم هدف ثابت. غالبًا ما كان أطفالها يبقون في مدرسة لأسابيع مجردة قبل أن يتملكها حماس جديد، وينطلقون إلى مدينة جديدة، ومكان سكن عشوائي جديد، ينامون على أرضيات أصدقائها أو، أحيانًا، يستأجرون. الأشخاص الوحيدون الذين عرفوا ما يجري، والذين كان بإمكانهم الاتصال بالخدمات الاجتماعية، هما تيد وجوان، النقطة الثابتة الوحيدة في حياة الطفلين، لكن سواء لأن تيد خشي تدمير العلاقة بينه وبين شقيقته الجامحة، أو لأن جوان قلقت من ألا يغفر لها الأطفال ذلك، لم يفعلا ذلك قط.

واحدة من أكثر ذكريات طفولة سترايك وضوحًا كانت أيضًا إحدى المناسبات النادرة التي يتذكر فيها أنه بكى، عندما عادت ليدا بشكل غير معلن،

بعد ستة أسابيع من الفصل الدراسي الأول لـ سترايك في مدرسة "سانت ماوز" الابتدائية. مذهولة وغاضبة لأن خطوات حاسمة كتسجيله في المدرسة قد اتخذت في غيابها، قادته هو وشقيقته مباشرة إلى العبّارة، واعدة إياهم بكل أنواع المتع في لندن. بكى سترايك بحرقة، محاولاً أن يشرح لها أنه وديف بولورث كانا ذاهبين لاستكشاف كهوف المهربين في عطلة نهاية الأسبوع، كهوف ربما لم يكن لها وجود إلا في خيال ديف، لكنها لم تكن أقل واقعية بالنسبة لـ سترايك.

وعدته ليدا وهي تغدقه بالحلوى بمجرد صعودهم القطار إلى لندن:

– "سترى الكهوف. سترى ما اسمه هذا قريبًا، أعدك."

نشج سترايك:

– "ديف. اسمه د-ديف."

لا تفكر في الأمر، قال سترايك لنفسه، وأشعل سيجارة ثانية من طرف الأولى.

– "ستيك، ستموت من البرد، واقفًا هناك بملابسك الداخلية!"

التفت حوله. كانت أخته تقف في المدخل، ملفوفة برداء نوم صوفي وترتدي خفًا من جلد الغنم. كانا مختلفين جسديًا لدرجة أن الناس واجهوا صعوبة في تصديق أنهما أقارب، ناهيك عن كونهما أخوين غير شقيقين. كانت لوسي صغيرة، شقراء، ووردية الوجه، وتشبه والدها بشكل كبير، وهو موسيقي لم يكن بشهرة والد سترايك، لكنه كان أكثر اهتمامًا بالحفاظ على الاتصال بذريته.

قال:

– "صباح الخير."

لكنها كانت قد اختفت بالفعل، وعادت مع بنطاله وسترة ثقيلة وحذائه وجواربه.

– "لوس، الجو ليس باردًا..."

– "ستصاب بالتهاب رئوي. ارتدِ هذه!"

مثل جوان، كانت لدى لوسي ثقة تامة في حكمها الخاص على ما فيه مصلحة أقرب الناس إليها. بكياسة أفضل قليلاً مما كان ليبديه لو لم يكن على وشك العودة للندن، أخذ سترايك بنطاله وارتداه، متوازنًا بصعوبة ومخاطرًا بالسقوط على

الممر المليء بالحصى. بحلول الوقت الذي أضاف فيه حذاءً وجوربًا لقدمه الحقيقية، كانت لوسي قد أعدت له كوب شاي جديدًا مع كوبها.

أخبرته وهي تسلمه الكوب وتجلس على المقعد الحجري:

– "أنا لم أستطع النوم أيضًا."

كانت المرة الأولى التي يختليان فيها تمامًا طوال الأسبوع. كانت لوسي ملتصقة بجانب جوان، مصرة على القيام بكل الطبخ والتنظيف بينما جوان، التي وجدت أنه من غير المعقول أن تجلس بينما المنزل مليء بالضيوف، كانت تحوم حولها بقلق. في اللحظات النادرة التي لم تكن فيها جوان موجودة، كان واحد أو أكثر من أبناء لوسي هناك عادة؛ في حالة جاك راغبًا في التحدث مع سترايك، والآخران يلحان على لوسي من أجل شيء ما.

قالت لوسي وهي تحدق عبر العشب وأحواض زهور تيد المعتنى بها بعناية:

– "الأمر فظيع، أليس كذلك؟"

تنهد سترايك:

– "أجل. لكن لنأمل خيرًا. العلاج الكيماوي..."

– "لكنه لن يشفيها. سيطيل فقط... يطيل..."

هزت لوسي رأسها وجففت عينيها بقطعة ورق مرحاض مجعدة سحبتها من جيب رداء نومها.

– "لقد هاتفتها مرتين أسبوعيًا لما يقرب من عشرين عامًا يا ستيك. هذا المكان هو منزل ثانٍ لأولادنا. إنها الأم الوحيدة التي عرفتها يومًا."

عرف سترايك أنه لا ينبغي له الاستجابة للاستفزاز. ومع ذلك، قال:

– "تقصدين، بخلاف أمنا الحقيقية."

قالت لوسي ببرود:

– "ليدا لم تكن أمي."

لم يسمعها سترايك قط تقولها بهذه الصراحة، رغم أنها كانت ضمنية في كثير من الأحيان.

تابعت:

– "لم أعتبرها أمي منذ كنت في الرابعة عشرة. أصغر، في الواقع. جوان هي أمي."

وعندما لم يبدِ سترايك أي رد، قالت:

– "أنت اخترت ليدا. أعلم أنك تحب جوان، لكن علاقتنا بها مختلفة تمامًا."

قال سترايك، وهو يمد يده لسيجارة أخرى:

– "لم أدرك أنها كانت منافسة."

– "أنا فقط أخبرك بما أشعر به!"

وتخبرينني بما أشعر به.

العديد من التعليقات اللاذعة حول ندرة زيارات سترايك كانت قد سقطت بالفعل من شفتي أخته خلال أسبوع قربهما القسري. لقد ابتلع كل الردود الغاضبة. كان هدفه الأساسي مغادرة المنزل دون شجار مع أحد.

قالت لوسي الآن:

– "كنت دائمًا أكره عندما تأتي ليدا لتأخذنا، لكنك كنت تسعد بالذهاب."

لاحظ صياغة الأمر كحقيقة مطلقة على طريقة جوان، وافتقارها للاستفسار.

عارضها سترايك مفكرًا في العبّارة، وديف بولورث وكهوف المهربين:

– "لم أكن سعيدًا دائمًا بالذهاب."

لكن بدا أن لوسي تشعر بأنه يحاول سلبها شيئًا ما.

– "أنا فقط أقول، أنت فقدت أمك منذ سنوات. والآن أنا... ربما أكون... بصدد فقدان أمي."

جففت عينيها مرة أخرى بورق المرحاض الرطب.

وأسفل ظهره ينبض بالألم، وعيناه تلسعانه من التعب، وقف سترايك يدخن في صمت. كان يعلم أن لوسي تود لو تمحو ليدا للأبد من ذاكرتها، وأحيانًا، عندما يتذكر بعض الأشياء التي عرضتهما ليدا لها، كان يتعاطف معها. لكن هذا الصباح، بدا طيف ليدا يسبح في دخان سيجارته حوله. استطاع سماعها تقول لـ لوسي: *"هيا، ابكِ بحرقة يا حبيبتي، ذلك يساعد دائمًا"*، وله: *"أعطِ أمك العجوز سيجارة يا كورميّ"*. لم يستطع كراهيتها.

قالت لوسي فجأة:

– "لا أصدق أنك خرجت مع ديف بولورث الليلة الماضية. ليلتك الأخيرة هنا!"

قال سترايك مستاءً:

– "جوان دفعتني عمليًا خارج المنزل. إنها تحب ديف. على أية حال، سأعود خلال أسبوعين."

قالت لوسي، ورموشها الآن مبللة بالدموع:

– "حقًا؟ أم ستكون في منتصف قضية ما وتنسى ببساطة؟"

نفث سترايك الدخان في الهواء الذي يزداد سطوعًا باستمرار، والذي اكتسى بتلك المسحة الزرقاء الباهتة التي تسبق الشروق. بعيدًا إلى اليمين، وبشكل مرئي بضبابية فوق أسطح المنازل على المنحدر، أصبح الحد الفاصل بين السماء والماء أكثر وضوحًا في الأفق.

قال:

– "لا، لن أنسى."

– "لأنك جيد في الأزمات، لا أنكر ذلك، لكن الحفاظ على الالتزام هو ما يبدو أن لديك مشكلة معه. ستحتاج جوان للدعم لشهور وشهور، ليس فقط عندما..."

قال سترايك، وغضبه يتصاعد رغمًا عنه:

– "أعرف ذلك يا لوس. أنا أفهم المرض والتعافي، صدقي أو لا..."

قاطعته لوسي:

– "أجل، حسنًا، كنت رائعًا عندما كان جاك في المستشفى، لكن عندما يكون كل شيء على ما يرام، أنت ببساطة لا تكلف نفسك عناء الحضور."

– "لقد أخذت جاك في نزهة قبل أسبوعين، عم تتحدثين...؟"

– "لم تستطع حتى بذل الجهد لحضور حفلة عيد ميلاد لوك! لقد أخبر كل أصدقائه أنك ستكون هناك..."

– "حسنًا، لم يكن يجدر به فعل ذلك، لأنني أخبرتكِ صراحة عبر الهاتف..."

– "قلتَ إنك ستحاول..."

عارضها سترايك، وقد بدأ يفقد أعصابه الآن، رغم أفضل نواياه:

– "لا، أنتِ قلتِ إنني سأحاول. قلتِ: «ستتمكن من الحضور إن استطعت، رغم ذلك». حسنًا، لم أستطع الحضور، وأخبرتك بذلك مسبقًا وليس خطئي أنك أخبرتِ لوك بخلاف ذلك..."

قالت لوسي متحدثة فوق صوته:

– "أنا أقدر أخذك لجاك للخارج بين الحين والآخر، لكن ألم يخطر ببالك أبدًا أنه سيكون من اللطيف لو استطاع الآخران المجيء أيضًا؟ بكى آدم عندما عاد جاك للمنزل من غرف الحرب! ثم تأتي إلى هنا،" قالت لوسي التي بدت مصممة على إفراغ كل ما في جعبتها الآن وقد بدأت، "وتحضر هدية لجاك فقط. ماذا عن لوك وآدم؟"

– "تيد اتصل بالأخبار عن جوان وانطلقتُ فورًا. كنت أدخر تلك الشارات لجاك، لذا أحضرتها معي."

– "حسنًا، كيف تظن أن ذلك يشعر لوك وآدم؟ من الواضح أنهما يظنان أنك لا تحبهما بقدر جاك!"

قال سترايك، فاقدًا أعصابه أخيرًا:

– "أنا لا أحبهما فعلاً. آدم طفل زنّان تافه، ولوك وغدٌ سافل."

سحق سيجارته على الحائط، ونفض العقب إلى السياج الشجري واتجه عائدًا للداخل، تاركًا لوسي تلهث طلباً للهواء كسمكة ملقاة على الشاطئ.

عند عودته لغرفة الجلوس المظلمة، اصطدم سترايك مباشرة بمجموعة الطاولات: سقط إناء الزهور المجففة بثقل على السجادة المزخرفة، وقبل أن يدرك ما يفعله، كان قد سحق السيقان الهشة والرؤوس الورقية وحولها لغبار تحت قدمه الاصطناعية. كان لا يزال يلملم الشظايا بأفضل ما يمكنه عندما مرت لوسي بصمت بجواره نحو باب الدرج، ينبعث منها سخط الأمومة. أعاد سترايك الإناء الفارغ الآن إلى الطاولة، وانتظر حتى سمع باب غرفة نوم لوسي يُغلق، ثم توجه للطابق العلوي للحمام، يغلي غضبًا.

خوفًا من استخدام الدش خشية إيقاظ تيد وجوان، تبول، وسحب السيفون، وحينها فقط تذكر كم كان المرحاض القديم صاخبًا. بينما كان يغتسل بأفضل ما يمكنه في ماء فاتر بينما يُعاد ملء الخزان بصوت يشبه خلاطة الإسمنت، فكر سترايك أن أي شخص ينام وسط هذا الضجيج لابد أن يكون مخدرًا.

وبالفعل، عند فتح باب الحمام، وجد نفسه وجهًا لوجه مع جوان. بالكاد وصل رأس عمته إلى صدر سترايك. نظر لأسفل إلى شعرها الرمادي الخفيف، وإلى عينين زرقاوين بلون زهرة "لا تنسني" أصبحتا الآن باهتتين بفعل العمر. كان رداء نومها الأحمر المبطن والمزين بالعراوي يمتلك الوقار الاحتفالي لرداء "الكا بوكي" الياباني.

قال سترايك، محاولاً أن يبدو مرحًا ولم يحقق سوى بشاشة مصطنعة:

– "صباح الخير. لم أوقظك، أليس كذلك؟"

سألته:

– "لا، لا، أنا مستيقظة منذ فترة. كيف كان حال ديف؟"

قال سترايك بحرارة:

– "عظيم. يعشق وظيفته الجديدة."

– "وبيني والفتيات؟"

– "أجل، إنهن سعيدات حقًا بالعودة لكورنوال."

قالت جوان:

– "أوه جيد. والدة ديف ظنت أن بيني قد لا ترغب بمغادرة بريستول."

– "لا، سارت الأمور بشكل رائع."

فُتح باب غرفة النوم خلف جوان. كان لوك يقف هناك ببيجامته، يفرك عينيه بشكل استعراضي.

قال لـ سترايك وجوان:

– "لقد أيقظتماني."

قالت جوان:

– "أوه، آسفة يا حبيبي."

– "هل يمكنني الحصول على كوكو بوبس؟"

قالت جوان بحنان:

– "بالطبع يمكنك."

قفز لوك للأسفل، ضاربًا بقدميه على الدرج ليحدث أكبر قدر ممكن من الضوضاء. لم يغب سوى دقيقة بالكاد قبل أن يعود قافزًا نحوهم، والشماتة محفورة على وجهه المليء بالنمش.

– "جدتي، الخال كورموران كسر زهورك."

أيها القذر الصغير.

قال سترايك لـ جوان:

– "أجل، آسف. الزهور المجففة. أسقطتها. الإناء سليم..."

قالت جوان، متحركة فورًا نحو الدرج:

– "أوه، لا يهم على الإطلاق. سأحضر مكنسة السجاد."

قال سترايك فورًا:

– "لا، لقد قمت بالفعل..."

قال لوك:

– "لا تزال هناك قطع في كل مكان على السجادة. لقد دست عليها."

سأدوس فوقك أنت بعد دقيقة، أيها السافل.

تبع سترايك ولوك جوان عائدين لغرفة الجلوس، حيث أصر سترايك على أخذ مكنسة السجاد من جوان، وهي أداة هشة وعقيمة تمتلكها منذ السبعينيات. وبينما كان يستخدمها، وقف لوك في مدخل المطبخ يراقبه، مبتسمًا بخبث بينما يحشر "الكوكو بوبس" في فمه. بحلول الوقت الذي نظف فيه سترايك السجادة بما يرضي جوان، كان جاك وآدم قد انضما لمهرجان الصباح الباكر، بصحبة لوسي متجهمة الوجه، وقد ارتدت ملابسها بالكامل الآن.

– "هل يمكننا الذهاب للشاطئ اليوم يا أمي؟"

– "هل يمكننا السباحة؟"

– "هل يمكنني الخروج في القارب مع العم تيد؟"

قال سترايك لـ جوان:

– "اجلسي. سأحضر لك كوب شاي."

لكن لوسي كانت قد فعلت ذلك بالفعل. ناولت جوان الكوب، ورمقت سترايك نظرة مشمئزة، ثم التفتت عائدة للمطبخ، تجيب عن أسئلة أبنائها وهي تمشي.

سأل تيد وهو يجر قدميه للغرفة ببيجامته، مرتبكًا من نشاط الفجر هذا:

– "ماذا يجري؟"

كان يومًا ما بطول سترايك تقريبًا، ويشبهه كثيرًا. شعره الكثيف المجعد أصبح الآن أبيض كالثلج، ووجهه البني العميق مشققًا أكثر منه مجعدًا، لكن تيد كان لا يزال رجلاً قويًا، وإن كان قد انحنى قليلاً. ومع ذلك، بدا أن تشخيص جوان قد وجه له ضربة جسدية. بدا مهتزًا حرفيًا، مشوشًا قليلاً وغير متزن.

قال سترايك، الذي تملكته فجأة رغبة جارفة في المغادرة:

– "فقط أجمع أغراضي يا تيد. سأضطر للحاق بالعبّارة الأولى للحاق بالقطار المبكر."

قال تيد:

– "آه. عائد طوال الطريق للندن، هاه؟"

قال سترايك، ملقيًا شاحنه ومزيل العرق الخاص به في حقيبته حيث كانت بقية أغراضه موضبة بعناية بالفعل:

– "أجل. لكنني سأعود خلال أسبوعين. ستبقيني على اطلاع، صحيح؟"

قالت جوان بقلق:

– "لا يمكنك المغادرة دون إفطار! سأصنع لك شطيرة..."

كذب سترايك:

– "الوقت مبكر جدًا بالنسبة لي للأكل. شربت كوب شاي وسأحصل على شيء في القطار. أخبرها،" قال لـ تيد، لأن جوان لم تكن تستمع، بل كانت تهرع للمطبخ.

نادى تيد:

– "جواني! إنه لا يريد شيئًا!"

التقط سترايك سترته من على ظهر كرسي ورفع الحقيبة للخارج نحو الردهة.

قال لـ جوان وهي تسرع لوداعه:

– "يجب أن تعودي للفراش. لم أرغب حقًا في إيقاظك. ارتاحي، حسنًا؟ دعي شخصًا آخر يدير المدينة لبضعة أسابيع."

قالت بحزن:

– "أتمنى لو تتوقف عن التدخين."

تمكن سترايك من دحرجة عينيه بمرح، ثم عانقها. تشبثت به بالطريقة التي كانت تفعلها كلما كانت ليدا تنتظر بفارغ الصبر لتأخذه بعيدًا، وعصرها سترايك بدوره، شاعرًا مرة أخرى بألم الولاءات المنقسمة، وبكونه ساحة معركة وجائزة في آن واحد، وباضطراره لإعطاء أسماء لما لا يمكن تصنيفه أو معرفته.

قال وهو يعانق عمه:

– "وداعًا يا تيد. سأهاتفكم عندما أصل للمنزل ونحدد وقتًا للزيارة القادمة."

قال العم تيد بوهن:

– "كان بإمكاني توصيلك. متأكد أنك لا تريدني أن أوصلك؟"

كذب سترايك:

– "أنا أحب العبّارة."

في الواقع، كانت الدرجات غير المستوية المؤدية للقارب شبه مستحيلة عليه للنزول دون مساعدة من صاحب العبّارة، لكن لأنه علم أن ذلك سيسعدهما، قال:

– "تذكرني بكما وأنتما تأخذاننا للتسوق في فالموث عندما كنا صغارًا."

كانت لوسي تراقبه، غير مبالية على ما يبدو، عبر الباب من غرفة الجلوس. لم يرد لوك وآدم ترك "الكوكو بوبس"، لكن جاك جاء يتلوى لاهثًا إلى الردهة الصغيرة ليقول:

– "شكرًا على شاراتي يا خال كورم."

قال سترايك وهو يبعثر شعر الصبي:

– "على الرحب والسعة. وداعًا يا لوس."

وأضاف:

– "أراك قريبًا يا جاك."

5

لم يُجرِ جوابًا، غير أن قلبه الجسور كظم غيظًا عارمًا،
لم ينجح في إخفائه تمامًا، إذ لاحت نُذرُه على وجهه المقطب المتجهّم...
إدموند سبنسر ملكة الجن

بالكاد اتسعت غرفة النوم في النُّزل الذي قضت فيه روبن ليلتها لسرير مفرد، وخزانة ذات أدراج، وحوض غسيل متهالك حُشرت أنابيبه في الزاوية حشرًا. كانت الجدران مكسوة بورق حائط ذي نقوش زهرية بلون بنفسجي شاحب، خيّل لروبن أنه كان ليُعدّ عديم الذوق حتى في حقبة السبعينيات. كانت الملاءات رطبة الملمس، والنافذة لا يكاد يسترها ستار معدني متشابك الحبال.

وتحت الوهج القاسي لمصباح كهربائي وحيد يتدلى عاريًا دون غطاء يخفف حدته، بدا انعكاس صورة روبن في المرآة منهكًا وشعثًا، وقد ارتسمت هالات داكنة تحت عينيها. لم تكن حقيبة ظهرها تحوي سوى تلك الأغراض التي اعتادت حملها دائمًا في مهام المراقبة: قبعة صوفية تحسبًا للحاجة إلى إخفاء شعرها الأشقر المحمر المميز، ونظارة شمسية، وقطعة ملابس إضافية، وبطاقة ائتمان، وهوية مزيفة باسمين مختلفين. القميص النظيف الذي سحبته لتوها من الحقيبة كان مليئًا بالتجاعيد، وشعرها في حاجة ماسة للغسيل؛ أما الحوض فكان خاليًا من الصابون، وقد نسيت هي جلب فرشاة الأسنان والمعجون، إذ لم تكن تدرك أنها ستقضي ليلتها خارج المنزل.

عادت روبن إلى الطريق بحلول الساعة الثامنة. وفي مدينة نيوتن أبوت، توقفت عند صيدلية ومتجر «سينسبري»، حيث ابتاعت – بالإضافة إلى مستلزمات النظافة الأساسية والشامبو الجاف – زجاجة صغيرة رخيصة من كولونيا 4711. نظفت أسنانها ورتبت هندامها قدر المستطاع في حمام المتجر. وبينما كانت تمشط شعرها، وصلتها رسالة نصية من سترايك:

سأكون في مقهى «بلاسيو لاونج» في ساحة «ذا مور»، بوسط «فالموث». سيعرف الجميع مكان «ذا مور».

كلما توغلت روبن غربًا بالسيارة، ازدادت المناظر الطبيعية خضرة ونضارة. ولأنها مولودة في يوركشاير، فقد بدا لها الأمر مذهلاً حين رأت أشجار النخيل تزدهر فعليًا على التربة الإنجليزية في توركي. كانت تلك الدروب الخضراء المتعرجة، وكثافة الغطاء النباتي، والخضرة التي تضاهي المناطق شبه الاستوائية، مفاجأة لشخص نشأ بين البراري الجرداء وسفوح التلال. ثم لاحت على يسارها ومضات من بحر يلمع كالزئبق، ممتد وبراق كلوح زجاجي، وامتزجت نكهة الملح بعبق الحمضيات المنبعث من الكولونيا التي اشترتها على عجل. ورغم إعيائها، شعرت بروحها تنتعش بهذا الصباح المجيد، وبفكرة أن سترايك ينتظرها في نهاية الرحلة.

وصلت إلى فالموث في الحادية عشرة، وقادت سيارتها بحثًا عن مكان للانتظار عبر شوارع مكتظة بالسياح، مارةً بمداخل متاجر تكدست باللعب البلاستيكية، وحانات تكسوها الأعلام وصناديق الزهور متعددة الألوان. وما إن ركنت سيارتها في ساحة «ذا مور» نفسها – وهي ساحة سوق واسعة ومفتوحة في قلب المدينة – حتى لاحظت أنه تحت مظاهر الصيف الصارخة، تتباهى فالموث ببعض المباني الفخمة التي تعود للقرن التاسع عشر، وكان أحدها يضم مقهى ومطعم «بلاسيو لاونج».

كانت الأسقف العالية والأبعاد الكلاسيكية لما بدا وكأنه قاعة محكمة قديمة قد زُينت بأسلوب غريب الأطوار بشكل متعمد؛ شمل ورق حائط بأزهار برتقالية صارخة، ومئات اللوحات المبتذلة داخل إطارات بألوان الباستيل، وثعلبًا محنطًا يرتدي زي قاضٍ. جلس الزبائن – ومعظمهم من الطلاب والعائلات – على

كراسي خشبية غير متطابقة، وترددت أصداء ثرثرتهم في أرجاء المكان الشاسع. بعد بضعة ثوانٍ، لمحت روبن سترايك، ضخمًا وعابسًا في مؤخرة القاعة، وبدا بعيدًا كل البعد عن السعادة بجوار عائلتين كان أطفالهما الصغار – الذين يرتدي معظمهم ملابس مصبوغة بألوان متداخلة – يتسابقون حول الطاولات.

ظنت روبن أنها رأت فكرة النهوض لتحيتها تعبر ذهن سترايك وهي تشق طريقها بين الطاولات نحوه، لكن إن كان ظنها صحيحًا، فقد عدل هو عن الفكرة. كانت تعرف كيف يبدو شكله عندما تؤلمه ساقه؛ إذ تزداد الخطوط حول فمه عمقًا وكأنه يكز على فكيه. وإذا كانت روبن قد بدت متعبة في مرآة النُّزل المغبرة قبل ثلاث ساعات، فإن سترايك بدا مستنزفًا تمامًا؛ لحيته غير المحلوقة جعلته يبدو أشعث، والهالات تحت عينيه بدت زرقاء داكنة.

قال وهو يجاهد ليُسمع صوته فوق صراخ أطفال «الهيبز» المرح:

– "صباح الخير، هل ركنتِ السيارة بسلام؟"

أجابت وهي تجلس:

– "عند المنعطف مباشرة."

قال:

– "اخترت هذا المكان لأنني ظننت العثور عليه سيكون سهلاً."

اصطدم صبي صغير بطاولتهما، مما تسبب في انسكاب قهوة سترايك على طبقه المتناثرة فيه رقائق الكرواسون، ثم ركض الصبي مبتعدًا.

سألها سترايك:

– "ماذا تطلبين؟"

قالت روبن بصوت عالٍ للتغلب على صياح الأطفال بجوارهم:

– "القهوة ستكون ممتازة. كيف تسير الأمور في سانت ماوز؟"

رد سترايك:

– "على حالها."

قالت روبن:

– "أنا آسفة."

دمدم سترايك:

– "لماذا؟ ليس خطأك."

لم تكن هذه التحية التي توقعتها روبن بعد قيادة استمرت ساعتين ونصف لتقلّه. وربما ظهر انزعاجها على وجهها، لأن سترايك أضاف:

– "شكرًا لقيامك بهذا. أقدر لكِ ذلك. أوه، لا تتظاهر بأنك لا تراني أيها الأحمق."

أضاف الجملة الأخيرة بحدة حين مر نادل شاب دون أن يلاحظ يده المرفوعة.

قالت روبن:

– "سأذهب إلى المنضدة، أحتاج الحمام على أي حال."

بحلول الوقت الذي انتهت فيه من قضاء حاجتها ونجحت في طلب القهوة من نادل بدا عليه الإنهاك، كان صداع التوتر قد بدأ يضرب الجانب الأيسر من رأسها. ولدى عودتها إلى الطاولة، وجدت وجه سترايك مكفهرًا كالغيم الملبد بالرعد، لأن الأطفال في الطاولات المجاورة كانوا يصرخون الآن بصوت أعلى من أي وقت مضى وهم يتسابقون حول آبائهم الغافلين، الذين اكتفوا بالصياح فوق الضجيج.

فكرة إبلاغ سترايك برسالة شارلوت الهاتفية الآن عبرت ذهن روبن، لكنها سرعان ما طردتها.

في الواقع، كان السبب الرئيسي لمزاج سترايك السيئ هو أن طرف ساقه المبتورة كان يؤلمه بشدة. لقد سقط (مثل أبله تمامًا، كما حدث نفسه) أثناء صعوده إلى عبارة فالموث. تطلب هذا العمل نزولاً حذرًا وخطيرًا على درجات حجرية بالية دون درابزين، ثم خطوة للأسفل نحو القارب بمساعدة يد المراكبي فقط. وبوزنه الثقيل، كان من الصعب على سترايك استعادة توازنه عندما انزلق، وقد انزلق بالفعل، مما أدى إلى شعوره بألم مبرح الآن.

أخرجت روبن قرص «باراسيتامول» من حقيبتها.

قالت وهي تلاقي نظرات سترايك:

– "صداع."

قال بصوت عالٍ وهو ينظر إلى الآباء الذين يصرخون في وجه بعضهم البعض فوق صراخ ذريتهم الصاخب، لكنهم لم يسمعوه:

– "لستُ متفاجئًا، واللعنة."

راودت سترايك فكرة طلب مسكنات من روبن، لكن هذا قد يثير تساؤلات واهتمامًا مبالغًا فيه، وقد نال كفايته من ذلك في الأسبوع الماضي، لذا استمر في معاناته بصمت.

سألته بعد أن ابتلعت أقراص الدواء مع القهوة:

– "أين العميل؟"

– "على بعد حوالي خمس دقائق بالسيارة. مكان يدعى وودهاوس تيراس."

في تلك اللحظة، تعثرت أصغر الأطفال الذين كانوا يتسابقون في الجوار وارتطم وجهها بالأرضية الخشبية. ضرب صراخ الطفلة وعويلها طبلتي أذن روبن بقوة.

صاحت إحدى الأمهات ذات الملابس المصبغة بحدة:

– "أوه، دافي! ماذا فعلتِ؟"

كان فم الطفلة ينزف. جثت والدتها بجانب طاولتهما، توبخ وتواسي بصوت عالٍ، بينما راقب أشقاء الفتاة وأصدقاؤها المشهد بنهم. كان ركاب العبارة هذا الصباح قد ارتسمت على وجوههم تعبيرات مماثلة عندما ارتطم سترايك بسطح المركب.

صاح المراكبي حينها: "لديه ساق اصطناعية"، وشك سترايك أن الرجل فعل ذلك جزئيًا كي لا يظن أحد أن السقوط كان بسبب إهماله هو. ولم يخفف هذا الإعلان بأي شكل من شعور سترايك بالمهانة أو من فضول رفاقه المسافرين.

سألت روبن وهي تهم بالوقوف بالفعل:

– "هل نتحرك؟"

قال سترايك وهو يجفل من الألم أثناء وقوفه وحمله لحقيبته:

– "بالتأكيد."

ثم تمتم وهو يعرج خلف روبن نحو ضوء الشمس:

– "تبًا للأطفال."

6

أيتها السيدة الحسناء، لرقّ قلبٌ من صوان
لما تُبدين من أحزان وآلام، ما كان لها أوان.
إدموند سبنسر ملكة الجن

كان «وودهاوس تيراس» يتربع فوق تلة، مشرفًا على مشهد بانورامي للخليج في الأسفل. وكما لاحظت آنا وكيم من الشارع، خضعت العديد من المنازل لتحويل مساحات السندرة إلى غرف سكنية، غير أن منزلهما نال النصيب الأكبر من التعديلات الجذرية مقارنة بغيره؛ إذ برز ما يشبه صندوقًا زجاجيًا مربعًا في الموضع الذي كان يشغله السقف سابقًا.

سألت روبن وهما يرتقيان الدرجات نحو الباب الأمامي ذي اللون الأزرق الداكن:

– "ماذا تعمل آنا؟"

أجاب سترايك:

– "لا فكرة لدي، لكن رفيقتها طبيبة نفسية. ولدي انطباع بأنها غير متحمسة لفكرة التحقيق."

ضغط على الجرس، فسمعا وقع خطوات على ما بدا أنه أرضية خشبية عارية، قبل أن تفتح الباب الدكتورة «سوليفان»؛ امرأة فارعة الطول، شقراء، حافية القدمين، ترتدي سروال جينز وقميصًا، وقد انعكست أشعة الشمس على عدسات نظارتها. نقلت بصرها بين سترايك وروبن، وبدت عليها أمارات الدهشة.

شرح سترايك الموقف:

– "هذه شريكتي، روبن إيلاكوت."

قالت كيم وقد بدا عليها الاستياء:

– "أوه... أنتما تدركان، أليس كذلك، أن هذا مجرد لقاء استكشافي؟"

– "صادف وجود روبن بالقرب من الساحل في قضية أخرى، لذا..."

تدخلت روبن بتهذيب:

– "يسعدني جدًا الانتظار في السيارة، إذا كانت آنا تفضل التحدث مع كورموران بمفرده."

قالت كيم وهي تتنحى جانبًا لتسمح لهما بالدخول:

– "حسنًا، سنرى ما تشعر به آنا. اصعدا مباشرة إلى الطابق العلوي، في غرفة الجلوس."

كان من الواضح أن المنزل قد أُعيد تصميمه بالكامل وفق معايير رفيعة المستوى؛ طغى الخشب المبيض والزجاج على كل شيء. لاحظت روبن عبر باب مفتوح أن غرفة النوم قد نُقلت إلى الطابق الأرضي، بجوار ما يشبه غرفة مكتب. أما الطابق العلوي – ذلك الصندوق الزجاجي الذي لمحاه من الشارع – فكان مساحة مفتوحة تجمع بين المطبخ وغرفة الطعام وغرفة الجلوس، مع إطلالة مذهلة على البحر.

كانت آنا تقف بجوار آلة قهوة باهظة الثمن تلمع تحت الضوء، مرتدية بذلة زرقاء فضفاضة من القطن وحذاءً قماشيًا أبيض؛ زيّ بدت فيه أنيقة في نظر روبن، ومبتذلة في نظر سترايك. كان شعرها مشدودًا إلى الخلف، كاشفًا عن رقة تكوين عظام وجهها.

جفلت عند رؤيتهما وقالت:

– "أوه، مرحبًا. لم أسمع صوت الباب بسبب صوت آلة القهوة."

قالت كيم وهي تتبع سترايك وروبن إلى الغرفة:

– "آني، هذه روبن إيلاكوت، إم... شريكة كاميرون. وهي مستعدة للمغادرة إذا كنتِ تفضلين التحدث فقط إلى..."

صححت آنا لكيم قائلة:

– "كورموران. هل يخطئ الناس في اسمك كثيرًا؟"

وجهت سؤالها لسترايك، فأجاب بابتسامة خفيفة:

– "في أغلب الأحيان. لكنه اسم غبي، واللعنة."

ضحكت آنا.

ثم قالت لروبن وهي تتقدم لمصافحتها:

– "لا مانع لدي من بقائكِ. أعتقد أنني قرأت عنكِ أيضًا."

تظاهرت روبن بأنها لم تلاحظ نظرة آنا الخاطفة إلى الندبة الطويلة على ساعدها.

أشارت كيم إلى منطقة جلوس مدمجة حول طاولة منخفضة من الـ«بيرسبيكس» قائلة:

– "تفضلا بالجلوس."

اقترحت آنا:

– "قهوة؟"

قبل كلاهما العرض.

دخلت قطة من فصيلة «راغ دول» تتجول في الغرفة، تخطو برقة عبر بقع ضوء الشمس المنسكبة على الأرض، وعيناها الزرقاوان الصافيتان تشبهان عيني «جون» عبر الخليج. بعد أن أخضعت سترايك وروبن لفحص محايد خالٍ من العاطفة، وثبت بخفة إلى الأريكة واستقرت في حجر سترايك.

قالت كيم وهي تحمل صينية محملة بالأكواب والبسكويت إلى الطاولة:

– "المفارقة أن «كاغني» تحب الرجال حبًا جمًا."

ضحك سترايك وروبن بتهذيب. أحضرت آنا إبريق القهوة، وجلست المرأتان جنبًا إلى جنب في مواجهة سترايك وروبن، ووجهاهما تحت وهج الشمس الساطع، حتى تناولت آنا جهاز تحكم عن بعد، فأنزل آليًا ستائر شمسية بلون الكريم.

قالت روبن وهي تتلفت حولها:

– "مكان رائع."

قالت كيم وهي تربت على ركبة آنا:

– "شكرًا. إنه من تصميمها، إنها مهندسة معمارية."

تنحنحت آنا ثم قالت وهي تنظر بثبات إلى سترايك بعينيها الرماديتين الفضيتين غير المألوفتين:

– "أريد الاعتذار عن الطريقة التي تصرفت بها الليلة الماضية. كنت قد تناولت بضعة كؤوس من النبيذ. ربما ظننت أنني غريبة أطوار."

قال سترايك وهو يداعب القطة التي كانت تخرخر بصوت عالٍ:

– "لو ظننت ذلك، لما كنت هنا."

– "لكن ذكر الوسيطة الروحية ربما أعطاك انطباعًا خاطئًا تمامًا... لأن كيم، صدقني، أخبرتني بالفعل كم كنت حمقاء لذهابي لرؤيتها."

قالت كيم بهدوء:

– "لا أعتقد أنكِ حمقاء يا آني. أعتقد أنكِ حساسة وسهلة التأثر. وهناك فرق."

سأل سترايك:

– "هل لي أن أسأل عما قالته الوسيطة؟"

سألت كيم وهي تنظر إلى سترايك بنظرة فسرتها روبن على أنها ريبة:

– "هل يهم ذلك؟"

أجاب سترايك:

– "ليس من الناحية التحقيقية، ولكن بما أنه – أو أنها؟ – السبب في تواصل آنا معي..."

قالت آنا:

– "كانت امرأة، ولم تخبرني حقًا بأي شيء مفيد... ليس وكأنني..."

هزت رأسها بضحكة عصبية وبدأت من جديد:

– "أعرف أنه كان تصرفًا غبيًا. لقد مررت بوقت عصيب مؤخرًا... تركت شركتي وأوشكت على بلوغ الأربعين... وكيم كانت مسافرة في دورة تدريبية... حسنًا، أعتقد أنني أردت..."

لوحت بيديها كمن يطرد فكرة ما، وأخذت نفسًا عميقًا ثم قالت:

– "إنها امرأة عادية المظهر تمامًا تعيش في «تشيسويك». كان منزلها مليئًا بالملائكة... أعني تماثيل من الخزف والزجاج، وكان هناك ملاك كبير مرسوم على قماش مخملي فوق المدفأة."

وتابعت آنا قائلة، بينما نظرت روبن إلى الطبيبة النفسية التي كان تعبير وجهها جامدًا:

– "كيم تعتقد أنها – أي الوسيطة – عرفت من هي أمي، وأنها بحثت عني في «غوغل» قبل وصولي. كنت قد أعطيتها اسمي الحقيقي. عندما وصلت، قلت ببساطة إن والدتي توفيت منذ وقت طويل... رغم أنه بالطبع لا يوجد دليل على موت والدتي، وهذا نصف المشكلة... لكن على أي حال، أخبرت الوسيطة أنها ماتت، وأن لا أحد كان صريحًا معي بشأن كيفية حدوث ذلك."

بدت آنا محرجة وهي تكمل:

– "فدخلت المرأة فيما... حسنًا، أفترض أنكم تسمونه غيبوبة، وأخبرتني أن الناس اعتقدوا أنهم يحمونني لمصلحتي، لكن الوقت قد حان لأعرف الحقيقة، وأنني سأتلقى قريبًا «إشارة» تقودني إليها. وقالت: «والدتك فخورة جدًا بك» و«هي تراقبك دائمًا»، وأشياء من هذا القبيل، أفترض أنها كليشيهات جاهزة... ثم قالت في النهاية: «إنها ترقد في مكان مقدس»."

ردد سترايك:

– "«ترقد في مكان مقدس»؟"

– "نعم. أفترض أنها ظنت أن ذلك سيكون مريحًا، لكنني لست من رواد الكنيسة. قدسية المكان الذي ترقد فيه أمي أخيرًا – إذا كانت مدفونة أصلاً – ليست همي الأول."

سأل سترايك:

– "هل تمانعين إن دونت ملاحظات؟"

أخرج دفتر ملاحظات وقلمًا، بدا أن القطة «كاغني» اعتبرتهما وسيلة تسلية شخصية لها، إذ حاولت ضرب القلم بكفها بينما كان سترايك يكتب التاريخ.

قالت كيم وهي تنهض لترفع القطة وتعيدها إلى الأرضية الخشبية الدافئة:

– "تعالي إلى هنا أيتها الحيوانة السخيفة."

قال سترايك:

– "لنبدأ من البداية. لا بد أنكِ كنتِ صغيرة جدًا عندما فُقدت والدتك؟"

أجابت آنا:

– "كان عمري يزيد قليلاً عن عام واحد، لذا لا أتذكرها على الإطلاق. لم تكن هناك صور لها في المنزل أثناء نشأتي. لم أكن أعرف ما حدث لفترة طويلة. بالطبع، لم يكن هناك إنترنت آنذاك... على أي حال، احتفظت والدتي بلقبها العائلي بعد الزواج. نشأت باسم آنا فيبس، وهو اسم والدي. لو ذكر أحدهم اسم «مارغوت بامبورو» أمامي قبل أن أبلغ الحادية عشرة، لما عرفت أن لها أي صلة بي."

ثم شرحت:

– "كنت أظن أن سينثيا هي أمي. كانت مربيتي عندما كنت صغيرة. إنها ابنة عم والدي من الدرجة الثالثة وتصغره بسن لا بأس بها، لكنها من عائلة فيبس أيضًا، لذا افترضت أننا عائلة نووية تقليدية. أعني... لمَ لا أفترض ذلك؟ أتذكر، بمجرد أن بدأت المدرسة، أنني تساءلت لماذا أنادي «سين» باسمها بدلاً من «ماما». لكن بعد ذلك قرر أبي وسين الزواج، وأخبراني أنه يمكنني مناداتها بـ«ماما» الآن إذا أردت، فقلت في نفسي، أوه، فهمت، كان علي استخدام اسمها من قبل لأنهما لم يكونا متزوجين. أنت تملأ الفجوات عندما تكون طفلاً، أليس كذلك؟ بمنطقك الغريب الخاص."

وتابعت:

– "كنت في السابعة أو الثامنة عندما قالت لي فتاة في المدرسة: «تلك ليست أمك الحقيقية. أمك الحقيقية اختفت». بدا الأمر جنونيًا. لم أسأل أبي أو سين عن ذلك. لقد حبست الأمر بداخلي، لكنني أعتقد، على مستوى عميق ما، أنني شعرت بأنني قد تسلمت للتو الإجابة عن بعض الأشياء الغريبة التي لاحظتها ولم أحصل على إجابات لها قط. كنت في الحادية عشرة عندما اكتشفت الأمر بشكل صحيح. بحلول ذلك الوقت، كنت قد سمعت أشياء أخرى من أطفال آخرين

في المدرسة. «أمك الحقيقية هربت» كانت إحداها. ثم ذات يوم، قال لي صبي خبيث جدًا: «أمك قُتلت على يد رجل قطع رأسها»."

– "ذهبت إلى المنزل وأخبرت والدي بما قاله ذلك الصبي. كنت أريده أن يضحك، أن يقول إن هذا سخيف، يا له من صبي فظيع... لكن وجهه شحب تمامًا. في نفس الليلة، ناداني هو وسينثيا للنزول من غرفتي، وأجلساني في غرفة الجلوس وأخبراني بالحقيقة."

قالت آنا بصوت خافت:

– "وكل ما كنت أظن أنني أعرفه تداعى وانهار. من يظن أن شيئًا كهذا قد حدث في عائلته؟ كنت أعشق سين. كنت أتفاهم معها أفضل من والدي، لقول الحقيقة. ثم اكتشفت أنها لم تكن أمي على الإطلاق، وأنهما كذبا كلاهما... كذبا في الواقع، وكذبا بالحذف والإخفاء."

– "أخبراني أن والدتي خرجت من عيادتها الطبية ذات ليلة واختفت. آخر شخص رآها حيّة كانت موظفة الاستقبال. قالت إنها ذاهبة إلى الحانة، التي كانت تبعد خمس دقائق سيرًا على الطريق. كانت صديقتها المقربة تنتظر هناك. عندما لم تظهر والدتي، ظنت الصديقة، «أونا كينيدي»، التي انتظرت ساعة، أنها نسيت الموعد. اتصلت بمنزل والديّ. لم تكن أمي هناك. اتصل والدي بالعيادة، لكنها كانت مغلقة. حل الظلام. لم تعد أمي إلى المنزل. فاتصل والدي بالشرطة."

– "حققوا لشهور وشهور. لا شيء. لا أدلة، لا مشاهدات... على الأقل، هذا ما قاله والدي وسين، لكنني قرأت منذ ذلك الحين أشياء تناقض ذلك. سألت أبي وسين أين والدا أمي. قالا إنهما ماتا. وتبين أن ذلك صحيح. توفي جدي بنوبة قلبية بعد عامين من اختفاء أمي، وتوفيت جدتي بجلطة دماغية بعد عام. كانت أمي وحيدة والديها، لذا لم يكن هناك أقارب آخرون يمكنني مقابلتهم أو التحدث معهم عنها."

– "طلبت صورًا. قال والدي إنه تخلص منها جميعًا، لكن سين أخرجت لي بعضها بعد أسبوعين من معرفتي بالأمر. طلبت مني ألا أخبر والدي أنها فعلت ذلك؛

أن أخفيها. وفعلت: كان لدي حافظة بيجامة على شكل أرنب واحتفظت بصور أمي فيها لسنوات."

سأل سترايك:

– "هل شرح لك والدك وزوجة أبيك ما الذي قد يكون حدث لوالدتك؟"

قالت آنا:

– "تقصد «دينيس كريد»؟ نعم، لكنهم لم يخبروني بالتفاصيل. قالوا إن هناك احتمالاً بأنها قُتلت على يد... على يد رجل سيء. كان عليهم إخباري بهذا القدر، بسبب ما قاله الصبي في المدرسة."

– "كانت فكرة مروعة، التفكير في أنها ربما قُتلت على يد كريد...

اكتشفت اسمه سريعًا بما يكفي، فالأطفال في المدرسة كانوا سعداء بتزويدي بالمعلومات. بدأت تراودني كوابيس عنها، مقطوعة الرأس. أحيانًا كانت تأتي إلى غرفتي ليلاً. وأحيانًا كنت أحلم أنني وجدت رأسها في صندوق ألعابي."

قالت آنا وهي تشبك أصابعها ببعضها:

– "غضبت جدًا من والدي وسين. غضبت لأنهما لم يخبراني قط، بوضوح، لكنني بدأت أتساءل أيضًا عما يخفيانه غير ذلك، وما إذا كانا متورطين في اختفاء أمي، وما إذا كانا أرادا إبعادها ليتزوجا. انحرفت قليلاً عن المسار، وبدأت أتهرب من المدرسة... وفي إحدى عطلات نهاية الأسبوع هربت وأعادتني الشرطة إلى المنزل. كان والدي مستشيطًا غضبًا. بالطبع، عندما أنظر إلى الوراء، وبعد ما حدث لأمي... من الواضح أن اختفائي، حتى لبضع ساعات..."

قالت آنا بخجل:

– "لقد أذقتهما الويلات، لقول الحقيقة. لكن يحسب لسين أنها وقفت بجانبي. لم تستسلم أبدًا. كانت قد أنجبت أطفالاً من أبي بحلول ذلك الوقت – لدي أخ وأخت أصغر مني – وكان هناك علاج عائلي وعطلات بأنشطة لتعزيز الروابط، كلها بقيادة سين، لأن والدي بالتأكيد لم يرغب في القيام بذلك. موضوع أمي يجعله غاضبًا ومستاءً فقط. أتذكره وهو يصرخ في وجهي، ألا أدرك كم هو فظيع بالنسبة له أن يُنبش كل هذا مرة أخرى، كيف أظن أنه يشعر..."

ابتسمت آنا ابتسامة صغيرة وهي تتابع:

– "عندما كنت في الخامسة عشرة، حاولت العثور على صديقة أمي، أونا، التي كان من المفترض أن تقابلها ليلة اختفائها. كانتا تعملان معًا كنادلتين في نادي «بلاي بوي» (Bunny Girls)، لكنني لم أكن أعرف ذلك حينها. تعقبت أونا في «ولفرهامبتون»، وتأثرت عاطفيًا جدًا لسماع صوتي. أجرينا بضع مكالمات هاتفية جميلة. أخبرتني بأشياء كنت أرغب حقًا في معرفتها، عن حس دعابة أمي، وعطرها – «ريف غوش»، خرجت وأنفقت نقود عيد ميلادي على زجاجة في اليوم التالي – وكيف كانت مدمنة على الشوكولاتة ومن أشد المعجبين بـ «جوني ميتشل». بدت أمي أكثر حيوية وواقعية بالنسبة لي وأنا أتحدث إلى أونا مما كانت عليه من خلال الصور، أو أي شيء أخبرني به أبي أو سين."

– "لكن والدي اكتشف أنني تحدثت إلى أونا فاستشاط غضبًا. أجبرني على إعطائه رقم أونا واتصل بها واتهمها بتشجيعي على عصيانه، وأخبرها أنني مضطربة وأخضع للعلاج وأن آخر ما أحتاجه هو أناس «يقلبون المواجع». أمرني ألا أضع عطر «ريف غوش» أيضًا. قال إنه لا يطيق رائحته. لذا لم أقابل أونا أبدًا، وعندما حاولت التواصل معها مرة أخرى في العشرينات من عمري، لم أستطع العثور عليها. قد تكون قد توفيت، على حد علمي."

– "دخلت الجامعة، وتركت المنزل وبدأت أقرأ كل ما يمكنني قراءته عن دينيس كريد. عادت الكوابيس، لكن ذلك لم يقربني خطوة واحدة من معرفة ما حدث حقًا. يبدو أن الرجل المسؤول عن التحقيق في اختفاء أمي، وهو مفتش مباحث يدعى «بيل تالبوت»، كان يعتقد دائمًا أن كريد هو من أخذها. تالبوت سيكون ميتًا الآن؛ كان على وشك التقاعد على أية حال."

تنهدت آنا وقالت:

– "ثم، بعد بضع سنوات من التخرج، خطرت لي الفكرة اللامعة بإنشاء موقع إلكتروني. كانت صديقتي في ذلك الوقت خبيرة بالتكنولوجيا، وساعدتني في إعداده. كنت ساذجة جدًا. ذكرت من أكون وتوسلت للحصول على معلومات عن والدتي."

– "يمكنكم تخيل ما حدث. كل أنواع النظريات: وسطاء روحانيون يخبرونني أين أحفر، وأناس يخبرونني أن والدي هو الفاعل بوضوح، وآخرون يخبرونني أنني لست ابنة مارغوت الحقيقية، وأنني أسعى وراء المال والشهرة، وبعض الرسائل الخبيثة حقًا، تقول إن أمي ربما هربت مع عشيق وما هو أسوأ. تواصل معي بعض الصحفيين أيضًا. نشر أحدهم مقالاً فظيعًا في صحيفة «ديلي إكسبريس» عن عائلتنا: اتصلوا بوالدي وكان ذلك بمثابة المسمار الأخير في نعش علاقتنا."

قالت آنا بكآبة:

– "لم تتعاف علاقتنا حقًا. عندما أخبرته أنني مثلية، بدا وكأنه يعتقد أنني أفعل ذلك فقط نكاية به. وقد مالت سين إلى جانبه قليلاً في السنوات القليلة الماضية. تقول دائمًا: «لدي ولاء لوالدك أيضًا يا آنا». لذا، هذا هو وضعنا الحالي."

ساد صمت قصير.

قالت روبن:

– "أمر مروع بالنسبة لكِ."

وافقتها كيم الرأي وهي تضع يدها على ركبة آنا مرة أخرى:

– "إنه كذلك، وأنا متعاطفة تمامًا مع رغبة آنا في إغلاق هذا الملف، بالطبع أنا كذلك. ولكن هل من الواقعي الاعتقاد بأنكما ستحققان ما لم تحققه الشرطة، بعد كل هذا الوقت؟ ولا أقصد أي إهانة لكما."

قال سترايك:

– "واقعي؟ لا."

لاحظت روبن نظرة آنا المنكسرة والاندفاع المفاجئ للدموع في عينيها الواسعتين. شعرت بأسف شديد تجاه المرأة الأكبر سنًا، لكنها في الوقت نفسه احترمت صدق سترايك، الذي بدا أنه أثار إعجاب كيم المتشككة أيضًا.

قال سترايك، وهو ينظر بلباقة إلى ملاحظاته حتى تنتهي آنا من تجفيف عينيها بظهر يدها:

– "إليكِ الحقيقة. أعتقد أن لدينا فرصة معقولة للحصول على ملف الشرطة القديم، لأن لدينا علاقات جيدة في شرطة العاصمة. يمكننا غربلة الأدلة مرة أخرى بدقة، وإعادة زيارة الشهود قدر الإمكان، وببساطة التأكد من أن كل حجر قد قُلب مرتين."

– "لكن الاحتمالات تشير إلى أننا، بعد كل هذا الوقت، لن نجد أكثر مما وجدته الشرطة، وسنواجه عقبتين رئيسيتين. أولاً، انعدام الأدلة الجنائية. حسب ما فهمت، لم يتم العثور حرفيًا على أي أثر لوالدتك، هل هذا صحيح؟ لا ملابس، لا بطاقة حافلة... لا شيء."

تمتمت آنا:

– "صحيح."

– "ثانيًا، كما أشرتِ للتو، من المرجح أن الكثير من الأشخاص المرتبطين بها أو الذين شهدوا أي شيء في تلك الليلة قد ماتوا."

قالت آنا، وانحدرت دمعة متلألئة على أنفها لتسقط على طاولة الـ«بيرسبيكس»:

– "أعرف."

مدت كيم يدها ووضعت ذراعها حول كتفيها. تابعت آنا وهي تنتحب:

– "ربما السبب هو بلوغي الأربعين، لكنني لا أطيق فكرة أن أذهب إلى قبري دون أن أعرف أبدًا ما حدث."

قال سترايك:

– "أتفهم ذلك، لكنني لا أريد أن أعد بما لا أرجح القدرة على الوفاء به."

سألت روبن:

– "هل ظهرت أي خيوط أو تطورات جديدة على مر السنين؟"

أجابت كيم، التي بدت مهتزة قليلاً بسبب حزن آنا الظاهر، مبقية ذراعها حول كتفيها:

– "ليس على حد علمنا، أليس كذلك يا آني؟ لكن أي معلومات من هذا النوع كانت ستذهب على الأرجح إلى روي – والد آنا. وقد لا يكون أخبرنا بها."

قالت آنا وهي تمسح دموعها:

– "إنه يتصرف وكأن شيئًا من ذلك لم يحدث قط؛ هذه هي طريقته في التأقلم. يتظاهر بأن والدتي لم تكن موجودة أبدًا... باستثناء الحقيقة المزعجة أنه لولاها لما كنت هنا."

– "صدقوا أو لا تصدقوا، إن احتمال أنها ذهبت بمحض إرادتها ولم تعد أبدًا، ولم ترغب قط في الاطمئنان عليّ، أو إخبارنا بمكانها، هو ما يطاردني حقًا. هذا هو الشيء الذي لا أتحمل التفكير فيه. جدتي لأبي، التي لم أحبها أبدًا – كانت واحدة من أكثر النساء لؤمًا اللواتي قابلتهن – أخذت على عاتقها إخباري بأن اعتقادها الخاص دائمًا هو أن أمي هربت ببساطة. وأنها لم تكن تحب كونها زوجة وأمًا. آلمني ذلك أكثر مما أستطيع وصفه، فكرة أن أمي قد تدع الجميع يمرون برعب التساؤل عما حدث لها، ولا تتحقق أبدًا من أن ابنتها بخير..."

– "حتى لو قتلها دينيس كريد، سيكون الأمر فظيعًا... مروعًا... لكنه سيكون قد انتهى. سأستطيع الحداد بدلاً من العيش مع احتمال أنها في مكان ما، تعيش تحت اسم مختلف، غير مبالية بما حدث لنا جميعًا."

ساد صمت قصير، شرب فيه كل من سترايك وروبن القهوة، وشهقت آنا بأنفها، وغادرت كيم الأريكة لتقطع بعض المناديل الورقية وناولتها لرفيقتها.

دخلت قطة ثانية من فصيلة «راغ دول» إلى الغرفة. رمقت البشر الأربعة بنظرة متعالية قبل أن تستلقي وتتمطى في بقعة من ضوء الشمس.

قالت كيم بينما كانت آنا تمسح وجهها:

– "تلك «لاسي». إنها لا تحب أحدًا حقًا، حتى نحن."

ضحك سترايك وروبن بأدب مرة أخرى.

سألت كيم فجأة:

– "كيف سيسير الأمر؟ كيف تتقاضيان أجركما؟"

قال سترايك:

– "بالساعة. ستحصلين على فاتورة شهرية مفصلة. يمكنني إرسال أسعارنا عبر البريد الإلكتروني، لكنني أتصور أنكما سترغبان في مناقشة الأمر باستفاضة قبل اتخاذ القرار."

قالت كيم:

– "نعم، بالتأكيد."

لكن بينما كانت تعطي سترايك عنوان بريدها الإلكتروني، نظرت بقلق مرة أخرى إلى آنا، التي كانت تجلس ورأسها محني، وما زالت تضغط بالمنديل الورقي على عينيها بانتظام.

احتج طرف ساق سترايك المبتور على مطالبته بدعم وزنه مرة أخرى بعد فترة وجيزة من الجلوس، لكن لم يبقَ الكثير لمناقشته، خاصة وأن آنا قد انتكست إلى صمت دامع. صافح المحقق يد آنا الباردة، وهو يشعر بأسف طفيف على طبق البسكويت الذي لم يُمس.

قالت آنا:

– "شكرًا لكما، على أية حال."

انتابه شعور بأنه خيب أملها، بأنها كانت تأمل أن يقطع لها وعدًا بالحقيقة، أن يقسم بشرفه على فعل ما فشل فيه الجميع.

رافقتهم كيم إلى خارج المنزل وقالت:

– "سنتصل بكما لاحقًا. بعد ظهر اليوم. هل هذا مناسب؟"

قال سترايك:

– "عظيم، سننتظر اتصالكما."

نظرت روبن إلى الخلف بينما كانت هي وسترايك ينزلان درجات الحديقة المشمسة نحو الشارع، ولمحت كيم ترمقهما بنظرة غريبة، وكأنها وجدت شيئًا في هذين الزائرين لم تكن تتوقعه. وعندما التقت عيناها بعيني روبن، ابتسمت بشكل تلقائي، وأغلقت الباب الأزرق خلفهما.

7

طويلًا سارا على هذا النحو في ود ووئام،
عبر قفار موحشة، وأخرى عامرة بالبنيان...
إدموند سبنسر ملكة الجن

بينما كانت السيارة تنهب الطريق خارجة من فالموث، تحول مزاج سترايك إلى الانشراح، وهو ما عزته روبن بشكل أساسي إلى الاهتمام الذي أثارته قضية جديدة محتملة. فلم يسبق لها قط أن رأت لغزًا مثيرًا يفشل في الاستحواذ على انتباهه، مهما كانت الظروف التي تعصف بحياته الخاصة.

كانت محقة جزئيًا؛ فمما لا شك فيه أن قصة آنا قد أثارت فضول سترايك، لكن ابتهاجه كان نابعًا في المقام الأول من احتمال إراحة طرف ساقه الاصطناعية من وزنه لبضع ساعات، ومن إدراكه أن كل دقيقة تمضي تضع مسافة إضافية بينه وبين شقيقته.

فتح نافذة السيارة، سامحًا لهواء البحر المألوف بالاندفاع منعشًا إلى داخل السيارة القديمة، ثم أشعل سيجارة ونفث الدخان بعيدًا عن روبن، قبل أن يسأل:

– "هل رأيتِ موريس كثيرًا في غيابي؟"

أجابت روبن:

– "رأيته أمس. دفعت له نفقات شهره."

قال سترايك:

– "آه، عظيم، شكرًا. كنت أنوي تذكيرك بضرورة القيام بذلك. ما رأيك فيه؟ باركلي يقول إنه جيد في العمل، عدا أنه يثرثر كثيرًا في السيارة."

قالت روبن بحياد:

– "نعم، إنه يحب الكلام."

قال سترايك، وهو يجس النبض بمهارة:

– "هاتشينز يعتقد أنه متملق ولزج قليلاً."

كان سترايك قد لاحظ النبرة الخاصة التي يخص بها موريس روبن. كما أخبره هاتشينز أن موريس استفسر منه عن الوضع العاطفي لروبن.

دمدمت روبن:

– "ممم... حسنًا، لم أحتك به بما يكفي لتكوين رأي."

نظرًا لمستويات التوتر الحالية لدى سترايك وحجم العمل الذي تكافح الوكالة لتغطيته، قررت روبن عدم انتقاد أحدث موظف قام بتعيينه. كانوا بحاجة إلى رجل إضافي. وعلى الأقل، كان موريس جيدًا في عمله.

أضافت، بدافع المشاكسة جزئيًا:

– "بات تستلطفه."

سرتها رؤية سترايك بطرف عينها وهو يستدير لينظر إليها عابسًا، قبل أن يقول:

– "هذه ليست تزكية بحق الجحيم."

– "هذا غير لطيف."

– "هل تدركين أنه في غضون أسبوع سيصبح طردها أصعب؟ فترة تجربتها توشك على الانتهاء."

قالت روبن:

– "لا أريد طردها. أعتقد أنها ممتازة."

– "حسنًا إذن، أنتِ من سيتحمل العواقب إذا تسببت في مشاكل مستقبلاً."

ردت روبن:

– "لن أتحمل أي عواقب. لا يمكنك إلصاق بات بي. تعيينها كان قرارًا مشتركًا. أنت من سئم من الموظفين المؤقتين..."

– "وأنتِ من قال «قد لا تكون فكرة سيئة تعيين مديرة تقليدية» و«لا ينبغي أن نستبعدها بسبب سنها»..."

– "أعرف ما قلته، وما زلت متمسكة برأيي بشأن السن. نحن فعلاً بحاجة لشخص يفهم جداول البيانات، وشخص منظم، لكنك كنت الشخص الذي..."

قاطعها:

– "لم أكن أريدك أن تتهميني بالتمييز ضد كبار السن."

أنهت روبن جملتها بحزم:

– "أنت الشخص الذي عرض عليها الوظيفة."

تمتم سترايك وهو ينفض الرماد خارج النافذة:

– "لا أدري فيم كنت أفكر، واللعنة."

كانت باتريشيا تشونسي في السادسة والخمسين وتبدو في الخامسة والستين. امرأة نحيلة ذات وجه مليء بالتجاعيد يشبه وجه القرد، وشعر أسود فاحم بشكل غير معقول. كانت تدخن السجائر الإلكترونية باستمرار في المكتب، لكنها تُرى وهي تسحب أنفاسًا عميقة من سيجارة «سوبر كينغ» بمجرد أن تطأ قدماها الرصيف في نهاية يوم العمل. كان صوت بات عميقًا وأجش لدرجة أنها غالبًا ما كان يُظن أنها سترايك عند الرد على الهاتف. جلست في ما كان سابقًا مكتب روبن في الغرفة الخارجية، وتولت الجزء الأكبر من مهام الرد على الهاتف والأعمال الإدارية للوكالة الآن بعد أن انتقلت روبن للعمل بدوام كامل في التحقيق.

كانت العلاقة بين سترايك وبات صدامية منذ البداية، وهو ما حير روبن التي كانت تحبهما كليهما. اعتادت روبن على نوبات مزاجية متقطعة من سترايك، وكانت تميل لمنحه العذر، خاصة عندما تشك في أنه يتألم، لكن بات لم تكن تجد حرجًا في نهره قائلة: «هل سيقتلك أن تقول شكرًا؟» إذا أظهر سترايك امتنانًا غير كافٍ عندما تمرر له رسائله الهاتفية.

من الواضح أنها لم تشعر بأي من التوقير الذي أظهره بعض الموظفين المؤقتين تجاه المحقق الذي أصبح مشهورًا الآن – والذين طُردت إحداهن فورًا عندما أدرك سترايك أنها تصوره خلسة بهاتفها المحمول من المكتب الخارجي. في

الواقع، كان سلوك مديرة المكتب يوحي بأنها تعيش في توقع يومي لاكتشاف أشياء تسيء لسمعة سترايك، وقد أبدت نوعًا من الرضا عند سماعها أن الانبعاج في إحدى خزائن الملفات كان بسبب أنه لكمها ذات مرة.

من ناحية أخرى، كانت الملفات محدثة، والحسابات منتظمة، وجميع الإيصالات مقيدة بعناية، والهاتف يُرد عليه فورًا، والرسائل تُنقل بدقة، ولم ينفد الشاي أو الحليب أبدًا، ولم تصل بات متأخرة ولو لمرة واحدة، بغض النظر عن الطقس أو تأخيرات مترو الأنفاق.

كان صحيحًا أيضًا أن بات استلطفت موريس، الذي كان يحظى بمعظم ابتساماتها النادرة. كان موريس يحرص دائمًا على أن يوفي بات كامل حقها من سحره ذي العيون الزرقاء قبل أن يحول انتباهه إلى روبن. وكانت بات متيقظة بالفعل لاحتمال وجود علاقة عاطفية بين زميليها الأصغر سنًا.

قالت لروبن في الأسبوع السابق فقط، بعد أن اتصل موريس ليبلغ عن موقعه حتى يتمكن باركلي – الذي تعذر الوصول إليه مؤقتًا – من تولي المراقبة في أكبر قضية لديهم:

– "إنه وسيم للغاية. عليكِ أن تمنحيه حقه في ذلك."

ردت روبن بشيء من الحدة:

– "ليس عليّ منحه أي شيء."

كان يكفيها أن إلسا تحاصرها بالحديث عن سترايك في وقت فراغها، ولا ينقصها أن تبدأ بات الحديث عن موريس أثناء ساعات عملها.

قال سترايك، وهو ينهي سيجارته ويسحق عقبها في العلبة المعدنية التي تحتفظ بها روبن لهذا الغرض في صندوق القفازات:

– "على أية حال، لقد أنهيتِ ملف «توفتي». عمل رائع بحق."

قالت روبن:

– "شكرًا. لكن ستكون هناك ضجة صحفية. تعدد الزوجات دائمًا ما يكون خبرًا مثيرًا."

– "نعم. حسنًا، سيكون الأمر أسوأ بالنسبة له مما هو بالنسبة لنا، لكن يستحق المحاولة أن نبقي اسمنا بعيدًا عن الأمر إن استطعنا. سأتحدث مع السيدة «كامبيون» في ويندسور. إذن، هذا يتركنا..."

أخذ يعد الأسماء على أصابعه الغليظة:

– "مع «المزدوج»، و«الراقص»، و«بوستكارد»، و«المراوغ»."

كانت عادة الوكالة قد جرت على إطلاق ألقاب مستعارة على أهدافهم وعملائهم، وذلك بشكل أساسي لتجنب زلة لسان بذكر الأسماء الحقيقية في الأماكن العامة أو في رسائل البريد الإلكتروني.

«المزدوج» (Two-Times) كان عميلاً سابقًا للوكالة، عاد للظهور مؤخرًا بعد تجربة محققين خاصين آخرين ووجدهم غير مرضين. حقق سترايك وروبن سابقًا في أمر اثنتين من صديقاته. بنظرة سطحية، بدا الرجل سيئ الحظ للغاية في الحب، رجل تبدو شريكاته – اللواتي يجذبهن في البداية رصيده البنكي الضخم – عاجزات عن الإخلاص. بمرور الوقت، توصل سترايك وروبن إلى الاعتقاد بأنه يستمد رضًا عاطفيًا أو جنسيًا غامضًا من التعرض للخيانة، وأنهما يتقاضيان أجرًا لتوفير أدلة تمنحه المتعة بدلاً من أن تزعجه. بمجرد مواجهته بالدليل الفوتوغرافي على غدرها، يتم مواجهة الصديقة الحالية، وطردها، والعثور على أخرى، وتكرار النمط بأكمله. في هذه المرة، كان يواعد عارضة أزياء بدت حتى الآن – لخيبة أمل «المزدوج» التي بالكاد يخفيها – مخلصة.

«الراقص» (Twinkletoes)، الذي اختار لقبه موريس بقلة خيال، كان راقصًا يبلغ من العمر أربعة وعشرين عامًا، يقيم علاقة حاليًا مع مطلقة مرتين تبلغ من العمر تسعة وثلاثين عامًا، وتشتهر أساسًا بتاريخها في تعاطي المخدرات وصندوق ائتمانها المالي الضخم. كان والد السيدة الاجتماعية يوظف الوكالة لاكتشاف أي شيء ممكن عن خلفية «الراقص» أو سلوكه، مما يمكن استخدامه لانتزاع ابنته بعيدًا عنه.

أما « بوستكارد (البطاقة)» (Postcard) فكان، حتى الآن، مجهولاً تمامًا. مذيع نشرة جوية في منتصف العمر، وغير جذاب إلى حد ما في رأي روبن، لجأ إلى

الوكالة بعد أن قالت الشرطة إنه لا يوجد ما يمكنهم فعله بشأن البطاقات البريدية التي بدأت تصل إلى مكان عمله، والأكثر إثارة للقلق، تسليمها يدويًا إلى منزله في ساعات الصباح الأولى. لم تحمل البطاقات أي تهديدات؛ بل كانت غالبًا لا تتعدى تعليقات مبتذلة حول اختيار المذيع لربطة عنقه، ومع ذلك كانت دليلاً على معرفة بتحركات الرجل وحياته الخاصة تفوق ما يجب أن يعرفه غريب. كان استخدام البطاقات البريدية أيضًا خيارًا غريبًا، في وقت أصبح فيه الاضطهاد أسهل بكثير عبر الإنترنت. قضى المقاول من الباطن للوكالة، آندي هاتشينز، أسبوعين كاملين من الليالي متوقفًا بسيارته خارج منزل المذيع، لكن «بوستكارد» لم يظهر نفسه بعد.

أخيرًا، والأكثر ربحًا، كانت الحالة المثيرة للاهتمام لـ «المراوغ» (Shifty)، وهو مصرفي استثماري شاب أدى صعوده السريع في شركته إلى توليد قدر متوقع من الاستياء بين زملائه الذين تم تجاوزهم، وهو ما انفجر ليتحول إلى شكوك كاملة عندما تمت ترقيته إلى منصب الرجل الثاني متقدمًا على ثلاثة مرشحين أفضل تأهيلاً منه بلا شك. ما هي ورقة الضغط التي يملكها «المراوغ» بالضبط على المدير التنفيذي (المعروف للوكالة باسم «رئيس المراوغ» أو SB) أصبح الآن محل اهتمام ليس فقط لمرؤوسي «المراوغ»، بل لاثنين من أعضاء مجلس الإدارة المتشككين، اللذين التقيا بسترايك في حانة مظلمة في حي المال والأعمال لطرح مخاوفهم. كانت استراتيجية سترايك الحالية هي محاولة معرفة المزيد عن «المراوغ» من خلال سكرتيرته، ولتحقيق هذه الغاية كُلف موريس بمهمة التودد إليها خارج ساعات العمل، دون الكشف عن اسمه الحقيقي أو مهنته، محاولاً قياس مدى عمق ولائها لـ «المراوغ».

سأل سترايك بعد صمت قصير:

– "هل تحتاجين للعودة إلى لندن في وقت محدد؟"

– "لا، لماذا؟"

– "هل تمانعين التوقف لتناول الطعام؟ لم أتناول الإفطار."

رغم تذكرها أنه، في الواقع، كان أمامه طبق مليء بفتات الكرواسون عندما وصلت إلى «بلاسيو لاونج»، وافقت روبن. بدا أن سترايك قرأ أفكارها.

– "لا يمكنك احتساب الكرواسون. معظمه هواء."

ضحكت روبن.

بحلول الوقت الذي وصلا فيه إلى مطعم «صب واي» (Subway) في استراحة «كورنوال سيرفيسز»، كان الجو بينهما قد أصبح مرحًا تقريبًا، رغم تعبهما. بمجرد أن بدأت روبن – الملتزمة بقرارها بتناول طعام صحي أكثر – في تناول سلطتها، وتناول سترايك بضع قضمات مشبعة من شطيرة الستيك والجبن، أرسل رسالة إلكترونية إلى كيم سوليفان تحتوي على رسالتهم النموذجية حول فواتير العملاء، ثم قال:

– "تشاجرت مع لوسي هذا الصباح."

خمنت روبن أن الشجار لا بد وأن يكون سيئًا، لكي يذكره سترايك.

– "في الخامسة صباحًا، في الحديقة، بينما كنت أدخن سيجارة هادئة."

قالت روبن وهي تنقب بفتور بين أوراق الخس:

– "وقت مبكر قليلاً للنزاعات."

– "حسنًا، تبين أننا نتنافس في «سباق الحواجز لمن يحب جوان أكثر». لم أكن أعلم حتى أنني مُسجّل في السباق."

أكل بصمت لدقيقة، ثم تابع:

– "انتهى الأمر بأن أخبرتها أنني أعتقد أن آدم وغد كثير الشكوى، وأن لوك حقير."

شهقت روبن، التي كانت ترتشف ماءها، وأصابتها نوبة سعال. التفت رواد المطعم في الطاولات القريبة بينما كانت روبن تسعل وتلهث. التقطت منديلاً ورقيًا من الطاولة لتمسح ذقنها وعينيها الدامعتين، وقالت بصوت مبحوح:

– "لماذا – بحق السماء – قلت ذلك؟"

– "لأن آدم وغد كثير الشكوى، ولوك حقير."

بينما كانت لا تزال تحاول إخراج الماء من قصبتها الهوائية، ضحكت روبن وعيناها تدمعان، لكنها هزت رأسها.

قالت عندما استطاعت أخيرًا التحدث بشكل صحيح:

– "اللعنة يا كورموران."

– "أنتِ لم تقضي أسبوعًا كاملاً معهم لتوك. لوك كسر سماعات الرأس الجديدة الخاصة بي، ثم ركض هاربًا بساقي، ذلك التافه الصغير. ثم تتهمني لوسي بتفضيل جاك. بالطبع أفضلّه، إنه الوحيد المحترم بينهم."

– "نعم، ولكن إخبار والدتهم..."

قال سترايك بوطأة:

– "نعم، أعرف. سأتصل وأعتذر."

ساد صمت قصير.

دمدم غاضبًا:

– "ولكن بحق الجحيم، لماذا عليّ أن أصطحب ثلاثتهم معًا؟ الآخران لا يكترثان مطلقًا بالجيش. «آدم بكى عندما عدت من غرف الحرب»، يا للعنة. الوغد الصغير لم يعجبه أنني اشتريت أشياء لجاك، هذا كل ما في الأمر. لو كان الأمر بيد لوسي، لكنت أصطحبهم في نزهات جماعية كل عطلة نهاية أسبوع، ويتبادلون الأدوار في الاختيار؛ سيكون الاختيار حديقة الحيوان وسباق «الغو كارت» اللعين، وكل ما كان جيدًا بشأن رؤيتي لجاك سيفسد. أنا أحب جاك. نحن نهتم بنفس الأشياء. ما قصة هذا الهوس بمعاملتهم جميعًا بالمثل؟ درس مفيد في الحياة، كنت لأظن ذلك، أن تدرك أن لا أحد مدين لك بشيء. أنت لا تحصل على الأشياء تلقائيًا بسبب من تربطك بهم صلة قرابة."

قال وهو يرسم مربعًا في الهواء بيديه:

– "لكن حسنًا، هي تريد مني شراء هدايا للاثنين الآخرين. «حاول ألا تكون تافهًا صغيرًا». سأطبع هذه العبارة على لوحة لغرفة نوم لوك."

اشتريا كيسًا من الوجبات الخفيفة، ثم استأنفا قيادتهما. وبينما كانا ينعطفان للخروج إلى الطريق مرة أخرى، عبر سترايك عن شعوره بالذنب لأنه لم يستطع مشاركتها القيادة، لأن سيارة «لاند روفر» القديمة كانت تحديًا كبيرًا لساقه الاصطناعية.

قالت روبن:

– "لا يهم. أنا لا أمانع."

أضافت وهي ترى سترايك يبتسم بتكلف لشيء وجده في كيس طعامهما:

– "ما المضحك؟"

قال:

– "فراولة إنجليزية."

– "ولماذا هذا مضحك؟"

شرح لها عن غضب ديف بولورث من أن البضائع ذات المنشأ الكورني (نسبة لمقاطعة كورنوال) لم تكن تُصنف كذلك، وعن ابتهاجه الموازي بأن المزيد والمزيد من السكان المحليين كانوا يضعون هويتهم الكورنية فوق الإنجليزية في الاستمارات.

قالت روبن:

– "نظرية الهوية الاجتماعية مثيرة جدًا للامتنان. هي ونظرية التصنيف الذاتي. درستهما في الجامعة. هناك تداعيات لذلك على الشركات وكذلك المجتمع، كما تعلم..."

تحدثت بسعادة لبضع دقائق قبل أن تدرك، عند النظر جانبيًا، أن سترايك قد غط في نوم عميق. واختارت ألا تأخذ الأمر على محمل الإهانة، لأنه بدا شاحبًا من التعب، فلاذت بالصمت، وباستثناء شخير متقطع، لم يكن هناك المزيد من التواصل من سترايك حتى وصلوا مشارف سويندون، حيث انتفض فجأة مستيقظًا مرة أخرى.

قال وهو يمسح فمه بظهر يده:

– "تبًا، آسف. كم لبثت نائمًا؟"

أجابت روبن:

– "حوالي ثلاث ساعات."

قال مرة أخرى وهو يمد يده فورًا لسيجارة:

– "تبًا، آسف. كنت أنام على أكثر الأرائك إزعاجًا في العالم، والأطفال يوقظونني عند بزوغ الفجر اللعين كل يوم. هل تريدين شيئًا من كيس الطعام؟"

قالت روبن، ضاربة بحميتها عرض الحائط، فقد كانت في حاجة ماسة لشيء يرفع طاقتها:

– "نعم. شوكولاتة. إنجليزية أو كورنية، لا يهم."

قال سترايك للمرة الثالثة:

– "آسف. كنتِ تخبرينني عن نظرية اجتماعية أو شيء من هذا القبيل."

ابتسمت روبن ابتسامة عريضة.

– "لقد غفوت في الوقت الذي كنت أخبرك فيه عن تطبيقي المذهل لنظرية الهوية الاجتماعية على ممارسة التحقيق."

سأل، محاولاً تعويض ما فاته من أدب سابقًا:

– "وما هو؟"

قالت روبن، التي كانت تعلم تمامًا أن هذا هو سبب سؤاله:

– "في الجوهر، نميل إلى تصنيف بعضنا البعض وأنفسنا في مجموعات، وعادة ما يؤدي ذلك إلى المبالغة في تقدير أوجه التشابه بين أعضاء المجموعة الواحدة، والتقليل من شأن أوجه التشابه بين من هم داخل المجموعة ومن هم خارجها."

– "إذن أنتِ تقولين إنه ليس كل الكورنيين هم ملح الأرض الأشداء، وليس كل الإنجليز حمقى مغرورين؟"

فك سترايك غلاف شوكولاتة «يوركي» (Yorkie) ووضعها في يدها.

– "يبدو هذا مستبعدًا، لكنني سأطرح الأمر على بولورث في المرة القادمة التي نلتقي فيها."

تجاهل الفراولة التي كانت من نصيب روبن، وفتح علبة «كوكا كولا» وشربها بينما يدخن ويراقب السماء تتحول إلى اللون الدموي كلما اقتربا من لندن.

قال سترايك وهو يراقب الأشجار تتلاشى بسرعة خارج النافذة:

– "دينيس كريد لا يزال حيًا، كما تعلمين. كنت أقرأ عنه على الإنترنت هذا الصباح."

سألت روبن:

– "أين هو؟"

– "في برودمور. ذهب إلى سجن ويكفيلد في البداية، ثم بيلمارش، ونُقل إلى مستشفى برودمور في عام 1995."

– "ما كان التشخيص النفسي؟"

– "مثير للجدل. اختلف الأطباء النفسيون حول ما إذا كان عاقلاً أم لا في محاكمته. معدل ذكاء مرتفع جدًا. في النهاية قررت هيئة المحلفين أنه كان قادرًا على إدراك أن ما يفعله خطأ، ومن هنا جاء السجن، لا المستشفى. لكن لا بد أنه طور أعراضًا منذ ذلك الحين لتبرير العلاج الطبي."

وتابع سترايك:

– "بناءً على قراءة بسيطة جدًا، أستطيع أن أرى لماذا اعتقد المحقق الرئيسي أن مارغوت بامبورو ربما كانت إحدى ضحايا كريد. يُزعم أن هناك شاحنة صغيرة شوهدت تسرع بشكل خطير في المنطقة، في الوقت الذي كان يجب أن تمشي فيه نحو حانة «الملوك الثلاثة». كريد استخدم شاحنة صغيرة في بعض عمليات الاختطاف الأخرى المعروفة."

أضاءت المصابيح على طول الطريق السريع قبل أن تقتبس روبن، بعد أن أنهت شوكولاتة «يوركي»:

– "«إنها ترقد في مكان مقدس»."

نخر سترايك، الذي كان لا يزال يدخن.

– "ترهات الوسطاء المعتادة."

– "أتظن ذلك؟"

– "نعم، أظن ذلك واللعنة. من الملائم جدًا الطريقة التي لا يستطيع بها الناس التحدث إلا بألغاز الكلمات المتقاطعة من الحياة الآخرة. كفى هراءً."

– "حسنًا، اهدأ. كنت أفكر بصوت عالٍ فقط."

– "يمكنكِ تلفيق أي مكان تقريبًا ليكون «مكانًا مقدسًا» إذا أردتِ. «كليركينويل»، حيث اختفت، المنطقة كلها لها نوع من الارتباط الديني. رهبان أو شيء من هذا القبيل. هل تعرفين أين كان يعيش دينيس كريد في عام 1974؟"

– "أخبرني."

– "في «بارادايس بارك» (حديقة الجنة)، إيزلينغتون."

قالت روبن:

– "أوه. إذن تعتقد أن الوسيطة كانت تعرف من هي والدة آنا؟"

– "لو كنت في لعبة الوسطاء، لكنت بالتأكيد بحثت عن أسماء العملاء في غوغل قبل ظهورهم. لكن ربما كانت لمسة خيالية مصممة لتبدو مريحة، كما قالت آنا. تلميحات إلى دفن لائق. مهما كانت نهايتها سيئة، فقد تطهرت بالمكان الذي توجد فيه رفاتها. كريد اعترف بنثر شظايا العظام في «بارادايس بارك»، بالمناسبة. داسها بقدميه في أحواض الزهور."

على الرغم من أن السيارة كانت لا تزال خانقة، شعرت روبن بقشعريرة صغيرة لا إرادية تسري في جسدها.

قال سترايك:

– "غيلان ملاعين."

– "من؟"

– "الوسطاء، والعرافون، وكل هؤلاء المحتالين... الذين يقتاتون على الناس."

– "ألا تعتقد أن بعضهم يؤمن بما يفعله؟ يعتقدون حقًا أنهم يتلقون رسائل من العالم الآخر؟"

– "أعتقد أن هناك الكثير من المعتوهين في العالم، وكلما قللنا من مكافأتهم على عتههم، كان ذلك أفضل لنا جميعًا."

رن الهاتف المحمول في جيب سترايك. سحبه وأجاب:

– "كورموران سترايك."

– "نعم، مرحبًا، أنا آنا فيبس. ومعي كيم أيضًا."

حول سترايك الهاتف إلى مكبر الصوت.

قال عبر هدير وقعقعة الاند روفر:

– "آمل أنكما تسمعاننا جيدًا. ما زلنا في السيارة."

قالت آنا:

– "نعم، الصوت صاخب."

قالت روبن:

– "سأركن جانبًا."

وفعلت ذلك، منعطفة بسلاسة إلى كتف الطريق.

قالت آنا، بينما كانت روبن تطفئ المحرك:

– "أوه، هذا أفضل. حسنًا، لقد تحادثت أنا وكيم في الأمر، وقررنا: نود توظيفكما."

شعرت روبن بدفقة من الإثارة.

قال سترايك:

– "عظيم. نحن متحمسون جدًا للمساعدة، إن استطعنا."

قالت كيم:

– "لكننا نشعر، لأسباب نفسية، وبصراحة، مالية، أننا نود تحديد مدة للتحقيق، لأنه إذا لم تحل الشرطة هذه القضية في ما يقرب من أربعين عامًا... أعني، يمكنكم البحث لأربعين سنة قادمة ولا تجدون شيئًا."

قال سترايك:

– "هذا صحيح. إذن..."

قالت آنا بصوت بدا متوترًا:

– "نفكر في عام واحد. ما رأيكما... هل يبدو ذلك معقولاً؟"

– "هذا ما كنت سأقترحه. لأكون صادقًا، لا أعتقد أن لدينا فرصة كبيرة في أي وقت أقل من اثني عشر شهرًا."

سألت آنا، وبدا صوتها متوترًا ومتحمسًا في آن واحد:

– "هل هناك أي شيء آخر تحتاجه مني للبدء؟"

أجاب سترايك وهو يخرج دفتر ملاحظاته للتأكد من اسم ما:

– "أنا واثق أن شيئًا ما سيخطر ببالي، لكن سيكون من الجيد التحدث إلى والدك وسينثيا."

ساد صمت مطبق على الطرف الآخر من الخط. تبادل سترايك وروبن النظرات.

قالت آنا:

– "لا أعتقد أن هناك أي فرصة لذلك. أنا آسفة، لكن إذا عرف والدي أنني أفعل هذا، أشك أنه سيغفر لي أبدًا."

– "وماذا عن سينثيا؟"

جاء صوت كيم:

– "الأمر هو أن والد آنا كان مريضًا مؤخرًا. سينثيا هي الأكثر عقلانية بين الاثنين في هذا الموضوع، لكنها لن ترغب في أي شيء يزعج روي الآن."

قال سترايك، رافعًا حاجبيه لروبن:

– "حسنًا، لا مشكلة. أولويتنا الأولى يجب أن تكون الحصول على ملف الشرطة. في غضون ذلك، سأرسل لكما عبر البريد الإلكتروني أحد عقودنا القياسية. اطبعاه، ووقعاه وأعيداه، وسنبدأ العمل."

قالت آنا: "شكرًا لكما"، وبعد تأخير طفيف قالت كيم: "حسنًا، إذن."

أنهيا المكالمة.

قال سترايك:

– "يا سلام. أول قضية باردة (Cold Case) لنا. سيكون هذا مثيرًا للاهتمام."

قالت روبن وهي تعود إلى الطريق السريع:

– "ولدينا عام واحد."

قال سترايك:

– "سيمددونه إذا بدا أننا على وشك الوصول لشيء ما."

قالت روبن بتهكم:

– "حظًا موفقًا في ذلك. كيم مستعدة لمنحنا عامًا حتى تتمكن من إخبار آنا أنهم جربوا كل شيء. أراهنك بخمسة جنيهات الآن أننا لن نحصل على أي تمديد."

قال سترايك:

– "قبلت الرهان. إذا كان هناك تلميح لخيط واحد، فستريد آنا متابعته حتى النهاية."

قضيا ما تبقى من الرحلة في مناقشة التحقيقات الأربعة الحالية للوكالة، وهي محادثة استمرت طوال الطريق حتى وصلوا إلى رأس شارع «دنمارك»، حيث نزل سترايك.

قالت روبن، بينما كان يرفع حقيبته من خلفية الاند روفر:

– "كورموران، هناك رسالة على مكتبك من شارلوت كامبل. اتصلت قبل يومين وطلبت منك معاودة الاتصال بها. قالت إن لديها شيئًا تريده أنت."

مرت لحظة وجيزة نظر فيها سترايك ببساطة إلى روبن، وتعبير وجهه غير قابل للقراءة.

– "حسنًا. شكرًا. إذن، أراك غدًا... لا، لن أراكِ."

ناقض نفسه على الفور:

– "لديكِ إجازة. استمتعي."

ومع إغلاق الباب الخلفي بقوة، عرج مبتعدًا نحو المكتب، مطأطأ الرأس، وحاملاً حقيبته على كتفه، تاركًا روبن المنهكة لا تدري ما إذا كان يريد أو لا يريد أيًا كان ما لدى شارلوت كامبل.

الجزء الثاني

ثم أقبل الخريف موشحًا بالصفرة...

— إدموند سبنسر، ملكة الجن (The Faerie Queene)

8

قرأ من ذلك السفر المشؤوم
أمورًا مروعة...
إدموند سبنسر ملكة الجن

عندما كشف سترايك وروبن لتلك المرأة شاحبة الوجه، التي باتا يُطلقان عليها الآن اسم السيدة تافتي الثانية، عن زواج زوجها بأخرى، لاذت بالصمت لدقائق طوال. كان منزلها الصغير والأنيق في وسط وندسور غارقًا في السكون صبيحة ذلك الثلاثاء؛ إذ كان طفلاها في المدرسة الابتدائية، وكانت قد انتهت لتوها من التنظيف، فعبقت الأجواء برائحة ملمع الأثاث، وبدت آثار المكنسة الكهربائية واضحة على السجاد. وعلى طاولة القهوة المصقولة بعناية، تناثرت عشر صور للمدعو تافتي في توركي، حاسر الرأس دون شعره المستعار، يضحك وهو يغادر مطعم بيتزا برفقة صبيين في سن المراهقة يشبهان إلى حد مذهل الطفلين اللذين أنجبهما في وندسور، وقد أحاط بذراعه امرأة مبتسمة بدت وكأنها الشقيقة الكبرى لعميلتهما.

لم تملك روبن، التي تذكرت بدقة ذلك الشعور الذي اجتاحها حين سقط قرط سارة شادلوك الماسي في فراش زوجيتها، إلا أن تخمّن حجم الألم والإذلال والعار المتواري خلف ذلك الوجه المشدود. كان سترايك يتمتم بكلمات المواساة التقليدية، لكن روبن كانت مستعدة للمراهنة برصيدها البنكي كله على أن السيدة تافتي لم تسمع كلمة واحدة؛ وتأكد ظنها حين نهضت السيدة تافتي فجأة، وهي ترتجف بعنف لدرجة جعلت سترايك ينهض بصعوبة قاطعًا جملته، تحسبًا لاحتمال

سقوطها. لكنها تجاوزته بخطوات مضطربة وغادرت الغرفة. وبعد لحظات، سمعا صوت الباب الأمامي يُفتح، ولمحا عميلتهما عبر الستار الشفاف وهي تقترب من سيارة أودي (Q3) حمراء متوقفة أمام المنزل، وفي يدها عصا غولف.

قالت روبن:

– "يا للكارثة."

وبحلول الوقت الذي وصلا فيه إليها، كانت السيدة تافتي الثانية قد هشمت الزجاج الأمامي وخلّفت انبعاجات غائرة في سقف السيارة. أطل الجيران المذهولون من النوافذ، وانخرط كلبان من فصيلة "بوميرانيان" في نباح مسعور خلف زجاج المنزل المقابل. وحين انتزع سترايك عصا الغولف الحديدية من يدها، شتمته السيدة تافتي، وحاولت استعادتها منه مصارعةً، قبل أن تنفجر في نوبة عارمة من البكاء.

أحاطت روبن عميلتهما بذراعها وقادتها بحزم عائدة إلى المنزل، بينما سار سترايك خلفهما حاملاً عصا الغولف. وفي المطبخ، أوعزت روبن إلى سترايك بتحضير قهوة ثقيلة وإحضار بعض البراندي. وبناءً على نصيحة روبن، اتصلت السيدة تافتي بشقيقها وتوسلت إليه أن يأتي بسرعة، لكن ما إن أنهت المكالمة وبدأت في تقليب جهات الاتصال للبحث عن رقم تافتي، حتى خطفت روبن الهاتف من يدها المجمّلة بعناية.

صاحت السيدة تافتي، وعيناها تتقدّان جموحًا واستعدادًا للعراك:

– "أعيديه إليّ!.. ذلك الوغد... السافل... أريد التحدث إليه... أعيديه!"

قال سترايك وهو يضع القهوة والبراندي أمامها:

– "فكرة سيئة. لقد أثبت بالفعل براعته في إخفاء الأموال والأصول عنكِ. أنت بحاجة إلى محامٍ داهية."

ظلاّ مع العميلة حتى وصل شقيقها، وهو مسؤول موارد بشرية يرتدي بذلة رسمية. بدا منزعجًا لاضطراره لمغادرة عمله مبكرًا، وكان بطيء الاستيعاب لما يُقال له لدرجة جعلت سترايك يستشيط غضبًا، مما اضطر روبن للتدخل لمنع نشوب مشادة.

***

تمتم سترايك وهما يقودان السيارة عائدين نحو لندن:

– "اللعنة... كان متزوجًا بأخرى بالفعل حين تزوج شقيقتك. ما الصعب في فهم ذلك؟"

قالت روبن وفي صوتها حدة:

– "صعب للغاية. الناس لا يتوقعون أن يجدوا أنفسهم في مواقف كهذه."

– "هل تظنين أنهم سمعوني حين طلبت منهم ألا يذكروا للصحافة أننا متورطون في الأمر؟"

– "لا."

كانت محقة. فبعد أسبوعين من زيارتهما لوندسور، استيقظا ليجدا عدة صحف شعبية تتصدر صفحاتها الأولى فضائح تافتي ونسائه الثلاث، مع صورة لسترايك في الصفحات الداخلية واسمه في أحد العناوين الرئيسية. لقد أصبح هو نفسه مادة دسمة للأخبار الآن، وكانت المفارقة بين المحقق الشهير والرجل القصير الأصلع الثري الذي تمكن من إدارة عائلتين وعشيقة، أمرًا لا يقاوم بالنسبة للصحافة.

لم يسبق لسترايك الإدلاء بشهادته في قضايا بارزة إلا وهو مطلق لحيته الكثيفة التي كانت تنمو بسرعة مناسبة كلما احتاج إليها، وكانت الصورة التي تستخدمها الصحافة غالبًا صورة قديمة له بالزي العسكري. ومع ذلك، كان البقاء بعيدًا عن الأنظار – كما تقتضي مهنته المختارة – معركة مستمرة، وكانت مضايقات الصحفيين المطالبين بتصريحات أمام مكتبه إزعاجًا هو في غنى عنه. طالت عاصفة الدعاية حين شكلت "السيدتان تافتي" تحالفًا هجوميًا ضد زوجهما المنفصل عنهما. وإذ أظهرتا ميلاً غير متوقع للأضواء، لم تكتفيا بمنح مجلة نسائية مقابلة مشتركة، بل ظهرتا معًا في عدة برامج تلفزيونية صباحية لمناقشة الخداع الطويل الذي تعرضتا له، وصدمتهما، وصداقتهما الجديدة، وعزمهما على جعل تافتي يندم على اليوم الذي التقى فيه بأي منهما، وتوجيه تحذير مبطن للعشيقة الحامل في غلاسكو (التي، وللغرابة، بدت عازمة على الوقوف بجانب تافتي) بأن

عليها إعادة التفكير إن كانت تظن أنه سيملك شروى نقير بعد أن تنتهي زوجتاه منه.

مضى شهر سبتمبر باردًا ومتقلبًا. اتصل سترايك بـ لوسي ليعتذر عن فظاظته بشأن أبنائها، لكنها ظلت باردة حتى بعد الاعتذار، ولا شك في أن ذلك لأنه أعرب فقط عن أسفه للتصريح برأيه بصوت عالٍ، ولم يتراجع عن الرأي نفسه. شعر سترايك بالارتياح حين اكتشف أن أبناءها لديهم مباريات رياضية في عطلات نهاية الأسبوع الآن بعد بدء الدراسة، مما يعني أنه لن يضطر للنوم على الأريكة في زيارته القادمة إلى سانت ماوز، وسيمكنه تكريس وقته لـ تيد وجوان دون تشتيت من حضور لوسي المتوتر والاتهامي.

ورغم استماتة عمته في الطهي له كعادتها، إلا أن العلاج الكيميائي قد أنهكها بالفعل. كان من المؤلم مشاهدتها تجر نفسها في المطبخ، لكنها رفضت الجلوس حتى حين توسل إليها تيد أن تفعل. وفي ليلة السبت، انهار عمه بعد أن ذهبت جوان إلى الفراش، وبكى على كتف سترايك. تيد، الذي بدا يومًا ما حصنًا منيعًا للقوة لا يتزعزع، بكى؛ بينما استلقى سترايك – الذي كان ينام عادةً في أي ظرف – مستيقظًا حتى ما بعد الثانية صباحًا، يحدق في ظلام أشد حلكة بكثير من ليل لندن، متسائلاً عما إذا كان ينبغي عليه البقاء لفترة أطول، ومحتقرًا نفسه لقراره بأن الصواب هو العودة إلى لندن.

في الحقيقة، كانت الوكالة مزدحمة بالعمل لدرجة شعر معها بالذنب تجاه العبء الملقى على عاتق روبن والمتعاقدين معه بسبب قضائه عطلة نهاية أسبوع طويلة في كورنوال. فبالإضافة إلى القضايا الخمس المفتوحة في سجلات الوكالة، كان هو وروبن يحاولان التوفيق بين المتطلبات الإدارية المتزايدة للقوى العاملة الموسعة، والتفاوض على تمديد عقد إيجار المكتب لمدة عام مع المطور العقاري الذي اشترى المبنى. كما كانا يحاولان، دون جدوى حتى الآن، إقناع أحد معارف الوكالة في الشرطة بالعثور على ملف اختفاء مارغو بامبورو البالغ من العمر أربعين عامًا وتسليمه. كان موريس ضابطًا سابقًا في شرطة العاصمة (السكوتلاند يارد)، وكذلك آندي هاتشينز، أقدم متعاقد لديهم، وهو رجل هادئ وكئيب الملامح كان

مرض التصلب المتعدد لديه في حالة خمود لحسن الحظ، وقد حاول كلاهما طلب خدمات من زملائهما السابقين، لكن الردود على طلبات الوكالة تراوحت حتى الآَن بين "من المحتمل أن الفئران أكلته" و"اغرب عن وجهي يا سترايك، أنا مشغول".

في ظهيرة يوم ممطر، وبينما كان يلاحق «المراوغ» عبر حي المال، محاولاً ألا يعرج بشكل واضح وشاتمًا في سرّه ثاني بائع متجول للمظلات الرخيصة يعترض طريقه، رن هاتف سترايك المحمول. وإذ توقع مشكلة أخرى عليه حلها، فوجئ حين قال المتصل:

– "مرحبًا سترايك. معك جورج لايبورن. سمعت أنك تنظر في قضية بامبورو مجددًا؟"

لم يلتقِ سترايك بالمحقق لايبورن سوى مرة واحدة من قبل، ورغم أن ذلك كان في سياق قضية قدم فيها سترايك وروبن مساعدة مادية للشرطة، إلا أنه لم يعتبر علاقتهما وثيقة بما يكفي ليطلب من لايبورن المساعدة في الحصول على ملف بامبورو.

قال سترايك وهو يراقب المراوغ ينعطف نحو حانة للنبيذ:

– "أهلاً جورج. نعم، ما سمعته صحيح."

– "حسنًا، يمكنني مقابلتك غدًا مساءً، إذا رغبت. في حانة (فيذرز)، الساعة السادسة؟"

طلب سترايك من باركلي تبادل المهام، وتوجه إلى الحانة القريبة من السكوتلاند يارد في المساء التالي، حيث وجد لايبورن ينتظره بالفعل عند البار. اشترى لايبورن، وهو رجل في منتصف العمر ذو كرش وشعر أشيب، كأسين من جعة (لندن برايد) لكليهما، وانزويا إلى طاولة في الركن.

قال لايبورن لسترايك:

– "والدي عمل على قضية بامبورو، تحت قيادة بيل تالبوت. أخبرني بكل شيء عنها. ما الذي توصلت إليه حتى الآَن؟"

– "لا شيء. كنت أراجع التقارير الصحفية القديمة، وأحاول تتبع الأشخاص الذين عملوا في العيادة التي اختفت منها. ليس بوسعي فعل الكثير حتى أطلع على ملف الشرطة، لكن لم يستطع أحد مساعدتي في ذلك حتى الآن."

بدا لايبورن، الذي أظهر ولعًا باستخدام عبارات بذيئة ملونة في لقائهم الوحيد السابق، هادئًا بشكل غريب الليلة.

قال بصوت خافت:

– "لقد كانت فوضى ملعونة، تلك التحقيقات في قضية بامبورو. هل أخبرك أحد عن تالبوت بعد؟"

– "أكمل."

– "لقد فقد صوابه. انهيار عقلي كامل. كان قد بدأ يتصرف بغرابة قبل تولي القضية، لكنك تعلم، كانت السبعينيات؛ الاهتمام بالصحة العقلية لرجال الشرطة كان يُعتبر أمرًا يخص (الشواذ). كان ضابطًا جيدًا في زمانه، للعلم. لاحظ بعض الضباط الصغار تصرفاته الغريبة، لكن حين أثاروا الأمر، قيل لهم أن يغلقوا أفواههم."

تابع قائلاً:

– "رأس تحقيق بامبورو لستة أشهر قبل أن تتصل زوجته بالإسعاف في منتصف الليل ويتم إيداعه المصحة إلزاميًا. حصل على معاشه، لكن الأوان كان قد فات بالنسبة للقضية. مات قبل عشر سنوات تقريبًا، لكنني سمعت أنه لم يتجاوز قط إفساده للتحقيق. بمجرد تعافيه، كان يشعر بخزي شديد من تصرفاته."

– "كيف ذلك؟"

– "اعتمد كثيرًا على حدسه الشخصي، لم يأخذ الأدلة بشكل صحيح، لم يكن مهتمًا بالتحدث إلى الشهود إذا لم يتناسب كلامهم مع نظريته..."

– "التي كانت أن كريد هو من اختطفها، صحيح؟"

– "بالضبط. رغم أن كريد كان لا يزال يُلقب بـ (سفاح إسيكس) آنذاك، لأنه ألقى الجثتين الأوليين في غابة إيبينغ وتشجويل."

أخذ لايبورن رشفة طويلة من كأسه ثم أكمل:

– "وجدوا معظم أشلاء جاكي أيليت في حاوية قمامة صناعية. إنه حيوان، ذلك الرجل. حيوان."

– "من تولى القضية بعد تالبوت؟"

– "رجل يدعى لوسون، كين لوسون. لكنه كان قد أضاع ستة أشهر، وبرد الأثر، وورث فوضى عارمة. أضف إلى ذلك، أنها كانت سيئة الحظ في توقيتها، مارغو بامبورو. هل تعرف ما حدث بعد شهر من اختفائها؟"

– "ماذا؟"

– "اختفى اللورد لوكان. حاول أن تبقي خبر طبيبة عامة مفقودة على الصفحات الأولى بعد أن تُقتل مربية أحد النبلاء ضربًا ويهرب هو. كانوا قد استخدموا بالفعل صور (فتاة الليل) – هل كنت تعلم أن بامبورو كانت تعمل فتاة ليل في نوادي بلاي بوي؟"

– "نعم."

– "ساعد ذلك في تمويل دراستها للطب، لكن وفقًا لوالدي، لم ترضَ العائلة عن إقحام ذلك في الأمر. أثار غضبهم، رغم أن تلك الصور منحت القضية تغطية أكبر بالتأكيد. هكذا تسير الدنيا، أليس كذلك؟"

سأل سترايك:

– "ماذا اعتقد والدك أنه حدث لها؟"

تنهد لايبورن قائلاً:

– "حسنًا، بصراحة، كان يظن أن تالبوت كان محقًا على الأرجح: كريد هو من أخذها. لم تكن هناك أي إشارات تدل على أنها نوت الاختفاء؛ جواز السفر كان لا يزال في المنزل، لم تحزم حقيبة، لم تختفِ أي ملابس، وظيفة مستقرة، لا مشاكل مالية، وطفلة صغيرة."

– "من الصعب سحب امرأة في التاسعة والعشرين، تتمتع بلياقة وصحة، من شارع مزدحم دون أن يلاحظ أحد."

– "صحيح. كان كريد عادةً ما يصطادهن وهن مخمورات. ومع ذلك، كان المساء مظلمًا وممطرًا. لقد نفذ تلك الحيلة من قبل. وكان بارعًا في تهدئة شكوك النساء وكسب تعاطفهن. بعضهن دخلن شقته بمحض إرادتهن."

– "شوهدت شاحنة تشبه شاحنة كريد تسرع في المنطقة، أليس كذلك؟"

– "نعم، ومما أخبرني به أبي، لم يتم التحقق منها بشكل صحيح قط. لم يرد تالبوت أن يسمع أنها ربما كانت لشخص يحاول العودة للمنزل لتناول العشاء، هل تفهم؟ العمل الروتيني لم يُنجز ببساطة. على سبيل المثال، سمعت أن حبيبًا سابقًا لبامبورو كان يحوم حول المكان. لا أقول إن الحبيب قتلها، لكن أبي أخبرني أن تالبوت أمضى نصف المقابلة يحاول معرفة أين كان هذا الحبيب ليلة الهجوم على هيلين واردروب."

– "من؟"

– "عاهرة. حاول كريد اختطافها في عام 73. كانت له إخفاقاته، كما تعلم. بيغي هيسكيت، هربت منه وأعطت الشرطة وصفًا في عام 71، لكن ذلك لم يفد كثيرًا. قالت إنه أسمر وممتلئ الجسم، لأنه كان يرتدي شعرًا مستعارًا وقتها ومحشوًا بملابس نسائية. قبضوا عليه في النهاية بفضل ميلودي باور. مغنية ملاهٍ ليلية، تشبه ديانا روس. بدأ كريد الحديث معها في محطة للحافلات، وعرض عليها توصيلة، ثم حاول سحبها إلى الشاحنة حين رفضت. هربت، وأعطت الشرطة وصفًا دقيقًا وأخبرتهم أنه قال إن منزله يقع قبالة (بارادايس بارك). أصبح مهملاً قرب النهاية. الغرور قضى عليه."

– "أنت تعرف الكثير عن هذا يا جورج."

– "نعم، حسنًا، كان أبي من أوائل من دخلوا قبو كريد بعد القبض عليه. لم يتحدث أبدًا عما رآه هناك، وهو الذي رأى تصفيات عصابات وكل ما يخطر ببالك... لم يعترف كريد قط بقتل بامبورو، لكن هذا لا يعني أنه لم يفعلها. ذلك الوغد سيترك الناس في حيرة حتى يموت. سافل لعين وشرير. لقد تلاعب بعائلات ضحاياه المعروفين لسنوات. يحب التلميح بأنه قتل نساء أخريات، دون إعطاء تفاصيل. أجرت صحفية مقابلة معه في أوائل الثمانينيات، لكن تلك كانت المرة

الأخيرة التي سمحوا فيها لأحد بالتحدث إليه. وزارة العدل ضيقت الخناق. يستخدم كريد الدعاية كفرصة لتعذيب العائلات. إنها السلطة الوحيدة المتبقية له."

أنهى لايبورن ما تبقى في كأسه وتفقد ساعته.

– "سأفعل ما بوسعي لأجلك بخصوص الملف. كان والدي ليرغب في مساعدتي لك. لم يرتح ضميره أبدًا لما حدث في تلك القضية."

كانت الرياح تشتد بحلول الوقت الذي عاد فيه سترايك إلى شقته في العلية. خشخشت نوافذه الملطخة بالمطر في إطاراتها المرتخية بينما كان يفرز بعناية الإيصالات في محفظته لاستخراج تلك التي يحتاج تقديمها للمحاسب.

في التاسعة مساءً، بعد تناول عشاء طهاه على موقده ذي الشعلة الواحدة، استلقى على سريره وتناول السيرة الذاتية المستعملة لـ دينيس كريد، "شيطان بارادايس بارك"، التي طلبها منذ شهر وظلت حتى الآن مغلقة على الطاولة بجوار سريره. وبعد أن فك زر بنطاله ليستوعب كمية المعكرونة الكبيرة التي التهمها للتو، أطلق تجشؤًا عاليًا ومريحًا، وأشعل سيجارة، ثم استند بظهره إلى الوسائد وفتح الكتاب من البداية، حيث عرض جدول زمني الحقائق المجردة لمسيرة كريد الطويلة في الاغتصاب والقتل.

1937: وُلد في غرينويل تيراس، مايل إند.

1954: **أبريل**: بدأ الخدمة الوطنية.

نوفمبر: اغتصب التلميذة فيكي هورنشيرش، 15 عامًا.

حُكم عليه بالسجن عامين في إصلاحية فيلثام.

1955–61: عمل في مجموعة متنوعة من الوظائف اليدوية والمكتبية قصيرة الأمد. ارتاد بيوت الدعارة.

1961: **يوليو**: اغتصب وعذب مساعدة المتجر شيلا جاسكينز، 22 عامًا.

حُكم عليه بـ 5 سنوات في سجن بنتونفيل.

1968: أبريل: اختطف واغتصب وعذب وقتل التلميذة جيرالدين كريستي، 16 عامًا.

1969: سبتمبر: اختطف واغتصب وعذب وقتل السكرتيرة والأم لطفل واحد جاكي أيليت، 29 عامًا.

أطلقت الصحافة على القاتل لقب "سفاح إسيكس".

1970: يناير: انتقل إلى قبو فاي هوبر في طريق ليفربول، بالقرب من بارادايس بارك. حصل على وظيفة عامل توصيل للمصبغة.

فبراير: اختطف طاهية المدرسة والأم لثلاثة أطفال فيرا كيني، 31 عامًا. احتجزها في القبو لمدة ثلاثة أسابيع. اغتصبها وعذبها وقتلها.

نوفمبر: اختطف الوكيلة العقارية نورين ستوروك، 28 عامًا. احتجزها في القبو لمدة أربعة أسابيع. اغتصبها وعذبها وقتلها.

1971: أغسطس: فشل في اختطاف الصيدلانية بيغي هيسكيت، 34 عامًا.

1972: سبتمبر: اختطف العاطلة عن العمل غيل رايتمان، 30 عامًا. احتجزها سجينة في القبو. اغتصبها وعذبها.

1973: يناير: قتل رايتمان.

ديسمبر: فشل في اختطاف العاهرة والأم لطفل واحد هيلين واردروب، 32 عامًا.

1974: سبتمبر: اختطف مصففة الشعر سوزان ماير، 27 عامًا. احتجزها سجينة في القبو. اغتصبها وعذبها.

1975: فبراير: اختطف طالبة الدكتوراه أندريا هوتون، 23 عامًا. احتُجزت هوتون وماير معًا في القبو لمدة 4 أسابيع.

مارس: قتل سوزان.

أبريل: قتل أندريا.

1976: 25 يناير: حاول اختطاف مغنية الملهى الليلي ميلودي باور، 26 عامًا.

31 يناير: صاحبة المنزل فاي هوبر تتعرف على كريد من الوصف والرسم التقريبي.

2 فبراير: القبض على كريد.

قلب سترايك الصفحة وقرأ المقدمة قراءة سريعة، والتي تضمنت المقابلة الوحيدة التي منحتها والدة كريد، أغنيس وايت.

... بدأت بإخباري أن التاريخ المذكور في شهادة ميلاد كريد كان مزورًا.

سألتني: "مكتوب أنه وُلد في 20 ديسمبر، أليس كذلك؟ هذا ليس صحيحًا. كان ذلك ليلة 19 نوفمبر. هو كذب بشأن الأمر حين سجل الولادة، لأننا كنا قد تجاوزنا الفترة المسموح بها للتسجيل."

"هو" كان زوج أم أغنيس، ويليام أودري، رجل اشتهر في المنطقة بمزاجه العنيف...

"أخذ الطفل من بين ذراعي بمجرد ولادته وقال إنه سيقتله. سيغرقه في المرحاض الخارجي. توسلت إليه ألا يفعل. رجوته أن يترك الطفل يعيش. لم أكن أعرف حتى تلك اللحظة ما إذا كنت أريده أن يعيش أم يموت، لكن بمجرد أن تراهم، وتضمهم... وكان قويًا، دينيس، كان يريد الحياة، كان بوسعك أن تدرك ذلك.

استمر الأمر لأسابيع، التهديدات، تهديد أودري بقتله. لكن بحلول ذلك الوقت كان الجيران قد سمعوا بكاء الطفل، وربما سمعوا ما كان [أودري] يهدد به أيضًا. أدرك أنه لا مجال لإخفاء الأمر؛ لقد انتظر طويلًا. لذا سجل الولادة، لكنه كذب بشأن التاريخ، حتى لا يسأل أحد لماذا تأخر كل هذا الوقت. لم يكن هناك أحد ليقول إن الولادة حدثت قبل ذلك، لا أحد يُعتد بشهادته. لم يحضروا لي قابلة أو ممرضة أو أي شيء..."

غالبًا ما كان كريد يكتب لي إجابات أكثر تفصيلًا مما سمح به الوقت خلال المقابلات وجهًا لوجه. بعد أشهر، أرسل لي ما يلي بخصوص شكوكه حول نسبه:

"رأيت جدي المزعوم لأمي ينظر إلي من المرآة. ازداد الشبه قوة كلما كبرت. كانت لدي عيناه، نفس شكل الأذنين، بشرته الشاحبة

المصفرة، عنقه الطويل. كان رجلًا أضخم مني، رجلًا يبدو أكثر ذكورة، وأعتقد أن جزءًا من كرهه الشديد لي نابع من حقيقة أنه كره رؤية ملامحه في هيئة ضعيفة وأنثوية. كان يحتقر الضعف..."

«نعم، بالطبع كان دينيس ابنه»، قالت لي أغنيس.

– "لقد بدأ أودري يعتدي عليّ وأنا في الثالثة عشرة من عمري. لم يكن يُسمح لي بالخروج، ولم يكن لي أي صديق. وحين أدركت أمي أنني حامل، أخبرها أودري أنني كنت أتسلل سرًّا للقاء أحدهم. ماذا كان بوسعه أن يقول غير ذلك؟ وأمي صدقته... أو ربما تظاهرت بذلك."

فرت أغنيس من منزل زوج أمها المكتظ قبل عيد ميلاد دينيس الثاني بقليل، حين كانت في السادسة عشرة والنصف من عمرها.

– "كنت أريد أن آخذ دينيس معي، لكنني خرجت في منتصف الليل، ولم أستطع أن أُحدث أي ضجيج. لم يكن لدي مكان أذهب إليه، ولا عمل، ولا مال. فقط صديق قال إنه سيتكفل بي. فذهبت."

لم ترَ طفلها البكر بعد ذلك إلا مرتين فقط. وحين علمت أن ويليام أودري يقضي حكمًا بالسجن لمدة تسعة أشهر بتهمة الاعتداء، عادت إلى منزل أمها على أمل أن تنتزع دينيس منها.

– "كنت أنوي أن أخبر بيرت – زوجي الأول – أنه ابن أخي، لأن بيرت لم يكن يعرف شيئًا عن تلك الفوضى كلها. لكن دينيس لم يتذكرني، على ما أظن. لم يترك يد أمي، ولم يكلمني، وقالت لي أمي إن الوقت قد فات، وإنني ما كنت لأتركه إن كنت أريده إلى هذا الحد. فرحلت من دونه."

آخر مرة رأت فيها أغنيس ابنها وجهًا لوجه كانت حين ذهبت إلى مدرسته الابتدائية ونادته عند السور لتحدثه. وعلى الرغم من أنه لم يكن قد بلغ الخامسة بعد، زعم كريد في مقابلتنا الثانية أنه يتذكر هذا اللقاء الأخير.

– "كانت امرأة نحيلة، عادية الشكل، ترتدي ملابس فاضحة"، قال لي.

– "لم تكن تشبه أمهات الأولاد الآخرين. كان واضحًا أنها ليست امرأة محترمة. لم أُرد أن يراني الأطفال الآخرون وأنا أتحدث إليها. قالت إنها أمي، فقلت لها إن ذلك غير صحيح، لكنني كنت أعرف في داخلي أنه صحيح. فهربت منها."

– "لم يكن يريد أي شيء له علاقة بي"، قالت أغنيس.

– "بعد ذلك استسلمت. لم أكن لأذهب إلى البيت إذا كان أودري هناك. على الأقل كان دينيس في المدرسة. كان يبدو نظيفًا..."

وأضافت:

– "كنت أفكر فيه أحيانًا، كيف حاله وما إلى ذلك. من الطبيعي أن تفعل ذلك. الأطفال يخرجون من جسدك. الرجال لا يفهمون معنى هذا. نعم، كنت أتساءل، لكنني انتقلت شمالًا مع بيرت حين حصل على وظيفة في هيئة البريد العامة، ولم أعد إلى لندن أبدًا، ولا حتى حين ماتت أمي، لأن أودري كان قد أشاع أنه إذا ظهرت فسيفقد أعصابه."

حين أخبرت أغنيس بأنني التقيت دينيس قبل أسبوع واحد فقط من زيارتي لها في رومفورد، كان لديها سؤال واحد لا غير.

– "يقولون إنه ذكي جدًا، أليس كذلك؟"

أخبرتها أنه بلا شك ذكي للغاية، وهي النقطة الوحيدة التي اتفق عليها جميع أطبائه النفسيين. قال لي الحراس إنه يقرأ بنهم، ولا سيما كتب علم النفس.

– "لا أعرف من أين جاءه ذلك. ليس مني...

– قرأت كل شيء في الصحف. رأيته في الأخبار، وسمعت كل ما فعله. فظيع... فظيع حقًا. ما الذي يجعل إنسانًا يفعل ذلك؟

– بعد انتهاء المحاكمة، تذكرتُه رضيعًا، عاريًا وملطخًا بالدماء على أرضية المشمع التي أنجبته فوقها، وكان زوج أمي واقفًا فوقنا يهدد بإغراقه، وأقسم لك الآن"، قالت أغنيس وايت،

– "أنني تمنيت لو تركتُه يفعلها."

أطفأ سترايك سيجارته وسحب علبة مشروب «تيننتس» الموضوعة إلى جوار منفضة السجائر. كان مطر خفيف يطرق نوافذه بينما قلب بضع صفحات إضافية في الكتاب، متوقفًا في منتصف الفصل الثاني.

... كانت الجدة، إينا، غير راغبة – أو غير قادرة – على حماية أصغر أفراد الأسرة من العقوبات السادية المتزايدة التي كان يفرضها زوجها.

كان أودري يجد متعة خاصة في إذلال دينيس بسبب تبوله اللاإرادي المستمر. كان جدّه غير الشرعي يسكب دلوًا من الماء على سريره، ثم يجبر الصبي على النوم فيه. وتتذكر كريد عدة مرات أُجبر فيها على السير إلى دكان الزاوية من دون بنطال، وهو لا يزال يرتدي قاع بيجامته المبتلة، ليشتري سجائر لأودري.

"كان المرء يلجأ إلى الخيال"، كتب كريد لي لاحقًا.

"داخل رأسي كنت حرًّا وسعيدًا تمامًا. لكن حتى آنذاك، كانت هناك دعائم في العالم المادي أحب أن أدمجها في حياتي السرية. أشياء اكتسبت قوة طوطمية في خيالاتي."

بحلول سن الثانية عشرة، كان دينيس قد اكتشف متع التلصص.

"كان يثيرني"، كتب بعد مقابلتنا الثالثة،

"أن أراقب امرأة لا تعرف أنها مُراقبة. كنت أفعل ذلك مع أخواتي، كما كنت أزحف نحو النوافذ المضاءة. وإذا حالفني الحظ، رأيت نساءً أو فتيات وهن يخلعن ملابسهن، أو يعدّلنها، أو لمحة من عري. لم تكن إثارتي نابعة فقط من الجانب الحسي الواضح، بل من شعور بالقوة. كنت أشعر أنني أسرق شيئًا من جوهرهن، أستولي على ما ظننّه خاصًا ومخفيًا."

وسرعان ما تطور الأمر إلى سرقة ملابس النساء الداخلية من حبال الغسيل الخاصة بالجيران، وحتى من جدته إينا. وكان يستمتع بارتدائها سرًّا، وبالاستمناء وهو...

متثائبًا، واصل سترايك التقليب حتى توقف عند مقطع في الفصل الرابع.

... موظف هادئ في قسم البريد الداخلي بشركة فليتوود إلكتريك، أدهش زملاءه حين ارتدى، في سهرة عمل، معطف إحدى زميلاته ليقلد المغنية كاي ستار.

– "كان ذلك دينيس الصغير، يصدح بأغنية «عجلة الحظ» وهو يرتدي معطف جيني"، قال زميل عمل مجهول للصحافة بعد اعتقال كريد.

– "أزعج الأمر بعض الرجال الأكبر سنًا. ظن اثنان منهم، كما تعلم، أنه شاذ بعد ذلك. أما نحن الأصغر سنًا، فقد شجعناه بحرارة. خرج قليلًا من قوقعته بعدها."

لكن حياة كريد الخيالية السرية لم تكن تتمحور حول التمثيل الهزلي أو الغناء في الحانات. ففي حين كان المراهق السكران ذو الستة عشر عامًا يبدو بريئًا على المسرح، كانت خيالاته المعقدة تزداد ساديةً يومًا بعد يوم...

أصيب زملاء كريد في فليتوود إلكتريك بالذهول حين اعتُقل «دينيس الصغير» بتهمة اغتصاب وتعذيب شيلا جاسكينز، البالغة من العمر اثنين وعشرين عامًا، وهي بائعة تتبعها من حافلة ليلية متأخرة. وقد نجت جاسكينز من الاعتداء فقط لأن كريد فرّ حين سمع حارس ليلي أصواتًا في زقاق قريب، وتمكنت من تقديم أدلة ضده.

أُدين، وقضى خمس سنوات في سجن إتش إم بي بينتونفيل. وكانت تلك آخر مرة يستسلم فيها كريد لاندفاع مفاجئ.

توقف سترايك ليشعل سيجارة جديدة، ثم قفز عشر فصول إلى الأمام، حتى استوقفه اسم مألوف.

... الدكتورة مارغو بامبورو، طبيبة عامة في كليركنويل، في الحادي عشر من أكتوبر عام ١٩٧٤.

لاحظ المفتش بيل تالبوت، الذي كان يقود التحقيق، على الفور تشابهًا مريبًا بين اختفاء الطبيبة الشابة وحالتي فيرا كيني وغيل رايتمان. فقد اختُطفت كلتاهما في ليالٍ ممطرة، حين كانت المظلات والزجاج الأمامي المغسول بالمطر تشكل عوائق مناسبة أمام الشهود المحتملين. وكان هناك هطول غزير للأمطار في مساء اختفاء مارغو بامبورو.

شوهدت شاحنة صغيرة بلوحات يُشتبه في كونها مزورة قرب مكاني اختفاء كيني ورايتمان قبل فقدانهما بقليل. وتقدم ثلاثة شهود منفصلين للإدلاء بأن شاحنة بيضاء صغيرة مشابهة شوهدت مسرعة بعيدًا عن عيادة بامبورو تلك الليلة.

وكان أكثر ما أثار الشبهات شهادة سائق رأى امرأتين في الشارع، إحداهما بدت مريضة أو على وشك الإغماء، والأخرى تسندها. ربط تالبوت الأمر فورًا بكل من فيرا كيني المخمورة، التي شوهدت وهي تدخل شاحنة مع امرأة أخرى على ما يبدو، وبشهادة بيغي هيسكِت، التي أبلغت عن رجل متنكر في زي امرأة عند موقف حافلات منعزل، حاول إقناعها بشرب زجاجة بيرة معه، ثم أصبح عدوانيًا قبل أن تتمكن – لحسن الحظ – من جذب انتباه سيارة عابرة.

مقتنعًا بأن بامبورو قد وقعت ضحية للقاتل المتسلسل الذي أُطلق عليه لاحقًا لقب «سفاح إسيكس»، كان تالبوت—

رن هاتف سترايك المحمول. حاول ألا يفقد الصفحة، فتحسس الهاتف وأجاب دون النظر إلى هوية المتصل.

– "سترايك."

– "مرحبًا، بلو"، قالت امرأة بصوت خافت.

وضع سترايك الكتاب على السرير مقلوب الصفحات. ساد صمت قصير، سمع خلاله تنفس شارلوت.

– "ماذا تريدين؟"

– "أريد أن أتحدث إليك."

– "عن ماذا؟"

– "لا أدري"، ضحكت نصف ضحكة.

– "اختر أنت."

عرف سترايك هذا المزاج جيدًا. كانت قد شربت نصف زجاجة نبيذ، أو ربما كأسين من الويسكي. كانت هناك لحظة – ليست سُكرًا تمامًا، بل ليونة يسببها الكحول – تظهر فيها شارلوت محببة، بل مسلية، قبل أن تصبح قتالية أو غارقة في الشجن. وقد سأل نفسه مرة، قرب نهاية خطوبتهما، حين كانت صراحته الفطرية تجبره على مواجهة الحقائق وطرح الأسئلة الصعبة، عن مدى واقعية أو صحة أن يتمنى زوجة تكون ثملة قليلاً إلى الأبد.

قالت شارلوت :

– "لم تعاود الاتصال بي تركت رسالة عند مساعدتك روبن. ألم تنقلها إليك؟"

– "نعم، نقلتها."

– "لكنّك لم تتصل."

– "ماذا تريدين يا شارلوت؟"

كان الجزء العاقل من عقله يخبره بإنهاء المكالمة، لكنه ظل ممسكًا بالهاتف، يستمع وينتظر. لقد كانت بالنسبة إليه كالمخدر زمنًا طويلاً؛ مخدرًا، أو مرضًا.

قالت شارلوت :

– "مثير للاهتمام ، ظننت أنها ربما قررت ألا تنقل الرسالة "

لم يقل شيئًا.

– "هل أصبحتما معًا الآن؟ إنها جميلة نوعًا ما. ودائمًا موجودة. في المتناول. مريح—"

– "لماذا تتصلين؟"

– "قلت لك، أردت أن أتحدث إليك... هل تعرف أي يوم هو اليوم؟ عيد ميلاد التوأم الأول. عائلة روس بأكملها هنا لتدليلهم. هذه أول لحظة أحصل فيها على وقت لنفسي طوال اليوم."

كان يعرف، بالطبع، أنها أنجبت توأمًا. فقد نُشر إعلان في صحيفة «التايمز»، لأنها تزوجت من عائلة أرستقراطية اعتادت الإعلان عن المواليد والزواجات والوفيات في صفحاتها، وإن لم يكن سترايك قد قرأ الخبر بنفسه. بل كانت إلسا من نقلت إليه المعلومة، فتذكر فورًا كلمات شارلوت التي قالتها له قبل أكثر من عام، على طاولة مطعم استدرجته للجلوس معها فيه:

كل ما أبقاني صامدة خلال هذا الحمل هو فكرة أنني، ما إن أنجبهم، سأرحل.

لكن الطفلين وُلدا قبل أوانهما، ولم ترحل شارلوت.

الأطفال يخرجون من جسدك. الرجال لا يفهمون معنى هذا.

كانت هناك مكالمتان سابقتان مخمورتان مشابهتان خلال العام الماضي، كلتاهما في وقت متأخر من الليل. أنهى الأولى بعد ثوانٍ لأن روبن كانت تحاول الوصول إليه، بينما أغلقت شارلوت الهاتف فجأة بعد دقائق في الثانية.

– "لم يظن أحد أنهم سيعيشون، أتعلم؟" قالت الآن.

– "إنه ... معجزة "، همست،

قال سترايك :

– "إذا كان اليوم عيد ميلاد أطفالك، ينبغي أن أتركك، تصبحين على خير، شار—"

– "لا ترحل"، قالت بإلحاح مفاجئ. "لا ترحل، أرجوك."

قال الصوت في رأسه : *أغلق الهاتف*، لكنه لم يفعل.

– "إنهم نائمون، نائمون بعمق. لا يعرفون أنه عيد ميلادهم. كل هذا مزحة. إحياء ذكرى ذلك الكابوس اللعين. كان الأمر مروّعًا، لقد شقّوا بطني—"

– "عليّ أن أذهب"، قال. "أنا مشغول."

كادت تنتحب :

– "أرجوك ، بلو، أنا تعيسة للغاية، لا تعرف كم أنا بائسة—"

– "أنتِ أم متزوجة ولديك طفلان"، قال بفظاظة، "وأنا لست مستشارة نفسية. هناك خدمات مجهولة يمكنك الاتصال بها إن احتجتِ. تصبحين على خير يا شارلوت."

أنهى المكالمة.

كان المطر يشتد، ويقرع نوافذه المظلمة. كانت صورة دينيس كريد مقلوبة الآن على الغلاف المطروح جانبًا. بدت عيناه ذواتا الرموش الفاتحة معكوستين في الوجه المقلوب، على نحو مقلق، كأن العينين حيتان في الصورة.

فتح سترايك الكتاب من جديد، وواصل القراءة.

9

أيها السيد النبيل، بحق الصداقة أرجوك الآن،
بما أنني مؤخراً خاطرتُ بنفسي لأجلك،
وهي الجراح التي تمنعني الآن من خوض القتال،
أن ترد لي الجميل بصنيعٍ طيبٍ مماثل.

إدموند سبنسر .. ملكة الجن

لم يكن جورج لايبورن قد تمكن بعد من وضع يده على ملف بامبورو عندما حل عيد ميلاد روبن.

للمرة الأولى في حياتها، استيقظت في صباح التاسع من أكتوبر، وتذكرت أي يوم هو، فلم تشعر بأي وخزة من الإثارة، بل انتابها شعور بالانقباض؛ لقد أتمت التاسعة والعشرين اليوم، ولرقم تسعة وعشرين وقعٌ غريب. لم يبدُ الرقم كعلامة فارقة، بل بدا أقرب لمحطة توقف: *المحطة القادمة: الثلاثون*. وبينما هي مستلقية وحيدة للحظات في سريرها المزدوج داخل غرفتها المستأجرة، تذكرت ما قالته ابنة خالتها المفضلة، كيتي، خلال زيارة روبن الأخيرة للوطن، بينما كانت تساعد ابن كيتي ذي العامين في صنع وحوش من الصلصال لتركب شاحنته اللعبة.

قالت كيتي:

– "يبدو الأمر وكأنكِ تسافرين في اتجاه مختلف عن بقيتنا."

ثم، لما رأت شيئًا في وجه روبن جعلها تندم على كلماتها، أضافت كيتي في عجلة:

– "لا أقصد ذلك بطريقة سيئة! تبدين سعيدة حقًا. أعني، حرة! بصدق، أنا أحسدك حقًا في بعض الأحيان."

قالتها بنبرة تفتقر إلى الصدق.

لم تشعر روبن ولو لثانية واحدة بالندم على إنهاء زواج جعلها في مرحلته الأخيرة تعيسة للغاية. كان لا يزال بإمكانها استحضار تلك الحالة المزاجية – التي لم تختبرها لحسن الحظ منذ ذلك الحين – حيث بدت الألوان كلها وكأنها سُحبت من محيطها، رغم أن محيطها كان جميلاً أيضًا: كانت تعلم أن منزل قبطان البحر في ديبتفورد، حيث انفصلت هي وماثيو أخيرًا، كان مكانًا جذابًا للغاية، ومع ذلك كان من الغريب قلة التفاصيل التي تتذكرها عنه الآن. كل ما استطاعت تذكره بوضوح هو ذلك المزاج الميت الذي عانته بين تلك الجدران، ومشاعر الذنب والرهبة الدائمة، وذلك الرعب البازغ الذي صاحب إدراك أنها كبّلت نفسها بشخص لا تحبه، ولا يجمعها به أي قاسم مشترك تقريبًا.

ومع ذلك، فإن وصف كيتي المرح لحياة روبن الحالية بأنها "سعيدة" و"حرة" لم يكن دقيقًا تمامًا. لعدة سنوات الآن، راقبت روبن شريكها سترايك وهو يعطي الأولوية لحياته المهنية على كل شيء آخر – في الواقع، كان تشخيص مرض جوان هو المناسبة الأولى التي رأته فيها يعيد ترتيب أولويات عمله، ويجعل شيئًا آخر غير التحقيق همّه الأول – وفي هذه الأيام، شعرت روبن هي الأخرى بأن الوظيفة تستحوذ عليها، تلك الوظيفة التي وجدتها مُرضية لدرجة أنها صارت تلتهم كل وقتها تقريبًا. والآن، وهي تعيش أخيرًا الحياة التي أرادتها منذ اللحظة التي عبرت فيها الباب الزجاجي لمكتب سترايك، أدركت احتمالية الوحدة التي تأتي مع امتلاك شغف واحد مسيطر.

كان الانفراد بالسرير متعة كبيرة في البداية: لا أحد يعبس ويدير ظهره لها، لا أحد يشكو من أنها لا تتحمل نصيبها من الأعباء المالية، أو يطنطن بحديث لا ينتهي حول احتمالات ترقيته؛ لا أحد يطلب جنسًا أصبح واجبًا ثقيلاً لا متعة فيه. ومع ذلك، فبينما لم تفتقد ماثيو على الإطلاق، كان بإمكانها تخيل وقت (وإذا كانت صادقة مع نفسها، فربما كانت تعيشه بالفعل) سيصبح فيه غياب التواصل

الجسدي، والعاطفة، وحتى الجنس – الذي كان بالنسبة لروبن مسألة أكثر تعقيدًا مما هي عليه للكثير من النساء – ليس نعمة، بل فراغًا خطيرًا في حياتها.

وماذا بعد ذلك؟ هل ستصبح مثل سترايك، مع سلسلة من العشاق يُنفون بحزم إلى المرتبة الثانية بعد الوظيفة؟ وما إن فكرت في هذا حتى وجدت نفسها تتساءل، كما فعلت كل يوم تقريبًا منذ ذلك الحين، عما إذا كان شريكها قد عاود الاتصال بـ شارلوت كامبل.

نفضت الغطاء عنها نافدة الصبر من نفسها، وتجاهلت الطرود الملقاة فوق خزانة ذات أدراج، ثم ذهبت لتستحم.

كان منزلها الجديد في طريق فين بورو يحتل الطابقين العلويين من منزل ريفي متصل (Terraced house). تقع غرف النوم والحمام في الطابق الثالث، والغرف العامة في الرابع. وتوجد شرفة صغيرة قبالة غرفة الجلوس، حيث يحب فولفغانغ، كلب المالك الألماني المسن ذو الفراء الخشن، الاستلقاء في الخارج في الأيام المشمسة.

روبن، التي لم تكن لديها أي أوهام بشأن العقارات المتاحة في لندن للنساء العازبات بمتوسط أجر، وخاصة من لديها فواتير قانونية لتسديدها، اعتبرت نفسها محظوظة للغاية للعيش في شقة نظيفة، مُصانة جيدًا، ومزينة بذوق رفيع، مع غرفة مزدوجة خاصة بها وشريك سكن تستلطفه. كان مالك العقار المقيم معها ممثلاً يبلغ من العمر اثنين وأربعين عامًا يُدعى ماكس بريستوود، والذي لم يكن بوسعه تحمل تكاليف إدارة المكان دون مستأجر. كان ماكس، وهو مثلي الجنس، يتمتع بما كانت والدة روبن ستسميه وسامة رجولية خشنة: طويل القامة، عريض الكتفين، بشعر أشقر داكن كثيف، ونظرة مرهقة بشكل دائم في عينيه الرماديتين. كان أيضًا صديقًا قديمًا لـ إلسا، التي زاملت شقيقه الأصغر في الجامعة.

على الرغم من تأكيدات إلسا بأن "ماكس محبوب للغاية"، أمضت روبن الأشهر القليلة الأولى من إيجارها تتساءل عما إذا كانت قد ارتكبت خطأً فادحًا بالانتقال للعيش معه، لأنه بدا غارقًا فيما يشبه الكآبة الأبدية. حاولت روبن بذل قصارى جهدها لتكون شريكة سكن جيدة: كانت مرتبة بطبعها، لم تشغّل الموسيقى

بصوت عالٍ أبدًا ولم تطبخ أي شيء نفاذ الرائحة؛ كانت تدلل فولفغانغ وتتذكر إطعامه إذا كان ماكس بالخارج؛ كانت دقيقة عندما يتعلق الأمر باستبدال سائل الغسيل وورق التواليت؛ وحرصت على أن تكون مهذبة ومبتهجة كلما التقيا، ومع ذلك نادرًا ما كان ماكس يبتسم، وعندما وصلت لأول مرة، بدا وكأنه يبذل جهدًا هائلاً للتحدث إليها. شعرت روبن بالارتياب، وتساءلت في البداية عما إذا كانت إلسا قد أجبرت ماكس على قبولها كمستأجرة.

أصبح الحديث بينهما أسهل قليلاً خلال أشهر إقامتها، لكن ماكس لم يكن ثرثارًا أبدًا. في بعض الأحيان كانت روبن ممتنة لهذا الميل للاقتضاب، لأنها عندما كانت تعود بعد اثنتي عشرة ساعة متواصلة من المراقبة، متصلبة ومتعبة، وعقلها يفور بمشاغل العمل، كان آخر شيء تريده هو الأحاديث العابرة. وفي أوقات أخرى، عندما كانت تفضل الصعود إلى منطقة المعيشة المفتوحة، كانت تلتزم غرفتها بدلاً من أن تشعر بأنها تتطفل على مساحة ماكس الخاصة.

شكت في أن السبب الرئيسي لمزاج ماكس المنخفض دائمًا هو حالة البطالة المستمرة التي يعيشها. منذ انتهت المسرحية التي كان له دور صغير فيها في "ويست إند" قبل أربعة أشهر، لم ينجح في الحصول على وظيفة أخرى. تعلمت بسرعة ألا تسأله عما إذا كان لديه أي تجارب أداء قادمة. في بعض الأحيان، حتى قول "كيف كان يومك؟" كان يبدو وكأنه يحمل حكمًا غير ضروري. كانت تعلم أنه شارك شقته سابقًا مع حبيب ارتبط به لفترة طويلة، وكان اسمه – للمصادفة – ماثيو أيضًا. لم تعرف روبن شيئًا عن انفصال ماكس سوى أن ماثيو الخاص به تنازل عن نصفه في الشقة لماكس طواعية، وهو ما بدا لروبن كرمًا ملحوظًا مقارنة بسلوك زوجها السابق.

بعد الاستحمام، ارتدت روبن ثوبًا منزليًا وعادت إلى غرفتها لفتح الطرود التي وصلت بالبريد خلال الأيام القليلة الماضية، والتي ادخرتها لهذا الصباح. خمنت أن والدتها قد اشترت زيوت الاستحمام العطرية التي كانت ظاهريًا من شقيقها مارتن، وأن زوجة أخيها الطبيبة البيطرية (الحامل حاليًا بأول ابن أو ابنة أخ لروبن) قد اختارت السترة الصوفية محلية الصنع، التي كانت تشبه أسلوب جيني

تمامًا، وأن شقيقها جوناثان لديه صديقة جديدة، هي التي اختارت الأقراط المتدلية على الأرجح. ولأنها شعرت باكتئاب طفيف أكثر مما كانت عليه قبل فتح الهدايا، ارتدت روبن ملابس سوداء بالكامل، لتخوض بها يومًا من الأعمال الورقية في المكتب، واجتماع متابعة مع خبير الأرصاد الجوية الذي يضطهده بوستكارد، وصولاً إلى مشروبات عيد الميلاد في ذلك المساء مع إلسا وفانيسا، صديقتها الشرطية. كانت إلسا قد اقترحت دعوة سترايك، لكن روبن قالت إنها تفضل أن يكون اللقاء للفتيات فقط، لأنها كانت تحاول تجنب أي مناسبات أخرى قد تحاول فيها إلسا لعب دور الخاطبة.

بينما كانت تهم بمغادرة غرفتها، وقعت عين روبن على نسخة من كتاب "شيطان باراديس بارك" التي اشترتها عبر الإنترنت، مثلما فعل سترايك. كانت نسختها أكثر تضررًا قليلاً من نسخته واستغرقت وقتًا أطول للوصول. لم تقرأ الكثير منه بعد، جزئيًا لأنها كانت عادة متعبة جدًا في المساء لدرجة تمنعها من فعل أي شيء سوى السقوط في الفراش، ولكن جزئيًا لأن ما قرأته تسبب بالفعل في تكرار طفيف للأعراض النفسية التي حملتها معها منذ أن جُرح ساعدها ذات ليلة مظلمة. ومع ذلك، حشرته اليوم في حقيبتها لتقرأه في المترو.

وصلت رسالة نصية من والدتها بينما كانت روبن تمشي إلى المحطة، تتمنى لها عيد ميلاد سعيدًا وتخبرها بالتحقق من بريدها الإلكتروني. فعلت ذلك، ورأت أن والديها أرسلا لها قسيمة بقيمة مائة وخمسين جنيهًا إسترلينيًا لمتجر "سيلفريدجز". كانت هذه هدية مرحبًا بها للغاية، لأن روبن لم يكن لديها دخل فائض تقريبًا، بمجرد دفع فواتيرها القانونية وإيجارها ونفقات معيشتها الأخرى، لتنفقه على أي شيء قد يعتبر تدليلاً للذات.

بينما كانت تشعر ببعض الابتهاج وهي تستقر في زاوية بالقطار، أخرجت روبن كتاب "شيطان باراديس بارك" من حقيبتها وفتحته على الصفحة التي وصلت إليها آخر مرة.

تسببت مصادفة السطر الأول في حدوث رعشة داخلية غريبة لها.

على الرغم من أنه لم يدرك ذلك إلا قليلًا، أُطلق سراح دينيس كريد من السجن في عيد ميلاده التاسع والعشرين الحقيقي، 19 نوفمبر 1966. كانت جدته، إينا، قد توفيت أثناء وجوده في بريكستون ولم يكن هناك مجال لعودته للعيش مع زوج أمه (جده). لم يكن لديه أصدقاء مقربون يلجأ إليهم، وأي شخص كان يميل إليه قبل إدانته الثانية بالاغتصاب، لم يكن – وهذا ليس مفاجئًا – في عجلة من أمره لمقابلته أو مساعدته. قضى كريد ليلته الأولى كرجل حر في نُزل بالقرب من كينغز كروس.

بعد أسبوع من النوم في النُزل أو على مقاعد الحدائق، تمكن كريد من إيجاد غرفة مفردة لنفسه في بنسيون. على مدى السنوات الأربع التالية، تنقل كريد بين سلسلة من الغرف المتداعية والوظائف قصيرة الأجل التي يُدفع أجرها نقدًا، تخللتها فترات من التشرد. اعترف لي لاحقًا بأنه كان يتردد على البغايا كثيرًا في ذلك الوقت، ولكن في عام 1968 قتل ضحيته الأولى.

كانت التلميذة جيرالدين كريستي تسير عائدة إلى المنزل...

تجاوزت روبن الصفحة والنصف التالية. لم يكن لديها رغبة خاصة في قراءة تفاصيل الأذى الذي ألحقه كريد بـ جيرالدين كريستي.

... حتى أمن كريد لنفسه أخيرًا في عام 1970 مسكنًا دائمًا في غرف الطابق السفلي من البنسيون الذي تديره فايوليت كوبر، وهي مساعدة ملابس سابقة في المسرح تبلغ من العمر خمسين عامًا، والتي كانت، مثل جدته، في بداية إدمان الكحول. سيصبح هذا المنزل، الذي هُدم الآن، سيئ السمعة بمرور الوقت باعتباره "غرفة تعذيب" كريد. كان مبنى طويلًا وضيقًا من الطوب القذر، يقع في طريق ليفربول، بالقرب من بارادايس بارك.

قدم كريد إلى كوبر مراجع مزورة، لم تكلف نفسها عناء التحقق منها، وادعى أنه فُصل مؤخرًا من وظيفة في حانة، لكن صديقًا وعده بالعمل في مطعم قريب. وعندما سألها محامي الدفاع في

محاكمته عن سبب سعادتها بتأجير غرفة لرجل عاطل عن العمل ليس له مسكن ثابت، أجابت كوبر بأن قلبها كان "رقيقًا" وأن كريد بدا "فتى لطيفًا، وتائهًا قليلًا ووحيدًا".

قرارها بتأجير غرفة، ثم الطابق السفلي بأكمله، لدينيس كريد، سيكلف فايوليت كوبر غاليًا. فعلى الرغم من إصرارها أثناء المحاكمة على أنها لم تكن لديها أدنى فكرة عما كان يحدث في الطابق السفلي من بنسيونها، التصقت الشكوك والازدراء باسم فايوليت كوبر منذ ذلك الحين. وقد اتخذت الآن هوية جديدة، وافقتُ على عدم الكشف عنها.

تقول كوبر اليوم:

– "ظننته ناعمًا، لقد رأيت شيئًا من ذلك في المسرح. شعرت بالأسف تجاهه، هذه هي الحقيقة."

وهي امرأة ممتلئة الجسم دمر الزمن والشراب وجهها، تعترف بأنها وكريد سرعان ما أقاما صداقة وثيقة. في بعض الأحيان خلال محادثتنا، بدا أنها نسيت أن الشاب "دين" الذي قضى العديد من الأمسيات معها في الطابق العلوي في غرفة جلوسها الخاصة، وكلاهما مخمور ويغني مع مجموعتها من الأسطوانات، هو القاتل المتسلسل الذي سكن قبوها.

تقول:

– "لقد كتبت له، كما تعلم. بعد إدانته. قلت: (إذا كنت قد شعرت بأي شيء تجاهي يومًا، إذا كان أي شيء من ذلك حقيقيًا، أخبرني ما إذا كنت قد فعلت ذلك بأي من هؤلاء النسوة الأخريات. ليس لديك ما تخسره الآن يا دين، ويمكنك إراحة عقول الناس)."

لكن الرسالة التي كتبها كريد ردًا عليها لم تعترف بشيء.

إنه مريض. أدركت ذلك حينها. لقد نسخ فقط كلمات أغنية قديمة لروزماري كلوني كنا نغنيها معًا، (تعال إلى بيتي). أنت تعرف تلك الأغنية... (تعال إلى بيتي، بيتي، سأعطيك الحلوى)... عرفت حينها أنه يكرهني بقدر ما كره كل النساء الأخريات. كان يسخر مني."

ومع ذلك، وبالعودة إلى عام 1970، عندما انتقل كريد لأول مرة إلى قبوها، كان حريصًا على استمالة صاحبته، التي تعترف بأنه

سرعان ما أصبح مزيجًا من ابن وصديق مقرب. أقنعت فايوليت صديقتها بيريل غولد، التي كانت تمتلك مصبغة للتنظيف الجاف، بمنح الشاب "دين" وظيفة كسائق توصيل، وهذا ما أتاح له الوصول إلى الشاحنة الصغيرة التي سرعان ما ستصبح سيئة السمعة في الصحافة...

بعد عشرين دقيقة من استقلال القطار، نزلت روبن في محطة ليستر سكوير. وبينما كانت تخرج إلى ضوء النهار، اهتز هاتفها المحمول في جيبها. سحبته ورأت رسالة نصية من سترايك. تنحت جانبًا عن الحشد الخارج من المحطة وفتحتها.

أخبار: لقد عثرت على الدكتور دينيش غوبتا، الطبيب العام الذي عمل مع مارغوت في عيادة كليركينويل في عام 1974. إنه في الثمانينيات من عمره لكنه يبدو بكامل قواه العقلية ويسعده مقابلتي بعد ظهر اليوم في منزله في أميرشام. أراقب حاليًا "الراقص" وهو يتناول الإفطار في سوهو. سأجعل باركلي يتولى الأمر بدلاً مني وقت الغداء وأذهب مباشرة إلى غوبتا. هل هناك أي فرصة لتأجيل اجتماعك مع خبير *الأرصاد الجوية والمجيء معي؟*

هبط قلب روبن. كانت قد اضطرت بالفعل إلى تغيير وقت اجتماع المتابعة مع خبير الأرصاد الجوية مرة واحدة، وشعرت أنه من غير العدل القيام بذلك للمرة الثانية، خاصة في مثل هذا الوقت القصير. ومع ذلك، كانت تود مقابلة الدكتور دينيش غوبتا.

كتبت ردًا:

لا أستطيع المماطلة معه مجددًا. *أخبرني كيف ستسير الأمور.*

رد سترايك:

حسنًا، كما تشائين.

راقبت روبن شاشة هاتفها المحمول لبضع ثوانٍ إضافية. كان سترايك قد نسي عيد ميلادها في العام الماضي، ولم يدرك سهوه إلا بعد أسبوع، حين اشترى

لها زهورًا اعتذارًا متأخرًا. وبالنظر إلى أنه بدا حينها شاعراً بالذنب، تخيّلت أنه ربما دوّن التاريخ هذه المرة، وربما ضبط تنبيهًا على هاتفه.

لكن عبارة: "بالمناسبة، عيد ميلاد سعيد!" لم تظهر.

فأعادت الهاتف إلى جيبها، ومضت في طريقها نحو المكتب دون أن ترتسم على شفتيها أي ابتسامة.

10

وإذا كان للمرء أن يقرأ العقل من الملامح،
لَخِلتُهُ حكيمًا وسيدًا وقورًا...
إدموند سبنسر . ملكة الجن

قال الطبيب المسن الصغير، الذي يرتدي نظارة طبية، والذي بدا ضئيلاً للغاية داخل بذلته وفوق كرسيه المرتفع:

– "أنت تفكر أنني أشبه غاندي."

سترايك، الذي كان يفكر في ذلك بالضبط، باغتته ضحكة مفاجئة.

بدا الطبيب البالغ من العمر واحدًا وثمانين عامًا وكأنه قد انكمش داخل بذلته؛ فقد كانت ياقة قميصه وأساوره واسعة، وكاحلاه نحيلين داخل جواربه الحريرية السوداء. كانت خصلات الشعر الأبيض تطل من داخل أذنيه ومن فوقهما، وكان يرتدي نظارة ذات إطار عظمي. أما أقوى الملامح في وجهه الأسمر البشوش فكانت أنفه المعقوف وعينيه الداكنتين، اللتين بدتا وكأنهما الوحيدتان اللتان نجتا من عملية الشيخوخة، إذ كانتا لامعتين وعارفتين كعيني طائر صغير.

لم تكن هناك ذرة غبار واحدة تشوب طاولة القهوة المصقولة بعناية بينهما، في غرفة بدت وكأنها صالون للمناسبات الخاصة نادرة الاستخدام. توهج اللون الذهبي العميق لورق الحائط والأريكة والكراسي بنقاء تحت أشعة شمس الخريف التي تخللت الستائر الشفافة. وعلقت أربع صور بإطارات مذهبة في أزواج على الحائط على جانبي الستائر ذات الأهداب. أظهرت كل صورة شابة مختلفة ذات شعر داكن، جميعهن يرتدين قبعات التخرج والعباءات، ويحملن شهادات جامعية.

كانت السيدة غوبتا، وهي امرأة ضئيلة الحجم، شيباء الشعر، وتعاني من ثقل بسيط في السمع، قد أخبرت سترايك بالفعل عن الدرجات العلمية التي حصلت عليها كل واحدة من بناتها – اثنتان في الطب، وواحدة في اللغات الحديثة، وواحدة في الحوسبة – ومدى نجاح كل منهما في حياتها المهنية المختارة. كما عرضت عليه صورًا للأحفاد الستة الذين رزقت بهم هي وزوجها حتى الآن. بقيت الابنة الصغرى فقط بلا أطفال.

قالت السيدة غوبتا بيقين يشبه يقين جوان:

– "لكنها ستنجبهم. لن تكون سعيدة أبدًا بدونهم."

بعد أن قدمت لـ سترايك وزوجها الشاي في أكواب صينية، وطبقًا من لفائف التين، انسحبت السيدة غوبتا إلى المطبخ، حيث كان برنامج "الهروب إلى الريف" يُعرض بصوت مرتفع.

قال الدكتور دينيش غوبتا وهو يختار لفافة تين:

– "للمصادفة، التقى والدي بـ غاندي عندما كان شابًا حين زار غاندي لندن عام 1931. هو أيضًا درس القانون في لندن، كما ترى، ولكن بعد غاندي بفترة. لكن عائلتنا كانت أكثر ثراءً. على عكس غاندي، كان والدي قادرًا على إحضار زوجته معه إلى إنجلترا. قرر والداي البقاء في المملكة المتحدة بعد أن تأهل أبي كمحامٍ."

وتابع قائلاً:

– "لذا نجت عائلتي المباشرة من التقسيم. كان ذلك من حسن حظنا جدًا. قُتل جداي واثنتان من عماتي أثناء محاولتهم مغادرة البنغال الشرقية. ذُبحوا، واغُتصبت عمتاي قبل قتلهما."

قال سترايك، الذي لم يتوقع المنحى الذي اتخذه الحديث، وقد تجمد في منتصف فتح دفتر ملاحظاته وجلس يشعر بالحرج قليلاً وقلمه معلق في الهواء:

– "أنا آسف."

قال الدكتور غوبتا، وهو يومئ برفق بينما يمضغ لفافة التين:

– "حمل والدي الذنب معه إلى قبره. كان يعتقد أنه كان يجب أن يكون هناك لحمايتهم جميعًا، أو ليموت بجانبهم."

وأضاف:

– "لم تكن مارغو تحب سماع الحقيقة حول التقسيم. أردنا جميعًا الاستقلال، بطبيعة الحال، لكن الانتقال أدير بشكل سيء للغاية، سيء للغاية بالفعل. فُقد ما يقرب من ثلاثة ملايين شخص. اغتصاب. تشويه. عائلات تمزقت إربًا. ارتكبت أخطاء فادحة. واقترفت أفعال مروعة."

ابتسم وأضاف:

– "جادلتني مارغو حول هذا الأمر. جدال ودّي بالطبع. لكن مارغو كانت تضفي طابعًا رومانسيًا على انتفاضات الشعوب في الأراضي البعيدة. لم تحكم على المغتصبين والمعذبين ذوي البشرة السمراء بنفس المعايير التي كانت لتطبقها على الرجال البيض الذين أغرقوا الأطفال لكونهم من الدين الخطأ. كانت تؤمن، أعتقد، مثل سهروردي، أن (سفك الدماء والفوضى ليست بالضرورة شرًا في حد ذاتها، إذا تم اللجوء إليها لغرض نبيل)."

ابتلع الدكتور غوبتا قطعته من البسكويت وأضاف:

– "كان سهروردي، بالطبع، هو من حرض على مذابح كلكتا الكبرى. أربعة آلاف قتيل في يوم واحد."

سمح سترايك بصمت محترم أن يملأ الغرفة، لم يقطعه سوى الصوت البعيد لبرنامج "الهروب إلى الريف". وعندما لم يرد أي ذكر آخر لسفك الدماء والرعب، اغتنم الفرصة التي أتيحت له.

– "هل كنت تحب مارغو؟"

قال دينيش غوبتا، وهو لا يزال يبتسم:

– "أوه نعم. على الرغم من أنني وجدت بعض معتقداتها ومواقفها صادمة. لقد ولدت في عائلة تقليدية، وإن كانت متغربة. قبل أن أعمل أنا ومارغو معًا في العيادة، لم أكن أبدًا على مقربة يومية من سيدة تعلن تحررها. أصدقائي في كلية الطب، والشركاء في عيادتي السابقة، كانوا جميعًا رجالاً."

– "كانت نسوية، أليس كذلك؟"

قال غوبتا مبتسمًا:

– "أوه، إلى حد بعيد. كانت تمازحني بشأن ما كانت تعتقد أنها مواقفي الرجعية. كانت مارغو مُصلحة عظيمة للناس – سواء رغبوا في أن يتم إصلاحهم أم لا. تطوعت أيضًا في جمعية تعليم العمال. هل تعرفها؟ لقد جاءت من عائلة فقيرة، وكانت مؤيدة كبيرة لتعليم الكبار، وخاصة النساء."

واستطرد وهو يستدير في كرسيه ليشير إلى صور التخرج الأربع خلفه:

– "بالتأكيد كانت لتوافق على بناتي. لا تزال زوجتي جهيل تندب أننا لم نرزق بابن، لكن ليس لدي أي شكوى. لا شكاوى."

ثم عاد ليواجه سترايك.

قال سترايك:

– "فهمت من سجلات المجلس الطبي العام أن هناك طبيبًا عامًا ثالثًا في عيادة سانت جون، الدكتور جوزيف برينر. هل هذا صحيح؟"

قال غوبتا:

– "الدكتور برينر، نعم، صحيح تمامًا. أشك في أنه لا يزال على قيد الحياة، المسكين. سيكون عمره أكثر من مائة عام الآن. لقد عمل بمفرده في المنطقة لسنوات عديدة قبل أن ينضم إلينا في العيادة الجديدة. أحضر معه دوروثي أوكدين، التي كانت تطبع له لأكثر من عشرين عامًا. أصبحت سكرتيرة عيادتنا. سيدة كبيرة في السن – أو هكذا بدت لي في ذلك الوقت."

ضحك غوبتا ضحكة مكتومة أخرى وأضاف:

– "لا أظن أنها كانت تزيد عن الخمسين. تزوجت متأخرة وترملت بعد ذلك بوقت قصير. ليس لدي أي فكرة عما حل بها."

– "من كان يعمل أيضًا في العيادة؟"

– "حسنًا، دعنا نرى... كانت هناك جانيس بيتي، ممرضة المنطقة، التي كانت أفضل ممرضة عملت معها على الإطلاق. من أبناء (إيست إند). ومثل مارغو، كانت تفهم حرمان الفقر من تجربة شخصية. لم تكن كليركينويل في ذلك الوقت أنيقة بأي حال كما أصبحت منذ ذلك الحين. لا زلت أتلقى بطاقات عيد الميلاد من جانيس."

سأل سترايك:

– "لا أفترض أن لديك عنوانها؟"

قال الدكتور غوبتا:

– "هذا ممكن. سأسأل جهيل."

همّ بالنهوض.

قال سترايك، خائفًا من قطع سلسلة الذكريات:

– "لاحقًا، بعد أن نتحدث، سيكون ذلك جيدًا. من فضلك، أكمل. من كان يعمل أيضًا في سانت جون؟"

قال الدكتور غوبتا مرة أخرى، وهو يغوص ببطء في كرسيه:

– "دعنا نرى، دعنا نرى. كان لدينا موظفتا استقبال، شابتان، لكنني أخشى أنني فقدت الاتصال بكلتيهما... والآن، ما كانت أسماؤهما..."

سأل سترايك، الذي وجد كلا الاسمين في تقارير صحفية قديمة:

– "هل هما غلوريا كونتي وآيرين بول؟"

أظهرت صورة ضبابية للشابتين فتاة نحيلة داكنة وما اعتقد أنه شقراء تصبغ شعرها، وكلتاهما تبدوان متضايقتين لتصويرهما أثناء دخول العيادة. نقل المقال المرافق في صحيفة "ديلي إكسبريس" عن "آيرين بول، موظفة استقبال، 25 عامًا" قولها: *"إنه أمر فظيع. لا نعرف أي شيء. ما زلنا نأمل أن تعود. ربما فقدت ذاكرتها أو شيء من هذا القبيل."* ذُكرت غلوريا في كل تقرير صحفي قرأه، لأنها كانت آخر شخص معروف رأى مارغو حية. *"قالت فقط (ليلة سعيدة يا غلوريا، أراك غدًا). بدت طبيعية، حسنًا، متعبة قليلاً، كانت نهاية اليوم وكان لدينا مريض طوارئ أخرها لفترة أطول مما توقعت. تأخرت قليلاً لمقابلة صديقتها. فتحت مظلتها عند المدخل وغادرت."*

قال الدكتور غوبتا وهو يومئ برأسه:

– "غلوريا وآيرين. نعم، هذا صحيح. كانتا شابتين، لذا ينبغي أن تكونا لا تزالان معنا، لكنني أخشى أنني ليس لدي أدنى فكرة عن مكانهما الآن."

سأل سترايك:

– "هل هذا كل شيء؟"

قال غوبتا، رافعًا يده:

– "نعم، أعتقد ذلك. لا، انتظر. كانت هناك عاملة النظافة. سيدة من الهند الغربية. ما كان اسمها يا ترى؟"

قطب وجهه.

– "أخشى أنني لا أستطيع التذكر."

كان وجود عاملة نظافة في العيادة معلومة جديدة لـ سترايك. كان مكتبه الخاص ينظف دائمًا بواسطته أو بواسطة روبن، على الرغم من أن بات شاركت مؤخرًا. كتب في دفتره: *"عاملة نظافة، هندية غربية"* .

– "كم كان عمرها، هل تتذكر؟"

قال غوبتا:

– "لا أستطيع حقًا أن أخبرك. السيدات السود – من الصعب جدًا تحديد أعمارهن، أليس كذلك؟ يبدون أصغر سنًا لفترة أطول. لكنني أعتقد أن لديها عدة أطفال، لذا لم تكن صغيرة جدًا. منتصف الثلاثينيات؟"

اقترح ذلك بنبرة تمني.

لخص سترايك قائلاً:

– "إذن، ثلاثة أطباء، وسكرتيرة، وموظفتا استقبال، وممرضة عيادة، وعاملة نظافة؟"

– "هذا صحيح. كان لدينا جميع مقومات العمل الناجح – لكنها كانت عيادة غير سعيدة، للأسف. غير سعيدة منذ البداية."

قال سترايك باهتمام:

– "حقًا؟ ولماذا كان ذلك؟"

أجاب غوبتا على الفور:

– "الكيمياء الشخصية. كلما تقدمت في السن، أدركت أن الفريق هو كل شيء. المؤهلات والخبرة مهمة، لكن إذا لم ينسجم الفريق..."

شبك أصابعه العظمية وتابع:

– "... فانسَ الأمر! لن تحقق أبدًا ما يجب عليك تحقيقه. وهكذا كان الحال في سانت جون. وهو أمر مؤسف، مؤسف للغاية، لأننا كنا نملك إمكانات. كانت العيادة تحظى بشعبية لدى السيدات، اللواتي يفضلن عادة استشارة طبيبات من جنسهن. كانت مارغو وجانيس محبوبتين."

واستطرد:

– "لكن كانت هناك انقسامات داخلية منذ البداية. انضم إلينا الدكتور برينر من أجل وسائل الراحة في مبنى عيادة أحدث، لكنه لم يتصرف أبدًا وكأنه جزء من الفريق. في الواقع، بمرور الوقت أصبح عدائيًا بشكل علني تجاه بعضنا."

سأل سترايك مخمنًا الإجابة:

– "تحديدًا، تجاه من كان عدائيًا؟"

قال الدكتور غوبتا بحزن:

– "للأسف، لم يحب مارغو. لأكون صريحًا تمامًا، لا أعتقد أن جوزيف برينر كان يحب النساء. كان وقحًا مع الفتيات في الاستقبال أيضًا. بالطبع، كان من الأسهل التنمر عليهن مقارنة بـ مارغو. أعتقد أنه احترم جانيس – كانت فعالة للغاية، كما تعلم، وأقل صدامية من مارغو – وكان مهذبًا دائمًا مع دوروثي، التي كانت مخلصة له بشدة. لكنه اتخذ موقفًا ضد مارغو منذ البداية."

– "لماذا في رأيك؟"

قال الدكتور غوبتا، رافعًا يديه وتركهما تسقطان في إيماءة يأس:

– "أوه، الحقيقة هي أن مارغو – والآن، أنا كنت أحبها، فلتفهم ذلك، كانت مناقشاتنا دائمًا مرحة – لكنها كانت شخصية خلافية، إما أن تحبها أو تكرهها. لم يكن الدكتور برينر نسويًا. كان يعتقد أن مكان المرأة في المنزل مع أطفالها، ولم يوافق على ترك مارغو لرضيعة في المنزل والعودة للعمل بدوام كامل. كانت اجتماعات الفريق غير مريحة للغاية. كان ينتظر حتى تبدأ مارغو في الحديث ثم يتحدث بصوت أعلى منها."

وتابع:

– "كان برينر متنمراً إلى حد ما. كان يعتقد أن موظفات الاستقبال لدينا لسن بالجودة التي ينبغي أن يكن عليها. اشتكى من طول تنانيرهن، وتسريحات شعرهن. لكن في الواقع، وعلى الرغم من أنه كان وقحًا بشكل خاص مع السيدات، إلا أن رأيي هو أنه لم يحب الناس حقًا."

قال سترايك:

– "غريب. بالنسبة لطبيب."

قال غوبتا بضحكة مكتومة:

– "أوه، هذا ليس أمرًا غير معتاد كما قد تعتقد يا سيد سترايك. نحن الأطباء مثل أي شخص آخر. إنها أسطورة شائعة أننا جميعًا يجب أن نحب البشرية جمعاء. المفارقة هي أن أكبر عبء علينا كعيادة كان برينر نفسه. لقد كان مدمنًا!"

– "حقًا؟"

قال غوبتا:

– "الباربيتورات. نعم، الباربيتورات. لا يمكن لطبيب أن يفلت بهذا في هذه الأيام، لكنه كان يطلبها بكميات هائلة. احتفظ بها في خزانة مغلقة في غرفة استشارته. كان رجلاً صعبًا للغاية. منغلق عاطفيًا. غير متزوج. وهذا الإدمان السري."

سأل سترايك:

– "هل تحدثت معه حول هذا الموضوع؟"

قال غوبتا بحزن:

– "لا. أجلت القيام بذلك. أردت أن أكون واثقًا من موقفي قبل أن أفتح الموضوع. من خلال استفسارات هادئة قمت بها، شككت في أنه لا يزال يستخدم عنوان عيادته القديمة بالإضافة إلى عنواننا، لمضاعفة طلباته واستخدام صيدليات متعددة. كان إثبات ما يفعله سيكون صعبًا."

وأضاف:

– "ربما لم أكن لأدرك أبدًا لو لم تأت جانيس إلي وتقول إنها دخلت عليه صدفة عندما كانت خزانته مفتوحة، ورأت الكميات التي جمعها. ثم اعترفت بأنها

وجدته مترنحًا على مكتبه في حالة ذهول ذات مساء بعد مغادرة آخر مريض. لا أعتقد أن ذلك أثر على حكمه الطبي أبدًا. ليس حقًا. لاحظت أنه في نهاية اليوم قد يكون مزجج العينين قليلاً، وما إلى ذلك، لكنه كان يقترب من التقاعد. افترضت أنه متعب."

سأل سترايك:

– "هل علمت مارغو بهذا الإدمان؟"

قال غوبتا:

– "لا، لم أخبرها، رغم أنه كان ينبغي علي فعل ذلك. كانت شريكتي والشخص الذي كان يجب أن أثق به لنقرر ما يجب فعله. لكنني خفت أن تقتحم غرفة استشارة الدكتور برينر وتواجهه. لم تكن مارغو امرأة تتراجع عن فعل ما تعتقد أنه صحيح، وكنت أتمنى أحيانًا لو أنها تمارس القليل من الكياسة. كانت تداعيات المواجهة مع برينر ستكون وخيمة على الأرجح. كان الأمر يتطلب دقة – ففي النهاية، لم يكن لدينا دليل قاطع – ولكن بعد ذلك اختفت مارغو، وأصبحت عادة برينر مع الباربيتورات أقل مخاوفنا."

سأل سترايك:

– "هل واصلت أنت وبرينر العمل معًا بعد اختفاء مارغو؟"

– "لبضعة أشهر، نعم، لكنه تقاعد بعد وقت قصير. واصلت العمل في سانت جون لفترة قصيرة، ثم حصلت على وظيفة في عيادة أخرى. كنت سعيدًا بالذهاب. كانت عيادة سانت جون مليئة بالذكريات السيئة."

سأل سترايك:

– "كيف تصف علاقات مارغو مع الأشخاص الآخرين في العمل؟"

قال غوبتا وهو يأخذ لفافة تين ثانية:

– "حسنًا، دعنا نرى. دوروثي السكرتيرة لم تحبها أبدًا، لكنني أعتقد أن ذلك كان نابعًا من الولاء للدكتور برينر. كما أقول، كانت دوروثي أرملة. كانت واحدة من هؤلاء النساء الشرسات اللواتي يربطن أنفسهن برب عمل يمكنهن الدفاع عنه ومناصرته. كلما أغضبنا أنا أو مارغو، جوزيف أو تحديناه بأي شكل من الأشكال، كنا

على يقين من أن رسائلنا وتقاريرنا ستذهب مباشرة إلى أسفل كومة الطباعة. كانت نكتة بيننا. لم تكن هناك أجهزة كمبيوتر في تلك الأيام يا سيد سترايك. لا شيء مثل الوقت الحاضر – عائشة..."

قال ذلك وهو يشير إلى الصورة العلوية اليمنى على الحائط خلفه:

– "... إنها تطبع كل شيء بنفسها، كمبيوتر في غرفة استشارتها، كل شيء محوسب، وهو أكثر كفاءة بكثير، لكننا كنا تحت رحمة الطابعة لجميع رسائلنا وتقاريرنا."

وتابع:

– "لا، لم تحب دوروثي مارغو. كانت مهذبة، لكن ببرود. على الرغم من أن دوروثي حضرت حفل الشواء، وهو ما كان مفاجأة. أقامت مارغو حفل شواء في منزلها ذات أحد، في الصيف الذي سبق اختفائها. كانت تعلم أننا لا نعمل كفريق واحد، لذا دعتنا جميعًا إلى منزلها. كان من المفترض أن يؤدي الشواء إلى..."

ومرة أخرى، وبدون كلمات هذه المرة، وضح النقطة بتشبيك أصابعه.

– "أتذكر أنني فوجئت بحضور دوروثي، لأن برينر اعتذر. أحضرت دوروثي ابنها، الذي كان في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، على ما أعتقد. لا بد أنها أنجبت متأخرة، خاصة بالنسبة لفترة السبعينيات. صبي مشاغب. أتذكر أن زوج مارغو وبخه لتحطيمه وعاءً ثمينًا."

عبرت ذكرى عابرة لابن أخيه لوك وهو يدوس بإهمال على سماعات رأس سترايك الجديدة في "سانت ماوز" في ذهن المحقق.

– "كان لدى مارغو وزوجها منزل جميل جدًا في هام. كان الزوج طبيبًا أيضًا، أخصائي أمراض دم. حديقة كبيرة. أخذت أنا وجهيل فتياتنا، ولكن بما أن برينر لم يذهب، وشعرت دوروثي بالإهانة لتوبيخ زوج مارغو لابنها، لم يتحقق هدف مارغو للأسف. ظلت الانقسامات عميقة."

– "هل حضر الجميع؟"

– "نعم، أعتقد ذلك. لا – انتظر. لا أعتقد أن عاملة النظافة... ويلما! كان اسمها ويلما! لم تكن لدي فكرة أنني ما زلت أعرفه... لكن لقبها... لست متأكدًا

حتى أنني عرفته آنذاك... لا، لم تأت ويلما. لكن الجميع، نعم. أحضرت جانيس ابنها الصغير – كان أصغر من ابن دوروثي وأفضل سلوكًا بكثير، حسب ما أتذكر. قضت بناتي فترة ما بعد الظهر يلعبن كرة الريشة مع ابن بيتي الصغير."

– "هل كانت جانيس متزوجة؟"

– "مطلقة. تركها زوجها من أجل امرأة أخرى. واصلت حياتها، وربت ابنها بمفردها. النساء مثل جانيس دائمًا ما يواصلن حياتهن. أمر مثير للإعجاب. لم تكن حياتها سهلة عندما عرفتها، لكنني أعتقد أنها تزوجت مرة أخرى، لاحقًا، وكنت سعيدًا عندما سمعت بذلك."

– "هل كانت جانيس ومارغو متفقتين؟"

– "أوه نعم. كانت لديهما موهبة القدرة على الاختلاف دون أن تأخذا الأمر بشكل شخصي."

– "هل اختلفتا كثيرًا؟"

– "لا، لا، لكن القرارات يجب أن تتخذ في بيئة العمل. كنا – أو حاولنا أن نكون – مؤسسة ديمقراطية... لا، كانت مارغو وجانيس قادرتين على إجراء خلافات عقلانية دون استياء. أعتقد أنهما أحبتا واحترمتا بعضهما البعض. تأثرت جانيس بشدة باختفاء مارغو. أخبرتني يوم تركت العيادة أنه لم يمر أسبوع منذ حدوث ذلك دون أن تحلم بـ مارغو."

قال الدكتور غوبتا بهدوء:

– "لكن لم يعد أحد منا كما كان بعد ذلك. لا يتوقع المرء أن يختفي صديق في الهواء دون أن يترك أثرًا واحدًا خلفه. هناك شيء... مرعب وغامض حول الأمر."

وافق سترايك:

– "هناك بالفعل. كيف كانت علاقة مارغو بموظفتي الاستقبال؟"

تنهد غوبتا:

– "حسنًا، الآن، آيرين، الأكبر سنًا من الاثنتين، كانت صعبة المراس. أتذكر أنها كانت – ليست وقحة، لكن جريئة قليلاً – مع مارغو، في بعض الأحيان. في حفل عيد الميلاد بالعيادة – مارغو نظمت ذلك أيضًا، لا تزال تحاول إجبارنا جميعًا

على الانسجام، كما تعلم – شربت آيرين الكثير. أتذكر مشادة طفيفة، لكن لا يمكنني حقًا إخبارك عما كان يدور حوله الأمر. أشك في أنه كان شيئًا خطيرًا. بدتا ودودتين كالمعتاد في المرة التالية التي رأيتهما فيها. كانت آيرين هستيرية تمامًا بعد اختفاء مارغو."

ساد صمت قصير. اعترف غوبتا:

– "قد يكون بعض ذلك تمثيلاً، لكن الضيق الكامن كان حقيقيًا، أنا متأكد. أما غلوريا – غلوريا الصغيرة المسكينة – فقد دُمرت. كانت مارغو أكثر من مجرد ربة عمل لـ غلوريا، كما تعلم. كانت بمثابة أخت كبرى، ناصحة. كانت مارغو هي التي أرادت توظيفها، على الرغم من أن غلوريا لم تكن لديها خبرة ذات صلة تقريبًا. ويجب أن أعترف أنها كانت تعيينًا جيدًا. عاملة مجدة. تتعلم بسرعة. كان عليك فقط تصحيحها مرة واحدة. أعتقد أنها كانت من خلفية فقيرة. أعلم أن دوروثي كانت تنظر بتعالي إلى غلوريا. كان يمكن أن تكون قاسية جدًا."

سأل سترايك، وهو يصل إلى أسفل قائمته:

– "وماذا عن ويلما، عاملة النظافة؟ كيف كانت علاقتها بـ مارغو؟"

قال غوبتا:

– "سأكون كاذبًا إذا قلت إنني أستطيع التذكر. كانت امرأة هادئة، ويلما. لم أسمع أبدًا أن لديهما أي نوع من المشاكل."

بعد توقف طفيف، أضاف:

– "آمل ألا أكون أختلق الأشياء، لكن يبدو أنني أتذكر أن زوج ويلما كان شخصًا سيئًا. أعتقد أن مارغو أخبرتني أن ويلما يجب أن تطلق منه. لا أعرف ما إذا كانت قد قالت ذلك مباشرة لوجه ويلما – رغم أنها ربما فعلت، معرفتي بـ مارغو... في واقع الأمر، سمعت، بعد أن غادرت العيادة، أن ويلما قد طُردت. كان هناك ادعاء بالشرب في العمل. كانت دائمًا تحمل ترمسًا معها. لكن ربما أكون مخطئًا في التذكر، لذا من فضلك لا تعول كثيرًا على ذلك. كما أقول، كنت قد غادرت بالفعل."

انفتح باب غرفة الجلوس.

سألت السيدة غوبتا:

– "المزيد من الشاي؟"

وأزالت الصينية وإبريق الشاي الذي برد الآن، مخبرة سترايك، الذي نهض لمساعدتها، أن يجلس وألا يكون سخيفًا. عندما غادرت، قال سترايك:

– "هل يمكنني أن أعيدك إلى اليوم الذي اختفت فيه مارغو يا دكتور غوبتا؟"

بدا الطبيب الصغير وكأنه يجهز نفسه قليلاً، ثم قال:

– "بالطبع. لكن يجب أن أحذرك: ما أتذكره في الغالب عن ذلك اليوم الآن هو الرواية التي قدمتها للشرطة في ذلك الوقت. هل تفهم؟ ذكرياتي الفعلية ضبابية. في الغالب، أتذكر ما قلته للمحقق."

اعتبر سترايك هذا تعليقًا ينم عن وعي ذاتي غير عادي لشاهد. بحكم خبرته في أخذ الإفادات، كان يعرف كيف يتمسك الناس بالرواية الأولى التي قدموها، وأن المعلومات القيمة، التي تم استبعادها أثناء ذلك التحرير الأول، غالبًا ما تضيع إلى الأبد تحت النسخة الرسمية التي حلت محل الذاكرة الفعلية.

قال لـ غوبتا:

– "لا بأس. كل ما يمكنك تذكره."

قال غوبتا:

– "حسنًا، كان يومًا عاديًا تمامًا. الشيء الوحيد الذي كان مختلفًا قليلاً هو أن إحدى الفتيات في الاستقبال كان لديها موعد مع طبيب الأسنان وغادرت في الساعة الثانية والنصف – كانت تلك آيرين. كنا نحن الأطباء نعمل كالمعتاد في غرف الاستشارة الخاصة بنا. حتى الثانية والنصف، كانت كلتا الفتاتين في الاستقبال، وبعد مغادرة آيرين، كانت غلوريا هناك وحدها. كانت دوروثي في مكتبها حتى الخامسة، وهو وقت مغادرتها المعتاد. كانت جانيس في العيادة حتى وقت الغداء، لكنها خرجت لإجراء زيارات منزلية في فترة ما بعد الظهر، وهو أمر روتيني تمامًا. رأيت مارغو بضع مرات في الخلف، حيث كان لدينا، ليس مطبخًا

بالضبط، ولكن نوعًا من الزواية حيث كان لدينا غلاية وثلاجة. كانت مسرورة بشأن ويلسون."

– "بشأن من؟"

قال غوبتا مبتسمًا:

– "هارولد ويلسون. كانت هناك انتخابات عامة في اليوم السابق. عاد حزب العمال بأغلبية. كان يقود حكومة أقلية منذ فبراير، كما ترى."

قال سترايك:

– "آه. صحيح."

قال غوبتا:

– "غادرت في الساعة الخامسة والنصف. ودعت مارغو، التي كان بابها مفتوحًا. كان باب برينر مغلقًا. افترضت أنه مع مريض. من الواضح أنني لا أستطيع التحدث بسلطة عما حدث بعد مغادرتي، لكن يمكنني إخبارك بما أخبرني به الآخرون."

قال سترايك:

– "إذا لم تمانع. أنا مهتم بشكل خاص بمريضة الطوارئ التي أخرت مارغو."

قال غوبتا، وهو يضم أطراف أصابعه معًا ويومئ برأسه:

– "آه، أنت تعرف عن السيدة الداكنة الغامضة. كل ما أعرفه عنها جاء من غلوريا الصغيرة. كنا نعمل على أساس الأسبقية في سانت جون. يأتي المرضى المسجلون وينتظرون دورهم، ما لم تكن حالة طارئة بالطبع. لكن هذه السيدة دخلت من الشارع. لم تكن مسجلة في العيادة، لكنها كانت تعاني من ألم شديد في البطن. طلبت منها غلوريا الانتظار، ثم ذهبت لترى ما إذا كان جوزيف برينر سيراها، لأنه كان غير مشغول، بينما كانت مارغو لا تزال مع آخر مريض مسجل لها في ذلك اليوم."

وتابع:

– "تذمر برينر من الطلب. وبينما كانت غلوريا وبرينر يتحدثان، خرجت مارغو من غرفة استشارتها، وهي تودع مرضاها الأخيرين، أم وطفلها، وعرضت رؤية

الحالة الطارئة بنفسها لأنها كانت ذاهبة من العيادة إلى الحانة مع صديقة، التي كانت في أول الطريق. برينر، وفقًا لـ غلوريا، قال (هذا جيد منك) أو شيئًا من هذا القبيل – وهو أمر ودود، بالنسبة لـ برينر – وارتدى معطفه وقبعته وغادر. عادت غلوريا إلى غرفة الانتظار لتخبر السيدة أن مارغو ستراها. دخلت السيدة إلى غرفة الاستشارة وبقيت هناك لفترة أطول مما توقعت غلوريا. خمس وعشرون، ثلاثون دقيقة كاملة، مما جعل الوقت يصل إلى السادسة والربع، وكان من المفترض أن تقابل مارغو صديقتها في السادسة. أخيرًا خرجت المريضة من غرفة الاستشارة وغادرت. خرجت مارغو بعد فترة وجيزة وهي ترتدي معطفها. أخبرت غلوريا أنها تأخرت عن الحانة، وطلبت من غلوريا إغلاق المكان. خرجت تحت المطر... ولم تُرَ مرة أخرى."

فتح باب غرفة الجلوس وظهرت السيدة غوبتا مرة أخرى مع شاي طازج. مرة أخرى، وقف سترايك لمساعدتها، ومرة أخرى أُجبر بلطف على العودة إلى كرسيه. عندما غادرت، سأل سترايك:

– "لماذا سميت المريضة الأخيرة (غامضة)؟ لأنها كانت غير مسجلة، أم...؟"

قال غوبتا:

– "أوه، ألم تكن تعرف عن هذا الأمر؟ لا، لا. لأنه كان هناك الكثير من النقاش بعد ذلك حول ما إذا كانت سيدة بالفعل أم لا."

ابتسم غوبتا لدهشة سترايك وقال:

– "برينر بدأ الأمر. لقد مر بجانبها وهو خارج وأخبر ضابط التحقيق أنه اعتقد، بناءً على الانطباع القصير الذي كونه عنها، أنها كانت رجلاً وتفاجأ بعد ذلك لسماعه أنها أنثى. قالت غلوريا إنها كانت شابة مكتنزة الجسم، داكنة – (ذات ملامح غجرية) كانت كلمتها – ليس مصطلحًا صائبًا سياسيًا جدًا، لكن هذا ما قالته غلوريا. لم يرها أي شخص آخر بالطبع، لذا لم نتمكن من الحكم. تم توجيه نداء للبحث عنها، لكن لم يتقدم أحد، وفي غياب أي معلومات تشير إلى عكس ذلك، مارس ضابط التحقيق قدرًا كبيرًا من الضغط على غلوريا لتقول إنها تعتقد أن

المريض كان حقًا رجلاً متنكرًا، أو على الأقل، أنها ربما تكون قد أخطأت في الاعتقاد بأنها سيدة. لكن غلوريا أصرت على أنها تعرف السيدة حين تراها."

سأل سترايك:

– "هل هذا الضابط هو بيل تالبوت؟"

قال غوبتا وهو يمد يده للشاي:

– "بالضبط."

– "هل تعتقد أنه أراد تصديق أن المريض كان رجلاً يرتدي زي امرأة لأن..."

أكمل غوبتا:

– "لأن دينيس كريد كان أحيانًا يرتدي ملابس النساء؟ نعم. على الرغم من أننا كنا نسميه (سفاح إسيكس) في ذلك الوقت. لم نعرف اسمه الحقيقي حتى عام 1976. والوصف الجسدي الوحيد للسفاح في ذلك الوقت قال إنه داكن وقصير القامة ومكتنز – أفترض أنني أرى لماذا كان تالبوت متشككًا ولكن..."

– "... غريب بالنسبة لسفاح إسيكس أن يدخل عيادة طبيب بملابس نسائية وينتظر دوره؟"

قال الدكتور غوبتا:

– "حسنًا... تمامًا."

ساد صمت قصير بينما رشف غوبتا الشاي وقلب سترايك صفحات ملاحظاته، متأكدًا من أنه سأل كل ما يريد معرفته. كان غوبتا هو من تحدث أولاً.

– "هل قابلت روي؟ زوج مارغو؟"

قال سترايك:

– "لا. لقد وظفتني ابنتها. إلى أي مدى كنت تعرفه؟"

قال غوبتا:

– "بشكل طفيف جدًا."

وضع فنجان الشاي على الصحن. إذا كان سترايك قد رأى رجلاً لديه المزيد ليقوله، فإن هذا الرجل هو دينيش غوبتا. سأل سترايك، وهو يعيد إخراج سن قلمه خلسة:

– "ما كان انطباعك عنه؟"

قال غوبتا:

– "مدلل. مدلل جدًا. رجل وسيم، جعلت منه أمه أميرًا. نحن الأولاد الهنود نعرف شيئًا عن ذلك يا سيد سترايك. قابلت والدة روي في حفل الشواء الذي ذكرته. اختصتني بالحديث. متغطرسة، يجب أن أقول. لم تكن تعتبر موظفات الاستقبال أو السكرتيرات يستحقن وقتها. كان لدي انطباع قوي بأنها تعتقد أن ابنها قد تزوج بمن هي دونه. مرة أخرى، هذا الرأي ليس غريبًا بين الأمهات الهنديات. إنه مصاب بالهيموفيليا، أليس كذلك؟"

قال سترايك متفاجئًا:

– "ليس حسب علمي."

قال غوبتا:

– "بلى، بلى، أعتقد ذلك، أعتقد أنه كذلك. كان أخصائي أمراض دم بحكم مهنته، وأخبرتني والدته أنه اختار التخصص بسبب حالته الخاصة. هل ترى؟ الصبي الصغير الذكي الهش والأم الفخورة المفرطة في الحماية. ولكن بعد ذلك اختار الأمير الصغير زوجة مختلفة تمامًا عن أمه. لم تكن مارغو من نوع النساء اللواتي يتركن مرضاهن، أو طلابهن الكبار، للاندفاع إلى المنزل وطهي عشاء روي له. (دعه يحضر عشاءه بنفسه)، كان ليكون هذا موقفها... أو كان يمكن للقريبة الصغيرة أن تطبخ، بالطبع."

وتابع غوبتا، بشيء من اللباقة التي أظهرها عند ذكر "السيدات السود":

– "الشابة التي دفعوا لها للاعتناء بالطفلة."

– "هل كانت سينثيا في حفل الشواء؟"

– "كان هذا اسمها، أليس كذلك؟ نعم، كانت هناك. لم أتحدث معها. كانت تحمل ابنة مارغو وتتجول بها، بينما كانت مارغو تختلط بالضيوف."

قال سترايك، الذي كان في الواقع يسلم بهذا الأمر جدلاً بدلاً من معرفته على وجه اليقين:

– "تم استجواب روي من قبل الشرطة، على ما أعتقد."

قال غوبتا:

– "أوه نعم. والآن، كان ذلك أمرًا مثيرًا للفضول. أخبرني المفتش تالبوت في بداية استجوابي الخاص أن روي قد استُبعد تمامًا من تحقيقاتهم – وهو ما اعتقدت دائمًا أنه شيء غريب ليقال لي. ألا تجد ذلك كذلك؟ كان هذا بعد أسبوع بالكاد من اختفاء مارغو. أفترض أنه كان قد بدأ يتضح لنا جميعًا أنه لم يكن هناك خطأ حقًا، ولا تفسير بريء. كانت لدينا جميعًا نظرياتنا الصغيرة المتفائلة في اليومين الأولين. ربما شعرت بالتوتر، وعدم القدرة على التأقلم، وذهبت بمفردها إلى مكان ما. أو ربما وقع حادث، وكانت ترقد فاقدة الوعي ومجهولة الهوية في مستشفى. لكن مع مرور الأيام، والتحقق من المستشفيات، ونشر صورتها في جميع الصحف مع عدم وجود أخبار، بدأ كل شيء يبدو أكثر شؤمًا."

وأضاف:

– "وجدت أنه من الغريب للغاية أن يخبرني المفتش تالبوت، دون أن أسأله، أن روي لم يكن موضع شك، وأن لديه دليل غياب كامل. بدا تالبوت غريبًا لنا جميعًا، في الواقع. حاد الطباع. كانت أسئلته تقفز كثيرًا. أعتقد أنه كان يحاول طمأنتي. أراد مني أن أعرف أن زميلي الطبيب بريء، وأنه ليس لدي ما أخشاه، وأنه يعرف أنه لا يمكن لطبيب أن يفعل شيئًا فظيعًا مثل اختطاف امرأة، أو – بحلول ذلك الوقت، كنا جميعًا قد بدأنا نخشى ذلك – قتلها..."

تنهد غوبتا بحزن:

– "لكن تالبوت اعتقد أنه كريد، بالطبع، منذ البداية – وربما كان محقًا."

سأل سترايك:

– "ما الذي يجعلك تعتقد ذلك؟"

ظن سترايك أن غوبتا قد يذكر الشاحنة المسرعة أو الليلة الممطرة، لكن الإجابة كانت، في رأيه، ذكية.

– "من الصعب جدًا التخلص من جثة بشكل كامل ونظيف كما يبدو أن جثة مارغو قد أُخفيت. الأطباء يعرفون رائحة الموت ونفهم الإجراءات القانونية والإدارية المحيطة بالإنسان الميت. قد يتخيل الجاهل أن الأمر ليس أكثر من التخلص من

طاولة بوزن مماثل، لكنه شيء مختلف تمامًا، وشيء صعب للغاية. وحتى في السبعينيات، قبل اختبار الحمض النووي، كانت الشرطة تبلي بلاءً حسنًا مع بصمات الأصابع وفصائل الدم وما إلى ذلك. كيف ظلت مخفية لفترة طويلة؟ شخص ما قام بالمهمة ببراعة شديدة، وإذا كنا نعرف أي شيء عن كريد، فهو أنه ذكي جدًا، أليس كذلك؟ السيدات الأحياء هن من كشفوه في النهاية، وليس الأموات. كان يعرف كيف يجعل جثثه خرساء."

وضع غوبتا طرف لفافة التين في فمه، وتنهد، ونفض يديه بدقة من الفتات، ثم أشار إلى ساقي سترايك وقال:

– "أيهما هي؟"

لم يمتعض سترايك من السؤال الصريح، الصادر من طبيب.

قال وهو يحرك ساقه اليمنى:

– "هذه."

قال غوبتا:

– "مشيتك طبيعية جداً بالنسبة لرجل ضخم البنيان. ربما لم أكن لأعرف، لو لم أقرأ عنك في الصحافة. لم تكن الأطراف الصناعية جيدة في الأيام الخوالي. رائع، ما يمكنك شراؤه الآن. هيدروليكية تحاكي حركة المفاصل الطبيعية! مذهل."

قال سترايك وهو يعيد دفتر ملاحظاته إلى جيبه:

– "لا تستطيع هيئة الخدمات الصحية الوطنية تحمل تكاليف تلك الأطراف الصناعية الفاخرة. طرفي أساسي جدًا. إذا لم يكن في ذلك إزعاج كبير، هل يمكنني أن أطلب منك العنوان الحالي لممرضة العيادة؟"

قال غوبتا، وقد نجح في النهوض من كرسيه في المحاولة الثالثة:

– "نعم، نعم، بالطبع."

استغرق الأمر من عائلة غوبتا نصف ساعة للعثور، في دفتر عناوين قديم، على آخر عنوان لديهم لـ جانيس بيتي.

قال غوبتا وهو يسلم قصاصة الورق لـ سترايك في الردهة:

– "لا أستطيع أن أجزم بأن هذه المعلومات ما تزال سارية"، قال غوبتا وهو يناول سترايك قصاصة الورق في الردهة.

– "ستمنحني على الأقل أفضلية البداية في العثور عليها، ولا سيما إن كانت قد غيّرت اسمها بعد الزواج"، قال سترايك.

– "لقد كنتَ متعاونًا للغاية يا دكتور غوبتا. أقدّر حقًّا تخصيصك وقتًا للحديث معي."

– "بالطبع"، قال الدكتور غوبتا، وهو يتأمل سترايك بعينيه البنيتين اللامعتين، الماكرَتين،

– "سيكون العثور عليها بعد كل هذا الزمن معجزة حقيقية. لكنني سعيد لأن أحدهم يعاود البحث من جديد. نعم، سعيد جدًا لأن هناك من يبحث مرة أخرى."

11

ساقت المقادير خطاهُ ليمضي قُدُمًا في سبيله،
فرأى من بعيد، أو خُيِّل إليه أنه يرى،
جلبةً مضطربةً أو شجارًا محتدمًا.
إدموند سبنسر ملكة الجن

سار سترايك عائدًا نحو محطة أميرشام، مارًا بمحاذاة الأسيجة الشجرية المُشذّبة والمرائب المزدوجة التي تُميّز منازل الطبقة الوسطى المهنية، وعقله مشغول بالتفكير في مارغو بامبورو. لقد برزت صورتها من خلال ذكريات الطبيب العجوز كشخصية قوية ومفعمة بالحياة، وهو أمر أثار دهشته، وإن لم يكن لدهشته منطق.

وباختفائها، اكتسبت مارغو بامبورو في ذهن سترايك تلك الخِفّة التي تتسم بها الأطياف، وكأنه كان مُقدرًا لها منذ الأزل أن تتلاشى يومًا ما في عتمة الغروب الممطر، وألا تعود أبدًا.

تذكر النساء السبع اللواتي ظهرن على الغلاف الأمامي لكتاب *شيطان بارادايس بارك*. لقد بقينَ أسيرات لوني الأبيض والأسود الشبحية، متمسكات بتسريحات شعر أخذت تغدو بمرور الأيام طرازًا قديمًا مع كل يوم غبنَ فيه عن عائلاتهن وحيواتهن، لكن كل صورة من تلك الصور السلبية (النيجاتيف) كانت تُمثّل إنسانة نابضة، خفق قلبها يومًا بالحياة، وكانت لها طموحات وآراء، وانتصارات وانكسارات، حقيقية تمامًا كحياة مارغو بامبورو، قبل أن يصادفهن ذلك الرجل الذي

حظي بتكريم الألوان الكاملة في الصورة التي تصدرت غلاف القصة المروعة لموتهن.

لم يكن سترايك قد أنهى قراءة الكتاب بعد، لكنه كان يعلم أن كريد مسؤول عن مقتل مجموعة متنوعة من الضحايا، بمن فيهن تلميذة مدرسة، ووكيلة عقارات، وصيدلانية. وكان هذا جزءًا من الرعب الذي بثه سفاح إسيكس، وفقًا للصحافة في ذلك الوقت: فهو لم يقصر هجماته على بائعات الهوى اللواتي أُشيع أنهن "الفريسة الطبيعية" للقاتل. وفي الواقع، فإن بائعة الهوى الوحيدة المعروفة التي تعرضت لهجومه كانت قد نجت.

هيلين واردوب، المرأة المعنية، روت قصتها في فيلم وثائقي تلفزيوني عن كريد، شاهده سترايك على "يوتيوب" قبل بضعة ليالٍ بينما كان يتناول طعامًا صينيًا جاهزًا. كان البرنامج فجًا وميلودراميًا، حافلاً بمشاهد تمثيلية ركيكة لإعادة تمثيل الجريمة، وموسيقى مقتبسة من أفلام رعب السبعينيات.

في وقت التصوير، بدت هيلين واردوب امرأة واجمة الملامح، ثقيلة اللسان، بشعر مصبوغ بالأحمر ورموش صناعية وُضعت برداءة، وأوحى جمود تعابيرها ونبرتها الرتيبة بأنها إما تحت تأثير المهدئات أو تعاني ضررًا عصبيًا. كان كريد قد وجه لهيلين – التي كانت ثملة وتصرخ حينها – ضربة بالمطرقة على رأسها كادت تكون قاتلة، أثناء محاولته إجبارها على ركوب مؤخرة شاحنته.

أدارت رأسها مذعنة للمحاور، لتُري المشاهدين منطقة منخسفة في جمجمتها. أخبرها المحاور أنها يجب أن تشعر بأنها محظوظة للغاية لأنها نجت. وكان ثمة تردد ضئيل قبل أن توافقه الرأي.

أطفأ سترايك الفيلم الوثائقي عند تلك النقطة، وقد تملكه الإحباط من تفاهة الأسئلة. هو أيضًا كان يومًا ما في المكان الخطأ وفي التوقيت الخطأ، وتحمل عواقب ذلك طوال حياته، لذا فقد فهم تمامًا تردد هيلين واردوب.

في اللحظات التي تلت مباشرة الانفجار الذي أودى بقدم سترايك وساقه، ناهيك عن النصف السفلي من جسد الرقيب غاري توبلي وجزء من وجه ريتشارد

آنستيس، شعر سترايك بمزيج من المشاعر شملت الذنب، والامتنان، والارتباك، والخوف، والغضب، والاستياء، والوحدة، لكنه لم يتذكر قط أنه شعر بأنه "محظوظ".

الحظ الحقيقي كان ألا ينفجر اللغم من الأساس. الحظ كان يعني الاحتفاظ بكلتا الساقين. "محظوظ" هي الكلمة التي يحتاج الناس الذين لا يطيقون تأمل الفظائع إلى سماع الناجين المشوهين والمذعورين يصفون بها أنفسهم.

استعاد ذكرى عمته وهي تؤكد باكية أنه لا يتألم بينما كان ممددًا في سريره بالمستشفى، مترنحًا تحت تأثير المورفين، وقد وقفت كلماتها في تباين صارخ مع أولى الكلمات التي وجهها إليه بولورث، حين زار سترايك في مستشفى "سيلي أوك".

قال بولورث:

– "أمر لعين حقًا، يا ديدي."

فأجابه سترايك، وساقه المبتورة ممدودة أمامه، ونهايات أعصابه تصر على أن ربلة الساق والقدم لا تزالان هناك:

– "هو كذلك، بعض الشيء."

وصل سترايك إلى محطة أميرشام ليكتشف أنه فوت للتو قطار العودة إلى لندن. لذا جلس على مقعد خشبي في الخارج تحت أشعة شمس الخريف الشاحبة في وقت متأخر من الظهيرة، وأخرج علبة سجائره، وأشعل واحدة، ثم تفحص هاتفه. كانت قد وصلته رسالتان نصيتان ومكالمة فائتة بينما كان يجري المقابلة مع غوبتا، وهاتفه في وضع الصامت.

كانت الرسالتان من أخيه غير الشقيق آل، وصديقته إلسا، وبالتالي يمكنهما الانتظار، أما المكالمة الفائتة فكانت من جورج لايبورن، الذي عاود الاتصال به فورًا.

قال لايبورن:

– "هل هذا أنت يا سترايك؟"

– "أجل. لقد اتصلت بي للتو."

– "فعلت. لقد حصلت عليه لك. نسخة من ملف بامبورو."

قال سترايك وهو ينفث الدخان مع دفعة من الابتهاج:

– "أنت تمزح! جورج، هذا شيء استثنائي، أنا مدين لك بالكثير مقابل هذا."

– "اشترِ لي كأسًا واذكر اسمي للصحافة إذا اكتشفت يومًا من الفاعل. عبارات مثل: مساعدة قيمة.. أو: لم يكن بالإمكان فعلها بدونه. يمكننا تحديد الصياغة لاحقًا. قد يُذكّر هذا هؤلاء القوم بأنني أستحق الترقية."

ثم أضاف لايبورن بجدية أكثر:

– "اسمع، إنه في حالة فوضوية. الملف. فوضى حقيقية."

– "بأي معنى؟"

– "قديم. ثمة أجزاء مفقودة، بحسب ما رأيت، رغم أنها قد تكون مجرد ترتيب خاطئ للأوراق، لم يتح لي الوقت لمراجعته بالكامل وبشكل منهجي، فهناك ما يعادل أربعة صناديق هنا، لكن حفظ تالبوت للسجلات كان عشوائيًا تمامًا، وتدخل لوسون ومحاولته لفهم الأمر لم تساعد كثيرًا. على أية حال، هو لك الآن بكل ما فيه. سأكون في منطقتكم غدًا وسأتركه في المكتب، ما رأيك؟"

– "لا أستطيع التعبير عن مدى تقديري لهذا يا جورج."

قال لايبورن:

– "كان والدي ليكون سعيدًا جدًا لو علم أن شخصًا ما سيعيد النظر في القضية. كان ليود رؤية كريد يُدان بجريمة أخرى."

أنهى لايبورن المكالمة، وأشعل سترايك سيجارة أخرى على الفور واتصل بـ روبن ليزف إليها الخبر السار، لكن مكالمته تحولت مباشرة إلى البريد الصوتي. حينها تذكر أنها في اجتماع مع خبير الأرصاد الجوية المُضطهد، فوجه اهتمامه إلى رسالة آل النصية.

بدأت الرسالة بلهجة ودودة:

مرحبًا يا أخي.

كان آل الشقيق الوحيد من جهة الأب الذي حافظ سترايك معه على نوع من العلاقة المستمرة، وإن كانت متقطعة ومن جانب واحد، حيث كان آل هو من يبادر دائمًا. كان لسترايك ستة إخوة غير أشقاء من عائلة روكبي، ثلاثة منهم لم يقابلهم قط في حياته، وهو وضع لم يشعر بأي حاجة لإصلاحه، إذ وجد أن ضغوط أقاربه الذين يعرفهم كافية تمامًا للتعامل معها.

كما تعلم، يحتفل فريق الـ "ديدبيتس" بمرور 50 عامًا على تأسيسه العام المقبل –

لم يكن سترايك يعلم بهذا. لقد التقى بوالده، جوني روكبي، المغني الرئيسي لفريق الـ "ديدبيتس"، مرتين فقط في حياته، ومعظم المعلومات التي لديه عن والده نجم الروك جاءت إما من والدته ليدا – المرأة التي أنجب منها روكبي طفلاً بلامبالاة في ركن شبه عام بحفلة في نيويورك – أو من الصحافة.

كما تعلم، يحتفل فريق الـ "ديدبيتس" بمرور 50 عامًا على تأسيسه العام المقبل، و(بسرية تامة) سيطرحون ألبومًا جديدًا مفاجئًا في 24 مايو. ونحن (العائلات) سنقيم لهم حفلاً ضخمًا في لندن تلك الليلة في "سبنسر هاوس" للاحتفال بالإطلاق. يا أخي، سيعني الأمر الكثير لنا جميعًا، وخصوصًا أبي، إذا أتيت. اقترحت غابي فكرة التقاط صورة لكل الأبناء معًا، لنهديها له في تلك الليلة. ستكون الأولى من نوعها على الإطلاق. سنضعها في إطار، كمفاجأة. الجميع مشارك. نحتاجك أنت فقط. فكر في الأمر يا أخي.

قرأ سترايك هذه الرسالة مرتين، ثم أغلقها دون رد وفتح رسالة إلسا، التي كانت أقصر بكثير.

إنه عيد ميلاد روبن، أيها المغفل تمامًا.

12

تودد إليها بكلمات الإطراء العذبة،
وقدم الهدايا الثمينة، ليجذب ناظريها،
لكنها احتقرت العطايا والمعطي،
وكل تملق ذلك المداهن.

إدموند سبنسر ملكة الجن

اصطحب خبير الأرصاد الجوية التلفزيوني زوجته إلى اجتماع المتابعة مع روبن. وما إن استقر الزوجان في المكتب الداخلي للوكالة، حتى بدا من الصعب زحزحتهما. كانت الزوجة قد وصلت وهي تحمل نظرية جديدة لتعرضها على روبن، أثارتها أحدث بطاقة بريدية مجهولة وصلت بالبريد إلى استوديو التلفزيون. كانت هذه البطاقة الخامسة التي تحمل صورة لوحة فنية، والثالثة التي تم شراؤها من متجر "معرض اللوحات القومي"، مما جعل أفكار خبير الأرصاد تتجه نحو صديقة سابقة كانت تدرس في كلية الفنون. لم يكن يعرف أين هي الآن، لكن بالتأكيد الأمر يستحق البحث عنها، أليس كذلك؟

رأت روبن أنه من المستبعد جدًا أن تختار صديقة سابقة بطاقات بريدية مجهولة لإعادة التواصل مع حب ضائع، في ظل وجود وسائل التواصل الاجتماعي، بل وتوفر تفاصيل الاتصال بخبير الأرصاد علنًا، لكنها وافقت بدبلوماسية على أن الأمر يستحق التحقيق، ودونت أكبر قدر ممكن من التفاصيل التي استطاع خبير الأرصاد تذكرها عن تلك الحبيبة التي اختفت منذ زمن طويل. ثم استعرضت روبن جميع التدابير التي تتخذها الوكالة حتى الآن لتعقب مرسل البطاقات، وطمأنت

الزوج والزوجة بأنهما مستمران في مراقبة المنزل ليلاً، على أمل أن يكشف صاحب البطاقات عن نفسه.

كان خبير الأرصاد رجلاً ضئيل الحجم، بشعر بني مائل للاحمرار، وعينين داكنتين، وهالة من الأسف قد تكون خادعة. أما زوجته، وهي امرأة نحيلة تفوق زوجها طولاً بعدة بوصات، فبدت خائفة من عمليات التسليم اليدوي في وقت متأخر من الليل، ومنزعجة قليلاً من تأكيدات زوجها الضاحكة نصف ضحكة بأنه لا يتوقع المرء حدوث هذا النوع من الأشياء عندما يكون مجرد خبير أرصاد، لأنه، في نهاية المطاف، ليس من نوع نجوم السينما، ومن يدري ما الذي قد تكون هذه المرأة قادرة عليه؟

ذكرته زوجته:

– "أو رجل. نحن لا نعلم أنها امرأة، أليس كذلك؟"

قال زوجها، والابتسامة تتلاشى ببطء عن وجهه:

– "لا، هذا صحيح."

عندما غادر الزوجان أخيرًا، مارين بـ بات التي كانت تطبع بجلد على مكتبها، عادت روبن إلى المكتب الداخلي وفحصت أحدث بطاقة بريدية مرة أخرى. كانت اللوحة الموجودة على المقدمة تعرض صورة رجل من القرن التاسع عشر يرتدي ربطة عنق عالية. جيمس دوفيلد هاردينج. لم تسمع روبن به من قبل. قلبت البطاقة. كانت الرسالة المطبوعة تقول:

هو يذكرني بك دائمًا.

قلبت البطاقة مرة أخرى. كان الرجل ذو الشعر البني الفاتح والسوالف الجانبية يشبه خبير الأرصاد حقًا.

باغتتها تثاؤبة مفاجئة. كانت قد قضت معظم اليوم في إنهاء الأعمال الورقية، والموافقة على دفع الفواتير، وتعديل جدول المناوبات للأسبوعين المقبلين لتلبية طلب موريس للحصول على إجازة بعد ظهر يوم السبت، ليتمكن من الذهاب ومشاهدة ابنته البالغة من العمر ثلاث سنوات وهي تؤدي في عرض باليه. نظرت روبن إلى ساعتها، فوجدت أنها الخامسة بالفعل. قاومت المزاج السيئ

الذي كان العمل الشاق يبقيه بعيدًا، ورتبت ملف البطاقات البريدية، وأعادت تشغيل نغمة رنين هاتفها المحمول. وفي غضون ثوانٍ، رن الهاتف: سترايك.

قالت روبن، محاولة ألا تبدو مستاءة، لأنه مع مرور الساعات أصبح من الواضح لها أن سترايك قد نسي عيد ميلادها مرة أخرى بالفعل:

– "مرحبًا."

قال سترايك، وصوته يعلو فوق ضجيج ما ميزت روبن أنه صوت قطار:

– "عيد ميلاد سعيد."

– "شكرًا."

– "لدي شيء لكِ، لكنني لن أعود قبل ساعة، لقد ركبت القطار للتو عائدًا من أميرشام."

حدثت روبن نفسها: *هيهات، أنت لم تحضر شيئًا. لقد نسيت. ستشتري مجرد زهور وأنت في طريقك للعودة إلى المكتب.*

كانت روبن واثقة من أن إلسا لابد وأنها نبهت سترايك، لأن إلسا اتصلت بها قبل وصول العميل مباشرة، لتخبر روبن بأنها قد تتأخر عن موعد الشراب لظرف طارئ. وسألت أيضًا، بلامبالاة غير مقنعة، عما اشتراه سترايك لها، فأجابت روبن بصدق: "لا شيء".

قالت روبن الآن:

– "هذا لطيف، شكرًا. لكنني سأغادر الآن. سأخرج لتناول مشروب الليلة."

قال سترايك:

– "أوه. حسنًا. آسف – لم يكن باليد حيلة، كما تعلمين، مع المجيء إلى هنا لمقابلة غوبتا."

– "لا، حسنًا، يمكنك تركهم هنا في المكتب –"

قال سترايك:

– "أجل."

ولاحظت روبن أنه لم يعترض على كلمة "تركهم" (بصيغة الجمع التي قد تشير للزهور). من المؤكد أنها ستكون زهورًا.

قال سترايك:

– "على أية حال، أخبار كبيرة. جورج لايبورن حصل على نسخة من ملف بامبورو."

قالت روبن، وقد تحمست رغمًا عنها:

– "أوه، هذا رائع!"

– "أجل، أليس كذلك؟ سيحضره غدًا صباحًا."

سألت روبن وهي تجلس على جانبها من "مكتب الشركاء" الذي حل محل مكتب سترايك الفردي القديم:

– "كيف كان غوبتا؟"

قال سترايك، الذي أصبح صوته مكتومًا بينما خمنت روبن أن القطار يمر عبر نفق:

– "مثير للاهتمام، خاصة فيما يتعلق بمارغو نفسها."

ضغطت روبن الهاتف أقرب إلى أذنها وسألت:

– "بأي معنى؟"

قال سترايك بصوت بعيد:

– "لا أدري. من الصورة القديمة، لم أكن لأخمن أنها نسوية متحمسة. تبدو شخصية ذات حضور أقوى بكثير مما تخيلت، وهو أمر غبي في الواقع – لماذا لا يكون لها شخصية، وشخصية قوية أيضًا؟"

لكن روبن عرفت، بطريقة ما، ما يعنيه. الصورة الضبابية لـ مارغو بامبورو، المتجمدة في زمن غير واضح مع فرق شعرها السبعيناتي، وطيات سترة بدلتها العريضة والمستديرة، وقميصها الصوفي المحبوك، بدت وكأنها تنتمي إلى عالم ثنائي الأبعاد، باهت الألوان، ولى زمنه.

قال سترايك:

– "سأخبرك بالباقي غدًا. الإشارة ليست جيدة هنا. بالكاد أستطيع سماعك."

قالت روبن بصوت عالٍ:

– "حسنًا، تمام. نتحدث غدًا."

فتحت الباب المؤدي إلى المكتب الخارجي مرة أخرى. كانت بات تطفئ للتو جهاز الكمبيوتر القديم الخاص بروبن، والسيجارة الإلكترونية تتدلى من فمها.

سألت بات بصوتها الذي يشبه نعيق الغراب، وشعرها الأسود الفاحم، والسيجارة المزيفة تهتز:

– "هل كان ذلك سترايك؟"

قالت روبن وهي تتناول معطفها وحقيبتها:

– "أجل. إنه في طريق عودته من أميرشام. لكن أغلقي المكتب كالمعتاد يا بات، يمكنه فتح الباب بنفسه إذا احتاج."

سألت بات، التي بدا أنها اتخذت من أخبار نسيان سترايك لذلك الصباح مصدرًا لرضا سادي:

– "هل تذكر عيد ميلادك بعد؟"

قالت روبن، وبدافع الولاء لسترايك أضافت:

– "نعم. ولديه هدية لي. سأحصل عليها غدًا."

كانت بات قد اشترت لروبن محفظة جديدة. قالت عندما فتحت روبن غلافها: "تلك القديمة كانت تتهرأ من الأطراف". ورغم أن روبن لم تكن لتختار اللون الأحمر الفاقع، إلا أنها تأثرت باللفتة، وعبرت عن شكرها الحار ونقلت على الفور نقودها وبطاقاتها إلى المحفظة الجديدة.

قالت بات بارتياح:

– "الشيء الجيد في امتلاك واحدة بلون ساطع هو أنكِ تجدينها دائمًا في حقيبتك. ماذا أحضر لك ذلك المجنون الاسكتلندي؟"

كان باركلي قد ترك طردًا صغيرًا مغلفًا مع بات لتعطيه لروبن في ذلك الصباح.

قالت روبن مبتسمة وهي تفك تغليف الطرد:

– "أوراق لعب. كان سام يخبرني عنها، انظري، عندما كنا في المراقبة الليلة الماضية. أوراق لعب تظهر أكثر المطلوبين من تنظيم القاعدة. وزعوا رزمًا منها على القوات الأمريكية خلال حرب العراق."

قالت بات:

– "ولمَ أعطاكِ إياها؟ ماذا يُفترض بك أن تفعلي بها؟"

قالت روبن، وقد راق لها استهجان بات:

– "حسنًا، لأنني أبديت اهتمامًا عندما أخبرني. يمكنني لعب البوكر بها. تحتوي على كل الأرقام الصحيحة وكل شيء، انظري."

قالت بات:

– "البريدج. تلك هي اللعبة الحقيقية. أحب لعب جولة لطيفة من البريدج."

وبينما كانت المرأتان ترتديان معطفيهما، سألت بات:

– "هل ستذهبين لمكان لطيف الليلة؟"

قالت روبن:

– "لتناول مشروب مع اثنين من الأصدقاء. لكن لدي قسيمة شراء من سيلفريدجز تحرق جيبي. أفكر في تدليل نفسي أولاً."

نعت بات بصوتها الأجش:

– "رائع. ماذا تشتهين؟"

وقبل أن تتمكن روبن من الإجابة، فتح الباب الزجاجي خلفها ودخل سول موريس، وسيمًا، مبتسمًا، ويلهث قليلاً، بشعره الأسود الأملس وعينيه الزرقاوين اللامعتين. وبشيء من التوجس، رأت الهدية المغلفة والبطاقة التي يقبض عليها في يده.

قال:

– "عيد ميلاد سعيد! أملت أن ألحق بكِ."

وقبل أن تتمكن روبن من منعه، انحنى وقبلها على خدها؛ لم تكن قبلة في الهواء، بل تلامس حقيقي للشفاه والجلد. تراجعت نصف خطوة إلى الوراء.

قال وهو يمد لها الهدية والبطاقة، غير مدرك على ما يبدو لأي خطب:

– "أحضرت لكِ شيئًا بسيطًا. لا شيء يذكر حقًا. وكيف حال مونيبيني؟"

التفت إلى بات، التي كانت قد أزالت سيجارتها الإلكترونية لتبتسم له، كاشفة عن أسنان بلون العاج القديم.

رددت بات وهي تبتسم بإشراق:

– "مونيبيني. كف عن حماقاتك."

مزقت روبن الورق عن هديتها. في الداخل كانت علبة من "الكمأة" (الترافل) بالكراميل المملح من فورتنوم آند ماسون.

قالت بات باستحسان:

– "أوه، لطيف جدًا."

بدا أن الشوكولاتة هدية أكثر ملاءمة لشابة من رزمة أوراق لعب عليها صور أعضاء تنظيم القاعدة.

قال موريس، وقد بدا فخورًا بنفسه:

– "تذكرت أنك تحبين الكراميل المملح."

عرفت روبن بالضبط من أين جاءته هذه الفكرة، ولم يجعلها ذلك أكثر تقديرًا.

قبل شهر، في الاجتماع الأول للوكالة الموسعة بالكامل، فتحت روبن علبة من البسكويت الفاخر وصلت في سلة هدايا من عميل ممتن. استفسر سترايك عن سبب كون كل شيء هذه الأيام بنكهة الكراميل المملح، فأجابت روبن بأن ذلك لا يبدو أنه يمنعه من التهامها ملء كفه. لم تعبر عن أي ولع شخصي بالنكهة، لكن موريس كان من الواضح أنه أولى اهتمامًا قليلاً وكثيرًا في آن واحد، محتفظًا بافتراضه الكسول لاستخدامه في وقت لاحق.

قالت بحد أدنى من الدفء:

– "شكرًا جزيلاً. أخشى أن عليّ الإسراع."

وقبل أن تتمكن بات من الإشارة إلى أن سيلفريدجز سيظل في مكانه لنصف ساعة أخرى، انسلّت روبن متجاوزة موريس وبدأت في نزول السلم المعدني، وبطاقته لا تزال غير مفتوحة في يدها.

ظلت روبن تفكر في السبب الدقيق الذي يجعل موريس يثير أعصابها بهذا القدر بينما كانت تتجول ببطء في قاعة العطور الكبرى بمتجر سيلفريدجز بعد نصف ساعة. قررت شراء عطر جديد لنفسها، لأنها كانت تضع العطر ذاته منذ خمس سنوات. كان ماثيو قد أحبه، ولم يرغب أبدًا في أن تغيره، لكن زجاجتها الأخيرة وصلت إلى قطراتها النهائية، وتملكها دافع مفاجئ لإغراق نفسها في شيء لن يتعرف عليه ماثيو، وربما لن يعجبه حتى. الزجاجة الصغيرة الرخيصة من كولونيا "4711" التي اشترتها في طريقها إلى فالموث لم تكن مميزة بما يكفي لتكون بصمتها العطرية الجديدة، ولذا تجولت عبر متاهة واسعة من المرايا المدخنة والأضواء المذهبة، بين جزر من الزجاجات المغرية وصور المشاهير المضاءة، كل مملكة صغيرة منها تخضع لسيطرة حوريات متشحات بالسواد يعرضن رشات وشرائط اختبار.

تساءلت: *هل كان غرورًا منها أن تظن أن موريس، وهو مقاول من الباطن، لا ينبغي له افتراض الحق في تقبيل شريكة في الوكالة؟ هل كانت ستمانع لو قبلها هاتشينز المتحفظ عادة على خدها؟* قررت أنها لا، لن تمانع على الإطلاق، لأنها تعرف آندي الآن منذ أكثر من عام، وعلى أية حال، كان هاتشينز ليفعل الشيء المهذب ويجعل التحية مسألة تقارب وجيز بين وجهين، لا ضغطًا للشفاه على وجهها.

وماذا عن باركلي؟ لم يقبلها قط، رغم أنه ناداها مؤخرًا بـ "يا بلهاء" عندما سكبت القهوة الساخنة عليه بالخطأ أثناء المراقبة، من فرط حماسها لرؤية هدفهم، وهو موظف حكومي، يغادر بيت دعارة معروفًا في الثانية صباحًا. لكنها لم تمانع مناداة باركلي لها بالبلهاء قيد أنملة. لقد كانت بلهاء حقًا.

عند انعطافها حول زاوية، وجدت روبن نفسها تواجه منضدة "إيف سان لوران"، ومع احتدام مفاجئ للاهتمام، تركزت عيناها على أسطوانة زرقاء وسوداء وفضية تحمل اسم ريف غوش. لم تكن روبن قد شمت عطر مارغو بامبورو المفضل عن عمد من قبل.

قالت البائعة التي بدت ضجرة، وهي تراقب روبن ترش "ريف غوش" على شريط اختبار جديد وتستنشقه:

– "إنه كلاسيكي."

كانت روبن تميل إلى تقييم العطور وفقًا لمدى إجادتها في محاكاة زهرة مألوفة أو مادة غذائية، لكن هذا لم يكن رائحة من الطبيعة. كان هناك طيف وردة شبحي، ولكن أيضًا شيء معدني غريب. روبن، التي اعتادت العطور التي تتودد إليك بالفاكهة والحلوى، وضعت الشريط جانبًا بابتسامة وهزت رأسها ومضت.

فكرت: *إذن هكذا كانت رائحة مارغو بامبورو.* لقد كان عطرًا أكثر تعقيدًا بكثير من العطر الذي أحبه ماثيو على روبن، والذي كان مزيجًا طبيعي الرائحة من التين، منعشًا وحليبيًا وأخضر.

انعطفت روبن حول زاوية ورأت، واقفة على منضدة أمامها مباشرة، زجاجة متعددة الأوجه مليئة بسائل وردي: فلاوربومب، عطر سارة شادلوك المميز. رأت روبن الزجاجة في حمام سارة وتوم كلما ذهبت هي وماثيو لتناول العشاء هناك. ومنذ تركها لماثيو، كان لدى روبن متسع من الوقت لتدرك أن المناسبات التي غير فيها أغطية السرير في منتصف الأسبوع، لأنه "سكب الشاي" أو "فكرت في القيام بذلك اليوم، لأعفيك من القيام به غدًا"، لابد وأنها كانت لغسل تلك الرائحة الصارخة والحلوة، بقدر ما كانت لمحو أي آثار أخرى أكثر إدانة بوضوح قد تكون تسربت من الواقيات الذكرية الحريصة.

قالت البائعة المتأملة، التي لاحظت نظر روبن إلى القنبلة اليدوية الزجاجية:

– "إنه كلاسيكي حديث."

بابتسامة مقتضبة، هزت روبن رأسها وابتعدت. الآن بدا انعكاس صورتها في الزجاج المدخن حزينًا ببساطة، بينما كانت تلتقط الزجاجات وتشم الشرائط في مطاردة خالية من البهجة لشيء يُحسن هذا العيد الميلادي البائس. تمنت فجأة لو كانت متجهة إلى المنزل، وليس للخارج لتناول الشراب.

سألت فتاة سوداء ذات عظام وجنتين حادة، مرت بها روبن بعد فترة وجيزة:

– "ما الذي تبحثين عنه؟"

بعد خمس دقائق، وعقب تبادل مهني موجز، كانت روبن تتجه عائدة نحو شارع أكسفورد وفي حقيبتها زجاجة سوداء مستطيلة. كانت البائعة مقنعة للغاية.

كانت قد قالت وهي تلتقط زجاجة خامسة وترش القليل منها على شريط وتلوح به: "... وإذا كنتِ تريدين شيئًا مختلفًا تمامًا، جربي فراكاس."

ناولت الشريط لروبن، التي كانت أنفها تحترق الآن من الهجوم الغني والمتنوع للنصف ساعة الماضية.

– "مثير لكن ناضج، أتعرفين؟ إنه كلاسيكي حقيقي."

وفي تلك اللحظة، روبن، وهي تتنفس رائحة مسك الروم القوية والشهية والزيتية، أغرتها فكرة أن تصبح، في عامها الثلاثين، امرأة راقية مختلفة تمامًا عن ذلك النوع من الحمقى الأغبياء جدًا لدرجة عدم إدراك أن ما أخبرها زوجها بأنه يحبه، وما كان يحب اصطحابه إلى فراشه، لم يكن بينهما من الشبه إلا ما بين التين والقنبلة اليدوية.

13

ومن ثَمَّ مضوا قُدُمًا في ذلك الدرب الشاق،
صعودًا إلى تلة، كانت شاهقة وشديدة الانحدار؛
وعلى قمتها رابضٌ مصلّى مقدس،
وإلى جواره صومعة صغيرة للعبادة.
إدموند سبنسر ملكة الجن

عندما نظر سترايك إلى الوراء، تملكه الندم بشأن الهدية الأولى التي قدمها لـ روبن إيلاكوت على الإطلاق. كان قد اشترى ذلك الفستان الأخضر الباهظ في نوبة من السخاء المتهور، ولم يشعر بالأمان في إهدائها شيئًا شخصيًا للغاية إلا لأنها كانت مخطوبة لرجل آخر، ولأنه لن يراها مرة أخرى أبدًا، أو هكذا ظن حينها. كانت قد عرضت الفستان أمامه في سياق محاولتها استدراج بائعة للبوح بأسرار، وساعدت شهادة تلك الفتاة – التي انتزعتها روبن بمهارة فائقة – في حل القضية التي صنعت اسم سترايك وأنقذت وكالته من الإفلاس. مدفوعًا بموجة من النشوة والامتنان، عاد إلى المتجر واشترى الفستان كبادرة وداع كبرى. لم يبدُ أن شيئًا آخر يختزل ما أراد قوله لها: "انظري ماذا حققنا معًا"، و"لم أكن لأفعل ذلك بدونك"، و(إذا كان صادقًا تمامًا مع نفسه) "تبدين فاتنة في هذا الثوب، وأردت أن تعلمي أنني فكرت في ذلك حين رأيتك ترتدينه".

لكن الأمور لم تسر تمامًا كما توقع سترايك، لأنه في غضون ساعة من إعطائها الفستان الأخضر، قام بتعيينها مساعدة بدوام كامل. وبلا شك، كان الفستان سببًا، ولو جزئيًا، في انعدام الثقة العميق الذي كنه ماثيو، خطيبها،

للمحقق منذ ذلك الحين. والأسوأ من ذلك، من وجهة نظر سترايك، أن تلك الهدية رفعت سقف التوقعات للهدايا المستقبلية إلى حد غير مريح. وسواء كان ذلك بوعي منه أم لا، فقد خفض التوقعات بشكل كبير منذ ذلك الحين، إما بنسيان شراء هدايا عيد ميلاد روبن والكريسماس، أو بجعلها تقليدية وعامة قدر الإمكان.

اشترى زنابق "ستارغيزر" من أول متجر زهور وجده عند نزوله من القطار القادم من أميرشام، وحملها إلى المكتب لتجدها روبن في اليوم التالي. اختارها لحجمها ورائحتها القوية. شعر أنه يجب أن ينفق مالاً أكثر مما أنفقه على باقة العام الماضي المتأخرة، وبدت هذه الزنابق مثيرة للإعجاب، وكأنه لم يبخل. كانت الورود تحمل إيحاءً غير مرحب به بـ "عيد الحب"، وكل شيء آخر تقريبًا في مخزون بائع الزهور – الذي كان قليلاً بلا شك في الخامسة والنصف مساءً – بدا رثًا أو مخيبًا للآمال. كانت الزنابق كبيرة الحجم، ومع ذلك اتسمت بلامبالاة مطمئنة، ذات طابع نحتي وثقل عطري، وكان ثمة أمان في جرأتها الصارخة تلك. لقد أتت من صوبة زجاجية معقمة؛ لم يكن فيها همس رومانسي عن غابات هادئة أو حدائق سرية: كانت زهورًا يمكنه أن يقول عنها بحزم "رائحتها طيبة"، دون أي تبرير آخر لاختياره.

لم يكن في حسبان سترايك أن الرابط الأساسي لروبن مع زنابق "ستارغيزر"، الآن وإلى الأبد، سيكون بـ سارة شادلوك، التي أحضرت ذات مرة باقة متطابقة تقريبًا لحفل الانتقال لمنزل روبن وماثيو الجديد.

عندما دخلت المكتب في اليوم التالي لعيد ميلادها ورأت الزهور منتصبة هناك على "مكتب الشركاء"، مغروسة في مزهرية مليئة بالماء لكنها لا تزال بداخل غلافها السلوفاني، وعليها شريط أرجواني ضخم وبطاقة صغيرة كتب عليها *"عيد ميلاد سعيد من كورموران"* (بدون قبلات، هو لا يضع قبلات أبدًا)، تأثرت بالطريقة نفسها تمامًا التي تأثرت بها برؤية الزجاجة التي على شكل قنبلة يدوية في متجر سيلفريدجز. لم تكن تريد هذه الزهور؛ كانت مصدر إزعاج مزدوج، إذ تذكرها بنسيان سترايك وبخيانة ماثيو، وقررت أنه إذا كان عليها أن تنظر إليها أو تشمها، فلن يكون ذلك في منزلها.

لذا تركت الزنابق في المكتب، حيث رفضت بعناد أن تموت، إذ كانت بات تعيد ملء مائها بضمير حي كل صباح وتعتني بها جيدًا لدرجة أنها عاشت لما يقرب من أسبوعين. حتى سترايك سئم منها في النهاية: كانت تهب عليه نفحات تذكره بعطر صديقته السابقة لوريلاي، وهو تداعٍ غير سار.

بحلول الوقت الذي بدأت فيه البتلات الوردية والبيضاء الشمعية في الذبول والسقوط، كانت الذكرى التاسعة والثلاثون لاختفاء مارغو بامبورو قد مرت دون احتفال، وربما دون أن يلاحظها أحد باستثناء عائلتها، وسترايك وروبن، اللذين سجلا التاريخ المصيري. كانت نسخ سجلات الشرطة قد أحضرت إلى المكتب كما وعد جورج لايبورن، وهي الآن ترقد في أربعة صناديق من الورق المقوى تحت مكتب الشركاء، وهو المكان الوحيد الذي تسعها فيه الوكالة. سترايك، الذي كان حاليًا الأقل انشغالاً بقضايا الوكالة الأخرى، لأنه كان يضع نفسه في حالة تأهب للعودة إلى كورنوال إذا دعت الحاجة، عكف على العمل بشكل منهجي من خلال هذه الملفات. وبمجرد أن استوعب محتوياتها، عزم على زيارة كليركينويل مع روبن، وتتبع الطريق بين عيادة "سانت جون" القديمة حيث شوهدت مارغو آخر مرة على قيد الحياة، والحانة التي انتظرتها فيها صديقتها عبثًا.

وهكذا، في اليوم الأخير من شهر أكتوبر، غادرت روبن المكتب في الواحدة ظهرًا وأسرعت، تحت سماء تنذر بالخطر ومظلتها جاهزة في يدها، لركوب مترو الأنفاق. كانت تشعر بإثارة هادئة لترقب ما سيحدث بعد الظهيرة، فهي المرة الأولى التي ستقضيها هي وسترايك يعملان على قضية بامبورو معًا في الميدان.

كان الرذاذ قد بدأ يتساقط بالفعل عندما لمحت روبن سترايك، واقفًا يدخن وهو يتفحص واجهة مبنى في منتصف طريق "سانت جون لين". التفت عند سماع صوت كعبي حذائها على الرصيف المبلل.

نادت وهي تقترب:

– "هل تأخرت؟"

قال سترايك:

– "لا، أنا بكرت في المجيء."

انضمت إليه، وهي لا تزال تمسك بمظلتها، ونظرت إلى المبنى الشاهق متعدد الطوابق المبني من الطوب البني، بنوافذه الكبيرة ذات الإطارات المعدنية. بدا وكأنه يضم مكاتب، لكن لم تكن هناك إشارة لنوع الأعمال التي تدار بداخله.

قال سترايك مشيرًا إلى الباب الذي يحمل الرقم 29:

– "كان هنا تمامًا. عيادة سانت جون الطبية القديمة. لقد قاموا بتجديد واجهة المبنى بالطبع. كان هناك مدخل خلفي، وسندور حول المبنى لنلقي نظرة سريعة بعد دقيقة."

التفتت روبن لتنظر صعودًا ونزولاً في "سانت جون لين"، الذي كان طريقًا طويلاً وضيقًا باتجاه واحد، تحده من الجانبين مبانٍ شاهقة متعددة النوافذ.

علقت روبن:

– "مكشوف للغاية."

– "أجل. لذا، دعينا نبدأ بما كانت ترتديه مارغو عندما اختفت."

قالت روبن:

– "أعرف بالفعل. تنورة مخملية مضلعة (كودري) بنية اللون، وقميص أحمر، وسترة صوفية محبوكة بلا أكمام، ومعطف مطر بيج من ماركة بربري، وقلادة وأقراط فضية، وخاتم زفاف ذهبي. كانت تحمل حقيبة كتف جلدية ومظلة سوداء."

قال سترايك، وقد بدا عليه إعجاب طفيف:

– "يجب أن تمتهني التحقيق. هل أنتِ مستعدة لسجلات الشرطة؟"

– "تفضل."

– "في الساعة السادسة إلا ربعًا من يوم الحادي عشر من أكتوبر 1974، كان من المعروف وجود ثلاثة أشخاص فقط داخل هذا المبنى: مارغو، التي كانت ترتدي بالضبط ما وصفتِه، لكنها لم تكن قد ارتدت معطفها الواقي من المطر بعد؛ وغلوريا كونتي، التي كانت الأصغر بين موظفتي الاستقبال؛ ومريض حالة طارئة يعاني من آلام في البطن، دخل من الشارع. المريض، وفقًا للملاحظة المستعجلة التي دونتها غلوريا، كان يُدعى «ثيو علامة استفهام». ورغم الاسم الذكوري، وتأكيد الدكتور جوزيف برينر بأنه اعتقد أن المريض يبدو كرجل، ومحاولة تالبوت الجادة لإقناعها

بأن ثيو كان رجلاً يرتدي زي امرأة، لم تتزحزح غلوريا قط عن تأكيدها بأن «ثيو» كانت امرأة.

"غادر جميع الموظفين الآخرين قبل السادسة إلا ربعًا، باستثناء ويلما عاملة النظافة، التي لم تكن هناك على الإطلاق في ذلك اليوم، لأنها لم تكن تعمل أيام الجمعة. سنتحدث عن ويلما لاحقًا.

"جانيس، الممرضة، كانت هنا حتى منتصف النهار، ثم قامت بزيارات منزلية بقية فترة بعد الظهر ولم تعد. إيرين، موظفة الاستقبال، غادرت في الثانية والنصف لموعد مع طبيب الأسنان ولم تعد. وفقًا لإفاداتهم، التي تم تأكيد كل منها بواسطة شاهد آخر، غادرت السكرتيرة، دوروثي، في الخامسة وعشر دقائق، والدكتور غوبتا في الخامسة والنصف، والدكتور برينر في السادسة إلا ربعًا. كانت الشرطة راضية عن حجج الغياب التي قدمها الثلاثة لبقية الأمسية: ذهبت دوروثي إلى المنزل لابنها وقضت المساء تشاهد التلفزيون معه. وحضر الدكتور غوبتا عشاءً عائليًا كبيرًا للاحتفال بعيد ميلاد والدته، وكان الدكتور برينر مع أخته العانس التي يشاركها منزله. شوهد كلا الشقيقين برينر عبر نافذة غرفة الجلوس في وقت لاحق من تلك الأمسية، من قبل شخص كان ينزه كلبه.

"آخر المرضى المسجلين، أم وطفلها، كانوا مرضى لدى مارغو، وغادروا العيادة قبل وقت قصير من مغادرة برينر. شهد المرضى بأن مارغو كانت بخير عندما رأوها.

"من تلك النقطة فصاعدًا، غلوريا هي الشاهد الوحيد. وفقًا لغلوريا، دخلت ثيو إلى غرفة استشارات مارغو وبقيت هناك لفترة أطول من المتوقع. في السادسة والربع، غادرت ثيو، ولم تُرَ في العيادة مرة أخرى. أصدرت الشرطة نداءً للبحث عنها لاحقًا، لكن لم يتقدم أحد.

"لم تترك مارغو أي ملاحظات عن ثيو. الافتراض هو أنها كانت تنوي كتابة تفاصيل الاستشارة في اليوم التالي، لأن صديقتها كانت تنتظرها في الحانة منذ ربع ساعة ولم ترغب في تأخير نفسها أكثر.

"بعد وقت قصير من مغادرة ثيو، خرجت مارغو مسرعة من غرفة استشارتها، وارتدت معطفها الواقي من المطر، وأخبرت غلوريا أن تغلق المكان باستخدام مفتاح الطوارئ، وخرجت إلى المطر، وفتحت مظلتها، وانعطفت يمينًا واختفت عن ناظري غلوريا."

التفت سترايك وأشار أعلى الطريق نحو قوس حجري أصفر ذي مظهر قديم، يقع أمامهم مباشرة.

– "مما يعني أنها كانت متجهة في ذلك الاتجاه، نحو حانة «الملوك الثلاثة»."

للحظة، نظر كلاهما نحو القوس القديم الذي يمتد عبر الطريق، وكأن طيفًا لمارغو قد يتجسد أمامهما. ثم سحق سترايك سيجارته تحت قدمه وقال:

– "اتبعيني."

سار بمحاذاة المبنى رقم 28، ثم توقف ليشير إلى ممر مظلم بعرض باب، يسمى زقاق "باسينغ آلي".

قالت روبن، وهي تتوقف لتنظر بامتداد الممر المقبب المظلم عبر المباني:

– "مكان جيد للاختباء."

قال سترايك:

– "بالتأكيد هو كذلك. إذا أراد شخص ما أن يكمن لها، فهذا المكان مفصل خصيصًا لذلك. يباغتها، ويسحبها إلى هنا – لكن بعد ذلك، ستصبح الأمور إشكالية."

سارا عبر الممر القصير وخرجا إلى منطقة حديقة غائرة من الخرسانة والشجيرات تقع بين شارعين متوازيين.

– "فتشت الشرطة منطقة الحديقة هذه بالكامل باستخدام الكلاب البوليسية. لا شيء. وإذا سحبها المعتدي قدمًا، عبر ذلك الطريق"، أشار سترايك إلى الطريق الموازي لسانت جون لين، "إلى شارع سانت جون، لكان من المستحيل تقريبًا عدم اكتشاف أمره. الشارع أكثر ازدحامًا بكثير من سانت جون لين. وهذا بافتراض أن امرأة تبلغ من العمر تسعة وعشرين عامًا، طويلة وبصحة جيدة، لن تصرخ وتقاوم."

التفت لينظر إلى المدخل الخلفي.

– "كانت ممرضة الحي تدخل أحيانًا من الخلف، بدلاً من المرور عبر غرفة الانتظار. كان لديها غرفة صغيرة في مؤخرة المبنى حيث تحتفظ بأغراضها وتستقبل المرضى أحيانًا. ويلما عاملة النظافة كانت تخرج أحيانًا من الباب الخلفي أيضًا. بخلاف ذلك، كان عادة مغلقًا."

سألت روبن:

– "هل نحن مهتمون بقدرة الناس على الدخول أو الخروج من المبنى عبر باب ثانٍ؟"

– "ليس بشكل خاص، لكنني أريد أن آخذ انطباعًا عن التصميم. لقد مرت ما يقرب من أربعين عامًا: علينا مراجعة كل شيء."

سارا عائدين عبر زقاق "باسينغ آلي" إلى واجهة المبنى.

قال سترايك:

– "لدينا ميزة واحدة نتفوق بها على بيل تالبوت. نحن نعلم أن سفاح إسيكس تبين أنه نحيل وأشقر، وليس شخصًا ضخم الجثة داكن البشرة ذا مظهر غجري. ثيو، أيًا كانت، لم تكن كريد. وهو ما لا يجعلها بالضرورة غير ذات صلة، بالطبع.

"شيء أخير، ثم ننتهي من العيادة نفسها. أخبرت إيرين، موظفة الاستقبال الشقراء، الشرطة أن مارغو تلقت رسالتين مجهولتين تتضمنان تهديدًا قبل وقت قصير من اختفائها. وهما غير موجودتين في ملف الشرطة، لذا ليس لدينا سوى إفادة إيرين لنستند إليها. تدعي أنها فتحت إحداهما، وأنها رأت أخرى على مكتب مارغو عند إحضار الشاي لها. تقول إن الرسالة التي قرأتها ذكرت نار الجحيم."

علقت روبن:

– "قد يظن المرء أن وظيفة السكرتيرة هي فتح البريد، وليست وظيفة موظفة الاستقبال."

قال سترايك، وهو يخرج مفكرته ويخربش فيها:

– "نقطة وجيهة. سنتحقق من ذلك... يبدو من المناسب أن نضيف هنا أن تالبوت اعتقد أن إيرين شاهدة غير موثوقة: غير دقيقة وتميل إلى المبالغة. بالمناسبة، قال غوبتا إن إيرين ومارغو حدثت بينهما ما سماه «مشادة» في حفلة عيد الميلاد. لم يعتقد أنها كانت أمرًا جللاً، لكنه تذكرها."

– "وهل تالبوت –؟"

– "ميت؟ نعم. وكذلك لوسون، الذي تولى المهمة من بعده. لكن تالبوت لديه ابن، وأفكر في التواصل معه. لوسون لم ينجب أطفالاً قط."

– "أكمل، بخصوص الرسائل المجهولة."

– "حسنًا، قالت غلوريا، موظفة الاستقبال الأخرى، إن إيرين أرتها إحدى الملاحظات، لكنها لم تستطع تذكر ما جاء فيها. جانيس، الممرضة، أكدت أن إيرين أخبرتها عنها في ذلك الوقت، لكنها قالت إنها لم ترها شخصيًا. مارغو لم تخبر غوبتا عنها – لقد اتصلت به للتحقق.

"على أية حال"، قال سترايك، وهو يلقي نظرة شاملة أخيرة على الشارع عبر الرذاذ، "بافتراض أن لا أحد اختطف مارغو خارج العيادة مباشرة، أو أنها لم تركب سيارة على بعد ياردات من الباب، فقد اتجهت نحو حانة الملوك الثلاثة، مما يأخذنا في هذا الطريق."

سألت روبن:

– "هل تريد الدخول تحت هذه المظلة؟"

قال سترايك:

– "لا."

كان شعره المجعد الكثيف يبدو كما هو سواء كان رطبًا أو جافًا: كان لديه القليل جدًا من الغرور بشأن مظهره.

واصلا السير صعودًا في الشارع ومرّا عبر بوابة "سانت جون"، القوس الحجري القديم المزين بالعديد من الدروع الشعاراتية الصغيرة، ليخرجا إلى طريق "كليركينويل"، وهو طريق مزدحم باتجاهين، عبراه ليصلوا بجانب كشك هاتف قرمزي عتيق الطراز يقف عند فوهة طريق "ألبيمارل واي".

سألت روبن:

– "هل هذا هو كشك الهاتف حيث شوهدت المرأتان تتصارعان؟"

أعاد سترايك النظر إليها بتمعن.

قال بلهجة شبه اتهامية:

– "لقد قرأتِ ملاحظات القضية."

اعترفت روبن:

– "ألقيت نظرة سريعة. بينما كنت أطبع فاتورة «المزدوج» الليلة الماضية. لم أقرأ كل شيء؛ لم يكن لدي وقت. نظرت فقط إلى بضعة مقتطفات."

قال سترايك:

– "حسنًا، ليس هذا هو كشك الهاتف المقصود. كشك الهاتف المهم – أو الأكشاك – تأتي لاحقًا. سنصل إليها في الوقت المناسب. الآن اتبعيني."

بدلاً من المضي قدمًا إلى منطقة المشاة المبلطة التي عرفت روبن، من بحثها الضئيل، أن مارغو لابد وأن عبرتها إذا كانت متجهة إلى حانة الملوك الثلاثة، انعطف سترايك يسارًا، صعودًا في طريق كليركينويل.

سألت روبن، وهي تهرول لتلحق به:

– "لماذا نذهب من هذا الطريق؟"

قال سترايك، متوقفًا مرة أخرى ومشيرًا إلى نافذة علوية في المبنى المقابل، الذي بدا وكأنه مستودع قرميد قديم:

– "لأنه، في وقت ما بعد الساعة السادسة مساء ذلك اليوم، أقسمت تلميذة تبلغ من العمر أربعة عشر عامًا تدعى أماندا وايت أنها رأت مارغو في النافذة العلوية، الثانية من اليمين، تضرب بقبضتيها على الزجاج."

قالت روبن:

– "لم أرَ ذكرًا لذلك على الإنترنت!"

– "لسبب وجيه، وهو أن الشرطة خلصت إلى أن الأمر لا أساس له من الصحة.

"تالبوت، كما هو واضح من ملاحظاته، تجاهل وايت لأن قصتها لم يكن من الممكن توفيقها مع نظريته القائلة بأن كريد اختطف مارغو. لكن لوسون عاد إلى أماندا عندما تولى القضية، وسار معها بالفعل على طول هذا الامتداد من الطريق.

"كانت رواية أماندا تحتوي على بضعة أمور تدعمها. فمن ناحية، أخبرت الشرطة دون تلقين أن هذا حدث في المساء التالي للانتخابات العامة، وهو ما تذكرته لأنها تشاجرت مع صديقة مدرسة من مؤيدي حزب المحافظين. تم احتجاز الاثنتين بعد المدرسة كعقاب. ثم ذهبتا لتناول القهوة معًا، حيث استشاطت الصديقة غضبًا عندما قالت ماندي إنه من الجيد أن ويلسون فاز، ورفضت العودة معها إلى المنزل سيرًا.

"قالت أماندا إنها كانت لا تزال غاضبة من صديقتها التي تعكر مزاجها حين نظرت لأعلى ورأت امرأة تقرع الزجاج بقبضتيها. الوصف الذي قدمته كان جيدًا، رغم أنه بحلول ذلك الوقت، كان وصف كامل لمظهر مارغو وملابسها قد نُشر في الصحافة.

"اتصل لوسون بصاحب العمل الذي كان يعمل في الطابق العلوي. كانت شركة تصميم ورقي يديرها زوج وزوجة. كانوا ينتجون كميات صغيرة من الكتيبات والملصقات والدعوات، وهذا النوع من الأشياء. لا علاقة لهم بمارغو. لم يكن أي منهما مسجلاً في عيادة سانت جون، لأنهما كانا يعيشان خارج المنطقة. قالت الزوجة إنها كانت تضطر أحيانًا لضرب إطار النافذة لجعله ينغلق. ومع ذلك، لم تكن الزوجة تشبه مارغو بأي شكل، إذ كانت قصيرة وبدينة وذات شعر أحمر."

قالت روبن، وهي تنظر من النافذة العلوية إلى الباب الأمامي:

– "ومن المؤكد أن شخصًا ما كان سيلاحظ مارغو في طريقها إلى الطابق الثالث؟"

تراجعت عن حافة الرصيف: كانت السيارات ترش الماء من البرك في المزراب.

– "كانت ستصعد الدرج أو تستخدم المصعد، وربما رنت جرس الباب للدخول."

وافقها سترايك:

– "قد تظنين ذلك. خلص لوسون إلى أن أماندا ارتكبت خطأً بريئًا وظنت أن زوجة صاحب المطبعة هي مارغو."

عادوا إلى النقطة التي انحرفوا فيها عما اعتبرته روبن "طريق مارغو". توقف سترايك مرة أخرى، مشيرًا إلى الطريق الجانبي الكئيب المسمى "ألبيمارل واي".

– "الآن، تجاهلي كشك الهاتف، لكن لاحظي أن ألبيمارل واي هو أول شارع جانبي منذ زقاق باسينغ آلي أعتقد أنها كان من الممكن أن تدخله بشكل معقول – طوعًا أو كرهًا – دون أن يراها بالضرورة خمسون شخصًا أو نحو ذلك. أكثر هدوءًا، كما ترين – لكن ليس بذلك الهدوء."

اعترف سترايك وهو ينظر نحو نهاية ألبيمارل واي، حيث كانت حركة المرور تمر بمعدل ثابت. كان ألبيمارل واي أضيق من سانت جون لين، لكنه يماثله في كونه محاطًا بمبانٍ شاهقة في خطوط متصلة، مما يبقيه في الظل بشكل دائم.

قال سترايك:

– "لا يزال خطرًا على أي خاطف، لكن إذا كان دينيس كريد يتربص في مكان ما بشاحنته، منتظرًا امرأة وحيدة – أي امرأة – لتمر في المطر، فهذا هو المكان الذي يمكنني تخيل حدوث الأمر فيه."

كان في هذه اللحظة، بينما كانت نسمة باردة تصفر في ألبيمارل واي، أن التقط سترايك نفحة مما ظن أنها رائحة زنابق "ستارغيزر" المحتضرة، لكنه أدرك الآن أنها قادمة من روبن نفسها. لم يكن العطر هو نفسه تمامًا الذي كانت تضعه لوريلاي؛ كان عطر صديقته السابقة يحتوي على رائحة كحولية غريبة، مع لمسات من الروم (وقد أحبه عندما كانت الرائحة مرافقة لمودة سهلة وجنس خيالي؛ ولاحقًا فقط أصبح يربطها بالعدوانية السلبية، واغتيال الشخصية، والتوسلات من أجل حب لم يستطع الشعور به). ومع ذلك، كانت هذه الرائحة تشبه رائحة لوريلاي بقوة؛ وجدها خانقة ومثيرة للغثيان.

بالطبع، سيقول الكثيرون إنه من الترف أن يكون لديه آراء حول روائح النساء، نظرًا لأن رائحته المميزة كانت رائحة منفضة سجائر قديمة، مغطاة برشة من

عطر "بور أون أوم" في المناسبات الخاصة. ومع ذلك، وبحكم قضائه جزءًا كبيرًا من طفولته في ظروف بائسة، وجد سترايك النظافة سمة ضرورية في أي شخص قد ينجذب إليه. لقد أحب عطر روبن السابق، الذي افتقده عندما لم تكن في المكتب.

قال: "من هذا الطريق"، وتقدما عبر المطر إلى ساحة مشاة غير منتظمة الشكل. بعد بضع ثوانٍ، أدرك سترايك فجأة أنه ترك روبن خلفه، وعاد عدة خطوات لينضم إليها أمام كنيسة "دير القديس يوحنا"، وهو مبنى متناسق بشكل مبهج من الطوب الأحمر، بنوافذ طويلة وعمودين من الحجر الأبيض يحيطان بالمدخل.

سألها وهو يشعل سيجارة أخرى بينما كان المطر ينهمر عليه:

– "تفكرين في أنها ترقد في مكان مقدس؟"

نفث الدخان، وهو يحمل السيجارة مكورة في يده لمنع انطفائها.

قالت روبن، بلهجة دفاعية قليلاً، ثم استدركت:

– "لا... نعم، حسنًا، ربما قليلاً. انظر إلى هذا..."

تبعها سترايك عبر البوابات المفتوحة إلى حديقة تذكارية صغيرة، مفتوحة للجمهور ومليئة (كما قرأت روبن من لافتة صغيرة على الجدار الداخلي) بالأعشاب الطبية، بما في ذلك العديد مما كان يستخدم في العصور الوسطى في مستشفيات تنظيم القديس يوحنا. كان تمثال أبيض للمسيح معلقًا على الجدار الخلفي، محاطًا بشعارات الإنجيليين الأربعة: الثور، والأسد، والنسر، والملاك. تمايلت السعف والأوراق بلطف تحت المطر. وبينما كانت عينا روبن تمسحان الحديقة الصغيرة المسورة، قال سترايك الذي تبعها:

– "أعتقد أنه يمكننا الاتفاق على أنه إذا دفنها شخص ما هنا، لكان أحد رجال الدين قد لاحظ التربة المضطربة."

قالت روبن:

– "أعلم. أنا فقط أنظر."

وعند عودتهما إلى الشارع، أضافت:

– "هناك صلبان مالطية في كل مكان، انظر. كانت موجودة على ذلك الممر المقوس الذي مررنا عبره للتو أيضًا."

– "إنه صليب فرسان الإسبتارية. فرسان القديس يوحنا. ومن هنا جاءت أسماء الشوارع وشعار إسعاف القديس يوحنا؛ لديهم مقرهم الرئيسي الخلفي في سانت جون لين. إذا كانت تلك الوسيطة الروحية قد بحثت في غوغل عن المنطقة التي اختفت فيها مارغو، فلا يمكن أن يكون قد فاتها ارتباطات كليركينويل بتنظيم القديس يوحنا. أراهن أن هذا هو المكان الذي استوحت منه فكرة حشو كلامها بعبارة «مكان مقدس». لكن ضعي ذلك في اعتبارك، لأن الصليب سيظهر مرة أخرى بمجرد وصولنا إلى الحانة."

قالت روبن وهي تلتفت لتنظر خلفها إلى الدير:

– "أتعلم، بيتر توبين، ذلك القاتل المتسلسل الاسكتلندي – كان يلتصق بالكنائس. انضم إلى طائفة دينية في مرحلة ما، تحت اسم مستعار. ثم حصل على وظيفة كعامل صيانة في كنيسة بلاسكو، حيث دفن تلك الفتاة المسكينة تحت ألواح الأرضية."

قال سترايك:

– "الكنائس غطاء جيد للقتلة. وللمعتدين الجنسيين أيضًا."

قالت روبن بتفكير:

– "الكهنة والأطباء. من المغروس في فطرة معظمنا أن نثق بهم، ألا تعتقد ذلك؟"

– "بعد فضائح الكنيسة الكاثوليكية العديدة؟ بعد هارولد شيبمان؟"

– "نعم، أعتقد ذلك. ألا تظن أننا نميل لإضفاء صلاح غير مستحق على فئات معينة من الناس؟ أفترض أننا جميعًا لدينا حاجة للوثوق بأشخاص يبدو أن لديهم سلطة على الحياة والموت."

قال سترايك بينما كانا يدخلان ممر مشاة قصيرًا يسمى "ممر القدس":

– "أعتقد أنكِ وضعتِ يدكِ على شيء مهم هنا. أخبرت غوبتا أنه كان من الغريب أن جوزيف برينر لم يكن يحب الناس. اعتقدت أن ذلك قد يكون متطلبًا وظيفيًا أساسيًا للطبيب. سرعان ما صحح لي المفهوم.

"دعينا نتوقف هنا لحظة." فعل سترايك ذلك، ثم تابع: "إذا كانت مارغو قد وصلت إلى هذا الحد – وأنا أفترض أنها كانت ستسلك هذا الطريق، لأنه الأقصر والأكثر منطقية إلى الملوك الثلاثة – فهذه هي المرة الأولى التي كانت ستمر فيها بمساكن بدلاً من مكاتب أو مبانٍ عامة."

نظرت روبن إلى المباني حولهما. وبالفعل، كان هناك بابان تشير الأجراس المتعددة عليهما إلى وجود شقق بالأعلى.

قال سترايك:

– "هل هناك فرصة، مهما كانت بعيدة، أن يكون شخص ما يعيش على طول هذا الممر قد أقنعها أو أجبرها على الدخول؟"

نظرت روبن صعودًا ونزولاً في الشارع، والمطر يطقطق على مظلتها.

قالت ببطء:

– "حسنًا، من الواضح أنه كان يمكن أن يحدث، لكنه يبدو غير مرجح. هل استيقظ شخص ما في ذلك اليوم وقرر أنه يريد خطف امرأة، فمد يده للخارج وأمسك بواحدة؟"

– "ألم أعلمك شيئًا؟"

– "حسنًا، فهمت: الوسيلة قبل الدافع. لكن هناك مشاكل في الوسيلة أيضًا. هذا المكان مكشوف للغاية أيضًا. ألا يرى أحد أو يسمع أحد وهي تُخطف؟ ألا تصرخ أو تقاوم؟ وأنا أفترض أن الخاطف يعيش بمفرده، ما لم يكن رفاقه في السكن مشاركين أيضًا في الاختطاف؟"

اعترف سترايك:

– "كلها نقاط وجيهة. بالإضافة إلى ذلك، قامت الشرطة بزيارة منزل تلو الآخر هنا. تم استجواب الجميع، رغم أن الشقق لم تُفتش.

"لكن دعينا نفكر في الأمر... إنها طبيبة. ماذا لو اندفع شخص ما من منزل وتوسل إليها للدخول للنظر في شخص مصاب – قريب مريض – وبمجرد دخولها، لا يتركونها تذهب؟ ستكون هذه حيلة جيدة لإدخالها، التظاهر بوجود حالة طوارئ طبية."

– "حسنًا، لكن هذا يفترض مسبقًا أنهم عرفوا أنها طبيبة."

– "الخاطف كان يمكن أن يكون مريضًا."

– "ولكن كيف عرفوا أنها ستمر بمنزلهم في ذلك الوقت المحدد؟ هل نبهت الحي بأكمله بأنها على وشك الذهاب إلى الحانة؟"

– "ربما كان أمرًا عشوائيًا، رأوها تمر، عرفوا أنها طبيبة، ركضوا للخارج وأمسكوا بها. أو – لا أدري، لنقل إنه كان هناك حقًا شخص مريض أو يحتضر بالداخل، أو شخص تعرض لحادث – ربما يحدث جدال – تختلف مع العلاج أو ترفض المساعدة – يتحول الشجار إلى جسدي – وتُقتل بالخطأ."

ساد صمت قصير، بينما تنحيا جانبًا لمجموعة من الطلاب الفرنسيين الثرثارين. عندما مر هؤلاء، قال سترايك:

– "إنه احتمال بعيد، أتفق معك."

قالت روبن:

– "يمكننا معرفة كم من هذه المباني يشغلها نفس الأشخاص الذين كانوا هنا قبل تسعة وثلاثين عامًا، لكن لا تزال لدينا مشكلة كيف أبقوا جثتها مخفية لما يقرب من أربعة عقود. لن يجرؤ المرء على الانتقال، أليس كذلك؟"

اعترف سترايك:

– "تلك مشكلة، حقًا. كما قال غوبتا، الأمر ليس مثل التخلص من طاولة بنفس الوزن. الدماء، التحلل، الحشرات... الكثيرون حاولوا الاحتفاظ بالجثث في المباني. كريبن. كريستي. فريد وروز ويست. يُعتبر الأمر عمومًا خطأً."

قالت روبن:

– "كريد نجح في ذلك لفترة. غلي الأيدي المقطوعة في القبو. دفن الرؤوس منفصلة عن الأجساد. لم تكن الجثث هي ما أدى للقبض عليه."

سألها سترايك بحدة:

– "هل تقرئين «شيطان باراديس بارك»؟"

قالت روبن:

– "نعم."

– "هل تريدين تلك الأشياء في رأسك؟"

– "إذا كانت تساعدنا في القضية."

– "همم. أفكر فقط في مسؤولياتي تجاه الصحة والسلامة."

لم تقل روبن شيئًا. ألقى سترايك نظرة شاملة أخيرة على المنازل، ثم دعا روبن لمواصلة المشي، قائلاً:

– "أنتِ محقة، لا أستطيع تصور ذلك. المجمدات تُفتح، رجال الغاز يزورون ويلاحظون رائحة، الجيران يلاحظون انسداد المصارف. لكن من أجل الدقة التامة، يجب أن نتحقق ممن كان يعيش هنا في ذلك الوقت."

خرجوا الآن إلى الطريق الأكثر ازدحامًا الذي رأوه حتى الآن. كان شارع "آيلزبري" طريقًا واسعًا، تصطف على جانبيه المزيد من كتل المكاتب والشقق.

قال سترايك، متوقفًا مرة أخرى على الرصيف:

– "إذن، إذا كانت مارغو لا تزال تمشي إلى الحانة، فستكون قد عبرت هنا وانعطفت يسارًا، إلى «كليركينويل غرين». لكننا نتوقف لنلاحظ أنه كان هناك"، أشار سترايك إلى حوالي خمسين ياردة إلى اليمين، "حيث كادت شاحنة بيضاء صغيرة أن تدهس امرأتين بينما كانت تسرع مبتعدة عن كليركينويل غرين في ذلك المساء. شهد الحادث أربعة أو خمسة مارة. لم يحصل أحد على رقم التسجيل –"

قالت روبن:

– "لكن كريد كان يضع لوحات ترخيص مزيفة على شاحنة التوصيل التي كان يستخدمها، لذا قد لا يساعد ذلك على أي حال."

– "صحيح. الشاحنة التي رآها الشهود في الحادي عشر من أكتوبر 1974 كان عليها تصميم على الجانب. لم يتفق المتفرجون جميعًا على ماهيته، لكن اثنين منهم اعتقدا أنها زهرة كبيرة."

أضافت روبن:

– "ونعلم أيضًا أن كريد كان يستخدم طلاءً قابلاً للإزالة على الشاحنة لتغيير مظهرها."

– "صحيح مرة أخرى. لذا، ظاهريًا، يبدو هذا أول تلميح حقيقي لنا بأن كريد ربما كان في المنطقة. تالبوت، بالطبع، أراد تصديق ذلك، لذا لم يكن مهتمًا برأي أحد الشهود بأن الشاحنة تنتمي بالفعل لبائع زهور محلي. ومع ذلك، ذهب ضابط مبتدئ، يفترض أنه أحد أولئك الذين أدركوا أن محققهم الرئيسي كان يفقد عقله بهدوء، واستجوب بائع الزهور، رجل يدعى ألبرت شيمينغز، الذي أنكر تمامًا قيادة شاحنة مسرعة في هذه المنطقة في تلك الليلة. ادعى أنه كان يوصل ابنه الصغير فيها، على بعد أميال."

قالت روبن:

– "وهو ما لا يعني بالضرورة أنه لم يكن شيمينغز. ربما كان قلقًا من اتهامه بالقيادة المتهورة. لا كاميرات مراقبة... لا شيء لإثبات الأمر بطريقة أو بأخرى."

قال سترايك:

– "هذا ما أفكر فيه بالضبط. إذا كان شيمينغز لا يزال حيًا، أعتقد أننا يجب أن نتحقق من قصته. ربما يقرر أن الأمر يستحق قول الحقيقة الآن حيث لا يمكن توجيه تهمة السرعة له. في غضون ذلك، تظل مسألة الشاحنة معلقة وعلينا أن نعترف بأن أحد التفسيرات المحتملة هو أن كريد كان يقودها."

سألت روبن:

– "لكن أين اختطف مارغو، إذا كان كريد في الشاحنة؟ لا يمكن أن يكون ذلك في ألبيمارل واي، لأن هذه ليست الطريقة التي كان سيغادر بها المنطقة."

– "صحيح. لو أمسك بها في ألبيمارل واي، لكان قد انضم إلى شارع آيلزبري في نقطة أبعد بكثير ولما جاء بالتأكيد عبر كليركينويل غرين – وهو ما يقودنا بدقة إلى «المرأتين المتصارعتين بجوار كبائن الهاتف»."

تقدما عبر الرذاذ إلى "كليركينويل غرين"، وهي ساحة مستطيلة واسعة تتباهى بالأشجار وحانة ومقهى. كانت هناك كبينتا هاتف تقفان في المنتصف، بالقرب من السيارات المتوقفة وموقف للدراجات.

قال سترايك، وهو يتوقف بين كبائن الهاتف:

– "هنا، حيث بدأ جنون تالبوت يعبث بالقضية حقًا. امرأة تدعى روبي إليوت، لم تكن على دراية بالمنطقة، لكنها كانت تحاول العثور على منزل ابنتها وصهرها الجديد في «هايواردز بليس»، كانت تقود سيارتها في دوائر تحت المطر، تائهة.

"مرت بهذه الكبائن ولاحظت امرأتين تتصارعان معًا، بدت إحداهما، حسب تعبيرها، «مترنحة». ليس لديها ذاكرة واضحة بشكل خاص عنهما – تذكري، المطر ينهمر وهي تحاول بقلق رصد لافتات الشوارع وأرقام المنازل، لأنها تائهة. كل ما استطاعت قوله للشرطة هو أن إحداهما كانت ترتدي وشاحًا للرأس والأخرى معطفًا واقيًا من المطر.

"في اليوم التالي لظهور هذا التفصيل في الصحيفة، تقدمت امرأة في منتصف العمر مشهود لها بحسن السيرة لتقول إن زوج النساء الذي رأته روبي إليوت كان بالتأكيد هي ووالدتها المسنة. أخبرت تالبوت أنها كانت تمشي مع العجوز عبر كليركينويل غرين في تلك الليلة، لتعيدها للمنزل بعد نزهة قصيرة. كانت الأم، العاجزة والخرفة، ترتدي قبعة مطر، وكانت هي نفسها ترتدي معطفًا واقيًا مشابهًا لمعطف مارغو. لم يكن لديهما مظلات، لذا كانت تحاول استعجال والدتها. لم تتقبل السيدة العجوز الاستعجال وحدثت مشادة طفيفة هنا، بجوار كبائن الهاتف مباشرة. لدي صورة للاثنتين بالمناسبة: حصلت الصحافة عليها – تحت عنوان «دحض المشاهدة».

"لكن تالبوت لم يقتنع. رفض تمامًا قبول أن المرأتين لم تكونا مارغو ورجلاً يرتدي زي امرأة. الطريقة التي يرى بها الأمر: التقت مارغو وكريد هنا بجوار كبائن الهاتف، صارعها كريد لإدخالها شاحنته، التي يفترض أنها كانت متوقفة هناك –"

أشار سترايك إلى الصف القصير من السيارات المتوقفة بالجوار، "– ثم انطلق كريد بسرعة، وهي تصرخ وتضرب على جوانب الشاحنة، مغادرًا عبر شارع آيلزبري."

قالت روبن:

– "لكن تالبوت اعتقد أن ثيو كان كريد. لماذا يأتي كريد إلى عيادة مارغو مرتديًا زي امرأة، ثم يخرج، تاركًا إياها دون أذى، ويمشي إلى كليركينويل غرين ويمسك بها هنا، في وسط أكثر الأماكن العامة والمكشوفة التي رأيناها؟"

– "لا جدوى من محاولة فهم الأمر، لأنه لا يوجد منطق فيه. عندما تولى لوسون القضية، عاد إلى فيونا فلوري، وهو اسم المرأة المحترمة في منتصف العمر، واستجوبها مرة أخرى وخرج مقتنعًا تمامًا بأنها ووالدتها هما المرأتان اللتان رأتهما روبي إليوت. مرة أخرى، كانت الانتخابات العامة مفيدة، لأن فيونا فلوري تذكرت أنها كانت متعبة وغير صبورة بشكل خاص مع والدتها صعبة المراس، لأنها سهرت في الليلة السابقة تشاهد تغطية الانتخابات. خلص لوسون – وأنا أميل للاتفاق معه – إلى أن مسألة المرأتين المتصارعتين قد حُسمت."

ازدادت كثافة الرذاذ: كانت قطرات المطر تقرع مظلة روبن وتجعل حواف بنطالها مبللة تمامًا. انعطفوا الآن صعودًا في "كليركينويل كلوز"، وهو شارع منحنٍ يرتفع نحو كنيسة كبيرة ومثيرة للإعجاب ذات برج مدبب عالٍ، تقع على أرض مرتفعة.

قالت روبن:

– "لا يمكن أن تكون مارغو قد وصلت إلى هذا الحد."

قال سترايك، ولدهشتها توقف مرة أخرى، ناظرًا أمامه إلى الكنيسة:

– "أنتِ تقولين ذلك، لكننا الآن نصل إلى آخر مشاهدة مزعومة.

"عامل صيانة بالكنيسة – نعم، أعرف،" أضاف ردًا على نظرة روبن المذهولة، "يدعى ويلي لوماكس، يدعي أنه رأى امرأة ترتدي معطف مطر من بربري تصعد الدرج إلى كنيسة «سانت جيمس-أون-ذا-غرين» في ذلك المساء، في الوقت الذي كان ينبغي أن تصل فيه مارغو إلى الحانة. رآها من الخلف. كانت هذه أيامًا، بالطبع، لم تكن فيها الكنائس مغلقة طوال الوقت.

"تجاهل تالبوت، بالطبع، شهادة لوماكس، لأنه إذا كانت مارغو على قيد الحياة وتدخل الكنائس، فلا يمكن أن تكون مسرعة بعيدًا في شاحنة سفاح إسيكس. لوسون لم يستطع الاستفادة كثيرًا من شهادة لوماكس. الرجل تمسك بقصته: رأى امرأة تطابق وصف مارغو تدخل، لكن كونه رجلاً محدود الفضول، لم يتبعها، ولم يسألها عما تفعله، ولم يراقب ليرى ما إذا كانت قد خرجت من الكنيسة مرة أخرى أم لا.

"والآن،" قال سترايك، "لقد استحقنا كأسًا من الجعة."

14

حيثُ نُقش برموزٍ غابرة...
إدموند سبنسر .ملكة الجن

على الجانب المقابل للكنيسة، تدلت لافتة حانة «الملوك الثلاثة». كان الجدار الخارجي للحانة، المقوس والمغطى بالقرميد، يعكس انحناء الطريق.

بينما كانت تتبع سترايك إلى الداخل، اجتاح روبن شعور غريب بأنها تعود بالزمن إلى الوراء. كانت معظم الجدران مغطاة بأوراق صحف موسيقية قديمة تعود لسبعينيات القرن الماضي: خليط من المراجعات الفنية، وإعلانات لأجهزة ستيريو قديمة، وصور لنجوم البوب والروك. تدلت زينة "الهالوين" فوق البار، حيث كان بوي وبوب مارلي يطلان من إطارات الصور، بينما بادلهم بوب ديلان وجيمي هندريكس النظرات من الجدار المقابل.

عندما جلست روبن على طاولة فارغة لشخصين وتوجه سترايك إلى البار، لمحت صورة صحفية لـ جوني روكبي ببنطال جلدي ضيق ضمن مجموعة الصور الملصقة حول المرآة. بدت الحانة وكأنها لم تتغير منذ سنوات عديدة؛ ربما كانت تمتلك نفس النوافذ ذات الزجاج المصنفر، وتلك الطاولات الخشبية غير المتطابقة، وألواح الأرضية العارية، ومصابيح الحائط الزجاجية المستديرة، والشموع المغروسة في الزجاجات، حين كانت صديقة مارغو تجلس بانتظارها عام 1974.

لأول مرة، وبينما تتجول عيناها في أرجاء هذه الحانة الغريبة ذات الطابع المميز، وجدت روبن نفسها تتساءل عن طبيعة مارغو بامبورو الحقيقية. كان من الغريب كيف تحدد وظائف الناس هويتهم في الخيال. كلمة "طبيبة" بدت، من

نواحٍ عديدة، وكأنها هوية مكتملة. وبينما كانت تنتظر رفيقها لشراء المشروبات، وعيناها تنتقلان من الجماجم المعلقة في البار إلى صور نجوم الروك الراحلين، استوقفت روبن فكرة غريبة عن "ميلاد معكوس". فبينما ارتحل المجوس الثلاثة (الملوك الثلاثة) نحو ميلاد، انطلقت مارغو قاصدة "الملوك الثلاثة"، وللأسف – كما خشت روبن – لاقت الموت في طريقها.

وضع سترايك كأس نبيذ روبن أمامها، وأخذ رشفة مشبعة من جعة "ساسكس بيست"، وجلس ثم مد يده داخل معطفه وأخرج لفافة من الأوراق. لاحظت روبن تقارير صحفية مصورة بين الصفحات المكتوبة والمخطوطة باليد.

قالت:

– "لقد ذهبتَ إلى المكتبة البريطانية."

– "كنت هناك طوال يوم أمس."

أخذ أول ورقة مصورة وعرضها على روبن. كانت تظهر قصاصة صغيرة من صحيفة «الديلي ميل»، تضم صورة لـ فيونا فلوري ووالدتها المسنة تحت عنوان: *مشاهدة سفاح إسيكس «كانت نحن في الحقيقة»*. لم يكن من السهل الخلط بين أي من المرأتين ومارغو بامبورو: كانت فيونا امرأة طويلة وعريضة بوجه بشوش وبلا خصر؛ أما والدتها فكانت منكمشة من الشيخوخة ومحدبة الظهر.

قال سترايك:

– "هذا هو أول تلميح إلى أن الصحافة كانت تفقد الثقة في بيل تالبوت. بعد بضعة أسابيع من ظهور هذا، كانوا يطالبون بدمه، وهو ما لم يساعد صحته العقلية على الأرجح... على أية حال."

وضع يده الكبيرة ذات الشعر الكثيف على ظهر بقية الأوراق المصورة.

– "دعينا نعد إلى الحقيقة الواحدة التي لا تقبل الجدل لدينا، وهي أن مارغو بامبورو كانت لا تزال على قيد الحياة وداخل العيادة في السادسة إلا ربعًا في تلك الليلة."

قالت روبن:

– "تعني السادسة والربع."

– "لا، لا أعني ذلك. تسلسل المغادرين كالتالي: الخامسة وعشر دقائق، دوروثي. الخامسة والنصف، دينيش غوبتا، الذي لمح مارغو داخل غرفة استشارتها قبل أن يغادر، ومر بـ غلوريا وثيو أثناء خروجه.

"تذهب غلوريا لتسأل برينر عما إذا كان سيستقبل ثيو. يرفض. تخرج مارغو من غرفة استشارتها ويخرج آخر مرضاها المجدولين، أم وطفل، في نفس الوقت ويغادرون، مارين أيضًا بثيو في غرفة الانتظار. تخبر مارغو غلوريا أنها سعيدة برؤية ثيو. يقول برينر «هذا لطف منك» ويغادر، في السادسة إلا ربعًا.

"من تلك اللحظة فصاعدًا، ليس لدينا سوى كلمة غلوريا غير المؤكدة عن أي شيء حدث. إنها الشخص الوحيد الذي يزعم أن ثيو ومارغو غادرتا العيادة أحياء."

توقفت روبن وهي تهم بأخذ رشفة من النبيذ.

– "مهلاً. أنت لا تقترح أنهما لم تغادرا قط؟ وأن مارغو لا تزال هناك، مدفونة تحت ألواح الأرضية؟"

قال سترايك:

– "لا، لأن الكلاب البوليسية جابت المبنى بالكامل، وكذلك الحديقة خلفه. لكن ما رأيك في هذه النظرية؟ السبب الذي جعل غلوريا تصر بشدة على أن ثيو كانت امرأة، وليست رجلاً، هو أنه كان شريكها في قتل أو اختطاف مارغو."

– "ألم يكن من الأجدر كتابة اسم فتاة بدلاً من «ثيو» إذا أرادت إخفاء هوية رجل؟ ولماذا تسأل الدكتور برينر إن كان بإمكانه رؤية ثيو، إذا كانت هي وثيو يخططان لقتل مارغو؟"

اعترف سترايك:

– "نقطتان وجيهتان. لكن ربما كانت تعلم جيدًا أن برينر سيرفض، لأنه كان عجوزًا سليط اللسان، وكانت تحاول جعل الأمر يبدو طبيعيًا لمارغو. جاريني للحظة.

"الأجساد الهامدة ثقيلة، وصعبة التحريك ويصعب إخفاؤها. والمرأة الحية التي تقاوم أصعب بكثير. لقد رأيت صورًا صحفية لغلوريا وكانت ما تسميه عمتي «عود خيزران»، بينما كانت مارغو امرأة طويلة. أشك أن غلوريا كان بإمكانها قتل مارغو دون مساعدة، وبالتأكيد لم تكن لتستطيع حملها."

– "ألم يقل الدكتور غوبتا إن مارغو وغلوريا كانتا مقربتين؟"

– "الوسيلة قبل الدافع. القرب قد يكون مجرد واجهة. ربما لم يعجب غلوريا محاولات «تحسينها» في نهاية المطاف، ومثلت دور التلميذة الممتنة فقط لتهدئة شكوك مارغو.

"سواء كان الأمر كذلك أم لا، آخر مرة توفر فيها شهود متعددون على مكان وجود مارغو كانت قبل نصف ساعة من الموعد المفترض لمغادرتها المبنى. بعد ذلك، ليس لدينا سوى كلمة غلوريا عما حدث."

قالت روبن:

– "حسنًا، قُبل الاعتراض."

قال سترايك، وهو يرفع يده عن كومة الأوراق:

– "إذن، بعد أن سلمتِ لي بذلك، انسي للحظة أي مشاهدات مزعومة لها عند النوافذ أو وهي تدخل الكنائس. انسي الشاحنة المسرعة. من الوارد تمامًا ألا يكون لأي من ذلك علاقة بمارغو.

"عودي للشيء الوحيد الذي نعرفه بيقين: مارغو بامبورو كانت لا تزال حية في السادسة إلا ربعًا.

"الآن نلتفت إلى ثلاثة رجال اعتبرتهم الشرطة مشتبهًا بهم معقولين في ذلك الوقت، ونسأل أنفسنا أين كانوا في السادسة إلا ربعًا يوم الحادي عشر من أكتوبر 1974.

"إليكِ هذا."

ناول روبن نسخة مصورة من قصة إخبارية في صحيفة شعبية بتاريخ 24 أكتوبر 1974.

– "هذا هو روي فيبس، المعروف أيضًا باسم زوج مارغو ووالد آنا."

أظهرت الصورة رجلاً وسيمًا يناهز الثلاثين، يشبه ابنته بشكل كبير. فكرت روبن أنها لو كانت تبحث عن ممثل لدور شاعر في فيلم رومانسي مبتذل، لكانت وضعت صورة روي فيبس على رأس القائمة. من هنا ورثت آنا وجهها الطويل الشاحب، وجبهتها العالية، وعينيها الواسعتين الجميلتين. كان فيبس يترك شعره

الداكن ينسدل حتى ياقة سترته الطويلة في عام 1974، وكان يحدق من هذه الصحيفة القديمة بنظرة معذبة، مواجهًا الكاميرا، ورافعًا بصره عن البطاقة التي في يده. كان التعليق يقول: *الدكتور روي فيبس، يناشد الجمهور المساعدة.*

قال سترايك، وهو يضع قصة إخبارية ثانية فوق الأولى بالفعل:

– "لا تكلفي نفسك عناء قراءتها. لا يوجد فيها شيء لا تعرفينه، لكن هذه القصة ستعطيك بضع معلومات جديدة."

انحنت روبن بطاعة فوق القصة الإخبارية الثانية، التي صور سترايك نصفها فقط.

... زوجها، الدكتور روي فيبس، الذي يعاني من مرض فون ويلبراند، كان مريضًا في المنزل وملازمًا للفراش في منزل الزوجية في "هام" يوم 11 أكتوبر.

"بعد العديد من التقارير الصحفية غير الدقيقة وغير المسؤولة، نود أن نوضح بجلاء أننا مقتنعون بأن الدكتور روي فيبس لا علاقة له باختفاء زوجته"، صرح بذلك كبير المحققين بيل تالبوت، المحقق المسؤول عن القضية، للصحفيين. "لقد أكد أطباؤه أن المشي والقيادة كانا ليكون كلاهما فوق طاقة الدكتور فيبس في اليوم المعني، كما قدمت كل من مربية الدكتور فيبس وعاملة النظافة إفادات تحت القسم تؤكد أن الدكتور فيبس لم يغادر المنزل يوم اختفاء زوجته."

سألت روبن:

– "ما هو مرض فون ويلبراند؟"

– "اضطراب نزفي. لقد بحثت عنه. يجعل الدم لا يتخثر بشكل صحيح. غوبتا تذكر ذلك بشكل خاطئ؛ اعتقد أن روي مصاب بالهيموفيليا (الناعور).

"هناك ثلاثة أنواع من مرض فون ويلبراند. النوع الأول يعني فقط أنك ستستغرق وقتًا أطول من المعتاد ليتخثر دمك، لكن لا ينبغي أن يجعلك طريح الفراش، أو غير قادر على القيادة. أفترض أن روي فيبس مصاب بالنوع الثالث، الذي يمكن أن يكون بخطورة الهيموفيليا، وقد يلزمه الفراش لفترة. لكننا سنحتاج للتحقق من ذلك.

"على أية حال، هذه هي سجلات تالبوت لمقابلته مع روي فيبس."

قلب سترايك الصفحة التالية.

قالت روبن بصوت خافت:

– "يا إلهي."

كانت الصفحة مغطاة بكتابة صغيرة مائلة، لكن الميزة الأكثر وضوحًا في السجل كانت النجوم التي رسمها تالبوت في كل مكان عليها.

قال سترايك وهو يمرر سبابته على قائمة تواريخ كانت بالكاد ظاهرة وسط الخربشات:

– "أترين هناك؟ تلك هي تواريخ عمليات الاختطاف ومحاولات الاختطاف التي قام بها سفاح إسيكس.

"تالبوت فقد اهتمامه في منتصف القائمة، انظري. في السادس والعشرين من أغسطس 1971، وهو التاريخ الذي حاول فيه كريد اختطاف بيغي هيسكيت، تمكن روي من إثبات أنه ومارغو كانا في عطلة بفرنسا.

"لذا انتهى الأمر عند هذا الحد، بالنسبة لتالبوت. إذا لم يكن روي قد حاول اختطاف بيغي هيسكيت، فهو ليس سفاح إسيكس، وإذا لم يكن سفاح إسيكس، فلا يمكن أن يكون له علاقة باختفاء مارغو.

"لكن هناك شيئًا مضحكًا في أسفل قائمة تواريخ تالبوت. جميعها تشير إلى أنشطة كريد باستثناء الأخير. لقد وضع دائرة حول السابع والعشرين من ديسمبر، بدون سنة. لا فكرة لدي لماذا كان مهتمًا بالسابع والعشرين من ديسمبر."

– "أو، على الأرجح، لماذا تحول إلى فنسنت فان جوخ ورسم في كل مكان بتقريره؟"

– "النجوم؟ نعم، إنها سمة في جميع ملاحظات تالبوت. غريب جدًا. الآن، دعينا نرَ كيف يجب أن تؤخذ الإفادة."

قلب الصفحة وكانت هناك إفادة مطبوعة بدقة، بمسافات مزدوجة، طولها أربع صفحات، أخذها المحقق لوسون من روي فيبس، وتم توقيعها حسب الأصول في الصفحة الأخيرة من قبل أخصائي أمراض الدم.

قال سترايك:

– "لستِ بحاجة لقراءة الأمر برمته الآن. الخلاصة هي أنه تمسك بأنه كان طريح الفراش طوال اليوم، كما ستشهد عاملة النظافة والمربية.

"لكن نذهب الآن إلى ويلما بايليس، عاملة نظافة آل فيبس. تصادف أنها كانت أيضًا عاملة نظافة عيادة سانت جون. بقية العيادة لم يكونوا يعلمون في ذلك الوقت أنها كانت تقوم ببعض العمل الخاص لمارغو وروي. أخبرني غوبتا أنه اعتقد أن مارغو ربما كانت تشجع ويلما على ترك زوجها، وإعطاؤها القليل من العمل الإضافي ربما كان جزءًا من تلك الخطة."

– "لماذا أرادت ويلما أن تترك زوجها؟"

قال سترايك:

– "أنا سعيد لأنكِ سألتِ"، وقلب ورقة أخرى ليظهر قصاصة إخبارية صغيرة مصورة، مؤرخة بخط يد سترايك الشائك وصعب القراءة: 6 نوفمبر 1972.

سجن مغتصب

حُكم اليوم على جول بايليس، 36 عامًا، من ليذر لين، كليركينويل، في محكمة لندن الداخلية بالسجن لمدة 5 سنوات بتهمتي اغتصاب. بايليس، الذي سبق أن قضى عامين في بريكستون بتهمة الاعتداء المشدد، دفع ببراءته.

قالت روبن:

– "آه. فهمت."

أخذت جرعة أخرى من النبيذ.

أضافت، وإن لم يبدُ عليها التسلية:

– "المضحك في الأمر أن كريد حصل على خمس سنوات لاغتصابه الثاني أيضًا. بعد أن أطلقوا سراحه، بدأ في قتل النساء بالإضافة لاغتصابهن."

قال سترايك:

– "أجل. أعلم."

للمرة الثانية، فكر في التشكيك في جدوى قراءة روبن لكتاب *شيطان باراديس بارك*، لكنه قرر العدول عن ذلك.

– "لم أتمكن بعد من معرفة ما حل بـ جول بايليس، وملاحظات الشرطة بشأنه غير مكتملة، لذا لا يمكنني التأكد مما إذا كان لا يزال في السجن عندما اختُطفت مارغو.

"ما يهمنا هو أن ويلما روت قصة مختلفة للوسون عن تلك التي روتها لتالبوت – رغم أن ويلما ادعت أنها أخبرت تالبوت بالحقيقة، وأنه لم يسجلها، وهو أمر محتمل، لأنه كما ترين، تدوين ملاحظاته يترك الكثير مما يُتمنى.

"على أية حال، أحد الأشياء التي أخبرت بها لوسون هو أنها مسحت دماء عن سجادة غرفة الضيوف في اليوم الذي اختفت فيه مارغو. والشيء الآخر هو أنها رأت روي يمشي عبر الحديقة في اليوم الذي كان من المفترض أن يكون فيه طريح الفراش. اعترفت للوسون أيضًا أنها لم ترَ روي في السرير فعليًا، لكنها سمعته يتحدث من غرفة النوم الرئيسية في ذلك اليوم."

– "هذه... تغييرات كبيرة جدًا في القصة."

– "حسنًا، كما أقول، كان موقف ويلما أنها لم تغير قصتها، ببساطة تالبوت لم يسجلها بشكل صحيح. لكن يبدو أن لوسون ضغط على ويلما بشدة بشأن ذلك، وأعاد استجواب روي بناءً على ما قالته أيضًا. ومع ذلك، كان لدى روي سينثيا المربية كحجة غياب، والتي كانت مستعدة للقسم على حقيقة أنه كان طريح الفراش طوال اليوم، لأنها كانت تحضر له أكواب الشاي بانتظام في غرفة النوم الرئيسية.

"أعلم،" قال ردًا على حواجب روبن المرفوعة. "يبدو أن لوسون كان لديه نفس النوع من العقلية الشكاكة مثلنا. استجوب فيبس حول الطبيعة الدقيقة لعلاقته بسينثيا، مما أدى إلى نوبة غضب من فيبس، الذي قال إنها تصغره باثني عشر عامًا وفوق ذلك هي ابنة عمه."

خطر ببال كل من سترايك وروبن في هذه النقطة أن هناك عشر سنوات تفصل بينهما في العمر. كلاهما كبت هذه الفكرة الدخيلة وغير ذات الصلة.

– "وفقًا لروي، فارق السن وصلة الدم كان ينبغي أن يشكلا حظرًا تامًا على العلاقة في أذهان كل الناس المحترمين. لكن كما نعلم، تمكن من التغلب على تلك الموانع بعد سبع سنوات.

"استجوب لوسون روي أيضًا حول حقيقة أن مارغو التقت بحبيب قديم لتناول مشروب قبل ثلاثة أسابيع من وفاتها. في عجلته لتبرئة روي، لم يولِ تالبوت اهتمامًا كبيرًا لرواية أونا كينيدي –"

قالت روبن:

– "الصديقة التي كان من المفترض أن تقابلها مارغو هنا؟"

– "بالضبط. أخبرت أونا كلاً من تالبوت ولوسون أنه عندما اكتشف روي أن مارغو ذهبت لتناول مشروب مع هذا الحبيب السابق، استشاط غضبًا، وأنه ومارغو لم يكونا يتحدثان مع بعضهما البعض عندما اختفت.

"وفقًا لملاحظات لوسون، لم يعجب روي إثارة أي من هذا –"

– "ليس مفاجئًا –"

– "– وأصبح عدوانيًا للغاية. ومع ذلك، بعد التحدث إلى أطباء روي، اقتنع لوسون بأن روي عانى بالفعل من نوبة نزيف خطيرة بعد سقوطه في موقف سيارات المستشفى، وأنه كان سيجد من المستحيل تقريبًا القيادة إلى كليركينويل في ذلك المساء، ناهيك عن قتل أو اختطاف زوجته."

اقترحت روبن:

– "كان يمكن أن يستأجر شخصًا ما."

– "فحصوا حساباته المصرفية ولم يتمكنوا من العثور على أي مدفوعات مشبوهة، لكن هذا لا يعني بوضوح أنه لم يجد طريقة. إنه أخصائي أمراض دم؛ لن ينقصه الذكاء."

أخذ سترايك رشفة إضافية من الجعة.

– "إذن هذا هو الزوج. الآن ننتقل للحبيب القديم."

قلب الصفحات الأربع لإفادة روي.

قالت روبن وهي تنظر إلى صورة صحفية أخرى:

– "يا إله السماء."

كان شعر الرجل الكثيف والمتموج يصل إلى ما بعد كتفيه. وقف، غير مبتسم، ويداه على وركيه النحيفين بجانب لوحة لما بدا أنه عاشقان يتلويان. كان قميصه مفتوحًا حتى سرته تقريبًا وجينزه ضيقًا كالجلد عند الفخذين وواسعًا للغاية عند الكاحل.

قال سترايك مبتسمًا لرد فعل روبن:

– "اعتقدت أن هذا سيعجبك. إنه بول ساتشويل، فنان – وإن لم يكن من النخبة، حسب ما يبدو. عندما وصلت إليه الصحافة، كان يصمم جدارية لملهى ليلي. إنه حبيب مارغو السابق."

تمتمت روبن:

– "لقد هبطت مكانتها عندي للتو."

– "لا تحكمي عليها بقسوة شديدة. قابلته عندما كانت فتاة ليل (باني غيرل)، لذا كانت في التاسعة عشرة أو العشرين فقط. كان يكبرها بست سنوات وربما بدا قمة الرقي."

– "بذلك القميص؟"

قال سترايك:

– "تلك صورة دعائية لمعرضه الفني. مكتوب ذلك في الأسفل. ربما لم يكن يظهر هذا القدر من شعر الصدر في الحياة اليومية. تحمست الصحافة جدًا لفكرة أن عاشقًا سابقًا قد يكون متورطًا، ولنواجه الأمر، رجل يبدو بهذا الشكل كان هدية للصحف الشعبية."

انتقل سترايك إلى مثال آخر على تدوين تالبوت الفوضوي للملاحظات، والذي كان مثل الأول مغطى بنجوم خماسية وعليه نفس قائمة التواريخ، مع شروحات مخربشة بجانبها.

– "كما ترين، لم يبدأ تالبوت بشيء عادي مثل «أين كنت في السادسة إلا ربعًا ليلة اختفاء مارغو؟» يذهب مباشرة إلى تواريخ سفاح إسيكس، وعندما أخبره ساتشويل أنه كان يحتفل بعيد ميلاد صديق الثلاثين في الحادي عشر من سبتمبر،

وهو وقت اختطاف سوزان ماير، توقف تالبوت أساسًا عن طرح الأسئلة عليه. لكن مرة أخرى، لدينا تاريخ غير متصل بكريد محاط بدائرة كثيفة في الأسفل، مع صليب ضخم بجانبه. السادس عشر من أبريل هذه المرة."

– "أين كان يعيش ساتشويل عندما اختفت مارغو؟"

قال سترايك وهو يقلب الصفحة ليكشف، مرة أخرى، عن إفادة تقليدية مطبوعة على الآلة الكاتبة:

– "في كامدن. ها هي، انظري، إنها في إفادته للوسون. ليست بعيدة جدًا عن كليركينويل.

" للوسون، أوضح ساتشويل أنه بعد انقطاع دام ثماني سنوات، التقى هو ومارغو بالصدفة في الشارع وقررا الذهاب لتناول مشروب لاستعادة الذكريات. كان منفتحًا تمامًا مع لوسون بشأن هذا، ربما لأنه كان يعلم أن أونا أو روي قد أخبروهم بذلك بالفعل. حتى أنه أخبر لوسون أنه كان حريصًا على استئناف علاقة غرامية مع مارغو، وهو ما يبدو مفيدًا أكثر من اللازم، رغم أنه ربما كان يهدف لإثبات أنه ليس لديه ما يخفيه. قال إنه ومارغو كانت لديهما علاقة متقلبة لبضع سنوات عندما كانت أصغر سنًا بكثير، وأن مارغو أنهتها أخيرًا وإلى الأبد عندما التقت بروي.

"تم التحقق من حجة غياب ساتشويل. أخبر لوسون أنه كان بمفرده في الاستوديو الخاص به، والذي كان أيضًا في كامدن، لمعظم فترة بعد الظهر في يوم اختفاء مارغو، لكنه تلقى مكالمة هاتفية هناك حوالي الساعة الخامسة. الخطوط الأرضية – التلاعب بها أصعب بكثير من الهواتف المحمولة عندما تحاول تلفيق حجة غياب. تناول ساتشويل الطعام في مقهى محلي، حيث كان معروفًا، في السادسة والنصف، وأكد الشهود رؤيته. ثم ذهب إلى المنزل لتغيير ملابسه قبل مقابلة بعض الأصدقاء في حانة حوالي الثامنة. الأشخاص الذين ادعى أنه كان معهم أكدوا كل ذلك واقتنع لوسون بأن ساتشويل بريء.

"مما يقودنا إلى الثالث، وعلي القول، المشتبه به الواعد أكثر – باستثناء دينيس كريد دائمًا. هذا،" قال سترايك وهو ينقل إفادة ساتشويل من أعلى كومة الورق التي تضاءلت الآن بشكل كبير، "هو ستيف دوثويت."

إذا كان روي فيبس فكرة مخرج كسول عن الشاعر الحساس، وبول ساتشويل صورة طبق الأصل لنجم روك سبعيناتي، فإن ستيف دوثويت كان سيتم تعيينه دون تردد ليلعب دور الشاب الوقح، المتهور ذي النكات الساخرة، والفتى الطائش من الطبقة العاملة. كانت لديه عيون داكنة كالخرز، وابتسامة معدية، وقصة شعر شائكة من الخلف (موليت) ذكرت روبن بالشباب الذين ظهروا على أسطوانة قديمة لفريق "باي سيتي رولرز" لا تزال والدة روبن تعتز بها، وسط ضحك أطفالها. كان دوثويت يمسك بكأس جعة في يد، وذراعه الأخرى ملقاة حول كتف رجل تم قص وجهه من الصورة، لكن بدلته، مثل بدلة دوثويت، بدت رخيصة ومجعدة ولامعة. كان دوثويت قد أرخى رابطة عنقه العريضة وفك الزر العلوي لقميصه ليكشف عن سلسلة حول رقبته.

– البحث عن البائع «صائد النساء» بشأن الطبيبة المفقودة

تسعى الشرطة بقلق لتتبع مكان ستيف دوثويت، بائع الزجاج المزدوج، الذي اختفى بعد استجواب روتيني حول اختفاء الدكتورة مارغو بامبورو، 29 عامًا.

دوثويت، 28 عامًا، لم يترك عنوانًا للمراسلة بعد ترك وظيفته وشقته في شارع بيرسيفال، كليركينويل.

كمريض سابق لدى الطبيبة المفقودة، أثار دوثويت الشكوك في العيادة الطبية بسبب زياراته المتكررة لرؤية الطبيبة الشقراء الجميلة. يصف أصدقاء البائع الرجل بأنه "معسول اللسان" ولا يعتقدون أن دوثويت عانى من أي مشاكل صحية خطيرة. يُعتقد أن دوثويت قد أرسل هدايا للدكتورة بامبورو.

دوثويت، الذي نشأ في دور الرعاية، لم يكن له أي اتصال بأصدقائه منذ 7 فبراير. يُعتقد أن الشرطة قد فتشت منزل دوثويت منذ أن أخلت مسؤوليته.

علاقة مأساوية

"لقد تسبب في الكثير من المتاعب هنا، والكثير من المشاعر السيئة"، قال زميل في شركة "دايموند للزجاج المزدوج"، طلب عدم ذكر

اسمه. "شاب طائش ومستهتر حقًا. أقام علاقة مع زوجة رجل آخر. انتهى بها الأمر بتناول جرعة زائدة، وتركت أطفالها بدون أم. لم يأسف أحد عندما غادر دوثويت، لنكون صادقين. كنا سعداء لرؤيته يرحل. مهتم جدًا بالخمر والفتيات وليس ماهرًا في العمل."

الطبيبة ستكون «تحديًا»

عند سؤاله عما يعتقد أن علاقة دوثويت بالطبيبة المفقودة كانت، قال زميله:

"مطاردة الفتيات هي كل ما يهتم به ستيف. سيعتقد أن الطبيبة تحدٍ، أنا أعرفه."

الشرطة حريصة على التحدث إلى دوثويت مرة أخرى وتناشد أي أفراد من الجمهور قد يعرفون مكان وجوده.

عندما انتهت روبن من القراءة، قال سترايك، الذي أنهى لتوه كأسه الأول:

– "أتريدين مشروبًا آخر؟"

– "سأحضر أنا هذه الجولة."

ذهبت إلى البار، حيث انتظرت تحت الجماجم المعلقة وخيوط العنكبوت المزيفة. كان النادل قد رسم وجهه مثل وحش فرانكشتاين. طلبت روبن المشروبات وهي شاردة الذهن، تفكر في مقال دوثويت.

عندما عادت إلى سترايك بكأس جعة طازج، ونبيذ وكيسين من رقائق البطاطس، قالت:

– "أتعلم، ذلك المقال ليس عادلاً."

– "أكملي."

– "الناس لا يخبرون زملاءهم في العمل بالضرورة عن مشاكلهم الطبية. ربما بدا دوثويت بخير لأصحابه عندما كانوا جميعًا في الحانة. هذا لا يعني أنه لم يكن يعاني من خطب ما. ربما كان مريضًا عقليًا."

قال سترايك:

– "ليست المرة الأولى، التي تصيبين فيها كبد الحقيقة."

بحث في العدد القليل من الأوراق المصورة المتبقية في كومته واستخرج وثيقة أخرى مكتوبة بخط اليد، أكثر ترتيبًا بكثير من وثيقة تالبوت وخالية من الخربشات والتواريخ العشوائية. بطريقة ما عرفت روبن، قبل أن ينطق سترايك بكلمة، أن هذا الخط الانسيابي المستدير يخص مارغو بامبورو.

قال سترايك:

– "نسخ من السجلات الطبية لدوثويت. حصلت الشرطة عليها. «صداع، اضطراب في المعدة، فقدان الوزن، خفقان، غثيان، كوابيس، صعوبة في النوم»"، قرأ سترايك بصوت عالٍ. "استنتاج مارغو، في الزيارة الرابعة – أترين هناك؟ – هو «صعوبات شخصية ومتعلقة بالعمل، تحت ضغط شديد، يظهر علامات القلق»."

قالت روبن:

– "حسنًا، صديقته المتزوجة قتلت نفسها. ذلك كفيل بتحطيم أي شخص إلا إذا كان سيكوباتيًا، أليس كذلك؟"

انزلقت شارلوت كالظل عبر عقل سترايك.

– "أجل، قد تظنين ذلك. أيضًا، انظري هناك. لقد كان ضحية اعتداء قبل وقت قصير من زيارته الأولى لمارغو. «كدمات، ضلع متصدع». أشم رائحة زوج غاضب ومكلوم ومخدوع."

– "لكن الصحيفة تجعل الأمر يبدو وكأنه كان يطارد مارغو."

قال سترايك وهو ينقر على نسخة الملاحظات الطبية لدوثويت:

– "حسنًا، هناك عدد هائل من الزيارات هنا. رآها ثلاث مرات في أسبوع واحد. إنه قلق، مذنب، يشعر بأنه غير محبوب، ربما لم يتوقع أن تنتهي نزوة لهوه بموت المرأة. وهناك طبيبة جميلة لا تقدم أحكامًا، بل لطفًا ودعمًا. لا أعتقد أنه من المستحيل التفكير في أنه ربما طور مشاعر تجاهها.

"وانظري إلى هذا"، تابع سترايك، وهو يقلب السجلات الطبية ليري روبن المزيد من الإفادات المطبوعة. "هذه من دوروثي وغلوريا، وكلتاهما قالت إن دوثويت خرج من غرفتها في آخر مرة رأى فيها مارغو، وبدا – حسنًا، هذه دوروثي"، وقرأ بصوت عالٍ، "«لاحظت السيد دوثويت يغادر عيادة الدكتورة بامبورو ولاحظت

أنه بدا وكأنه تعرض لصدمة. اعتقدت أيضًا أنه بدا غاضبًا ومكروبًا. وبينما كان يخرج، تعثر في شاحنة لعبة لصبي في غرفة الانتظار وشتم بصوت عالٍ. بدا مشتتًا وغير مدرك لمحيطه.» وغلوريا،" قال سترايك وهو يقلب الصفحة، "تقول: «أتذكر مغادرة السيد دوثويت لأنه شتم طفلاً صغيرًا. بدا وكأنه تلقى للتو أخبارًا سيئة. اعتقدت أنه بدا خائفًا وغاضبًا.»

"الآن، ملاحظات مارغو عن استشارتها الأخيرة مع دوثويت لا تذكر أي شيء سوى نفس الأعراض القديمة المرتبطة بالتوتر،" تابع سترايك وهو يعود إلى السجلات الطبية، "لذا بالتأكيد لم تشخصه للتو بأي شيء يهدد الحياة. تكهن لوسون بأنها ربما شعرت بأنه أصبح متعلقًا بها بشكل مفرط، وأخبرته أنه يجب أن يتوقف عن استهلاك وقت ثمين يمكن إعطاؤه لمرضى آخرين، وهو ما لم يعجب دوثويت سماعه. ربما أقنع نفسه بأن مشاعره متبادلة. تشير جميع الأدلة إلى أنه كان في حالة عقلية هشة في ذلك الوقت.

"على أية حال، بعد أربعة أيام من موعد دوثويت الأخير، اختفت مارغو. بعد تلقي معلومة من العيادة بوجود مريض بدا مغرمًا بها قليلاً، استدعاه تالبوت للاستجواب. ها نحن ذا."

مرة أخرى، استخرج سترايك خربشة مليئة بالنجوم من بين الصفحات المطبوعة.

– "كالعادة، يبدأ تالبوت الاستجواب بالمرور عبر قائمة تواريخ كريد. المشكلة هي أن دوثويت لا يبدو أنه يتذكر ما كان يفعله في أي منها."

بدأت روبن:

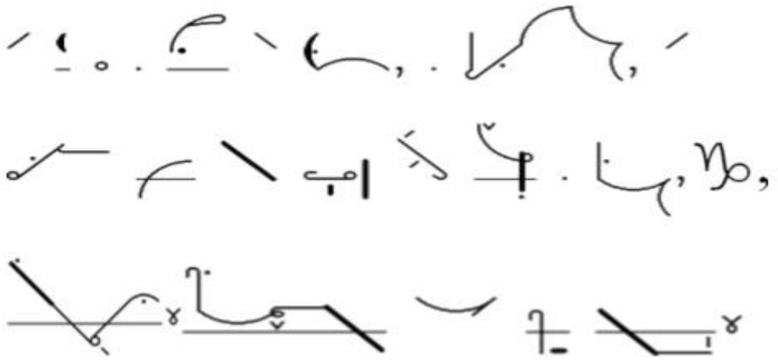
– "إذا كان مريضًا بالفعل بالتوتر –"

قال سترايك:

– "حسنًا، بالضبط. الاستجواب من قبل ضابط شرطة يعتقد أنك قد تكون سفاح إسيكس لن يساعد قلقك، أليس كذلك؟

"وانظري إلى هذا، يضيف تالبوت تاريخًا عشوائيًا مرة أخرى: الحادي والعشرين من فبراير. لكنه يفعل شيئًا آخر أيضًا. هل يمكنك فهم أي شيء من ذلك؟"

أخذت روبن الصفحة من سترايك وفحصت الأسطر الثلاثة الأخيرة من الكتابة.



قالت روبن:

– "اختزال بيتمان."

– "هل يمكنك قراءته؟"

– "لا. أعرف القليل من «تيلين»؛ لم أتعلم بيتمان قط. لكن بات تستطيع ذلك."

– "أتقولين إنها قد تكون مفيدة لمرة واحدة؟"

قالت روبن بحدة:

– "أوه، اغرب عن وجهي يا سترايك. تريد العودة للموظفات المؤقتات، حسنًا، لكنني أحب الحصول على رسائل دقيقة ومعرفة أن حفظ الملفات محدث."

التقطت صورة بهاتفها وأرسلتها نصيًا إلى بات، مع طلب لترجمتها. في تلك الأثناء، كان سترايك يفكر في أن روبن لم تناده من قبل بـ "سترايك" عندما تكون منزعجة. وعلى نحو متناقض، بدا الأمر أكثر حميمية من استخدام اسمه الأول. لقد راق له الأمر تمامًا.

قال:

– "آسف للطعن في كفاءة بات."

قالت روبن، وهي تفشل في قمع ابتسامة:

– "لقد قلت لك للتو اغرب عن وجهي. ما رأي لوسون في دوثويت؟"

– "حسنًا، ليس مفاجئًا، عندما حاول مقابلته واكتشف أنه ترك شقته ووظيفته، دون ترك عنوان للمراسلة، أصبح مهتمًا به للغاية. ومن هنا جاءت التسريبات للصحف. كانوا يحاولون إخراجه من مخبئه."

سألت روبن، وهي تأكل الرقائق الآن:

– "وهل نجح الأمر؟"

– "نجح. ظهر دوثويت في مركز شرطة في والثام فورست في اليوم التالي لظهور مقال «صائد النساء»، ربما مرعوبًا من أن يجد الصحافة وسكوتلاند يارد على عتبة بابه قريبًا. أخبرهم أنه عاطل عن العمل ويعيش في غرفة مشتركة. اتصلت الشرطة المحلية بلوسون، الذي ذهب مباشرة إلى هناك لاستجوابه.

"هناك تقرير كامل هنا،" قال سترايك، دافعًا ببعض الصفحات الأخيرة من اللفافة التي أحضرها معه نحو روبن. "كتبه لوسون بالكامل: «يبدو خائفًا» – «مراوغ» – «عصبي» – «يتعرق» – وحجة الغياب ليست جيدة. يقول دوثويت إنه بعد ظهر يوم اختفاء مارغو كان بالخارج يبحث عن شقة جديدة."

– "يدعي أنه كان يبحث بالفعل عن مكان جديد عندما اختفت؟"

– "مصادفة، هاه؟ إلا أنه عند الاستجواب الدقيق لم يستطع تحديد الشقق التي رآها ولم يستطع تقديم اسم أي شخص يتذكر رؤيته. في النهاية قال إن بحثه عن شقة تضمن الجلوس في مقهى محلي ووضع دوائر حول الإعلانات في الصحيفة. المشكلة كانت أن لا أحد في المقهى تذكر وجوده هناك.

"قال إنه انتقل إلى والثام فورست لأن لديه ارتباطات سيئة بكليركينويل بعد استجوابه من قبل تالبوت وجعله يشعر وكأنه قيد الاشتباه، وأنه، على أية حال، لم تكن الأمور جيدة بالنسبة له في العمل منذ علاقته بزوجة زميله المنتحرة."

قالت روبن:

– "حسنًا، هذا معقول بما فيه الكفاية."

– "استجوبه لوسون مرتين أخريين، لكنه لم يحصل على أي شيء آخر منه. جاء دوثويت ومعه محامٍ للمقابلة الثالثة. عند تلك النقطة، تراجع لوسون. ففي النهاية، لم يكن لديهم أي شيء ضد دوثويت، حتى لو كان أكثر الأشخاص الذين

استجوبوهم إثارة للريبة. وكان من المعقول – بالكاد – أن السبب في عدم ملاحظة أحد له في المقهى هو أنه مكان مزدحم."

دخلت الآن مجموعة من الساهرين بأزياء الهالوين إلى الحانة، يقهقهون ومن الواضح أنهم ممتلئون بالكحول بالفعل. لاحظت روبن سترايك يلقي نظرة تلقائية على شقراء شابة في زي ممرضة مطاطي.

قالت:

– "إذن، هل هذا كل شيء؟"

قال سترايك:

– "تقريبًا، لكنني أميل لعدم إطلاعك على هذا."

– "لم لا؟"

– "لأنني أعتقد أنه سيغذي هوسك بالأماكن المقدسة."

– "أنا لست –"

– "حسنًا، لكن قبل أن تنظري إليه، تذكري فقط أن المجانين ينجذبون دائمًا لجرائم القتل وقضايا الأشخاص المفقودين، اتفقنا؟"

قالت روبن:

– "حسنًا. أرني."

قلب سترايك ورقة. كانت نسخة مصورة لأكثر أنواع الرسائل المجهولة بدائية، تضم حروفًا مقتطعة من مجلات.



قالت روبن:

– "صليب سانت جون آخر."

– "أجل. وصل ذلك إلى سكوتلاند يارد في عام 1985، موجهًا إلى لوسون، الذي كان قد تقاعد بالفعل. لا شيء آخر في المغلف."

تنهدت روبن واتكأت بظهرها على كرسيها.

قال سترايك، وهو الآن يعيد ترتيب مقالاته وإفاداته المصورة في كومة ويلفها مرة أخرى:

– "مجنون، بوضوح. إذا كنت تعرف حقًا مكان دفن جثة، فسترفق خريطة لعينة."

كانت الساعة تقترب من السادسة الآن، قريبة من الساعة التي غادرت فيها طبيبة عيادتها ذات مرة ولم تُرَ بعدها أبدًا. كانت نوافذ الحانة المصنفرة زرقاء داكنة كالحبر. عند البار، كانت الشقراء في الزي المطاطي تضحك على شيء قاله لها رجل يرتدي زي "الجوكر".

قالت روبن، وهي تلقي نظرة على الأوراق الجالسة بجانب كأس سترايك:

– "أتعلم، كانت متأخرة... وكانت السماء تمطر بغزارة..."

قال سترايك، متسائلاً عما إذا كانت على وشك قول ما كان يفكر فيه بالضبط:

– "أكملي."

– "صديقتها كانت تنتظر هنا، وحيدة. مارغو متأخرة. كانت لترغب في الوصول إلى هنا بأسرع ما يمكن. التفسير الأبسط والأكثر معقولية الذي يمكنني التفكير فيه هو أن شخصًا ما عرض عليها توصيلة. سيارة توقفت –"

قال سترايك:

– "أو شاحنة."

كانت روبن، بالفعل، قد توصلت لنفس الاستنتاج الذي وصل إليه.

– "شخص كانت تعرفه –"

– "أو شخص بدا آمنًا. رجل مسن –"

– "أو ما تظن أنها امرأة."

قالت روبن:

– "بالضبط."

أدارت وجهًا حزينًا نحو سترايك.

– "هذا هو الأمر. إما أنها كانت تعرف السائق، أو بدا الغريب آمنًا."

قال سترايك:

– "ومن سيتذكر ذلك؟ كانت ترتدي معطف مطر عاديًا، وتحمل مظلة. مركبة تتوقف. تنحني نحو النافذة، ثم تركب. لا شجار. لا صراع. السيارة تبتعد."

قالت روبن:

– "ووحده السائق سيعرف ما حدث بعد ذلك."

رن هاتفها المحمول: كانت بات تشونسي.

قال سترايك:

– "هي تفعل ذلك دائمًا. تراسلينها نصيًا، فلا ترد نصيًا، بل تتصل –"

قالت روبن بنفاد صبر:

– "هل يهم ذلك؟" وأجابت.

– "مرحبًا، بات. آسفة لإزعاجك خارج ساعات العمل. هل وصلتك رسالتي؟"

نعت بات:

– "أجل. أين وجدتِ ذلك؟"

– "إنه في بعض ملاحظات الشرطة القديمة. هل يمكنك ترجمته؟"

قالت بات:

– "أجل، لكنه لا يحمل الكثير من المعنى."

قالت روبن:

– "انتظري يا بات، أريد من كورموران أن يسمع هذا"، وحولت الهاتف إلى مكبر الصوت.

جاء صوت بات الأجش:

– "مستعدان؟"

قالت روبن:

– "نعم."

أخرج سترايك قلمًا وقلب لفافة ورقه ليتمكن من الكتابة على الجانب الفارغ.

– "يقول: «وهذا هو آخرهم، فاصلة، الثاني عشر، فاصلة، وسُتغلق الدائرة عند العثور على العاشر، فاصلة» – ثم هناك كلمة لا أستطيع قراءتها، لا أعتقد أنها بيتمان صحيحة – وبعد ذلك كلمة أخرى، تُقرأ صوتيًا با – فو – ميت، نقطة. ثم جملة جديدة، «انسخ في الكتاب الحقيقي»."

ردد سترايك:

– "بافوميت."

قالت بات:

– "أجل."

قال سترايك:

– "هذا اسم. بافوميت هو معبود غامض في السحر والتنجيم."

قالت بات بعملية:

– "حسنًا، هذا ما هو مكتوب."

شكرتها روبن وأنهت المكالمة.

قرأ سترايك ما كتبه:

– "«وهذا هو آخرهم، الثاني عشر، وسُتغلق الدائرة عند العثور على العاشر – كلمة غير معروفة – بافوميت. انسخ في الكتاب الحقيقي»."

سألت روبن:

– "كيف تعرف عن بافوميت؟"

– "كان ويتاكر مهتمًا بكل هذا الهراء."

قالت روبن:

– "أوه."

كان ويتاكر آخر عشاق والدة سترايك، الرجل الذي اعتقد سترايك أنه أعطاها الجرعة الزائدة التي قتلتها.

قال سترايك:

– "كان لديه نسخة من الإنجيل الشيطاني. كانت به صورة لرأس بافوميت داخل خما... تباً."

قالها وهو يقلب بسرعة في الأوراق السائبة ليجد واحدة من تلك التي خربش عليها تالبوت العديد من النجوم الخماسية. عبس في وجه الورقة للحظة، ثم نظر إلى روبن.

– "لا أعتقد أن هذه نجوم. إنها نجوم خماسية (بينتاغرام)."

الجزء الثالث

... أما الشتاء، فمُتدثّرًا بالصوف الخشن..

— إدموند سبنسر، ملكة الجن (The Faerie Queene)

15

وفيه بقيت ندوبٌ غائرة لجراحٍ عميقة...
إدموند سبنسر .ملكة الجن

في الأسبوع الثاني من نوفمبر، تسبب العلاج الكيميائي في هبوط حاد وخطير في عدد خلايا الدم البيضاء لدى جوان، فأُدخلت المستشفى. ترك سترايك الوكالة في عهدة روبن، وتركت لوسي أبناءها الثلاثة في رعاية زوجها، وهرع كلاهما عائدين إلى كورنوال.

تزامن غياب سترايك الطارئ مع الاجتماع الشهري للفريق، الذي أدارته روبن وحدها للمرة الأولى، وهي المحققة الأصغر والأقل خبرة – جدلاً – في الوكالة، والمرأة الوحيدة فيها.

لم تكن روبن واثقة مما إذا كانت تتخيل الأمر، لكنها شعرت أن هاتشينز وموريس، الشرطيين السابقين، أبديا اعتراضًا على جدول مناوبات الشهر المقبل، وعلى الخطة التي ينبغي اتباعها مع "المراوغ"، أكثر قليلاً مما كانا سيفعلانه لو كان سترايك حاضرًا. كان رأي روبن أن سكرتيرة "المراوغ" الشخصية – التي تمت دعوتها مرارًا لتناول الطعام والشراب على نفقة الوكالة دون أن تبوح بشيء عما يمسكه رئيسها على مديره التنفيذي – يجب التخلي عنها كمصدر محتمل للمعلومات.

قررت أن على موريس مقابلتها مرة أخيرة لإنهاء الأمور، وتبديد أي شكوك حول ما كان يسعى إليه، وبعد ذلك رأت روبن أن الوقت قد حان لمحاولة اختراق دائرة "المراوغ" الاجتماعية بهدف الحصول على المعلومات مباشرة من الرجل الذي يحققون في أمره. كان باركلي المتعاقد الوحيد الذي وافق روبن الرأي، ودعمها

عندما أصرت على أن يبتعد موريس تمامًا عن سكرتيرة "المراوغ". وبالطبع، وكما كانت روبن تدرك جيدًا، فقد سبق لها ولباركلي أن ذهبا معًا للحفر بحثًا عن جثة، وأشياء كهذه تخلق رابطًا قويًا.

كانت ذكرى اجتماع الفريق لا تزال تؤرقها بينما كانت تجلس وساقاها ممدودتان على الأريكة في شقة "فينبورو رود" لاحقًا، مرتدية بيجامة وروب حمام، وتعمل على حاسوبها المحمول. كان فولفغانغ، الكلب الألماني (داشهند)، متكورًا عند قدميها العاريتين، يمنحهما الدفء.

كان ماكس بالخارج. كان قد أعلن فجأة في عطلة نهاية الأسبوع السابقة أنه يخشى أن يكون في خطر التحول من "انطوائي" إلى "معتزل"، وقبل دعوة لتناول العشاء مع بعض الأصدقاء الممثلين، رغم أنه قال بمرارة عند مغادرته: "سيشفقون عليّ جميعًا، لكنني أفترض أنهم سيستمتعون بذلك".

أخذت روبن فولفغانغ في نزهة سريعة حول المبنى في الحادية عشرة، لكن عدا ذلك، قضت أمسيتها في العمل على قضية بامبورو، التي لم تجد لها وقتًا أثناء وجود سترايك في "سانت ماوس"، لأن القضايا الأربع الأخرى في سجلات الوكالة كانت تستهلك كل ساعات العمل.

لم تخرج روبن منذ مشروبات عيد ميلادها مع إلسا وفانيسا، والتي لم تكن ممتعة كما أملت. تمحور الحديث بالكامل حول العلاقات، لأن فانيسا وصلت بخاتم خطوبة جديد تمامًا في إصبعها. منذ ذلك الحين، تذرعت روبن بضغط العمل أثناء غياب سترايك لتجنب السهرات مع أي من صديقتيها. كانت كلمات ابنة عمها كاتي: *"كأنك تسافرين في اتجاه مختلف عن بقيتنا"* ، صعبة النسيان، لكن الحقيقة هي أن روبن لم تكن ترغب في الوقوف في حانة بينما تشجعها إلسا وفانيسا على الاستجابة لتلميحات رجل متطفل يشبه موريس، يملك مخزونًا من الكلام المعسول والنكات السيئة.

كانت هي وسترايك قد قسما بينهما الآن الأشخاص الذين يرغبان في تعقبهم وإعادة استجوابهم في قضية بامبورو. ولسوء الحظ، علمت روبن الآن أن أربعة على الأقل من الأشخاص المخصصين لها قد أصبحوا خارج نطاق الاستجواب.

بعد تدقيق ومراجعة السجلات القديمة، تمكنت روبن من تحديد هوية ويلي لوماكس الذي كان يعمل كعامل صيانة لفترة طويلة في كنيسة "سانت جيمس" في كليركينويل. لقد توفي عام 1989 ولم تتمكن روبن حتى الآن من العثور على قريب واحد مؤكد له.

ألبرت شيمينغز، بائع الزهور والسائق المحتمل للشاحنة المسرعة التي شوهدت ليلة اختفاء مارغو، كان قد توفي أيضًا، لكن روبن أرسلت بريدًا إلكترونيًا لرجلين اعتقدت أنهما ابناه. أملت بصدق أن تكون قد حددت هويتهما بشكل صحيح، وإلا فإن وكيل تأمين ومدرب قيادة كانا على وشك تلقي رسائل غامضة حقًا. لم يرد أي منهما بعد على طلبها للتحدث معهما.

ويلما بايليس، عاملة النظافة السابقة في العيادة، توفيت في عام 2003. وهي أم لولدين وثلاث بنات، طلقت جول بايليس عام 1975. وبحلول وقت وفاتها، لم تكن ويلما عاملة نظافة، بل أخصائية اجتماعية، وربت عائلة ناجحة للغاية، تضم مهندسًا معماريًا، ومسعفًا، ومعلمًا، وأخصائيًا اجتماعيًا آخر، ومستشارًا في حزب العمال. أحد الأبناء يعيش الآن في ألمانيا، لكن روبن مع ذلك شملته في رسائل البريد الإلكتروني ورسائل الفيسبوك التي أرسلتها إلى الأشقاء الخمسة جميعًا. لم يكن هناك رد حتى الآن.

دوروثي أوكدين، سكرتيرة العيادة، كانت في الحادية والتسعين من عمرها عندما توفيت في دار رعاية بشمال لندن. لم تتمكن روبن بعد من تتبع كارل، طفلها الوحيد.

في هذه الأثناء، أثبت حبيب مارغو السابق، بول ساتشويل، وموظفة الاستقبال، غلوريا كونتي، أنهما مراوغان بشكل غريب ومتشابه. في البداية شعرت روبن بالارتياح عندما فشلت في العثور على شهادة وفاة لأي منهما، لكن بعد تمشيط أدلة الهاتف، وسجلات التعداد السكاني، وأحكام محكمة المقاطعة، وشهادات الزواج والطلاق، وأرشيف الصحافة، ووسائل التواصل الاجتماعي، وقوائم موظفي الشركات، لم تتوصل إلى شيء. التفسيرات الوحيدة الممكنة التي

استطاعت روبن التفكير فيها كانت تغيير الأسماء (في حالة غلوريا، ربما عن طريق الزواج) أو الهجرة.

أما بالنسبة لـ ماندي وايت، التلميذة التي ادعت رؤية مارغو عند نافذة ممطرة، فقد كان هناك الكثير من النساء باسم أماندا وايت ممن هن في العمر المناسب تقريبًا على الإنترنت لدرجة أن روبن بدأت تيأس من العثور على الشخصية الصحيحة أبدًا. وجدت روبن هذا المسار من التحقيق محبطًا بشكل خاص، أولاً لأن هناك فرصة جيدة أن "وايت" لم يعد لقب ماندي، وثانيًا لأنه، مثل الشرطة قبلها، اعتقدت روبن أنه من المستبعد جدًا أن تكون ماندي قد رأت مارغو بالفعل عند النافذة في تلك الليلة.

بعد فحص واستبعاد حسابات فيسبوك لست نساء أخريات باسم أماندا وايت، تثاءبت روبن وتمطت وقررت أنها تستحق استراحة. وضعت حاسوبها المحمول على طاولة جانبية، وأنزلت ساقيها بحذر من الأريكة لكي لا تزعج فولفغانغ، وعبرت المنطقة المفتوحة التي تجمع بين المطبخ وغرفة الطعام والمعيشة، لتعد لنفسها كوبًا من الشوكولاتة الساخنة قليلة السعرات الحرارية التي كانت تحاول إقناع نفسها بأنها "تحلية"، لأنها كانت لا تزال، في وسط هذه الفترة الطويلة من قلة الحركة والمراقبة، تحاول مراقبة محيط خصرها.

بينما كانت تحرك المسحوق غير الشهي في الماء المغلي، امتزجت نفحة من مسك الروم برائحة الكراميل الصناعي. رغم حمامها، كان عطر "فراكاس" لا يزال عالقًا بشعرها وبيجامتها. قررت أخيرًا أن هذا العطر كان خطأً مكلفًا. العيش في سحابة كثيفة من مسك الروم لم يشعرها فقط بأنها على وشك الإصابة بصداع دائم، بل وكأنها ترتدي الفراء واللؤلؤ في وضح النهار.

رن هاتف روبن، الذي كان ملقى على الأريكة بجانب فولفغانغ، بينما كانت تلتقط حاسوبها المحمول مرة أخرى. فزع الكلب من نومه ونهض مستاءً على ساقيه المصابتين بالتهاب المفاصل. حملته روبن إلى مكان آمن قبل أن ترد على هاتفها لترى، لخيبة أملها، أنه ليس سترايك، بل موريس.

– "مرحبًا يا سول."

منذ قبلة عيد الميلاد تلك، حاولت روبن الحفاظ على أسلوبها في الجانب الأكثر برودًا من المهنية عند التعامل مع موريس.

– "مرحبًا يا روبس. قلتِ أن أتصل إذا كان لدي أي شيء، حتى لو كان الوقت متأخرًا."

– "نعم، بالطبع." *لكنني لم أقل أبدًا إنه يمكنك مناداتي «روبس»*. سألت روبن وهي تبحث عن قلم: "ماذا حدث؟"

– "لقد جعلت جيما تسكر الليلة. مساعدة المراوغ الشخصية، تعرفينها. تحت تأثير الكحول، أخبرتني أنها تعتقد أن المراوغ يمسك شيئًا على رئيسه."

حسنًا، هذا ليس خبرًا جديدًا، فكرت روبن، متخلية عن البحث غير المثمر عن أداة للكتابة.

– "ما الذي يجعلها تعتقد ذلك؟"

– "يبدو أنه قال لها أشياء مثل: «أوه، سيجيب دائمًا على مكالماتي، لا تقلقي»، و«أعرف أين دُفنت كل الجثث»."

انزلقت صورة لصليب القديس يوحنا عبر عقل روبن وتم طردها.

أضاف موريس:

– "على سبيل المزاح. مرر الأمر وكأنه يمزح، لكن ذلك جعل جيما تفكر."

– "لكنها لا تعرف أي تفاصيل؟"

– "لا، لكن اسمعي، بجدية، أعطني مزيدًا من الوقت وأظن أنني سأكون قادرًا على إقناعها بارتداء جهاز تنصت لأجلنا. لا أقصد التباهي هنا – ولا أستطيع ذلك لسبب واحد – لا، بجدية،" قال، رغم أن روبن لم تضحك، "لقد جعلتها لينة تمامًا ومستعدة. فقط أعطني مزيدًا من الوقت –"

ذكرته روبن، وهي تكبت تثاؤبًا جعل عينيها تدمعان:

– "انظر، أنا آسفة يا سول، لكننا ناقشنا هذا في الاجتماع. العميل لا يريدنا أن نخبر أيًا من الموظفين بأننا نحقق في هذا، لذا لا يمكننا إخبارها بمن أنت. الضغط عليها للتحقيق مع رئيسها هو مطالبة لها بالمخاطرة بوظيفتها. كما أنه يخاطر بنسف القضية برمتها إذا قررت إخباره بما يحدث."

– "لكن مرة أخرى، دون تباهٍ –"

قالت روبن (لماذا لم يكن يستمع؟ لقد خاضوا في هذا الأمر بلا نهاية في اجتماع الفريق):

– "سول، ثقة الفتاة بك وهي سكرانة شيء، ومطالبة فتاة بلا تدريب في التحقيق بالعمل معنا شيء آخر."

قال موريس بجدية:

– "إنها معجبة بي تمامًا يا روبن. سيكون من الجنون عدم استغلالها."

تساءلت روبن فجأة عما إذا كان موريس قد نام مع الفتاة. كان سترايك واضحًا تمامًا بأن هذا لا يجب أن يحدث. تهاوت عائدة إلى الأريكة. لاحظت أن نسختها من كتاب *شيطان بارادايس بارك* كانت دافئة بسبب استلقاء الكلب الألماني عليها. كان فولفغانغ المُزاح يحدق الآن في روبن من تحت طاولة الطعام، بعيني رجل عجوز حزينتين ومعاتبتين.

قالت روبن:

– "سول، أعتقد حقًا أن الوقت قد حان ليتولى هاتشينز الأمر، ليرى ما يمكنه فعله مع المراوغ بنفسه."

– "حسنًا، لكن قبل أن نتخذ هذا القرار، دعيني أتصل بسترايك و–"

قالت روبن، وقد بدأ غضبها يتصاعد:

– "لن تتصل بسترايك. عمته... لديه ما يكفيه من المشاكل في كورنوال."

قال موريس بضحكة صغيرة:

– "أنتِ لطيفة جدًا، لكنني أعدك، سترايك سيرغب في أن يكون له رأي في هذا –"

قالت روبن، والغضب يتصاعد الآن:

– "لقد تركني مسؤولة، وأنا أقول لك، لقد أخذت الأمر لأقصى حد ممكن مع تلك الفتاة. إنها لا تعرف شيئًا مفيدًا ومحاولة الضغط عليها أكثر قد تأتي بنتائج عكسية سيئة على هذه الوكالة. أنا أطلب منك التخلي عن الأمر الآن، من فضلك.

يمكنك تولي مهمة البطاقات البريدية غدًا ليلاً، وسأخبر آندي بالبدء في العمل على المراوغ."

ساد صمت.

قال موريس:

– "لقد ضايقتك، أليس كذلك؟"

قالت روبن:

– "لا، لم تضايقني." *في النهاية، "المضايقة" ليست تمامًا مثل "الإثارة للغضب الشديد".*

– "لم أرد أن –"

– "لم تفعل يا سول، أنا فقط أذكرك بما اتفقنا عليه في الاجتماع."

قال:

– "حسنًا. لا بأس. مهلاً – اسمعي. هل سمعت عن المدير الذي أخبر سكرتيرته أن الشركة في ورطة؟"

قالت روبن، وهي تجز على أسنانها:

– "لا."

– "قال لها: سأضطر لتسريحك (Lay you) أو تسريح جاك (Jack off). فقالت: حسنًا، عليك أن تسرّح عن نفسك (Jack off – تورية بذيئة) لأنني مصابة بصداع."

قالت روبن:

– "ها ها. ليلة سعيدة، يا سول."

سألت نفسها بغضب وهي تضع هاتفها المحمول: "لماذا قلت «ها ها»؟" لماذا لم أقل ببساطة: "توقف عن إلقاء النكات التافهة؟" أو لا أقل شيئًا! ولماذا اعتذرت عندما كنت أطلب منه القيام بما اتفقنا عليه جميعًا في الاجتماع؟ لماذا أدلله؟

فكرت في كل تلك الأوقات التي تظاهرت فيها مع ماثيو. تزييف النشوة الجنسية لم يكن شيئًا مقارنة بالتظاهر بأنها تجده مضحكًا ومثيرًا للاهتمام خلال كل

تلك الحكايات المكررة لنكات نادي الرجبي، وخلال كل طرفة مصممة لتظهره كأذكى أو أظرف رجل في الغرفة. *لماذا نفعل ذلك؟* سألت نفسها، ملتقطة كتاب *شيطان باراديس بارك* دون التفكير فيما تفعله. *لماذا نعمل بجد للحفاظ على السلام، لإبقائهم سعداء؟*

لأنهم، اقترحت الوجوه السبعة الشبحية بالأبيض والأسود خلف وجه دينيس كريد، *يمكن أن يتحولوا لأشخاص سيئين يا روبن. أنتِ تعرفين تمامًا مدى السوء الذي يمكن أن يصلوا إليه، مع ندبتك على ذراعك وذكراك لذلك القناع الغوريلا.*

لكنها عرفت أن هذا ليس السبب الحقيقي لمجاراتها لموريس. لم تكن تتوقع منه أن يصبح مسيئًا أو عنيفًا إذا رفضت الضحك على نكاته الغبية. لا، هذا كان شيئًا آخر. الفتاة الوحيدة في عائلة من الأولاد، نشأت روبن، كما تعلم، لتبقي الجميع سعداء، رغم حقيقة أن والدتها كانت مناصرة لحقوق المرأة. لم يقصد أحد فعل ذلك، لكنها أدركت خلال العلاج الذي خضعت له بعد الهجوم الذي ترك ساعدها مشوهًا إلى الأبد، أن دورها العائلي كان دور "الطفلة السهلة"، غير المتذمرة، الموفقة. ولدت قبل عام واحد فقط من مارتن، الذي كان "الطفل المدلل" لعائلة إيلاكوت: الأكثر تشتتًا وتهورًا، والأقل تفوقًا دراسيًا وضميرًا، الابن الذي لا يزال يعيش في المنزل في سن الثامنة والعشرين والأخ الذي كان لديها أقل قواسم مشتركة معه. (رغم أن مارتن لكم ماثيو على أنفه يوم زفافها، وآخر مرة كانت فيها في المنزل وجدت نفسها تعانقه عندما عرض، عند سماع مدى صعوبة ماثيو بشأن الطلاق، أن يفعل ذلك مرة أخرى).

كانت قطرات مطر شتوية تنقر النافذة خلف طاولة الطعام. كان فولفغانغ قد غط في نوم عميق مرة أخرى. لم تستطع روبن مواجهة تصفح حسابات وسائل التواصل الاجتماعي لخمسين أماندا وايت أخرى الليلة. وبينما كانت تلتقط *شيطان باراديس بارك*، ترددت. كانت قد وضعت قاعدة لنفسها (لأنها كانت رحلة طويلة وشاقة للوصول إلى المكان الذي هي فيه الآن، ولم تكن تريد أن تفقد حالتها الجيدة الحالية من الصحة العقلية) ألا تقرأ هذا الكتاب بعد حلول الظلام، أو قبل النوم

مباشرة. ففي النهاية، المعلومات التي يحتويها يمكن العثور عليها ملخصة على الإنترنت: لم تكن هناك حاجة لسماع ما فعله كريد بكل واحدة من النساء اللواتي عذبهن وقتلهن بكلماته هو.

ومع ذلك، التقطت الشوكولاتة الساخنة، وفتحت الكتاب على الصفحة التي وضعت علامة عليها بإيصال "تيسكو"، وبدأت في القراءة عند النقطة التي توقفت عندها قبل ثلاثة أيام.

...مقتنعًا بأن بامبورو قد وقعت ضحية للقاتل المتسلسل الملقب الآن بسفاح إسيكس، صنع تالبوت أعداءً بين زملائه بسبب ما شعروا أنه تركيزه المهووس على نظرية واحدة.

"أسموا ذلك تقاعدًا مبكرًا"، قال أحد الزملاء، "لكنه كان في الأساس طردًا. قالوا إنه لم يكن مهتمًا بأي شيء سوى السفاح، لكن ها نحن ذا، بعد 9 سنوات، ولم يجد أحد تفسيرًا أفضل، أليس كذلك؟"

فشلت عائلة مارغو بامبورو في التعرف بشكل إيجابي على أي من المجوهرات والملابس الداخلية غير المطالب بها التي عُثر عليها في شقة قبو كريد عندما تم القبض عليه في عام 1976، على الرغم من أن زوج بامبورو، الدكتور روي فيبس، اعتقد أن قلادة فضية مشوهة تم سحقها، ربما بقوة حادة، قد تشبه واحدة كان يُعتقد أن الطبيبة كانت ترتديها عندما اختفت.

ومع ذلك، فإن رواية نُشرت مؤخرًا عن حياة بامبورو، بعنوان «ماذا حدث لمارغو بامبورو؟» بقلم ابن صديقة مقربة للطبيبة، تحتوي على اكتشافات حول الحياة الخاصة للطبيبة توحي بخط تحقيق جديد– وعلاقة محتملة بكريد.

قبل اختفائها بوقت قصير، حجزت مارغو بامبورو لنفسها مكانًا في "دار برايد ستريت للتمريض" في إيسلينغتون، وهي منشأة خاصة كانت في عام 1974 توفر عمليات إجهاض سرية.

16

تأملي هذا الرجل، وقولي لي يا "بريتومارت"،
هل رأيتِ قط مخلوقًا أبهى منه؛
كيف يحمل نفسه بهيبة جليلة
كأنه عملاق في كل سمة من سمات الرجولة...
إدموند سبنسر ملكة الجن

بعد أربعة أيام، وفي الخامسة والربع صباحًا، وصل قطار النوم «نايت ريفييرا» إلى محطة بادينغتون. كان سترايك، الذي جافاه النوم، قد قضى فترات طويلة من الليل يراقب الطيف الرمادي الضبابي لما يسمى بـ "الريفييرا الإنجليزية" وهو ينزلق مارًا بنافذة مقصورته. ولأنه نام فوق الأغطية وساقه الاصطناعية لا تزال مثبتة، رفض وجبة الإفطار المقدمة على صينيتها البلاستيكية، وكان من بين أوائل الركاب الذين نزلوا إلى المحطة، وحقيبته تتدلى على كتفه.

كانت هناك لسعة صقيع في هواء الصباح الباكر، وتصاعدت أنفاس سترايك في سحابة أمامه وهو يسير على الرصيف، وقناطر برونيل الفولاذية تتقوس فوقه مثل أضلاع هيكل عظمي لحوت أزرق، والسماء المظلمة الباردة تطل من خلال السقف الزجاجي. غير حليق الذقن، وبشعور طفيف بعدم الراحة في طرف ساقه المبتورة التي افتقدت دهانها الليلي المعتاد بالكريم الملطف، توجه سترايك إلى مقعد، وجلس، وأشعل سيجارة كان في أمس الحاجة إليها، وأخرج هاتفه المحمول واتصل بـ روبن.

كان يعلم أنها ستكون مستيقظة، لأنها قضت الليل للتو متوقفة في سيارة سترايك الـ "بي إم دبليو" خارج منزل خبير الأرصاد الجوية، تراقب بحثًا عن صاحب "البطاقات البريدية". كانا يتواصلان في الغالب عبر الرسائل النصية أثناء وجوده في كورنوال، حيث قسم وقته بين المستشفى في ترورو والمنزل في سانت ماوس، متناوبًا مع لوسي في الجلوس مع جوان، التي تساقط شعرها الآن وبدا أن جهازها المناعي قد انهار تحت وطأة العلاج الكيميائي، وللعناية بـ تيد، الذي كان بالكاد يأكل. قبل العودة إلى لندن، طهى سترايك كمية كبيرة من الكاري، وتركها في الفريزر، جنبًا إلى جنب مع فطائر الراعي التي أعدتها لوسي. عندما رفع سيجارته إلى فمه، كان لا يزال يشم أثر الكمون على أصابعه، وإذا ركز، كان بإمكانه استحضار الرائحة القاتلة لمطهرات المستشفى المبطنة بأثر من البول، بدلاً من رائحة الحديد البارد والديزل والنفحات البعيدة للقهوة من مقهى "ستاربكس" القريب.

قالت روبن:

– "مرحبًا."

عند سماع صوتها، شعر سترايك، كما كان يعلم أنه سيشعر، بفك طفيف لعقدة التوتر في معدته.

– "ماذا حدث؟"

قال متفاجئًا قليلاً، قبل أن يتذكر أنها الخامسة والنصف صباحًا:

– "لا شيء. أوه – نعم، آسف، هذه ليست مكالمة طوارئ، لقد نزلت للتو من قطار النوم. تساءلت عما إذا كنتِ ترغبين في تناول الإفطار قبل التوجه للمنزل للنوم."

قالت روبن بسعادة حقيقية لدرجة جعلت سترايك يشعر بتعب أقل:

– "أوه، سيكون ذلك رائعًا. لأن لدي أخبارًا عن بامبورو."

– "عظيم، وأنا كذلك. سيكون من الجيد تبادل المستجدات."

– "كيف حال جوان؟"

– "ليست على ما يرام. سمحوا لها بالعودة للمنزل أمس. لقد خصصوا لها ممرضة من مؤسسة «ماكميلان». تيد مكتئب حقًا. ولوسي لا تزال هناك."

قالت روبن:

– "كان بإمكانك البقاء. نحن نستطيع تدبر الأمر."

قال وهو يغمض عينيه اتقاءً لدخانه:

– "لا بأس."

انبعث شعاع من ضوء الشمس الشتوي عبر فجوة في الغيوم وأضاء أعقاب السجائر على الأرضية المبلطة.

– "أخبرتهم أنني سأعود في الكريسماس. أين تريدين أن نلتقي؟"

– "حسنًا، كنت أخطط للذهاب إلى «معرض اللوحات القومي» قبل العودة للمنزل، لذا –"

سأل سترايك:

– "كنتِ ماذا؟"

– "أخطط للذهاب إلى معرض اللوحات القومي. سأشرح لك عندما أراك. هل تمانع لو التقينا في مكان قريب من هناك؟"

– "يمكنني الذهاب لأي مكان، أنا بجوار المترو مباشرة. سأتجه إلى هناك وأينا يجد مقهى أولاً يراسل الآخر."

بعد خمس وأربعين دقيقة، دخلت روبن مقهى "نوتس"، الواقع في "سانت مارتن لين"، والذي كان مزدحمًا بالفعل رغم الوقت المبكر من الصباح. الطاولات الخشبية، وبعضها بحجم طاولة مطبخ والديها في يوركشاير، كانت مكتظة بالشباب مع حواسيبهم المحمولة ورجال الأعمال الذين يتناولون الإفطار قبل العمل. وبينما كانت تقف في الطابور عند المنضدة الطويلة، حاولت تجاهل المعجنات والكعك المتنوعة المعروضة تحتها: كانت قد أخذت شطائر معها لمراقبتها الليلية لمنزل خبير الأرصاد، وتلك، كما قالت لنفسها بصرامة، يجب أن تكفي.

بعد طلب الكابتشينو، توجهت إلى الجزء الخلفي من المقهى، حيث جلس سترايك يقرأ صحيفة «التايمز» تحت ثريا حديدية تشبه عنكبوتًا كبيرًا. بدا أنها نسيت خلال الأيام الستة الماضية كم هو ضخم الحجم. وهو منحنٍ فوق الصحيفة، ذكّرها بدب أسود، ذقنه كثيفة الشعر، يلتهم لفافة "تشياباتا" بالبيض واللحم

المقدد، وشعرت روبن بموجة من الاستلطاف لمجرد الطريقة التي يبدو بها. أو ربما، فكرت، كانت مجرد رد فعل عكسي ضد الرجال ذوي الفكوك الحليقة، النحيلين، والوسيمين بشكل تقليدي، الذين، مثل عطور مسك الروم، يبدون جذابين حتى يجعلك التعرض الطويل لهم تتوقين للهروب.

قالت وهي تنزلق إلى المقعد المقابل له:

– "مرحبًا."

رفع سترايك بصره، وفي تلك اللحظة، كان لشعرها الطويل اللامع وهالة الصحة المحيطة بها مفعول الترياق عليه ضد جو التعفن السريري الخانق الذي قضى فيه الأيام الخمسة الماضية.

– "لا تبدين منهكة بما يكفي لشخص ظل مستيقظًا طوال الليل."

قالت روبن وهي ترفع حاجبيها:

– "سأعتبر ذلك إطراءً لا اتهامًا. لقد كنت مستيقظة طوال الليل، وما زال صاحب «البطاقات البريدية» لم يظهر نفسه – أو نفسها – لكن بطاقة أخرى وصلت أمس، موجهة إلى استوديو التلفزيون. قالت إن «بوستكارد» أحب الطريقة التي ابتسم بها في نهاية النشرة الجوية ليوم الثلاثاء."

دمدم سترايك بصوت غير مفهوم.

قالت روبن:

– "هل تريد أن تبدأ أنت بخصوص بامبورو، أم أبدأ أنا؟"

قال سترايك وهو لا يزال يمضغ:

– "أنتِ أولاً. أنا أتضور جوعًا."

– "حسنًا. لدي أخبار جيدة وأخرى سيئة. الأخبار السيئة هي أن كل من كنت أحاول تعقبهم تقريبًا قد ماتوا، والبقية في حكم الأموات."

أطلعت سترايك على وفاة ويلي لوماكس، وألبرت شيمينغز، وويلما بايليس، ودوروثي أوكدين، وعن الخطوات التي اتخذتها حتى الآن للتواصل مع أقاربهم.

– "لم يعاود أحد الاتصال باستثناء أحد أبناء شيمينغز، الذي يبدو قلقًا من أننا صحفيون نحاول إلصاق اختفاء مارغو بوالده. لقد كتبت له بريدًا إلكترونيًا مطمئنًا. آمل أن ينجح الأمر."

قال سترايك، الذي توقف عن التهامه المنتظم للفافة ليشرب نصف كوب من الشاي:

– "كنت أواجه مشاكل مماثلة. تلك المشاهدة لـ «امرأتين تتصارعان بجوار كبائن الهاتف» سيكون من المستحيل التحقق منها تقريبًا. روبي إليوت، التي رأتهما، والأم والابنة من عائلة فلوري، اللتان كانتا هما على الأرجح، كلهن قد متن أيضًا. لكن جميعهن لديهن أحفاد أحياء، لذا أرسلت بضع رسائل. رد واحد فقط حتى الآن، من حفيد لعائلة فلوري لا يعرف عما أتحدث بحق الجحيم. والدكتور برينر لا يبدو أن لديه قريبًا واحدًا على قيد الحياة يمكنني العثور عليه. لم يتزوج قط، ولا أطفال، وأخت ميتة لم تتزوج هي الأخرى."

تنهدت روبن:

– "هل تعلم كم عدد النساء اللواتي يحملن اسم أماندا وايت؟"

قال سترايك، وهو يأخذ قضمة كبيرة أخرى من اللفافة:

– "أستطيع التخيل. لهذا السبب أعطيتها لكِ."

– "أنت –؟"

قال مبتسمًا بتكلف لتعابير وجهها:

– "أنا أمزح. ماذا عن بول ساتشويل وغلوريا كونتي؟"

– "حسنًا، إذا كانا ميتين، فلم يموتا في المملكة المتحدة. لكن إليك شيئًا غريبًا حقًا: لا أستطيع العثور على ذكر واحد لأي منهما بعد عام 75."

قال سترايك رافعًا حاجبيه:

– "يا للصدفة. دوثويت، صاحب الصداع التوتري والعشيقة الميتة، اختفى هو الآخر. إما أنه بالخارج، أو غير هويته. لا أستطيع العثور على أي عنوان له بعد عام 76، ولا شهادة وفاة أيضًا. ولو أنني، لو كنت مكانه، لربما غيرت اسمي أيضًا.

مراجعات الصحافة عنه لم تكن جيدة، أليس كذلك؟ فاشل في وظيفته، ينام مع زوجة زميله، يرسل زهورًا لامرأة تختفي بعد ذلك –"

قالت روبن في فنجان قهوتها:

– "نحن لا نعرف أنها كانت زهورًا."*أنواع أخرى من الهدايا متاحة يا سترايك.*

– "شيكولاتة إذن. ينطبق نفس الشيء. لكن من الأصعب معرفة سبب اختفاء ساتشويل وكونتي عن الرادار،" قال سترايك وهو يمرر يده على ذقنه غير الحليقة. "اهتمام الصحافة بهما تلاشى بسرعة كبيرة. وكنتِ لتجدي كونتي على الإنترنت لو كانت مسألة بسيطة تتعلق باسم الزواج. لا يمكن أن يكون هناك عدد كبير من «غلوريا كونتي» بقدر ما هناك من أماندا وايت."

قالت روبن:

– "كنت أتساءل عما إذا كانت قد ذهبت للعيش في إيطاليا. الاسم الأول لوالدها كان ريكاردو. ربما كان لديها أقارب هناك. لقد أرسلت بضعة استفسارات عبر فيسبوك لبعض عائلة كونتي، لكن الأشخاص الوحيدين الذين ردوا حتى الآن لا يعرفون غلوريا. أنا أدعي أنني أقوم ببحث في علم الأنساب، لأنني قلقة من أنها قد لا ترد إذا ذكرت مارغو مباشرة."

قال سترايك، مضيفًا المزيد من السكر إلى شايه:

– "أعتقد أنكِ محقة على الأرجح. نعم، إيطاليا فكرة جيدة. كانت صغيرة، وربما رغبت في تغيير المشهد. اختفاء ساتشويل غريب رغم ذلك. تلك الصورة لم توحِ برجل خجول. قد تظنين أنه كان سيظهر في مكان ما الآن، ليعلن عن لوحاته."

– "تحققت من المعارض الفنية، والمزادات، والمعارض. الأمر يبدو حقًا وكأنه تبخر."

قال سترايك، وهو يبتلع اللقمة الأخيرة من لافته ويخرج مفكرته:

– "حسنًا، لقد أحرزت بعض التقدم. يمكنك إنجاز قدر مفاجئ من العمل وأنت جالس في مستشفى. لقد وجدت أربعة شهود أحياء، ووافق أحدهم بالفعل على التحدث: غريغوري تالبوت، ابن بيل الذي فقد عقله ورسم نجومًا خماسية في

كل مكان بملف القضية. شرحت من أنا ومن استأجرني، وغريغوري متقبل تمامًا للدردشة. سأذهب إلى هناك يوم السبت، إذا كنتِ تريدين المجيء."

قالت روبن بخيبة أمل:

– "لا أستطيع. موريس وآندي كلاهما لديهما التزامات عائلية. باركلي وأنا يجب أن نغطي عطلة نهاية الأسبوع."

– "آه، خسارة. حسنًا، لقد وجدت أيضًا اثنتين من النساء اللواتي عملن مع مارغو في العيادة،" قال سترايك وهو يقلب صفحة في مفكرته. "الممرضة، جانيس، لا تزال تستخدم اسم زواجها الأول، مما ساعد. العنوان الذي أعطاني إياه غوبتا كان قديمًا، لكنني تتبعتها من هناك. هي الآن في «نايتينغيل غروف» (بستان العندليب) –"

– "مناسب جدًا."

– "– في هيذر غرين. وإيرين بول أصبحت الآن السيدة إيرين هيكسون، أرملة رجل كان يدير شركة مقاولات بناء ناجحة. تعيش في شارع «سيركس»، غرينتش."

– "هل اتصلت بهن؟"

– "قررت الكتابة أولاً. نساء مسنات، وكلتاهما تعيشان بمفردهما – شرحت من نحن ومن استأجرنا، ليكون لديهن وقت للتحري عنا، والتأكد من أننا شرعيون، وربما التحقق مع آنا."

– "تفكير جيد."

– "وسأفعل الشيء نفسه مع أونا كينيدي، المرأة التي كانت تنتظر مارغو في الحانة تلك الليلة، بمجرد أن أتأكد من أنني عثرت على الشخصية الصحيحة. قالت آنا إنها كانت في ولفرهامبتون، لكن المرأة التي وجدتها موجودة في ألنويك. إنها في العمر الصحيح، لكنها... قسيسة متقاعدة."

ابتسمت روبن لتعبير وجه سترايك، الذي كان مزيجًا من الشك والاشمئزاز.

– "ما المشكلة في القساوسة؟"

– "لا شيء،" قال، مضيفًا بعد لحظة، "أو ليس الكثير. يعتمد على القسيس. لكن أونا كانت فتاة ليل (باني غيرل) في الستينيات. كانت تقف بجانب مارغو في إحدى الصور التي استخدمتها الصحافة، ومذكورة بالاسم في أحد التعليقات. ألا تعتقدين أن الانتقال من فتاة ليل إلى قسيسة أمر غير مرجح إلى حد ما؟"

اعترفت روبن:

– "مسار حياة مثير للاهتمام، لكنك تتحدث إلى سكرتيرة مؤقتة أصبحت محققة بدوام كامل. وبالحديث عن أونا،" أضافت وهي تسحب نسختها من *شيطان بارادايس بارك* من حقيبة يدها وتفتحها. "أردت أن أريك شيئًا. هناك،" قالت وهي تمد الكتاب إليه. "اقرأ الجزء الذي وضعت عليه علامة بقلم الرصاص."

– "لقد قرأت الكتاب كله بالفعل. أي جزء –؟"

أصرت روبن:

– "أرجوك، فقط اقرأ حيث وضعت العلامة."

مسح سترايك يده بمنديل ورقي، وأخذ الكتاب من روبن وقرأ الفقرات التي وضعت بجانبها خطًا سميكًا بقلم الرصاص.

...قبل اختفائها بوقت قصير، حجزت مارغو بامبورو لنفسها مكانًا في "دار برايد ستريت للتمريض" في إيسلينغتون، وهي منشأة خاصة كانت في عام 1974 توفر عمليات إجهاض سرية.

أغلقت دار برايد ستريت أبوابها في عام 1978 ولا توجد سجلات تظهر ما إذا كانت بامبورو قد خضعت للإجراء. ومع ذلك، فإن الاحتمال بأنها سمحت لصديقة باستخدام اسمها قد طرحه مؤلف كتاب «ماذا حدث لمارغو بامبورو؟»، الذي يشير إلى أن المرأة الأيرلندية وزميلتها فتاة الليل التي كان من المفترض أن تقابلها بامبورو في الحانة تلك الليلة ربما كان لديها سبب وجيه للتمسك بقصة الحانة، حتى بعد وفاة بامبورو.

تقع دار برايد ستريت للتمريض على بعد ثماني دقائق فقط سيرًا على الأقدام من شقة قبو دينيس كريد في طريق ليفربول. لذلك يبقى الاحتمال قائمًا بأن مارغو بامبورو لم تكن تنوي الذهاب إلى الحانة في تلك الليلة، وأنها قالت تلك الكذبة لتحمي نفسها، أو امرأة أخرى، وأنها ربما

تكون قد اختُطفت، ليس من شارع في كليركينويل، بل على مسافة قصيرة من منزل كريد بالقرب من "بارادايس بارك".

قال سترايك، وبدا عليه الذهول التام:

– "ما هذا الـ...؟ نسختي لا تحتوي على هذا الجزء. لديك ثلاث فقرات إضافية!"

قالت روبن، بصوت مفعم بالرضا:

– "ظننت أنك لم تقرأه. نسختك لا يمكن أن تكون الطبعة الأولى. نسختي كذلك. انظر هنا،" قالت وهي تقلب الصفحات إلى مكان في آخر الكتاب، بينما لا يزال سترايك يمسكه. "أترى هناك، الملاحظة الختامية؟ «ماذا حدث لمارغو بامبورو؟ بقلم سي. بي. أوكدين، نُشر عام 1985». إلا أنه لم يُنشر،" قالت روبن. "لقد أُعدم (فُرم). مؤلف هذا الكتاب،" نقرت على *شيطان بارادايس بارك*، "لابد وأنه حصل على نسخة مسبقة. لقد كنت أنبش في الأمر،" تابعت روبن. "كل هذا حدث قبل الإنترنت، بالطبع، لكنني وجدت بضع إشارات له على الإنترنت، في مقالات قانونية حول دعاوى التشهير لوقف النشر.

"بشكل أساسي، رفع روي فيبس وأونا كينيدي دعوى مشتركة ضد سي. بي. أوكدين وربحاها. تم فرم كتاب أوكدين وكانت هناك إعادة طبع سريعة لكتاب *شيطان بارادايس بارك*، بدون المقطع المسيء."

ردد سترايك:

– "سي. بي. أوكدين؟ هل هو –؟"

– "ابن دوروثي، سكرتيرة العيادة. بالضبط. الاسم الكامل: كارل برايس أوكدين. آخر عنوان حصلت عليه له كان في والثامستو، لكنه انتقل ولم أتمكن من تعقبه بعد."

أعاد سترايك قراءة الفقرات المتعلقة بعيادة الإجهاض، ثم قال:

– "حسنًا، إذا نجح فيبس وكينيدي في المقاضاة لوقف النشر، فلابد أنهما أقنعا قاضيًا بأن هذا كان كاذبًا جزئيًا أو كليًا."

قالت روبن:

– "شيء فظيع للكذب بشأنه، أليس كذلك؟ سيئ بما فيه الكفاية إذا كان يقول إن مارغو خضعت للإجهاض، لكن التلميح إلى أن أونا هي من فعلت ذلك، وكانت تتستر على مكان وجود مارغو في تلك الليلة –"

قال سترايك:

– "أنا مندهش من أنه مرر ذلك عبر المحامين."

قالت روبن:

– "ناشر أوكدين كان مطبعة صغيرة. لقد بحثت عنهم أيضًا. أفلسوا بعد وقت قصير من فرم كتابه. ربما لم يكلفوا أنفسهم عناء استشارة محامين."

قال سترايك:

– "يا لغبائهم، لكن ما لم يكن لديهم نوع من الرغبة في تدمير الذات، لا يمكن أن يكون هذا مخترعًا بالكامل. لابد أنه كان لديه شيء يستند إليه. وهذا الرجل،" رفع كتاب *شيطان بارادايس بارك*، "كان صحفي تحقيقات حقيقيًا. لم يكن ليضع نظريات دون رؤية بعض الأدلة."

– "هل يمكننا التحقق معه، أم أنه –؟"

– "ميت."

جلس سترايك للحظة يفكر، ثم تابع:

– "لابد أن الموعد حُجز باسم مارغو. السؤال هو ما إذا كانت هي من خضع للإجراء، أو ما إذا كان شخص ما استخدم اسمها دون علمها." أعاد سترايك قراءة الأسطر القليلة الأولى من المقطع. "وتاريخ الموعد غير مذكور أيضًا. «قبل اختفائها بوقت قصير»... كلمات مراوغة. لو كان الموعد محددًا ليوم اختفائها، لكان المؤلف قد ذكر ذلك. كان ذلك ليكون كشفًا كبيرًا وكان ليتم التحقيق فيه من قبل الشرطة. «قبل اختفائها بوقت قصير» عبارة مفتوحة لتفسيرات واسعة."

قالت روبن:

– "صدفة غريبة مع ذلك، أليست كذلك؟ أن تحجز موعدًا قريبًا جدًا من منزل كريد؟"

– "أجل." لكن بعد لحظة من التفكير قال: "لا أدري. هل هي كذلك؟ كم عدد عيادات الإجهاض التي كانت موجودة في لندن عام 1974؟"

أعاد الكتاب إلى روبن، وتابع:

– "قد يفسر هذا سبب توتر روي فيبس بشأن تحدث ابنته إلى أونا كينيدي. لم يردها أن تخبر ابنته المراهقة أن والدتها ربما أجهضت شقيقها."

قالت روبن:

– "فكرت في ذلك أيضًا. سيكون شيئًا فظيعًا لسماعه. خاصة عندما عاشت معظم حياتها تتساءل عما إذا كانت والدتها قد هربت وتركتها."

قال سترايك:

– "يجب أن نحاول الحصول على نسخة من «ماذا حدث لمارغو بامبورو؟»". قد تكون هناك نسخ لا تزال موجودة إذا كانوا قد وصلوا لمرحلة طباعتها. ربما وزع بعضها. نسخ للمراجعة وما شابه."

– "أنا أعمل على ذلك بالفعل. لقد راسلت بضعة أماكن مختلفة لبيع الكتب المستعملة."

لم تكن هذه المرة الأولى التي تجد فيها نفسها تفعل شيئًا للوكالة يشعرها بشيء من الدناءة.

تابعت قائلة:

– "كان كارل أوكدين في الرابعة عشرة فقط عندما اختفت مارغو. كتابة كتاب عنها، واستغلال الصلة، والادعاء بأن مارغو ووالدته كانتا صديقتين مقربتين ـ"

وافقها سترايك:

– "أجل، يبدو وغدًا من الطراز المألوف. متى ترك عنوانه في والثامستو؟"

– "قبل خمس سنوات."

– "هل ألقيتِ نظرة على وسائل التواصل الاجتماعي؟"

– "نعم. لا أستطيع العثور عليه."

اهتز هاتف سترايك المحمول في جيبه. خيل لروبن أنها رأت وميضًا من الذعر في وجهه وهو يتحسس جيبه للعثور عليه، وعرفت أنه يفكر في جوان.

سألته وهي تراقب تعبير وجهه يتجهم وهو ينظر إلى شاشة هاتفه:

– "هل كل شيء بخير؟"

كان سترايك قد رأى للتو:

يا أخي، هل يمكننا من فضلك التحدث في هذا وجهًا لوجه؟ حفل الإطلاق والألبوم الجديد أمر كبير بالنسبة لأبي. كل ما نطلبه –

قال وهو يحشر الهاتف مرة أخرى في جيبه، وبقية الرسالة غير مقروءة:

– "أجل، بخير. إذن، كنتِ تريدين الذهاب إلى –؟"

للحظة، لم يستطع تذكر المكان غير المتوقع الذي أخبرته روبن أنها تريد زيارته، والذي كان السبب في جلوسهما حاليًا في هذا المقهى بالتحديد.

قالت:

– "معرض اللوحات القومي. ثلاث من بطاقات «بوستكارد» تم شراؤها من متجر الهدايا الخاص بهم."

– "ثلاث من... آسف، ماذا؟"

كان مشتتًا بما قرأه للتو. لقد كان واضحًا تمامًا مع أخيه غير الشقيق بأنه لا رغبة لديه سواء في حضور الحفل الذي يحتفل بألبوم والده الجديد، أو في الظهور في الصورة مع إخوته غير الأشقاء التي كان من المفترض أن تكون هديتهم التهنئة له.

ذكرته قائلة:

– "بطاقات «بوستكارد» – الشخص الذي يضطهد خبير الأرصاد الجوية الخاص بنا." قبل أن تغمغم: "لا يهم، كانت مجرد فكرة راودتني."

– "ما هي؟"

– "حسنًا، الصورة ما قبل الأخيرة التي أرسلها «بوستكارد» كانت للوحة قالوا إنها «تذكرهم دائمًا» بخبير الأرصاد. ففكرت... ربما يرون تلك اللوحة كثيرًا. ربما يعملون في المعرض. ربما يريدون منه سرًا أن يعرف ذلك، ليأتي للبحث عنهم؟"

حتى وهي تقول ذلك، اعتقدت أن النظرية تبدو بعيدة الاحتمال، لكن الحقيقة هي أنه لم يكن لديهم أي خيوط على الإطلاق بشأن "بوستكارد". هو -أو هي- فشل في الظهور في منزل خبير الأرصاد منذ أن بدؤوا مراقبته. ثلاث بطاقات تم شراؤها من مكان واحد قد تعني شيئًا، أو ربما لا شيء على الإطلاق. ما الذي كان لديهم غير ذلك؟

دمدم سترايك. ولأنها لم تكن متأكدة مما إذا كان هذا يشير إلى نقص في الحماس لنظريتها حول "بوستكارد"، أعادت روبن نسختها من *شيطان باراديس بارك* إلى حقيبة يدها وقالت:

– "هل ستتجه للمكتب بعد هذا؟"

– "أجل. أخبرت باركلي أنني سأتولى مراقبة «الراقص» في الثانية." تثاءب سترايك. "قد أحاول الحصول على ساعتين من النوم أولاً."

دفع نفسه للوقوف.

– "سأتصل بك وأخبرك كيف سارت الأمور مع غريغوري تالبوت. وشكرًا لتولي زمام الأمور أثناء غيابي. أقدر ذلك حقًا."

قالت روبن:

– "لا مشكلة."

رفع سترايك حقيبته على كتفه وخرج من المقهى وهو يعرج. بشعور طفيف بخيبة الأمل بعد الترقب، راقبته روبن يتوقف خارج النافذة ليشعل سيجارة، ثم يختفي عن الأنظار. نظرت إلى ساعتها، فرأت أنه لا تزال هناك ساعة ونصف قبل أن يفتح معرض اللوحات القومي أبوابه.

كانت هناك بلا شك طرق أكثر متعة لتمضية ذلك الوقت من التساؤل عما إذا كانت الرسالة النصية التي تلقاها سترايك للتو قد جاءت من شارلوت كامبل، لكن ذلك كان هو التشتيت الذي خطر ببال روبن، وشغلها لجزء مفاجئ من الوقت المتبقي لها لتضييعه.

17

ولكن أنتِ... يا من جعلك القدرُ العابسُ المعاكسُ
شاهدًا حزَينًا على سقوط َأبيكِ...

إدموند سبنسر ملكة الجن

كان جوني روكبي، الذي غاب بشكل شبه كلي عن حياة ابنه الأكبر، حاضرًا مع ذلك كطيف دائم وغير ملموس، خاصة خلال طفولة سترايك. كان أصدقاء والديه يملكون ألبومات والده، وعلقوا ملصقات روكبي على جدران غرف نومهم حين كانوا مراهقين، وأمتعوا سترايك بذكرياتهم العزيزة عن حفلات الـ "ديدبيتس". ذات مرة، توسلت أم عند بوابة المدرسة إلى سترايك البالغ من العمر سبع سنوات ليأخذ رسالة منها إلى والده. وقد حرقتها والدته لاحقًا، في المنزل العشوائي الذي كانوا يقيمون فيه آنذاك.

وحتى التحق بالجيش، حيث اختار ألا يعرف أحد اسم والده أو مهنته، وجد سترايك نفسه بانتظام موضع تأمل كأنه عينة في وعاء زجاجي، تلاحقه أسئلة تُعتبر في الظروف الطبيعية شخصية وتطفلية، ويتعامل مع افتراضات غير منطوقة جذورها الحسد والحقد.

طالب روكبي بأن تخضع ليدا لاختبار الأبوة قبل أن يقبل بأن سترايك ابنه. وعندما جاءت النتيجة إيجابية، تم التوصل إلى تسوية مالية كان ينبغي أن تضمن ألا يضطر ابنه الصغير مرة أخرى للنوم على مرتبة قذرة في غرفة يشاركه فيها غرباء. ومع ذلك، فإن مزيجًا من إسراف والدته ونزاعاتها المنتظمة مع ممثلي روكبي، ضمن فقط أن تصبح حياة سترايك سلسلة من نوبات الثراء المربكة التي تنتهي عادة

بانحدار مفاجئ مرة أخرى إلى الفوضى والبؤس. كانت ليدا تميل إلى إغراق أطفالها بهدايا باهظة الثمن بجنون، يستمتعون بها وهم يرتدون أحذية ضيقة جدًا، وإلى الانطلاق في رحلات إلى القارة الأوروبية أو أمريكا لرؤية فرقها المفضلة في الحفلات، تاركة أطفالها مع تيد وجوان بينما تتجول هي في سيارات بسائقين وتقيم في أفضل الفنادق.

كان لا يزال يتذكر استلقاءه في غرفة الضيوف في كورنوال، ولوسي نائمة في السرير التوأم بجانبه، يستمع إلى والدته وجوان تتجادلان في الطابق السفلي، لأن الأطفال وصلوا مرة أخرى إلى منزل خالتهم وعمهم في منتصف الشتاء، بلا معاطف. سُجل سترايك مرتين في مدارس خاصة، لكن ليدا أخرجته في المرتين قبل أن يكمل أكثر من فصلين دراسيين، لأنها قررت أن ابنها يتم تلقينه القيم الخاطئة. كل شهر، كانت أموال روكبي تتبخر على الهبات للأصدقاء والعشاق، وفي مشاريع متهورة – تذكر سترايك تجارة مجوهرات، ومجلة فنية، ومطعمًا نباتيًا، وجميعها فشلت، ناهيك عن "الكميونة" في نورفولك التي كانت أسوأ تجربة في حياته الفتية.

أخيرًا، قام محامو روكبي (الذين فوض إليهم نجم الروك جميع الأمور المتعلقة برفاهية ابنه) بتقييد مدفوعات الأبوة بطريقة لم تعد ليدا قادرة معها على تبديد المال. الفرق الوحيد الذي أحدثه هذا في الحياة اليومية لسترايك المراهق هو أن "التدليل" توقف، لأن ليدا لم تكن مستعدة لإخضاع إنفاقها للتدقيق بالطريقة التي طالب بها الترتيب الجديد. ومنذ تلك اللحظة فصاعدًا، ظلت مدفوعات الأبوة تتراكم بهدوء في حساب، وعاشت الأسرة على المساهمات المالية الأصغر التي قدمها والد لوسي.

التقى سترايك بوالده مرتين فقط، ويحمل ذكريات غير سعيدة عن كلا اللقائين. ومن جانبه، لم يسأل روكبي قط لماذا بقيت أموال سترايك غير منفقة. وباعتباره متهربًا ضريبيًا مقيمًا بالخارج منذ فترة طويلة، كان لديه فرقة ليتصدر واجهتها، والعديد من المنازل لصيانتها، واثنتان من الزوجات السابقات وزوجة حالية لإبقائهن سعيدات، وخمسة أطفال شرعيين واثنان غير شرعيين. سترايك،

الذي كان حمله حادثًا، والذي تسبب اختباره الإيجابي للأبوة في تفكك زواج روكبي الثاني، والذي كان مكان وجوده غير مؤكد عادة، جاء في ذيل قائمة أولوياته.

قدم عم سترايك نموذج الرجولة الذي طمح إليه سترايك خلال تقلبات والدته مع عشاقها الكثر، وطفولة قضاها في الظل الطويل الذي ألقاه والده البيولوجي. كانت ليدا تلوم تيد دائمًا، الشرطي العسكري السابق، على اهتمام سترايك غير الطبيعي بالجيش والتحقيق. ومن وسط ضباب أزرق من دخان القنب، كانت تحاول بجدية ثني ابنها عن مهنته في الجيش، وتلقي عليه محاضرات حول تاريخ بريطانيا العسكري المخزي، وحول الروابط التي لا فكاك منها بين الإمبريالية والرأسمالية، وتحاول، دون جدوى، إقناعه بتعلم الجيتار أو، على الأقل، ترك شعره ينمو.

ومع ذلك، ومع كل العيوب والألم الذي جلبته، عرف سترايك أن الظروف الغريبة لمولده ونشأته قد منحته انطلاقة مبكرة كمحقق. تعلم مبكرًا كيف يتلون وفقًا لبيئته. فمنذ اللحظة التي علم فيها أن هناك عقوبات تترتب على عدم التحدث مثل أي شخص آخر، كانت لهجته تتبدل بين اللندنية والكورنوالية. وقبل أن يعيق فقدان ساقه نطاق حركته الجسدية الكامل، كان قادرًا، رغم ضخامة حجمه المميزة، على التحرك والتحدث بطرق تجعله يبدو أصغر مما هو عليه في الحقيقة. تعلم أيضًا قيمة إخفاء المعلومات الشخصية، وتنقيح القصص التي ترويها عن نفسك، لتجنب التورط في مفاهيم الناس الآخرين عمن يجب أن تكون. والأهم من ذلك كله، طور سترايك رادارًا حساسًا للتغيرات في السلوك التي تشير إلى الإدراك المفاجئ بأنه ابن رجل مشهور. كان خبيرًا في أساليب المتلاعبين، والمداهنين، والكاذبين، والانتهازيين، والمنافقين منذ أن كان طفلاً.

كانت هذه المواهب المشكوك فيها أفضل ما قدمه له والده؛ لأنه، بصرف النظر عن نفقة الطفل، لم تكن هناك أبدًا بطاقة عيد ميلاد أو هدية كريسماس. تطلب الأمر أن تُنسف ساقه في أفغانستان ليرسل روكبي لسترايك رسالة بخط اليد. طلب سترايك من شارلوت، التي كانت تجلس بجانب سريره في المستشفى عندما تلقاها، أن تلقيها في سلة المهملات.

منذ أن أصبح سترايك محط اهتمام الصحف بفضل إنجازاته الشخصية، قام روكبي بمحاولات خجولة أخرى لإعادة التواصل مع ابنه المبتعد، وذهب إلى حد الإيحاء في مقابلات حديثة بأنهما على وفاق. أرسل العديد من أصدقاء سترايك روابط لمقابلة حديثة عبر الإنترنت مع روكبي تحدث فيها عن فخره بسترايك. حذف المحقق الرسائل دون رد.

كان سترايك يكن مودة، وإن كانت مشوبة بالامتعاض، لـ آل، الأخ غير الشقيق الذي استخدمه روكبي مؤخرًا كمبعوث. حافظ آل بإصرار على السعي لعلاقة مع سترايك رغم مقاومة أخيه الأكبر الأولية. بدا أن آل يعجب في سترايك بصفات الاعتماد على النفس والاستقلالية التي لم يكن أمام الأخير خيار سوى تطويرها. ومع ذلك، كان آل يظهر عنادًا مثيرًا للغضب في الاستمرار بدفع سترايك للاحتفال بذكرى سنوية لا تعني لسترايك شيئًا، سوى كونها تذكيرًا آخر بمدى أهمية فرقة روكبي له دائمًا مقارنة بابنه غير الشرعي. استاء المحقق من الوقت الذي قضاه صباح السبت في صياغة رد على أحدث رسالة نصية من آل حول الموضوع. واختار أخيرًا الإيجاز بدلاً من المزيد من الجدال:

لم أغير رأيي، لكن لا ضغينة أو مرارة من جانبي. آمل أن يسير كل شيء على ما يرام ولنتناول جعة عندما تكون في المدينة المرة القادمة.

بعد أن اهتم بهذا الجزء المزعج من الشؤون الشخصية، أعد سترايك لنفسه شطيرة، وارتدى قميصًا نظيفًا فوق قميصه الداخلي (تي شيرت)، واستخرج من ملف قضية بامبورو الصفحة التي كتب عليها بيل تالبوت رسالته الغامضة باختزال بيتمان، وانطلق بسيارته إلى ويست ويكهام، حيث كان لديه موعد مع غريغوري تالبوت، ابن الراحل بيل.

أثناء القيادة عبر شمس ومطر متقطعين، والتدخين طوال الطريق، أعاد سترايك تركيز عقله على العمل، متأملاً ليس فقط الأسئلة التي خطط لطرحها على ابن الشرطي، بل أيضًا المخاوف المختلفة المتعلقة بالوكالة التي نشأت منذ عودته. كانت هناك قضايا معينة تحتاج لاهتمامه الشخصي أثارها باركلي في اليوم السابق. الاسكتلندي، الذي كان سترايك يميل لتصنيفه كأفضل محقق لديه بعد روبن، عبر

أولاً بصراحته المعهودة عن موضوع راقص "ويست إند" الذي كان من المفترض أن يجدوا شيئًا يشين سمعته.

– "لن نتمكن من إمساك أي شيء عليه يا سترايك. إذا كان يضاجع فتاة أخرى، فلا بد أنها تعيش في خزانة ملابسه اللعينة. أعلم أنه مع فتاتنا من أجل بطاقتها الائتمانية، لكنه أذكى من أن يفسد وضعًا جيدًا."

قال سترايك:

– "أعتقد أنك محق على الأرجح، لكنني قلت إننا سنمنح العميل ثلاثة أشهر، لذا سنستمر. كيف تسير أمورك مع بات؟" أضاف ذلك آملاً أن يكون شخص آخر يجد السكرتيرة الجديدة مزعجة بقدر ما يجدها هو، لكنه أصيب بخيبة أمل.

قال باركلي، وعيناه الزرقاوان الكبيرتان تنظران إلى رئيسه من تحت حاجبين كثيفين:

– "آه، إنها رائعة. أعلم أن صوتها يبدو كعامل ميناء مصاب بالتهاب شعبي، لكنها فعالة للغاية. لكن إذا كنا نتحدث بصدق عن التعيينات الجديدة، فهنا..."

قال سترايك:

– "أكمل. موريس لا يقوم بواجبه؟"

– "لم أكن لأقول ذلك بالضبط."

حك الغلازوي (نسبة لغلاسكو) مؤخرة رأسه الذي غشاه الشيب مبكرًا، ثم قال:

– "ألم تذكر روبن أي شيء لك؟"

سأل سترايك بحدة أكبر:

– "هل كانت هناك مشاكل بينهما؟"

قال باركلي ببطء:

– "لا أقول مشاكل بالضبط، لكنه لا يحب تلقي الأوامر منها. يوضح ذلك تمامًا من وراء ظهرها."

– "حسنًا، هذا سيتعين تغييره. سأتحدث معه."

– "ولديه أفكاره الخاصة حول قضية المراوغ."

قال سترايك:

– "أهذا صحيح؟"

– "ما زال يعتقد أنه سيكسب المساعدة الشخصية لصفه. أخبرته روبن أن الوقت قد حان للتخلي عن الأمر، ووقت إدخال هاتشينز. لقد اكتشفت –"

– "أن المراوغ ينتمي لنادي «هيندون» للرماية، نعم، لقد راسلتني. وتريد إدخال هاتشينز هناك، لمحاولة مصادقته. خطة ذكية. المراوغ يظن نفسه رجلاً مفتول العضلات (ماتشو)، حسب كل ما نعرفه عنه."

– "لكن موريس يريد فعل ذلك بطريقته. قال لها في وجهها إنه سعيد بالخطة الجديدة، لكن –"

– "هل تعتقد أنه لا يزال يقابل المساعدة الشخصية؟"

قال باركلي:

– "«يقابل» قد تكون طريقة مهذبة لوصف الأمر."

لذا استدعى سترايك موريس إلى المكتب وأوضح له بلغة صريحة أنه يجب أن يترك مساعدة المراوغ وشأنها، وأن يركز للأسبوع القادم على حبيبة "المزدوج". لم يبدِ موريس أي اعتراضات: في الواقع، كان استسلامه مشوبًا بالتملق. ترك اللقاء طعمًا غير مستساغ قليلاً. كان موريس، في جميع النواحي تقريبًا، موظفًا مرغوبًا فيه، ولديه العديد من الاتصالات الجيدة في سلك الشرطة، لكن كان هناك شيء ما في سلوكه وهو يسارع للموافقة يشي بانزلاقية لم يستطع سترايك أن يستسيغها. في وقت لاحق من تلك الليلة، بينما كان سترايك يتبع سيارة الأجرة التي تقل "الراقص" وحبيبته عبر الويست إند، تذكر أصابع الدكتور غوبتا المتشابكة، وحكم الطبيب العجوز بأن ما يصنع عملاً ناجحًا هو العمل السلس للفريق.

عند دخوله ويست ويكهام، وجد صفوفًا من المنازل في الضواحي بنوافذ بارزة، وممرات واسعة ومرائب خاصة. كان شارع "ذي أفينيو"، حيث يعيش غريغوري تالبوت، مصطفًا بمساكن عائلية متينة تشي بمالكين من الطبقة المتوسطة ذوي ضمير حي يجزون عشبهم ويتذكرون يوم جمع القمامة. لم تكن

المنازل فخمة مثل المنازل المنفصلة في شارع الدكتور غوبتا، لكنها كانت أكثر اتساعًا بعدة مرات من شقة سترايك العلوية فوق المكتب.

عند الانعطاف إلى ممر تالبوت، أوقف سترايك سيارته الـ "بي إم دبليو" خلف حاوية مخلفات بناء كانت تسد مقدمة المرآب. وبينما كان يطفئ محركه، فتح رجل شاحب، أصلع تمامًا بأذنين كبيرتين ونظارات ذات إطار فولاذي بابه وبدا عليه إثارة حذرة. عرف سترايك من بحثه عبر الإنترنت أن غريغوري تالبوت مدير مستشفى.

نادى الرجل بينما كان المحقق يخرج بحذر من السيارة (كان الممر زلقًا بالمطر وذكرى تعثره على عبارة فالموث لا تزال حية):

– "سيد سترايك؟"

قال سترايك وهو يغلق باب سيارته ويمد يده بينما اقترب تالبوت منه:

– "هذا أنا."

كان تالبوت أقصر من سترايك بست بوصات جيدة.

قال:

– "آسف بشأن الحاوية. نقوم بتحويل العلية."

بينما كانا يقتربان من الباب الأمامي، اندفعت فتاتان توأمان خمن سترايك أنهما في حوالي العاشرة من العمر إلى الخارج، وكادتا تطيحان بغريغوري جانبًا.

نادى غريغوري:

– "ابقيا في الحديقة أيتها الفتاتان."

رغم أن سترايك اعتقد أن المشكلة الأكثر إلحاحًا هي بالتأكيد أنهما حافيتا القدمين، وأن الأرض كانت باردة ومبللة.

– "ابقيا في الحديقة أيتها الفتاتان،" قلدت إحدى التوأمين بسخرية ولثغة مصطنعة. نظر غريغوري بحدة خفيفة من فوق نظارته إلى التوأمين.

– "الوقاحة ليست مضحكة."

قالت التوأم الأولى:

– "بلى، إنها مضحكة تباً." وسط ضحك صاخب من الثانية.

قال غريغوري:

– "اشتميني مرة أخرى، ولن تكون هناك حلوى شوكولاتة لكِ الليلة يا جايدا. ولن تستعيري جهاز الآيباد الخاص بي."

مطت جايدا وجهها بتعبير بشع لكنها، في الواقع، لم تشتم مرة أخرى.

قال غريغوري لسترايك وهما يخطوان للداخل:

– "نحن نكفل أطفالاً. أطفالنا غادروا المنزل. تفضل إلى اليمين واجلس."

بالنسبة لسترايك، الذي كان يعيش في حد أدنى من الأثاث (مينيماليزم) متقشف قليلاً باختياره، كانت الغرفة المكتظة وغير المرتبة للغاية غير جذابة. أراد قبول دعوة غريغوري للجلوس، لكن لم يكن هناك مكان يمكنه فعل ذلك فيه دون الاضطرار أولاً لإزاحة كمية كبيرة من الأشياء، وهو ما بدا وقحًا. غير مدرك لمحنة سترايك، نظر غريغوري عبر النافذة إلى التوأمين. كانتا تركضان عائدتين للداخل بالفعل، وهما ترتجفان.

قال، بينما صُفق الباب الأمامي وركضت التوأمان للأعلى:

– "إنهما تتعلمان."

عندما التفت لمواجهة الغرفة، أدرك أن أيًا من المقاعد لم يكن قابلاً للاستخدام حاليًا.

قال: "أوه، نعم، آسف"، وإن كان بدون أي من الحرج الذي كانت عمة سترايك، جوان، ستبديه لو وجد زائر عابر منزلها في هذه الحالة من الفوضى. "الفتيات كنّ هنا هذا الصباح."

أزاح غريغوري بسرعة مسدس فقاعات مسربًا، ودميتي باربي عاريتين، وجورب طفل، وعددًا من القطع الصغيرة من البلاستيك زاهي الألوان ونصف ثمرة يوسفي عن مقعد كرسي بذراعين للسماح لسترايك بالجلوس. ألقى بالأشياء المشردة على طاولة قهوة خشبية كانت مكدسة بالفعل بالمجلات، وخليط من أجهزة التحكم عن بعد، وعدة رسائل ومظاريف فارغة والمزيد من الألعاب البلاستيكية الصغيرة، بما في ذلك قدر كبير من قطع الليغو.

عرض عليه:

– "شاي؟ قهوة؟ زوجتي أخذت الأولاد للسباحة."

– "أوه، هناك أولاد أيضًا؟"

قال غريغوري:

– "من هنا جاء تحويل العلية. دارين معنا منذ ما يقرب من خمس سنوات."

بينما ذهب غريغوري لإحضار المشروبات الساخنة، التقط سترايك ألبوم الملصقات الرسمي لدوري أبطال أوروبا لهذا العام، والذي لمحته ملقى على الأرض تحت طاولة القهوة. قلب الصفحات بشعور من الحنين للأيام التي كان يجمع فيها هو أيضًا ملصقات كرة القدم. كان يتأمل بكسل فرص أرسنال في الفوز بالكأس عندما جعله ينظر لأعلى سلسلة من الارتطامات فوق رأسه مباشرة، جعلت المصباح المتدلي يتأرجح قليلاً جدًا. بدا الأمر وكأن التوأمين تقفزان صعودًا ونزولاً على سريرهما. وضع كتاب الملصقات جانبًا، وتأمل، دون إيجاد إجابة، في السؤال عما يمكن أن يكون دافع تالبوت وزوجته لإدخال أطفال ليس لديهم معهم أي علاقة بيولوجية إلى منزلهما. بحلول الوقت الذي عاد فيه غريغوري بصينية، كانت أفكار سترايك قد سافرت إلى شارلوت، التي أعلنت دائمًا أنها غير أمومية تمامًا، والتي نذرت أثناء حملها بتوأميها الخدج أن تتركهما لرعاية حماتها.

سأل غريغوري وعيناه على طاولة القهوة:

– "هل تمانع في إزاحة –؟"

سارع سترايك لنقل حفنات من الأشياء من عليها إلى الأريكة.

قال غريغوري وهو يضع الصينية:

– "شكرًا."

ثم غرف كومة أخرى من الأشياء من على الكرسي الثاني، وألقاها هي الأخرى على الكومة الكبيرة الآن على الأريكة، والتقط كوب الشاي الخاص به، وجلس وقال مشيرًا إلى وعاء سكر لزج قليلاً وعلبة بسكويت غير مفتوحة:

– "تفضل."

قال سترايك وهو يغرف السكر في شايه:

– "شكرًا جزيلاً."

قال غريغوري، وبدا عليه حماس طفيف:

– "إذن، أنت تحاول إثبات أن كريد قتل مارغو بامبورو."

– "حسنًا، أنا أحاول معرفة ما حدث لها وأحد الاحتمالات، بوضوح، هو كريد."

– "هل رأيت، في الصحيفة نهاية الأسبوع الماضي؟ إحدى رسومات كريد، بيعت بأكثر من ألف جنيه؟"

– "فاتني ذلك."

– "نعم، كان الخبر في «الأوبزرفر». صورة ذاتية بقلم الرصاص، رسمها عندما كان في سجن «بيلمارش». بيعت على موقع إلكتروني حيث يمكنك شراء فن القتلة المتسلسلين. عالم مجنون."

وافق سترايك:

– "إنه كذلك. حسنًا، كما قلت عبر الهاتف، ما أود حقًا التحدث إليك بشأنه هو والدك."

قال غريغوري، وقد غادره بعض مرحه:

– "نعم. أنا، إم، لا أعرف كم تعرف."

– "أنه تقاعد مبكرًا، إثر انهيار عصبي."

قال غريغوري:

– "حسنًا، نعم، هذا هو الأمر باختصار. الغدة الدرقية كانت السبب الأساسي. مفرطة النشاط ولم يتم تشخيصها، لفترة طويلة. كان يفقد الوزن، لا ينام... كان هناك الكثير من الضغط عليه، كما تعلم. ليس فقط من الشرطة؛ الصحافة أيضًا. كان الناس مستائين للغاية. حسنًا، أنت تعلم – طبيبة مفقودة – عزت أمي تصرفاته الغريبة قليلاً إلى التوتر."

– "بأي طريقة كان يتصرف بغرابة؟"

– "حسنًا، استولى على غرفة الضيوف ولم يسمح لأحد بالدخول إليها،" قال غريغوري، وقبل أن يتمكن سترايك من طلب المزيد من التفاصيل، تابع: "بعد أن اكتشفوا أمر الغدة الدرقية وأعطوه الأدوية المناسبة، عاد إلى طبيعته، لكن كان

الأوان قد فات لمسيرته المهنية. حصل على معاشه التقاعدي، لكنه شعر بالذنب بشأن قضية بامبورو لسنوات. لام نفسه، أتعرف، مفكرًا أنه لو لم يكن مريضًا جدًا، لربما أمسك به.

"لأن مارغو بامبورو لم تكن آخر امرأة أخذها كريد – أفترض أنك تعرف كل شيء عن ذلك؟ لقد اختطف أندريا هوتون بعد أن أخذ بامبورو. عندما قبضوا عليه ودخلوا المنزل ورأوا ما كان في القبو – معدات التعذيب والصور التي التقطها للنساء – اعترف بأنه أبقى بعضهن على قيد الحياة لشهور قبل قتلهن.

"كان أبي منزعجًا حقًا عندما سمع ذلك. ظل يعيد الأمر في رأسه، مفكرًا أنه لو أمسك به في وقت مبكر، لربما كانت بامبورو وهوتون لا تزالان على قيد الحياة. لقد جلد ذاته لأنه أصبح مهووسًا –"

قاطع غريغوري نفسه.

"– مشتتًا، كما تعلم."

– "إذن، حتى بعد تعافي والدك، ظل يعتقد أن كريد هو من قتل مارغو؟"

قال غريغوري، وبدا متفاجئًا قليلاً من أن هذا موضع تساؤل:

– "أوه نعم، بالتأكيد. لقد استبعدوا كل الاحتمالات الأخرى، أليس كذلك؟ الحبيب السابق، ذلك المريض المشبوه الذي كان مغرمًا بها، كلهم خرجوا نظيفين."

بدلاً من الإجابة برأيه الصادق، وهو أن مرض تالبوت المؤسف سمح بمرور أشهر ثمينة كان لدى جميع المشتبه بهم، بمن فيهم كريد، الوقت لإخفاء جثة، أو طمس الأدلة، أو صقل حجج غيابهم، أو الثلاثة معًا، أخرج سترايك من جيب داخلي الورقة التي كتب عليها تالبوت رسالة بيتمان الخاصة به، ومدها لغريغوري.

– "أردت أن أسألك عن شيء ما. أعتقد أن هذا خط يد والدك؟"

سأل غريغوري وهو يأخذ الورقة بحذر:

– "من أين حصلت على هذه؟"

– "من ملف الشرطة. تقول: «وهذا هو آخرهم، الثاني عشر، وستغلق الدائرة عند العثور على العاشر» – ثم هناك كلمة غير معروفة – «بافوميت. انسخ في الكتاب الحقيقي»، وكنت أتساءل عما إذا كان ذلك يعني أي شيء لك؟"

في تلك اللحظة، جاء صوت ارتطام عالٍ بشكل خاص من الأعلى. مع "اعذرني" سريعة، وضع غريغوري الورقة فوق صينية الشاي وهرع خارج الغرفة. سمعه سترايك يصعد الدرج، ثم صوت توبيخ. بدا أن إحدى التوأمين قد قلبت خزانة ذات أدراج. اتحدت أصوات سوبرانو في التبرير والاتهام المضاد.

من خلال ستائر الدانتيل، رأى سترايك الآن سيارة "فولفو" قديمة تتوقف خارج المنزل. نزلت امرأة سمراء ممتلئة في منتصف العمر ترتدي معطفًا واقيًا من المطر بلون أزرق داكن، متبوعة بصبيين، خمن أنهما في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من العمر. ذهبت المرأة إلى صندوق السيارة وأخرجت حقيبتين رياضيتين وعدة أكياس تسوق من "ألدي". اضطرت لاستدعاء الصبيين، اللذين بدآ يتسكعان نحو المنزل، لمساعدتها.

وصل غريغوري عائدًا إلى باب غرفة الجلوس تمامًا كما دخلت زوجته الردهة. دفع أحد المراهقين طريقه متجاوزًا غريغوري ليمسح الغريب بنظرة ذهول تليق برصد حيوان هارب من حديقة الحيوان.

قال سترايك:

– "مرحبًا."

التفت الصبي بذهول لغريغوري.

سأل مشيرًا:

– "من هذا؟"

ظهر الصبي الثاني بجانب الأول، يرمق سترايك بنفس المزيج من العجب والشك.

قال غريغوري:

– "هذا السيد سترايك."

ظهرت زوجته الآن بين الصبيين، ووضعت يدًا على كتف كل منهما ووجهتهما بجسدها بعيدًا، مبتسمة لسترايك وهي تفعل ذلك.

أغلق غريغوري الباب خلفه وعاد إلى كرسيه. بدا أنه نسي للحظة ما كان يتحدث عنه هو وسترايك قبل صعوده للأعلى، لكن عينه وقعت بعد ذلك على

الورقة المليئة بخربشات والده، المنقطة بالنجوم الخماسية والسطور الغامضة باختزال بيتمان.

قال بمرح مصطنع:

– "أتعرف لماذا كان أبي يعرف اختزال بيتمان؟ كانت أمي تتعلمه في كلية السكرتارية، فتعلمه هو أيضًا، ليتمكن من اختبارها. كان زوجًا صالحًا – وأبًا صالحًا أيضًا،" أضاف ببعض التحدي.

قال سترايك:

– "يبدو كذلك."

ساد صمت آخر.

قال غريغوري:

– "انظر، لقد أبقوا – تفاصيل مرض أبي بعيدًا عن الصحافة في ذلك الوقت. كان شرطيًا جيدًا ولم يكن خطأه أنه مرض. أمي لا تزال على قيد الحياة. ستتحطم إذا خرج كل شيء للعلن الآن."

– "أنا أقدر –"

قال غريغوري وهو يحمر خجلاً قليلاً:

– "في الواقع، لست متأكدًا أنك تفعل. عائلات بعض ضحايا كريد، بعد ذلك – كان هناك الكثير من المشاعر السيئة تجاه أبي. لاموه لعدم الإمساك بكريد، لإفساد الأمر برمته. كتب الناس للمنزل، يخبرونه أنه عار. انتهى الأمر بأمي وأبي بالانتقال... مما قلته عبر الهاتف، ظننت أنك مهتم بنظريات أبي، وليس بـ – ليس بأشياء كهذه،" قال مشيرًا إلى الورقة المتناثرة عليها النجوم الخماسية.

قال سترايك:

– "أنا مهتم جدًا بنظريات والدك."

قرر المحقق أن قليلاً من الخداع كان مطلوبًا، أو على الأقل قليلاً من إعادة صياغة الحقائق، فأضاف:

– "معظم ما كتبه والدك في ملف القضية سليم تمامًا. كان يطرح كل الأسئلة الصحيحة وقد لاحظ –"

قال غريغوري بسرعة:

– "الشاحنة المسرعة."

– "بالضبط."

– "ليلة ممطرة، تمامًا مثلما حدث عندما اختطفت فيرا كيني وغيل رايتمان."

– "صحيح." قال سترايك وهو يومئ برأسه.

تابع غريغوري:

– "المرأتان اللتان كانتا تتصارعان معًا. تلك المريضة الأخيرة، المرأة التي بدت كرجل. أعني، عليك أن تعترف، إذا جمعت كل ذلك معًا –"

– "هذا ما أتحدث عنه. ربما كان مريضًا، لكنه كان لا يزال يعرف الدليل عندما يراه. كل ما أريد معرفته هو ما إذا كان الاختزال يعني أي شيء يجب أن أعرفه."

تلاشى بعض الإثارة من وجه غريغوري.

قال:

– "لا، لا يعني. هذا مجرد مرضه الذي يتحدث."

قال سترايك ببطء:

– "أتعرف، والدك لم يكن الوحيد الذي رأى كريد شيطانيًا. عنوان أفضل سيرة ذاتية عنه –"

– "شيطان بارادايس بارك."

– "بالضبط. كريد وبافوميت بينهما الكثير من القواسم المشتركة."

في الصمت الذي تلا ذلك، سمعا التوأمين تركضان للأسفل وتسألان والدتهما بالتبني بصوت عالٍ عما إذا كانت قد اشترت موس الشوكولاتة.

قال غريغوري أخيرًا:

– "انظر – أود حقًا أن تثبت أنه كان كريد. أثبت أن أبي كان محقًا طوال الوقت. لن يكون هناك عار في كون كريد أذكى منه. لقد كان أذكى من لوسون أيضًا؛ كان أذكى من الجميع. أعلم أنه لم يكن هناك أي أثر لمارغو بامبورو في قبو

كريد، لكنه لم يكشف أبدًا أين وضع ملابس ومجوهرات أندريا هوتون أيضًا. كان ينوع طريقة تخلصه من الجثث في النهاية. كان سيئ الحظ مع هوتون، برميها من فوق المنحدرات؛ سيئ الحظ لأنه تم العثور على الجثة بهذه السرعة."

قال سترايك:

– "كل هذا صحيح."

شرب سترايك شايه بينما كان غريغوري يقضم بشرود الجلد حول ظفره. مرت دقيقة كاملة قبل أن يقرر سترايك أن هناك حاجة لمزيد من الضغط.

– "هذا الأمر بخصوص النسخ في الكتاب الحقيقي –"

عرف من فزعة غريغوري الطفيفة أنه أصاب الهدف.

– "– تساءلت عما إذا كان والدك يحتفظ بسجلات منفصلة عن الملف الرسمي – وإذا كان الأمر كذلك،" قال سترايك عندما لم يجب غريغوري، "ما إذا كانت لا تزال موجودة."

ثبتت نظرة غريغوري الشاردة مرة أخرى على سترايك.

قال:

– "نعم، حسنًا، ظن أبي أنه يبحث عن شيء خارق للطبيعة. لم نعرف ذلك حتى قرب النهاية، حتى أدركنا مدى مرضه. كان ينثر الملح خارج أبواب غرف نومنا كل ليلة، لإبعاد بافوميت. صنع لنفسه ما ظنت أمي أنه مكتب منزلي في غرفة الضيوف، لكنه كان يبقي الباب مقفلاً.

"الليلة التي تم فيها حجزه بموجب قانون الصحة العقلية،" قال غريغوري وبدا بائسًا، "خرج يركض منها، آه، يصرخ. أيقظنا جميعًا. خرجت أنا وأخي إلى البسطة. كان أبي قد ترك باب غرفة الضيوف مفتوحًا، ورأينا نجومًا خماسية في كل مكان على الجدران وشموعًا مضاءة. كان قد رفع السجاد وصنع دائرة سحرية على الأرض لأداء نوع من الطقوس، وادعى... حسنًا، اعتقد أنه استحضر نوعًا من الكائنات الشيطانية...

"اتصلت أمي بالطوارئ وجاءت سيارة إسعاف و... حسنًا، أنت تعرف الباقي."

قال سترايك:

– "لابد أن الأمر كان مؤلمًا للغاية لكم جميعًا."

– "حسنًا، نعم. كان كذلك. بينما كان أبي في المستشفى، نظفت أمي الغرفة، وأخذت بطاقات التارو الخاصة به وجميع كتب السحر والتنجيم، ودهنت فوق النجوم الخماسية والدائرة السحرية. كان الأمر أكثر إيلامًا لها، لأن كلاهما كانا من رواد الكنيسة الملتزمين قبل أن يصاب أبي بانهياره..."

قال سترايك:

– "كان من الواضح أنه مريض جدًا، وهو ما لم يكن خطأه، لكنه كان لا يزال محققًا ولا يزال يتمتع بحس شرطي سليم. أستطيع رؤية ذلك في السجل الرسمي. إذا كانت هناك مجموعة أخرى من السجلات في أي مكان، خاصة إذا كانت تحتوي على أشياء ليست في الملف الرسمي، فهي وثيقة مهمة."

قضم غريغوري ظفره مرة أخرى، وبدا متوترًا. أخيرًا، بدا أنه توصل لقرار:

– "منذ أن تحدثنا عبر الهاتف، كنت أفكر أنه ربما يجب أن أعطيك هذا،" قال وهو يقف ويتجه نحو خزانة كتب مكتظة في الزاوية. من الأعلى، أخذ دفتر ملاحظات كبيرًا مغلفًا بالجلد من الطراز القديم، ملفوفًا حوله خيط.

قال غريغوري وهو ينظر إلى دفتر الملاحظات:

– "كان هذا الشيء الوحيد الذي لم يتم رميه، لأن أبي رفض تركه عندما وصلت سيارة الإسعاف. قال إنه يجب أن يسجل كيف بدا، آه، الروح، الشيء الذي استحضره... لذا أُخذ الدفتر إلى المستشفى معه. سمحوا له برسم الشيطان، مما ساعد الأطباء على فهم ما كان يدور في رأسه، لأنه في البداية لم يرغب في التحدث معهم. اكتشفت كل هذا لاحقًا؛ لقد حموني أنا وأخي منه بينما كان يحدث. بعد أن تحسن أبي، احتفظ بالدفتر، لأنه قال إنه إذا كان هناك أي شيء يذكره بأخذ دوائه، فهذا هو. لكنني أردت مقابلتك قبل أن أتخذ قرارًا."

مقاومًا الرغبة في مد يده، جلس سترايك محاولاً أن يبدو متعاطفًا قدر ما تسمح به ملامحه المتجهمة بطبيعتها. كانت روبن أفضل بكثير في نقل الدفء

والتعاطف؛ لقد شاهدها تقنع شهودًا متمردين مرات عديدة منذ أن دخلا في العمل معًا.

قال غريغوري، وهو لا يزال ممسكًا بالدفتر، ومن الواضح أنه مصمم على تأكيد النقطة:

– "أنت تفهم، لقد كان يعاني من انهيار عقلي كامل."

– "بالطبع. من غيري أريته ذلك؟"

– "لا أحد. لقد كان في عليتنا طوال السنوات العشر الماضية. كان لدينا بضعة صناديق من أغراض منزل أمي وأبي القديم هناك. مضحك، ظهورك تمامًا بينما يتم تنظيف العلية... ربما هذا كله من فعل أبي؟ ربما يحاول إخباري أنه لا بأس بتسليم هذا؟"

أصدر سترايك صوتًا غامضًا مصممًا للتعبير عن الموافقة على أن قرار آل تالبوت بتنظيف عليتهم كان بطريقة ما مدفوعًا بوالد غريغوري الميت، بدلاً من الحاجة لاستيعاب طفلين إضافيين.

قال غريغوري فجأة وهو يمد الدفتر القديم:

– "خذه."

اعتقد سترايك أنه بدا مرتاحًا لرؤيته ينتقل إلى حوزة شخص آخر.

– "أقدر ثقتك. إذا وجدت أي شيء هنا أعتقد أنه يمكنك المساعدة فيه، هل سيكون من المقبول الاتصال بك مرة أخرى؟"

– "نعم، بالطبع. لديك عنوان بريدي الإلكتروني... سأعطيك رقم هاتفي المحمول..."

بعد خمس دقائق، كان سترايك يقف في الردهة، يصافح السيدة تالبوت بينما يستعد للعودة إلى مكتبه.

قالت:

– "سعدت بلقائك. أنا سعيدة لأنه أعطاك ذلك الشيء. لا تدري أبدًا، أليس كذلك؟"

ومع الدفتر في يده، وافق سترايك على أنك لا تدري أبدًا.

18

وهكذا، إذ كشفت «بريتومارت» الحسناء
عن غمامة همّها في فورة غاضبة،
انقشع ضباب الحزن...

إدموند سبنسر ملكة الجن

أخذت روبن، التي تخلت مؤخرًا عن العديد من عطلات نهاية الأسبوع لتغطية أعباء عمل الوكالة، يومي الثلاثاء والأربعاء التاليين كإجازة بناءً على إصرار سترايك. اقتراحها بأن تأتي إلى المكتب لإلقاء نظرة على دفتر الملاحظات الذي أعطاه غريغوري تالبوت لسترايك، وللمراجعة المنهجية لآخر صندوق من ملف الشرطة، الذي لم يتح لأي منهما الوقت لفحصه بعد، قوبل برفض قاطع وحازم من الشريك الأكبر. كان سترايك يعلم أنه لم يتبق وقت في هذا العام لتأخذ روبن كل الإجازات المستحقة لها، لكنه كان مصممًا على أن تأخذ أكبر قدر ممكن منها.

ومع ذلك، إذا تخيل سترايك أن روبن استمدت متعة كبيرة من أيام عطلتها، فقد كان مخطئًا. قضت يوم الثلاثاء في التعامل مع شؤون الحياة الرتيبة مثل الغسيل وتسوق الطعام، وفي صباح الأربعاء، انطلقت لموعد مؤجل مرتين مع محاميتها.

عندما صارحت والديها بخبر أنها وماثيو سيتطلقان بعد مرور ما يزيد قليلاً عن عام على زواجهما، أراد والدها ووالدتها أن تستعين بمحامٍ في هاروغيت، كان صديقًا قديمًا للعائلة.

قالت روبن:

– "أنا أعيش في لندن. لمَ قد ألجأ لمكتب محاماة في يوركشاير؟"

اختارت روبن محامية في أواخر الأربعينيات تدعى جوديث، التي ميزها حس دعابتها الجاف، وشعرها الرمادي الشائك ونظاراتها ذات الإطار الأسود السميك، إلى روبن عند لقائهما الأول. لكن شعور روبن بالدفء تجاهها تضاءل نوعًا ما على مدار الاثني عشر شهرًا التالية. كان من الصعب الحفاظ على المودة للشخص الذي كانت وظيفته نقل أحدث المراسلات المتعنتة والعدوانية من محامي ماثيو. ومع مرور الأشهر، لاحظت روبن أن جوديث تنسى أحيانًا أو تخلط بين معلومات وثيقة الصلة بالطلاق. روبن، التي كانت تحرص دائمًا على إعطاء عملائها انطباعًا بأن مخاوفهم تتصدر أولوياتها في جميع الأوقات، لم تستطع منع نفسها من *التساؤل عما إذا كانت جوديث لتكون أكثر دقة لو كانت روبن أكثر ثراءً.*

مثل والدي روبن، افترضت جوديث في البداية أن هذا الطلاق سيكون سريعًا وسهلاً، مسألة توقيعين ومصافحة. كان الزوجان متزوجين منذ ما يزيد قليلاً عن عام ولم يكن هناك أطفال، ولا حتى حيوان أليف ليتنازعا عليه. ذهب والدا روبن إلى حد تخيل أن ماثيو، الذي عرفوه منذ كان طفلاً، لابد أن يشعر بخزي شديد من خيانته لدرجة أنه سيرغب في تعويض روبن بأن يكون كريمًا ومنطقيًا بشأن الطلاق. لكن غضب والدتها المتزايد تجاه صهرها السابق بدأ يجعل روبن تخشى مكالماتها الهاتفية للمنزل.

كانت مكاتب "ستيرلينغ وكوبس" تبعد عشرين دقيقة سيرًا على الأقدام عن شقة روبن، في طريق نورث إند رود. وهي تغلق سحاب معطف دافئ، ومظلة في يدها، اختارت روبن المشي في ذلك الصباح لمجرد ممارسة الرياضة، لأنها قضت ساعات طويلة جدًا في سيارتها مؤخرًا، جالسة خارج منزل خبير الأرصاد الجوية، تنتظر "بوستكارد". في الواقع، كانت آخر مرة مشت فيها لمدة ساعة كاملة داخل "معرض اللوحات القومي"، وهي رحلة كانت غير مثمرة، باستثناء حادثة صغيرة جدًا تجاهلتها روبن، لأن سترايك علمها عدم الثقة في "الحدس" الذي يضفي عليه الجمهور غير المحقق طابعًا رومانسيًا، والذي، كما قال، غالبًا ما يولد من تحيزات شخصية أو تمنيات.

متعبة، ومحبطة، وتعلم تمام العلم أن لا شيء مما ستسمعه من جوديث من المرجح أن يبهجها، كانت روبن تمر بمكتب مراهنات عندما رن هاتفها المحمول. استغرق استخراجه من جيبها وقتًا أطول قليلاً من المعتاد، لأنها كانت ترتدي قفازات، وبالتالي بدا صوتها مذعورًا قليلاً عندما تمكنت أخيرًا من الرد على الرقم المجهول.

– "نعم، مرحبًا؟ روبن إيلاكوت معك."

– "أوه، مرحبًا. أنا إيدن ريتشاردز."

للحظة، لم تستطع روبن تذكر من تكون إيدن ريتشاردز مهما حاولت. بدت المرأة على الطرف الآخر من الخط وكأنها أدركت معضلتها، لأنها تابعت:

– "ابنة ويلما بايليس. لقد أرسلتِ لي ولإخوتي وأخواتي رسائل. كنتِ تريدين التحدث إلينا عن مارغو بامبورو."

قالت روبن، وهي تتراجع إلى مدخل مكتب المراهنات، وإصبعها في الأذن غير المضغوطة على الهاتف، لحجب صوت حركة المرور:

– "أوه، نعم، بالطبع، شكرًا لمعاودة الاتصال بي!"

تذكرت الآن أن إيدن كانت الكبرى بين أبناء ويلما، ومستشارة عن حزب العمال من لويشام.

قالت إيدن ريتشاردز:

– "أجل، حسنًا، أخشى أننا لا نريد التحدث إليكِ. وأنا أتحدث باسمنا جميعًا هنا، مفهوم؟"

قالت روبن، وهي تراقب بشرود كلب "دوبرمان" عابرًا يقرفص ويقضي حاجته على الرصيف بينما ينتظر صاحبه العابس، وكيس بلاستيكي يتدلى من يده:

– "يؤسفني سماع ذلك. هل لي أن أسأل لماذا –؟"

قالت إيدن:

– "نحن فقط لا نريد ذلك. مفهوم؟"

– "مفهوم، ولكن لتوضيح الأمر، كل ما نفعله هو التحقق من الإفادات التي قُدمت في الوقت الذي كانت فيه مارغو –"

قاطعتها إيدن:

– "لا يمكننا التحدث نيابة عن والدتنا. إنها ميتة. نشعر بالأسف لابنة مارغو، لكننا لا نريد نبش أمور... إنه شيء لا نريد استعادته بشكل خاص، أي من أفراد عائلتنا. كنا صغارًا عندما اختفت. كان وقتًا سيئًا بالنسبة لنا. لذا الجواب هو لا، مفهوم؟"

قالت روبن:

– "أنا أفهم، لكن أتمنى أن تعيدوا النظر. نحن لا نطلب منكم الحديث عن أي شيء شخ..."

قالت إيدن:

– "بلى، أنتم تفعلون. نعم، تفعلون. ونحن لا نريد ذلك، مفهوم؟ أنتم لستم شرطة. وبالمناسبة: أختي الصغرى تخضع للعلاج الكيميائي، لذا اتركيها وشأنها، من فضلك. إنها ليست بحاجة للمزيد من الغم. سأذهب الآن. الجواب هو لا، مفهوم؟ لا تتصلي بأي منا مرة أخرى، من فضلك."

وانقطع الخط.

قالت روبن بصوت عالٍ:

– "تبًا."

قال صاحب كلب الدوبرمان، الذي كان يغرف الآن كومة كبيرة من تلك المادة من على الرصيف:

– "الحال من بعضه، يا عزيزتي."

أجبرت روبن نفسها على الابتسام، وحشرت هاتفها المحمول مرة أخرى في جيبها وواصلت المشي. بعد فترة وجيزة، وهي لا تزال تتساءل عما إذا كان بإمكانها التعامل مع المكالمة مع إيدن بشكل أفضل، دفعت روبن الباب الزجاجي لمكاتب "ستيرلينغ وكوبس" للمحاماة.

قالت جوديث بعد خمس دقائق، بمجرد جلوس روبن قبالتها في المكتب الصغير المكتظ بخزائن الملفات:

– "حسنًا."

تلا تلك الكلمة الواحدة صمت بينما ألقت جوديث نظرة على المستندات في الملف أمامها، من الواضح أنها تذكر نفسها بوقائع القضية بينما كانت روبن تجلس وتراقب. كانت روبن تفضل كثيرًا الجلوس لمدة خمس دقائق أخرى في غرفة الانتظار بدلاً من مشاهدة هذه المراجعة العرضية والمتسرعة لما كان يسبب لها الكثير من التوتر والألم.

قالت جوديث:

– "امم، نعم... فقط أتحقق من ذلك... نعم، تلقينا ردًا على رسالتنا في الرابع عشر، كما قلت في بريدي الإلكتروني، لذا ستكونين على علم بأن السيد كانليف غير مستعد لتغيير موقفه بشأن الحساب المشترك."

قالت روبن:

– "نعم."

قالت جوديث كوبس:

– "لذا، أعتقد حقًا أن الوقت قد حان للذهاب إلى الوساطة."

قالت روبن، متسائلة عما إذا كانت جوديث قد قرأت ردها:

– "وكما قلت في ردي على بريدك الإلكتروني، لا أرى أن الوساطة ستنجح."

قالت جوديث مبتسمة:

– "ولهذا السبب أردت التحدث إليكِ وجهًا لوجه. غالبًا ما نجد أنه عندما يضطر الطرفان للجلوس في نفس الغرفة، والإجابة عن أنفسهم، خاصة بوجود شهود محايدين – سأكون معكِ، بوضوح – يصبحون أقل تعنتًا بكثير مما هم عليه عبر الرسائل."

أجابت روبن (الدماء كانت تضج في أذنيها: شعور عدم الاستماع إليها أصبح شائعًا بشكل متزايد خلال هذه التفاعلات):

– "أنتِ قلتِ بنفسكِ، في المرة الأخيرة التي التقينا فيها – وافقتِ على أن ماثيو يبدو كأنه يحاول فرض الأمر للوصول إلى المحكمة. إنه ليس مهتمًا حقًا بالحساب المشترك. يمكنه إنفاق عشرة أضعاف ما أنفق. هو فقط يريد هزيمتي.

يريد من قاضٍ أن يوافق على أنني تزوجته من أجل حسابه المصرفي. سيعتقد أنه مال أُنفق جيدًا إذا استطاع الإشارة إلى حكم يقول إن الطلاق كان كله خطئي."

قالت جوديث، ولا تزال تبتسم:

– "من السهل، أن ننسب أسوأ الدوافع الممكنة للشركاء السابقين، لكنه بوضوح شخص ذكي –"

– "الأشخاص الأذكياء يمكن أن يكونوا حقودين مثل أي شخص آخر."

قالت جوديث، ولا تزال تحافظ على نبرة من يساير طفلاً:

– "صحيح، لكن رفض محاولة الوساطة حتى يعد خطوة سيئة لكليكما. لن ينظر أي قاضٍ بعين الرضا لأي شخص يرفض على الأقل محاولة تسوية الأمور دون اللجوء للمحاكم."

الحقيقة، كما ربما كانت كل من جوديث وروبن تدركان على حد سواء، هي أن روبن كانت تخشى الاضطرار للجلوس وجهًا لوجه مع ماثيو والمحامي الذي كتب كل تلك الرسائل الباردة والتهديدية.

قالت روبن:

– "لقد أخبرته أنني لا أريد الميراث الذي حصل عليه من والدته. كل ما أريد استعادته من ذلك الحساب المشترك هو المال الذي وضعه والداي في عقارنا الأول."

قالت جوديث، بلمحة من الملل:

– "نعم،" وعرفت روبن أنها قالت هذا بالضبط في كل مرة التقيا فيها. "لكن كما تعلمين، موقفه هو –"

– "هو أنني لم أساهم بشيء يذكر في مواردنا المالية، لذا يجب أن يحتفظ بكل شيء، لأنه دخل الزواج بدافع الحب وأنا نوع من صائدة الثروات."

قالت جوديث، ولم تعد تبتسم:

– "من الواضح أن هذا يزعجك."

قالت روبن، محاولة، دون نجاح يذكر، البقاء هادئة:

– "كنا معًا لمدة عشر سنوات. عندما كان طالبًا وكنت أعمل، دفعت تكاليف كل شيء. هل كان يجب أن أحتفظ بالإيصالات؟"

– "يمكننا بالتأكيد طرح هذه النقطة في الوساطة –"

قالت روبن:

– "ذلك سيثير جنونه فقط."

رفعت يدًا إلى وجهها لغرض وحيد هو إخفاؤه. شعرت فجأة وبشكل خطير بأنها قريبة من البكاء.

– "حسنًا، لا بأس. يمكننا تجربة الوساطة."

قالت جوديث كوبس، مبتسمة مرة أخرى:

– "أعتقد أن هذا هو الشيء العقلاني الذي يجب فعله. إذن، سأتصل بـ بروفي وشينستون و–"

قالت روبن، وسط موجة مفاجئة من الغضب:

– "أفترض أنني سأحصل على فرصة لإخبار ماثيو بأنه وغد حقير، على الأقل."

أطلقت جوديث ضحكة صغيرة.

قالت:

– "أوه، لا أنصح بذلك."

فكرت روبن، وهي ترسم ابتسامة مزيفة أخرى، وتنهض للمغادرة: *أوه، حقًا لا تنصحين بذلك؟*

كانت رياح رطبة وعاصفة تهب عندما غادرت مكتب المحامية. سارت روبن بتثاقل عائدة نحو طريق فينبورو، حتى انعطفت أخيرًا، ووجهها مخدر وشعرها يضرب في عينيها، إلى مقهى صغير حيث اشترت، في تحدٍ لقواعد الأكل الصحي الخاصة بها، كوب "لاتيه" كبيرًا وقطعة "براوني" بالشوكولاتة. جلست وحدقت في الشارع الذي يغسله المطر، مستمتعة ببهجة الكعك والقهوة، حتى رن هاتفها المحمول مرة أخرى.

كان سترايك.

قالت، وفمها ممتلئ بالبراوني:

– "مرحبًا. آسفة. آكل."

قال:

– "أتمنى لو كنت كذلك. أنا خارج المسرح اللعين مرة أخرى. أعتقد أن باركلي محق: لن نتمكن من إمساك أي شيء على «الراقص» (Twinkletoes). لدي أخبار عن بامبورو."

قالت روبن، التي تمكنت من بلع لقمة البراوني:

– "وأنا كذلك، لكنها ليست أخبارًا جيدة. أبناء ويلما بايليس لا يريدون التحدث إلينا."

– "أبناء عاملة النظافة؟ لماذا لا؟"

ذكرته روبن:

– "ويلما لم تكن عاملة نظافة بحلول الوقت الذي ماتت فيه. كانت أخصائية اجتماعية."

حتى وهي تقول ذلك، تساءلت روبن لماذا شعرت بالحاجة لتصحيحه. ربما كان الأمر ببساطة أنه إذا كان سيشار إلى ويلما بايليس إلى الأبد كعاملة نظافة، فهي، روبن، قد تسمى أيضًا إلى الأبد "الموظفة المؤقتة".

سأل سترايك:

– "حسنًا، لماذا لا يريد أبناء الأخصائية الاجتماعية التحدث إلينا؟"

– "التي اتصلت بي – إيدن، وهي الكبرى – قالت إنهم لا يريدون نبش ما كان وقتًا عصيبًا للعائلة. قالت إن الأمر لا علاقة له بمارغو – لكنها ناقضت نفسها بعد ذلك، لأنني عندما قلت إننا نريد فقط التحدث عن مارغو – لا أستطيع تذكر كلماتها بالضبط، لكن المعنى كان أن الحديث عن اختفاء مارغو سيتضمن حديثهم عن أمور العائلة الشخصية."

قال سترايك:

– "حسنًا، والدهم كان في السجن في أوائل السبعينيات ومارغو كانت تحث ويلما على تركه. ربما يكون هذا هو السبب. هل تعتقدين أن الأمر يستحق معاودة الاتصال بها؟ محاولة الإقناع أكثر قليلاً؟"

– "لا أعتقد أنها ستغير رأيها."

– "وهل قالت إنها تتحدث نيابة عن إخوتها وأخواتها أيضًا؟"

– "نعم. إحداهن تخضع للعلاج الكيميائي. حذرتني تحديدًا من الاقتراب منها."

– "حسنًا، تجنبي تلك، لكن أحد الآخرين قد يستحق المحاولة."

– "ذلك سيزعج إيدن."

– "على الأرجح، لكن ليس لدينا ما نخسره الآن، أليس كذلك؟"

قالت روبن:

– "أفترض ذلك. إذن ما هي أخبارك؟"

– "ممرضة العيادة وموظفة الاستقبال، تلك التي ليست غلوريا كونتي –"

– "إيرين بول."

– "إيرين بول، الآن هيكسون، بالضبط – كلتاهما سعيدتان بالتحدث إلينا. اتضح أنهما صديقتان منذ أيام عيادة سانت جون. ستكون إيرين سعيدة باستضافة جانيس ونحن في منزلها بعد ظهر يوم السبت. أعتقد أننا يجب أن نذهب كلينا."

حولت روبن هاتفها إلى مكبر الصوت لتتمكن من التحقق من الجدول الذي تحتفظ به على هاتفها. كان المدون ليوم السبت يقرأ: *عيد ميلاد سترايك / حبيبة ت. ت.*

قالت روبن، وهي تعود عن مكبر الصوت:

– "من المفترض أن أراقب حبيبة «المزدوج»."

قال سترايك:

– "تبًا لذلك، يمكن لـ موريس القيام به. يمكنك أنتِ القيادة بنا – إذا كنتِ لا تمانعين،" أضاف، وابتسمت روبن.

قالت:

– "لا، لا أمانع."

قال سترايك:

– "حسنًا، عظيم. استمتعي ببقية يوم إجازتك."

أنهى المكالمة. التقطت روبن بقية البراوني وأنهتها ببطء، متلذذة بكل قضمة. وعلى الرغم من احتمال الوساطة مع ماثيو، وبلا شك بسبب جرعة الشوكولاتة التي كانت في أمس الحاجة إليها، شعرت بسعادة أكبر بكثير مما كانت عليه قبل عشر دقائق.

19

وهناكَ وجدتُ صديقي الوفي الوحيد
في محنةٍ ثقيلة وحيرةٍ حزينة؛
فأسفتُ لحاله، ومع ذلك نذرتُ نفسي،
لأواسيه بصحبتي.
إدموند سبنسر ملكة الجن

لم يخبر سترايك أحدًا قط بأن عيد ميلاده وشيك، وكان يتجنب الإعلان عنه في اليوم نفسه. لم يكن الأمر أنه لا يقدر تذكر الناس للمناسبة؛ بل في الواقع، كان يميل للتأثر بذلك أكثر بكثير مما يظهره أبدًا، لكنه كان يمتلك نفورًا فطريًا من الاحتفالات المجدولة والمرح القسري، ومن بين كل الممارسات السخيفة، كان غناء "عيد ميلاد سعيد" له من أقل الأشياء تفضيلاً لديه.

بقدر ما تسعفه ذاكرته، كان يوم مولده يستحضر ذكريات غير سعيدة اختار، بنجاح عادة، ألا يسهب في التفكير فيها. كانت والدته تنسى أحيانًا شراء أي شيء له عندما كان طفلاً. ووالده البيولوجي لم يعترف بالتاريخ قط. كانت أعياد الميلاد مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمعرفة، التي أصبحت جزءًا منه منذ زمن طويل، بأن وجوده كان عرضيًا، وأن ميراثه الجيني كان محل نزاع في المحكمة، وأن الولادة نفسها كانت "شنيعة بحق الجحيم، يا عزيزي، لو كان على الرجال القيام بذلك لانقرض الجنس البشري في عام واحد".

بالنسبة لأخته، لوسي، كان من القسوة بمكان أن تدع عيد ميلاد أحد أحبائها يمر دون بطاقة، أو هدية، أو مكالمة هاتفية، أو حفلة إذا استطاعت تدبير

ذلك، أو على الأقل وجبة طعام. ولهذا السبب كان عادة ما يكذب على لوسي، مدعيًا أن لديه خططًا لتجنب الاضطرار للذهاب طوال الطريق إلى منزلها في بروملي والمشاركة في عشاء عائلي تستمتع هي به أكثر بكثير مما سيفعل هو. منذ وقت ليس ببعيد، كان ليحتفل بسعادة بوجبة جاهزة في منزل صديقيه نيك وإلسا، لكن إلسا اقترحت أن ترافق روبن سترايك، وبما أن سترايك قرر منذ عدة أسابيع أن محاولات إلسا المكشوفة بشكل متزايد للتوفيق بينهما لا يمكن مواجهتها بنجاح إلا برفض تام للتعاون، فقد تظاهر بأنه ذاهب إلى لوسي بدلاً من ذلك. الأمل الوحيد الخالي من البهجة الذي كان يراود سترايك لعيد ميلاده التاسع والثلاثين هو أن تكون روبن قد نسيته، لأنه إذا فعلت، فإن تقصيره هو سيلغى: وسيكونان متعادلين.

نزل السلالم المعدنية إلى المكتب صباح الجمعة ورأى، لدهشته، طردين وأربعة مظاريف تجلس بجانب كومة البريد المعتادة على مكتب بات. كانت المظاريف كلها بألوان مختلفة. يبدو أن الأصدقاء والعائلة قرروا التأكد من وصول تهاني عيد الميلاد إليه في الوقت المناسب لعطلة نهاية الأسبوع.

سألت بات بصوتها العميق الأجش، وهي لا تزال تحدق في شاشتها وتطبع، والسيجارة الإلكترونية محشورة بين أسنانها كالمعتاد:

– "هل هو عيد ميلادك؟"

قال سترايك وهو يلتقط البطاقات:

– "غدًا."

تعرف على خط اليد على ثلاث منها، لكن ليس الرابعة.

دمدمت بات، فوق صوت طقطقة لوحة مفاتيحها:

– "كل عام وأنت بخير. كان يجب أن تقول."

دفعه شيطان المشاكسة ليسأل:

– "لماذا؟ هل كنتِ لتخبزي لي كعكة؟"

قالت بات بلامبالاة:

– "لا. لكن ربما كنت أحضرت لك بطاقة."

– "من حسن الحظ أنني لم أقل إذن. ماتت شجرة واحدة أقل."

قالت بات، دون ابتسامة، وأصابعها لا تزال تطير فوق لوحة المفاتيح:

– "لم تكن لتكون بطاقة كبيرة."

مبتسمًا ابتسامة خفيفة، انسحب سترايك، ومعه بطاقاته وطروده إلى المكتب الداخلي، وفي وقت لاحق من ذلك المساء أخذها معه إلى الأعلى، وهي لا تزال غير مفتوحة.

استيقظ في الثالث والعشرين وعقله مشغول برحلته إلى غرينتش مع روبن لاحقًا، ولم يتذكر أهمية اليوم إلا عندما رأى الهدايا والبطاقات على الطاولة. احتوت الطرود على سترة صوفية من تيد وجوان، وسترة رياضية من لوسي. أرسل كل من إلسا، وديف بولورث وأخوه غير الشقيق آل بطاقات فكاهية، والتي رغم أنها لم تضحكه فعليًا، إلا أنها كانت مبهجة بشكل غامض.

سحب البطاقة الرابعة من مظروفها. كان عليها صورة لكلب صيد (بلادهاوند) على الغلاف، وتأمل سترايك هذا لثانية أو اثنتين، متسائلاً عن سبب اختيارها. لم يقتنِ كلبًا قط، ورغم أن لديه تفضيلاً طفيفًا للكلاب على القطط، بحكم عمله جنبًا إلى جنب مع بعضها في الجيش، إلا أنه لم يكن ليقول إن حب الكلاب كان إحدى سماته البارزة. وبفتح البطاقة، رأى الكلمات:

عيد ميلاد سعيد يا كورموران،

مع أطيب التمنيات،

جوني *(بابا)*

للحظات قليلة، اكتفى سترايك بالنظر إلى الكلمات، وعقله فارغ مثل بقية البطاقة. آخر مرة رأى فيها خط والده، كان جسده مليئًا بالمورفين بعد أن نُسفت ساقه. كطفل، كان يلمح أحيانًا توقيع والده على المستندات القانونية المرسلة إلى والدته. حينها، كان يحدق بذهول في الاسم، وكأنه يلمح جزءًا فعليًا من والده، وكأن الحبر كان دمًا، ودليلاً ملموسًا على أن والده إنسان حقيقي، وليس أسطورة.

فجأة، وبقوة صدمت سترايك نفسه، وجد نفسه مليئًا بالغضب، غضب نيابة عن الصبي الصغير الذي كان ليبيع روحه ذات يوم ليتلقى بطاقة عيد ميلاد من والده. لقد نضج متجاوزًا أي رغبة في التواصل مع جوني روكبي، لكنه كان لا يزال

قادرًا على استدعاء الألم الحاد الذي سببه له غياب والده المستمر والقاسي في كثير من الأحيان كطفل: بينما كان الصف الابتدائي يصنع بطاقات ليوم الأب، على سبيل المثال، أو عندما سأله غرباء عن سبب عدم رؤيته لروكبي أبدًا، أو سخر منه أطفال آخرون، مغنين أغاني فرقة "ديدبيتس" أو مخبرين إياه أن والدته حملت به فقط للحصول على أموال روكبي.

تذكر الشوق الذي كان يشبه الوجع، وكان دائمًا أكثر حدة حول أعياد الميلاد والكريسماس، لكي يرسل والده شيئًا، أو يتصل: أي شيء، ليظهر أنه يعرف أن سترايك على قيد الحياة. كره سترايك ذكرى هذه التخيلات أكثر مما كره تذكر الألم الناجم عن عدم تحققها الأبدي، لكن أكثر ما كرهه هو تذكر الأكاذيب المفعمة بالأمل التي أخبر بها نفسه عندما كان صبيًا صغيرًا جدًا، حين اختلق الأعذار لوالده، الذي ربما لم يكن يعرف أن العائلة انتقلت مرة أخرى، أو الذي أرسل الأشياء إلى العنوان الخطأ، أو الذي أراد معرفته لكنه ببساطة لم يستطع العثور عليه.

أين كان روكبي عندما كان ابنه نكرة؟ أين كان روكبي في كل مرة خرجت فيها حياة ليدا عن مسارها، وهرع تيد وجوان، مرة أخرى، للإنقاذ؟ أين كان في أي من آلاف المناسبات التي كان من الممكن أن يعني فيها حضوره شيئًا حقيقيًا، وصادقًا، بدلاً من محاولة للظهور بمظهر جيد أمام الصحف؟

لم يكن روكبي يعرف شيئًا حرفيًا عن ابنه سوى أنه محقق، وهذا يفسر صورة كلب الصيد اللعين.

تبًا لك وتبًا لبطاقتك اللعينة.

مزق سترايك البطاقة إلى نصفين، ثم إلى أرباع، وألقى بالقطع في سلة المهملات. ولولا عدم رغبته في إطلاق إنذار الحريق، لكان قد أشعل فيها عود ثقاب.

نبض الغضب كتيار كهربائي عبر سترايك طوال الصباح. كره غضبه، لأنه أظهر أن روكبي لا يزال يملك سطوة عاطفية عليه، وبحلول الوقت الذي انطلق فيه إلى إيرلز كورت، حيث ستقله روبن، كان قريبًا جدًا من تمني لو أن أعياد الميلاد لم تُخترع قط.

جالسة في سيارة "لاند روفر" خارج مدخل المحطة مباشرة بعد حوالي خمس وأربعين دقيقة، راقبت روبن سترايك يظهر على الرصيف، حاملاً دفتر ملاحظات مجلدًا بالجلد، ولاحظت أنه يبدو أكثر تجهمًا مما رأته عليه في أي وقت مضى.

قالت عندما فتح باب الراكب:

– "عيد ميلاد سعيد."

لاحظ سترايك على الفور البطاقة والطرد الصغير المغلف الملقى على لوحة القيادة.

تبًا.

قال:

– "شكرًا."

وصعد بجانبها، وقد بدا أكثر تجهمًا.

بينما كانت روبن تنطلق إلى الطريق، سألت:

– "هل بلوغ التاسعة والثلاثين هو ما يضايقك، أم أن شيئًا آخر قد حدث؟"

ولأنه لا رغبة لديه في الحديث عن روكبي، قرر سترايك أن الأمر يتطلب جهدًا.

قال:

– "لا، أنا فقط منهك. سهرت لوقت متأخر الليلة الماضية، أراجع الصندوق الأخير من ملف بامبورو."

– "أردت أن أفعل ذلك يوم الثلاثاء، لكنك لم تدعني!"

قال سترايك باقتضاب، وهو يمزق مظروف بطاقتها:

– "كنتِ تستحقين إجازة. ولا تزالين تستحقين إجازة."

– "أعرف، لكن ذلك كان ليكون أكثر إثارة للاهتمام بكثير من كي ملابسي."

نظر سترايك إلى واجهة بطاقة روبن، التي كانت تعرض لوحة مائية لـ سانت ماوس. فكر أنها لابد وأن تكبدت بعض العناء للعثور عليها في لندن.

قال:

– "جميلة. شكرًا."

فتحها وقرأ:

كل عام وأنت بخير، مع حبي روبن (قبلة x)

لم تكن قد وضعت علامة قبلة (x) على أي رسالة له من قبل، وأعجبه وجودها هناك. شاعرًا ببعض الانشراح الطفيف، فك تغليف الطرد الصغير الذي رافق البطاقة، ووجد بداخله زوجًا بديلاً من سماعات الرأس من النوع الذي كسره لوك بينما كان في سانت ماوس خلال الصيف.

– "آه، روبن، هذا — شكرًا. هذا رائع. لم أكن قد اشتريت بديلاً لها بعد."

قالت روبن:

– "أعرف. لقد لاحظت."

بينما كان سترايك يعيد بطاقتها إلى مظروفها، ذكر نفسه بأنه يحتاج حقًا لشراء هدية كريسماس لائقة لها.

سألت روبن، وهي تختلس النظر جانبيًا إلى الكتاب المجلد بالجلد في حجر سترايك:

– "هل هذا دفتر ملاحظات بيل تالبوت السري؟"

– "هو بعينه. سأريك إياه بعد أن نتحدث مع إيرين وجانيس. جنون مطبق. مليء برسومات ورموز غريبة."

سألت روبن:

– "ماذا عن الصندوق الأخير من سجلات الشرطة؟ أي شيء مثير للاهتمام؟"

– "نعم، في الواقع. جزء من ملاحظات الشرطة من عام 1975 اختلط مع مجموعة من الأشياء اللاحقة. كانت هناك بضعة أجزاء مثيرة للاهتمام.

"على سبيل المثال، عاملة نظافة العيادة، ويلما، طُردت بعد بضعة أشهر من اختفاء مارغو، لكن بسبب سرقة تافهة، وليس الشرب، وهو ما أخبرني به غوبتا. مبالغ صغيرة من المال تختفي من محافظ وجيوب الناس. اكتشفت أيضًا أنه تم

إجراء مكالمة لمنزل مارغو الزوجي في عيد ميلاد آنا الثاني، من امرأة تدعي أنها مارغو."

قالت روبن:

– "يا إلهي، هذا فظيع. مكالمة مقالب؟"

– "الشرطة اعتقدت ذلك. تتبعوها إلى كشك هاتف في ماريليبون. سينثيا، جليسة الأطفال التي تحولت إلى زوجة ثانية، أجابت. عرفت المرأة نفسها بأنها مارغو وأخبرت سينثيا أن تعتني بابنتها."

– "هل اعتقدت سينثيا أنها مارغو؟"

– "أخبرت الشرطة أنها كانت مصدومة جدًا لدرجة أنها لم تستوعب حقًا ما قالته المتصلة. اعتقدت أن الصوت يشبهها قليلاً، لكن في المحصلة بدا الأمر أقرب لشخص يقلدها."

سألت روبن في حيرة حقيقية:

– "ما الذي يدفع الناس لفعل أشياء كهذه؟"

قال سترايك:

– "إنهم حثالة. كانت هناك أيضًا مجموعة من المشاهدات المزعومة لمارغو بعد اليوم الذي اختفت فيه، في الصندوق الأخير. تم دحضها جميعًا، لكنني أعددت قائمة وسأرسلها لكِ عبر البريد الإلكتروني. هل تمانعين لو دخنت؟"

قالت روبن، وأنزل سترايك النافذة:

– "تفضل. أنا في الواقع أرسلت لك معلومة صغيرة جدًا الليلة الماضية أيضًا. صغيرة جدًا. هل تذكر ألبرت شيمينغز، بائع الزهور المحلي –"

– "– الذي اعتقد الناس أنهم رأوا شاحنته تسرع مبتعدة عن كليركينويل غرين؟ نعم. هل ترك رسالة يعترف فيها بالقتل؟"

– "للأسف لا، لكنني تحدثت إلى ابنه الأكبر، الذي يقول إن شاحنة والده لم تكن بالتأكيد في كليركينويل في السادسة والنصف من ذلك المساء. كانت تنتظر خارج منزل معلم الكلارينيت الخاص به في كامدن، حيث كان والده يوصله

كل جمعة. يقول إنهم أخبروا الشرطة بذلك في ذلك الوقت. اعتاد والده انتظاره بالخارج في الشاحنة وقراءة روايات الجاسوسية."

– "حسنًا، دروس الكلارينيت ليست في السجلات، لكن كلاً من تالبوت ولوسون صدقا شيمينغز عندما تحدثا إليه. من الجيد تأكيد الأمر رغم ذلك،" أضاف، خشية أن تظن روبن أنه يقلل من شأن عملها الروتيني. "حسنًا، هذا يعني أنه لا يزال هناك احتمال أن الشاحنة كانت لـ دينيس كريد، أليس كذلك؟"

أشعل سترايك سيجارة "بنسون آند هيدجز"، ونفث الدخان خارج النافذة، وقال:

– "كانت هناك بعض المواد المثيرة للاهتمام حول هاتين المرأتين اللتين نحن بصدد مقابلتهما، في ذلك الصندوق الأخير من الملاحظات. المزيد من الأشياء التي ظهرت عندما تولى لوسون القضية."

– "حقًا؟ ظننت أن إيرين كان لديها موعد مع طبيب الأسنان وجانيس كان لديها زيارات منزلية بعد ظهر يوم اختفاء مارغو؟"

قال سترايك:

– "نعم، هذا ما قالته إفاداتهما الأصلية. ولم يتحقق تالبوت من قصة أي من المرأتين. صدق كلتيهما."

– "من المفترض لأنه لم يعتقد أن امرأة يمكن أن تكون سفاح إسيكس؟"

– "بالضبط."

سحب سترايك مفكرته الخاصة من جيب معطفه وفتحها على الصفحات التي خربش عليها يوم الثلاثاء.

– "إفادة إيرين الأولى، التي أعطتها لتالبوت، قالت إنها كانت تعاني من ألم أسنان مزعج لبضعة أيام قبل اختفاء مارغو. اعتقدت صديقتها جانيس الممرضة أنه قد يكون خراجًا، لذا حددت إيرين موعدًا طارئًا في الساعة الثالثة، مغادرة العيادة في الثانية والنصف. كانت هي وجانيس تخططان للذهاب إلى السينما في ذلك المساء، لكن وجه إيرين كان مؤلمًا ومتورمًا بعد خلع سن، لذا عندما اتصلت بها

جانيس لترى كيف سارت الأمور عند طبيب الأسنان، وللتحقق مما إذا كانت لا تزال ترغب في الخروج في تلك الليلة، قالت إنها تفضل البقاء في المنزل."

تمتمت روبن:

– "لا هواتف محمولة. عالم مختلف."

قال سترايك:

– "بالضبط ما فكرت فيه عندما كنت أراجع هذا. في هذه الأيام، كان زملاء إيرين سيتوقعون تعليقًا دقيقة بدقيقة. صور سيلفي من كرسي طبيب الأسنان.

"أوهم تالبوت ضباطه بأنه اتصل شخصيًا بطبيب الأسنان للتحقق من هذه القصة، لكنه لم يفعل. لا أستبعد أنه استشار كرة بلورية."

– "ها ها."

– "أنا لا أمزح. انتظري حتى تري دفتر ملاحظاته."

قلب سترايك صفحة.

– "على أية حال، بعد ستة أشهر، تولى لوسون القضية وراجع بشكل منهجي كل شاهد ومشتبه به في الملف. روت إيرين قصة طبيب الأسنان مرة أخرى، لكن بعد نصف ساعة من مغادرتها له، ذعرت وطلبت رؤيته مرة أخرى. هذه المرة اعترفت بأنها كذبت.

"لم يكن هناك أي ألم أسنان قط. لم تزر طبيب الأسنان. قالت إنها أُجبرت على القيام بالكثير من العمل الإضافي غير المدفوع في العيادة وكانت مستاءة من ذلك، وشعرت أنها تستحق فترة ما بعد الظهيرة كإجازة، لذا ادعت ألم الأسنان، وتظاهرت بالحصول على موعد طارئ، ثم غادرت العيادة وذهبت إلى الويست إند للقيام ببعض التسوق.

"أخبرت لوسون أنه فقط عندما وصلت إلى المنزل – كانت لا تزال تعيش مع والديها، بالمناسبة – خطر ببالها أنها إذا خرجت لمقابلة جانيس الممرضة في ذلك المساء، فقد تطلب جانيس رؤية المكان الذي خُلع منه السن، أو على الأقل تتوقع رؤية بعض التورم. لذا عندما اتصلت بها جانيس للتحقق من أنهما لا تزالان ذاهبتين إلى السينما، كذبت وقالت إنها لا تشعر بالقدرة على ذلك.

"ضغط لوسون على إيرين بشدة، حسب ملاحظاته. ألم تفهم مدى خطورة الأمر، الكذب على الشرطة، تم اعتقال أشخاص لأسباب أقل، إلخ. كما واجهها بأن القصة الجديدة أظهرت أنه ليس لديها حجة غياب لأي وقت من فترة ما بعد الظهر والمساء، بخلاف حوالي السادسة والنصف مساءً، عندما اتصلت بها جانيس في المنزل."

– "أين كانت تعيش إيرين؟"

– "في شارع يسمى «كوربوريشن رو»، والذي يقع بالمصادفة قريبًا جدًا من حانة الملوك الثلاثة، وإن لم يكن على الطريق الذي كانت مارغو ستسلكه من العيادة.

"على أية حال، عند النقطة التي ذُكرت فيها حجج الغياب، أصيبت إيرين بالهستيريا. أفرغت حمولة من الكلام عن كون مارغو لديها الكثير من الأعداء، دون أن تتمكن من تحديد من هم هؤلاء الأعداء، رغم أنها أحالت لوسون مرة أخرى إلى الرسائل المجهولة التي تلقتها مارغو.

"في اليوم التالي، عادت إيرين إلى لوسون مرة أخرى، هذه المرة برفقة والدها الغاضب جدًا، الذي لم يخدمها بفقدان أعصابه على لوسون لجرأته على إزعاج ابنته. في سياق هذه المقابلة الثالثة، قدمت إيرين للوسون إيصالاً من شارع أكسفورد، كان مؤرخًا الساعة 3:10 مساءً يوم اختفاء مارغو. الإيصال كان نقدًا. ربما وجد لوسون متعة كبيرة في إخبار إيرين ووالدها أن كل ما يثبته الإيصال هو أن شخصًا ما ذهب للتسوق في شارع أكسفورد في ذلك اليوم."

– "مع ذلك – إيصال لليوم الصحيح، والوقت الصحيح –"

– "كان يمكن أن يكون لوالدتها. لصديقة."

– "لماذا يحتفظون به لمدة ستة أشهر؟"

– "لماذا تحتفظ هي به؟"

فكرت روبن في الأمر. كانت تحتفظ بانتظام بالإيصالات، لكن هذه كانت مسائل نفقات أثناء المراقبة، لتقديمها للمحاسب.

أقرت قائلة:

– "نعم، ربما من الغريب أنها لا تزال تحتفظ به."

– "لكن لوسون لم يتمكن أبدًا من الحصول على أي شيء آخر منها. لا أعتقد أنه اشتبه بها حقًا، مع ذلك. لدي انطباع بأنه ببساطة لم يحبها. ضغط عليها بشدة بشأن الملاحظات المجهولة التي ادعت أنها رأتها، تلك التي تذكر نار الجحيم. لا أعتقد أنه صدق بوجودها."

– "ظننت أن موظفة الاستقبال الأخرى أكدت أنها رأت واحدة؟"

– "فعلت. لكن لا شيء يمنع أن تكونا متواطئتين. لم يتم العثور على أي أثر للملاحظات أبدًا."

– "لكن تلك ستكون كذبة خطيرة. مع موعد طبيب الأسنان المزيف، أستطيع أن أرى لماذا كذبت ولماذا كانت خائفة من الاعتراف بذلك لاحقًا. لكن الكذب بشأن ملاحظات مجهولة في سياق شخص مفقود..."

– "آه، لكن لا تنسي، كانت إيرين تروي قصة الملاحظات المجهولة بالفعل قبل أن تختفي مارغو. إنه المزيد من الشيء نفسه، أليس كذلك؟ موظفتا الاستقبال ربما اخترعتا هذه الملاحظات التهديدية من أجل متعة بدء شائعة خبيثة، ثم وجدتا أنه من المستحيل التراجع عن الكذبة بعد اختفاء مارغو.

"على أية حال،" قال سترايك، وهو يقلب بضع صفحات، "هذا ما يخص إيرين. الآن نأتي لأعز صديقاتها، ممرضة العيادة.

"إفادة جانيس الأصلية كانت أنها قادت سيارتها طوال فترة ما بعد الظهر، تقوم بزيارات منزلية. الزيارة الأخيرة، التي كانت لسيدة عجوز تعاني من مشاكل صحية متعددة، أخرتها لفترة أطول مما توقعت. غادرت هناك حوالي الساعة السادسة وأسرعت مباشرة إلى كشك هاتف للاتصال بإيرين في المنزل، لترَ ما إذا كانتا لا تزالان ذاهبتين للسينما في ذلك المساء. قالت إيرين إنها لا تشعر بالقدرة على ذلك، لكن جانيس كانت قد دبرت لنفسها جليسة أطفال بالفعل، وكانت يائسة لرؤية الفيلم – جيمس كان، *المقامر* – فذهبت على أية حال. شاهدت الفيلم وحدها، ثم عادت إلى الجيران، وأخذت ابنها وذهبت للمنزل.

"لم يكلف تالبوت نفسه عناء التحقق من أي من هذا، لكن ضابطًا مبتدئًا متحمسًا فعل ذلك، بمبادرة منه، وتبين أن كل شيء صحيح. أكد جميع المرضى أن جانيس كانت في منازلهم في الأوقات الصحيحة. أكدت جليسة الأطفال أن جانيس عادت لاصطحاب ابنها في الوقت المتوقع. أخرجت جانيس أيضًا تذكرة ممزقة لنصفين للفيلم من قاع حقيبة يدها. ونظرًا لأن هذا كان بعد أقل من أسبوع من اختفاء مارغو، فلا يبدو الأمر مريبًا بشكل خاص أنها لا تزال تحتفظ بها. من ناحية أخرى، التذكرة الممزقة ليست دليلاً على أنها جلست لمشاهدة الفيلم أكثر مما يثبت الإيصال أن إيرين ذهبت للتسوق."

رمى عقب سيجارته من النافذة.

سألت روبن، وعرف سترايك أن عقلها يعمل على المسافات والتوقيتات:

– "أين كان يعيش آخر مريض لجانيس في ذلك اليوم؟"

– "شارع «غوبسال»، الذي يبعد حوالي عشر دقائق بالسيارة عن العيادة. كان من الممكن تمامًا لامرأة في سيارة أن تعترض طريق مارغو وهي في طريقها إلى الملوك الثلاثة، بافتراض أن مارغو كانت تمشي ببطء شديد، أو تأخرت في مكان ما على الطريق، أو غادرت العيادة في وقت متأخر عما قالت غلوريا إنها فعلته. لكن الأمر كان سيتطلب حظًا، لأنه كما نعلم، جزء من الطريق الذي كانت ستسلكه مارغو كان مخصصًا للمشاة."

قالت روبن:

– "ولا أستطيع حقًا أن أرى لماذا ترتبين مع صديقة للذهاب إلى السينما إذا كنتِ تخططين لاختطاف شخص ما."

قال سترايك:

– "ولا أنا. لكنني لم أنتهِ. عندما تولى لوسون القضية اكتشف أن جانيس كذبت على تالبوت أيضًا."

– "أنت تمزح."

– "لا. اتضح أنها لم تكن تملك سيارة في الواقع. قبل ستة أسابيع من اختفاء مارغو، تعطلت سيارة جانيس الـ «موريس ماينر» القديمة وباعتها كخردة. منذ ذلك

الوقت فصاعدًا، كانت تقوم بجميع زياراتها المنزلية باستخدام وسائل النقل العام وسيرًا على الأقدام. لم ترغب في إخبار أي شخص في العيادة بأنها بلا سيارة، خشية أن يخبروها بأنها لا تستطيع القيام بعملها. زوجها هجرها، تاركًا إياها مع طفل. كانت تدخر لشراء سيارة جديدة، لكنها كانت تعلم أن الأمر سيستغرق وقتًا، فتظاهرت بأن سيارة الموريس ماينر في المرآب للإصلاح، أو أنه من الأسهل ركوب الحافلة، إذا سأل أي شخص."

– "لكن إذا كان ذلك صحيحًا –"

– "إنه كذلك. تحقق لوسون من كل شيء، واستجوب ساحة الخردة وكل شيء."

– "– فبالتأكيد يخرجها هذا تمامًا من دائرة الشبهة في عملية اختطاف."

قال سترايك:

– "أميل للموافقة. كان بإمكانها استئجار سيارة أجرة، بالطبع، لكن سائق التاكسي كان يجب أن يكون مشاركًا في الاختطاف أيضًا. لا، الشيء المثير للاهتمام بشأن جانيس هو أنه على الرغم من اعتقاده بأنها بريئة تمامًا، استجوبها تالبوت ما مجموعه سبع مرات، أكثر من أي شاهد أو مشتبه به آخر."

– "سبع مرات؟"

– "أجل. كان لديه نوع من العذر في البداية. كانت جارة لـ ستيف دوثويت، مريض مارغو المصاب بالتوتر الشديد. المقابلتان الثانية والثالثة كانتا تدوران حول دوثويت، الذي كانت جانيس تعرفه كمعرفة سطحية. كان دوثويت المرشح المفضل لتالبوت ليكون سفاح إسيكس، لذا يمكنك متابعة عمليات تفكيره – ستستجوب الجيران إذا كنت تعتقد أن شخصًا ما قد يذبح النساء في منزله. لكن جانيس لم تستطع إخبار تالبوت بأي شيء عن دوثويت يتجاوز ما نعرفه بالفعل، ومع ذلك ظل تالبوت يعود إليها. بعد المقابلة الثالثة، توقف عن سؤالها عن دوثويت وأصبحت الأمور غريبة جدًا بالفعل. من بين أمور أخرى، سأل تالبوت عما إذا كانت قد خضعت للتنويم المغناطيسي من قبل، وما إذا كانت مستعدة

لتجربته، وسألها عن كل أحلامها وحثها على الاحتفاظ بمذكرات لها ليتمكن من قراءتها، وأيضًا أن تعد له قائمة بأحدث شركائها الجنسيين."

– "فعل ماذا؟"

قال سترايك بجفاف:

– "توجد نسخة من رسالة من المفوض في الملف، يعتذر فيها لجانيس عن سلوك تالبوت. في المجمل، يمكنك أن تري لماذا أرادوا إخراجه من القوة بأسرع ما يمكن."

– "هل أخبرك ابنه بأي من ذلك؟"

تذكر سترايك وجه غريغوري الجاد واللطيف، وتأكيده أن بيل كان أبًا جيدًا، وإحراجه عندما تحول الحديث إلى النجوم الخماسية.

– "أشك أنه كان يعلم بذلك. لا يبدو أن جانيس أثارت ضجة."

قالت روبن ببطء:

– "حسنًا، كانت ممرضة. ربما استطاعت أن تدرك أنه مريض؟"

فكرت في الأمر للحظات، ثم قالت:

– "سيكون الأمر مخيفًا رغم ذلك، أليس كذلك؟ أن يعود المحقق المسؤول إلى منزلك كل خمس دقائق، يطلب منك الاحتفاظ بمذكرات أحلام؟"

– "سيثير ذلك الرعب في معظم الناس. أفترض أن التفسير هو التفسير الواضح – لكن يجب أن نسألها عن ذلك."

ألقى سترايك نظرة إلى المقعد الخلفي ورأى، كما كان يأمل، كيسًا من الطعام.

قالت روبن، وعيناها لا تزالان على الطريق:

– "حسنًا، إنه عيد ميلادك. هل ترغب في بسكويتة؟"

– "الوقت مبكر قليلاً بالنسبة لي. تفضلي أنتِ."

بينما كان يميل للخلف لإحضار الكيس، لاحظ سترايك أن رائحة عطرها القديم تفوح من روبن مرة أخرى.

20

وإن تناهى لسمعها سوءٌ مسَّ أحدًا،
ضخّمته، وزادته سوءًا حين ترويه،
ووجدت متعةً كبرى في نشره بين الناس،
فكل أمرٍ كان يغدو أسوأ بتدخلها.

إدموند سبنسر ملكة الجن

كان منزل إيرين هيكسون يقع ضمن صف قصير ومنحنٍ من المنازل الجورجية المبنية من الطوب الأصفر، بنوافذ مقوسة ونوافذ مروحية الشكل تعلو كل باب أمامي أسود. ذكّر الأمر روبن بالشارع الذي قضت فيه الأشهر القليلة الأخيرة من حياتها الزوجية، في منزل مستأجر بُني في الأصل لتاجر بحري. هنا أيضًا، كانت هناك آثار لماضي لندن التجاري. الحروف المنقوشة فوق نافذة مقوسة كانت تقرأ: مستودع *رويال سيركس للشاي*.

قال سترايك، وهو ينظر إلى الواجهة ذات الأبعاد الهندسية الجميلة بينما كان يعبر الشارع مع روبن:

– "لابد أن السيد هيكسون قد جنى أموالاً طائلة. هذا مكان بعيد كل البعد عن «كوربوريشن رو»."

رنت روبن جرس الباب. سمعا صرخة: "لا تقلقي، سأفتح أنا!" وبعد بضع ثوانٍ، فتحت لهما امرأة قصيرة ذات شعر فضي الباب. كانت ترتدي سترة زرقاء داكنة وبنطالاً من النوع الذي كانت والدة روبن لتسميه "سراويل واسعة"، ولها وجه

مستدير وردي وأبيض. كانت عيناها الزرقاوان تختلسان النظر من تحت غرة مقصوصة باستقامة حادة شكت روبن في أنها ربما قصتها بنفسها.

سألت روبن:

– "السيدة هيكسون؟"

قالت المرأة الأكبر سنًا:

– "جانيس بيتي. أنتِ روبن، أليس كذلك؟ وأنت..."

جالت عينا الممرضة المتقاعدة نزولاً على ساقي سترايك فيما بدا وكأنه تقييم مهني.

سألت وهي ترفع نظرها مرة أخرى إلى وجهه:

– "... كورمران، هل هكذا يُنطق؟"

قال سترايك:

– "هذا صحيح. لطف كبير منكِ أن تقابلينا يا سيدة بيتي."

قالت وهي تتراجع للسماح لهما بالدخول:

– "أوه، لا إزعاج على الإطلاق. ستنضم إلينا إيرين خلال لحظة."

أضفت زوايا فم الممرضة المتجهة للأعلى بشكل طبيعي والغمازات في خديها الممتلئين عليها مظهرًا مرحًا حتى عندما لم تكن تبتسم. قادتهما عبر ردهة وجدها سترايك مزخرفة بشكل خانق ومبالغ فيه. كان كل شيء باللون الوردي المغبر: ورق الحائط المزهر، والسجاد السميك، وطبق الزهور المجففة الذي جلس على طاولة الهاتف. وأخبرهم صوت تدفق المياه البعيد بمكان إيرين بالضبط.

كانت غرفة الجلوس مزينة باللون الأخضر الزيتوني، وكل شيء كان يمكن تزيينه بالكشكشة، أو الثنيات، أو الأهداب، أو الحشو، قد تم تزيينه بالفعل. صور العائلة في إطارات فضية كانت تتزاحم على الطاولات الجانبية، وأكبرها تظهر شقراء في الأربعينيات من عمرها، شديدة السمرة، تلاصق خدها بخد رجل متورد الوجه فوق كوكتيلات محملة بالفواكه والمظلات، افترضت روبن أنه السيد هيكسون الراحل. كان يبدو أكبر سنًا بكثير من زوجته. وقفت مجموعة كبيرة من التماثيل الخزفية (البورسلين) على أرفف ماهوجني مصممة خصيصًا مقابل ورق الحائط

الأخضر الزيتوني اللامع. كانت جميعها تمثل شابات. بعضهن يرتدين تنانير واسعة (كرينولين)، وأخريات يدرن مظلات شمسية، بينما كانت أخريات يشممن الزهور أو يحتضنّ حملانًا بين أذرعهن.

قالت جانيس، مبتسمة وهي ترى إلى أين تنظر روبن:

– "إنها تجمعها. جميلة، أليست كذلك؟"

كذبت روبن:

– "أوه نعم."

لم يبدُ أن جانيس تشعر أن لديها الحق في دعوتهما للجلوس دون وجود إيرين، لذا ظل الثلاثة واقفين بجانب التماثيل.

سألتهما بأدب:

– "هل قطعتما مسافة طويلة؟"

ولكن قبل أن يتمكنا من الإجابة، قال صوت يفرض الانتباه:

– "مرحبًا! أهلاً وسهلاً!"

مثل غرفة جلوسها، أعطت إيرين هيكسون انطباعًا أوليًا بالبذخ المبالغ فيه والمثقل بالزينة. كانت شقراء تمامًا كما كانت في الخامسة والعشرين، لكنها الآن أثقل وزنًا بكثير، وبصدر ضخم. كانت قد حددت عينيها المبطنتين بالكحل الأسود، ورسمت حاجبيها الخفيفين في قوس عالٍ يشبه حواجب المهرج الحزين، وطلت شفتيها الرقيقتين باللون القرمزي. مرتدية طقمًا مزدوجًا (توينسيت) بلون الخردل، وبنطالاً أسود، وحذاءً بكعب عالٍ لامع، وكمية كبيرة من المجوهرات الذهبية، تضمنت أقراطًا بمشبك ثقيلة لدرجة أنها كانت تمط شحمتي أذنيها الطويلتين بالفعل، تقدمت نحوهما في سحابة قوية من عطر العنبر ومثبت الشعر.

قالت وهي تبتسم بإشراق لسترايك وتمد يدها، وأساورها تصدر رنينًا:

– "كيف حالك؟ هل أخبرتكما جان؟ عما حدث هذا الصباح؟ غريب جدًا، مع مجيئكما اليوم؛ غريب جدًا، لكنني فقدت العد لعدد المرات التي تحدث لي فيها أشياء كهذه."

توقفت، ثم قالت بشكل درامي:

– "تحطمت مارغو الخاصة بي. أقصد تمثال مارغو فونتين، على الرف العلوي،" قالت مشيرة إلى فجوة بين التماثيل الخزفية. "تفتتت إلى مليون قطعة عندما مررت منفضة الريش عليها!"

توقفت، منتظرة الدهشة.

قالت روبن، لأنه كان من الواضح أن سترايك لن يقول شيئًا:

– "هذا غريب حقًا."

قالت إيرين:

– "أليس كذلك؟ شاي؟ قهوة؟ أيًا كان ما تريدانه."

قالت جانيس:

– "سأحضر أنا ذلك يا عزيزتي."

– "شكرًا لكِ يا حبيبتي. ربما تحضرين الاثنين؟" قالت إيرين، ثم أشارت لسترايك وروبن بكرم نحو الكراسي ذات الذراعين. "تفضلا، اجلسا."

وضعت الكراسي سترايك وروبن في مواجهة نافذة مؤطرة بستائر ذات شرابات، يمكنهما من خلالها رؤية حديقة ذات رصف معقد وأحواض زهور مرتفعة. كان لها طابع إليزابيثي، مع أسيجة شجرية منخفضة ومزولة من الحديد المطاوع.

قالت إيرين، متابعة نظراتهما:

– "أوه، الحديقة كانت كلها عمل إدي. كان يحب حديقته، بارك الله في روحه. أحب هذا المنزل. لهذا السبب ما زلت هنا، رغم أنه كبير جدًا عليّ الآن، حقًا... اعذروني. لم أكن على ما يرام،" أضافت بصوت هامس عالٍ، وهي تفتعل ضجة كبيرة أثناء خفض نفسها على الأريكة وترتيب الوسائد بعناية حول نفسها. "لقد كانت جان قديسة."

قال سترايك:

– "يؤسفني سماع ذلك. أعني أنك لم تكوني على ما يرام، وليس أن صديقتك قديسة."

أطلقت إيرين ضحكة مبتهجة وشكت روبن أنه لو كان سترايك جالسًا أقرب قليلاً، لربما لكزته إيرين بمرح. وبتعبير من يمنح سترايك معلومات سرية، حركت شفتيها نصف صامتة:

– "متلازمة القولون العصبي. تهيجت عليّ. الألم يكون أحيانًا... حسنًا. المضحك في الأمر هو أنني كنت بخير طوال الوقت الذي كنت فيه بعيدة – كنت أقيم مع ابنتي الكبرى، إنهم في هامبشاير، ولهذا السبب لم أحصل على رسالتك على الفور – لكن في اللحظة التي عدت فيها للمنزل، اتصلت بجان، قلت لها: عليكِ أن تأتي، أنا أتألم بشدة – وطبيبتي العامة عديمة الفائدة،" أضافت مع زم شفتيها باشمئزاز. "امرأة. كل شيء خطئي أنا، وفقًا لها! يجب أن أتوقف عن كل ما يجعل الحياة تستحق العيش... كنت أقول لهما يا جان،" قالت بينما تراجعت صديقتها داخلة الغرفة بصينية شاي محملة، "إنكِ قديسة."

قالت جانيس بمرح:

– "أوه، أكملي. الجميع يحب المديح الجيد."

نهض سترايك نصف نهضة من كرسيه لمساعدتها بالصينية، التي كان عليها إبريق شاي وإبريق قهوة، لكن مثل السيدة غوبتا رفضت المساعدة، ووضعتها على مسند قدمين مبطن. كانت هناك تشكيلة من بسكويت الشوكولاتة، بعضها مغلف بالقصدير، موضوعة على مفرش دانتيل؛ وكان لوعاء السكر ملقط، والخزف الصيني المزهر يوحي بأنه "للضيوف المميزين". انضمت جانيس إلى صديقتها على الأريكة وسكبت المشروبات الساخنة، مقدمة لإيرين أولاً.

قالت إيرين لزائريها: "تفضلا البسكويت"، ثم وهي ترمق سترايك بنهم: "إذن... كاميرون سترايك الشهير! كدت أصاب بنوبة قلبية عندما رأيت اسمك في أسفل الرسالة. وأنت ستحاول استجواب كريد، أليس كذلك؟ هل سيتحدث إليك، في رأيك؟ هل سيسمحون لك بالذهاب ورؤيته؟"

قال سترايك بابتسامة، وهو يخرج مفكرته وينزع غطاء قلمه:

– "لم نصل لهذا الحد بعد. لدينا بضعة أسئلة، تتعلق بالخلفية بشكل أساسي، قد تكونان أنتما قادرتين على –"

قاطعتها إيرين بحماس:

– "أوه، أي شيء يمكننا فعله للمساعدة. أي شيء."

– "لقد قرأنا إفاداتكما للشرطة، لذا ما لم –"

قاطعتها إيرين مرة أخرى، متصنعة تعبيرًا خائفًا ساخرًا:

– "يا إلهي. أنتما تعرفان كل شيء عن كوني فتاة شقية إذن؟ عن طبيب الأسنان وذلك، أليس كذلك؟ ستكون هناك فتيات صغيرات يفعلن ذلك الآن، يختلقن الأكاذيب للحصول على بضع ساعات إجازة، لكن من سوء حظي أنني اخترت اليوم الذي كانت فيه مارغو... آسفة، لا أقصد ذلك،" قالت إيرين مستدركة. "لا أقصد. هكذا أوقع نفسي في المتاعب،" قالت بضحكة صغيرة. "تمهلي يا فتاة، كان إدي ليقول ذلك، أليس كذلك يا جان؟" قالت وهي تربت على ذراع صديقتها. "ألم يكن ليقول، تمهلي يا فتاة؟"

قالت جانيس مبتسمة ومومئة:

– "كان سيفعل."

تابع سترايك:

– "كنت سأقول، إنه ما لم يكن لدى أي منكما أي شيء لتضيفه –"

قاطعتها إيرين مرة أخرى:

– "أوه، لا تظن أننا لم نفكر في الأمر. لو تذكرنا أي شيء آخر لذهبنا مباشرة إلى مركز الشرطة، أليس كذلك يا جان؟"

– "– أود توضيح بضع نقاط. سيدة بيتي،" قال سترايك ناظرًا إلى جانيس، التي كانت تمسح بشرود الجانب السفلي من خاتم زواجها، وهو قطعة المجوهرات الوحيدة التي كانت ترتديها، "شيء واحد استوقفني عندما قرأت ملاحظات الشرطة هو عدد المرات التي قام فيها المفتش تالبوت –"

قاطعتها إيرين بحماس قبل أن تتمكن جانيس من فتح فمها:

– "أوه، شعرت بالشيء نفسه يا كاميرون. بالشيء نفسه! أعرف بالضبط ما ستسأله – لماذا استمر في مضايقة جان؟ قلت لها في ذلك الوقت – ألم أفعل يا جان؟ – قلت، هذا ليس صحيحًا، يجب أن تبلغي عنه، لكنك لم تفعلي، أليس

كذلك؟ أعني، أعلم أنه كان يعاني من انهيار عصبي، إلخ إلخ إلخ – ستعرف كل شيء عن ذلك،" قالت بإيماءة نحو سترايك، نقلت في آن واحد إطراءً واستعدادًا لإطلاعه على التفاصيل إذا طلبها، "لكن الرجال المرضى لا يزالون رجالاً، أليس كذلك؟"

كرر سترايك بصوت أعلى قليلاً:

– "سيدة بيتي، لماذا تعتقدين أن تالبوت استمر في استجوابك؟"

فهمت إيرين التلميح الواضح وسمحت لجانيس بالإجابة، لكن ضبط النفس لديها استمر فقط حتى بدأت جانيس في الكلام، وعند تلك النقطة بدأت في عزف لحن مصاحب من التمتمات، تردد صدى كلمات جانيس، وتضيف الموافقة والتوكيد، وتعطي انطباعًا عامًا بأنها تخشى أنه إذا لم تصدر صوتًا كل بضع ثوانٍ، قد ينسى سترايك أنها موجودة.

قالت جانيس، وهي لا تزال تعبث بخاتم زواجها:

– "لا أدري، بكل صراحة. المرات القليلة الأولى التي رآني فيها كانت أسئلة مباشرة –"

دمدمت إيرين وهي تومئ:

– "في البداية كانت كذلك، نعم."

– "– عما فعلته في ذلك اليوم، كما تعلم، ما يمكنني إخباره به عن الأشخاص الذين يأتون لرؤية مارغو، لأنني كنت أعرف الكثير من المرضى –"

قالت إيرين مومئة:

– "تعرفنا عليهم جميعًا، بالعمل في العيادة."

– "– لكن بعد ذلك، كان الأمر وكأنه يعتقد أن لدي... حسنًا، قوى خاصة. أعلم أن هذا يبدو جنونيًا، لكن لا أظن –"

قالت إيرين وعيناها على سترايك:

– "أوهو، حسنًا، أنا أظن."

– "– لا، أنا بصراحة لا أظن أنه كان – كما تعلم –" بدت جانيس محرجة حتى من قولها، "معجبًا بي. لقد سأل أشياء غير لائقة، لكن كان بإمكاني القول إنه لم يكن طبيعيًا، كما تعلم... في عقله. كان موقفًا فظيعًا لأكون فيه، بصدق،" قالت

جانيس محولة نظرها إلى روبن. "لم أشعر أنني أستطيع إخبار أي شخص. لقد كان من الشرطة! كان علي فقط الاستمرار في الجلوس هناك بينما يسألني عن أحلامي. وبعد المقابلات القليلة الأولى كان هذا كل ما أراد التحدث عنه، أصدقائي السابقين وأشياء من هذا القبيل، لا شيء عن مارغو أو المرضى –"

بدأت روبن:

– "كان مهتمًا بمريض واحد رغم ذلك، ألم –؟"

صاحت إيرين بحماس:

– "داكوورث!"

صحح سترايك:

– "دوثويت."

تمتمت إيرين: "دوثويت، نعم، هذا من عنيته"، ولتغطية إحراج طفيف تناولت بسكويتة، مما يعني أنه لبضع لحظات على الأقل، تمكنت جانيس من التحدث دون مقاطعة.

قالت جانيس مومئة:

– "نعم، سألني بالفعل عن ستيف، لأنه كان يعيش في المبنى السكني الخاص بي، في شارع بيرسيفال."

سألت روبن:

– "هل كنتِ تعرفين دوثويت جيدًا؟"

– "ليس حقًا. في الواقع، لم أكن أعرفه على الإطلاق حتى تعرض للضرب. عدت للمنزل متأخرة ووجدت مجموعة من الناس على البسطة معه. عرف الناس أنني ممرضة لذا – ها أنا ذا وابني كيفن تحت ذراع وطلبات البقالة في اليد الأخرى – لكن ستيف كان في حالة يرثى لها، لذا كان علي المساعدة. لم يرد استدعاء الشرطة، لكنه تعرض لنوع الضرب الذي يمكن أن يتركك بإصابات داخلية. الرجل الآخر استخدم مضربًا. زوج غيور –"

قاطعتها إيرين:

– "الذي فهم الأمر بشكل خاطئ تمامًا، أليس كذلك؟ لأن دوثويت كان شاذاً!" قالتها بضحكة عالية. "كان صديقًا للزوجة فقط، لكن هذا الأحمق الغيور يظن –"

بدأت جانيس:

– "حسنًا، لا أعرف ما إذا كان ستيف شاذاً –" لكن لم يكن هناك سبيل لإيقاف إيرين.

– "– رجل... وامرأة... اثنان زائد اثنان يساوي خمسة! كان إدي مثله تمامًا – جان، اشهدي معي، كيف كان إدي؟" قالت وهي تربت على ذراع جانيس مرة أخرى. "مثله تمامًا، أليس كذلك؟ أتذكر مرة، قلت، «إدي، تظن أنني لو نظرت فقط لرجل – يمكن أن يكون شاذاً، يمكن أن يكون ويلزيًا –» لكن بعد أن أخبرتني يا جان، فكرت، نعم، ذلك الداكوورث – أو دوثويت – يتصرف بميوعة قليلاً. عندما جاء إلى العيادة بعد ذلك، استطعت رؤية الأمر . وسيم، لكنه ناعم بعض الشيء."

– "لكنني لا أعرف ما إذا كان شاذاً يا إيرين، لم أكن أعرفه جيدًا بما يكفي لـ –"

وبختها إيرين:

– "ظل يعود لرؤيتك. أخبرتني أنه فعل. ظل يعود إلى شقتك من أجل الشاي والتعاطف وإخبارك بكل مشاكله."

قالت جانيس:

– "كانت مرتين فقط. كنا نتدردش، عند المرور على الدرج، ومرة ساعدني في التسوق ودخل لتناول كوب من الشاي."

حفزتها إيرين:

– "لكنه سألك –"

قالت جانيس، بما اعتقد سترايك أنه صبر مذهل:

– "أنا قادمة لذلك يا عزيزتي. كان يعاني من صداع، وأخبرته أنه بحاجة للذهاب ورؤية طبيب للصداع، لم أستطع تشخيصه. أعني، شعرت ببعض الأسف

تجاهه، لكنني لم أرغب في اعتياد فتح عيادة خارج ساعات العمل في شقتي. كان لدي كيفن لأعتني به."

سألت روبن:

– "إذن تعتقدين أن زيارات دوثويت لمارغو كانت بسبب صحته؟ ليس لأنه كان لديه اهتمام عاطفي بـ–؟"

قالت إيرين:

– "لقد أرسل لها شوكولاتة ذات مرة، لكن إذا سألتني، كان الأمر أشبه بكونها عمة نصوحة."

قالت جانيس:

– "حسنًا، كان لديه آلام الرأس هذه وكان متوترًا بالتأكيد. مكتئبًا، ربما. الجميع لاموه على ما حدث لتلك الفتاة المسكينة التي قتلت نفسها، لكنني لا أعرف... وبعض جيراني الآخرين أخبروني أن هناك شبانًا يدخلون ويخرجون من شقته –"

قالت إيرين بانتصار:

– "ها أنتِ ذا. شاذ!"

قالت جانيس:

– "قد لا يكون ذلك. ربما كانوا مجرد أصحابه، أو مخدرات، أو أشياء مسروقة... شيء واحد أعرفه، لأن الناس تحدثوا في الحي: زوج تلك الفتاة التي قتلت نفسها كان يضربها ضربًا مبرحًا. مأساة، حقًا. لكن الصحف ألقت باللوم كله على ستيف وهرب هو. حسنًا، الجنس يبيع أكثر من العنف المنزلي، أليس كذلك؟ إذا وجدت ستيف،" أضافت، "أبلغه تحياتي. لم يكن عادلاً ما فعلته الصحف."

كانت روبن قد تدربت على يد سترايك لتنظيم مقابلاتها وملاحظاتها في فئات: أشخاص، وأماكن، وأشياء. سألت المرأتين الآن:

– "هل كان هناك أي مرضى آخرين تتذكران أنهم تسببوا في قلق في العيادة، أو ربما كانت لديهم علاقة غير عادية بمارغو–؟"

قالت إيرين:

– "حسنًا، تذكري يا جان، كان هناك ذلك الشخص ذو اللحية التي تصل إلى هنا..." وضعت يدها عند مستوى الخصر، "... تذكرين؟ ماذا كان اسمه؟ آبتون؟ آبلثورب؟ جان، أنت تتذكرين. أنت تتذكرين يا جان، كانت رائحته كريهة كمتشرد واضطررت للذهاب لمنزله مرة. كان يتجول بالقرب من سانت جون. أعتقد أنه عاش في طريق كليركينويل. أحيانًا كان طفله معه. طفل غريب المظهر حقًا. أذنان ضخمتان."

قالت جانيس، واختفى عبوسها:

– "أوه، هم. لكنهم لم يكونوا مرضى مارغو –"

أخبرت إيرين سترايك بحماس:

– "حسنًا، كان يوقف الناس في الشارع، بعد ذلك، ويخبرهم أنه قتل مارغو! نعم! كان يفعل! أوقف دوروثي! بالطبع، دوروثي لم تكن لتخبر الشرطة، ليس دوروثي، كانت كلها «هراء وكلام فارغ»، «إنه مجنون»، لكنني قلت لها: «ماذا لو كان قد فعلها بالفعل يا دوروثي، وأنتِ لم تخبري أحدًا؟» آبلثورب كان مجنونًا حقيقيًا. كان لديه فتاة محبوسة –"

قالت جانيس، مظهرة أثرًا من نفاد الصبر لأول مرة:

– "لم تكن محبوسة يا إيرين. الخدمات الاجتماعية قالت إنها كانت تعاني من رهاب الأماكن المكشوفة (أغورافوبيا)، لكنها لم تكن محتجزة هناك ضد إرادتها –"

قالت إيرين بعناد:

– "كانت غريبة الأطوار. أنت أخبرتني أنها كانت كذلك. أعتقد أنه كان يجب على شخص ما أخذ الطفل بعيدًا، شخصيًا. قلتِ إن الشقة كانت قذرة –"

قالت جانيس بحزم:

– "لا يمكنك أخذ أطفال الناس منهم لأنهم لم ينظفوا المنزل!" ثم التفتت مرة أخرى لسترايك وروبن. "نعم، زرت عائلة آبلثورب، مرة واحدة فقط، لكنني لا أظن أنهم قابلوا مارغو قط. انظر، كان الأمر مختلفًا آنذاك: الأطباء كانت لديهم

قوائمهم الخاصة، وعائلة آبلثورب كانت مسجلة مع برينر. طلب مني الذهاب بدلاً منه، للاطمئنان على الطفل."

– "هل تتذكرين العنوان؟ اسم الشارع؟"

قالت جانيس عابسة:

– "أوه يا إلهي. نعم، أعتقد أنه كان طريق كليركينويل. أعتقد ذلك. انظر، زرتهم مرة واحدة فقط. الطفل لم يكن على ما يرام والدكتور برينر أراد فحص حالته وهو لم يكن ليقوم بزيارة منزلية أبدًا إذا استطاع تجنب ذلك. على أية حال، الطفل كان يتماثل للشفاء، لكنني لاحظت على الفور أن الأب كان –"

قالت إيرين وهي تومئ:

– "مجنون –"

– "– متوترًا، غائبًا عن الوعي قليلاً،" قالت جانيس. "ذهبت إلى المطبخ لغسل يدي وكان هناك كمية من «البنزيدرين» ملقاة على مرأى من الجميع على سطح العمل. حذرت كلا الوالدين، الآن وقد بدأ الطفل يمشي، أن يضعوها في مكان آمن –"

تدخلت إيرين:

– "طفل غريب المظهر حقًا."

– "– وذهبت لبرينر بعد ذلك، وقلت: «دكتور برينر، ذلك الرجل يسيء استخدام البنزيدرين.» كان يسبب الإدمان بشكل حقيقي، عرفنا ذلك جميعًا بحلول ذلك الوقت، حتى في عام 74. بالطبع، اعتقد برينر أنني أتطاول، وأشكك في وصفاته الطبية. لكنني كنت قلقة، لذا اتصلت بالخدمات الاجتماعية دون إخبار برينر، وكانوا جيدين جدًا. كانوا يراقبون العائلة عن كثب بالفعل."

قالت إيرين:

– "لكن الأم –"

قالت جانيس:

– "لا يمكنك أن تقرري للناس الآخرين ما يجعلهم سعداء يا إيرين! الأم أحبت ذلك الطفل، حتى لو كان الأب – حسنًا، كان غريبًا، المسكين،" أقرت

جانيس. "كان يعتقد أنه نوع من – لا أعرف ماذا تسميه – غورو، أو رجل ساحر. اعتقد أنه يستطيع إصابة الناس بالعين الشريرة. أخبرني بذلك أثناء الزيارة المنزلية. تقابل أشخاصًا بأفكار غريبة في التمريض. اعتدت فقط أن أقول: «حقًا؟ كم هذا مثير للاهتمام.» لا جدوى من تحديهم. لكن آبلثورب اعتقد أنه يستطيع تمني السوء للناس. كان قلقًا من أن طفله الصغير أصيب بالحصبة الألمانية لأنه غضب منه. قال إنه يستطيع فعل ذلك للناس... مات هو نفسه، المسكين. بعد عام من اختفاء مارغو."

قالت إيرين، مع أثر من خيبة الأمل:

– "هل مات؟"

– "أجل. كان ذلك ليكون بعد مغادرتك، بعد زواجك من إدي. أتذكر، عمال تنظيف الشوارع وجدوه في الصباح الباكر، متكورًا وميتًا تحت جسر شارع «والتر». نوبة قلبية. سقط ولم يكن هناك أحد لمساعدته. لم يكن كبيرًا في السن أيضًا. أتذكر أن الدكتور برينر كان متوترًا قليلاً بشأن ذلك."

سأل سترايك:

– "لماذا كان ذلك؟"

– "حسنًا، لقد وصف حبوب «بينيز» التي كان الرجل يسيء استخدامها، أليس كذلك؟"

لدهشة روبن، عبرت ابتسامة عابرة وجه سترايك.

– "لكن لم يكن آبلثورب وحده،" تابعت جانيس، التي لم يبد أنها لاحظت أي شيء غريب في رد فعل سترايك. "كان هناك –"

قالت إيرين، وهي تدير عينيها:

– "أوه، أطنان من الناس أقسموا أنهم سمعوا شيئًا، أو كان لديهم حدس، إلخ إلخ إلخ، وكان هناك نحن، كما تعلم، الذين كنا متورطين بالفعل، كان الأمر فظيعًا، فقط – اعذروني،" قالت واضعة يدها على معدتها، "يجب أن أذهب سريعًا إلى – آسفة."

غادرت إيرين الغرفة في عجلة من أمرها. نظرت جانيس في أثرها، وكان من الصعب، نظرًا لوجهها المبتسم بطبيعته، معرفة ما إذا كانت قلقة أم مستمتعة.

قالت لسترايك وروبن بهدوء:

– "ستكون بخير. أخبرتها أن الطبيب محق على الأرجح في إخبارها بالابتعاد عن الطعام الحار، لكنها أرادت كاري الليلة الماضية... إنها تشعر بالوحدة. تتصل بي للمجيء. بقيت طوال الليل. إدي توفي العام الماضي فقط. كان يناهز التسعين، بارك الله فيه. كان يعشق إيرين والفتيات. إنها تفتقده بشكل فظيع."

حفزها سترايك بلطف:

– "كنتِ على وشك إخبارنا بأن شخصًا آخر ادعى معرفة ما حدث لمارغو؟"

– "ماذا؟ أوه، نعم... تشارلي راماج. كان لديه عمل في أحواض الاستحمام الساخنة والساونا. رجل ثري، لذا قد تظن أن لديه أشياء أفضل ليفعلها بوقته من اختلاق القصص، لكن ها أنت ذا، الناس غريبو الأطوار."

سألت روبن:

– "ماذا قال؟"

– "حسنًا، الدراجات النارية كانت هواية تشارلي. كان لديه الكثير منها، واعتاد الذهاب في جولات طويلة في جميع أنحاء البلاد. تعرض لحادث سيئ وكان في المنزل بساقين مكسورتين، لذا كنت أزوره عدة مرات في الأسبوع... كان هذا ليكون بعد عامين جيدين من اختفاء مارغو. حسنًا، كان تشارلي رجلاً يحب التحدث، وذات يوم، ودون مقدمات، أقسم بالله أنه قابل مارغو، بعد حوالي أسبوع من اختفائها، في «ليمنغتون سبا». لكن، كما تعلمون،" قالت جانيس وهي تهز رأسها. "لم آخذ الأمر على محمل الجد. رجل لطيف، لكن كما أقول، كان يحب الكلام."

سألت روبن:

– "ماذا أخبركِ بالضبط؟"

– "قال إنه كان في إحدى رحلاته بالدراجة شمالاً، وتوقف خارج هذه الكنيسة الكبيرة في ليمنغتون سبا، وكان يستند إلى الجدار يتناول كوبًا من الشاي

وشطيرة، وكانت هناك هذه المرأة تمشي في المقبرة على الجانب الآخر من السياج، تنظر إلى القبور. ليس كأنها في حداد أو أي شيء، فقط مهتمة. شعر أسود، وفقًا لتشارلي. ونادى عليها: «مكان لطيف، أليس كذلك؟» والتفتت لتنظر إليه و – حسنًا، أقسم بالله أنها كانت مارغو بامبورو، بشعر مصبوغ. قال إنه أخبرها أنها تبدو مألوفة فبدت منزعجة وأسرعت مبتعدة."

– "وادعى أن هذا حدث بعد أسبوع من اختفائها؟"

– "نعم، قال إنه تعرف عليها لأن صورتها كانت لا تزال في كل الصحف في ذلك الوقت. فقلت: «هل ذهبت للشرطة بشأن هذا يا تشارلي؟» وقال: «نعم، فعلت»، وأخبرني أنه صديق لشرطي، رجل ذو رتبة عالية، وأخبر صديقه. لكنني لم أرَ أو أسمع أي شيء عن ذلك بعد ذلك، لذا، كما تعلمون..."

سأل سترايك وهو يدون ملاحظة:

– "راماج أخبرك بهذه القصة في عام 1976؟"

قالت جانيس، عابسة في محاولة للتذكر، بينما كانت إيرين تدخل الغرفة مرة أخرى:

– "نعم، لابد أنه كان كذلك. لأنهم كانوا قد قبضوا على كريد بحلول ذلك الوقت. هكذا ظهر الموضوع. كان يقرأ عن المحاكمة في الصحف ثم قال، ببرود تام: «حسنًا، لا أظن أنه فعل أي شيء لمارغو بامبورو، لأنني أظن أنني رأيتها بعد اختفائها»."

سألت روبن:

– "هل كان لمارغو أي صلة بليمنغتون سبا، حسب علمك؟"

قالت إيرين بحدة:

– "ما هذا؟"

قالت جانيس:

– "لا شيء. مجرد قصة غبية أخبرني بها مريض. مارغو في مقبرة بشعر مصبوغ. تعرفين."

قالت إيرين، وبدا عليها الاستياء:

– "في ليمنغتون سبا؟ لم تخبريني بذلك أبدًا. لماذا لم تخبريني؟"

كان لدى روبن انطباع بأن إيرين استاءت بشدة من ترك جانيس تحت الأضواء بينما اضطرت هي للعودة إلى الحمام.

قالت جانيس، وبدت خائفة قليلاً:

– "أوه... حسنًا، كان ذلك في عام 76. لابد أنك أنجبت شارون للتو. كان لديك أشياء أفضل لتفكري فيها من أكاذيب تشارلي راماج."

تناولت إيرين بسكويتة أخرى، عابسة قليلاً.

قال سترايك:

– "أود الانتقال إلى العيادة نفسها. كيف وجدت مارغو في –"

قاطعت إيرين بصوت عالٍ، وبدا أنها تشعر بأن دورها قد حان، بعد أن فوتت عدة دقائق من انتباه سترايك:

– "في العمل معها؟ حسنًا، بالتحدث عن نفسي شخصيًا –"

كان توقفها توقف متذوق، يتلذذ باحتمال المتعة القادمة.

– "– لنكون صادقين تمامًا، كانت واحدة من أولئك الناس الذين يعتقدون أنهم يعرفون الأفضل في كل شيء. تخبرك كيف تعيشين حياتك، كيف تقومين بحفظ الملفات، كيف تصنعين كوبًا من الشاي، إلخ إلخ إلخ –"

تمتمت جانيس:

– "أوه، يا إيرين، لم تكن بهذا السوء. أنا أحببت –"

قالت إيرين بتعالي:

– "جان، هيا. لم تتجاوز أبدًا كونها الذكية في عائلتها وظنت أن بقيتنا أغبياء تمامًا! حسنًا، ربما لم تظن أنكِ كذلك،" قالت إيرين مع إدارة لعينيها، بينما هزت صديقتها رأسها، "لكنها ظنت ذلك بي. عاملتني كمعتوهة. هذا تعامل فوقي، أليس كذلك. الآن، أنا لم أكرهها!" أضافت إيرين بسرعة. "لم أكرهها. لكنها كانت صعبة الإرضاء. ومعجبة جدًا بنفسها. نسينا تمامًا أننا جئنا من منزل صغير متواضع في ستيبني، لنقل ذلك بهذه الطريقة."

سألت روبن جانيس:

– "كيف وجدتِها أنتِ؟"

بدأت جانيس: "حسنًا –" لكن إيرين تحدثت فوقها.

– "متكبرة. جان، كوني واقعية. تزوجت استشاريًا غنيًا – لم يكن ذلك منزلاً متواضعًا، ذلك المكان في هام! كان مفاجأة حقيقية، رؤية ما تزوجت منه، ثم تملك الوقاحة لتأتي للعمل وتعظنا عن الحياة المتحررة لبقيتنا: الزواج ليس كل شيء، لا توقفي مسيرتك المهنية، إلخ إلخ إلخ. ودائمًا تجد الأخطاء."

– "ماذا كانت –؟"

– "كيف تردين على الهاتف، كيف تتحدثين للمرضى، كيف تلبسين، حتى – «إيرين، لا أعتقد أن هذه البلوزة مناسبة للعمل». كانت فتاة ليل (باني غيرل) بحق السماء! يا للنفاق! لم أكرهها،" أصرت إيرين. "لم أفعل، حقًا، أنا فقط أحاول أن أعطيكما الصورة الكامـ... أوه، ولم تكن تدعنا نصنع لها مشروبات ساخنة، أليس كذلك يا جان؟ لم يشتكِ أي من الطبيبين الآخرين أبدًا من أننا لا نعرف ماذا نفعل بكيس الشاي."

بدأت جانيس:

– "ليس هذا هو السبب –"

– "جان، هيا، أنت تتذكرين كم كانت متطلبة –"

سأل سترايك جانيس، واستطاعت روبن أن تلاحظ أن صبره بدأ ينفد مع إيرين:

– "لماذا تقولين إنها لم تحب أن يصنع الناس لها المشروبات؟"

قالت جانيس:

– "أوه، كان ذلك بسبب عندما كنت أغسل الأكواب ذات يوم. سكبت البقايا من كوب الدكتور برينر ووجدت حبة –"

سألت إيرين:

– "حبة أتومال، ألم تكن كذلك؟"

– "– كبسولة أميتال، ملتصقة بالقاع. عرفت ما هي من اللو –"

قاطعت إيرين مومئة:

– "زرقاء، ألم تكن؟"

قالت جانيس:

– "«بلو هيفنز» (جنات زرقاء)، اعتادوا تسميتها في الشارع، نعم. مهبطات. كنت أحرص دائمًا على أن يعرف الجميع أنه ليس لدي أي شيء من هذا القبيل في حقيبتي الطبية، عندما كنت في الخارج أقوم بزيارات منزلية. كان عليك توخي الحذر، خشية التعرض للسرقة."

سأل سترايك:

– "كيف عرفتِ أنه كوب الدكتور برينر؟"

قالت جانيس:

– "كان يستخدم دائمًا نفس الكوب، وعليه شعار جامعته القديمة. كانت ستقوم القيامة لو لمسه أي شخص آخر." ترددت، "لا أعرف ما إذا – إذا كنت قد تحدثت إلى الدكتور غوبتا –"

قال سترايك:

– "نحن نعلم أن الدكتور برينر كان مدمنًا للباربيتورات."

بدت جانيس مرتاحة.

– "حسنًا – عرفت أنه لابد أسقطها هناك، بالخطأ، عندما كان يتناول البعض. ربما لم يدرك، ظن أنها دحرجت بعيدًا على الأرض. كانت ستطرح الكثير من الأسئلة، عادة، في عيادة طبيب، العثور على مخدرات في مشروب. إذا وصل شيء لشاي شخص ما عن طريق الصدفة، فهذا خطير."

بدأت روبن:

– "ما مقدار الضرر الذي يمكن لكبسولة واحدة –؟"

قالت إيرين بعلم:

– "أوه، لا ضرر حقيقي، أليس كذلك يا جان؟"

قالت جانيس:

– "لا، كبسولة واحدة، هذه ليست حتى جرعة كاملة. كنتِ ستشعرين ببعض النعاس، هذا كل شيء. على أية حال، خرجت مارغو للمطبخ لصنع الشاي

عندما كنت أحاول إخراج الحبة من قاع الكوب بملعقة صغيرة. كان لدينا حوض وغلاية وثلاجة خارج غرفة الممرضة مباشرة. رأتني أحاول كشط الحبة للخارج. لذا لم يكن تطلبًا منها، صنع مشروباتها بنفسها بعد ذلك. كان إجراءً احترازيًا. أخذت أنا أيضًا عناية إضافية للتأكد من أنني أشرب من كوبي الخاص."

سألت روبن:

– "هل أخبرتِ مارغو كيف تعتقدين أن الحبة وصلت للشاي؟"

قالت جانيس:

– "لا، لأن الدكتور غوبتا كان قد طلب مني عدم ذكر مشكلة برينر، لذا قلت فقط «لابد أنه كان حادثًا»، وهو ما كان صحيحًا من الناحية الفنية. توقعت منها الدعوة لاجتماع للموظفين وإجراء تحقيق –"

قالت إيرين:

– "آه، حسنًا، أنت تعرفين نظريتي حول سبب عدم قيامها بذلك."

قالت جانيس وهي تهز رأسها:

– "إيرين. بصراحة –"

قالت إيرين متجاهلة جانيس:

– "نظريتي، هي أن مارغو ظنت أن شخصًا آخر وضع الحبة في مشروب برينر، وإذا كنت تسألني من –"

قالت جانيس مرة أخرى، بوضوح تحث على ضبط النفس:

– "إيرين."

لكن إيرين كانت لا يمكن إيقافها.

– "– سأخبرك – غلوريا. تلك الفتاة كانت خشنة كالجحيم وجاءت من خلفية إجرامية – لا، سأقولها يا جان، أنا متأكدة أن كاميرون يريد معرفة كل ما كان يجري في تلك العيادة –"

قالت جانيس لسترايك وروبن:

– "كيف يمكن أن تضع غلوريا شيء في شاي برينر – وبالمناسبة، أنا لا أظن أنها فعلت –"

قالت إيرين بتعالي:

– "حسنًا، بما أنني كنت على المكتب مع غلوريا كل يوم يا جان، كنت أعرف حقيقتها –"

– "– لكن حتى لو وضعت الحبة في شايه يا إيرين، كيف يمكن أن يكون لذلك أي علاقة باختفاء مارغو؟"

قالت إيرين، التي بدا أنها بدأت تغضب:

– "لا أعرف، لكنهم مهتمون بمن كان يعمل هناك وماذا حدث – ألست كذلك؟" سألت سترايك، الذي أومأ برأسه. ومع "أترين؟" لجانيس، انطلقت إيرين، "لذا: غلوريا جاءت من عائلة خشنة حقًا، عائلة من «إيطاليا الصغيرة» –"

حاولت جانيس الاحتجاج، لكن إيرين غطت على صوتها مرة أخرى.

– "لقد كانت كذلك يا جان! أحد إخوتها كان يتاجر بالمخدرات، ذلك النوع من الأشياء، هي أخبرتني بذلك! تلك الكبسولة قد لا تكون جاءت من مخزون برينر على الإطلاق! ربما حصلت عليها من أحد إخوتها. غلوريا كرهت برينر. كان وغدًا عجوزًا بائسًا، حقًا، دائمًا ما يهاجمنا. قالت لي مرة: «تخيلي العيش معه. لو كنت أخته لسممت طعام الوغد العجوز»، وسمعتها مارغو، ووبختها، لأن هناك مرضى في غرفة الانتظار، ولم يكن من المهنية قول شيء كهذا عن أحد الأطباء.

"على أية حال، عندما لم تفعل مارغو أي شيء بشأن الحبة في كوب برينر، فكرت: هذا لأنها تعرف من فعلها. لم ترد لحيوانها الأليف الصغير أن يقع في ورطة. غلوريا كانت مشروعها، أترين. أمضت غلوريا نصف وقتها في غرفة استشارات مارغو تتلقى محاضرات عن النسوية بينما تُرِكت أنا لأدير الاستقبال... كانت لتسمح لغلوريا بالإفلات من جريمة قتل، مارغو كانت لتفعل. نقطة عمياء تامة."

سأل سترايك:

– "هل يعرف أي منكما أين غلوريا الآن؟"

قالت إيرين:

– "لا فكرة لدي. غادرت بعد وقت قصير من اختفاء مارغو."

قالت جانيس، التي بدت غير مرتاحة:

– "لم أرها مرة أخرى بعد أن غادرت العيادة، لكن يا إيرين، لا أظن أننا يجب أن نلقي الاتهامات –"

قالت إيرين فجأة لصديقتها، ويدها على معدتها:

– "أسدي لي معروفًا، وأحضري ذلك الدواء من فوق الثلاجة لي، هل تفعلين؟ ما زلت لست على ما يرام. وهل يود أحد المزيد من الشاي أو القهوة بينما جان هناك؟"

نهضت جانيس دون تذمر، وجمعت الأكواب الفارغة، وحملت الصينية وانطلقت للمطبخ. نهضت روبن لتفتح لها الباب، وابتسمت لها جانيس وهي تمر. بينما كانت خطوات جانيس تبتعد عبر الردهة ذات السجاد السميك، قالت إيرين، دون ابتسامة:

– "مسكينة جان. عاشت حياة فظيعة، حقًا. مثل شيء من روايات ديكنز، طفولتها. إدي وأنا ساعدناها ماليًا بضع مرات، بعد أن تركها بيتي. تسمي نفسها «بيتي»، لكنه لم يتزوجها قط، أتعلمان،" قالت إيرين. "فظيع، أليس كذلك؟ وكان لديهم طفل أيضًا. لا أعتقد أنه أراد أن يكون هناك حقًا، ثم هرب. لاري، رغم ذلك – أعني، لم يكن أذكى أداة في الصندوق،" ضحكت إيرين قليلاً، "لكنه كان يعتقد أنها كل شيء في العالم. أعتقد أنها ظنت أنها تستطيع الحصول على أفضل في البداية – لاري عمل لدى إدي، أتعلمان – ليس في الجانب الإداري، كان مجرد عامل بناء، لكن في النهاية، أعتقد أنها أدركت – حسنًا، أنتما تعلمان، ليس الجميع مستعدًا لتقبل طفل..."

– "هل لي أن أسألك عن الملاحظات التهديدية لمارغو التي رأيتها، سيدة هيكسون؟"

قالت إيرين، مسرورة:

– "أوه، نعم، بالطبع. إذن أنتما تصدقانني؟ لأن الشرطة لم تفعل."

– "كانتا اثنتين، قلتِ في إفادتك؟"

– "هذا صحيح. لم أكن لأفتح الأولى، لولا أن دوروثي كانت في إجازة، والدكتور برينر أخبرني بفرز البريد. دوروثي لم تكن تأخذ إجازات عادة. كان ذلك

لأن ابنها كان يجري عملية استئصال اللوزتين. طفل مدلل، كان كذلك. كانت تلك المرة الوحيدة التي رأيتها فيها منزعجة، عندما أخبرتني أنها ستأخذه للمستشفى في اليوم التالي. صلبة كالصخر، عادة – لكنها كانت أرملة، وكان هو كل ما لديها."

عادت جانيس بإبريق شاي وإبريق قهوة ممتلئين. نهضت روبن وأخذت الإبريقين الثقيلين من الصينية عنها. قبلت جانيس مساعدتها بابتسامة و"شكرًا" هامسة، حتى لا تقاطع إيرين.

سأل سترايك:

– "ماذا قالت الملاحظة؟"

قالت إيرين:

– "حسنًا، هذا منذ زمن بعيد الآَن."

ناورتها جانيس علبة أقراص عسر الهضم، أخذتها إيرين بابتسامة مقتضبة، لكن دون شكر.

– "لكن مما أتذكره..." أخرجت الحبوب من العبوة، "دعني أرى، أريد أن أقول هذا بشكل صحيح... كانت وقحة جدًا. نعتت مارغو بالكلمة البذيئة (العاهرة)، أتذكر ذلك. وقالت إن نار الجحيم تنتظر النساء مثلها."

– "هل كانت مطبوعة على الآَلة الكاتبة؟ أم مطبوعة؟"

قالت إيرين:

– "مكتوبة بخط اليد."

تناولت قرصين مع رشفة شاي.

سأل سترايك:

– "ماذا عن الثانية؟"

– "لا أعرف ما قالته تلك. اضطررت للدخول إلى غرفة استشارتها لإعطائها رسالة، أترين، ورأيتها ملقاة على مكتبها. نفس الخط، عرفته فورًا. لم يعجبها رؤيتي لها، استطعت معرفة ذلك. كورتها وألقتها في سلة المهملات."

مررت جانيس أكوابًا جديدة من الشاي والقهوة. تناولت إيرين بسكويتة شوكولاتة أخرى.

قال سترايك:

– "أشك أنكِ ستعرفين، لكنني تساءلت عما إذا كان لديكِ أي سبب للشك في أن مارغو كانت حاملاً قبل أن –"

شهقت إيرين، وبدا عليها الذهول التام:

– "كيف عرفت ذلك؟"

قالت روبن:

– "كانت كذلك؟"

– "نعم!" قالت إيرين. "انظروا – جان، لا تنظري هكذا، بصراحة – تلقيت مكالمة من دار تمريض، بينما كانت في زيارة منزلية! اتصلوا بالعيادة لتأكيد أنها ستكون هناك في اليوم التالي..." وحركت شفتيها بالكلمات القليلة التالية، "من أجل إجهاض!"

سألت روبن:

– "أخبروكِ بالإجراء الذي ستخضع له، عبر الهاتف؟"

للحظة، بدت إيرين مرتبكة نوعًا ما.

– "هم – حسنًا، لا – في الواقع، أنا – حسنًا، لست فخورة بذلك، لكنني عاودت الاتصال بالعيادة. مجرد فضول. تفعلين هذا النوع من الأشياء عندما تكونين صغيرة، أليس كذلك؟"

أملت روبن أن تكون ابتسامتها المتبادلة تبدو أكثر صدقًا من ابتسامة إيرين.

سأل سترايك:

– "متى كان هذا يا سيدة هيكسون، هل يمكنك التذكر؟"

– "ليس قبل اختفائها بوقت طويل. أربعة أسابيع؟ شيء من هذا القبيل؟"

– "قبل أم بعد الملاحظات المجهولة؟"

– "لا – بعد، أعتقد،" قالت إيرين. "أم كان قبل؟ لا أستطيع التذكر..."

– "هل تحدثتِ مع أي شخص آخر عن الموعد؟"

– "فقط جان، ووبختني. ألم تفعلي يا جان؟"

تمتمت جانيس:

– "أعلم أنك لم تقصدي أي أذى، لكن سرية المريض –"

– "مارغو لم تكن مريضتنا. هذا شيء مختلف."

سألها سترايك:

– "ولم تخبري الشرطة بهذا؟"

قالت إيرين:

– "لا، لأنني – حسنًا، لم يكن ينبغي أن أعرف، أليس كذلك؟ على أية حال، كيف يمكن أن يكون لذلك أي علاقة باختفائها؟"

– "بصرف النظر عن السيدة بيتي، هل أخبرتِ أي شخص آخر بالأمر؟"

قالت إيرين بدفاعية:

– "لا، لأنني – أعني، لم أكن لأخبر أي شخص آخر – تبقين فمك مغلقًا، عند العمل في عيادة طبيب. كان بإمكاني إخبار كل أنواع أسرار الناس، أليس كذلك؟ كوني موظفة استقبال، رأيت ملفات، لكن بالطبع لم أقل شيئًا، كنت أعرف كيف أحفظ الأسرار، كان ذلك جزءًا من الوظيفة..."

بدون تعبير، كتب سترايك *"تحتج أكثر مما ينبغي"* في مفكرته.

قال سترايك، رافعًا بصره مرة أخرى:

– "لدي سؤال آخر، سيدة هيكسون، وقد يكون حساسًا. سمعت أنه كان هناك خلاف بينك وبين مارغو في حفلة عيد الميلاد."

قالت إيرين، ووجهها يتهجم:

– "أوه. ذلك. نعم، حسنًا –"

ساد صمت طفيف.

– "كنت غاضبة مما فعلته بكيفن. ابن جان. تذكرين يا جان؟"

بدت جانيس مرتبكة.

قالت إيرين وهي تربت على ذراع جانيس مرة أخرى:

– "هيا يا جان، تذكرين. عندما أخذته لغرفة استشارتها وإلخ إلخ إلخ."

قالت جانيس:

– "أوه." وللحظة، كان لدى روبن انطباع واضح بأن جانيس كانت غاضبة حقًا من صديقتها هذه المرة. "لكن –"

قالت إيرين وهي تحدق فيها:

– "تذكرين."

– "أنا... نعم. نعم، كنت غاضبة بشأن ذلك، حقًا."

أخبرت إيرين سترايك:

– "جان أبقته بعيدًا عن المدرسة. ألم تفعلي يا جان؟ كم كان عمره، ست سنوات؟ وبعد ذلك –"

سأل سترايك جانيس:

– "ماذا حدث بالضبط؟"

قالت جانيس:

– "كيف كان يعاني من ألم في البطن. حسنًا، التهاب المدرسة (تمارض)، في الواقع. جارتي التي كانت تعتني به أحيانًا لم تكن على ما يرام –"

قاطعتها إيرين:

– "بشكل أساسي، جان أحضرت كيفن للعمل و –"

سأل سترايك:

– "هل يمكن للسيدة بيتي أن تروي القصة؟"

قالت إيرين:

– "أوه – نعم، بالطبع!" ووضعت يدها مرة أخرى على بطنها ومسدتها، بتعبير المعاناة الطويلة.

حفز سترايك جانيس:

– "جليسة الأطفال المعتادة كانت مريضة؟"

– "نعم، لكن كان من المفترض أن أكون في العمل، لذا أخذت كيف معي للعيادة وأعطيته كتاب تلوين. ثم كان علي تغيير ضمادة لسيدة في الغرفة الخلفية، فوضعت كيف في غرفة الانتظار. إيرين وغلوريا كانتا تراقبان عينهما عليه لأجلي. لكن بعد ذلك مارغو – حسنًا، أخذته لغرفة استشارتها وفحصته، وجردته من ملابسه

حتى الخصر وكل شيء. كانت تعرف أنه ابني وتعرف سبب وجوده هناك، لكنها تصرفت من تلقاء نفسها... كنت غاضبة، لا أستطيع الكذب،" قالت جانيس بهدوء. "تبادلنا الكلمات. قلت: «كل ما كان عليك فعله هو الانتظار حتى أرى المريض وكنت سآتي معه بينما تفحصينه.»"

"وعلي القول، عندما واجهتها بالأمر مباشرة، تراجعت على الفور واعتذرت. لا،" قالت جانيس، لأن إيرين كانت قد نفخت نفسها، "فعلت يا إيرين، اعتذرت، وقالت إنني محقة تمامًا، ما كان يجب أن تراه بدوني، لكنه كان يمسك بطنه وتصرفت بغريزة. لم يكن بسوء نية. هي فقط، أحيانًا –"

قالت إيرين:

– "– تثير غضب الناس، هذا ما أقوله. ظننت أنها فوق الجميع، تعرف الأفضل –"

قالت جانيس بحزم هادئ:

– "– تندفع، هذا ما كنت سأقوله. لكنها كانت طبيبة جيدة. تسمع كل شيء، عندما تكون في منازل الناس، تسمع ما يفكر فيه المرضى عنهم، ومارغو كانت محبوبة. كانت تخصص وقتًا. كانت لطيفة – كانت كذلك يا إيرين، أعلم أنها أزعجتك، لكن هذا ما كان المرضى –"

قالت إيرين، بنبرة "إذا قلتِ ذلك":

– "أوه، حسنًا، ربما. لكن لم يكن لديها الكثير من المنافسة في سانت جون، أليس كذلك؟"

سأل سترايك:

– "هل كان الدكتور غوبتا والدكتور برينر غير محبوبين؟"

قالت جانيس:

– "الدكتور غوبتا كان رائعًا. طبيب جيد جدًا، رغم أن بعض المرضى لم يرغبوا في رؤية رجل أسمر، وهذه هي الحقيقة. لكن برينر كان رجلاً صعب المراس. فقط بعد وفاته فهمت لماذا ربما –"

شهقت إيرين بصوت عالٍ ثم بدأت، بشكل غير متوقع، في الضحك.

– "أخبريهم بما تجمعينه يا جانيس. هيا! التفتت لسترايك وروبن. "إذا لم يكن هذا أكثر الأشياء رعبًا وكآبة –"

قالت جانيس، وقد احمر وجهها:

– "أنا لا أجمعها. إنها مجرد شيء أحب الاحتفاظ به –"

– "النعوات! ما رأيكما في ذلك؟ بقيتنا يجمع الخزف أو كرات الثلج، إلخ إلخ إلخ، لكن جانيس تجمع –"

كررت جانيس، ولا تزال حمراء الوجه:

– "إنها ليست مجموعة. كل ما في الأمر –" وجهت حديثها لروبن بأثر من الاستجداء. "أمي لم تكن تستطيع القراءة –"

قالت إيرين برضا عن النفس، وهي تمسد معدتها:

– "تخيلا."

تلعثمت جانيس للحظة، ثم قالت:

– "– نعم، لذا... أبي لم يكن مهتمًا بالكتب، لكنه اعتاد إحضار الصحيفة للمنزل، وهكذا تعلمت القراءة. اعتدت قص أفضل القصص. قصص إنسانية، أفترض أنك ستسميها. لم أكن مهتمة بالخيال أبدًا. لا أرى الجدوى، أشياء اختلقها شخص ما."

تنهدت إيرين، وهي لا تزال تفرك معدتها:

– "أوه، أنا أحب الرواية الجيدة. على أية حال... لا أعرف... عندما تقرأ نعي، تكتشف من كان الناس حقًا، أليس كذلك؟ إذا كان شخصًا أعرفه، أو قمت بتمريضه، أحتفظ بها لأنني، لا أعرف، شعرت أن شخصًا ما يجب أن يفعل. أن تُكتب قصة حياتك في الصحيفة – هذا إنجاز، أليس كذلك؟"

قالت إيرين:

– "ليس إذا كنت دينيس كريد، ليس كذلك."

وبينما بدت وكأنها قالت شيئًا ذكيًا للغاية، مالت للأمام لتأخذ بسكويتة أخرى، ومزق صمت الغرفة صوت ريح مدوٍ (ضرطة) انطلق منها.

احمر وجه إيرين قرمزيًا. فكرت روبن للحظة مرعبة أن سترايك سيضحك، لذا قالت بصوت عالٍ لجانيس:

– "هل احتفظتِ بنعي الدكتور برينر؟"

قالت جانيس، التي بدت غير منزعجة تمامًا من الصوت العالي الذي صدر للتو عن إيرين:

– "أوه، نعم. وقد فسرت الكثير." ربما اعتادت على ما هو أسوأ بكثير، كممرضة.

سألت روبن، مصممة على عدم النظر إلى سترايك أو إيرين:

– "بأي طريقة؟"

– "لقد دخل «بيرغن بيلسن»، كان من أوائل الرجال الطبيين هناك."

قالت روبن مصدومة:

– "يا إلهي."

قالت جانيس:

– "أعرف. لم يتحدث عن ذلك قط. لم أكن لأعرف أبدًا، لو لم أقرأه في الصحيفة. ما لابد أنه رآه... أكوام الجثث، الأطفال الموتى... قرأت كتابًا من المكتبة عنه. مروع. ربما لهذا كان كما كان، لا أعرف. شعرت بالأسف، عندما قرأته. لم أكن قد رأيته لسنوات بحلول وقت وفاته. شخص ما أراني النعي، عالمًا بأنني كنت في سانت جون، واحتفظت بها كسجل له. يمكنك أن تغفري لبرينر الكثير، بمجرد أن تري ما شهده، ما مر به... لكن هذا صحيح بالنسبة للجميع، حقًا، أليس كذلك؟ بمجرد أن تعرف، كل شيء يُفسر. من المؤسف أنك غالبًا لا تعرف حتى يكون الوقت قد فات لـ– أنتِ بخير يا حبيبتي؟" قالت لإيرين.

في أعقاب خروج الريح، شكت روبن أن إيرين قررت أن التغطية الوحيدة التي تحفظ ماء الوجه هي التأكيد على أنها مريضة.

قالت، ويدها أسفل حزام بنطالها:

– "أتدرين، أعتقد أنه التوتر. دائمًا ما يتهيج عندما أكون... آسفة." قالت بكرامة لسترايك وروبن، "لكن أخشى أنني لا أعتقد أنني..."

قال سترايك وهو يغلق دفتر ملاحظاته:

– "بالطبع. أعتقد أننا سألنا كل ما جئنا من أجله، على أية حال. ما لم يكن هناك أي شيء آخر،" سأل المرأتين، "تذكرتماه ويبدو غريبًا، عند النظر للوراء، أو في غير محله؟"

سألت جانيس إيرين:

– "لقد فكرنا، ألم نفعل؟ كل هذه السنوات... تحدثنا عن الأمر، بوضوح."

قالت إيرين، بنبرة نهائية:

– "لابد أنه كان كريد، أليس كذلك؟ أي تفسير آخر هناك؟ أين كان يمكن أن تذهب غير ذلك؟ هل تعتقد أنهم سيسمحون لك بالدخول لرؤيته؟" سألت سترايك مرة أخرى، بوميض أخير من الفضول.

قال وهو ينهض واقفًا:

– "لا فكرة لدي. شكرًا جزيلاً لكما على حسن ضيافتكما، على أية حال، وعلى الإجابة عن أسئلتنا..."

رافقتهما جانيس للخارج. لوحت إيرين بصمت وهما يغادران الغرفة. استطاعت روبن أن تدرك أن المقابلة لم ترقَ لتوقعات إيرين بالاستمتاع. انتزعت منها اعترافات محرجة وغير مريحة؛ الصورة التي رسمتها لنفسها الشابة لم تكن، ربما، كل ما كانت تتمناه – ولا أحد، فكرت روبن وهي تصافح جانيس عند الباب، سيستمتع بشكل خاص بإخراج ريح بصوت عالٍ أمام غرباء.

21

"إذن،" قال آرتيجال، "فلنختبر الأمر.
ضع الحقيقة أولاً في كفة الميزان جانبًا."
فعل ذلك أولاً؛ ثم وضع الزيف
في الكفة الأخرى...

إدموند سبنسر ملكة الجن

قال سترايك، بينما كانا يعبران الطريق عائدين إلى سيارة اللاند روفر:

– "حسنًا، لست طبيبًا، لكنني ألوم الكاري."

قالت روبن، ضاحكة رغمًا عنها، إذ لم تستطع إلا أن تشعر بنوع من الإحراج بالنيابة:

– "توقف."

– "أنتِ لم تكوني جالسة بالقرب منها مثلي،" قال سترايك وهو يعود إلى السيارة. "أخمن أنه لحم ضأن «بهونا» –"

قالت روبن، نصف ضاحكة ونصف مشمئزة:

– "بجدية، توقف."

بينما كان يسحب حزام الأمان فوق جسده، قال سترايك:

– "أحتاج لمشروب حقيقي."

– "هناك حانة لائقة ليست بعيدة عن هنا. لقد بحثت عنها. «ترافلغار تافيرن»."

كان البحث عن الحانة بلا شك "شيئًا لطيفًا" آخر اختارت روبن فعله بمناسبة عيد ميلاده، وتساءل سترايك عما إذا كانت نيتها أن تشعره بالذنب. *على الأرجح لا*، فكر، لكن ذلك كان التأثير رغم كل شيء، لذا لم يعلق سوى بالسؤال:

– "ما رأيكِ في كل ذلك؟"

قالت روبن، وهي تخرج من مكان وقوف السيارات:

– "حسنًا، كانت هناك بضعة تيارات متضاربة، أليس كذلك؟ وأعتقد أنه تم إخبارنا ببعض الأكاذيب."

– "وأنا كذلك. ما هي الأكاذيب التي لاحظتِها؟"

– "شجار إيرين وجانيس في حفلة عيد الميلاد، كبداية،" قالت روبن وهي تنعطف خارجة من شارع سيركس. "لا أعتقد أنه كان حقًا بسبب فحص مارغو لابن جانيس – رغم أنني أعتقد أن مارغو فحصت كيفن بدون إذن."

– "وأنا كذلك. لكنني أتفق معكِ: لا أعتقد أن هذا هو ما كان يدور حوله الشجار. أجبرت إيرين جانيس على سرد تلك القصة، لأنها لم ترغب في الاعتراف بالحقيقة. مما يجعلني أتساءل... إحضار إيرين لجانيس إلى منزلها، لنتمكن من استجوابهما معًا: هل كان ذلك لتتمكن إيرين من التأكد من أن جانيس لن تخبرنا بأي شيء لا تريد إخباره؟ هذه هي مشكلة الأصدقاء الذين عرفتهم لعقود، أليس كذلك؟ إنهم يعرفون أكثر من اللازم."

روبن، التي كانت مشغولة بمحاولة تذكر الطريق إلى "ترافلغار" الذي حفظته ذلك الصباح، فكرت على الفور في كل تلك القصص التي أخبرتها إياها إلسا عن علاقة سترايك وشارلوت. أخبرتها إلسا أن سترايك رفض دعوة للذهاب إلى منزلهم لتناول العشاء في تلك الليلة، مدعيًا أن لديه ترتيبًا مسبقًا مع أخته. وجدت روبن صعوبة في تصديق ذلك، نظرًا للشجار الأخير بين سترايك ولوسي. ربما كانت مصابة بالبارانويا، لكنها تساءلت أيضًا عما إذا كان سترايك لا يتجنب التواجد بصحبتها خارج ساعات العمل.

سألت:

– "أنت لا تشتبه في إيرين، أليس كذلك؟"

– "فقط بكونها كاذبة، ونمامة، ومحبة لجذب الانتباه بشكل مرضي. لا أعتقد أنها ذكية بما يكفي لاختطاف مارغو بامبورو وعدم كشف نفسها طوال أربعين عامًا. من ناحية أخرى، الأكاذيب دائمًا مثيرة للاهتمام. هل لفت انتباهك أي شيء آخر؟"

– "نعم. كان هناك شيء مريب بشأن قصة «ليمنغتون سبا»، أو بالأحرى، رد فعل إيرين عندما سمعت جانيس تتحدث عنها... أعتقد أن ليمنغتون سبا عنت شيئًا لها. وكان من الغريب أن جانيس لم تخبرها بما قاله ذلك المريض. قد تظن أنها بالتأكيد كانت ستفعل، نظرًا لأنهما صديقتان مقربتان، وكلتاهما عرفت مارغو، وبقيتا على اتصال طوال هذه السنوات. حتى لو اعتقدت جانيس أن ذلك الرجل، راماج، كان يختلق الأمر برمته، فلماذا لا تخبر إيرين؟"

قال سترايك، ناظرًا بتأمل إلى الواجهة الكلاسيكية الجديدة لـ "المتحف البحري الوطني" وهما يمران بمساحات واسعة من المروج الزمردية المشذبة بعناية:

– "نقطة وجيهة أخرى. ما رأيك في جانيس؟"

قالت روبن بحذر:

– "حسنًا، عندما سُمح لنا بسماع صوتها، بدت لائقة تمامًا. بدت منصفة بشأن مارغو ودوثويت. لكن لماذا تتحمل أن تُعامل كخادمة لإيرين..."

– "بعض الناس يحتاجون لأن يكونوا محتاجين إليهم... وربما يكون هناك شعور بالامتنان، إذا كانت إيرين تقول الحقيقة بشأن مساعدتها وزوجها لجانيس ماليًا عندما احتاجت لذلك."

لمح سترايك الحانة التي اختارتها روبن من مسافة بعيدة. كبيرة وذات مظهر فخم، بشرفات ومظلات عديدة، ناهيك عن سلال النوافذ وشعارات النبالة، كانت تقف على ضفة نهر التايمز. أوقفت روبن السيارة وتقدما متجاوزين أعمدة حديدية سوداء إلى المنطقة المرصوفة حيث توفر العديد من الطاولات الخشبية إطلالة على النهر، وفي وسطها تمثال أسود بالحجم الطبيعي للورد نيلسون ضئيل الجسم يواجه الماء.

قالت روبن:

– "أترين؟ يمكنك الجلوس في الخارج والتدخين."

– "أليس الجو باردًا بعض الشيء؟"

– "هذا المعطف مبطن. سأحضر الـ –"

قال سترايك بحزم:

– "لا، سأفعل أنا. ماذا تريدين؟"

– "فقط ليمون وصودا، من فضلك، لأنني أقود."

بينما كان سترايك يدخل الحانة، انطلقت جوقة مفاجئة تغني "عيد ميلاد سعيد لك". لجزء من الثانية، عند رؤية بالونات الهيليوم في الزاوية، أصيب بالرعب، معتقدًا أن روبن قد أحضرته إلى هنا لحفلة مفاجئة؛ لكن بعد نبضة قلب واحدة، أدرك أنه لا يعرف وجهًا واحدًا، وأن البالونات تشكل الرقم 80. كانت امرأة ضئيلة بشعر لافندر تبتسم بإشراق على رأس طاولة مليئة بالعائلة: انطلقت ومضات الكاميرا وهي تطفئ الشموع على كعكة شوكولاتة كبيرة. تبع ذلك تصفيق وهتافات، ونفخ طفل صغير في صافرة ذات ريش.

توجه سترايك نحو البار، ولا يزال مهتزًا قليلاً، يلوم نفسه لتخيله، للحظة، أن روبن قد ترتب له حفلة مفاجئة. حتى شارلوت، التي كانت له معها أطول وأقرب علاقة في حياته، لم تفعل ذلك قط. في الواقع، لم تسمح شارلوت أبدًا لأي شيء عادي مثل عيد ميلاده بالتدخل في نزواتها وأمزجتها. في عيد ميلاد سترايك السابع والعشرين، عندما كانت تمر بإحدى مراحلها المتقطعة من الغيرة المستعرة، أو الغضب لرفضه التخلي عن الجيش (أسباب مشاهدهم وشجاراتهم العديدة كانت تميل للتلاشي في ذهنه)، ألقت هديته المغلفة من نافذة الطابق الثالث أمامه.

لكن، بالطبع، كانت هناك ذكريات أخرى. عيد ميلاده الثالث والثلاثين، على سبيل المثال. كان قد خرج لتوه من مستشفى "سيلي أوك"، وكان يمشي لأول مرة بساق اصطناعية، وأخذته شارلوت إلى شقتها في نوتينغ هيل، وطهت له، وعادت من المطبخ في نهاية الوجبة تحمل فنجانين من القهوة، عارية تمامًا وأجمل من أي امرأة رآها في حياته. ضحك وشهق في الوقت نفسه. لم يمارس الجنس لما

يقرب من عامين. الليلة التي تلت ذلك ربما لن ينساها أبدًا، ولا الطريقة التي بكت بها في أحضانه بعد ذلك، مخبرة إياه أنه الرجل الوحيد بالنسبة لها، وأنها خائفة مما تشعر به، خائفة من أنها شريرة لعدم ندمها على فقدانه لساقه السفلى إذا كان ذلك سيعيده إليها، إذا كان يعني، أخيرًا، أنها يمكن أن تعتني به كما اعتنى بها دائمًا. وقرب منتصف الليل، عرض عليها سترايك الزواج، ومارسا الحب مرة أخرى، ثم تحدثا حتى الفجر حول كيف سيبدأ وكالة التحقيقات الخاصة به، وأخبرته أنها لا تريد خاتمًا، وأنه يجب أن يدخر ماله لمسيرته الجديدة، التي سيكون فيها رائعًا.

مع المشروبات والرقائق المشتراة، عاد سترايك إلى روبن، التي كانت تجلس على مقعد خارجي، ويداها في جيوبها، وتبدو كئيبة.

قال سترايك، مخاطبًا نفسه بقدر ما يخاطبها:

– "ابتهجي."

قالت روبن، رغم أنها لم تكن تعرف حقًا سبب اعتذارها:

– "آسفة."

جلس بجانبها، بدلاً من الجلوس مقابلها، بحيث يواجه كلاهما النهر. كان هناك شاطئ حصوي صغير أسفلهما، وكانت الأمواج تداعب الحصى البارد. على الضفة المقابلة ارتفعت كتل المكاتب بلون الفولاذ في كناري وارف؛ وإلى يسارهما، برج شارد. كان النهر بلون الرصاص في يوم نوفمبر البارد هذا. مزق سترايك أحد أكياس الرقائق من المنتصف ليتمكن كلاهما من تناولها. متمنية لو طلبت قهوة بدلاً من مشروب بارد، أخذت روبن رشفة من الليمون والصودا، وأكلت بضع رقائق، وأعادت يديها إلى جيوبها، ثم قالت:

– "أعرف أن هذا ليس الموقف المناسب، لكن بصدق... لا أعتقد أننا سنكتشف ما حدث لمارغو بامبورو."

– "ما الذي أتى بهذا؟"

– "أفترض تذكر إيرين للأسماء بشكل خاطئ... ومجاراة جانيس لها، والتستر على سبب شجار حفلة عيد الميلاد... لقد مر وقت طويل جدًا. الناس ليسوا ملزمين بقول الحقيقة لنا الآن، حتى لو تذكروها. أضف إلى ذلك تمسك الناس

بنظريات قديمة، مثل كل ذلك الأمر المتعلق بغلوريا والحبة في كوب برينر، ورغبة الناس في جعل أنفسهم مهمين، والتظاهر بمعرفة الأشياء و... حسنًا، بدأت أعتقد أننا نحاول المستحيل هنا."

كانت موجة من التعب قد اجتاحت روبن وهي تجلس في البرد، تنتظر سترايك، وفي أعقابها جاء اليأس.

قال سترايك بنبرة مشجعة:

– "تماسكي. لقد اكتشفنا بالفعل شيئين كبيرين لم تكن الشرطة تعرفهما. أولاً: كان هناك مخزون كبير من الباربيتورات في المكان الذي عملت فيه مارغو. ثانيًا: مارغو بامبورو ربما خضعت لعملية إجهاض.

"لنأخذ الباربيتورات أولاً، هل نتجاهل شيئًا واضحًا جدًا، وهو أنه كانت هناك وسائل في المكان لتنويم شخص ما؟"

قالت روبن، وهي تقضم الرقائق بكآبة:

– "لم يتم تنويم مارغو. لقد خرجت من هناك مشيًا."

– "فقط إذا افترضنا –"

– "– أن غلوريا لم تكن تكذب. أعرف. ولكن كيف هي وثيو – لأن ثيو لا بد أن تكون مشاركة في الأمر، أليس كذلك؟ كيف قامت غلوريا وثيو بإعطاء ما يكفي من الباربيتورات لجعل مارغو تفقد الوعي؟ لا تنس، إذا كانت إيرين تقول الحقيقة، فإن مارغو لم تكن تسمح لأي شخص آخر بصنع مشروباتها في ذلك الوقت. ومما قالته جانيس عن الجرعة، ستحتاجين للكثير من الحبوب لجعل شخص ما فاقدًا للوعي فعليًا."

– "استنتاج سليم. إذن، بالعودة إلى تلك القصة الصغيرة عن الحبة في الشاي –"

– "ألم تصدقها؟"

– "صدقتها، لأنها تبدو كذبة بلا جدوى تمامًا. ليست مثيرة للاهتمام بما يكفي لتكون حكاية مشوقة، أليس كذلك، حبة واحدة؟ لكنها تعيد فتح السؤال عما إذا كانت مارغو تعرف أو تشك في إدمان برينر. ربما لاحظت تصرفاته الغريبة.

المهبطات تجعله نعسانًا. ربما رأت أنه بطيء الاستيعاب. كل ما اكتشفناه عن مارغو يشير إلى أنها إذا اعتقدت أن برينر يتصرف بشكل غير مهني، أو قد يكون خطرًا على المرضى، لكانت واجهته مباشرة. ولقد سمعنا للتو الكثير من الخلفيات المثيرة للاهتمام عن برينر، الذي يبدو كرجل مصدوم، وغير سعيد ووحيد. ماذا لو هددته مارغو بشطبه من السجل الطبي؟ فقدان المكانة والهيبة، لرجل لا يملك شيئًا آخر تقريبًا في حياته؟ لقد قتل الناس لأسباب أقل."

– "لقد غادر العيادة قبلها، في تلك الليلة."

– "ماذا لو انتظرها؟ وعرض عليها توصيلة؟"

قالت روبن:

– "إذا فعل، أعتقد أنها كانت لتشك في الأمر. ليس في أنه يريد إيذاءها، بل في أنه سيصرخ في وجهها، وهو ما يتماشى مع شخصيته، مما نعرفه عنه. كنت لأفضل المشي تحت المطر، شخصيًا. وكانت أصغر منه بكثير، وطويلة وبصحة جيدة. لا أستطيع أن أتذكر الآن أين كان يعيش..."

– "مع أخته غير المتزوجة، على بعد حوالي عشرين دقيقة بالسيارة من العيادة. قالت الأخت إنه وصل المنزل في الوقت المعتاد. جار ينزه كلبه أكد رؤيته عبر النافذة حوالي الساعة الحادية عشرة...

"لكن يمكنني التفكير في احتمال واحد آخر بخصوص تلك الباربيتورات. كما أشارت جانيس، كانت لها قيمة في الشارع، وحسب ما يبدو، جمع برينر مخزونًا كبيرًا منها. علينا أن نأخذ في الاعتبار احتمال أن شخصًا غريبًا عرف بوجود مخدرات قيمة في المكان، وخطط لسرقتها، ووقفت مارغو في الطريق."

– "مما يعيدنا إلى موت مارغو في المكان، مما يعني –"

– "غلوريا وثيو يعودان إلى دائرة الشبهة. ربما خططت غلوريا وثيو لأخذ المخدرات بأنفسهما. ولقد سمعنا للتو –"

– "– عن الأخ تاجر المخدرات."

– "لماذا نبرة التشكك؟"

– "إيرين كانت مصممة على النيل من غلوريا، أليس كذلك؟"

– "كانت كذلك، نعم، لكن حقيقة أن غلوريا لديها أخ يتاجر بالمخدرات هي معلومة تستحق المعرفة، وكذلك حقيقة وجود مخزون من المخدرات في المكان كان جاهزًا للسرقة. برينر لم يكن ليرغب في الاعتراف بأنه يملكها في المقام الأول، لذا ربما لم يكن ليبلغ عن السرقة، مما يخلق وضعًا مفتوحًا للاستغلال."

– "أخ مجرم لا يجعل الشخص مجرمًا بحد ذاته."

– "أتفق، لكنه يجعلني أكثر حرصًا على العثور على غلوريا. مصطلح «شخص ذو أهمية» (في التحقيق) يناسبها بدقة كبيرة...

"ثم هناك الإجهاض. إذا كانت إيرين تقول الحقيقة بشأن اتصال دار التمريض لتأكيد الموعد –"

– "إذا."

– "لا أعتقد أن تلك كانت كذبة. لسبب معاكس للحبة في كوب برينر. تلك الكذبة كبيرة جدًا. الناس لا يختلقون أشياء كهذه. على أية حال، أخبرت جانيس عنها في ذلك الوقت، وشجارهما الصغير حول سرية المريض يبدو حقيقيًا. وسي. بي. أوكدين لابد أنه استند في القصة إلى شيء ما. لن أتفاجأ على الإطلاق إذا جاءت تلك المعلومة من إيرين. لا تبدو لي كامرأة ترفض فرصة للتكهن أو النميمة."

لم تقل روبن شيئًا. لمرة واحدة فقط في حياتها اضطرت لمواجهة احتمال أنها قد تكون حاملاً، وما زالت تتذكر الارتياح الذي غمرها عندما اتضح أنها ليست كذلك، وأنها لن تضطر لمواجهة المزيد من الاتصال مع الغرباء، وإجراء حميم آخر، والمزيد من الدم، والمزيد من الألم.

تخيلي إجهاض طفل زوجك، فكرت. *هل كان بإمكان مارغو فعل ذلك حقًا، عندما كان لديها بالفعل شقيقة ذلك الطفل في المنزل؟ ما الذي كان يدور في ذهنها، قبل شهر من اختفائها؟ ربما كانت تنهار بصمت، مثل تالبوت؟*

علمتها السنوات القليلة الماضية كم أن البشر غامضون للغاية، حتى لأولئك الذين يعتقدون أنهم يعرفونهم جيدًا. الخيانة وتعدد الزوجات، والانحرافات والولع المرضي، والسرقة والاحتيال، والمطاردة والتحرش: لقد خاضت الآن في الكثير من الحيوات السرية لدرجة أنها فقدت العد. ولم تعتبر نفسها أسمى من أي من

المخدوعين والمغرر بهم الذين جاؤوا إلى الوكالة، تواقين للحقيقة. ألم تكن تظن أنها تعرف زوجها عن ظهر قلب؟ كم مئات من الليالي رقدوا متشابكين كتوائم سيامية، يهمسون بالأسرار ويشاركون الضحك في الظلام؟ قضت ما يقرب من نصف حياتها مع ماثيو، ولم تدرك أنه يعيش حياة منفصلة، وأنه لم يكن، وربما لم يكن أبدًا، الرجل الذي ظنت أنها تعرفه، إلا عندما ظهر قرط ماسي ساطع وقاسٍ في سريرهما.

قال سترايك، مستنتجًا بشكل صحيح جزءًا على الأقل من سبب صمت روبن:

– "أنتِ لا تريدين التفكير في أنها خضعت للإجهاض."

لم تجب، وبدلاً من ذلك سألت:

– "لم تسمع ردًا من صديقتها أونا، أليس كذلك؟"

– "ألم أخبركِ؟ نعم، تلقيت بريدًا إلكترونيًا أمس. إنها قسيسة متقاعدة، وستكون سعيدة بمقابلتنا عندما تأتي إلى لندن للقيام ببعض تسوق الكريسماس. الموعد سيتم تأكيده."

– "هذا جيد. أتعرف، أود التحدث إلى شخص أحب مارغو بالفعل."

– "غوبتا أحبها. وجانيس، قالت ذلك للتو."

مزقت روبن الكيس الثاني من الرقائق.

– "وهو ما تتوقعه، أليس كذلك؟ أن يتظاهر الناس على الأقل بأنهم أحبوا مارغو، بعد ما حدث. لكن إيرين لم تفعل. ألا تجد أنه من... المفرط قليلاً... التمسك بهذا القدر من الاستياء، بعد أربعين عامًا؟ لقد وجهت لها طعنات حقيقية. ألا تعتقد أنه كان... لا أعرف، أكثر دهاءً سياسيًا..."

– "الادعاء بأنهما صديقتان؟"

– "نعم... لكن ربما عرفت إيرين أن هناك عددًا كبيرًا جدًا من الشهود على حقيقة أنهما لم تكونا صديقتين. ما رأيك في الملاحظات المجهولة؟ حقيقة أم خيال؟"

قال سترايك، وهو يحك ذقنه:

– "سؤال جيد. استمتعت إيرين حقًا بإخبارنا أن مارغو نُعتت بـ «الكلمة البذيئة»، لكن «نار الجحيم» لا يبدو كنوع الشيء الذي قد تخترعه. كنت أتوقع شيئًا أكثر في سياق «عاهرة متغطرسة»."

أخرج مفكرته مرة أخرى، ومسح الملاحظات التي دونها عن المقابلة.

– "حسنًا، ما زلنا بحاجة للتحقق من هذه الخيوط، مهما كانت قيمتها. لماذا لا تتابعين تشارلي راماج وليمنغتون سبا، وسأبحث أنا في أمر آبلثورب متعاطي البينيز (Bennies)؟"

– "لقد فعلتها مرة أخرى."

– "فعلت ماذا؟"

– "ابتسمت بتكلف عندما قلت «بينيز». ما المضحك جدًا في البنزيدرين؟"

ضحك سترايك بخفوت.

– "أوه – تذكرت للتو شيئًا أخبرني به عمي تيد. هل شاهدتِ «كروس رودز» (تقاطع طرق) من قبل؟"

– "ما هو كروس رودز؟"

– "أنسى دائمًا كم أنتِ أصغر سنًا. كان مسلسل أوبرا نهارياً وكان فيه شخصية تسمى بيني. كان – حسنًا، في هذه الأيام ستسمينه من ذوي الاحتياجات الخاصة. بسيط. كان يرتدي قبعة صوفية. شخصية أيقونية، بطريقتها الخاصة."

– "كنت تفكر فيه؟" لم يبد الأمر مسليًا بشكل خاص.

– "لا، لكن عليك معرفة ذلك عنه لفهم الجزء التالي. أفترض أنك تعرفين عن حرب فوكلاند."

– "أنا أصغر منك يا سترايك. لست جاهلة تمامًا."

– "حسنًا، تمام. إذن، القوات البريطانية التي ذهبت إلى هناك – تيد كان هناك، 1982 – أطلقت على السكان المحليين لقب «بينيز»، تيمناً بشخصية كروس رودز. سمعت القيادة بذلك، وصدر الأمر عبر التسلسل الهرمي: «توقفوا عن تسمية

هؤلاء الناس الذين حررناهم للتو بينيز». لذا،" قال سترايك مبتسمًا، "بدؤوا يسمونهم «ستيلز» (Stills)."

– "«ستيلز»؟ ماذا تعني «ستيلز»؟"

– "«ستيل بينيز» (ما زالوا بينيز)."

وأطلق ضحكة مدوية. ضحكت روبن أيضًا، لكن في الغالب على استمتاع سترايك. عندما هدأت قهقهاته، راقب كلاهما النهر لبضع ثوان، يشربان، وفي حالة سترايك، يدخن، حتى قال:

– "سأكتب لوزارة العدل. أقدم طلبًا للحصول على إذن لزيارة كريد."

– "بجدية؟"

– "علينا المحاولة. السلطات اعتقدت دائمًا أن كريد اعتدى على أو قتل نساء أكثر مما حُكم عليه بسببه. كانت هناك مجوهرات في منزله وقطع ملابس لم يتعرف عليها أحد أبدًا. فقط لأن الجميع يعتقد أنه كريد –"

وافقت روبن، التي تابعت المنطق المعذب ببراعة:

– "– لا يعني أنه ليس هو."

تنهد سترايك، وفرك وجهه، والسيجارة لا تزال تبرز من فمه، ثم قال:

– "أتريدين رؤية كم كان تالبوت مجنونًا بالضبط؟"

– "تفضل."

سحب سترايك دفتر الملاحظات المجلد بالجلد من الجيب الداخلي لمعطفه وناوله إياها. فتحته روبن وقلبت الصفحات في صمت.

كانت مغطاة برسومات ومخططات غريبة. الكتابة كانت صغيرة، وأنيقة بدقة متناهية لكنها متراصة. كان هناك الكثير من التسطير ووضع الدوائر حول العبارات والرموز. تكرر النجم الخماسي. كانت الصفحات مليئة بالأسماء، لكن لم يكن لأي منها صلة بالقضية: كراولي، ليفي، آدامز وشميدت.

قالت بهدوء: "هاه"، متوقفة عند صفحة مزخرفة بشكل كثيف بشكل خاص ينظر فيها رأس ماعز بعين ثالثة إليها بنظرة شؤم. "انظر إلى هذا..."

انحنت أقرب.

– "إنه يستخدم رموزًا فلكية."

قال سترايك، عابسًا في الصفحة التي كانت تفحصها:

– "إنه ماذا؟"

أشارت روبن إلى رمز أسفل الصفحة:

– "هذا الميزان (ليبرا). إنه برجي، كان لدي سلسلة مفاتيح عليها هذا الرمز."

قال سترايك، ساحبًا الكتاب نحوه، وبدا مشمئزًا لدرجة أن روبن بدأت تضحك مرة أخرى:

– "إنه يستخدم أبراج النجوم اللعينة؟"

مسح سترايك الصفحة. كانت روبن محقة. الدوائر المرسومة حول رأس الماعز أخبرته بشيء آخر أيضًا.

قال:

– "لقد حسب الطالع الفلكي الكامل للحظة التي اعتقد أنها اختُطفت فيها. انظري إلى التاريخ هناك. الحادي عشر من أكتوبر 1974. السادسة والنصف مساءً... بحق الجحيم. تنجيم... لقد فقد عقله تمامًا."

سألت روبن وهي تحاول استنتاج الأمر:

– "ما هو برجك؟"

– "لا فكرة لدي."

– "أوه، كف عن الهراء."

نظر إليها، مأخوذًا.

– "أنت تتصنع! الجميع يعرف برجه. لا تتظاهر بأنك أرفع من ذلك."

ابتسم سترايك على مضض، وأخذ نفساً طويلاً من سيجارته، وزفره، ثم قال:

– "القوس، والطالع العقرب، مع الشمس في البيت الأول."



– "أنت—" انفجرت روبن ضاحكة. "هل اختلقتَ هذا لتوّك من عندك، أم أنه حقيقي فعلاً؟"

– "طبعًا ليس حقيقيًا، اللعنة"، قال سترايك.

– "لا شيء من هذا حقيقي، أليس كذلك؟ لكن نعم... هذا ما يقوله برجي الفلكي عند الميلاد. توقفي عن الضحك، بحقك. تذكّري من كانت أمي. كانت تعشق كل هذا الهراء. إحدى أعز صديقاتها أعدّت لي خريطة فلكية كاملة حين وُلدت. كان ينبغي أن أتنبه إلى ذلك فورًا"، قال وهو يشير إلى رسم الجدي.

– "لكنني لم أتمعن فيه جيدًا بعد، لم يتسنَّ لي الوقت."

– "إذًا، ماذا يعني وجود الشمس في البيت الأول؟"

– "لا يعني شيئًا، كله هراء."

استطاعت روبن أن تدرك أنه لا يريد الاعتراف بأنه تذكّر الأمر، مما جعلها تضحك أكثر. تمتم هو، نصف منزعج ونصف مستمتع:

– "الاستقلالية. القيادة."

– "حسنًا—"

– "كله هراء، ولدينا ما يكفي من الخرافات الصوفية الطافية حول هذه القضية من دون أن نضيف إليها الأبراج. العرّافة والمكان المقدّس، تالبوت وبافوميت—"

– "—وإيرين ونسختها المكسورة من مارغو فونتين"، قالت روبن.

– "إيرين ومارغو فونتين المكسورة اللعينة"، تمتم سترايك وهو يدير عينيه بملل.

بدأ رذاذ خفيف من المطر الجليدي يهطل، متناثرًا فوق سطح الطاولة وعلى دفتر تالبوت، فأغلقه سترايك قبل أن يسيل الحبر. وباتفاقٍ غير منطوق، نهضا معًا واتجها عائدين نحو سيارة لاند روفر.

كانت العجوز ذات الشعر البنفسجي، التي تشارك سترايك عيد ميلاده، تُساعد الآن على الصعود إلى سيارة تويوتا قريبة، على يد امرأتين بدا أنهما ابنتاها. أحاطت بالسيارة عائلتها، يبتسمون ويتحدثون تحت المظلات.

وللحظة عابرة، وهو يستعيد جسده إلى داخل لاند روفر، تساءل سترايك أين سيكون لو امتد به العمر إلى الثمانين، ومن الذي سيكون هناك، إلى جانبه.

22

والأزمانُ اللاحقة ستكشفُ عن أمورٍ أكثر غموضًا.
فلماذا إذن يسيء الإنسانُ عديمُ الحكمة الظن كثيرًا
بأن لا شيء موجود إلا ما رأته عيناه؟
ماذا لو في فلك القمر الساطع الجميل،
وماذا لو في كل نجم آخر غير مرئي
من عوالم أخرى كان ليسعده أن يسمع عنها؟

إدموند سبنسر ملكة الجن

اشترى سترايك لنفسه وجبة جاهزة في تلك الليلة، ليأكلها وحيدًا في شقته العلوية. وبينما كان يفرغ المعكرونة السنغافورية في طبقه، اعترف في داخله بالمفارقة الساخرة: لولا حرص إلسا الشديد على لعب دور "القابلة" لعلاقة رومانسية بينه وبين روبن، لربما كان الآن جالسًا في شقة نيك وإلسا في طريق أوكتافيا، مستمتعًا بالضحك مع اثنين من أصدقائه القدامى وبالتأكيد مع روبن نفسها، التي لم تمله صحبتها قط، خلال الساعات الطويلة العديدة التي عملا فيها معًا.

ظلت أفكار سترايك تحوم حول شريكته بينما كان يأكل، حول القبلة (x) على البطاقة المختارة بعناية، وحول سماعات الرأس، وحقيقة أنها باتت تناديه الآن بـ "سترايك" في لحظات الانزعاج، أو عندما يتبادلان المزاح، وكلها علامات واضحة على تزايد الحميمية. ومهما كانت إجراءات الطلاق مرهقة، والتي لم تشارك سوى تفاصيل قليلة عنها، ومهما كانت قلة سعيها الواعي نحو الرومانسية، فقد كانت مع ذلك حرة.

للمرة التي لا يعرف عددها، تساءل سترايك بالضبط كم هو مقدار الغرور في أن يشك بأن مشاعر روبن تجاهه قد تكون أكثر دفئًا من مشاعر الصداقة الخالصة. لقد انسجم معها أفضل مما انسجم مع أي امرأة أخرى قط. صمد إعجابهما المتبادل أمام كل ضغوط إدارة عمل معًا، والمحاكمات الشخصية التي تحملها كل منهما منذ التقيا، وحتى الخلاف الكبير الذي جعله يطردها ذات مرة. لقد هرعت إلى المستشفى عندما وجد نفسه وحيدًا مع ابن أخته المريض بشكل حرج، متجاهلة، وهو لا يشك في ذلك، استياء زوجها السابق الذي لم ينسَ سترايك أبدًا أن يسميه "ذلك الأحمق" داخل رأسه.

ولم يكن سترايك غافلاً عن جمال روبن: في الواقع، كان مدركًا تمامًا لذلك منذ أن خلعت معطفها في مكتبه لأول مرة. لكن جاذبيتها الجسدية كانت أقل تهديدًا لسلامه العقلي من الرغبة العميقة والمذنبة في أن يكون، حاليًا، الرجل الرئيسي في حياتها. الآن وقد لاح احتمال وجود شيء أكثر أمامه، الآن وقد رحل زوجها، وأصبحت عزباء، وجد نفسه يتساءل بجدية عما سيحدث، لو استجابا لما بدأ يشك في أنه انجذاب متبادل. هل يمكن للوكالة، التي ضحى كلاهما بالكثير من أجلها، والتي تمثل لسترايك ذروة كل طموحاته، أن تنجو من وقوع الشريكين في الفراش معًا؟ ومهما أعاد صياغة هذا السؤال، كانت الإجابة تعود دائمًا بـ "لا"، لأنه كان واثقًا، لأسباب تتعلق بصدمات الماضي وليس بسبب أي نزعة تطهرية خاصة، أن ما تسعى إليه روبن، في نهاية المطاف، هو أمان واستقرار الزواج.

وهو لم يكن من النوع الذي يتزوج. بغض النظر عن المتاعب، ما كان يتوق إليه في نهاية يوم العمل هو مساحته الخاصة، نظيفة ومرتبة، ومنظمة بالضبط كما يحب، خالية من العواصف العاطفية، ومن الذنب واللوم المتبادل، ومن المطالب بخدمة فكرة "هولمارك" عن الرومانسية، ومن حياة تكون فيها سعادة شخص آخر مسؤوليته. الحقيقة هي أنه كان دائمًا مسؤولاً عن امرأة ما: عن لوسي، بينما كبرا معًا في البؤس والفوضى؛ وعن ليدا، التي ترنحت من عاشق لآخر، والتي اضطر أحيانًا لحمايتها جسديًا كمراهق؛ وعن شارلوت، التي أطلق المعالجون والأطباء النفسيون مسميات عديدة ومختلفة على تقلباتها وميولها لتدمير الذات، لكنه أحبها رغم كل

ذلك. كان وحيدًا الآن، وفي نوع من السلام. لم تمس أي من العلاقات أو نزوات الليلة الواحدة التي خاضها منذ شارلوت الجزء الجوهري منه. تساءل أحيانًا منذ ذلك الحين عما إذا كانت شارلوت لم تعق قدرته على الشعور بعمق.

باستثناء أنه، وشبه رغمًا عنه، كان يهتم لأمر روبن. شعر باختلاجات مألوفة لرغبة في جعلها سعيدة أزعجته أكثر بكثير من العادة التي طورها بالنظر بعيدًا بتصميم عندما تنحني فوق مكتب. كانا صديقين، وأمل أن يظلا صديقين دائمًا، وشك في أن أفضل طريقة لضمان ذلك هي ألا يريا بعضهما البعض عراة أبدًا.

عندما غسل طبقه، فتح سترايك النافذة للسماح بدخول هواء الليل البارد، مذكرًا نفسه بأن كل امرأة عرفها كانت لتشتكي فورًا من تيار الهواء. ثم أشعل سيجارة، وفتح الحاسوب المحمول الذي أحضره للأعلى وصاغ مسودة رسالة إلى وزارة العدل، موضحًا أنه تم توظيفه من قبل آنا فيبس، ومبينًا أوراق اعتماده المثبتة كمحقق سواء داخل الجيش أو خارجه، وطالبًا الإذن لزيارة واستجواب دينيس كريد في "برودمور".

بمجرد الانتهاء، تثاءب، وأشعل سيجارته التي لا يعرف عددها لليوم وذهب للاستلقاء على سريره، فاكًا بنطاله كالمعتاد أولاً. التقط *شيطان بارادايس بارك*، وانتقل إلى الفصل الأخير.

... السؤال الذي يطارد الضباط الذين دخلوا قبو كريد في عام 1976 ورأوا بأنفسهم مزيج السجن وغرفة التعذيب الذي بناه هناك، هو ما إذا كانت النساء الـ 12 اللواتي يُعرف أنه اعتدى عليهن، واغتصبهن و/أو قتلهن يمثلن العدد الإجمالي لضحاياه.

في مقابلتنا الأخيرة، كان كريد، الذي حُرم في ذلك الصباح من الامتيازات بعد نوبة عدوانية ضد ضابط سجن، في أقل حالاته تواصلاً وأكثرها غموضًا.

س: الناس يشكون في أنه قد يكون هناك المزيد من الضحايا.

ج: أهذا صحيح؟

س: لويز تاكر. كانت في السادسة عشرة، هربت من –

ج: أنتم الصحفيون تحبون وضع الأعمار على الناس، أليس كذلك؟ لماذا ذلك؟

س: لأنه يرسم صورة. إنه تفصيل يمكننا جميعًا التماثل معه. هل تعرف أي شيء عن لويز تاكر؟

ج: أجل. كانت في السادسة عشرة.

س: كانت هناك مجوهرات غير مطالب بها في قبوك. قطع ملابس غير مطالب بها.

ج: ...

س: لا تريد التحدث عن المجوهرات غير المطالب بها؟

ج: ...

س: لماذا لا تريد التحدث عن تلك الأشياء غير المطالب بها؟

ج: ...

س: ألا يفكر أي جزء منك، "ليس لدي ما أخسره، الآن. يمكنني إراحة عقول الناس. إيقاف تساؤلات العائلات"؟

ج: ...

س: ألا تعتقد، أنه سيكون نوعًا من التعويض؟ يمكنني إصلاح شيء من سمعتي؟

ج: [يضحك] "سمعة"... تظن أنني أقضي أيامي قلقًا بشأن سمعتي؟ أنتم يا قوم حقًا لا [غير مفهوم]

س: ماذا عن كارا ولفسون؟ اختفت في عام 73.

ج: كم كان عمرها؟

س: ستة وعشرون. مضيفة نادٍ في سوهو.

ج: أنا لا أحب العاهرات.

س: لماذا ذلك؟

ج: قذرات.

س: كنت تتردد على بائعات الهوى.

ج: عندما لم يكن هناك شيء آخر متاح.

س: حاولت – هيلين واردوب كانت بائعة هوى. وهربت منك. أعطت وصفًا للشرطة.

ج: ...

س: حاولت اختطاف هيلين في نفس المنطقة التي شوهدت فيها كارا لآخر مرة.

ج: ...

س: ماذا عن مارغو بامبورو؟

ج: ...

س: شوهدت شاحنة تشبه شاحنتك تسرع في المنطقة التي اختفت فيها.

ج: ...

س: إذا اختطفت بامبورو، لكانت في قبوك في نفس الوقت مع سوزان ماير، ألم تكن كذلك؟

ج: ... لطيف بالنسبة لها.

س: هل كان لطيفًا بالنسبة لها؟

ج: شخص للتحدث معه.

س: هل تقول إنك كنت تحتجز كلاً من بامبورو وماير في نفس الوقت؟

ج: [يبتسم]

س: ماذا عن أندريا هوتون؟ هل كانت بامبورو ميتة عندما اختطفت أندريا؟

ج: ...

س: ألقيت بجثة أندريا من فوق المنحدرات. كان ذلك تغييرًا في أسلوبك. هل كانت أول جثة تلقيها من هناك؟

ج: ...

س: لا تريد تأكيد ما إذا كنت قد اختطفت مارغو بامبورو؟

ج: [يبتسم]

وضع سترايك الكتاب جانبًا واستلقى لفترة، يدخن ويفكر. ثم مد يده لدفتر ملاحظات بيل تالبوت المجلد بالجلد، الذي ألقاه سابقًا على سريره عند خلع معطفه.

مقلبًا عبر الصفحات المكتظة، باحثًا عن شيء مفهوم، شيء يمكنه ربطه بحقيقة ثابتة أو نقطة مرجعية، وضع فجأة إصبعًا سميكًا في الكتاب لإيقاف تقليب الصفحات، وقد لفتت انتباهه جملة مكتوبة في الغالب باللغة الإنجليزية بدت مألوفة.

12th (♓) found. Therefore AS EXPECTED killer is ♑

كان النهوض وجلب دفتر ملاحظاته الخاص مجهودًا، لكنه فعله. متهاويًا مرة أخرى على سريره، وجد الجملة التي ترجمتها له بات من اختزال بيتمان:

وهذا هو آخرهم، الثاني عشر، وستغلق الدائرة عند العثور على العاشر – كلمة غير معروفة – بافوميت. انسخ في الكتاب الحقيقي.

الكلمة غير المعروفة، أدرك سترايك، كانت نفس الرمز الذي تبع كلمة "القاتل" في دفتر تالبوت.

بشعور من السخط والفضول في آن واحد، التقط سترايك هاتفه وبحث في غوغل عن "الرموز الفلكية".

بعد بضع دقائق، وبعد قراءة بضع صفحات ويب فلكية بتعبير اشمئزاز طفيف، نجح في تفسير جملة تالبوت. كانت تقرأ: *"تم العثور على الثاني عشر (الحوت). إذن كما هو متوقع القاتل هو الجدي (كابريكورن)".*

الحوت كان البرج الثاني عشر من الأبراج الفلكية، والجدي العاشر. الجدي كان أيضًا برج الماعز، الذي بدا أن تالبوت، في حالته الهوسية، ربطه بـ بافوميت، المعبود ذي رأس الماعز.

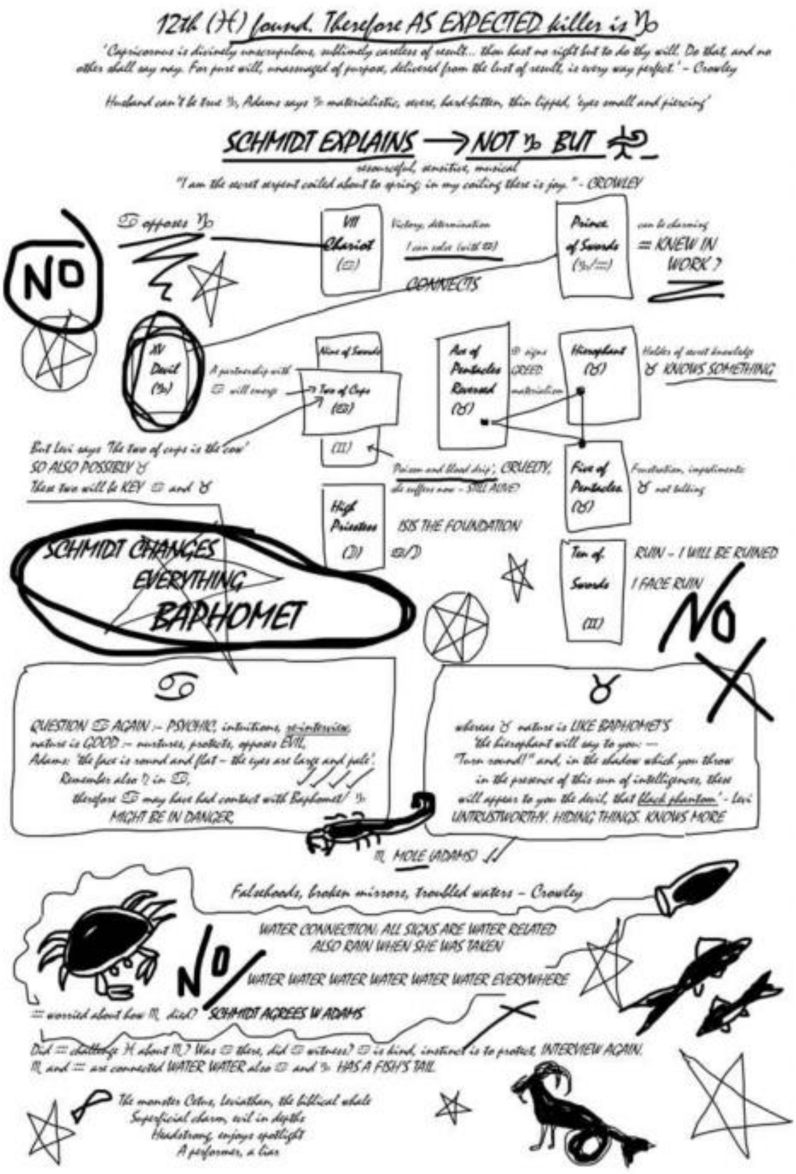
تمتم سترايك: "بحق الجحيم"، وهو يقلب إلى صفحة جديدة في دفتر ملاحظاته ويكتب شيئًا ما.

خطرت له فكرة الآن: تلك التواريخ الغريبة غير المفسرة ذات الصلبان بجانبها في جميع إفادات الشهود الذكور. تساءل عما إذا كان لديه الطاقة للنهوض والنزول إلى الطابق السفلي لجلب الصفحات ذات الصلة من صناديق سجلات

الشرطة. مع تنهيدة، قرر أن الإجابة هي نعم. أغلق سحاب بنطاله، ورفع نفسه واقفًا، وأحضر مفاتيح المكتب من خطافها بجوار الباب.

بعد عشر دقائق، عاد سترايك إلى غرفة نومه ومعه حاسوبه المحمول ودفتر ملاحظات جديد. وبينما كان يستقر فوق اللحاف مرة أخرى، لاحظ أن شاشة هاتفه المحمول، الذي كان ملقى على اللحاف، مضاءة الآن. حاول شخص ما الاتصال به بينما كان في الطابق السفلي. متوقعًا أن تكون لوسي، التقط الهاتف ونظر إليه.

كانت مكالمة فائتة من شارلوت. وضع سترايك الهاتف مرة أخرى وفتح حاسوبه المحمول. ببطء وبدقة، بدأ العمل على مطابقة التواريخ غير المفسرة في إفادات كل مشتبه به ذكر مع برج النجم ذي الصلة. إذا كان حدسه بأن تالبوت كان يتحقق من الأبراج الفلكية للرجال صحيحًا، فإن ستيفن دوثويت كان حوتًا، وبول ساتشويل كان حملاً، وروي فيبس، الذي ولد في السابع والعشرين من ديسمبر... كان جديًا. ومع ذلك، فقد برأ تالبوت روي فيبس من التورط في وقت مبكر من القضية.



– "هذا لا معنى له على الإطلاق، تبًّا"، تمتم سترايك في الغرفة الخالية.

وضع حاسوبه المحمول جانبًا، ثم التقط دفتر تالبوت من جديد، مستأنفًا القراءة من الفرضية التي تزعم أن قاتل مارغو لا بد أن يكون من مواليد برج الجدي.

– "يا للمسيح القدير"، تمتم سترايك، محاولاً – دون نجاح كامل – أن يعثر على أي خيط منطقي وسط هذا الركام من الهذيانات الغيبية، مستعينًا بمواقع التنجيم. وبحسب ما فهمه، بدا أن تالبوت قد برّأ روي فيبس من الشبهة بحجة أنه ليس جديًّا حقيقيًا، بل ينتمي إلى برج آخر لم يستطع سترايك أن يفهمه من رأسه إلى قدميه، واشتبه في أن تالبوت قد يكون اخترعه من الأساس.

عاد إلى الدفتر، فتعرف سترايك على توزيع «الصليب السلتي» لبطاقات التاروت، وهو شكل مألوف من أيام شبابه. كانت ليدا تدّعي إتقان قراءة التاروت؛ وكم مرة رآها تفرد البطاقات بالتشكيل ذاته الذي رسمه تالبوت في منتصف الصفحة. لكنه لم يرَ قط بطاقات التاروت وقد أُسبغت عليها دلالات فلكية، فتساءل إن كان هذا أيضًا من ابتداعات تالبوت الخاصة.

اهتز هاتفه المحمول مرة أخرى. تناوله.

كانت شارلوت قد أرسلت له صورة. صورة عارية، لها، وهي تمسك كوبين من القهوة. وجاءت الرسالة المرافقة:

منذ ست سنوات في مثل هذه الليلة.

ليت الأمر يحدث من جديد.

عيد ميلاد سعيد يا بلو ×

رغمًا عنه، حدّق سترايك في الجسد الذي لا يمكن لأي رجل مغاير واعٍ ألا يشتهيه، وفي الوجه الذي قد تغار منه فينوس نفسها. ثم لاحظ التمويه عند أسفل بطنها، حيث أخفت أثر الندبة القيصرية. كان ذلك كافيًا لإخماد انتصابه المتصاعد. وكمدمن كحول يزيح كأس البراندي بعيدًا عنه، حذف الصورة وعاد إلى دفتر تالبوت.

23

إنها النفس، هي التي تصنع الخير أو الشر،
وهي التي تجعل المرء شقيًا أو سعيدًا، غنيًا أو فقيرًا:
فالبعض، ممن يملكون الوفرة رهن إشارتهم،
لا يرونها كافية، بل يطلبون المزيد في مخازنهم؛
وآخرون، ممن يملكون القليل، لا يطلبون المزيد،
لكنهم في ذلك القليل أغنياء وحكماء.

إدموند سبنسر ملكة الجن

بعد أحد عشر يومًا، استيقظت روبن في الثامنة صباحًا على رنين هاتفها المحمول، بعد ساعة واحدة بالكاد من النوم. كانت قد قضت الليل في نوبة سهر أخرى بلا جدوى خارج منزل خبير الأرصاد الجوية المُضطهد، وعادت إلى شقتها في إيرلز كورت لتخطف ساعتين من النوم قبل الإسراع بالخروج مرة أخرى لمقابلة أونا كينيدي مع سترايك، في مقهى متجر «فورتنوم آند ماسون». فاقدة وعيها بالمكان والزمان تمامًا، أوقعت غرضين من على الطاولة الجانبية للسرير وهي تتحسس في الظلام بحثًا عن هاتفها.

– "آلو؟"

هتف صوت سعيد في أذنها:

– "روبن؟ لقد صرتِ عمة!"

تمتمت:

– "صرت ماذا، عذرًا؟"

كانت خيوط أحلامها لا تزال عالقة بها: *كانت بات تشونسي تدعوها لتناول العشاء، وشعرت بجرح عميق لأن روبن لم ترغب في الذهاب.*

– "صرتِ عمة! جيني أنجبت الطفلة للتو!"

قالت روبن: "أوه"، وببطء شديد بدأ عقلها يستوعب أن هذا هو ستيفن، أخوها الأكبر، على الخط. "أوه، هذا رائع... ماذا –؟"

قال ستيفن بابتهاج:

– "فتاة! أنابيل ماري. ثمانية أرطال وثماني أونصات!"

– "واو، هذا – هل هذا حجم كبير؟ يبدو –"

– "أرسل لكِ صورة الآن! هل وصلتك؟"

قالت روبن وهي تجلس في فراشها:

– "لا – انتظر لحظة."

بعينين ذابلتين، حولت الهاتف إلى مكبر الصوت لتتحقق من رسائلها. وصلت الصورة بينما كانت تحدق في الشاشة: طفلة حمراء، صلعاء، ومجعدة ملفوفة في رداء مستشفى، بقبضتين مضمومتين، وتبدو غاضبة لإجبارها على الخروج من مكان مظلم هادئ ومبطن إلى سطوع جناح المستشفى.

– "وصلتني للتو. أوه، يا ستيفن، إنها... إنها جميلة."

كانت تلك كذبة، لكن مع ذلك، وخزت الدموع عيني روبن المنهكتين.

قالت بهدوء:

– "يا إلهي، يا باتون." كان هذا لقب طفولة ستيفن. "أنت أب!"

– "أعرف! أمر جنوني، أليس كذلك؟ متى ستعودين للمنزل لرؤيتها؟"

وعدت روبن:

– "قريبًا. سأعود في الكريسماس. أبلغ جيني كل حبي، هلا فعلت؟"

– "سأفعل، نعم. سأتصل بـ جون الآن. أراكِ قريبًا يا روبس."

انقطعت المكالمة. استلقت روبن في الظلام، تحدق في الصورة المضاءة بوهج الشاشة للطفلة المنكمشة، التي كانت عيناها المنتفختان مغلقتين في وجه

عالم يبدو أنها قررت بالفعل أنه ليس بالمكان الجيد. كان من غير العادي تمامًا التفكير في أخيها ستيفن كأب، وأن العائلة أصبح لديها الآن عضو جديد.

خُيّل لروبن أنها تسمع كلمات ابنة عمها كاتي مرة أخرى: *كأنك تسافرين في اتجاه مختلف عن بقيتنا*. في الأيام الخوالي مع ماثيو، قبل أن تبدأ العمل في الوكالة، كانت تتوقع إنجاب أطفال منه. لم يكن لدى روبن مشاعر قوية ضد إنجاب الأطفال، كان الأمر ببساطة أنها تعلم، الآن، أن الوظيفة التي تحبها ستكون مستحيلة إذا كانت أمًا، أو على الأقل، ستتوقف عن كونها الوظيفة التي تحبها. الأمومة، من ملاحظتها المحدودة لمن هن في مثل عمرها ممن يمارسنها، بدت وكأنها تتطلب من المرأة كل ما يمكنها تقديمه. تحدثت كاتي عن الشد الدائم على قلبها عندما لا تكون مع ابنها، وحاولت روبن تخيل قيد عاطفي أقوى حتى من الذنب والغضب اللذين حاول ماثيو الاحتفاظ بها من خلالهما.

المشكلة لم تكن أن روبن لا تعتقد أنها ستحب طفلها. على العكس، اعتقدت أنه من المحتمل أن تحب ذلك الطفل لدرجة أن هذه الوظيفة، التي ضحت طواعية من أجلها بزواج، وسلامتها، ونومها وأمنها المالي، سيتعين التضحية بها في المقابل. وكيف ستشعر، بعد ذلك، تجاه الشخص الذي جعل تلك التضحية ضرورية؟

أشعلت روبن النور وانحنت لالتقاط الأشياء التي أسقطتها من على الطاولة الجانبية: كوب فارغ، لم ينكسر لحسن الحظ، والكتاب الورقي الرقيق ذو الغلاف الواهي بعنوان *ماذا حدث لمارغو بامبورو؟* بقلم سي. بي. أوكدين، الذي تلقته روبن بالبريد في الصباح السابق، والذي قرأته بالفعل.

لم يكن سترايك يعلم بعد أنها تمكنت من الحصول على نسخة من كتاب أوكدين، وكانت روبن تتطلع لإطلاعه عليه. كان لديها بضعة أجزاء أخرى من أخبار بامبورو أيضًا، لكن الآن، وربما بسبب إرهاقها الشديد، اختفى شعور الترقب لمشاركتها. قررت أنها لن تتمكن من العودة للنوم، فنهضت من السرير.

أثناء الاستحمام، أدركت روبن، لدهشتها، أنها تبكي.

هذا سخف. أنتِ لا تريدين طفلاً حتى. تماسكي.

عندما وصلت روبن إلى الطابق العلوي، مرتدية ملابسها، وشعرها مجفف ومصفف، وخافي العيوب موضوع على الهالات تحت عينيها، وجدت ماكس يأكل خبزًا محمصًا في المطبخ.

قال، وهو يرفع نظره من تصفح أخبار اليوم على هاتفه:

– "صباح الخير. أنتِ بخير؟"

قالت روبن بإشراق مصطنع:

– "بخير. اكتشفت للتو أنني صرت عمة. زوجة أخي ستيفن ولدت هذا الصباح."

قال ماكس، مهتمًا بأدب:

– "أوه. تهانينا. اممم... ولد أم بنت؟"

قالت روبن وهي تشغل ماكينة القهوة:

– "بنت."

قال ماكس بكآبة:

– "لدي حوالي ثمانية من أبناء المعمودية. الآباء يحبون إعطاء المهمة للأشخاص الذين ليس لديهم أطفال. يعتقدون أننا سنبذل جهدًا أكبر، لكوننا بلا أطفال خاصين بنا."

قالت روبن، محاولة الحفاظ على نبرتها المرحة:

– "صحيح."

كانت قد أصبحت أمًا روحية (عرابة) لابن كاتي. كان التعميد هو المرة الأولى التي تدخل فيها الكنيسة في ماشام منذ زفافها لماثيو.

أخذت كوبًا من القهوة السوداء وعادت إلى غرفة نومها، حيث فتحت حاسوبها المحمول وقررت تدوين معلوماتها الجديدة حول قضية بامبورو في بريد إلكتروني لسترايك قبل أن يلتقيا. قد لا يكون لديهم الكثير من الوقت معًا قبل مقابلة أونا كينيدي، لذا فإن هذا سيسرع المناقشة.

مرحبًا،

بضعة مقتطفات وأجزاء حول بامبورو قبل أن أراك:

• تشارلز راماج، مليونير أحواض الاستحمام الساخنة، ميت. تحدثت إلى ابنه، الذي لم يستطع تأكيد قصة مشاهدة مارغو، لكنه تذكر تمريض جانيس لوالده بعد حادثه وقال إن راماج الأب أحبها و«ربما أخبرها بكل قصصه، كان لديه الكثير منها». قال إن والده لم يكن يمانع المبالغة إذا كانت تجعل القصة أفضل، لكنه لم يكن كاذبًا و«كان طيب القلب. لم يكن ليكذب بشأن امرأة مفقودة». أكد أيضًا أن والده كان صديقًا مقربًا لـ «ضابط شرطة كبير» (لم يستطع تذكر رتبته أو اسمه الأول) يدعى غرين. أرملة راماج الأب لا تزال على قيد الحياة وتعيش في إسبانيا، لكنها زوجته الثانية والابن لا يتفق معها. أحاول الحصول على رقم اتصال/عنوان بريد إلكتروني لها.

• أنا متأكدة بنسبة 99% أنني وجدت أماندا وايت الصحيحة، التي تسمى الآن أماندا لوز. قبل عامين نشرت قطعة على فيسبوك عن الأشخاص الذين يختفون، وتضمنت مارغو. قالت في التعليق إنها كانت متورطة شخصيًا في اختفاء مارغو. أرسلت لها رسالة لكن لم يأتِ رد بعد.

• حصلت على نسخة من «ماذا حدث لمارغو بامبورو؟» وقرأته (ليس طويلاً). بناءً على ما نعرفه عن مارغو حتى الآن، يبدو مليئًا بالمغالطات. سأحضره معي هذا الصباح.

أراك بعد قليل (قبلة x)

بسبب الحرمان من النوم، أضافت روبن القبلة (x) تلقائيًا وأرسلت البريد الإلكتروني قبل أن تتمكن من التراجع عنها. وضع قبلة على بطاقة عيد ميلاد كان شيئًا، والبدء في إضافتها إلى رسائل البريد الإلكتروني الخاصة بالعمل كان شيئًا آخر تمامًا.

تبًا.

لم يكن بإمكانها كتابة ملاحظة ملحقة تقول "تجاهل تلك القبلة، أصابعي فعلتها دون قصدي". ذلك سيلفت الانتباه للأمر إذا لم يكن سترايك قد فكر فيه أصلاً.

بينما كانت تغلق حاسوبها المحمول، أضاءت شاشة هاتفها: تلقت رسالة نصية طويلة ومتحمسة من والدتها حول كمال الطفلة أنابيل ماري، مع صورة لنفسها وهي تحتضن حفيدتها الجديدة، ووالد روبن يبتسم من فوق كتف زوجته. ردت روبن نصيًا:

إنها فاتنة!

رغم أن الطفلة كانت غير جذابة في الصورة الجديدة بقدر ما كانت في القديمة. ومع ذلك، لم تكن تكذب حقًا: حقيقة ولادة أنابيل كانت فاتنة بطريقة ما، معجزة يومية، ودموع روبن الغامضة في الحمام كانت جزئيًا اعترافًا بهذه الحقيقة.

بينما كان مترو الأنفاق يسرع بها نحو ميدان بيكاديللي، أخرجت روبن نسختها من كتاب سي. بي. أوكدين، التي وجدتها في متجر كتب مستعملة في تشيستر، وقلبت صفحاتها مرة أخرى. قال البائع إن الكتاب كان في متجره لعدة سنوات، ووصل ضمن مجموعة كبيرة من الكتب التي أخذها من عائلة سيدة مسنة محلية توفيت. شكت روبن في أن البائع لم يكن يعرف الوضع القانوني المشبوه للكتاب قبل استفسار روبن عبر البريد الإلكتروني، لكنه لم يبدِ أي وازع أخلاقي خاص حول بيعه. طالما ضمنت روبن عبر الهاتف أنها لن تكشف من أين حصلت عليه، كان سعيدًا بالتخلي عنه، مقابل زيادة كبيرة في السعر. أملت روبن فقط أن يعتقد سترايك أن السعر مبرر، بمجرد أن يقرأه.

نسخة روبن الخاصة بدت وكأنها نجت من الفرم لأنها كانت واحدة من النسخ المجانية للمؤلف، والتي لابد أنها أعطيت له قبل قرار المحكمة. كان هناك إهداء على الصفحة الأولى يقرأ: *إلى العمة ماي، مع كل التمنيات الطيبة، سي بي أوكدين (كارل)*. بالنسبة لروبن، بدت عبارة "مع كل التمنيات الطيبة" رسالة متكلفة ومتضخمة لإرسالها لعمة.

كان الكتاب الورقي الواهي، الذي بالكاد يبلغ مائة صفحة، يحمل صورة لمارغو كـ "فتاة ليل" على الغلاف، وهي صورة مألوفة لروبن لأنها ظهرت في العديد من التقارير الصحفية عن اختفائها. نصف مقطوعة في هذه الصورة المكبرة كانت فتاة ليل ثانية، عرفت روبن أنها أونا كينيدي. تم إعادة إنتاج الصورة بالكامل في

منتصف الكتاب، جنبًا إلى جنب مع صور أخرى اعتقدت روبن أن سترايك سيوافق على أنها الجزء الأكثر قيمة في الكتاب، وإن كان ذلك، كما خشيت، فقط من حيث وضع وجوه للأسماء بدلاً من مساعدة التحقيق.

نزلت روبن من المترو في ميدان بيكاديللي ومشت في رياح قوية صعودًا في شارع بيكاديللي، تحت أضواء الكريسماس المتأرجحة، تتساءل أين قد تجد هدية طفل لستيفن وجيني. بعد عدم مرورها بأي متاجر مناسبة، وصلت خارج "فورتنوم آند ماسون" ولديها ساعة فائضة قبل الاجتماع المقرر مع أونا كينيدي.

غالبًا ما مرت روبن بالمتجر الشهير منذ أن عاشت في لندن، لكنها لم تدخله قط. كانت الواجهة المزخرفة بلون "أزرق بيض البط" والنوافذ، المزينة للكريسماس، من أجمل ما في المدينة. حدقت روبن من خلال دوائر زجاجية صافية محاطة بثلج صناعي، في أكوام من الفواكه المتبلورة التي تشبه الجواهر، والأوشحة الحريرية، وعلب الشاي المذهبة، وكسارات البندق الخشبية المشكلة كأمراء الحكايات الخرافية. هبت عليها عاصفة من الرياح الباردة بشكل خاص والمحملة برذاذ المطر، ودون تفكير واعٍ، سمحت روبن لنفسها بالانجراف داخل الخيال الموسمي الباذخ، عبر باب يحيط به بواب يرتدي معطفًا وقبعة عالية.

كان المتجر مفروشًا بالسجاد القرمزي. في كل مكان كانت هناك جبال من التغليف بلون أزرق بيض البط. وعن كثب، رأت نفس "الكمأة" (الترافل) التي اشتراها لها موريس في عيد ميلادها. مرت بفواكه المرزبان والبسكويت، حتى لمحت المقهى في الجزء الخلفي من الطابق الأرضي حيث اتفقوا على مقابلة أونا. تراجعت روبن. لم ترغب في رؤية القسيسة المتقاعدة قبل الوقت المحدد، لأنها أرادت أن تقنع نفسها بالدخول في حالة ذهنية أكثر عملية قبل المقابلة.

سألت امرأة تبدو منهكة تختار فواكه المرزبان لعميل:

– "عذرًا، هل تبيعون أي شيء للأطفال في –؟"

قالت المرأة، وهي تبتعد بالفعل:

– "الطابق الثالث."

كانت المجموعة الصغيرة من بضائع الأطفال المتاحة، في رأي روبن، باهظة الثمن بشكل مبالغ فيه، لكن بصفتها العمة الوحيدة لأنابيل، والقريبة الوحيدة المقيمة في لندن، شعرت بضغط معين لتقديم هدية تليق بالعاصمة. وبناءً عليه، اشترت دمية محشوة كبيرة وقابلة للعناق لـ دب بادينغتون.

كانت روبن تبتعد عن صندوق الدفع مع حقيبتها بلون بيض البط عندما رن هاتفها المحمول. متوقعة أن يكون سترايك، رأت بدلاً من ذلك رقمًا مجهولاً.

– "مرحبًا، روبن معك."

قال صوت غاضب:

– "مرحبًا يا روبن. أنا توم."

لم تستطع روبن تذكر من هو توم بحق حياتها. استعرضت ذهنيًا القضايا التي تعمل عليها الوكالة حاليًا – المزدوج، الراقص، بوستكارد، المراوغ وبامبورو – تحاول عبثًا تذكر أي توم، بينما تقول بدفء قصدت به أن يعني "نعم-بالطبع-أعرف-من-أنت":

– "أوه، مرحبًا!"

قال الرجل، الذي لم يبدُ مخدوعًا:

– "توم تورفي."

قالت روبن: "أوه"، وبدأ قلبها يخفق بسرعة غير مريحة، وتراجعت إلى تجويف حيث كانت الشموع المعطرة باهظة الثمن تقف على الرفوف.

كان توم تورفي خطيب سارة شادلوك. لم يكن لروبن أي اتصال به منذ اكتشاف أن شريكيهما كانا ينامان معًا. لم تحبه بشكل خاص أبدًا، ولم تعرف قط ما إذا كان يعلم بشأن العلاقة.

قال توم:

– "شكرًا. شكرًا جزيلاً أيتها اللعينة يا روبن!"

كان قريبًا من الصراخ. أبعدت روبن الهاتف قليلاً عن أذنها.

قالت:

– "عذرًا؟" لكن بدا فجأة أنها تحولت لكتلة من الأعصاب والنبض.

– "لم تكلفي نفسك عناء إخباري، هاه؟ فقط ابتعدتِ وغسلتِ يديكِ، أليس كذلك؟"

– "توم –"

– "لقد أخبرتني بكل شيء لعين، وأنتِ كنتِ تعرفين قبل عام وأنا أكتشف اليوم، قبل أربعة أسابيع من زفافي –"

– "توم، أنا –"

صرخ:

– "حسنًا، آمل أن تكوني سعيدة بحق الجحيم!"

أزالت روبن الهاتف عن أذنها وأمسكت به على طول ذراعها. كان لا يزال مسموعًا بوضوح وهو يصرخ: "أنا الوحيد بيننا الذي لم يكن يعبث، وأنا من تم التلاعب به –"

قطعت روبن الاتصال. كانت يداها ترتجفان.

قالت امرأة ضخمة، كانت تحاول رؤية الشموع على الرفوف خلف روبن:

– "عذرًا."

تمتمت روبن باعتذار وابتعدت، حتى وصلت إلى درابزين حديدي مقوس، وراءه كانت مساحة دائرية كبيرة من الهواء الفارغ. بالنظر للأسفل، رأت أن الأرضيات قد قطعت، بحيث كانت قادرة على الرؤية مباشرة إلى الطابق السفلي، حيث كان الناس المتراصون يتقاطعون في المكان بسلال محملة بلحوم باهظة الثمن وزجاجات نبيذ. ورأسها يدور، وبالكاد تعي ما تفعله، استدارت روبن واتجهت بشكل أعمى نحو مخرج القسم، محاولة ألا تصطدم بالطاولات المكدسة بالخزف الهش. نزلت الدرج المغطى بالسجاد الأحمر، تحاول التنفس لاستعادة هدوئها، تحاول فهم ما سمعته للتو.

– "روبن."

واصلت المشي، وفقط عندما قال شخص ما "روبن" مرة أخرى، التفتت وأدركت أن سترايك قد دخل للتو المتجر عبر باب جانبي من شارع "ديوك". كان كتفا معطفه مرصعين بقطرات المطر المتلألئة.

قالت بذهول:

– "مرحبًا."

– "أنتِ بخير؟"

لجزء من الثانية أرادت إخباره بكل شيء: في النهاية، هو يعرف عن علاقة ماثيو، ويعرف كيف انتهى زواجها وقد التقى بتوم وسارة. ومع ذلك، بدا سترايك نفسه متوترًا، وهاتفه المحمول مقبوض في يده.

– "بخير. أنت؟"

قال:

– "لست على ما يرام."

تنحى كلاهما جانبًا للسماح لمجموعة من السياح بالدخول إلى المتجر. في ظل الدرج الخشبي قال سترايك:

– "تدهورت حالة جوان. أعادوها إلى المستشفى."

قالت روبن:

– "يا إلهي، أنا آسفة جدًا. اسمع – اذهب إلى كورنوال. سنتدبر الأمر. سأقابل أونا، وسأهتم بكل شيء –"

– "لا. لقد أخبرت تيد تحديدًا أنها لا تريدنا جميعًا أن نهرع إلى هناك مرة أخرى. لكن هذا ليس من شيمها..."

بدا سترايك مشتتًا وشارداً تمامًا مثلما شعرت روبن، لكنها الآن تماسكت. *تبًا لتوم، وتبًا لماثيو وسارة.*

– "بجدية يا كورموران، اذهب. يمكنني الاهتمام بالعمل."

– "يتوقعونني خلال أسبوعين في الكريسماس. تيد يقول إنها يائسة لجمعنا جميعًا في المنزل. من المفترض أن يكون الأمر ليومين فقط، موضوع المستشفى."

قالت روبن:

– "حسنًا، إذا كنت متأكدًا..." نظرت إلى ساعتها. "لدينا عشر دقائق حتى الموعد المفترض لوصول أونا. هل تريد الذهاب للمقهى وانتظارها؟"

قال سترايك:

– "أجل. فكرة جيدة، أنا بحاجة لقهوة."

ترددت ترنيمة *"ليمنحكم الرب الراحة والسرور أيها السادة"* من مكبرات الصوت وهما يدخلان عالم الفواكه المتبلورة والشاي باهظ الثمن، وكلاهما غارق في أفكار مؤلمة.

24

... بهجتي كلها في السرور،
في المخادع، والخمائل، والولائم، والأعياد:
ومن السوءِ بمكانٍ لكم، برؤوسكم الشامخة،
أن تزدروا الفرح، الذي يسعى إليه "جوف" مبتهجًا...

إدموند سبنسر ملكة الجن

كان الوصول إلى المقهى يتم عبر مجموعة من السلالم تضعه في مستوى أعلى من طابق المتجر، مما يتيح إطلالة عليه. بمجرد أن جلس هو وروبن على طاولة لأربعة أشخاص بجوار النافذة، جلس سترايك صامتًا ينظر إلى الأسفل نحو شارع "جيرمين"، حيث تقلص المارة إلى مجرد فطر متحرك، تحجبهم مظلاتهم. كان على مرمى حجر من المطعم الذي رأى فيه شارلوت لآخر مرة.

كان قد تلقى عدة مكالمات أخرى منها منذ الصورة العارية في عيد ميلاده، بالإضافة إلى عدة رسائل نصية، ثلاث منها وصلت مساء أمس. تجاهلها جميعًا، لكن في مكان ما خلف قلقه بشأن جوان، دبت مخاوف مألوفة حول ما ستكون عليه خطوة شارلوت التالية، لأن الرسائل كانت تزداد توترًا وانفعالاً. كان في ماضيها محاولتان للانتحار، كادت إحداهما تنجح. بعد ثلاث سنوات من تركه لها، كانت لا تزال تحاول تحميله مسؤولية سلامتها وسعادتها، ووجد سترايك ذلك مثيرًا للغضب والحزن على حد سواء. عندما اتصل تيد بسترايك في ذلك الصباح بالأخبار عن جوان، كان المحقق في طور البحث عن رقم هاتف البنك التجاري حيث يعمل زوج

شارلوت. إذا هددت شارلوت بالانتحار، أو أرسلت أي نوع من رسائل الوداع، كان سترايك ينوي الاتصال بـ جاغو.

قالت روبن:

– "كورموران."

التفت. كان نادل قد وصل إلى الطاولة. عندما طلب كلاهما القهوة، وطلبت روبن بعض الخبز المحمص، عاد كل منهما إلى الصمت. كانت روبن تنظر بعيدًا عن النافذة نحو المتسوقين الذين يخزنون البقالة الفاخرة للكريسماس في طابق المتجر بالأسفل، وتعيد تشغيل ثورة غضب توم تورفي في رأسها. كانت الهزات الارتدادية لا تزال تضربها. *قبل أربعة أسابيع من زفافي اللعين.* لابد أنه قد أُلغي.

كانت سارة قد تركت توم من أجل ماثيو، الرجل الذي أرادته طوال الوقت، وكانت روبن واثقة من أنها لم تكن لتترك توم ما لم يظهر ماثيو استعداده لمنحها ما كان لدى توم: الألماس وتغيير اللقب. *أنا الوحيد بيننا الذي لم يكن يعبث.* كان الجميع غير مخلصين، في رأي توم، باستثناء توم المسكين... لذا لابد أن ماثيو قد أخبر صديقه القديم أن روبن كانت تنام مع شخص آخر (مما يعني سترايك، بالطبع، الذي كان ماثيو يغار منه ويشك فيه دائمًا منذ اللحظة التي ذهبت فيها روبن للعمل لديه). وحتى الآن وقد عرف توم بشأن ماثيو وسارة، وبعد أن انكشف خداع وخيانة صديقه القديم، لا يزال توم يصدق الكذبة بشأن روبن وسترايك. بلا شك يعتقد أن بؤسه الحالي كله خطأ روبن، وأنه لو لم تكن قد خضعت لسترايك، لما بدأ تأثير الدومينو للخيانة الزوجية.

– "هل أنتِ متأكدة أنكِ بخير؟"

جفلت روبن ونظرت حولها. كان سترايك قد خرج من شروده وينظر إليها من فوق فنجان قهوته.

– "بخير. فقط منهكة. هل وصلك بريدي الإلكتروني؟"

قال سترايك وهو يمد يده للهاتف في جيبه:

– "بريد إلكتروني؟ نعم، لكنني لم أقرأه، آسف. كنت أتعامل مع أمور أخ..."

قالت روبن بسرعة، وهي تنكمش داخليًا عند التفكير في تلك القبلة العرضية، حتى في خضم مشاكلها الجديدة:

– "لا تكترث الآن. إنه ليس مهمًا بشكل خاص، يمكنه الانتظار. لكنني وجدت هذا."

أخرجت نسخة *ماذا حدث لمارغو بامبورو؟* من حقيبتها ومررتها عبر الطاولة، لكن قبل أن يتمكن سترايك من التعبير عن دهشته، تمتمت:

– "أعده، أعده الآن."

سحبته من يده وحشرته في حقيبتها.

كانت امرأة بدينة تتجه نحوهما عبر المقهى. حقيبتان منتفختان بمستلزمات الكريسماس تتدليان من يديها. كان لديها الخدان الممتلئان والأسنان الأمامية المربعة الكبيرة لسنجاب يبدو مبتهجًا، وهي سمة أضفت في صور شبابها سحرًا وقحًا معينًا على جمالها. الشعر الذي كان ذات يوم طويلاً وداكنًا ولامعًا أصبح الآن بطول الذقن وأبيض، باستثناء المقدمة، حيث أضيفت خصلة أرجوانية زاهية وجريئة. صليب كبير من الفضة والجمشت كان يرتد على سترتها الأرجوانية.

قالت روبن:

– "أونا؟"

لهثت قائلة:

– "هذه أنا. الطوابير! حسنًا، ماذا أتوقع، فورتنوم في الكريسماس؟ لكن الحق يقال، لديهم خردل رائع."

ابتسمت روبن. سحب سترايك الكرسي بجانبه.

قالت أونا وهي تجلس:

– "شكرًا جزيلاً."

كانت لهجتها الأيرلندية جذابة، وبالكاد تآكلت بما عرفت روبن أنه إقامة في إنجلترا أطول مما قضته في بلد مولدها.

عرّف المحققان بنفسيهما.

قالت أونا وهي تصافحهما قبل أن تنظف حلقها بتوتر:

– "سعدت بلقائكما. اعذراني. كنت سعيدة جدًا بتلقي رسالتك،" قالت لسترايك. "سنوات وسنوات قضيتها أتساءل لماذا لم يستأجر روي شخصًا ما، لأنه يملك المال للقيام بذلك والشرطة لم تصل لأي نتيجة. لذا فإن آنا الصغيرة استدعتكم، أليس كذلك؟ بارك الله في تلك الفتاة، ما لابد أنها مرت به... أوه، مرحبًا،" قالت للنادل، "هل لي بكابتشينو وقطعة من كعكة الجزر تلك؟ شكرًا لك."

عندما ذهب النادل، أخذت أونا نفسًا عميقًا وقالت:

– "أعرف أنني أثرثر. أنا متوترة، هذه هي الحقيقة."

بدأ سترايك:

– "لا داعي لأن تكوني –"

قاطعته أونا، وبدت رصينة:

– "أوه، بلى هناك داعٍ. مهما كان ما حدث لمارغو، لا يمكن أن يكون شيئًا جيدًا، أليس كذلك؟ ما يقرب من أربعين عامًا صليت من أجل تلك الفتاة، صليت من أجل الحقيقة وصليت أن يعتني الله بها، حية أو ميتة. كانت أعز صديقة حظيت بها و... آسفة. كنت أعلم أن هذا سيحدث. عرفت ذلك."

التقطت منديلها القماشي غير المستخدم وجففت عينيها.

قالت وهي تضحك نصف ضحكة:

– "اسألاني سؤالاً. أنقذاني من نفسي."

نظرت روبن إلى سترايك، الذي سلم دفة المقابلة لها بنظرة وهو يخرج مفكرته.

اقترحت روبن:

– "حسنًا، ربما يمكننا أن نبدأ بكيفية لقائك ومارغو؟"

قالت أونا:

– "يمكننا، بالطبع. كان ذلك ليكون في عام 66. كنا كلتانا نؤدي تجارب أداء لنكون فتيات أرنب (باني غيرلز). أنتما تعرفان كل شيء عن ذلك؟"

أومأت روبن.

قالت أونا مبتسمة وهي تشير إلى جذعها الممتلئ، رغم أنها بدت لا تشعر بأسف كبير لفقدان خصرها:

– "كان لدي قوام لائق حينها، صدقا أو لا تصدقا."

أملت روبن ألا يلومها سترايك لاحقًا لعدم تنظيم أسئلتها وفقًا للفئات المعتادة: أشخاص، وأماكن، وأشياء، لكنها رأت أنه من الأفضل جعل هذا يبدو كمحادثة عادية، على الأقل في البداية، لأن أونا كانت لا تزال متوترة بشكل واضح.

سألت روبن:

– "هل جئتِ من أيرلندا، لمحاولة الحصول على الوظيفة؟"

قالت أونا:

– "أوه لا. كنت بالفعل في لندن. لقد هربت نوعًا ما من المنزل، لقول الحقيقة. أنتما تنظران إلى فتاة دير (مدرسة راهبات) مع أم صارمة كآمر سجن. كان في جيبي أجر أسبوع من متجر ملابس في ديري، وأعطتني أمي توبيخًا واحدًا زائدًا عن الحد. خرجت، وركبت العبارة، وجئت إلى لندن وأرسلت بطاقة بريدية للمنزل لأخبرهم أنني حية وألا يقلقوا. لم تتحدث أمي معي لمدة ثلاثين عامًا.

"كنت أعمل نادلة عندما سمعت أنهم يفتحون نادي «بلاي بوي» في مايفير. حسنًا، المال كان جيدًا بجنون مقارنة بما يمكن أن تكسبيه في مكان عادي. خمسة وثلاثون جنيهًا في الأسبوع، بدأنا بها. هذا ما يقرب من ستمائة في الأسبوع، بأسعار اليوم. لم يكن هناك مكان آخر في لندن سيدفع لفتاة من الطبقة العاملة ذلك. كان أكثر مما يكسبه معظم آبائنا."

– "وقابلتِ مارغو في النادي؟"

– "قابلتها في تجربة الأداء. عرفت أنها ستُعين في اللحظة التي نظرت إليها فيها. كان لديها قوام عارضة أزياء: كلها سيقان، والفتاة كانت تعيش على السكر. كانت أصغر مني بثلاث سنوات، وكذبت بشأن عمرها ليقبلوا... أوه، شكرًا جزيلاً لك،" قالت أونا، بينما وضع النادل الكابتشينو وكعكة الجزر أمامها.

سألت روبن:

– "لماذا كانت مارغو تتقدم للتجربة؟"

قالت أونا:

– "لأن عائلتها لم تكن تملك شيئًا – وأعني، لا شيء. تعرض والدها لحادث عندما كانت في الرابعة. سقط عن سلم، وكسر ظهره. مُقعد. لهذا لم يكن لديها إخوة وأخوات. كانت أمها تنظف منازل الناس. عائلتي كانت تملك أكثر من عائلة بامبورو ولم يصر أحد غنيًا قط من زراعة مكان بحجم مكاننا. لكن عائلة بامبورو كانوا فقراء لدرجة عدم وجود ما يكفي للأكل.

"كانت فتاة ذكية جدًا، لكن العائلة احتاجت للمساعدة. قُبلت في كلية الطب، وأخبرت الجامعة أنها ستضطر للتأجيل لمدة عام، ثم توجهت مباشرة لنادي بلاي بوي. ارتحنا لبعضنا البعض على الفور، في التجربة، لأنها كانت مرحة جدًا."

قالت روبن:

– "كانت كذلك؟"

من زاوية عينها، رأت سترايك يرفع نظره من مفكرته بدهشة.

قالت أونا:

– "أوه، مارغو بامبورو كانت أكثر شخص مرح عرفته في حياتي. في حياتي كلها. كنا نضحك حتى نبكي. لم أضحك هكذا منذ ذلك الحين قط. لهجة كوكني حقيقية وكان بإمكانها فقط أن تجعلك تضحك حتى تسقط أرضًا.

"لذا بدأنا العمل معًا، وكانوا صارمين، ليكن في علمكما،" قالت أونا، وهي الآن تغرف الكعك بشوكتها وتضعه في فمها بينما تتحدث. "تفتيش قبل أن تمشي في الصالة، الزي الرسمي موضوع بشكل صحيح، الأظافر معمولة، وكانت هناك قواعد ليس لديكما فكرة عنها. اعتادوا وضع محققين بملابس مدنية في النادي لضبطنا، للتأكد من أننا لا نعطي أسماءنا الكاملة أو أرقام هواتفنا.

"إذا كنتِ جيدة في الأمر، يمكنك ادخار مبلغ محترم من المال. تخرجت مارغو لتصبح فتاة سجائر، تبيعها من صينية صغيرة. كانت محبوبة من الرجال لأنها كانت مرحة جدًا. بالكاد أنفقت بنسًا على نفسها. قسمت المبلغ بين حساب توفير لكلية الطب والباقي أعطته لأمها. عملت كل ساعة سمحوا لها بها. «باني بيغي»، دعت نفسها، لأنها لم تكن تريد لأي من الزبائن معرفة اسمها الحقيقي. أنا كنت

«باني أونا»، لأن لا أحد كان يعرف كيف ينطق «أونا» (بالطريقة الأيرلندية Oonagh). تلقينا كل أنواع العروض – كان عليكِ قول لا، بالطبع. لكن كان من الجيد أن يُطلب منكِ، والحق يقال."

ابتسمت أونا، ربما ملاحظة دهشة روبن، وقالت:

– "لا تظنوا أن مارغو وأنا لم نكن نعرف بالضبط ما كنا نفعله، مشدودات في مشدات (كورسيهات) مع آذان أرنب على رؤوسنا. ما قد لا تدركونه هو أن المرأة لم تكن تستطيع الحصول على رهن عقاري في تلك الأيام دون رجل يوقع مشاركًا في الاستمارات. نفس الشيء مع بطاقات الائتمان. بددت مالي في البداية، لكنني تعلمت، تعلمت من مارغو. أصبحت ذكية، وبدأت في الادخار. انتهى بي الأمر بشراء شقتي الخاصة نقدًا. فتيات الطبقة المتوسطة، اللواتي يدفع آباؤهم وأمهاتهم نفقاتهن، كان بإمكانهن تحمل تكلفة حرق حمالات صدرهن وترك شعر آباطهن ينمو. مارغو وأنا، فعلنا ما توجب علينا فعله.

"على أية حال، كان نادي بلاي بوي راقيًا. لم يكن بيت دعارة. كان لديه تراخيص كان سيفقدها لو أصبحت الأمور بذيئة. كان لدينا ضيوف نساء أيضًا. اعتاد الرجال إحضار زوجاتهم، ومرافقاتهم. أسوأ ما تعرضنا له كان القليل من شد الذيل، لكن إذا أصبح عضو في النادي كثير اللمس حقًا، كان يفقد عضويته. كان يجب أن تروا ما كان علي تحمله في وظيفتي قبل ذلك: أيادٍ تُمد تحت تنورتي عندما أنحني فوق طاولة، وما هو أسوأ. لقد اعتنوا بنا في نادي بلاي بوي. لم يُسمح للأعضاء بمواعدة فتيات الأرنب – حسنًا، نظريًا. حدث ذلك. حدث لمارغو. كنت غاضبة منها لذلك، قلت: أنتِ تخاطرين بكل شيء، أيتها الحمقاء."

سألت روبن:

– "هل كان هذا بول ساتشويل؟"

– "كان هو بالفعل. لقد جاء إلى النادي كضيف لشخص ما، لم يكن عضوًا، لذا ظنت مارغو أنها منطقة رمادية. كنت لا أزال قلقة من أنها ستفقد الوظيفة."

– "لم يعجبكِ؟"

– "لا، لم يعجبني. كان يظن نفسه روبرت بلانت، لكن مارغو وقعت في غرامه تمامًا. لم تكن تخرج كثيرًا، أترين، لأنها كانت تدخر. كنت قد جلت في النوادي الليلية في سنتي الأولى في لندن؛ قابلت الكثيرين من أمثال ساتشويل. كان يكبرها بست سنوات، فنان، وكان يرتدي جينزه ضيقًا جدًا لدرجة أنكِ كنتِ تستطيعين رؤية عضوه وخصيتيه من خلاله."

أطلق سترايك نخرة ضحك لا إرادية. نظرت إليه أونا.

تمتم قائلاً:

– "آسف. أنتِ، آه، لستِ كمعظم القساوسة الذين قابلتهم."

قالت أونا بلا مبالاة:

– "لا أظن أن الرب سيمانع ذكري للأعضاء والخصي. هو من خلقهم، أليس كذلك؟"

سألت روبن:

– "إذن بدأا في المواعدة؟"

– "فعلا. كان شغفًا مجنونًا. كنتِ تستطيعين الشعور بالحرارة تنبعث منهما. بالنسبة لمارغو – انظري، قبل ساتشويل، كانت دائمًا تملك رؤية نفقية للحياة، كما تعلمين، عيناها على الجائزة: أن تصبح طبيبة وتنقذ عائلتها. كانت أذكى من أي من الأولاد الذين عرفتهم، والرجال لا يحبون ذلك كثيرًا في أيامنا هذه. كانت أطول من نصفهم أيضًا. أخبرتني أنها لم تقابل رجلاً مهتمًا بعقلها قبل ساتشويل. مهتم بعقلها، يا لخالتي نيلي. الفتاة كان لديها جسد مثل جين بيركين. أوه، ولم يكن مظهره فقط، كما قالت. كان قد قرأ أشياء. كان يستطيع التحدث عن الفن. كان يستطيع التحدث لساعة عن الفن، والحق يقال. سمعته. حسنًا، أنا لا أميز مونيه من ملصق لمدينة مارغيت، لذا أنا لست حكمًا، لكن الأمر بدا وكأنه هراء بالنسبة لي.

"لكنه كان يأخذ مارغو إلى معرض ويعلمها عن الفن، ثم يأخذها للمنزل للفراش. الجنس يجعلنا جميعًا حمقى،" تنهدت أونا كينيدي. "وكان هو الأول

بالنسبة لها وكان من الواضح، كما تعلمين،" أومأت لروبن، "أنه كان يعرف ما يفعله، لذا كان الأمر أكثر أهمية بكثير بالنسبة لها. كانت مجنونة بحبه. مجنونة.

"ثم، في ليلة ما، قبل أسبوعين فقط من الموعد المفترض لبدء دراستها في كلية الطب، تظهر عند شقتي وهي تعوي من البكاء. مرت على بول بشكل غير متوقع بعد العمل وكانت هناك امرأة أخرى في الشقة معه. عارية. قال لها إنها موديل للرسم. موديل – في منتصف الليل. استدارت وركضت. طاردها، لكنها قفزت في سيارة أجرة وجاءت إلي.

"كانت محطمة القلب. طوال الليل، جلسنا نتحدث، وأنا أقول «أنتِ أفضل حالاً بدونه»، وهو ما لم يكن سوى الحقيقة. قلت لها: «مارغو، أنتِ على وشك بدء كلية الطب. المكان سيكون مليئًا بالأولاد الوسيمين والأذكياء الذين يتدربون ليكونوا أطباء. لن تتذكري اسم ساتشويل بعد أسبوع أو اثنين.»

"لكن بعد ذلك، قرب الفجر، أخبرتني شيئًا لم أخبر به أحدًا من قبل."

ترددت أونا. حاولت روبن أن تبدو متقبلة بأدب ودفء.

– "لقد سمحت له بالتقاط صور لها. أنتما تعرفان. صور. وكانت خائفة، أرادت استعادتها. قلت لها، بحق السماء لماذا سمحتِ له بفعل شيء كهذا يا مارغو؟ لأن ذلك كان ليقتل أمها. الفخر الذي كان لديهم بها، ابنتهم الوحيدة، فتاتهم اللامعة. لو ظهرت تلك الصور في أي مكان، مجلة أو لا أعرف ماذا، لما تجاوزوا الأمر أبدًا، وهم يتباهون في شارعهم بمارغو خاصتهم، العبقرية.

"لذا قلت، سآتي معك وسنستعيدها. فذهبنا إلى هناك في وقت مبكر وطرقنا بابه بعنف. الوغد – اعذراني، الآن. ستقولان بحق، هذا ليس موقفًا مسيحيًا، لكن انتظرا حتى تسمعا. قال ساتشويل لمارغو: «سأتحدث إليكِ، لكن ليس لمربيتك.» مربيتك.

"حسنًا، الآن. قضيت عشر سنوات أعمل مع الناجيات من العنف المنزلي في ولفرهامبتون وهي واحدة من السمات المميزة للمعتدي، إذا لم تكن ضحيته مطيعة، فذلك لأنها تحت سيطرة شخص آخر. مربيتها.

"قبل أن أعرف ما يحدث، كانت هي بالداخل وأنا عالقة على الجانب الآخر من باب مغلق. سحبها للداخل وصفق الباب في وجهي. كنت أسمعهما يصرخان في وجه بعضهما البعض. كانت مارغو ترد الصاع صاعين، بارك الله فيها.

"وبعد ذلك، وهذا ما أردت حقًا إخبارك به." قالت أونا، "وأريد أن أقوله بشكل صحيح. أخبرت ذلك المفتش تالبوت ولم يستمع لكلمة مما كنت أقوله، وأخبرت الذي تولى المهمة، ما كان اسمه –؟"

– "لوسون؟" سألت روبن.

قالت أونا وهي تومئ:

– "لوسون. أخبرت كليهما: كنت أستطيع سماع مارغو وبول يصرخان في وجه بعضهما عبر الباب، مارغو تخبره أن يعطيها الصور والنيجاتيف (الأفلام السلبية) – عالم مختلف، أترين. النيجاتيف، كان عليكِ الحصول عليه، إذا لم ترغبي في عمل المزيد من النسخ. لكنه رفض. قال إنها حقوق طبع ونشر خاصة به، الوغد القذر – ثم سمعت مارغو تقول، وهذا هو الجزء المهم: «إذا أريت تلك الصور لأي شخص، إذا ظهرت في الطباعة أبدًا، سأذهب مباشرة للشرطة وسأخبرهم بكل شيء عن حلم الوسادة الصغير خاصتك –»"

كررت روبن:

– "«حلم الوسادة»؟"

– "هذا ما قالته. وضربها. صفعة عالية بما يكفي لتسمع عبر الخشب الصلب، وسمعتها تصرخ. حسنًا، بدأت أطرق وأركل الباب. قلت، ما لم يفتحه سأذهب للشرطة حالاً. ألقى ذلك الرعب في قلبه. فتح الباب وخرجت مارغو، يدها على وجهها، كان أحمر قانيًا، كنتِ تستطيعين رؤية علامات أصابعه، وسحبتها خلفي وقلت لساتشويل: «إياك أن تقترب منها مرة أخرى، ولقد سمعت ما قالته. ستكون هناك مشاكل إذا ظهرت تلك الصور في أي مكان.»

"وأقسم لكما، بدا وكأنه يريد القتل. تقدم نحوي مباشرة، بالطريقة التي يفعلها الرجل عندما يريد تذكيرك بما يمكنه فعله، إذا أراد. كاد يقف على أصابع قدمي. لم أتزحزح،" قالت أونا كينيدي. "ثبتت في مكاني، لكنني كنت خائفة، لن

أنكر ذلك. وقال لمارغو: «هل أخبرتِها؟» وقالت مارغو: «إنها لا تعرف شيئًا. بعد.» فقال: «حسنًا، أنتِ تعرفين ما سيحدث إذا اكتشفت أنكِ تحدثتِ.» وقام بتقليد إيمائي – حسنًا، لا يهم. كانت وضعية – وضعية بذيئة، أفترض أنك ستقولين. إحدى الصور التي التقطها. وعاد إلى شقته وصفق الباب."

سألت روبن:

– "هل أخبرتك مارغو أبدًا عما عنته بـ «حلم الوسادة»؟"

تنهدت أونا:

– "لم تفعل. قد تظنين أنها كانت خائفة، لكن... أتعلمين، أعتقد أنهن النساء فقط. نحن ننشأ اجتماعياً بهذه الطريقة، لكن ربما للطبيعة الأم يد في ذلك. كم عدد الأطفال الذين سيبقون على قيد الحياة حتى عيد ميلادهم الأول لو لم تتمكن أمهاتهم من مسامحتهم؟

"حتى في ذلك اليوم، وبصمة يده على وجهها، لم ترد إخباري، لأن جزءًا منها لم يرد إيذاءه. رأيت ذلك طوال الوقت اللعين مع الناجيات من العنف المنزلي. نساء لا يزلن يحمينهم. لا يزلن يقلقن عليهم! الحب يموت بصعوبة عند بعض النساء."

– "هل رأت ساتشويل بعد ذلك؟"

قالت أونا وهي تهز رأسها:

– "أتمنى من الله لو كنت أستطيع القول إنها لم تفعل، لكن نعم، فعلت. لم يستطيعا الابتعاد عن بعضهما البعض.

"بدأت دراستها الجامعية، لكنها كانت محبوبة جدًا في النادي، فسمحوا لها بالعمل بدوام جزئي، لذا كنت لا أزال أراها كثيرًا. ذات يوم، اتصلت أمها بالنادي لأن أباها مرض، لكن مارغو لم تأتِ. كنت مرعوبة: أين مارغو، ماذا حدث لها، لماذا ليست هناك؟ غالبًا ما فكرت في تلك اللحظة، أتعلمان، لأنه عندما حدث الأمر بشكل حقيقي، كنت متأكدة جدًا في البداية أنها ستظهر، كما فعلت في المرة الأولى.

"على أية حال، عندما رأت كم كنت منزعجة، ظانة أنها اختفت، أخبرتني بالحقيقة. كانت هي وساتشويل قد بدآ الأمور مرة أخرى. كانت لديها كل الأعذار القديمة جاهزة: أقسم أنه لن يضربها مرة أخرى أبدًا، بكى بحرقة بسبب ذلك، كان أسوأ خطأ في حياته، وعلى أية حال، هي استفزته. قلت لها: «إذا لم تستطيعي رؤية حقيقته الآن، بعد ما فعله بك في المرة الأولى...» على أية حال، انفصلا مرة أخرى، ومفاجأة، مفاجأة، لم يضربها فحسب، بل حبسها في شقته طوال اليوم، لكي لا تتمكن من الذهاب للعمل. كانت تلك أول وردية تفوتها على الإطلاق. كادت تفقد الوظيفة بسبب ذلك، واضطرت لاختلاق قصة ملفقة.

"لذا أخيرًا،" قالت أونا، "تخبرني أنها تعلمت درسها، وأنني كنت محقة طوال الوقت، ولن تعود إليه أبدًا، انتهى الأمر، فينيتو."

سألت روبن:

– "هل استعادت الصور؟"

– "أول شيء سألته، عندما اكتشفت أنهما عادا لبعضهما. قالت إنه أخبرها أنه دمرها. وهي صدقت ذلك أيضًا."

– "أنتِ لم تصدقي؟"

– "بالطبع لم أفعل،" قالت أونا. "كنت قد رأيته، عندما هددته بحلم الوسادة الخاص به. كان ذلك رجلاً خائفًا. لم يكن ليدمر أبدًا أي شيء يمنحه قوة تفاوضية عليها.

"هل سيكون من المقبول لو طلبت كابتشينو آخر؟" سألت أونا باعتذار. "حلقي جاف، من كل هذا الحديث."

قال سترايك:

– "بالطبع." ونادى نادلاً، وطلب قهوة طازجة للجميع.

أشارت أونا إلى حقيبة فورتنوم الخاصة بروبن.

– "تخزنين للكريسماس، أنتِ أيضًا؟"

قالت روبن مبتسمة:

– "أوه، لا، كنت أشتري هدية لابنة أخي الجديدة. ولدت هذا الصباح."

قال سترايك، الذي فوجئ بأن روبن لم تخبره بالفعل:

– "تهانينا."

قالت أونا:

– "أوه، كم هذا جميل. حفيدي الخامس وصل الشهر الماضي."

امتلأت الفترة الفاصلة أثناء انتظار القهوة الطازجة بعرض أونا صور أحفادها على روبن، وعرض روبن الصورتين اللتين تملكهما لأنابيل ماري على أونا.

قالت أونا، وهي تحدق من خلال نظارة القراءة الأرجوانية الخاصة بها في الصورة على هاتف روبن:

– "فاتنة، أليست كذلك؟"

شملت سترايك في السؤال، لكن، ولأنه لم يرَ سوى قرد أصلع يبدو غاضبًا، كانت موافقته فاترة.

عندما وصلت القهوة وابتعد النادل مرة أخرى، قالت روبن:

– "بينما أتذكر... هل تعرفين بالصدفة ما إذا كان لدى مارغو عائلة أو أصدقاء في ليمنغتون سبا؟"

كررت أونا عابسة:

– "ليمنغتون سبا؟ دعيني أرى... إحدى الفتيات في النادي كانت من... لا، تلك كانت كينغز لين. إنهما اسمان متشابهان، أليس كذلك؟ لا أستطيع تذكر أي شخص من هناك، لا... لماذا؟"

– "سمعنا أن رجلاً ادعى أنه رآها هناك، بعد أسبوع من اختفائها."

– "كانت هناك بضع مشاهدات لاحقة، والحق يقال. لا شيء في أي منها. لم يكن أي منها منطقيًا. ليمنغتون سبا، هذه جديدة."

أخذت رشفة من الكابتشينو الخاص بها. سألت روبن:

– "هل كنتما لا تزالان تريان بعضكما البعض كثيرًا، بمجرد ذهاب مارغو لكلية الطب؟"

– "أوه نعم، لأنها كانت لا تزال تعمل في النادي بدوام جزئي. كيف فعلت كل ذلك، الدراسة، العمل، إعالة عائلتها... تعيش على أعصابها والشوكولاتة، نحيلة كعادتها. وبعد ذلك، في بداية عامها الثاني، التقت بروي."

تنهدت أونا.

– "حتى أذكى الناس يمكن أن يكونوا أغبياء بشكل لعين عندما يتعلق الأمر بحياتهم العاطفية. في الواقع، أفكر أحيانًا، كلما كانوا أذكى مع الكتب، كانوا أغبى مع الجنس. ظنت مارغو أنها تعلمت درسها، أنها نضجت. لم تستطع رؤية أنها كانت علاقة ارتدادية كلاسيكية. ربما بدا مختلفًا عن ساتشويل بقدر ما يمكنك الحصول عليه، لكن في الواقع، كان المزيد من الشيء نفسه.

"كان لدى روي نوع الخلفية التي كانت مارغو لتحبها. كتب، سفر، ثقافة، كما تعلمين. انظري، كانت هناك فجوات فيما تعرفه مارغو. كانت غير واثقة بشأن عدم معرفتها بالشوكة الصحيحة، الكلمات الصحيحة. «نابكين» بدلاً من «سيرفيت» (مصطلحات للمنديل تختلف حسب الطبقة). كل تلك الأشياء الإنجليزية المتكبرة.

"كان روي مجنونًا بها، ليكن في علمكما. لم يكن الأمر من جانب واحد. كان بإمكاني رؤية مصدر الجاذبية: لم تكن تشبه أي شيء عرفه من قبل. صدمته، لكنها سحرته: نادي بلاي بوي وأخلاقيات عملها، أفكارها النسوية، إعالة أمها وأبيها. كانت لديهم جدالات، جدالات فكرية، كما تعلمين.

"لكن كان هناك شيء بلا دم (بارد/فاقد للحيوية) في الرجل. ليس ضعيفًا بالضبط، لكن –" أطلقت أونا ضحكة مفاجئة. "«بلا دم» – ستعرفان عن مشكلة نزيفه؟"

قالت روبن:

– "نعم. مرض فون شيئًا ما؟"

– "هو ذاك. لقد تم تدليله ولفه في القطن طوال حياته من قبل والدته، التي كانت مرعبة. قابلتها بضع مرات. تلك المرأة منحتني الاحترام الذي تمنحه لشيء علق في حذائك.

"وكان روي... المياه الساكنة تغور عميقًا، أفترض أن هذا يلخص الأمر. لم يظهر الكثير من العاطفة. مغازلتهم لم تكن كلها جنسًا، كانت حقًّا أفكارًا بينهم. ليس أنه لم يكن وسيمًا. كان وسيمًا، بطريقة... رخوة نوعًا ما. مختلف عن ساتشويل بقدر ما يمكنك التخيل. فتى جميل، كله عيون وشعر منسدل.

"لكنه كان متلاعبًا. القليل من عدم الرضا هنا، نظرة باردة هناك. أحب مدى اختلاف مارغو، لكن ذلك جعله غير مرتاح أيضًا. أراد امرأة عكس والدته تمامًا، لكنه أراد من «مامي» أن توافق. لذا كانت خطوط الصدع موجودة منذ البداية.

"وكان يمكنه أن يحرد (يعبس بشكل صامت)،" قالت أونا. "أكره الشخص الذي يحرد، الآن. كانت أمي كذلك. ثلاثون عامًا لم تتحدث إلي، لأنني انتقلت إلى لندن. استسلمت أخيرًا لتتمكن من مقابلة أحفادها، لكن أختي ثملت قليلاً في الكريسماس وزل لسانها بأنني تركت الكنيسة وانضممت للإنجليكان، انتهينا للأبد. اذا عرفت أني عملت فتاة ليل في بلاي بوي، يمكنها أن تغفر. لكن اذا عرفت أنني بروتستانتية، لن تسامح مطلقا.

"حتى عندما كانوا يتواعدون، كان روي يتوقف عن التحدث إلى مارغو لأيام في كل مرة. أخبرتني مرة أنه قاطعها لمدة أسبوع. فقدت صبرها، قالت: «أنا سأرحل.» ذلك أعاده لصوابه بسرعة كافية. قلت، ما الذي كان يحرد بشأنه؟ وكان النادي. كره عملها هناك. قلت: «هل يعرض إعالة عائلتك، بينما تدرسين؟» «أوه، لا تعجبه فكرة أن يحدق بي رجال آخرون،» قالت. الفتيات يحببن تلك الفكرة، ذلك القدر القليل من التملك. يظنن أنه يعني أنه يريدها هي فقط، بينما بالطبع، الأمر العكس. هو يريدها متاحة له فقط. هو لا يزال حرًا للنظر إلى فتيات أخريات، وكان لدى روي أشخاص آخرون مهتمون به، فتيات من خلفيته الخاصة. كان فتى جميلاً مع الكثير من أموال العائلة. حسنًا،" قالت أونا، "انظروا إلى القريبة الصغيرة سينثيا، تتربص في الكواليس."

سألت روبن:

– "هل كنتِ تعرفين سينثيا؟"

– "قابلتها مرة أو مرتين، في منزلهم. شيء صغير يشبه الفأر. لم تتحدث معي أكثر من كلمتين قط. لكنها جعلت روي يشعر بالرضا عن نفسه. تضحك بصخب على كل نكاته. على علاتها."

– "مارغو وروي لابد أنهما تزوجا مباشرة بعد كلية الطب، أليس كذلك؟"

– "هذا صحيح. كنت وصيفة العروس. هي ذهبت للممارسة العامة. روي كان طموحًا، ذهب إلى أحد المستشفيات التعليمية الكبيرة، لا أستطيع تذكر أيها.

"كان والدا روي يمتلكان هذا المنزل الكبير الجميل جدًا بمروج ضخمة وكل الباقي. بعد وفاة والده، التي كانت قبل إنجابهم لآنا مباشرة، حولت الأم ملكيته لروي. اسم مارغو لم يكن على سند الملكية، أتذكر أنها أخبرتني بذلك. لكن روي أحب فكرة تربية عائلته في نفس المنزل الذي نشأ فيه، وكان جميلاً، والحق يقال، هناك بالقرب من هامبتون كورت. لذا انتقلت الحماة للخارج وانتقل روي ومارغو للداخل.

"باستثناء، بالطبع، أن الحماة شعرت أن لديها الحق في العودة في أي وقت تشاء، لأنها أعطته لهم وكانت لا تزال تنظر إليه على أنه ملكها أكثر من كونه ملكًا لمارغو."

سألت روبن:

– "هل كنتِ أنتِ ومارغو لا تزالان تريان بعضكما البعض كثيرًا؟"

قالت أونا:

– "كنا نفعل. اعتدنا محاولة اللقاء مرة واحدة على الأقل كل أسبوعين. كنا أعز صديقتين حقًا. حتى بعد زواجها من روي، أرادت التمسك بي. كان لديهم أصدقاؤهم من الطبقة المتوسطة، بالطبع، لكنني أظن،" قالت أونا وصوتها يغلظ، "أظن أنها عرفت أنني سأكون دائمًا في صفها، أترين. كانت تتحرك في دوائر حيث شعرت بالوحدة."

– "في المنزل، أم في العمل أيضًا؟"

– "في المنزل، كانت سمكة خارج الماء. منزل روي، عائلة روي، أصدقاء روي، كل شيء روي. كانت ترى أمها وأباها كثيرًا، لكن كان من الصعب، والأب في

كرسيه المتحرك، إخراجه إلى المنزل الكبير. أظن أن عائلة بامبورو شعروا بالرهبة من روي ووالدته. لذا اعتادت مارغو العودة إلى ستيبني لرؤيتهم. كانت لا تزال تدعمهم ماليًا. أرهقت نفسها بين كل التزاماتها المختلفة."

– "وكيف كانت الأمور في العمل؟"

– "صعبة، طوال الطريق. لم يكن هناك الكثير من الطبيبات في ذلك الوقت، وكانت شابة ومن الطبقة العاملة وتلك العيادة التي انتهى بها المطاف فيها، عيادة سانت جون، شعرت بالوحدة فيها. لم يكن مكانًا سعيدًا. ولكونها مارغو، أرادت محاولة جعله أفضل. كان ذلك جوهر مارغو: اجعله أفضل. اجعله يعمل. اعتنِ بالجميع. حل المشكلة. حاولت جمعهم معًا كفريق، رغم أنها كانت هي من يتعرض للتنمر."

– "من كان يتنمر عليها؟"

– "الرجل العجوز. لا أستطيع تذكر الأسماء، الآن. كان هناك طبيبان آخران، أليس كذلك؟ العجوز والهندي. قالت إنه كان بخير، الرجل الهندي، لكنها كانت تستطيع استشعار الرفض منه أيضًا. تجادلا حول حبوب منع الحمل، أخبرتني. كان بإمكان الأطباء العامين إعطاءها للنساء غير المتزوجات إذا أرادوا – عندما طُرحت لأول مرة، كانت للنساء المتزوجات فقط – لكن الفتى الهندي، كان لا يزال يرفض إعطاءها لغير المتزوجات. بدأت عيادات تنظيم الأسرة الأولى في الظهور في نفس العام الذي اختفت فيه مارغو. تحدثنا عنها. قالت مارغو، الحمد لله على ذلك، لأنها كانت متأكدة أن النساء القادمات لعيادتهم لم يكنّ قادرات على الحصول عليها من أي من الطبيبين الآخرين.

"لكن لم يكن هما فقط. واجهت مشاكل مع الموظفين الآخرين. لا أظن أن الممرضة أحبتها أيضًا."

قالت روبن:

– "جانيس؟"

قالت أونا عابسة:

– "هل كانت جانيس؟"

اقترح سترايك:

– "إيرين؟"

– "كانت شقراء. أتذكر، في حفلة عيد الميلاد –"

قالت روبن مندهشة:

– "كنتِ هناك؟"

– "توسلت لي مارغو لأذهب. كانت قد رتبت لها وكانت خائفة أن تكون مريعة. روي كان يعمل، لذا لم يستطع الذهاب. كان هذا بعد بضعة أشهر فقط من ولادة آنا. كانت مارغو في إجازة أمومة وأحضروا طبيبًا آخر لتغطية مكانها، رجلاً. كانت مقتنعة أن المكان عمل بشكل أفضل بدونها. كانت هرمونية ومتعبة وتخشى العودة. آنا كانت لتكون بعمر شهرين أو ثلاثة فقط. أحضرتها مارغو للحفلة، لأنها كانت ترضعها طبيعيًا. نظمت حفلة عيد الميلاد لمحاولة عمل بداية جديدة معهم جميعًا، كسر الجليد قبل أن تضطر للعودة."

قالت روبن، مدركة لقلم سترايك المحلق فوق مفكرته:

– "أكملي عن إيرين."

– "حسنًا، لقد سكرت، إذا كانت هي الشقراء. أحضرت رجلاً ما معها للحفلة. على أية حال، قرب نهاية الليلة، اتهمت إيرين مارغو بمغازلة الرجل. هل سمعتما في حياتكما شيئًا أكثر سخافة؟ مارغو تقف هناك بطفلتها الجديدة بين ذراعيها، والفتاة تهاجمها بضراوة. ألم تكن الممرضة؟ الأمر منذ وقت طويل جدًا..."

قالت روبن:

– "لا، إيرين كانت موظفة الاستقبال."

– "ظننت أن تلك كانت الفتاة الإيطالية الصغيرة؟"

– "غلوريا كانت الأخرى."

– "أوه، أحبت مارغو تلك الفتاة. قالت إن الفتاة ذكية جدًا لكنها في وضع سيء. لم تعطني تفاصيل أبدًا. أظن أن الفتاة راجعتها للحصول على نصيحة طبية وبالطبع، مارغو لم تكن لتشارك أي شيء عن صحتها. أخذت كل ذلك بجدية تامة. لا كاهن في كرسي اعترافه عامل أسرار الناس باحترام أكبر."

قالت روبن بتردد:

– "أريد أن أسألك عن شيء حساس. كان هناك كتاب عن مارغو، كتب في عام 1985، وأنتِ –"

قاطعتها أونا فورًا:

– "انضممت لروي لإيقافه. فعلت. كان حزمة من الأكاذيب من البداية للنهاية. أنتما تعرفان ما كتبه، بوضوح. عن –"

ربما تكون أونا قد تركت الكنيسة الكاثوليكية، لكنها ترددت عند الكلمة.

– "– الإجهاض. كانت كذبة قذرة. أنا لم أقم بإجهاض قط وكذلك مارغو. كانت لتخبرني، لو كانت تفكر في الأمر. كنا أعز صديقتين. شخص ما استخدم اسمها لحجز ذلك الموعد. لا أعرف من. العيادة لم تتعرف على صورتها. لم تذهب إلى هناك قط. أفضل شيء في حياتها كان آنا ولم تكن لتتخلص من طفل آخر أبدًا. أبدًا. لم تكن متدينة، لكنها كانت لتعتبر ذلك خطيئة، بالتأكيد."

سألت روبن:

– "لم تكن من رواد الكنيسة؟"

– "ملحدة حتى النخاع. اعتقدت أن كل ذلك خرافات. كانت أمها تذهب للكنيسة، ومارغو تمردت ضد ذلك. الكنيسة قمعت النساء، كانت هذه الطريقة التي نظرت بها مارغو للأمر، وقالت لي: «إذا كان هناك إله، لماذا توجب على أبي، وهو رجل صالح، أن يسقط عن ذلك السلم؟ لماذا توجب على عائلتي أن تعيش الحياة التي عشناها؟» حسنًا، لم تستطع مارغو إخباري بأي شيء عن النفاق والدين لم أكن أعرفه بالفعل. كنت قد تركت الكاثوليك بحلول ذلك الوقت. عقيدة العصمة البابوية. لا لمنع الحمل، بغض النظر عما إذا ماتت النساء وهن ينجبن طفلهن الحادي عشر.

"أمي نفسها ظنت أنها نائبة الله على هذه الأرض، وبعض الراهبات في مدرستي كن عاهرات خالصات. الأخت ماري تيريزا – أترين هناك؟" قالت أونا، دافعة غرتها عن عينيها لتكشف ندبة بحجم قطعة الخمسة بنسات. "ضربتني حول

الرأس بمثلث هندسي معدني. الدم في كل مكان. «أتوقع أنكِ استحققت ذلك»، قالت أمي.

"الآن، سأخبركما بمن ذكرتني بالأخت ماري تيريزا. هل كانت ستكون الممرضة؟ الأكبر سنًا في عيادة مارغو؟"

– "هل تعنين دوروثي؟"

– "كانت أرملة، التي أفكر فيها."

– "نعم، تلك كانت دوروثي، السكرتيرة."

– "صورة طبق الأصل للأخت ماري تيريزا، عيناها،" قالت أونا. "حاصرتني في الحفلة. إنهن ينجذبن للكنيسة، نساء مثل تلك. كل رعية تقريبًا لديها اثنتان. التزام ظاهري، وسم داخلي. يقلن الكلمات، تعرفان «اغفر لي يا أبتِ، لأنني أخطأت»، لكن الدوروثيات في هذا العالم، لا يصدقن أنهن يمكن أن يخطئن، ليس حقًا.

"شيء واحد علمته لي الحياة: حيث لا توجد قدرة على الفرح، لا توجد قدرة على الخير،" قالت أونا كينيدي. "كانت تضمر الشر لمارغو، تلك الدوروثي. أخبرتها أنني أعز صديقة لمارغو وبدأت تطرح أسئلة تطفلية. كيف التقينا. الأصدقاء. كيف التقت مارغو بروي. لا شأن لها اللعين بذلك.

"ثم بدأت تتحدث عن الطبيب العجوز، أيًا كان اسمه. كان فيها القليل من الأخت ماري تيريزا، بالتأكيد، لكن إله تلك المرأة كان يجلس على بعد مكتب واحد. أخبرت مارغو عن الحديث الذي أجريته معها بعد ذلك، وقالت مارغو إنني محقة. دوروثي كانت لئيمة."

قالت روبن:

– "كان ابن دوروثي هو من كتب الكتاب عن مارغو."

شهقت أونا:

– "أكان ابنها؟ حقًا؟ حسنًا، هذا يفسر الأمر. كلاهما أوغاد، مثل بعضهما."

سألت روبن:

– "متى كانت آخر مرة رأيتِ فيها مارغو؟"

– "قبل أسبوعين بالضبط من الليلة التي اختفت فيها. التقينا في «الملوك الثلاثة» حينها أيضًا. الساعة السادسة، كانت ليلتي إجازة من النادي. كان هناك باران أقرب للعيادة، لكنها لم ترغب في الاصطدام بأي شخص تعمل معه بعد ساعات العمل."

– "هل يمكنك تذكر ما تحدثتما عنه تلك الليلة؟"

– "أتذكر كل شيء. ستظنان أن هذه مبالغة، لكنها ليست كذلك. بدأت بتوبيخها لذهابها لتناول مشروب مع ساتشويل، وهو ما أخبرتني به عبر الهاتف. اصطدما ببعضهما في الشارع.

"قالت إنه بدا مختلفًا عما كان عليه وذلك أقلقني، لن أكذب. لم تكن مبنية لخوض علاقة غرامية، لكنها كانت غير سعيدة. بمجرد وصولنا للحانة، أخبرتني القصة كاملة. طلب رؤيتها مرة أخرى وقالت لا. صدقتها، وسأخبركما لماذا: لأنها بدت بائسة للغاية لدرجة أنها قالت لا.

"بدت منهكة، تلك الليلة. غير سعيدة بشكل لم أرها عليه من قبل. قالت إن روي لم يتحدث معها لعشرة أيام عندما اصطدمت بساتشويل. كان بينهما شجار حول دخول أمه وخروجها من المنزل وكأنها تملكه. أرادت مارغو إعادة الديكور، لكن روي قال إن ذلك سيكسر قلب أمه إذا تخلصوا من أي من الأشياء التي أحبها والده. لذا كانت مارغو هناك، دخيلة في منزلها الخاص، غير مسموح لها حتى بتغيير الحلي.

"قالت مارغو إن سطرًا من *كورت آند سبارك* كان يدور في رأسها، طوال اليوم. ألبوم جوني ميتشل، *كورت آند سبارك*،" قالت، رأت حيرة روبن. "كانت تلك ديانة مارغو. جوني ميتشل. كانت تهذي إعجابًا بذلك الألبوم. كان سطرًا من أغنية «نفس الموقف». *«عالقة في كفاحي من أجل إنجازات أعلى، وبحثي عن الحب الذي لا يبدو أنه يتوقف»*. لا أستطيع الاستماع لذلك الألبوم حتى يومنا هذا. إنه مؤلم للغاية.

"أخبرتني أنها ذهبت مباشرة للمنزل بعد تناول المشروب مع بول وأخبرت روي بما حدث للتو. أعتقد جزئيًا أنها شعرت بالذنب لذهابها للمشروب، لكن جزئيًا

أرادت هزه ليستيقظ. كانت متعبة وبائسة وكانت تقول إن شخصًا آخر أرادني، ذات مرة. طبيعة بشرية، أليس كذلك؟ «استيقظ»، كانت تقول. «لا يمكنك فقط تجاهلي وقطعي ورفض كل التسويات. لا أستطيع العيش هكذا.»

"حسنًا، كونه روي، لم يكن من النوع الذي يشتعل ويبدأ في رمي الأشياء. أظن أنها كانت لتجد الأمر أسهل لو فعل. كان غاضبًا، بالتأكيد، لكنه أظهر ذلك بأن أصبح أكثر برودًا وصمتًا.

"لا أظن أنه قال كلمة أخرى لها حتى اليوم الذي اختفت فيه. أخبرتني عبر الهاتف عندما رتبنا للمشروب في الحادي عشر، «ما زلت أعيش في نظام صامت». بدت يائسة. أتذكر تفكيري حينها، «إنها ستتركه».

"عندما التقينا في الحانة تلك المرة الأخيرة، قلت لها: «ساتشويل ليس الإجابة على أي خطب بينك وبين روي».

"تحدثنا عن آنا أيضًا. كانت مارغو لتعطي أي شيء لتأخذ سنة أو سنتين إجازة وتركز على آنا، وهذا بالضبط ما أراده روي وأمه منها أن تفعله، البقاء في المنزل مع آنا ونسيان العمل.

"لكنها لم تستطع. كانت لا تزال تعيل والديها. أمها كانت مريضة الآن، ومارغو لم تردها أن تنظف المنازل بعد الآن. طالما كانت تعمل، كان بإمكانها النظر في وجه روي وتبرير كل المال الذي تعطيه لهم، لكن أمه لم تكن لتدع ابنها الغالي، الرقيق يعمل لصالح زوج من مدخني السلاسل من «إيست إند».

"هل يمكنك تذكر أي شيء آخر تحدثتما عنه؟"

– "تحدثنا عن نادي بلاي بوي، لأنني كنت أغادره. حصلت على شقتي وكنت أفكر في الذهاب والدراسة. كانت مارغو مؤيدة تمامًا. ما لم أخبرها به هو أنني كنت أفكر في درجة اللاهوت، نظرًا لموقفها من الدين.

"تحدثنا عن السياسة، قليلاً. كلتانا أرادت فوز ويلسون بالانتخابات. وأخبرتها أنني قلقة لأنني لم أجد «الشخص المنشود» بعد. كنت فوق الثلاثين. كان ذلك سنًا كبيرًا، حينها، لإيجاد زوج.

"قبل أن نقول وداعًا تلك الليلة، قلت: «لا تنسي، هناك دائمًا غرفة إضافية في مكاني. ومساحة لسرير طفل، أيضًا»."

تجمعت الدموع مرة أخرى في عيني أونا وسالت على خديها. التقطت منديلها وضغطته على وجهها.

– "أنا آسفة. قبل أربعين عامًا، لكنه يبدو كالأمس. لا يختفون، الموتى. سيكون الأمر أسهل لو فعلوا. أستطيع رؤيتها بوضوح شديد. لو صعدت تلك الدرجات الآن، جزء مني لن يتفاجأ. كانت شخصًا مفعمًا بالحياة. لتختفي هكذا، مجرد هواء رقيق حيث كانت..."

لم تقل روبن شيئًا حتى جففت أونا وجهها، ثم سألت:

– "ماذا يمكنك أن تتذكري عن الترتيب للقاء في الحادي عشر؟"

– "اتصلت بي، طلبت اللقاء في نفس المكان، نفس الوقت. قلت نعم، بالطبع. كان هناك شيء غريب في الطريقة التي قالتها بها. قلت: «هل كل شيء بخير؟» قالت: «أحتاج لطلب نصيحتك بشأن شيء ما. ربما أكون قد جننت. لا ينبغي لي حقًا التحدث عن الأمر، لكنني أظن أنك الوحيدة التي يمكنني الوثوق بها»."

نظر سترايك وروبن إلى بعضهما البعض.

قال سترايك:

– "ألم يكن ذلك مكتوبًا في أي مكان؟"

قالت أونا، وللمرة الأولى بدت غاضبة:

– "لا. حسنًا، لا أستطيع القول إنني متفاجئة."

سألت روبن:

– "لماذا لا؟"

– "تالبوت كان سارحًا مع الجنيات. استطعت رؤية ذلك في الدقائق الخمس الأولى من مقابلتي. اتصلت بروي، قلت: «ذلك الرجل ليس طبيعيًا. اشتكِ، أخبرهم أنك تريد شخصًا آخر في القضية.» لم يفعل، أو إذا فعل، لم يتم عمل شيء.

"ولوسون ظن أنني مجرد فتاة ليل صغيرة سخيفة. ربما ظن أنني أروي أكاذيب، أحاول جعل نفسي مثيرة للاهتمام على ظهر اختفاء أعز صديقة لي. مارغو بامبورو كانت مثل أخت أكثر منها صديقة لي،" قالت أونا بحدة، "والشخص الوحيد الذي تحدثت إليه حقًا عنها هو زوجي. بكيت عليه بحرقة، قبل يومين من زواجنا، لأنه كان يجب أن تكون هناك. كان يجب أن تكون وصيفة الشرف الرئيسية لي."

سألت روبن:

– "هل لديك أي فكرة عما كانت ستطلب نصيحتك بشأنه؟"

– "لا. فكرت في الأمر كثيرًا منذ ذلك الحين، ما إذا كان يمكن أن يكون له أي علاقة بما حدث. شيء عن روي، ربما، لكن إذن لماذا تقول إنها لا ينبغي أن تتحدث عنه؟ كنا قد تحدثنا بالفعل عن روي. أخبرتها بوضوح تام، آخر مرة التقينا، أنها يمكن أن تأتي وتعيش معي إذا تركته، وآنا أيضًا.

"ثم فكرت، ربما شيء أخبرها به مريض، لأنه كما قلت، كانت دقيقة بشأن السرية.

"على أية حال، صعدت ذلك التل في المطر إلى الحانة في الحادي عشر. كنت مبكرة، فذهبت لإلقاء نظرة على تلك الكنيسة هناك، عبر الطريق، كبيرة –"

قال سترايك بحدة:

– "انتظري. أي نوع من المعاطف كنتِ ترتدين؟"

لم تبد أونا متفاجئة بالسؤال. على العكس، ابتسمت.

– "أنت تفكر في حفار القبور القديم، أو أياً كان من هو؟ الشخص الذي ظن أنه رأى مارغو تدخل هناك؟ أخبرتهم في ذلك الوقت أنها كانت أنا. لم أكن أرتدي معطف مطر، لكنه كان بيج. شعري كان أغمق من شعر مارغو، لكنه كان بنفس الطول تقريبًا. أخبرتهم، عندما سألوني، هل أعتقد أن مارغو ربما دخلت الكنيسة قبل مقابلتي – قلت، لا، كانت تكره الكنيسة. أنا ذهبت هناك! تلك كانت أنا!"

سأل سترايك:

– "لماذا؟ لماذا دخلتِ هناك؟"

قالت أونا ببساطة:

– "كنت أُلَبّي نداءً."

قمعت روبن ابتسامة، لأن سترايك بدا محرجًا تقريبًا من الإجابة.

– "الله كان يدعوني للعودة،" قالت أونا. "كنت أستمر في دخول الكنائس الإنجليكانية، مفكرة، هل هذه هي الإجابة؟ كان هناك الكثير مما لا أستطيع تحمله في الكاثوليكية، لكن مع ذلك، كنت أستطيع الشعور بالجذب للعودة إليه."

سألت روبن، لتمنح سترايك وقتًا لاستعادة توازنه:

– "كم من الوقت تعتقدين أنكِ كنتِ في الكنيسة؟"

– "خمس دقائق أو نحو ذلك. صليت صلاة صغيرة. كنت أطلب الهداية. ثم خرجت مرة أخرى، عبرت الطريق ودخلت الحانة.

"انتظرت ما يقرب من الساعة الكاملة قبل أن أتصل بروي. في البداية ظننت، لقد أخرها مريض. ثم ظننت، لا، لابد أنها نسيت. لكن عندما اتصلت بالمنزل، قال روي إنها ليست هناك. كان مقتضبًا جدًا معي. تساءلت عما إذا كان شيء آخر قد حدث بينهما. ربما انفجرت مارغو. ربما كنت سأعود للمنزل وأجدها على العتبة مع آنا. لذا هرعت للمنزل، لكنها لم تكن هناك.

"اتصل روي في التاسعة ليرى ما إذا كان لدي أي اتصال. عندها بدأت أقلق حقًا. قال إنه سيتصل بالشرطة.

"ستعرفان الباقي،" قالت أونا بهدوء. "كان كابوسًا. تعلق كل آمالك على أشياء تصبح أقل وأقل احتمالاً. فقدان ذاكرة. صدمتها سيارة وفاقدة للوعي في مكان ما. هربت لمكان ما لتفكر.

"لكنني عرفت، حقًا. لم تكن لتترك طفلتها أبدًا، ولم تكن لتغادر دون إخباري. عرفت أنها ميتة. استطعت القول إن الشرطة تظن أنه سفاح إسيكس، لكن أنا..."

حفزتها روبن بلطف:

– "لكن أنتِ؟"

– "حسنًا، ظللت أفكر، بعد ثلاثة أسابيع من عودة بول ساتشويل لحياتها، تختفي للأبد. أعلم أنه كان لديه حجة غيابه الصغيرة، كل أصدقائه الفنانين يدعمونه. قلت لتالبوت ولوسون: اسألاه عن حلم الوسادة. اسألاه ماذا يعني ذلك، حلم الوسادة الذي كان خائفًا جدًا أن تخبر مارغو الناس عنه.

"هل هذا في ملاحظات الشرطة؟" سألت سترايك، ملتفتة لتنظر إليه. "هل سأل أي منهما ساتشويل عن حلم الوسادة؟"

قال سترايك ببطء:

– "لا. لا أعتقد أنهما فعلا."

25

تلك جميعها كانت أفكارًا خاويةً وخيالات،
وأوهامًا، وأحلامًا، وآراءً لا سند لها،
ومظاهر، ورؤى، وعرافة، ونبوءات؛
وكل ما هو زائف، كالأكاذيب، والحكايات، والأباطيل.
إدموند سبنسر ملكة الجن

بعد ثلاثة أمسيات، كان سترايك يجلس في سيارته الـ "بي إم دبليو" خارج منزل متلاصق عادي المظهر في ستوك نيوينغتون. تحقيق "المراوغ"، الذي دخل الآن شهره الخامس، لم يسفر عن أي نتائج حتى الآن. بدأ الأمناء القلقون، الذين اشتبهوا في أن مديرهم التنفيذي يتعرض للابتزاز من قبل المراوغ الطموح، في إصدار أصوات نذير شؤم بالاستياء، وكان من الواضح أنهم يفكرون في نقل أعمالهم إلى مكان آخر.

حتى بعد أن أغرقه هاتشينز بالخمور، بعد أن نجح في مصادقته في نادي الرماية، ظل المراوغ متحفظًا كعادته بشأن ما يمسكه على رئيسه، لذا قرر سترايك أن الوقت قد حان للبدء في تعقب المدير التنفيذي (SB) بنفسه. كان من الممكن تمامًا أن يكون المدير التنفيذي، وهو رجل بدين يرتدي بدلة مخططة وله بقعة صلعاء تشبه حلاقة الرهبان، لا يزال ينغمس في السلوك القابل للابتزاز الذي كشفه المراوغ والذي استغله للحصول على ترقية لم تكن سيرة المراوغ الذاتية، ولا شخصيته، تبررها.

كان سترايك واثقًا من أن المراوغ لا يستغل حالة بسيطة من الخيانة الزوجية. زوجة المدير التنفيذي الحالية كانت تتمتع باللمعان البلاستيكي النقي لدمية أزيل عنها السلوفان حديثًا، وشك سترايك في أن الأمر سيتطلب أكثر من مجرد إقامة زوجها لعلاقة غرامية لجعلها تتخلى عن قبضتها ذات المخالب على بطاقة أمريكان إكسبريس السوداء، خاصة وأنها تزوجت بالكاد منذ عامين ولم يكن لديها أطفال لضمان تسوية سخية.

كانت أضواء شجرة الكريسماس تتلألأ في كل نافذة تقريبًا تحيط بسترايك. سقف المنزل المجاور له كان معلقًا برقاقات ثلجية زرقاء وبيضاء متألقة تحرق الشبكية إذا نظر إليها المرء لفترة طويلة. أكاليل الزهور على الأبواب، والألواح الزجاجية المزينة بثلج مزيف وبريق اللون البرتقالي والأحمر والأخضر المنعكس في البرك القذرة، كلها ذكرت سترايك بأنه يحتاج حقًا للبدء في شراء هدايا الكريسماس ليأخذها إلى كورنوال.

خرجت جوان من المستشفى ذلك الصباح، وتم تعديل أدويتها، وهي مصممة على العودة للمنزل والبدء في الاستعداد لاحتفالات العائلة. سيحتاج سترايك لشراء هدايا ليس فقط لجوان وتيد ولكن لأخته، وزوج أخته وأبناء أخته. كان هذا عملاً إضافيًا مزعجًا، نظرًا لكمية العمل التي لدى الوكالة حاليًا في سجلاتها. ثم ذكّر نفسه بأنه عليه شراء شيء لـ روبن أيضًا، شيء أفضل من الزهور. مد سترايك، الذي كان يكره التسوق بشكل عام، وشراء الهدايا بشكل خاص، يده لسجائره لدرء شعور غامض بالاضطهاد.

بعد أن أشعل سيجارته، أخرج سترايك من جيبه نسخة كتاب *ماذا حدث لمارغو بامبورو؟* الذي أعطته إياه روبن، لكنه لم يجد الوقت لقراءته بعد. كانت هناك علامات صغيرة تحدد الأماكن التي اعتقدت روبن أنها قد تكون ذات أهمية للتحقيق.

بلمحة سريعة إلى الباب الأمامي الذي لا يزال مغلقًا للمنزل الذي كان يراقبه، فتح سترايك الكتاب وقرأ صفحتين بسرعة، ناظرًا للأعلى بانتظام للتحقق من أن المدير التنفيذي لم يخرج بعد.

الفصل الأول، الذي لم تضع روبن علامة عليه، لكن سترايك تصفحه على أية حال، تناول بإيجاز طفولة ومراهقة مارغو. ولعدم قدرته على الوصول إلى أي شخص لديه ذكريات واضحة بشكل خاص عن موضوعه، اضطر أوكدن للاعتماد على العموميات، والافتراضات والكثير من الحشو. وهكذا علم سترايك أن مارغو بامبورو *"كانت لتحلم بترك الفقر وراءها"* ، و*"كانت لتنجرف في الأجواء الصاخبة لستينيات القرن الماضي"* و*"كانت لتكون على دراية بإمكانيات الجنس الخالي من العواقب التي توفرها حبوب منع الحمل"*. تم تعزيز عدد الكلمات بمعلومات تفيد بأن التنورة القصيرة قد نالت شعبيتها بفضل ماري كوانت، وأن لندن كانت قلب مشهد موسيقي مزدهر وأن فرقة البيتلز ظهرت في برنامج إد سوليفان في أمريكا في الوقت الذي تزامن مع عيد ميلاد مارغو التاسع عشر. *"كانت مارغو لتكون متحمسة للإمكانيات المتاحة للطبقات العاملة في هذا العصر الجديد القائم على المساواة،"* كما أبلغ سي. بي. أوكدين قراءه.

الفصل الثاني مهد لوصول مارغو إلى نادي بلاي بوي، وهنا، اختفى الشعور بالتكلف الذي طغى على الفصل السابق. من الواضح أن سي. بي. أوكدين وجد في "مارغو فتاة الليل" موضوعًا أكثر إلهامًا بكثير من "مارغو الطفلة"، وخصص العديد من الفقرات لشعور الحرية والتحرر الذي كانت لتشعر به عند ربط مشد زي الأرنب الخاص بها بإحكام، ووضع آذان مستعارة وحشو أكواب زيها بحكمة لضمان ظهور ثدييها بامتلاء كافٍ لإرضاء مطالب صاحب عملها الصارمة.

بعد كتابته للكتاب بعد أحد عشر عامًا من اختفائها، تمكن أوكدين من تعقب اثنتين من فتيات الأرنب اللواتي تذكرن مارغو. "باني ليزا"، المتزوجة الآن ولديها طفلان، استرجعت ذكريات "الضحك الجيد" معها، وكونها "محطمة" بسبب اختفائها. "باني ريتا"، التي تدير شركتها الخاصة للتسويق، قالت إنها كانت "ذكية حقًا، ومن الواضح أنها ستذهب بعيدًا"، واعتبرت أنه "لابد أن الأمر كان فظيعًا لعائلتها المسكينة".

ألقى سترايك نظرة أخرى على واجهة المنزل الذي اختفى فيه المدير التنفيذي. لا أثر له بعد. عاد سترايك الضجر إلى سي. بي. أوكدين، وتخطى الصفحات ليصل إلى أول مكان وضعت عليه روبن علامة باعتباره مهمًا.

...بعد فترتها الناجحة في نادي بلاي بوي، وجدت مارغو اللعوب والمغازلة صعوبة في التكيف مع حياة الطبيب العام. موظف واحد على الأقل في عيادة سانت جون يقول إن أسلوبها كان في غير محله في بيئة غرفة الاستشارات.

"لم تبقهم على مسافة مناسبة، كانت تلك هي المشكلة. لم تكن من خلفية بها الكثير من الأشخاص المهنيين. يجب على الطبيب أن يرفع نفسه فوق المرضى.

"أوصت بذلك الكتاب، متعة الجنس، لامرأة ذهبت لرؤيتها. سمعت الناس في غرفة الانتظار يتحدثون عنه، بعد ذلك. يضحكون، كما تعلم. لا ينبغي لطبيب أن يخبر الناس بقراءة أشياء كهذه. إنه يعكس صورة سيئة على العيادة بأكملها. شعرت بالحرج لأجلها.

"الشاب الذي كان مولعًا بها، الذي ظل يعود لرؤيتها، ويشتري لها الشوكولاتة وما إلى ذلك – إذا كانت تخبر الناس عن وضعيات جنسية مختلفة، يمكنك أن ترى كيف حصل الرجال على الفكرة الخاطئة، أليس كذلك؟"...

تلا ذلك عدة فقرات من الواضح أنها نُسخت من الصحافة، تغطي انتحار صديقة ستيف دوثويت السابقة المتزوجة، وهروبه المفاجئ من وظيفته وحقيقة أن لوسون أعاد استجوابه عدة مرات. مستغلاً مادته الضئيلة إلى أقصى حد، تمكن أوكدين من الإيحاء بأن دوثويت كان في أحسن الأحوال سيئ السمعة، وفي أسوأ الأحوال، خطيرًا: متشرد طائش وزير نساء عديم المبادئ، في محيطه اعتادت النساء على الموت أو الاختفاء.

لذا، وبشخرة خفيفة من التسلية المفاجئة، قرأ سترايك الكلمات:

... مطلقًا على نفسه الآن اسم ستيفي جاكس، يعمل دوثويت حاليًا في مخيم عطلات «بوتلينز» في كلاكتون أون سي –

بعد إلقاء نظرة سريعة للأعلى مرة أخرى للتحقق من أن المدير التنفيذي لم يخرج بعد، تابع سترايك القراءة:

حيث يدير الفعاليات للمخيمين نهارًا ويؤدي في الكباريه ليلاً. أغنيته "لونغفيلو سيريناد" تحقق نجاحًا خاصًا مع السيدات. دوثويت/جاكس ذو الشعر الداكن لا يزال رجلاً وسيمًا، ومن الواضح أنه محبوب من المخيمات الإناث.

"لطالما أحببت الغناء"، يخبرني في البار بعد العرض. "كنت في فرقة عندما كنت أصغر سنًا لكنها تفككت. جئت إلى بوتلينز مرة عندما كنت طفلاً، مع عائلتي بالتبني. اعتقدت دائمًا أنه يبدو ممتعًا، أن تكون ريدكوت (صاحب المعطف الأحمر – موظف ترفيه). الكثير من الفنانين الكبار بدؤوا هنا، كما تعلم."

عندما يتحول الحديث إلى مارغو بامبورو، يظهر جانب مختلف تمامًا لهذا المغني الوقح في الكباريه.

"كتبت الصحافة حمولة من الهراء. لم أشتري لها شوكولاتة أو أي شيء آخر أبدًا، كان ذلك مجرد اختلاق لجعلي أبدو كنوع من المريبين. كان لدي قرحة في المعدة وصداع. كنت أمر بوقت عصيب."

بعد رفضه شرح سبب تغيير اسمه، غادر دوثويت البار.

عبّر زملاؤه في مخيم العطلات عن صدمتهم من أن "ستيفي" قد تم استجوابه من قبل الشرطة بشأن اختفاء الطبيبة الشابة.

"لم يخبرنا بأي شيء عن ذلك أبدًا"، قالت جولي ويلكس، 22 عامًا. "أنا مصدومة تمامًا، في الواقع. تظن أنه كان سيخبرنا. لم يقل أبدًا إن «جاكس» ليس اسمه الحقيقي أيضًا."

أمتع أوكدين قراءه بتاريخ موجز لـ "بوتلينز"، وأنهى الفصل بفقرة من التكهنات حول الفرص التي قد يجدها رجل مفترس في مخيم للعطلات.

أشعل سترايك سيجارة أخرى، ثم انتقل إلى العلامة الثانية لروبن، حيث تناول مقطع قصير جول بايليس، زوج عاملة النظافة التي تحولت إلى أخصائية اجتماعية، ويلما. المعلومة الجديدة الوحيدة هنا هي أن المغتصب المدان بايليس قد أُطلق سراحه بكفالة في يناير 1975، أي بعد ثلاثة أشهر كاملة من اختفاء مارغو. ومع ذلك، أكد أوكدين أن بايليس *"كان ليعلم"* بحقيقة أن مارغو كانت تحاول إقناع زوجته بتركه، و*"كان ليغضب من أن الطبيبة كانت تضغط على زوجته لتفكيك الأسرة"* و*"كان ليكون لديه العديد من الارتباطات الإجرامية في مجتمعه الخاص"*. أبلغ أوكدين قراءه أن الشرطة *"كانت لتنظر بعناية في تحركات أي من أصدقاء بايليس أو أقاربه في الحادي عشر من أكتوبر، لذا يجب أن نستنتج،"* وأنهى كلامه بشكل مخيب للآمال، *"أنه لم يتم الكشف عن أي نشاط مشبوه."*

وضعت علامة روبن الثالثة على الصفحات التي تتناول الإجهاض في "دار برايد ستريت للتمريض". مهد أوكدين لهذا الجزء من قصته بضجة كبيرة، مخبرًا قراءه بأنه على وشك الكشف عن حقائق لم تُعلن من قبل.

ما تلا ذلك كان مثيرًا للاهتمام لسترايك فقط بقدر ما أثبت أن عملية إجهاض قد تمت بالتأكيد في الرابع عشر من سبتمبر 1974، وأن الاسم الذي قدمته المريضة كان مارغو بامبورو. وكدليل، أعاد أوكدين طباعة صور لسجلات "برايد ستريت" الطبية التي قدمها موظف مجهول في دار التمريض، التي أغلقت أبوابها في عام 1978. افترض سترايك أن الموظف المجهول لم يعد يخشى على وظيفته عندما جاء أوكدين يعرض المال مقابل المعلومات في الثمانينيات. أخبر الموظف المجهول أوكدين أيضًا أن المرأة التي خضعت للإجراء لم تكن تشبه صورة مارغو التي ظهرت لاحقًا في الصحف.

ثم طرح أوكدين سلسلة من الأسئلة البلاغية التي بدا أنه وناشروه المتهورون يعتقدون أنها تتحايل على قوانين التشهير. هل كان من الممكن أن

المرأة التي خضعت للإجهاض استخدمت اسم مارغو بدعمها وموافقتها؟ وفي هذه الحالة، من هي الشخصية التي كانت مارغو أكثر حرصًا على مساعدتها؟ أليس من المرجح أن تكون كاثوليكية رومانية قلقة بشكل خاص بشأن اكتشاف أي شخص أنها أجرت عملية إجهاض؟ ألم يكن الحال أيضًا أن مضاعفات يمكن أن تنشأ عن مثل هذا الإجراء؟ هل يُعقل أن مارغو عادت إلى محيط دار برايد ستريت للتمريض في الحادي عشر من أكتوبر لزيارة شخص أعيد إدخاله إلى العيادة؟ أو لطلب المشورة نيابة عن ذلك الشخص؟ هل كان من الممكن أن تكون مارغو قد اختُطفت، ليس من كليركينويل، بل على بعد شارع أو اثنين من قبو دينيس كريد؟

أجاب سترايك ذهنيًا: *لا، وأنت استحققت أن يُفرم كتابك يا صاح.* سلسلة الأحداث التي اقترحها أوكدين قد جُمعت بوضوح في محاولة مصممة لوضع مارغو في محيط قبو كريد في الليلة التي اختفت فيها.

كانت "المضاعفات" ضرورية لتفسير عودة مارغو إلى دار التمريض بعد شهر من الإجهاض، لكن لا يمكن أن تكون لمارغو نفسها، نظرًا لأنها كانت بصحة جيدة وتعمل في عيادة سانت جون طوال الطريق حتى اختفائها. بمجرد نسبها لأفضل صديقة، ومع ذلك، فإن "المضاعفات" غير المحددة يمكن أن تخدم غرضين: إعطاء مارغو سببًا للعودة إلى العيادة لزيارة أونا، وإعطاء أونا سببًا للكذب بشأن مكان وجود المرأتين في تلك الليلة. في المجمل، اعتبر سترايك أوكدين محظوظًا لعدم مقاضاته (بشكل مدمر)، وخمن أن الخوف من الدعاية الناتجة هو كل ما منع روي وأونا.

انتقل إلى علامة روبن الرابعة، وبعد التحقق مرة أخرى من أن الباب الأمامي للمنزل الذي يراقبه ظل مغلقًا، قرأ المقطع المحدد التالي.

"رأيتها بوضوح كما أراك الآن. كانت تقف عند تلك النافذة، تطرق عليها، كما لو كانت تريد جذب الانتباه. أتذكر بشكل خاص، لأنني كنت أقرأ «الجانب الآخر من منتصف الليل» في ذلك الوقت وكنت أفكر فقط في النساء وما يمررن به، كما تعلم، ونظرت للأعلى ورأيتها.

"إذا أغمضت عيني، فهي هناك، إنها مثل لقطة في رأسي وقد طاردتني منذ ذلك الحين، لنكون صادقين. قال لي الناس منذ ذلك الحين، «أنتِ تختلقين الأمر» أو «عليكِ التخلي عن ذلك»، لكنني لن أغير قصتي لمجرد أن الآخرين لا يصدقونها. ماذا سيجعلني ذلك؟"

المطبعة الصغيرة التي كانت تشغل الطابق العلوي من المبنى آنذاك كان يديرها فريق الزوج والزوجة أرنولد وراشيل سوير. قبلت الشرطة تأكيدهما بأن مارغو بامبورو لم تطأ قدمها المبنى قط، وأن المرأة التي رأتها ماندي في تلك الليلة كانت على الأرجح السيدة سوير نفسها، التي ادعت أن إحدى النوافذ تحتاج للضرب لتغلق بشكل صحيح.

ومع ذلك، فإن صلة غريبة بين «إيه آند آر» للطباعة ومارغو بامبورو مرت دون أن تلاحظها الشرطة. أول وظيفة طباعة كبيرة لـ «إيه آند آر» كانت لنادي «درادج» الليلي المغلق الآن – وهو نفس النادي الذي صمم له بول ساتشويل، عشيق مارغو، جدارية جريئة. ظهرت تصميمات ساتشويل لاحقًا على منشورات طبعتها «إيه آند آر» للطباعة، لذا فمن المرجح أنه وآل سوير كانوا على اتصال ببعضهم البعض.

هل يمكن أن يشير هذا إلى...

تمتم سترايك: "بحق الجحيم"، وهو يقلب الصفحة وينزل بعينيه إلى فقرة موجزة وضعت روبن تحتها خطًا أسود سميكًا.

... ومع ذلك، يعتقد الجار السابق واين ترو لاف أن بول ساتشويل ذهب لاحقًا إلى الخارج.

"تحدث معي عن الذهاب للسفر. لا أعتقد أنه كان يجني الكثير من المال من فنه وبعد أن استجوبته الشرطة، أخبرني أنه يفكر في الابتعاد قليلاً. ربما كان ذكيًا، بالذهاب بعيدًا."

جاءت علامة روبن الخامسة والأخيرة قرب نهاية الكتاب، وبعد التحقق مرة أخرى من أن سيارة المدير التنفيذي كانت متوقفة حيث تركها، وأن الباب الأمامي للمنزل لم يفتح، قرأ سترايك:

... بعد شهر من اختفاء مارغو، زار زوجها روي عيادة سانت جون. روي، الذي لم يتمكن من إخفاء مزاجه السيئ في حفل شواء العيادة في ذلك الصيف، كان هادئًا بشكل غير مفاجئ في هذه الزيارة.

تتذكر دوروثي: "أراد التحدث إلينا جميعًا، ليشكرنا على التعاون مع الشرطة. بدا مريضًا. ليس مفاجئًا.

"كنا قد وضعنا متعلقاتها الشخصية في صناديق لأننا أحضرنا طبيبًا بديلًا يعمل من غرفتها. كانت الشرطة قد فتشتها بالفعل. جمعنا متعلقاتها الشخصية معًا. كان هناك كريم لليدين وشهادة تخرجها المؤطرة وصورة له، روي، يحمل ابنتهما. نظر عبر الصندوق وتأثر قليلاً، لكن بعد ذلك التقط هذا الشيء الذي كان لديها على مكتبها. كان واحدًا من تلك التماثيل الخشبية الصغيرة، مثل فايكينغ. قال: «من أين جاء هذا؟ من أين حصلت على هذا؟» لم يعرف أي منا، لكنني اعتقدت أنه بدا منزعجًا منه.

"ربما ظن أن رجلاً أهداها إياه. بالطبع، كانت الشرطة تبحث في حياتها العاطفية بحلول ذلك الوقت. شيء فظيع، ألا تكون قادرًا على الوثوق بزوجتك."

نظر سترايك للأعلى مرة أخرى إلى المنزل، ولم يرَ أي تغيير، وانتقل إلى نهاية الكتاب، الذي خُتم بدفعة أخيرة من التكهنات، والافتراضات والنظريات نصف المطهية. من ناحية، ألمح أوكدين إلى أن مارغو جلبت المأساة لنفسها، وأن القدر عاقبها لكونها جنسية للغاية وجريئة للغاية، ولحشر نفسها في مشد وآذان أرنب، ولرفع نفسها بغرور خارج الطبقة التي ولدت فيها. ومن ناحية أخرى، بدا أنها عاشت حياتها محاطة بقتلة محتملين. لم ينجُ أي رجل ارتبط بمارغو من شكوك أوكدين، سواء كان "ستيفي دوثويت-الذي-أصبح-جاكس الساحر ولكن الطائش"، أو "أخصائي الدم المتسلط روي فيبس"، أو "المغتصب الحاقد جول بايليس"، أو "زير النساء حاد المزاج بول ساتشويل" أو "وحش الجنس سيئ السمعة دينيس كريد".

كان سترايك على وشك إغلاق الكتاب عندما لاحظ خطًا من حواف الصفحات الداكنة في المنتصف، مما يشير إلى وجود صور فوتوغرافية، ففتحه مرة أخرى.

بخلاف الصورة الصحفية المألوفة وصورة مارغو وأونا في أزياء الأرنب الخاصة بهما – أونا ممتلئة القوام وتبتسم ابتسامة عريضة، ومارغو ممشوقة القامة، بسحابة من الشعر الفاتح – لم يكن هناك سوى ثلاث صور. كانت جميعها رديئة الجودة وتضمنت مارغو بشكل عرضي فقط.

كان التعليق على الأولى: *"المؤلف، ووالدته ومارغو"* . بفك مربع، وشعر رمادي حديدي، ونظارة مجنحة، وقفت دوروثي أوكدين تواجه الكاميرا وذراعها حول صبي نحيل ذي وجه منمش بقصة شعر "بايج بوي"، كان قد عقد وجهه في تكشيرة شوهت ملامحه. تذكر سترايك لوك، ابن أخته الأكبر. خلف آل أوكدين كان هناك امتداد طويل من العشب المخطط، وفي المسافة، منزل مترامي الأطراف بالعديد من الجملونات المدببة. بدت أشياء تبرز من العشب بالقرب من المنزل: عند الفحص الدقيق، استنتج سترايك أنها كانت بدايات جدران أو أعمدة: بدا وكأن منزلاً صيفيًا كان قيد الإنشاء.

تمشي عبر العشب خلف دوروثي وكارل، غير مدركة أنه يتم تصويرها، كانت مارغو بامبورو، حافية القدمين، ترتدي شورتًا من الجينز وقميصًا (تي شيرت)، تحمل طبقًا وتبتسم لشخص ما خارج اللقطة. استنتج سترايك أن هذه الصورة التقطت في حفل شواء الموظفين الذي نظمته مارغو. كان منزل فيبس بالتأكيد أفخم مما تخيل.

بعد النظر للأعلى مرة أخرى للتحقق من أن سيارة المدير التنفيذي ظلت متوقفة حيث تركها، انتقل سترايك إلى آخر صورتين، وكلتاهما تضمنت حفلة عيد الميلاد في عيادة سانت جون.

كانت الزينة اللامعة قد دُليت فوق مكتب الاستقبال وتم إخلاء غرفة الانتظار من الكراسي، التي كدست في الزوايا. بحث سترايك عن مارغو في كلتا الصورتين ووجدها، الطفلة آنا بين ذراعيها، تتحدث إلى امرأة سوداء طويلة افترض

أنها ويلما بايليس. في زاوية الصورة كانت هناك امرأة نحيلة، مستديرة العينين بشعر بني مصفف على شكل ريش، اعتقد سترايك أنها قد تكون جانيس الشابة.

في الصورة الثانية، كانت جميع الرؤوس متجهة بعيدًا عن الكاميرا أو محجوبة جزئيًا، باستثناء واحد. رجل أكبر سنًا هزيل، غير مبتسم يرتدي بدلة، بشعر مملس للخلف، كان الشخص الوحيد الذي بدا أنه قد تم تنبيهه بأن الصورة على وشك الالتقاط. حول الفلاش عينيه إلى اللون الأحمر. كان التعليق على الصورة *"مارغو والدكتور جوزيف برينر"*، رغم أن الجزء الخلفي فقط من رأس مارغو كان مرئيًا.

في زاوية هذه الصورة كان هناك ثلاثة رجال، يبدو من معاطفهم وستراتهم أنهم وصلوا للتو إلى الحفلة. شكل سواد ملابسهم كتلة صلبة من الأسود على الجانب الأيمن من الصورة. كانوا جميعًا يولون ظهورهم للكاميرا، لكن الأضخم بينهم، الذي كان وجهه متجهًا قليلاً لليسار، أظهر سوالف سوداء طويلة، وأذنًا كبيرة، وطرف أنف لحمي وعينًا متدلية. كانت يده اليسرى مرفوعة في وضع حك وجهه. كان يرتدي خاتمًا ذهبيًا كبيرًا عليه رأس أسد.

فحص سترايك هذه الصورة حتى جعلته ضوضاء في الشارع ينظر للأعلى. كان المدير التنفيذي (SB) قد خرج للتو من المنزل. كانت شقراء ممتلئة ترتدي خفًا منزليًا تقف على ممسحة الأرجل الخاصة بها. رفعت يدًا وربتت على رأس المدير التنفيذي بلطف، كما قد تداعب طفلاً أو كلبًا. مبتسمًا، ودعها المدير التنفيذي، ثم استدار وسار عائدًا نحو سيارته المرسيدس.

ألقى سترايك نسخة *ماذا حدث لمارغو بامبورو؟* على مقعد الراكب. منتظرًا خروج المدير التنفيذي إلى الطريق، انطلق في المطاردة.

بعد خمس دقائق أو نحو ذلك، أصبح من الواضح أن طريدته كانت تقود عائدة إلى منزله في ويست برومبتون. بيد واحدة على عجلة القيادة، تحسس سترايك هاتفه المحمول، ثم ضغط رقم صديق قديم.

ذهبت المكالمة مباشرة إلى البريد الصوتي.

– "شانكر، هذا بونسن. أحتاج للتحدث إليك بشأن شيء ما. أعلمني متى يمكنني أن أشتري لك كأسًا."

26

كلهم كانوا فرسانًا حسان الطلعة، بهيي المنظر،
لكن لـ "بريتومارت" الحسناء، لم يكونوا سوى أطياف.
إدموند سبنسر ملكة الجن

مع خمس قضايا نشطة في سجلات الوكالة، وأربعة أيام فقط متبقية حتى الكريسماس، استسلم اثنان من المتعاقدين من الباطن في الوكالة للإنفلونزا الموسمية. سقط موريس أولاً: ألقى باللوم على حضانة ابنته، حيث اجتاح الفيروس مثل النار في الهشيم الأطفال والآباء على حد سواء. استمر في العمل حتى أجبرته درجة حرارة مرتفعة وآلام المفاصل على الاتصال للاعتذار، وبحلول ذلك الوقت كان قد تمكن من نقل العدوى إلى باركلي الغاضب، الذي بدوره نقلها إلى زوجته وابنته الصغيرة.

هتف باركلي بصوت مبحوح عبر الهاتف لـ سترايك في وقت مبكر من صباح العشرين من ديسمبر، بينما كان سترايك يفتح المكتب:

– "كان يجب على الأحمق الغبي البقاء في المنزل بدلاً من التنفس في وجهي في السيارة."

كان من المقرر عقد آخر اجتماع كامل للفريق قبل الكريسماس في الساعة العاشرة، لكن نظرًا لأن اثنين من الفريق أصبحا الآن غير قادرين على الحضور، قرر سترايك إلغاءه. الشخص الوحيد الذي لم يتمكن من الوصول إليه هو روبن، التي افترض أنها في المترو. كان سترايك قد طلب منها القدوم مبكرًا ليتمكنا من اللحاق بمستجدات قضية بامبورو قبل وصول أي شخص آخر.

نعب باركلي بصوت أجش، بينما كان سترايك يضع الغلاية:

– "من المفترض أن نطير إلى غلاسكو غدًا. الطفلة تتألم بشدة من أذنيها –" قال سترايك، الذي كان يشعر هو نفسه بتوعك، بلا شك بسبب التعب، وكثرة التدخين:

– "أجل. حسنًا، أتمنى لك الشفاء وعد متى استطعت."

دمدم باركلي:

– "وغد. أقصد موريس. ليس أنت. كريسماس لعين سعيد."

محاولاً إقناع نفسه بأنه يتخيل الدغدغة في حلقه، واللزوجة الخفيفة في ظهره والألم خلف عينيه، صنع سترايك لنفسه كوبًا من الشاي، ثم انتقل إلى المكتب الداخلي ورفع الستائر. كانت الرياح والأمطار الغزيرة تجعل أضواء الكريسماس المعلقة عبر شارع دنمارك تتأرجح على كابلاتها. تمامًا كما فعلت في الصباحات الخمسة السابقة، ذكرت الزينة سترايك بأنه لم يبدأ بعد في تسوق الكريسماس. جلس على جانبه المعتاد من "مكتب الشركاء"، مدركًا أنه ترك المهمة لوقت متأخر جدًا لدرجة أنه سيضطر لتنفيذها في غضون ساعتين، مما يلغي على الأقل المقدمة المملة للتفكير بعناية فيما قد يعجب أي شخص. كان المطر يضرب النافذة خلفه. كان يود العودة إلى الفراش.

سمع الباب الزجاجي يفتح ويغلق.

نادت روبن من المكتب الخارجي:

– "صباح الخير. الجو فظيع بالخارج."

رد سترايك:

– "صباح الخير. الغلاية غلت للتو واجتماع الفريق ألغي. باركلي سقط مريضًا بالإنفلونزا أيضًا."

قالت روبن:

– "تبًا. كيف تشعر أنت؟"

قال سترايك، وهو يفرز الآن ملاحظات بامبورو المختلفة الخاصة به:

– "بخير."

لكن عندما دخلت روبن المكتب الداخلي، حاملة الشاي في يد ومفكرتها في اليد الأخرى، لم تعتقد أن سترايك يبدو بخير على الإطلاق. كان شاحبًا أكثر من المعتاد، وجبهته بدت لامعة وكانت هناك هالات رمادية حول عينيه. أغلقت باب المكتب وجلست قبالته دون التعليق.

تمتم سترايك:

– "لا جدوى كبيرة من اجتماع الفريق على أية حال. لا تقدم يذكر في أي من القضايا. «الراقص» نظيف. أسوأ ما يمكنك قوله عنه هو أنه معها من أجل المال، لكن والدها عرف ذلك من البداية. حبيبة «المزدوج» لا تخون ووحده المسيح يعلم ما يمسكه «المراوغ» على المدير التنفيذي (SB). هل رأيتِ رسالتي الإلكترونية بخصوص الشقراء في ستوك نيوينغتون؟"

قالت روبن، التي كان وجهها متوردًا بشدة بسبب الطقس العاصف، وهي تحاول تمشيط شعرها بأصابعها لجعله يبدو مرتبًا نوعًا ما:

– "نعم. ألم يظهر شيء بخصوص العنوان؟"

– "لا. إذا كان علي التخمين، سأقول إنها قريبة. ربتت على رأسه وهو يغادر."

اقترحت روبن:

– "عشيقة متسلطة (دوميناتريكس)؟"

لم يكن هناك الكثير مما لم تتعلمه عن انحرافات الرجال الأقوياء منذ انضمامها للوكالة.

– "خطر ببالي، لكن الطريقة التي ودعها بها... بدوا... مرتاحين لبعضهما. لكن ليس لديه أخت وبدت أصغر منه سنًا. هل يربت أبناء العمومة على رؤوس بعضهم البعض؟"

– "حسنًا، ليلة الأحد توقيت خاطئ تمامًا لمستشارة عادية أو معالجة، لكن التربيت شبه أبوي... مدربة حياة؟ وسيطة روحية؟"

قال سترايك وهو يمسد ذقنه:

– "تلك فكرة. المساهمون لن يعجبهم إذا كان يتخذ قرارات تجارية بناءً على ما تخبره به قارئة طالعه في ستوك نيوينغتون. كنت سأضع موريس لمراقبة المرأة خلال الكريسماس، لكنه خارج الخدمة، وهاتشينز مع فتاة المزدوج ومن المفترض أن أغادر إلى كورنوال بعد غد. متى ستذهبين إلى ماشام – الثلاثاء؟"

قالت روبن، وبدا عليها القلق:

– "لا. غدًا – السبت. لقد ناقشنا هذا في سبتمبر، أتتذكر؟ بادلت مع موريس لأتمكن من –"

كذب سترايك:

– "أجل، أجل، أتذكر."

كان رأسه قد بدأ ينبض بالألم، والشاي لم يجعل حلقه يشعر براحة أكبر.

– "لا مشكلة."

لكن هذا، بالطبع، يعني أنه إذا كان سيعطي روبن هدية كريسماس، فسيتعين عليه شراؤها وإيصالها لها بحلول نهاية اليوم.

قالت روبن:

– "كنت سأحاول الحصول على قطار متأخر، لكن بوضوح، مع كونه الكريسماس –"

قال بفظاظة:

– "لا، أنتِ تستحقين إجازة. لا ينبغي أن تعملي لمجرد أن أولئك الأوغاد المهملين أصيبوا بالإنفلونزا."

قالت روبن، التي كان لديها شك قوي بأن باركلي وموريس لم يكونا الوحيدين في الوكالة المصابين بالإنفلونزا:

– "هل تريد المزيد من الشاي؟"

قال سترايك، شاعرًا باستياء غير مبرر تجاهها، لأنها، كما رأى، تجبره على الذهاب للتسوق:

– "ماذا؟ لا. وقضية «بوستكارد» فاشلة، ليس لدينا حرفيًا لا شـ–"

– "قد – قد – يكون لدي شيء عن «بوستكارد»."

قال سترايك مندهشًا:

– "ماذا؟"

– "تلقى خبير الأرصاد الجوية بطاقة بريدية أخرى أمس، أرسلت إلى استوديو التلفزيون. إنها الرابعة التي تم شراؤها من متجر «معرض اللوحات القومي»، وعليها رسالة غريبة."

أخرجت البطاقة البريدية من حقيبتها وناولتها عبر المكتب لسترايك. كانت الصورة على المقدمة نسخة من صورة ذاتية لـ جوشوا رينولدز، ويده تظلل عينيه في الوضعية النمطية لشخص يحدق في شيء غير واضح. على الظهر كان مكتوبًا:

آمل أن أكون مخطئًا، لكنني أعتقد أنك أرسلت شخصًا إلى مكان عملي، يحمل بعض رسائلي. هل سمحت لشخص آخر برؤيتها؟ آمل حقًا ألا تكون قد فعلت. هل كنت تحاول إخافتي؟ تتصرف وكأنك لطيف جدًا ومتواضع، بلا تكلف أو تصنع. كنت لأعتقد أن لديك اللياقة لتأتي بنفسك إذا كان لديك شيء لتقوله لي. إذا لم تفهم هذا، فتجاهله.

نظر سترايك إلى روبن.

– "هل هذا يعني...؟"

شرحت روبن أنها اشترت نفس البطاقات الثلاث التي أرسلها "بوستكارد" سابقًا من متجر المعرض، ثم تجولت في غرف المعرض العديدة، ممسكة بالبطاقات بحيث تكون مرئية لجميع المرشدين الذين مرت بهم، حتى بدت امرأة تشبه البومة بنظارات سميكة العدسات وكأنها تفاعلت عند رؤيتها، واختفت عبر باب كتب عليه "للموظفين فقط".

قالت روبن:

– "لم أخبرك في ذلك الوقت، لأنني ظننت أنني ربما تخيلت الأمر، وكانت تبدو أيضًا تمامًا كنوع الشخص الذي تخيلت أن يكون «بوستكارد»، لذا كنت قلقة من أنني أفعل مثل تالبوت، أطارد حدسي المجنون."

– "لكنك لست مجنونة، أليس كذلك؟ كانت تلك فكرة جيدة بحق الجحيم، الذهاب إلى المتجر، وهذا،" لوح ببطاقة رينولدز، "يوحي بأنكِ أصبتِ الهدف من الرمية الأولى."

قالت روبن، محاولة ألا تظهر مدى السعادة التي منحها إياها ثناء سترايك:

– "لم أتمكن من الحصول على صورة لها، لكنها كانت في الغرفة 8 ويمكنني وصفها. نظارات كبيرة، أقصر مني، شعر بني كثيف، قصة كاريه (بوب)، ربما في الأربعينيات."

دون سترايك الوصف.

قال:

– "قد أذهب إلى هناك بنفسي قبل أن أتوجه إلى كورنوال. حسنًا، لنتابع مع بامبورو."

لكن قبل أن يتمكن أي منهما من قول كلمة أخرى، رن الهاتف في المكتب الخارجي. سعيدًا بوجود شيء يشتكي منه، نظر سترايك إلى ساعته، ورفع نفسه واقفًا وقال:

– "إنها التاسعة، يجب أن تكون بات –"

لكن حتى وهو يقول ذلك، سمع كلاهما الباب الزجاجي يفتح، وخطوات بات غير المستعجلة ثم، بصوتها الأجش المعتاد:

– "وكالة كورموران سترايك للتحقيقات."

حاولت روبن ألا تبتسم بينما تهاوى سترايك عائدًا إلى كرسيه. كان هناك طرق على الباب، وأطلت بات برأسها للداخل.

– "صباح الخير . لدي غريغوري تالبوت على الخط لأجلك."

قال سترايك:

– "حوليه." وأضاف، ملاحظًا نظرة قتالية في عين بات، "من فضلك. وأغلقي الباب."

فعلت ذلك. بعد لحظة، رن الهاتف على مكتب الشركاء وحوله سترايك إلى مكبر الصوت.

– "مرحبًا، غريغوري، سترايك معك."

قال غريغوري، الذي بدا صوته قلقًا:

– "نعم، مرحبًا."

– "ماذا يمكنني أن أفعل لك؟"

– "آه، حسنًا، هل تذكر كيف كنا ننظف العلية؟"

– "نعم."

– "حسنًا، بالأمس قمت بفك صندوق قديم، ووجدت شيئًا مخبأً تحت شهادات تقدير أبي وزيه الرسمي –"

قال صوت أنثوي متذمر في الخلفية:

– "ليس مخبأً."

قال غريغوري:

– "لم أكن أعرف أنه هناك. والآن أمي –"

قالت المرأة في الخلفية:

– "دعني أتحدث إليه."

قال غريغوري، وبدا عليه السخط:

– "أمي تود التحدث إليك."

حل صوت أنثوي مسن ومتحدٍ محل صوت غريغوري.

– "هل هذا السيد سترايك؟"

– "بشحمه ولحمه."

– "غريغوري أخبرك بكل شيء عن كيفية معاملة الشرطة لـ بيل في النهاية؟"

– "نعم."

– "كان بإمكانه الاستمرار في العمل بمجرد حصوله على علاج لغدته الدرقية، لكنهم لم يسمحوا له. أعطاهم كل شيء، القوة كانت حياته. غريغ يقول إنه أعطاك ملاحظات بيل؟"

– "هذا صحيح."

– "حسنًا، بعد وفاة بيل وجدت هذه العلبة في صندوق في السقيفة وكان عليها علامة كريد – لقد قرأت الملاحظات، أنت تعلم أن بيل استخدم رمزًا خاصًا لكريد؟"

– "نعم."

– "لم أستطع أخذ كل شيء معي إلى السكن المحمي، إنهم لا يعطونك مساحة تخزين تذكر، لذا وضعتها في الصناديق لتذهب إلى علية غريغ وأليس. نسيت تمامًا أنها كانت هناك حتى بدأ غريغ في البحث في أغراض والده أمس. لقد أوضحت الشرطة تمامًا أنهم غير مهتمين بنظريات بيل، لكن غريغ يقول إنك مهتم، لذا يجب أن تأخذها."

عاد غريغوري إلى الخط. سمعا حركة بدت تشير إلى أن غريغوري يبتعد عن والدته. أغلق باب.

أخبر سترايك، وفمه قريب من السماعة:

– "إنها علبة معدنية تحتوي على بكرة فيلم قديم 16 ملم. أمي لا تعرف ما عليها. ليس لدي كاميرا لتشغيله، لكنني رفعت جزءًا منه للضوء و... يبدو كفيلم إباحي. كنت قلقًا بشأن وضعه لجامعي القمامة –"

بالنظر إلى أن عائلة تالبوت تكفل أطفالاً، فهم سترايك مخاوفه.

– "إذا أعطيناه لك – أتساءل –"

قال سترايك، وعيناه على عيني روبن:

– "تفضل ألا نقول من أين حصلنا عليه؟ لا أرى سببًا لحاجتنا لقول ذلك."

لاحظت روبن أنه لم يعد، لكن غريغوري بدا سعيدًا.

قال:

– "سأمر لأتركه إذن. أنا قادم إلى الويست إند بعد ظهر اليوم. سأخذ التوأمين لرؤية «بابا نويل»."

عندما أنهى غريغوري المكالمة، قال سترايك:

– "هل تلاحظين أن عائلة تالبوت لا تزال مقتنعة، بعد أربعين عامًا –"

رن الهاتف في المكتب الخارجي مرة أخرى.

– "– بأن مارغو قُتلت على يد كريد؟ أعتقد أنني أعرف ما سيكون الرمز الموجود على علبة الفيلم هذه، لأن –"

طرقت بات باب المكتب الداخلي.

تمتم سترايك: "بحق الجحيم"، وحلقه بدأ يحترق. "ماذا؟"

قالت بات ببرود:

– "يا للظرافة. هناك سيد شانكر على الخط لأجلك. تم تحويل المكالمة من هاتفك المحمول. يقول إنك أردت –"

قال سترايك:

– "أجل، أردت. حوليها مرة أخرى لهاتفي المحمول – من فضلك،" أضاف، وملتفتًا لروبن، قال: "آسف، هل يمكنك منحي لحظة؟"

غادرت روبن الغرفة، مغلقة الباب خلفها، وأخرج سترايك هاتفه المحمول.

– "شانكر، مرحبًا، شكرًا لمعاودة الاتصال بي."

هو وشانكر، الذي كان سيجد صعوبة في تذكر اسمه الحقيقي، يعرفان بعضهما البعض منذ أن كانا مراهقين. كانت حياتهما تسير في اتجاهات متعاكسة تمامًا حتى في ذلك الحين، سترايك متجهًا للجامعة والجيش والعمل كمحقق، وشانكر يتابع مسيرة إجرامية متزايدة العمق. ومع ذلك، استمر شعور غريب بالقرابة يجمعهما وكانا، في بعض الأحيان، مفيدين لبعضهما البعض، حيث يدفع سترايك لشانكر نقدًا مقابل معلومات أو خدمات لا يستطيع الحصول عليها بأي طريقة أخرى.

– "ما الأمر يا بونسن؟"

– "أردت أن أشتري لك كأسًا وأريك صورة."

– "أنا في منطقتك في وقت لاحق اليوم، كما يحدث. ذاهب إلى «هامليز». اشتريت دمية «مونستر هاي» اللعينة الخاطئة لـ زاهارا."

كل شيء باستثناء "هامليز" كان طلاسم بالنسبة لسترايك.

– "حسنًا، اتصل بي عندما تكون مستعدًا لتناول مشروب."

– "اتفقنا."

انقطع الخط. لم يكن شانكر يميل للاهتمام بالوداع.

عادت روبن حاملة كوبين طازجين من الشاي وأغلقت الباب بقدمها.

قال سترايك، وهو يمسح العرق عن شفته العليا بشرود:

– "آسف بشأن ذلك. ماذا كنت أقول؟"

– "أنك تعتقد أنك تعرف الرمز الموجود على علبة فيلم تالبوت القديم."

– "أوه، نعم. رمز الجدي (كابريكورن). لقد كنت أحاول فك شيفرة هذه الملاحظات،" أضاف، ناقرًا على دفتر الملاحظات المجلد بالجلد الجالس بجانبه، وأخذ يشرح لروبن الأسباب التي دفعت بيل تالبوت للاعتقاد بأن مارغو قد اختطفت من قبل رجل ولد تحت برج الماعز.

سألت روبن بعدم تصديق:

– "تالبوت كان يستبعد المشتبه بهم على أساس أنهم لم يكونوا من مواليد برج الجدي؟"

قال سترايك عابساً، وحلقه يحترق أسوأ من أي وقت مضى:

– "نعم. باستثناء أن روي فيبس من برج الجدي، وتالبوت استبعده أيضًا." أخذ رشفة من الشاي.

– "لماذا؟"

– "ما زلت أحاول فك شيفرة كل ذلك، لكن يبدو أنه كان يستخدم رمزًا غريبًا لفيبس لم أتمكن من تحديده في أي موقع فلكي حتى الآن.

"لكن الملاحظات تفسر سبب استمراره في استجواب جانيس. برجها هو السرطان. السرطان هو البرج «المقابل» للجدي ومواليد السرطان نفسانيون ولديهم حدس قوي، وفقًا لملاحظات تالبوت. استنتج تالبوت أنه، بصفتها من برج السرطان، كانت جانيس حليفته الطبيعية ضد بافوميت، وأنها قد تمتلك رؤى خارقة للطبيعة حول هوية بافوميت، ومن هنا جاءت مذكرات الأحلام.

"الأكثر أهمية في ذهنه كان أن زحل، حاكم الجدي –"

أخفت روبن ابتسامة خلف كوب الشاي الخاص بها. تعبير سترايك، وهو يشرح هذه الظواهر الفلكية، كان ليليق برجل طُلب منه أكل مأكولات بحرية عمرها أسابيع.

"– كان في السرطان في يوم اختفاء مارغو. من هذا، استنتج تالبوت أن جانيس كانت تعرف أو كان لها اتصال ببافوميت. ومن هنا جاء طلب قائمة بشركائها الجنسيين."

قالت روبن بهدوء:

– "واو."

– "أنا فقط أعطيكِ لمحة عن الجنون، لكن هناك الكثير غير ذلك. سأرسل لكِ النقاط المهمة عبر البريد الإلكتروني عندما أنتهي من فك شيفرتها. لكن المثير للاهتمام هو أن هناك تلميحات لمحقق حقيقي يحاول القتال من خلال مرضه.

"كانت لديه نفس الفكرة التي خطرت لي: أن مارغو ربما تم استدراجها إلى مكان ما بحجة أن شخصًا ما يحتاج إلى مساعدة طبية، رغم أنه يغلف كل ذلك بالهراء – كان هناك «ستيليوم» (تجمع كواكب) في البيت السادس، بيت الصحة، والذي قرر أنه يعني خطرًا مرتبطًا بالمرض."

– "ما هو الستيليوم؟"

– "مجموعة من أكثر من ثلاثة كواكب. تحققت الشرطة بالفعل من المرضى الذين رأتهم كثيرًا في الفترة التي سبقت الاختفاء. كان هناك دوثويت، بوضوح، وامرأة عجوز مخبولة في شارع «غوبسال»، كانت تستمر في الاتصال بالعيادة لتجد شيئًا تفعله، وعائلة عاشت في «هيربال هيل»، كان طفلها يعاني من رد فعل لتطعيم شلل الأطفال."

قالت روبن:

– "الأطباء يتصلون بالعديد من الناس."

– "أجل، وأعتقد أن هذا جزء مما ساء في هذه القضية. استوعب تالبوت كمية هائلة من المعلومات ولم يستطع رؤية ما يجب التخلص منه. من ناحية أخرى، احتمال استدراجها إلى منزل بحجة طبية، أو مهاجمتها من قبل مريض

غاضب ليس جنونيًا. الأطباء يمشون غير مصحوبين إلى منازل جميع أنواع الناس... وانظري إلى دوثويت. لوسون كان يفضله حقًا كخاطف أو قاتل لمارغو، وتالبوت كان مهتمًا به جدًا أيضًا. رغم أن دوثويت كان حوتًا، حاول تالبوت جعله جديًا. يقول إن «شميدت» يعتقد أن دوثويت جدي حقًا –"

– "من هو شميدت؟"

– "لا فكرة لدي، لكن هو أو هي موجود في كل الملاحظات، يصحح الأبراج."

قالت روبن بهدوء:

– "كل الفرص للحصول على أدلة فعلية ضاعت، بينما كان تالبوت يتحقق من أبراج الجميع."

– "بالضبط. كان ليكون الأمر مضحكًا لولا أنه خطير جدًا. لكن اهتمامه بدوثويت لا يزال ينضح بغريزة شرطي سليم. دوثويت يبدو مريبًا (Fishy) بشكل لعين بالنسبة لي أيضًا."

قالت روبن:

– "ها ها."

بدا سترايك غير فاهم.

ذكرته:

– "الحوت (Pisces - سمكة)."

قال سترايك دون ابتسامة:

– "أوه. نعم. قرأت ذلك الجزء الذي وضعتِ عليه علامة في كتاب أوكدين،" تابع. "الأشياء المتعلقة بتغيير دوثويت لاسمه عندما ذهب إلى كلاكتون للغناء في مخيم عطلات، لكنني لا أستطيع العثور على أي أثر لستيف، أو ستيفن أو ستيفي جاكس بعد عام 1976 أيضًا. تغيير اسم واحد قد يكون مفهومًا بعد الكثير من اهتمام الشرطة. اثنان يبدأ في أن يبدو مريبًا."

– "أتعتقد ذلك؟ نحن نعلم أنه كان من النوع العصبي، بناءً على سجلاته الطبية. ربما أصيب بالذعر لظهور أوكدين في بوتلينز؟"

– "لكن كتاب أوكدين تم فرمه. لا أحد أبعد من اثنين من موظفي بوتلينز عرف أبدًا أن ستيفي جاكس تم استجوابه بشأن مارغو بامبورو."

– "ربما ذهب إلى الخارج. مات في الخارج. بدأت أعتقد أن هذا ما حدث لـ بول ساتشويل أيضًا. هل رأيت، جار ساتشويل السابق قال إنه ذهب للسفر؟"

– "أجل. أي حظ مع غلوريا كونتي بعد؟"

تنهدت روبن:

– "لا شيء. لكن لدي شيئان،" تابعت، فاتحة مفكرتها. "لا يقدمانا كثيرًا، لكن مهما كانت قيمتهما...

"لقد تحدثت الآن إلى أرملة تشارلي راماج في إسبانيا. مليونير أحواض الاستحمام الساخنة الذي ظن أنه رأى مارغو في مقبرة ليمنغتون سبا؟"

أومأ سترايك برأسه، سعيدًا بفرصة لإراحة حلقه.

– "أعتقد أن السيدة راماج إما أصيبت بسكتة دماغية أو تحب الشرب وقت الغداء. بدت متلعثمة، لكنها أكدت أن تشارلي ظن أنه رأى مارغو في مقبرة، وأنه ناقش الأمر بعد ذلك مع صديق شرطي، لم تستطع تذكر اسمه. ثم فجأة قالت: «لا، انتظري – ماري فلاناغان. كانت ماري فلاناغان التي ظن أنه رآها.» أعدتها عبر القصة وقالت، نعم، كل ذلك صحيح، باستثناء أنها كانت ماري فلاناغان، وليست مارغو بامبورو، التي ظن أنه رآها. لقد بحثت عن ماري فلاناغان،" قالت روبن، "وهي مفقودة منذ عام 1959. إنها أطول قضية شخص مفقود في بريطانيا على الإطلاق."

سأل سترايك:

– "أيهما ستقولين إنها بدت أكثر ارتباكًا؟ السيدة راماج، أم جانيس؟"

– "السيدة راماج، بالتأكيد. جانيس بالتأكيد لم تكن لتخلط بين المرأتين، أليس كذلك؟ بينما السيدة راماج ربما فعلت. لم يكن لديها اهتمام شخصي: بالنسبة لها، كانتا مجرد شخصين مفقودين يبدأ اسماهما بـ «م»."

جلس سترايك عابسًا، يفكر في الأمر. أخيرًا قال، ولوزتاه تحترقان:

– "إذا كان راماج راويًا لقصص طويلة بشكل عام، فلا يمكن لوم صديقه الشرطي لعدم أخذه على محمل الجد. هذا على الأقل تأكيد بأن راماج اعتقد أنه التقى ذات مرة بامرأة مفقودة."

عبس بشدة لدرجة أن روبن قالت:

– "هل تتألم؟"

– "لا. أتساءل عما إذا كان الأمر يستحق محاولة رؤية إيرين وجانيس بشكل منفصل. كنت آمل ألا أضطر أبدًا للتحدث إلى إيرين هيكسون مرة أخرى. على الأقل، يجب أن نواصل البحث عن صلة بين مارغو وليمنغتون سبا. هل قلتِ إن لديك خيطًا آخر؟"

– "ليس كثيرًا. أماندا لوز – أو أماندا وايت، كما كانت عندما يفترض أنها رأت مارغو عند تلك النافذة في طريق كليركينويل – أجابت على بريدي الإلكتروني. سأحول ردها لك إذا أردت قراءته، لكنها في الأساس تصطاد للحصول على المال."

– "حقًا؟"

– "تغلف الأمر قليلاً. تقول إنها أخبرت الشرطة ولم يصدقها أحد، وأخبرت أوكدين ولم يعطها بنسًا، وأنها سئمت من عدم أخذها على محمل الجد وإذا أردنا قصتها فإنها تود أن يُدفع لها مقابل ذلك هذه المرة. تدعي أنها تحملت الكثير من الاهتمام السلبي، ونعتت بالكاذبة وصاحبة الخيال، وهي غير مستعدة للمرور بكل ذلك مرة أخرى ما لم يتم تعويضها."

دون سترايك ملاحظة ثانية.

– "أخبريها أنه ليس من ممارسة الوكالة الدفع للشهود مقابل تعاونهم. ناشدي طبيعتها الخيرة. إذا لم ينجح ذلك، يمكنها الحصول على مائة جنيه."

– "أعتقد أنها تأمل في الآلاف."

قال سترايك، بينما كان المطر ينقط النافذة خلفه:

– "وأنا آمل في كريسماس في جزر البهاما. هل هذا كل ما لديك؟"

قالت روبن، وهي تغلق مفكرتها:

– "نعم.

"حسنًا، وصلت لطريق مسدود بشأن المريض متعاطي البينيز الذي ادعى أنه قتل مارغو، آبلثورب. أعتقد أن إيرين لابد وأنها أخطأت في الاسم. جربت كل التنويعات التي خطرت لي، لكن لا شيء يظهر. قد أضطر للاتصال بها مرة أخرى. سأجرب جانيس أولاً، رغم ذلك."

– "لم تخبريني برأيك في كتاب أوكدين."

– "انتهازي من الطراز العادي،" قال سترايك، "أبلى بلاءً حسنًا في عصر عشرة فصول من لا شيء تقريبًا. لكنني أود تعقبه إن استطعنا."

تنهدت روبن:

– "أحاول، لكنه واحد آخر يبدو أنه اختفى عن وجه الكوكب. والدته بدت وكأنها مصدره الأساسي، أليس كذلك؟ لا أعتقد أنه أقنع أي شخص عرف مارغو حقًا بالتحدث إليه."

– "لا. لقد ظللتِ (بالقلم) كل الأجزاء المهمة تقريبًا."

قالت روبن بحدة:

– "تقريبًا؟"

صحح سترايك نفسه:

– "كلها."

– "هل لاحظت شيئًا آخر؟"

– "لا،" قال سترايك، لكنه رأى أنها غير مقتنعة، فأضاف، "كنت أتساءل فقط عما إذا كان شخص ما قد استأجر قاتلاً لقتلها."

قالت روبن مذهولة:

– "زوجها؟"

– "ربما."

– "أم تفكر في زوج عاملة النظافة؟ جول بايليس، وارتباطاته الإجرامية المزعومة؟"

– "ليس حقًا."

– "إذن لماذا –"

– "أعود دائمًا لحقيقة أنه إذا قُتلت، فقد تم ذلك بكفاءة عالية. مما قد يوحي –"

– "– بقاتل مأجور. أتعرف، قرأت سيرة ذاتية للورد لوكان مؤخرًا. يعتقدون أنه استأجر شخصًا لقتل زوجته –"

– "– والقاتل نال من المربية بالخطأ،" قال سترايك، الذي كان على دراية بالنظرية. "أجل. حسنًا، إذا كان هذا ما حدث لمارغو، فنحن نبحث عن قاتل أكثر كفاءة بمراحل من قاتل لوكان. لم يترك أثرًا لها، ولا حتى قطرة دم."

ساد صمت للحظات، بينما نظر سترايك خلفه ليرى المطر والرياح لا يزالان يضربان أضواء الكريسماس في الخارج، وطارت أفكار روبن إلى روي فيبس، الرجل الذي سمته أونا "بلا دم"، والملازم للفراش بشكل مريح في يوم اختفاء مارغو.

قال سترايك، دافعًا نفسه للنهوض من كرسيه:

– "حسنًا، يجب أن أتحرك."

تنهدت روبن وهي تجمع أغراضها:

– "يجب عليّ أنا أيضًا."

سأل سترايك:

– "ستعودين للمكتب لاحقًا، مع ذلك؟"

كان بحاجة لإعطائها هدية الكريسماس التي لم تُشترَ بعد قبل أن تغادر إلى يوركشاير.

قالت روبن:

– "لم أكن أخطط لذلك. لماذا؟"

قال سترايك، محاولاً التفكير في سبب:

– "عودي للداخل." فتح الباب للمكتب الخارجي. "بات؟"

قالت بات دون أن تنظر للخلف:

– "نعم؟" كانت تطبع مرة أخرى بسرعة ودقة، وسيغارتها الإلكترونية تهتز بين أسنانها.

– "روبن وأنا بحاجة للخروج الآن، لكن رجلاً يدعى غريغوري تالبوت على وشك إحضار علبة فيلم 16 ملم. هل تعتقدين أنه يمكنك العثور على جهاز عرض يشغله؟ بشكل مثالي قبل الخامسة؟"

دارت بات ببطء على كرسي مكتبها لتنظر لسترايك، وجهها الشبيه بالقرد متجهم، وعيناها ضيقتان.

– "تريد مني العثور على جهاز عرض أفلام عتيق بحلول الخامسة؟"

– "هذا ما قلته." التفت سترايك لروبن. "ثم يمكننا إلقاء نظرة سريعة على أيًا كان ما كان تالبوت يخبئه في العلية قبل أن تغادري إلى ماشام."

قالت روبن:

– "حسنًا. سأعود في الرابعة."

27

كان اسمه "تالوس"، صُنع من قالبٍ حديدي،
ثابتٌ لا يتزحزح، لا يُقهر، ولا نهاية له.
بيده يمسك مِدرَسًا من حديد،
به يدرس الزيف، ويكشف عن الحقيقة.
إدموند سبنسر ملكة الجن

بعد حوالي ساعتين ونصف، كان سترايك يقف تحت مظلة متجر «هامليز» في شارع "ريجنت"، وأكياس التسوق عند قدميه، يخبر نفسه بحزم أنه بخير على الرغم من الأدلة التجريبية الوافية التي تشير إلى أنه، في الواقع، يرتجف. كان المطر البارد يتناثر من حوله على الأرصفة القذرة، حيث كانت أقدام مئات المشاة المارة تركل الماء من البرك. كان يتطاير فوق حواف الأرصفة في أعقاب المركبات المارة ويقطر أسفل ياقة سترايك الخلفية، رغم أنه كان يقف، نظريًا، تحت مأوى.

بينما كان يتحقق من هاتفه مرة أخرى بحثًا عن أي إشارة إلى أن شانكر لم ينسَ أنهما كانا من المفترض أن يلتقيا لتناول مشروب، أشعل سيجارة، لكن حلقه الملتهب لم يقدر الابتلاع المفاجئ للدخان. بطعم كريه في فمه، سحق السيجارة بعد نفخة واحدة. لم تكن هناك رسالة من شانكر، لذا التقط سترايك أكياس التسوق الضخمة وانطلق مرة أخرى، وحلقه يحترق في كل مرة يبتلع فيها ريقه.

كان قد تخيل بتفاؤل أنه قد ينهي كل تسوقه في غضون ساعتين، لكن منتصف النهار جاء ومضى وهو لم ينتهِ بعد. كيف يقرر الناس ما يشترون، ومكبرات الصوت تصرخ بألحان الكريسماس في وجوههم، والمتاجر مليئة بخيارات

أكثر مما ينبغي، وكلها تبدو مثل الخردة؟ كانت مواكب لا تنتهي من النساء تعترض طريقه، يخترن العناصر بسهولة واضحة وبلا جهد. هل تمت برمجتهن وراثيًا للبحث عن الهدية المناسبة وإيجادها؟ ألا يوجد أحد يمكنه أن يدفع له ليفعل هذا نيابة عنه؟

شعر بثقل في عينيه، وألم في حلقه، وبدأ أنفه يسيل. غير متأكد إلى أين يذهب، أو عما يبحث، سار بشكل أعمى إلى الأمام. هو، الذي يتمتع عادة بحس اتجاه ممتاز، ظل ينعطف في الاتجاه الخاطئ، ويشعر بالارتباك. اصطدم عدة مرات بأكوام مكدسة بعناية من بضائع الكريسماس، أو صدم أشخاصًا أصغر حجمًا، الذين عبسوا وتمتموا وهرعوا مبتعدين.

احتوت الأكياس الضخمة التي كان يحملها على ثلاثة مسدسات "نيرف" متطابقة لأبناء أخته؛ مسدسات بلاستيكية كبيرة تطلق رصاصات رغوية، قرر سترايك شراءها لسببين: أنه كان ليحب الحصول على واحد عندما كان في الحادية عشرة، ولأن البائع أكد له أنها واحدة من الهدايا التي يجب اقتناؤها هذا العام. اشترى لعمه تيد سترة لأنه لم يستطع التفكير في أي شيء آخر، ولزوج أخته صندوق كرات غولف وزجاجة جن (مشروب كحولي) لنفس السبب، لكنه لا يزال لديه الهدايا الأصعب للشراء – تلك الخاصة بالنساء: لوسي، وجوان، وروبن.

رن هاتفه المحمول.

– "تبًا."

ترنح جانبيًا خارجًا من الحشد، وواقفًا بجانب مانيكان يرتدي سترة رنة، هز نفسه ليتحرر من بضعة أكياس ليتمكن من سحب هاتفه.

– "سترايك."

– "بونسن، أنا بالقرب من حانة «شكسبيرز هيد» (رأس شكسبير) في شارع غريت مارلبورو. أراك هناك خلال عشرين دقيقة؟"

قال سترايك، الذي أصبح صوته مبحوحًا:

– "عظيم. أنا قاب قوسين أو أدنى."

مرت عليه موجة أخرى من العرق، بللت فروة رأسه وصدره. كان من الممكن تمامًا، كما اعترف جزء من عقله، أنه قد التقط إنفلونزا باركلي، وإذا كان هذا هو الحال، فلا يجب أن ينقلها لعمه المصابة بنقص المناعة الشديد. التقط أكياس التسوق الخاصة به مرة أخرى وشق طريقه عائدًا إلى الرصيف الزلق بالخارج.

ارتفعت واجهة متجر «ليبرتي» الخشبية ذات اللونين الأسود والأبيض إلى يمينه وهو يتجه على طول شارع غريت مارلبورو. كانت دلاء وصناديق الزهور ملقاة حول المدخل الرئيسي، خفيفة بشكل مغرٍ وقابلة للحمل، ومغلفة بالفعل؛ سهلة الحمل للغاية إلى حانة "رأس شكسبير" ومن ثم إلى المكتب بعد ذلك. لكن، بالطبع، الزهور لن تفي بالغرض هذه المرة. وهو يتعرق أسوأ من أي وقت مضى، انعطف سترايك داخل المتجر، وألقى بأكياسه مرة أخرى على الأرض بجانب مجموعة من الأوشحة الحريرية، واتصل بـ إلسا.

قالت إلسا:

– "مرحبًا، أوغي."

قال:

– "ماذا يمكنني أن أحضر لروبن في الكريسماس؟"

أصبح التحدث صعبًا: كان حلقه يبدو نيئًا.

– "هل أنت بخير؟"

– "أنا رائع. أعطني فكرة. أنا في ليبرتي."

– "اممم... دعنا نفـ... أوه، أعرف ما يمكنك إحضاره لها. إنها تريد عطرًا جديدًا. لم يعجبها العطر الذي –"

قال سترايك بفظاظة:

– "لا أحتاج لقصة الخلفية. هذا رائع. عطر. ماذا تضع؟"

– "أحاول إخبارك يا أوغي. إنها تريد تغييرًا. اختر لها شيئًا جديدًا."

قال سترايك بنفاد صبر:

– "لا أستطيع الشم. أنا مصاب بنزلة برد."

ولكن بصرف النظر عن هذه المشكلة الأساسية، كان يخشى أن يكون العطر الذي يختاره شخصيًا هدية حميمية للغاية، مثل ذلك الفستان الأخضر قبل بضع سنوات. كان يبحث عن شيء مثل الزهور، ولكن ليس زهورًا، شيء يقول "أنتِ تعجبينني"، ولكن ليس "هذا ما أود أن تكون رائحتك عليه".

– "فقط اذهب إلى بائع وقل له «أريد شراء عطر لشخص يضع فيلوسيكوس (Philosykos) لكنه يريد –»"

– "هي ماذا؟ تضع ماذا؟"

– "فيلوسيكوس. أو كانت تضعه."

– "تهجيه لي."

فعلت إلسا ذلك، ورأسه ينبض بالألم.

– "إذن أسأل البائع فقط، وسيعطونني شيئًا مثله؟"

قالت إلسا بصبر:

– "تلك هي الفكرة."

– "عظيم. أقدر ذلك. نتحدث قريبًا."

البائع ظن أنه سيعجبك.

أجل، سيقول ذلك. عبارة *"البائع ظن أنه سيعجبك"* ستزيل الطابع الشخصي عن الهدية بشكل فعال، وتحولها إلى شيء عادي تقريبًا كالزهور، لكنها ستظل تظهر أنه بذل بعض العناية، وأعطاها بعض التفكير. التقط أكياسه مرة أخرى، وعرج نحو منطقة استطاع رؤيتها في المسافة تبدو وكأنها مصطفة بالزجاجات.

تبين أن قسم العطور صغير، بحجم مكتب سترايك تقريبًا. انسل إلى المساحة المزدحمة، مارًا تحت قبة مرسومة بالنجوم، ليجد نفسه محاطًا بأرفف محملة بشحنات هشة من الزجاجات الزجاجية، بعضها يرتدي ياقات مكشكشة، أو أنماطًا مثل الدانتيل؛ وأخرى تبدو كالمجوهرات، أو نوع القوارير المناسبة لجرعة حب. معتذرًا وهو يدفع الناس جانبًا بمسدسات النيرف، والجن وكرات الغولف، التقى برجل نحيل يرتدي الأسود سأله: "هل يمكنني مساعدتك؟" في هذه اللحظة

وقعت عين سترايك على مجموعة من العطور المعبأة بشكل متطابق بملصقات وأغطية سوداء. بدت عملية ورصينة، دون أي إيحاء صريح بالرومانسية.

نعب مشيرًا:

– "أود واحدًا من تلك."

قال البائع:

– "حسنًا. إم –"

– "إنه لشخص اعتاد وضع فيلوسيكوس. شيء من هذا القبيل."

– "حسنًا،" قال البائع، وهو يقود سترايك إلى العرض. "حسنًا، ماذا عن –"

قال سترايك، قبل أن يتمكن البائع من إزالة غطاء زجاجة الاختبار:

– "لا."

كان العطر يسمى *كارنال فلاور* (زهرة شهوانية).

أضاف سترايك، بهدف واعٍ للظهور بمظهر أقل غرابة:

– "قالت إنها لم يعجبها ذلك الواحد. هل أي من العطور الأخرى يشبه فيلو–"

اقترح البائع، وهو يرش زجاجة ثانية على شريط شم:

– "قد يعجبها *دان تي برا* (Dans Tes Bras)؟"

– "ألا يعني ذلك –؟"

– "«بين ذراعيك»."

قال سترايك، دون أخذ شريط الشم:

– "لا. هل أي من العطور الأخرى يشبه فيـ–؟"

– "*مسك رافاجور* (Musc Ravageur - مسك مدمر)؟"

قال سترايك، والعرق يوخزه من جديد تحت قميصه:

– "أتعرف ماذا، سأترك الأمر. أي مخرج هو الأقرب لـ «رأس شكسبير»؟"

أشار البائع غير المبتسم لسترايك نحو اليسار. متمتمًا بالاعتذارات، تراجع سترايك للخارج مارًا بنساء كن يدرسن الزجاجات ويرشن العينات، وانعطف حول

زاوية ورأى، بارتياح، الحانة التي كان يقابل فيها شانكر، والتي تقع خلف الأبواب الزجاجية لغرفة مليئة بالشوكولاتة مباشرة.

شوكولاتة، فكر، مبطئًا ومُعيقًا بالصدفة مجموعة من النساء المنهكات. *الجميع يحب الشوكولاتة.* كان العرق يغمره الآن في موجات، وبدا أنه يشعر بالحر والبرد في آن واحد. اقترب من طاولة مكدسة بصناديق الشوكولاتة، باحثًا عن أغلاها ثمنًا، واحدة تظهر التقدير والصداقة. محاولاً اختيار نكهة، اعتقد أنه تذكر محادثة حول الكراميل المملح، لذا أخذ أكبر صندوق وجده وتوجه إلى صندوق الدفع.

بعد خمس دقائق، وكيس آخر يتدلى من يديه، ظهر سترايك في نهاية شارع "كارنابي"، حيث كانت زينة الكريسماس ذات الطابع الموسيقي تتدلى بين المباني. في حالة سترايك المحمومة الآن، بدت الرؤوس غير المرئية التي توحي بها سماعات الرأس والنظارات الشمسية العملاقة شريرة وليست احتفالية. مصارعًا أكياسه، تراجع إلى داخل حانة "رأس شكسبير"، حيث كانت الأضواء الصغيرة تتلألأ والثرثرة والضحك يملآن الهواء.

قال صوت، داخل الباب مباشرة:

– "بونسن."

كان شانكر قد حجز طاولة. حليق الرأس، هزيل، شاحب وموشوم بكثافة، كان لدى شانكر شفة عليا مثبتة في سخرية دائمة على طراز إلفيس، بسبب الندبة التي كانت تمتد صعودًا نحو عظمة وجنته. كان يفرقع أصابع اليد التي لا تمسك بكأسه بشرود، وهي لازمة لازمته منذ مراهقته. بغض النظر عن مكانه، تمكن شانكر من بث هالة من الخطر، موحيًا بفكرة أنه قد يلجأ للعنف عند أدنى استفزاز. ورغم ازدحام الحانة، لم يختر أحد مشاركته طاولته. وبشكل غير متناغم، أو هكذا بدا لسترايك، كان لدى شانكر أيضًا أكياس تسوق عند قدميه.

قال شانكر، بينما كان سترايك يغوص مقابله ويتخلص من أكياسه الخاصة تحت الطاولة:

– "ما خطبك؟ تبدو كالخراء."

– "لا شيء. برد أو شيء من هذا القبيل."

كان أنفه يسيل الآن بغزارة وبدا نبضه مضطربًا.

– "حسنًا، أبقه بعيدًا عني بحق الجحيم. آخر شيء سخيف نحتاجه في المنزل. زاهارا تعافت لتوها من الإنفلونزا اللعينة. تريد كأسًا؟"

– "إم – لا." فكرة البيرة كانت منفرة حاليًا. "ألا يمكنك إحضار بعض الماء لي؟"

تمتم شانكر: "بحق الجحيم"، وهو ينهض.

عندما عاد شانكر بكوب من الماء وجلس مرة أخرى، قال سترايك، دون مقدمات:

– "أردت أن أسألك عن أمسية، لابد أنها كانت حوالي عام 92 أو 93. كنت بحاجة للوصول إلى المدينة، كان لديك سيارة، لكنك لم تستطع قيادتها بنفسك. كنت قد فعلت شيئًا لذراعك. كانت مربوطة."

هز شانكر كتفيه بنفاد صبر، وكأنه يقول: من يتوقع منه تذكر شيء تافه كهذا؟ كانت حياة شانكر سلسلة لا تنتهي من الإصابات التي تلقاها وألحقها، والحاجة للوصول لأماكن لتسليم النقود، أو المخدرات، أو التهديدات أو الضرب. فترات السجن لم تفعل شيئًا سوى تغيير البيئة التي يمارس فيها أعماله مؤقتًا. نصف الأولاد الذين ارتبط بهم في مراهقته ماتوا، معظمهم قتلوا بالسكاكين أو الجرعات الزائدة. أحد أبناء عمومته مات في مطاردة سيارات للشرطة، وآخر أطلقت عليه النار في مؤخرة رأسه، ولم يُقبض على قاتله قط.

تابع سترايك، محاولاً إنعاش ذاكرة شانكر:

– "كان عليك القيام بتسليم. كيس مبطن (Jiffy bag) مليء بشيء ما – مخدرات، نقود، لا أعرف. جئت إلى المنزل العشوائي (Squat) تبحث عن شخص ليقود بك، بشكل عاجل. قلت إنني سأفعل. ذهبنا إلى نادٍ للتعري في سوهو. كان يسمى «تيزرز»."

– "تيزرز، نعم. ذهب منذ زمن طويل، تيزرز. أغلق قبل عشر أو خمس عشرة سنة."

– "عندما وصلنا إلى هناك، كانت هناك مجموعة من الرجال يقفون على الرصيف، متجهين للداخل. أحدهم كان رجلاً أسود أصلع –"

قال شانكر مستمتعًا:

– "ذاكرتك اللعينة. يمكنك القيام بعرض مسرحي. «بونسن، رجل الذاكرة المذهل» –"

– "– وكان هناك رجل ضخم يبدو لاتينيًا بشعر أسود مصبوغ وسوالف. توقفنا، وأنزلت أنت النافذة وجاء هو ووضع يده على الباب ليتحدث إليك. كانت لديه عيون مثل كلب الباسيت وكان يرتدي خاتمًا ذهبيًا ضخمًا عليه أسد –"

قال شانكر:

– "ماكي ريتشي."

– "تتذكره؟"

– "قلت اسمه للتو يا بونسن، ألم أفعل؟"

– "أجل. آسف. ما كان اسمه الحقيقي، هل تعرف؟"

– "نيكو، نيكولو ريتشي، لكن الجميع نادوه «ماكي» (القذر). وغد من المدرسة القديمة. قواد. امتلك بضعة نوادي تعري، وأدار بضعة بيوت دعارة. كان قطعة حقيقية من لندن القديمة. بدأ كجزء من عصابة سابيني، عندما كان طفلاً."

– "كيف تتهجى ريتشي؟ ر – ي – ت – ش – ي، صحيح؟"

– "عما يدور هذا؟"

سحب سترايك نسخة *ماذا حدث لمارغو بامبورو؟* من جيب معطفه، وقلب الصفحات إلى صور حفل الكريسماس في العيادة ومدها لشانكر، الذي أخذها بريبة. حدق للحظة في الصورة الجزئية للرجل ذي خاتم الأسد، ثم أعاد الكتاب لسترايك.

– "حسنًا؟"

– "أجل، يشبهه. أين هذا؟"

– "كليركينويل. حفلة كريسماس لأطباء."

بدا شانكر متفاجئًا قليلاً.

– "حسنًا، كليركينويل، كانت تلك أرض سابيني القديمة، ألم تكن كذلك؟ وأفترض أنه حتى رجال العصابات يحتاجون لأطباء أحيانًا."

– "كانت حفلة. ليست عيادة. لماذا يكون ماكي ريتشي في حفلة أطباء؟"

– "لا أدري. هل هناك شخص يحتاج للقتل؟"

– "مضحك أنك تسأل ذلك. أنا أحقق في اختفاء امرأة كانت هناك تلك الليلة."

نظر إليه شانكر جانبيًا.

قال بهدوء:

– "ماكي ريتشي خرف. رجل عجوز الآن، أليس كذلك."

– "لا يزال حيًا، رغم ذلك؟"

– "أجل. إنه في دار رعاية."

– "كيف تعرف ذلك؟"

– "قمت ببعض الأعمال مع ابنه الأكبر، لوكا."

– "الأولاد في نفس مجال عمل والدهم العجوز؟"

– "حسنًا، لم يعد هناك عصابة «إيطاليا الصغيرة»، أليس كذلك؟ لكنهم أشرار، نعم." ثم مال شانكر عبر الطاولة وقال بهدوء: "استمع إلي يا بونسن. أنت لا تريد العبث مع أولاد ماكي ريتشي."

كانت هذه المرة الأولى التي يعطي فيها شانكر سترايك تحذيرًا كهذا.

– "تذهب للعبث مع والدهم العجوز، تحاول إلصاق أي شيء به، أولاد ريتشي سيسلخون جلدك. أتفهم؟ إنهم لا يهتمون بحق الجحيم. سيحرقون مكتبك اللعين. سيقطعون فتاتك إربًا."

– "أخبرني عن ماكي. أي شيء تعرفه."

– "أسمعت ما قلته للتو يا بونسن؟"

– "فقط أخبرني عنه، بحق الجحيم."

عبس شانكر.

– "عاهرات. إباحية. مخدرات، لكن الفتيات كنّ تخصصه الرئيسي. نفس حقبة جورج كورنيل، جيمي همفريز، كل أولئك الأولاد. ذلك الخاتم الذهبي الذي كان يرتديه، اعتاد القول إن داني الأسد أعطاه إياه. داني ليو، زعيم المافيا في نيويورك. ادعى أنهما قريبان. لا أدري إن كان ذلك صحيحًا."

– "هل صادفت شخصًا يدعى كونتي؟ ربما أصغر قليلاً من ريتشي."

– "كلا. لكن لوكا ريتشي سيكوباتي لعين. متى اختفت هذه المرأة؟"

– "1974." –

توقع سترايك أن يقول شانكر: *"ألف وتسعمائة وأربعة وسبعون اللعينة؟"*، ليسكب السخرية على احتمال العثور على أي نوع من الحل بعد كل هذا الوقت، لكن صديقه القديم اكتفى بالعبوس في وجهه، وأصابعه المفرقعة تذكر بتقدم خنفساء الموت المستمر، وخطر للمحقق أن شانكر يعرف عن الجرائم القديمة والظلال الطويلة التي تلقيها أكثر مما يعرفه العديد من رجال الشرطة.

– "اسمها مارغو بامبورو. اختفت وهي في طريقها للحانة. لم يُعثر على شيء قط، لا حقيبة يد، لا مفاتيح باب، لا شيء. لم تُرَ مرة أخرى."

رشف شانكر من بيرته.

قال:

– "عمل محترف."

– "خطر لي ذلك. ومن ثَمَّ –"

قاطعه شانكر بحدة:

– "تبًا لـ «من ثم» خاصتك. إذا تم التخلص من المرأة بواسطة ماكي ريتشي أو أي من أولاده، فقد فات أوان إنقاذها، أليس كذلك؟ أعلم أنك تحب أن تكون فتى الكشافة يا صاحبي، لكن آخر رجل أغضب لوكا ريتشي، فتحت زوجته الباب بعد بضعة أيام وألقي الأسيد في وجهها. عمياء في عين واحدة، الآن.

"تريد التخلي عن هذا يا بونسن. إذا كان ماكي ريتشي هو الإجابة، فأنت بحاجة للتوقف عن طرح السؤال."

28

فزعت «بريتومارت» من ذلك فزعًا عظيمًا،
ولم تدرِ في تلك المحنة، كيف تسيطر على نفسها...

إدموند سبنسر ملكة الجن

بطريقة ما، تمكنت بات من تعقب جهاز عرض أفلام عتيق. كان قد وُعِد بتسليمه في الرابعة، لكن سترايك وروبن كانا لا يزالان ينتظرانه في السادسة إلا ربعًا، وفي ذلك الوقت أخبرت روبن سترايك أنها بحاجة حقًا للمغادرة. لم تكن قد حزمت أمتعتها بعد لرحلتها إلى يوركشاير، وأرادت ليلة مبكرة قبل اللحاق بالقطار، وإذا كانت صادقة، فقد كانت تشعر بالإهانة من هدية سترايك المتمثلة في شوكولاتة بالكراميل المملح غير مغلفة، والتي سحبها بسرعة من كيس متجر «ليبرتي» عندما رآها، والتي شكت الآن في أنها كانت السبب التافه الوحيد الذي أجبرها بسببه على العودة إلى المكتب في المقام الأول.

ولأن هذا استلزم رحلة طويلة للعودة إلى شارع دنمارك في مترو أنفاق مكتظ، كان من الصعب ألا تشعر بالاستياء إزاء الوقت والجهد اللذين بذلتهما للعثور على وتغليف قرص الـ "DVD" لحفلتين قديمتين لـ توم وايتس كان قد ذكر رغبته في مشاهدتهما، قبل بضعة أسابيع. لم تسمع روبن بالمغني من قبل: كلفها الأمر بعض الجهد لتحديد هوية الرجل الذي كان سترايك يتحدث عنه، والحفلات التي لم يرها قط على أنها تلك الموجودة في *لا زوار بعد منتصف الليل*. وفي المقابل، حصلت على شوكولاتة كانت واثقة من أنها التقطت عشوائيًا.

تركت هدية سترايك خلفها، دون أن تمسها، في مطبخ ماكس، قبل ركوب القطار المزدحم إلى هاروغيت في صباح اليوم التالي. وبينما كانت تسافر شمالاً في مقعدها المحجوز مسبقًا لحسن الحظ، حاولت روبن إقناع نفسها بأن شعورها بالفراغ كان مجرد إرهاق. الكريسماس في المنزل سيكون استراحة رائعة. ستقابل ابنة أخيها الجديدة لأول مرة؛ سيكون هناك نوم متأخر وطعام مطهو في المنزل وساعات أمام التلفاز.

كان طفل صغير يصرخ في الجزء الخلفي من العربة، وأمه تحاول بصوت عالٍ مماثل ترفيهه وإخضاعه. أخرجت روبن جهاز "الآيبود" الخاص بها ووضعت سماعات الرأس. كانت قد حملت ألبوم جوني ميتشل، *كورت آند سبارك*، الذي ذكرت أونا أنه المفضل لدى مارغو بامبورو. لم يتسنَ لروبن الوقت للاستماع إليه، أو في الواقع، لأي موسيقى أخرى، منذ أسابيع.

لكن *كورت آند سبارك* لم يهدئها أو يبهجها. وجدته مقلقًا، ولا يشبه أي شيء استمعت إليه من قبل. متوقعة ألحانًا ونغمات جذابة، أصيبت روبن بخيبة أمل: كل شيء بدا غير مكتمل، مفتوحًا على احتمالات، غير محسوم. صوت سوبرانو جميل يتدحرج وينقض فوق أوتار بيانو أو جيتار لم تؤدِ أبدًا إلى أي شيء عادي مثل لازمة يمكن الاستقرار عليها، أو النقر بالقدم معها. لم يكن بإمكانك الدندنة معها، لم يكن بإمكانك الانضمام إليها ما لم تكن أنت أيضًا تستطيع الغناء مثل ميتشل، وهو ما لم تستطعه روبن بالتأكيد. كانت الكلمات غريبة، وأثارت استجابات لم تعجبها: لم تكن متأكدة مما إذا كانت قد شعرت بالأشياء التي تغني عنها ميتشل، وهذا جعلها تشعر بالدفاعية، والارتباك والحزن: *جاء الحب إلى بابي، بحقيبة نوم وروح مجنون...*

بعد بضع ثوانٍ من الأغنية الثالثة، أطفأت الآيبود وتناولت بدلاً من ذلك المجلة التي أحضرتها معها. في مؤخرة العربة، كان الطفل يعوي الآن.

استمر مزاج روبن المائل لليأس الخفيف حتى نزلت من القطار، لكن عندما رأت والدتها تقف على الرصيف، مستعدة لتقود بها عائدة إلى ماشام، اجتاحتها موجة من الدفء الحقيقي. عانقت ليندا، ولمدة عشر دقائق تقريبًا بعد ذلك، بينما

كانتا تشقان طريقهما، تدردشان، نحو السيارة، مالتين على مقهى تنبعث منه موسيقى كريسماس صاخبة، حتى سماء يوركشاير الرمادية الكئيبة وداخل السيارة، التي كانت تفوح منها رائحة راونتري كلب اللابرادور، بدت مريحة ومبهجة في ألفتها.

قالت ليندا، عندما أغلقت باب السائق:

– "لدي شيء لأخبرك به."

بدلاً من إدارة المفتاح في الإشعال، التفتت ليندا إلى روبن، وبدت خائفة تقريبًا.

رجة مقززة من الذعر قلبت معدة روبن رأسًا على عقب.

– "ماذا حدث؟"

قالت ليندا بسرعة:

– "كل شيء على ما يرام، الجميع بخير. لكنني أردت أن تعرفي قبل أن نعود إلى ماشام، في حال رأيتهم."

– "أرى من؟"

– "ماثيو" قالت ليندا، "أحضر... لقد أحضر تلك المرأة معه إلى المنزل. سارة شادلوك. إنهما يقيمان مع جيفري في الكريسماس."

قالت روبن:

– "أوه. يا إلهي يا أمي، ظننت أن أحدًا قد مات."

كرهت الطريقة التي كانت تنظر بها ليندا إليها. ورغم أن أحشاءها قد بردت للتو، والسعادة الهشة التي اشتعلت بداخلها لفترة وجيزة قد أخمِدَت، إلا أنها أجبرت نفسها على الابتسام والتحدث بنبرة لا مبالاة.

– "لا بأس. كنت أعرف. خطيبها السابق اتصل بي. كان يجب أن أخمن،" قالت، متسائلة لماذا لم تفعل، "أنهما قد يكونان هنا في الكريسماس. هل يمكننا العودة للمنزل، من فضلك؟ أنا أموت من أجل كوب من الشاي."

– "كنتِ تعرفين؟ لماذا لم تخبرينا؟"

لكن ليندا نفسها قدمت الإجابة على ذلك، وهن يقدن السيارة. لم يهدئ روبن ولم يواسِها أن تثور ليندا غضبًا حول مدى استيائها، عندما أخبرتها جارة أن ماثيو كان يتجول ممسكًا يد سارة في وسط البلدة. لم تشعر بالراحة من الانتقادات اللاذعة لأخلاق زوجها السابق وسلوكياته، ولم تقدر سرد رد فعل كل فرد من أفراد الأسرة عليها ("مارتن كان مستعدًا تمامًا للكمه مرة أخرى"). ثم انتقلت ليندا إلى الطلاق: *ماذا يحدث؟ لماذا لم يتم تسوية كل شيء بعد؟ هل تعتقد روبن بصدق أن الوساطة ستنجح؟ ألم يظهر سلوك ماثيو، بتباهيه بهذه المرأة أمام ماشام بأكملها، كم هو فاقد للحياء والعقل تمامًا؟ لماذا، أوه لماذا، لم توافق روبن على السماح لـ "هارفيز أوف هاروغيت" بالتعامل مع الأمر برمته، هل هي متأكدة من أن هذه المرأة اللندنية على مستوى المهمة، لأن كورين ماكسويل أخبرت ليندا أنه عندما طلقت ابنتها دون أطفال كان الأمر كله مباشرًا تمامًا...*

لكن على الأقل هناك الصغيرة أنابيل ماري، كان ذلك ختام مونولوج ليندا، وهن ينعطفن إلى شارع والدي روبن.

– "انتظري حتى تريها يا روبن، فقط انتظري..."

فُتح الباب الأمامي قبل أن تتوقف السيارة. كان جيني وستيفن يقفان على العتبة، وبدا عليهما إثارة بالغة لدرجة أن متفرجًا قد يشك في أنهما هما من كانا على وشك رؤية طفلتهما لأول مرة، وليس روبن. مدركة ما هو متوقع منها، رسمت روبن ابتسامة متلهفة على وجهها، وفي غضون دقائق وجدت نفسها جالسة على الأريكة في غرفة معيشة والديها، وجسد صغير دافئ نائم بين ذراعيها، ملفوفًا بالصوف، صلبًا وثقيلاً بشكل مفاجئ، وتفوح منه رائحة بودرة أطفال "جونسون".

قالت روبن، بينما كان ذيل راونتري يرتطم بطاولة القهوة:

– "إنها فاتنة يا ستيفن."

كان الكلب يشمشمها، دافعًا رأسه مرارًا وتكرارًا تحت يد روبن، محتارًا لعدم تلقيه التدليل والحب الذي اعتاد عليه.

– "إنها فاتنة يا جيني،" قالت روبن، بينما كانت زوجة أخيها تلتقط صورًا لـ "العمة روبن" وهي تقابل أنابيل لأول مرة. "إنها فاتنة يا أمي،" قالت روبن لليندا،

التي عادت بصينية شاي وتوق لسماع رأي روبن في معجزتهم التي يبلغ طولها عشرين بوصة.

قالت ليندا بابتهاج:

– "يعادل الكفة، أليس كذلك، وجود فتاة أخرى؟"

انتهى غضبها من ماثيو الآن: حفيدتها كانت كل شيء.

كانت غرفة الجلوس مكتظة أكثر من المعتاد، ليس فقط بشجرة الكريسماس والبطاقات، بل بمعدات الأطفال. حصيرة تغيير، سلة موسى، كومة من أقمشة الشاش الغامضة، كيس حفاضات وجهاز غريب شرحت جيني أنه مضخة ثدي. تغنت روبن بجمال الطفلة، وابتسمت، وضحكت، وأكلت البسكويت، وسمعت قصة الولادة، وأبدت إعجابها أكثر، وحملت ابنة أخيها حتى استيقظت، ثم، بعد أن استعادت جيني حيازة الطفلة، وبلمسة جديدة من الشعور بالأهمية، استقرت لترضعها، قالت روبن إنها ستصعد سريعًا للأعلى لتفرغ حقائبها.

حملت روبن حقيبتها إلى الطابق العلوي، ولم يلاحظ غيابها ولم يأسف عليه أولئك الذين بالأسفل، الغارقون في عشق الطفل. أغلقت روبن باب غرفتها القديمة خلفها، لكن بدلاً من إفراغ الحقائب، استلقت على سريرها القديم. عضلات وجهها تؤلمها من كل ذلك الابتسام القسري، أغمضت عينيها، وسمحت لنفسها بترف البؤس المنهك.

29

وهكذا خاض حربًا طويلة ضد إرادته،
حتى أجبره الضعف أخيرًا
على الاستسلام للمرض العضال،
الذي، كمنتصرٍ فخور، راح ينهب سريعًا
أحشاءه ويهلك جوفه...

إدموند سبنسر ملكة الجن

مع تبقي ثلاثة أيام على الكريسماس، اضطر سترايك للتخلي عن التظاهر بأنه غير مصاب بالإنفلونزا. ومستنتجًا أن المسار العقلاني الوحيد هو التحصن في شقته العلوية ريثما يغادر الفيروس جسده، أخذ نفسه إلى متجر "سينسبري" المكتظ، حيث، وهو محموم، ويتصبب عرقًا، ويتنفس من فمه ويائس للابتعاد عن الحشود وترنيمات الكريسماس المعلبة، التقط طعامًا يكفي لبضعة أيام، وحمله عائدًا إلى غرفتيه فوق المكتب.

تلقت جوان خبر أنه لن ينضم إلى الاحتفالات في كورنوال بصعوبة متوقعة. ذهبت إلى حد اقتراح أنه سيكون من المقبول أن يأتي، طالما جلسوا في طرفي نقيض من طاولة العشاء، لكن لارتياح سترايك، رفض تيد فكرتها. لم يعرف سترايك ما إذا كان مصابًا بالبارانويا، لكنه شك في أن لوسي لا تصدق أنه مريض حقًا. وإذا صدقت، فإن نبرتها أوحت بأنه ربما التقط العدوى عمدًا. خيّل إليه أنه سمع أثرًا من الاتهام عندما أبلغته أن جوان أصبحت صلعاء تمامًا الآن.

بحلول الساعة الخامسة من مساء ليلة الكريسماس، تطور لدى سترايك سعال جعل رئتيه تقعقعان وأضلاعه تؤلمه. وبينما كان يغفو على سريره بقميص

داخلي وسروال قصير (بوكسر)، وساقه الاصطناعية مسنودة على الحائط، استيقظ فجأة على ضوضاء عالية. بدت خطوات تتحرك نزولاً على الدرج، مبتعدة عن باب عليته. استبدت به نوبة سعال قبل أن يتمكن من المناداة على الشخص الذي ظن أنه أيقظه. وبينما كان يصارع للعودة إلى وضع الجلوس لتنظيف رئتيه، لم يسمع اقتراب الخطوات الثاني حتى طرق شخص ما بابه. استاء بشدة من الجهد الذي تطلبه الصراخ: "ماذا؟"

جاء صوت بات العميق الأجش:

– "هل تحتاج شيئًا؟"

صرخ سترايك:

– "لا."

خرج المقطع الصوتي كنعيق.

– "هل لديك طعام؟"

– "نعم."

– "مسكنات للألم؟"

– "نعم."

– "حسنًا، سأترك بعض الأشياء خارج الباب لك." سمعها تضع أشياءً على الأرض. "هناك هديتان. تناول الحساء وهو لا يزال ساخنًا. أراك في الثامن والعشرين."

كانت خطواتها تقرع نازلة السلالم المعدنية قبل أن يتمكن من الرد.

لم يكن متأكدًا مما إذا كان قد تخيل ذكر الحساء الساخن، لكن الاحتمال كان كافيًا لجعله يسحب عكازيه نحوه ويشق طريقه بصعوبة بالغة إلى الباب. أضافت برودة بئر السلم قشعريرة إلى تعرقات حماه. كانت بات قد تمكنت بطريقة ما من حمل جهاز عرض الفيديو القديم إلى الطابق العلوي لأجله، وشك في أن صوت وضعها لهذا الجهاز هو ما أيقظه. بجانبه كانت ترقد علبة الفيلم من علية غريغوري تالبوت، وكومة صغيرة من هدايا الكريسماس المغلفة، وحفنة من البطاقات

ووعاءين من البوليسترين لحساء دجاج ساخن عرف أنها لابد سارت إلى الحي الصيني لإحضارهما. شعر بامتنان يثير الشفقة.

تاركًا جهاز العرض الثقيل وعلبة الفيلم حيث كانا، سحب ونكز هدايا الكريسماس والبطاقات عبر الأرضية إلى داخل الشقة بأحد عكازيه، ثم انحنى ببطء لالتقاط أوعية الحساء.

قبل الأكل، أخذ هاتفه المحمول من الطاولة الجانبية وأرسل رسالة نصية لبات:

شكرًا جزيلاً. آمل أن تحظي بكريسماس جيد.

ثم لف اللحاف حول نفسه وتناول الحساء مباشرة من الأوعية، دون أن يتذوق شيئًا. كان يأمل أن يهدئ السائل الساخن حلقه الملتهب، لكن السعال استمر، ومرة أو مرتين ظن أنه سيتقيأ كل شيء مرة أخرى. بدت أمعاؤه أيضًا غير متأكدة مما إذا كانت ترحب بالطعام. بعد الانتهاء من الوعاءين، استقر مرة أخرى تحت اللحاف، يتعرق بينما ينظر إلى السماء السوداء بالخارج، وأحشاؤه تضطرب، متسائلاً لماذا لم يتماثل للشفاء بعد.

بعد ليلة من الغفوات المتقطعة التي قاطعتها نوبات سعال طويلة، استيقظ سترايك صباح يوم الكريسماس ليجد حماه لم تخف حدتها، وملاءات متعرقّة متشابكة حوله. كانت شقته الصاخبة عادة هادئة بشكل غير طبيعي. كان طريق "توتنهام كورت" فجأة، وبشكل غريب، خاليًا من حركة المرور. افترض أن معظم سائقي سيارات الأجرة كانوا في منازلهم مع عائلاتهم.

لم يكن سترايك رجلاً يرثي نفسه، لكن الاستلقاء وحيدًا في السرير، يسعل ويتعرق، وأضلاعه تؤلمه وثلاجته الآن فارغة تقريبًا، جعله غير قادر على منع أفكاره من التجول عائدة عبر أعياد الكريسماس الماضية، خاصة تلك التي قضاها في منزل تيد وجوان في "سانت ماوس"، حيث كان كل شيء يسير كما في التلفزيون وفي كتب القصص، مع الديك الرومي والمفرقعات والجوارب المعلقة.

بالطبع، لم يكن اليوم هو أول كريسماس يقضيه بعيدًا عن العائلة والأصدقاء. كانت هناك بضع مرات في الجيش، عندما أكل صواني من رقائق

القصدير تحتوي على ديك رومي بلا طعم في مقاصف ميدانية، بين زملاء يرتدون ملابس مموهة وقبعات "سانتا". النظام الذي تمتع به في الجيش واساه حينها في غياب الملذات الأخرى، لكن لم تكن هناك زمالة لتدعمه اليوم، فقط الحقيقة الكئيبة بأنه وحيد، ومريض وساق واحدة، عالق في علية تعصف بها التيارات الهوائية، مجبرًا على تحمل عواقب رفضه الحازم لأي علاقة قد تقدم الدعم في لحظات المرض أو الحزن.

أصبحت ذكرى لطف بات، في صباح هذا الكريسماس، أكثر تأثيرًا عند استرجاعها. بإدارة رأسه، رأى الهدايا القليلة التي أحضرتها للأعلى لا تزال ملقاة على الأرض داخل الباب مباشرة.

نهض من سريره، لا يزال يسعل، ومد يده لعكازيه وأرجح نفسه نحو الحمام. كان بوله داكنًا، ووجهه غير الحليق في المرآة رماديًا. رغم استيائه من وهنه وإرهاقه، منعت العادات المتأصلة فيه من الجيش سترايك من العودة للفراش. كان يعلم أن الاستلقاء غير مغتسل وساقه مفصولة سيزيد فقط من شعور الاكتئاب الذي يحوم حوله. لذلك استحم، متحركًا بحذر أكثر من المعتاد للوقاية من خطر السقوط، وجفف نفسه، وارتدى قميصًا (تي شيرت) نظيفًا، وسروالاً قصيرًا وروب حمام، وبينما لا يزال جسده يهتز بالسعال، أعد لنفسه إفطارًا بلا طعم من العصيدة المصنوعة بالماء، لأنه فضل توفير آخر نصف لتر من الحليب للشاي. ولأنه توقع أن يكون في طريق الشفاء بحلول الآن، تضاءلت مخزوناته من الطعام إلى بعض الخضراوات الذابلة، وقطعتين من الدجاج النيء منتهي الصلاحية منذ يومين وقطعة صغيرة من جبن "شيدر" صلب.

بعد الإفطار تناول سترايك مسكنات الألم، ووضع ساقه الاصطناعية، ثم، مصممًا على استخدام القدر الضئيل من القوة البدنية التي يمكنه استجماعها قبل أن يسحبه المرض للأسفل مرة أخرى، جرد سريره وأعاد ترتيبه بملاءات نظيفة، ونقل هدايا الكريسماس من الأرض إلى طاولة مطبخه، وحمل جهاز العرض ولفافة الفيلم للداخل من البسطة حيث تركها. العلبة، كما توقع، كانت تحمل علامة "الجدي" (كابريكورن) عليها، مرسومة بقلم تخطيط باهت ولكنه مقروء بوضوح.

اهتز هاتفه المحمول بينما كان يسند العلبة على الحائط أسفل نافذة مطبخه. التقطه، متوقعًا رسالة نصية من لوسي تسأل متى سيتصل ويتمنى للجميع في سانت ماوس كريسماس سعيدًا.

عيد ميلاد سعيد يا بلووي. هل أنت سعيد؟ هل أنت مع شخص تحبه؟

مر أسبوعان منذ آخر رسالة نصية لـ شارلوت، وكأنها سمعت تخاطريًا عزمه على الاتصال بزوجها إذا أصبحت رسائلها أكثر تدميرًا للذات.

سيكون من السهل جدًا الإجابة؛ سهل جدًا إخبارها بأنه وحيد، ومريض، وبلا دعم. فكر في الصورة العارية التي أرسلتها في عيد ميلاده، والتي أجبر نفسه على حذفها. لكنه قطع شوطًا طويلاً جدًا، إلى مكان من الأمان الوحيد ضد العواصف العاطفية. ومهما كان قد أحبها، ومهما كانت لا تزال قادرة على تعكير صفوه ببضع كلمات مطبوعة، أجبر نفسه، واقفًا بجانب طاولة الفورميكا الصغيرة الخاصة به، على تذكر المناسبة الوحيدة التي أخذها فيها معه إلى سانت ماوس في الكريسماس. تذكر الشجار الذي سُمع في جميع أنحاء المنزل الصغير، تذكر خروجها عاصفة مارة بالعائلة المتجمعة حول الديك الرومي، تذكر وجهي تيد وجوان، لأنهما كانا يتطلعان بشدة للزيارة، لعدم رؤيتهما سترايك لأكثر من عام، لأنه كان في ذلك الوقت متمركزًا في ألمانيا مع فرع التحقيقات الخاصة للشرطة العسكرية الملكية.

وضع هاتفه على الصامت. احترام الذات والانضباط الذاتي كانا دائمًا حصونه ضد الخمول والبؤس. ما هو يوم الكريسماس، في نهاية المطاف؟ إذا تجاهلت حقيقة أن أشخاصًا آخرين يستمتعون بالولائم والمرح، فهو مجرد يوم شتوي مثل أي يوم آخر. إذا كان حاليًا ضعيف الجسد، فلماذا لا يستخدم قواه العقلية، على الأقل، لمواصلة العمل على قضية بامبورو؟

بهذا المنطق، صنع سترايك لنفسه كوبًا طازجًا من الشاي الثقيل، وأضاف كمية صغيرة جدًا من الحليب، وفتح حاسوبه المحمول، ومع توقفات منتظمة لنوبات السعال، أعاد قراءة المستند الذي كان يعمل عليه قبل أن يمرض: ملخص لمحتويات دفتر ملاحظات بيل تالبوت المجلد بالجلد والمليء بالرموز، والذي

قضى سترايك الآن ثلاثة أسابيع في فك طلاسمه. كانت نيته إرسال المستند إلى روبن لمعرفة أفكارها.

...ملاحظات تالبوت الغامضة (السحرية)

1. نظرة عامة

2. مفتاح الرموز

3. خيوط محتملة

4. ربما غير ذات صلة

5. نقاط العمل

نظرة عامة

تجلى انهيار تالبوت في اعتقاد بأنه يمكنه حل قضية بامبورو بوسائل غامضة (سحرية). بالإضافة إلى التنجيم، استشار تاروت «ثوث» لـ «أليستر كراولي»، والذي له بعد فلكي. غمر نفسه في العديد من الكتابات الغامضة، بما في ذلك كراولي، و«إليفاس ليفي» والمنجمة «إيفانجلين آدامز»، وحاول القيام بطقوس سحرية.

كان تالبوت من رواد الكنيسة بانتظام قبل انهيار صحته العقلية. أثناء مرضه، اعتقد أنه يطارد تجسيدًا حرفيًا للشر/الشيطان. أليستر كراولي، الذي يبدو أنه أثر على تالبوت أكثر من أي شخص آخر، سمى نفسه "بافوميت" وربط أيضًا بافوميت بكل من الشيطان وبرج الجدي. ربما من هنا حصل تالبوت على فكرة أن قاتل مارغو كان من برج الجدي.

معظم ما في دفتر الملاحظات لا قيمة له، لكنني أعتقد أن تالبوت ترك ثلاثة...

حذف سترايك الآن الرقم "ثلاثة" واستبدله بـ "أربعة". وكما هو الحال دائمًا، عندما ينغمس في العمل، شعر بتوق لسيجارة. وكأنها في تمرد ضد الفكرة ذاتها، عاملته رئتاه على الفور بنوبة عنيفة من السعال استلزمت انتزاع مناديل المطبخ لالتقاط ما كانت تحاول طرده. مؤدبًا بشكل مناسب ومرتعدًا قليلاً، شد سترايك روبه بإحكام حوله، وأخذ رشفة من الشاي الذي لم يستطع تذوقه وواصل العمل.

معظم ما في دفتر الملاحظات لا قيمة له، لكنني أعتقد أن تالبوت ترك أربعة خيوط ربما تكون حقيقية خارج سجل الشرطة الرسمي، وسجلها فقط في "الكتاب الحقيقي"، أي دفتر ملاحظاته الجلدي.

مفتاح الرموز

لا توجد أسماء في دفتر الملاحظات، فقط علامات الأبراج. لن أدرج شهود العيان غير محددي الهوية – ليس لدينا فرصة لتعقبهم بناءً على أبراجهم ولا شيء غير ذلك – ولكن من خلال الإشارة المرجعية للتفاصيل المؤكدة، هذه هي أفضل تخميناتي لهوية الأشخاص الذين اعتقد تالبوت أنهم مهمون للتحقيق.

الحمل (Aries)	**بول ساتشوِيل (حبيب سابق)**
الثور (Taurus)	**ويلما بايليس (عاملة نظافة المكتب)**
الجوزاء (Gemini)	**أونا كينيدي**
الجوزاء 2 (Gemini 2)	**أماندا لوز (رأت "إم M" عند النافذة)**
السرطان (Cancer)	**جانيس بيتي (ممرضة)**
السرطان 2 (Cancer 2)	**سينثيا فيبس (مربية "آنا" / زوجة أبيها)**
الأسد (Leo)	**دينيش غوبتا (طبيب عام – GP)**
الأسد 2 (Leo 2)	**ويلي لوماكس (رأى "إم M" يدخل الكنيسة)**
الأسد 3 (Leo 3)	**؟ (من ملاحظات تالبوت، يبدو أن "الأسد 3" قد شوهد خارجاً من العيادة بواسطة أحد العامة. هناك تلميحات بأن "الأسد 3" معروف لدى الشرطة وأنه كان هناك في الليل).**

حذف سترايك الآن الفقرة الأخيرة واستبدلها باسم وملاحظة جديدة.

الأسد 3 (Leo 3)	نيكو "ماكي" ريتشي (رجل عصابات حضر حفل الكريسماس في العيادة. يبدو أن أحداً لم يتعرف عليه باستثناء أحد المارة المجهولين)
العذراء (Virgo)	دوروثي أوكدين (سكرتيرة العيادة)
الميزان (Libra)	جوزيف برينر (طبيب عام – GP)
الميزان 2 (Libra 2)	روبي إليوت (رأت امرأتين تتصارعان)
العقرب (Scorpio)	؟ (شخص ميت)
العقرب 2 (Scorpio 2)	السيدة فلوري (كانت تقود والدتها المسنة عبر ساحة "كليركينويل جرين" في ليلة اختفاء مارغو)
القوس (Sagittarius)	جلوريا كونتي (موظفة استقبال)
القوس 2 (Sagittarius 2)	جولز بايليس (زوج عاملة النظافة)
الدلو (Aquarius)	مارغو بامبورو (الضحية) هناك تلميحات بأن "الأسد 3" معروف لدى الشرطة وأنه كان هناك في الليل).
الجدي (Capricorn)	جزار إسيكس / بافوميت
الحوت (Pisces)	ستيفن دوثويت (مريض)
لا فكرة (رموز غير واضحة)	روي فيبس (الزوج)
لا فكرة (رموز غير واضحة)	آيرين بول/هيكسون (موظفة استقبال)

أقترح هوية لـ «العقرب» أدناه، لكن يمكن أن يكون شخصًا لم نسمع عنه بعد.

لا فكرة عما يعنيه أي من هذين الرمزين. لا أستطيع العثور عليهما في أي موقع فلكي. يبدو أن تالبوت اخترعهما. لو التزم بأبراج الميلاد، لكانت إيرين واحدة من الجوزاء وكان روي ليكون الجدي. يكتب تالبوت أن فيبس "لا يمكن أن يكون جديًا حقيقيًا" (لأنه واسع الحيلة، وحساس، وموسيقي) ثم يأتي بهذا الرمز الجديد له، بناءً على نصيحة شميدت.*

شميدت

اسم "شميدت" موجود في كل مكان في دفتر الملاحظات. "شميدت يصحح إلى (برج مختلف)"، "شميدت يغير كل شيء"، "شميدت يختلف". يريد شميدت في الغالب تغيير أبراج الناس، وهو ما قد تظن أنه سيكون اليقين الوحيد، نظرًا لأن تواريخ الميلاد لا تتغير. تحققت مع غريغوري تالبوت، ولا يستطيع تذكر أن والده عرف أي شخص بهذا الاسم. أفضل تخمين لي هو أن شميدت ربما كان نسجًا من خيال تالبوت الذي يزداد ذهانًا. ربما لم يستطع منع نفسه من ملاحظة أن الناس لا يطابقون الصفات المفترضة للأبراج وكان شميدت جانبه العقلاني يحاول تأكيد نفسه.

خيوط محتملة

جوزيف برينر

على الرغم من تصميم تالبوت المبكر على تبرئة برينر من الشبهة بناءً على برجه (الميزان هو "الأكثر جدارة بالثقة بين الأبراج" وفقًا لإيفانجلين آدامز)، إلا أنه يسجل لاحقًا في دفتر الملاحظات أن مريضًا مجهول الهوية من العيادة أخبر تالبوت أنه/أنها رأى جوزيف برينر داخل مبنى سكني في شارع سكينر مساء اختفاء مارغو. هذا يتناقض بشكل مباشر مع قصة برينر الخاصة (أنه ذهب مباشرة للمنزل)، وتأكيد أخته لتلك القصة، وربما قصة الجار الذي ينزه الكلب والذي يزعم رؤية برينر عبر النافذة في المنزل في الساعة 11 مساءً. لم يتم ذكر وقت لمشاهدة برينر المزعومة في "مبنى مايكل كليف"، الذي كان يبعد 3 دقائق بالسيارة

عن عيادة سانت جون وبالتالي أقرب بكثير لمسار مارغو من منزل برينر الخاص، الذي كان يبعد 20 دقيقة بالسيارة. لا شيء من هذا موجود في ملاحظات الشرطة ويبدو أنه لم يتم متابعته.

موت العقرب

يبدو أن تالبوت يشير إلى أن شخصًا ما مات، وأن مارغو ربما وجدت الموت مريبًا. موت العقرب مرتبط بالحوت (دوثويت) والسرطان (جانيس)، مما يجعل المرشح الأكثر ترجيحًا للعقرب هي جوانا هاموند، المرأة المتزوجة التي أقام دوثويت علاقة معها، والتي يُزعم أنها انتحرت.

تفسير هاموند/دوثويت/جانيس يتناسب بشكل معقول: مارغو كان يمكن أن تعبر عن شكوك حول موت هاموند لدوثويت في آخر مرة رأته فيها، مما يعطينا السبب الذي جعله يخرج غاضبًا من عيادتها. وبصفتها صديقة/جارة لدوثويت، ربما كانت لدى جانيس شكوكها الخاصة حوله.

المشكلة في هذه النظرية هي أنني بحثت عن شهادة ميلاد جوانا هاموند عبر الإنترنت وكانت مولودة تحت برج القوس. إما أنها ليست الشخص الميت المعني، أو أن تالبوت أخطأ في تاريخ ميلادها.

دماء في منزل فيبس / روي يمشي

عندما تولى لوسون القضية، أخبرته ويلما عاملة النظافة أنها رأت روي يمشي في الحديقة في اليوم الذي اختفت فيه مارغو، عندما كان من المفترض أن يكون طريح الفراش. ادعت أيضًا أنها وجدت دماءً على سجادة غرفة النوم الاحتياطية ونظفتها.

ظن لوسون أن هذه كانت المرة الأولى التي تذكر فيها ويلما أياً من الواقعتين للشرطة واشتبه في أنها تحاول إثارة المتاعب لروي فيبس.

ومع ذلك، اتضح أن ويلما أخبرت تالبوت بالقصة، لكن بدلاً من تسجيلها في سجل الشرطة الرسمي، وضعها في دفتر ملاحظاته الفلكي.

على الرغم من أن ويلما أعطته بالفعل ما قد تظن أنه معلومات مهمة، إلا أن ملاحظات تالبوت تشير إلى أنه كان متأكدًا من أنها تخفي شيئًا آخر. يبدو أنه طور هوسًا بأن ويلما لديها قوى غامضة/معرفة سرية. يتكهن

بأن الثور (برجها) قد يمتلك "سحرًا" (magick) ويقترح حتى أن الدم على السجادة ربما وضعته ويلما نفسها، لغرض طقوسي ما.

بطاقات التاروت المرتبطة بالثور، برج ويلما، ظهرت كثيرًا عندما كان يستخدمها ويبدو أنه فسرها لتعني أنها تعرف أكثر مما تبوح به. وضع خطًا تحت عبارة "الشبح الأسود" فيما يتعلق بها، وربطها بـ "ليليث السوداء"، وهي نقطة فلكية ثابتة مرتبطة بالمحرمات والأسرار. في غياب أي تفسير آخر، أشك في جرعة جيدة من العنصرية القديمة.

في الخارج على طريق "تشارينغ كروس"، مرت سيارة، يصدح مذياعها بأغنية "هل يعرفون أنه الكريسماس؟". عابسًا، أضاف سترايك نقطة أخرى إلى "معلومات جديدة حقيقية محتملة"، وبدأ في الكتابة.

نيكو "ماكي" ريتشي

وفقًا لتالبوت، شوهد الأسد 3 يغادر العيادة ذات ليلة من قبل عابر سبيل غير مسمى، أخبر تالبوت عن ذلك لاحقًا. نيكو "ماكي" ريتشي التقطته الكاميرا في إحدى صور دوروثي أوكدين لحفلة كريسماس العيادة في عام 1973. الصورة معاد إنتاجها في كتاب ابنها. ريتشي كان برج الأسد (مؤكد بتاريخ الميلاد في تقرير صحفي من عام 1968).

ريتشي كان رجل عصابات محترفًا، ومنتج مواد إباحية وقوادًا كان يعيش في عام 1974 في "ليذر لين"، كليركينويل، على بعد مسافة قصيرة سيرًا على الأقدام من عيادة سانت جون، لذا كان يجب أن يكون مسجلاً مع أحد الأطباء هناك. هو الآن في التسعينيات من عمره ويعيش في دار رعاية، وفقًا لشانكر.

حقيقة أن ريتشي كان في الحفلة ليست في السجل الرسمي. وجد تالبوت حقيقة وجود ريتشي في العيادة مهمة بما يكفي لتدوينها في دفتر الملاحظات الفلكي، لكن لا توجد إشارة إلى أنه تابع الأمر أبدًا أو أخبر لوسون عنه. التفسيرات المحتملة: 1) بما أن ريتشي كان أسدًا، وليس جديًا، استنتج تالبوت أنه لا يمكن أن يكون بافوميت، 2) تالبوت لم يثق في الشخص الذي قال إنه رأى ريتشي يغادر المبنى، 3) تالبوت كان يعرف،

لكنه لم يسجل في كتابه، أن ريتشي كان لديه حجة غياب لتلك الليلة التي اختفت فيها مارغو، 4) تالبوت كان يعرف أن ريتشي لديه حجج غياب لعمليات اختطاف سفاح إسيكس الأخرى.

أياً كان ما ينطبق، فإن وجود ريتشي في تلك الحفلة يحتاج للتحقيق. إنه رجل كان يملك الاتصالات لترتيب اختفاء دائم. انظر نقاط العمل أدناه.

كلف الأمر سترايك جهدًا أكبر بكثير مما كان سيفعله عادة لتنظيم أفكاره حول ماكي ريتشي وتدوينها. متعبًا الآن، وحلقه نيء وعضلات ما بين أضلاعه تؤلمه من السعال، قرأ بقية الوثيقة، التي كانت في رأيه تحتوي على القليل من القيمة الحقيقية بخلاف نقاط العمل. بعد تصحيح بضعة أخطاء مطبعية، أرفق المجموعة برسالة بريد إلكتروني وأرسلها إلى روبن.

فقط بعد ذهابها، خطر له أن بعض الناس قد يعتقدون أن إرسال بريد إلكتروني لزملاء العمل في يوم الكريسماس أمر غير مقبول. ومع ذلك، تجاهل أي مخاوف لحظية بإخبار نفسه أن روبن تستمتع حاليًا بكريسماس عائلي، ومن المستبعد جدًا أن تتحقق من بريدها الإلكتروني حتى الغد في أقرب وقت.

التقط هاتفه المحمول وتحقق منه. لم تراسله شارلوت مرة أخرى. بالطبع، كان لديها توأمان، وأصهار أرستقراطيون وزوج لتبقيه سعيدًا. وضع الهاتف مرة أخرى.

ورغم قلة الطاقة التي لديه، وجد سترايك أن عدم وجود أي شيء لفعله أكثر إنهاكًا. دون فضول كبير، فحص زوجًا من هدايا الكريسماس الملقاة بجانبه، وكلاهما كان بوضوح من عملاء ممتنين، حيث كانت موجهة لكل من هو وروبن. بهز الأكبر، استنتج أنه يحتوي على شوكولاتة.

عاد إلى غرفة نومه وشاهد القليل من التلفزيون، لكن التركيز المستمر على الكريسماس أصابه بالاكتئاب وأغلق الجهاز في منتصف تمنيات مذيع الربط بأن يحظى الجميع بـ... رائع –

عاد سترايك إلى المطبخ ووقعت عيناه على جهاز العرض الثقيل وعلبة الفيلم الملقاة داخل الباب مباشرة. بعد لحظة تردد، رفع الجهاز الثقيل إلى طاولة مطبخه، مواجهًا مساحة فارغة من جدار المطبخ ووصله بالكهرباء. بدا أنه في حالة عمل. ثم فتح غطاء العلبة المعدنية ليكشف عن بكرة كبيرة من فيلم 16 ملم، أخرجها وركبها في جهاز العرض.

بلا شك لأنه لم يكن يفكر بوضوح كالمعتاد، وأيضًا بسبب الحاجة للتوقف بانتظام لسعال المزيد من البلغم في مناديل المطبخ، استغرق الأمر من سترايك ما يقرب من ساعة لمعرفة كيفية تشغيل جهاز العرض القديم، وبحلول ذلك الوقت أدرك أنه قد استعاد شيئًا من الشهية. كانت الساعة الآن تقترب من الثانية. محاولاً عدم تخيل ما كان يجري في سانت ماوس، حيث كان ديك رومي كبير بكل الإضافات يصل بلا شك إلى ذروة الكمال البرونزي، ولكن ناظرًا لوميض الشهية العائد هذا كعلامة على عودة الصحة، أخذ عبوة الدجاج منتهي الصلاحية والخضراوات الذابلة من الثلاجة، وقطعها كلها، وسلق بعض المعكرونة المجففة وصنع طبقًا مقليًا سريعًا.

لم يستطع تذوق شيء، لكن هذا الابتلاع الثاني للطعام جعله يشعر بأنه إنسان أكثر قليلاً، وبتمزيق الورق والسلوفان عن علبة الشوكولاتة، أكل العديد منها أيضًا، قبل النقر على مفتاح جهاز العرض.

على الحائط، شاحبًا في ضوء الشمس، ومضت صورة عارية لامرأة. كان رأسها مغطى بقناع (غطاء رأس). كانت يداها مقيدتين خلفها. دخلت ساق رجل ببنطال أسود في اللقطة. ركلها: تعثرت وسقطت على ركبتيها. استمر في الركل حتى أصبحت منبطحة على أرضية ما بدا وكأنه مستودع.

كانت لتصرخ، بالطبع، لم يكن بإمكانها إلا أن تصرخ، لكن لم يكن هناك صوت. ندبة رفيعة كانت تمتد من أسفل ثديها الأيسر نزولاً إلى أضلاعها، وكأن هذه لم تكن المرة الأولى التي تلمسها فيها السكاكين. غطى جميع الرجال المشاركين وجوههم بأوشحة أو أقنعة تزلج. كانت هي وحدها عارية: الرجال اكتفوا بإنزال سراويل الجينز الخاصة بهم.

توقفت عن الحركة قبل وقت طويل من انتهائهم منها. في نقطة ما، قرب النهاية، عندما كانت بالكاد تتحرك، والدماء لا تزال تقطر من طعناتها العديدة، انزلقت اليد اليسرى لرجل بدا أنه كان يراقب، لكن لم يشارك، أمام الكاميرا. كانت تحمل شيئًا كبيرًا وذهبيًا.

أطفأ سترايك جهاز العرض. غرق فجأة في عرق بارد. كانت معدته تتقلص. بالكاد وصل إلى الحمام قبل أن يتقيأ، وظل هناك، يتقيأ حتى أفرغ ما في جوفه، حتى حل الغسق وراء نوافذ العلية.

30

«آه يا سيدتي العزيزة»، قال حينها "باينم" الجريء،
«اعذري خطأ ذلك المخلوق الهائج،
الذي جعله الحزن العظيم ينسى الإمساك بزمام
حكم العقل...»

إدموند سبنسر ملكة الجن

كانت أنابيل تنتحب في غرفة نوم ستيفن القديمة، التي كانت مجاورة لغرفة روبن. بكت ابنة أخيها خلال جزء كبير من ليلة الكريسماس وظلت روبن مستيقظة معها، تستمع إلى جوني ميتشل عبر سماعات الرأس لحجب الضوضاء.

أربعة أيام عالقة في منزل والديها في ماشام دفعت روبن للعودة إلى ألحان ميتشل المترامية الأطراف والمتجولة وكلماتها التي جعلتها تشعر بضياع غريب. وجدت مارغو بامبورو شيئًا هناك كانت بحاجة إليه، وألم تكن حياة مارغو بامبورو أكثر تعقيدًا بكثير من حياتها الخاصة؟ والدان مريضان لتعيلهما، وابنة جديدة لتحبها وتفتقدها، ومكان عمل مليء بالتيارات المتضاربة والتنمر، وزوج لا يتحدث معها، ورجل آخر يتربص في الخلفية، واعدًا بأنه قد تغير. ما هي مشاكل روبن، مقارنة بتلك؟

لذا استلقت روبن في الظلام واستمعت كما لم تفعل في القطار. حينها، كانت قد سمعت تعقيدًا منفرًا في الكلمات التي غناها الصوت الجميل. لم يكن لدى روبن علاقات حب ساحرة يمكنها تشريحها أو رثاؤها: كان لديها صديق حقيقي واحد وزواج واحد، سار بشكل خاطئ ومروع، والآن هي في منزل والديها، تبلغ من

العمر تسعة وعشرين عامًا وبلا أطفال، *"تسافر في اتجاه مختلف عن بقيتنا"* بعبارة أخرى، إلى الخلف.

لكن في الظلام، وبالاستماع حقًا، بدأت تسمع ألحانًا وسط الأوتار المعلقة، وعندما توقفت عن مقارنة الموسيقى بأي شيء كانت ستستمع إليه عادة، أدركت أن الصور التي وجدتها منفرة في غرابتها كانت اعترافات بعدم الكفاءة والنزوح، وصعوبة دمج حياتين، وانتظار توأم الروح الذي لم يأتِ أبدًا، والتوق لكل من الحرية والحب.

بفزعة حرفية، سمعت الكلمات، في بداية الأغنية الثامنة: *"أنا أجري دائمًا متأخرة عن الزمن، تمامًا مثل هذا القطار..."*

وعندما سألت ميتشل، في وقت لاحق من الأغنية: *"ماذا ستفعلين الآن؟ ليس لديكِ أحد لتعطيه حبك"*، بدأت الدموع في عيني روبن. على بعد أقل من ميل من حيث ترقد، سيكون ماثيو وسارة مستلقيين في السرير في غرفة الضيوف بمنزل والد زوجها السابق، وهنا كانت روبن، وحيدة مرة أخرى في غرفة ستحمل بالنسبة لها دائمًا لمحة من زنزانة سجن. هنا قضت أشهرًا بعد مغادرة الجامعة، مقيدة داخل أربعة جدران بذكرياتها الخاصة عن رجل يرتدي قناع غوريلا، وأسوأ عشرين دقيقة في حياتها.

منذ وصولها للمنزل، كان الجميع في المنزل حريصين على مرافقتها إلى ماشام، *"لأنه لا يجب أن تضطري للاختباء"*. كان المعنى الضمني، بغض النظر عن نواياهم الطيبة، هو أنه سيكون رد فعل طبيعيًا لامرأة وجد زوجها السابق شريكة جديدة أن تختبئ. كان هناك عار في أن تكوني عزباء.

لكن بالاستماع إلى *كورت آند سبارك*، اعتقدت روبن أنه كان صحيحًا تمامًا أنها تسافر في اتجاه مختلف عن أي شخص تعرفه. كانت تقاتل في طريق عودتها لتكون الشخص الذي كان يجب أن تكونه قبل أن يمد رجل بقناع يده إليها من الظلام تحت بئر السلم. السبب الذي لم يفهمه أي شخص آخر هو أنهم افترضوا أن ذاتها الحقيقية هي أن تكون الزوجة التي أرادها ماثيو كانليف: امرأة تعمل بهدوء في الموارد البشرية وتبقى في المنزل بأمان بعد حلول الظلام. لم يدركوا أن تلك

المرأة كانت نتيجة لتلك العشرين دقيقة، وأن روبن الحقيقية ربما لم تكن لتظهر أبدًا لو لم تُرسل، بالخطأ، إلى مكتب رث في شارع دنمارك.

بشعور غريب بأنها قضت ساعاتها المؤرقة بشكل مثمر، أطفأت روبن جهاز الآيبود. الساعة الرابعة صباح يوم "بوكسينغ داي" (اليوم التالي للكريسماس) وكان المنزل صامتًا أخيرًا. أخرجت روبن سماعات أذنها، وتقلبت وتمكنت من النوم.

بعد ساعتين، استيقظت أنابيل مرة أخرى، وهذه المرة، نهضت روبن وتسللت إلى الطابق السفلي، حافية القدمين، إلى الطاولة الخشبية الكبيرة بجانب موقد "آغا"، حاملة دفتر ملاحظاتها، وحاسوبها المحمول وهاتفها.

كان من الممتع أن تكون المطبخ لنفسها. الحديقة وراء النافذة، المغطاة بصقيع صلب، كانت زرقاء داكنة وفضية في فجر الشتاء. واضعة حاسوبها المحمول وهاتفها على الطاولة، حيّت راونتري، الذي كان مصابًا بالتهاب مفاصل شديد هذه الأيام يمنعه من اللعب في الصباح الباكر، لكنه هز ذيله بكسل من سلته بجوار المدفأة. صنعت لنفسها كوبًا من الشاي، ثم جلست على الطاولة وفتحت حاسوبها المحمول.

لم تكن قد قرأت بعد مستند سترايك الذي يلخص ملاحظات الأبراج، والذي وصل بينما كانت مشغولة بمساعدة والدتها في طهي غداء الكريسماس. كانت روبن تضيف كرنب بروكسل إلى القدر البخاري عندما رأت، من زاوية عينها، الإشعار على هاتفها، الذي كان يشحن في أحد المقابس القليلة التي لم تكن مشغولة بقطعة من معدات الأطفال: معقم زجاجات، أو جهاز إنذار الطفل أو مضخة الثدي. عند رؤية اسم سترايك، ارتفع قلبها للحظة، لأنها كانت واثقة من أنها على وشك قراءة شكر على هدية الـ "DVD" لـ توم وايتس، وحقيقة أنه أرسل بريدًا إلكترونيًا في يوم الكريسماس كانت مؤشرًا للصداقة ربما لم تتلقَ مثله منه من قبل.

ومع ذلك، عندما فتحت البريد الإلكتروني قرأت ببساطة:

للعلم: ملخص لملاحظات تالبوت الفلكية ونقاط العمل.

عرفت روبن أن وجهها لابد وقد تهجم عندما نظرت للأعلى ورأت ليندا تراقبها.

– "أخبار سيئة؟"

– "لا، مجرد سترايك."

قالت ليندا بحدة:

– "في يوم الكريسماس؟"

وأدركت روبن في تلك اللحظة أن جيفري، والد زوجها السابق، لابد وأنه كان ينشر في جميع أنحاء ماشام أنه إذا كان ماثيو غير مخلص، فذلك فقط بعد أن تعرض لخيانة شنيعة هو نفسه. قرأت الحقيقة في وجه والدتها، وفي اهتمام جيني المفاجئ بأنابيل، التي كانت تهزها بين ذراعيها، وفي النظرة الحادة التي ألقاها عليها جوناثان، أصغر إخوتها، الذي كان يفرغ صلصة التوت البري في طبق.

قالت روبن ببرود:

– "إنه عمل."

وعاد كل من متهميها الصامتين بسرعة إلى مهامهم.

لذلك، وبمشاعر مختلطة للغاية تجاه المؤلف، استقرت روبن الآن لتقرأ مستند سترايك. مراسلتها عبر البريد الإلكتروني في يوم الكريسماس شعرت وكأنه توبيخ، وكأنها خذلته بالعودة إلى ماشام بدلاً من البقاء في لندن وإدارة الوكالة بمفردها بينما كان هو وباركلي وموريس طريحي الفراش بالإنفلونزا. وعلاوة على ذلك، إذا كان سيرسل بريدًا إلكترونيًا على الإطلاق في يوم الكريسماس، فإن نوعًا من الرسالة الشخصية قد يُعتبر لياقة عامة. ربما عامل هدية الكريسماس الخاصة بها بنفس اللامبالاة التي عاملت بها هديته.

كانت روبن قد قرأت للتو حتى أسفل "خيوط محتملة" وكانت تهضم فكرة أن رجل عصابات محترفًا كان، في مناسبة واحدة على الأقل، على مقربة شديدة من مارغو بامبورو، عندما فُتح باب المطبخ، سامحًا بدخول نحيب أنابيل البعيد.

دخلت ليندا الغرفة، مرتدية روب حمام وخفًا.

سألت، وبدا عليها الاستنكار، وهي تعبر إلى الغلاية:

– "ماذا تفعلين هنا؟"

حاولت روبن ألا تظهر مدى انزعاجها. لقد أمضت الأيام القليلة الماضية تبتسم حتى آلمها وجهها، وتساعد قدر المستطاع جسديًا، وتبدي إعجابها بالطفلة أنابيل حتى شكت في أن مسامًا واحدًا قد تُرك دون ثناء؛ شاركت في التمثيل الصامت وسكبت المشروبات وشاهدت الأفلام وفكت تغليف الشوكولاتة أو كسرت المكسرات لجيني، التي كانت مثبتة باستمرار على الأريكة بسبب متطلبات الرضاعة الطبيعية. أبدت اهتمامًا ذكيًا ومتعاطفًا بمآثر أصدقاء جوناثان الجامعيين؛ استمعت لآراء والدها حول السياسة الزراعية لـ ديفيد كاميرون ولاحظت، لكن لم تظهر أي استياء، حقيقة أنه لم يسأل أي فرد من أفراد عائلتها عما تفعله في العمل. ألم يكن مسموحًا لها بالجلوس بهدوء في المطبخ لنصف ساعة، بينما جعلت أنابيل النوم مستحيلاً؟

قالت روبن:

– "أقرأ بريدًا إلكترونيًا."

قالت ليندا (وعرفت روبن أن "هم" لابد أن يكونا الوالدين الجديدين، اللذين كانت أفكارهما ورغباتهما ذات أهمية قصوى الآن):

– "يعتقدون أنه كان الكرنب. لقد عانت من المغص طوال الليل. جيني منهكة."

قالت روبن:

– "أنابيل لم تأكل الكرنب."

شرحت ليندا، بما شعرت روبن أنه تعالٍ لاستبعادها من أسرار الأمومة:

– "تحصل عليه كله من خلال حليب الثدي."

حاملة كوبين من الشاي لستيفن وجيني، غادرت ليندا الغرفة مرة أخرى. بارتياح، فتحت روبن مفكرتها ودونت بضعة أفكار خطرت لها أثناء قراءة "خيوط محتملة"، ثم عادت إلى مستند سترايك لتقرأ قائمته القصيرة للعناصر "غير ذات الصلة على الأرجح" المستقاة من دفتر تالبوت.

بول ساتشويل

بعد بضعة أشهر، تدهورت الحالة العقلية لتالبوت بوضوح، بناءً على ملاحظاته، التي تصبح منفصلة بشكل تدريجي عن الواقع.

قرب نهاية دفتر الملاحظات يعود إلى البرجين الآخرين ذوي القرون في دائرة الأبراج، الحمل والثور، يفترض لأنه لا يزال مهووسًا بالشيطان. كما ذكر أعلاه، تتعرض ويلما للكثير من الشكوك التي لا أساس لها، لكنه يكلف نفسه عناء حساب الطالع الفلكي الكامل لميلاد ساتشويل، مما يعني أنه لابد حصل على وقت الميلاد منه. ربما لا يعني شيئًا، لكن غريب أنه عاد إلى ساتشويل وقضى كل هذا الوقت على خريطته الفلكية، وهو ما لم يفعله لأي مشتبه به آخر. يسلط تالبوت الضوء على جوانب من الخريطة يفترض أنها تشير إلى العدوانية، وعدم الأمانة والعصابية. يواصل تالبوت أيضًا تدوين أن أجزاء مختلفة من خريطة ساتشويل هي "نفس AC" دون تفسير.

روي فيبس وإيرين هيكسون

كما ذكر أعلاه، العلامات التي يستخدمها تالبوت لروي فيبس وإيرين هيكسون (التي كانت آنذاك إيرين بول) لم تستخدم أبدًا في التنجيم وتبدو من اختراعات تالبوت.

رمز روي يبدو كرجل عصا بلا رأس. ما يفترض أن يمثله بالضبط لا أستطيع معرفته – يفترض كوكبة؟ اقتباسات عن الثعابين تتكرر حول اسم روي.

علامة إيرين المخترعة تبدو مثل سمكة كبيرة و–

فُتح باب المطبخ مرة أخرى. نظرت روبن حولها. كانت ليندا مرة أخرى.

قالت، ولا تزال بنبرة استنكار طفيفة:

– "لا تزالين هنا؟"

قالت روبن:

– "لا، سأصعد للأعلى."

كانت ابتسامة ليندا مترددة. وبينما كانت تأخذ المزيد من الأكواب من الخزانة، سألت:

– "هل تريدين كوبًا آخر من الشاي؟"

قالت روبن وهي تغلق حاسوبها المحمول:

– "لا شكرًا."

قررت إنهاء قراءة مستند سترايك في غرفتها. ربما كانت تتخيل ذلك، لكن ليندا بدت وكأنها تحدث ضجيجًا أكثر من المعتاد.

قالت ليندا:

– "إنه يجعلكِ تعملين خلال الكريسماس أيضًا، إذن؟"

طوال الأيام الأربعة الماضية، شكت روبن في أن والدتها تريد التحدث إليها عن سترايك. النظرات التي رأتها على وجوه عائلتها المتفاجئة بالأمس أخبرتها بالسبب. ومع ذلك، لم تشعر بأي التزام لتسهيل استجواب ليندا لها.

سألت روبن:

– "أيضًا ماذا؟"

– "تعرفين ما أعنيه. الكريسماس. كنت لأعتقد أنك تستحقين إجازة."

– "أنا أحصل على إجازة."

أخذت كوبها الفارغ إلى الحوض. كافح راونتري للوقوف على قدميه وتركته روبن يخرج من الباب الخلفي، شاعرة بالهواء الجليدي على كل جزء مكشوف من جلدها. فوق سياج الحديقة استطاعت رؤية الشمس تحول الأفق إلى اللون الأخضر بينما تشق طريقها بثبات صعودًا عبر السماوات الجليدية.

سألت ليندا:

– "هل يواعد أحدًا؟ سترايك؟"

قالت روبن، متجاهلة المعنى عمدًا:

– "إنه يرى الكثير من الناس. إنه جزء من الوظيفة."

– "تعرفين ما أعنيه."

– "لماذا الاهتمام؟"

توقعت أن تتراجع والدتها، لكنها فوجئت.

قالت، وهي تلتفت لتواجه ابنتها:

– "أعتقد أنكِ تعرفين لماذا."

كانت روبن غاضبة لتجد نفسها تحمر خجلاً. كانت امرأة تبلغ من العمر تسعة وعشرين عامًا. في تلك اللحظة بالذات، أصدر هاتفها المحمول صوت تنبيه على طاولة المطبخ. كانت مقتنعة أنه سيكون سترايك يراسلها، وكذلك، على ما يبدو، كانت ليندا، التي، لكونها أقرب، التقطت الهاتف لمناولته لروبن، ملقية نظرة خاطفة على اسم المرسل وهي تفعل ذلك.

لم يكن سترايك. كان سول موريس. كتب:

آمل أنك لا تحظين بكريسماس سيء مثلما أحظى أنا.

لم تكن روبن لتجيب في الظروف العادية. لكن الاستياء من عائلتها، وشيء آخر، شيء لم ترغب في الاعتراف به بشكل خاص، جعلها ترد نصيًا، بينما كانت ليندا تراقب:

يعتمد على مدى سوء كريسمسك. كريسماسي سيء إلى حد ما.

أرسلت الرسالة، ثم نظرت إلى ليندا.

سألت والدتها:

– "من هو سول موريس؟"

– "متعاقد في الوكالة. شرطي سابق."

قالت ليندا:

– "أوه."

استطاعت روبن أن تدرك أن ذلك أعطى ليندا مادة جديدة للتفكير. إذا كانت صادقة مع نفسها، فقد قصدت فعل ذلك بالضبط. ملتقطة حاسوبها المحمول من الطاولة، غادرت المطبخ.

كان الحمام، بالطبع، مشغولاً. عادت روبن إلى غرفتها. بحلول الوقت الذي استلقت فيه مرة أخرى على سريرها، والحاسوب المحمول مفتوح مرة أخرى، كان موريس قد راسلها مرة أخرى.

أخبريني بمتاعبك وسأخبرك بمتاعبي. مشكلة مشتركة وكل ذلك.

نادمة قليلاً على أنها أجابته، قلبت روبن الهاتف على وجهه على سريرها وتابعت قراءة مستند سترايك.

علامة إيرين المخترعة تبدو مثل سمكة كبيرة وتالبوت صريح بشأن ما يعتقد أنها تمثله: "الوحش قيطس، ليفياثان، الحوت التوراتي، سحر سطحي، شر في الأعماق. عنيدة، تستمتع بالأضواء، مؤدية، كاذبة." يبدو أن تالبوت قد اشتبه في أن إيرين كاذبة حتى قبل أن يثبت أنها كذبت بشأن رحلتها لطبيب الأسنان، وهو ما لم يكتشفه تالبوت أبدًا، على الرغم من عدم وجود إشارة إلى ما يعتقد أنها كانت تكذب بشأنه.

مارغو كـ «بابالون»

هذا ذو صلة فقط بقدر ما يظهر مدى مرض تالبوت.

في الليلة التي تم حجزه فيها أخيرًا، حاول القيام بنوع من الطقوس السحرية. بناءً على ملاحظاته، كان يحاول استحضار بافوميت، يفترض لأنه اعتقد أن بافوميت سيتخذ شكل قاتل مارغو.

وفقًا لتالبوت، ما تجلى في الغرفة لم يكن بافوميت، بل روح مارغو "التي تلومني، التي تهاجمني". اعتقد تالبوت أنها أصبحت «بابالون» في الموت، وبابالون هي الزوجة/القائدة الثانية لبافوميت. الشيطان الذي "رآه" كان يحمل كأسًا من الدم وسيفًا. هناك إشارات متكررة لأسود مخربشة حول صورة الشيطان. بابالون تركب أسدًا بسبعة رؤوس على البطاقة التي تمثل الشهوة في تاروت ثوث.

في مرحلة ما بعد أن رسم تالبوت الشيطان، عاد ورسم صلبانًا لاتينية فوق بعض الملاحظات وعلى الشيطان نفسه، وكتب اقتباسًا توراتيًا يحذر من السحر عبر الصورة. يبدو أن ظهور الشيطان دفعه مرة أخرى نحو الدين، وهنا تنتهي ملاحظاته.

سمعت روبن باب الحمام يفتح ويغلق. يائسة الآن للتبول، قفزت وخرجت من غرفتها.

كان ستيفن يعبر البسطة، حاملاً حقيبة غسيله، وعيناه منتفختان ويتثاءب.

قال:

– "آسف بشأن الليلة الماضية يا روب. جيني تعتقد أنه كان الكرنب."

أجابت روبن وهي تناور حوله:

– "أجل، أمي قالت ذلك. لا مشكلة. آمل أن تشعر بتحسن."

– "سنأخذها في نزهة مشي. سأرى إن كان بإمكاني شراء بعض سدادات الأذن لك."

بمجرد أن استحمت، عادت روبن إلى غرفتها. أصدر هاتفها صوت تنبيه مرتين بينما كانت ترتدي ملابسها.

بينما كانت تمشط شعرها في المرآة، وقعت عيناها على العطر الجديد الذي تلقته كهدية كريسماس من والدتها. كانت روبن قد أخبرتها أنها تبحث عن عطر جديد، لأن القديم يذكرها كثيرًا بماثيو. تأثرت لأن ليندا تذكرت المحادثة عندما فتحت الهدية.

كانت الزجاجة مستديرة؛ ليست كرة، بل دائرة مسطحة: *شانيل تشانس أو فريش*. كان السائل أخضر شاحبًا. تداعي أفكار مؤسف جعل روبن تفكر الآن في الكرنب. ومع ذلك، رشت بعضًا منه على معصميها وخلف أذنيها، مالئة الهواء برائحة الليمون الحاد وزهور عادية. *ما الذي*، تساءلت، *جعل والدتها تختاره؟ ما الذي في العطر جعلها تفكر في "روبن"؟* بالنسبة لأنف روبن، كانت رائحته مثل مزيل العرق، عامة، ونظيفة وخالية تمامًا من الرومانسية. تذكرت شراءها غير الموفق لـ*فراكاس*، والرغبة في أن تكون مثيرة وراقية التي انتهت فقط بالصداع. متأملة في التفاوت بين الطريقة التي يود الناس أن يُروا بها، والطريقة التي يفضل الآخرون رؤيتهم بها، جلست روبن مرة أخرى على سريرها بجانب حاسوبها المحمول وقلبت هاتفها.

كان موريس قد راسلها مرتين أخريين.

وحيد ومصاب بصداع الكحول هنا. عدم التواجد مع الأطفال في الكريسماس أمر سيء.

عندما لم تجب روبن على هذا، راسلها مرة أخرى.

آسف، أتصرف كأحمق كئيب. لا تترددي في التجاهل.

مناداته لنفسه بالأحمق كان أكثر شيء محبب عرفت موريس يفعله على الإطلاق. شاعرة بالأسف تجاهه، ردت روبن:

لابد أنه أمر صعب، أنا آسفة.

ثم عادت إلى حاسوبها المحمول والجزء الأخير من مستند سترايك، الذي يفصل الإجراءات الواجب اتخاذها، ومع الأحرف الأولى بجانب كل منها لإظهار أي منهما يجب أن يتولى الأمر.

نقاط العمل

1-التحدث إلى غريغوري تالبوت مرة أخرى – CS (كورموران سترايك)

أريد أن أعرف لماذا، حتى بعد أن تحسن، لم يخبر بيل تالبوت زملاءه أبدًا عن الخيوط الموجودة في هذا الدفتر التي حجبها عن الزملاء أثناء التحقيق، أي مشاهدة برينر في شارع سكينر ليلة اختفاء مارغو / الدم على سجادة فيبس / موت ربما كانت مارغو قلقة بشأنه / ماكي ريتشي يغادر العيادة ذات ليلة.

2-التحدث إلى دينيش غوبتا مرة أخرى – CS

قد يعرف من كان برينر يزور في شارع سكينر تلك الليلة. يمكن أن يكون مريضًا. قد يكون قادرًا أيضًا على إلقاء الضوء على ظهور ماكي ريتشي في الحفلة. سأسأله أيضًا عن "العقرب" في حال كان هذا يشير إلى مريض بدا موته مريبًا لمارغو.

3-مقابلة روي فيبس – CS/RE (روبن إيلاكوت)

لقد درنا حول فيبس لفترة طويلة جدًا. حان الوقت للاتصال بآنا ومعرفة ما إذا كانت تستطيع إقناعه بمنحنا مقابلة.

4-محاولة وتأمين مقابلة مع أحد أبناء ويلما بايليس – CS/RE

مهم بشكل خاص إذا لم نتمكن من الوصول لروي. أريد إعادة فحص قصة ويلما (روي يمشي، الدم على السجادة).

5-العثور على سي. بي. أوكدين – CS/RE
بناءً على كتابه، هو مليء بالهراء، لكن هناك احتمال ضئيل أنه يعرف أشياء عن برينر لا نعرفها، نظرًا لأن والدته كانت أقرب شخص لبرينر في العيادة.

6-العثور على ومقابلة بول ساتشويل – CS/RE

7-العثور على ومقابلة ستيفن دوثويت – CS/RE

لم تستطع روبن إلا أن تشعر بانتقاد مبطن. أضاف سترايك الآن الأحرف الأولى من اسمه إلى نقاط العمل التي كانت سابقًا لروبن وحدها، مثل العثور على ساتشويل، وإقناع أطفال ويلما بايليس بمنحهم مقابلات. وضعت الحاسوب المحمول مرة أخرى، والتقطت هاتفها وتوجهت عائدة إلى المطبخ لتناول الإفطار.

ساد صمت مفاجئ عندما دخلت الغرفة. كان كل من ليندا، وستيفن وجيني يرتدون نظرات واعية لأشخاص يخشون أن يكون قد تم التنصت عليهم. وضعت روبن الخبز في المحمصة، محاولة كبت استيائها المتصاعد. بدا أنها تشعر بكلمات تهمس وإيماءات خلف ظهرها.

قال ستيفن فجأة:

– "روبن، اصطدمنا للتو بماثيو. عندما كنا نمشي بأنابيل حول المبنى."

قالت روبن، ملتفتة لمواجهتهم، محاولة أن تبدو مهتمة بشكل طفيف:

– "أوه."

كانت المرة الأولى التي يتم فيها رصد ماثيو. تجنبت روبن قداس منتصف الليل لاقتناعها بأنه وسارة سيكونان هناك، لكن والدتها أفادت بأن أيًا من عائلة كانليف لم يحضر. الآن كانت ليندا، وستيفن وجيني ينظرون إليها جميعًا، قلقين، مشفقين، ينتظرون رد فعلها وأسئلتها.

أصدر هاتفها صوت تنبيه.

قالت: "آسفة"، وهي تلتقطه، سعيدة بوجود سبب للنظر بعيدًا عنهم جميعًا.

راسل موريس:

لماذا كريسمسك سيء جدًا؟

بينما راقب الثلاثة الآخرون، كتبت ردًا:

والد زوجي السابق يعيش محليًا وزوجي السابق أحضر صديقته الجديدة للمنزل. نحن حاليًا الفضيحة المحلية.

لم تكن تحب موريس، لكنه في هذه اللحظة شعر وكأنه حليف مرحب به، شريان حياة من الحياة التي صنعتها بصعوبة، بعيدًا عن ماثيو وماشام. كانت روبن على وشك وضع الهاتف جانبًا عندما أصدر تنبيهًا مرة أخرى، ولا يزال الثلاثة الآخرون يراقبونها، قرأت:

هذا مقرف.

إنه كذلك، ردت نصيًا.

ثم نظرت إلى والدتها، وستيفن وجيني، مجبرة نفسها على الابتسام.

سألت روبن ستيفن:

– "هل تريد إخباري عن الأمر؟ أم يجب علي أن أسأل؟"

قال بسرعة:

– "لا، لم يكن شيئًا يذكر – كنا فقط ندفع أنابيل صعودًا إلى الميدان وعودة، ورأيناهما قادمين نحونا. هو وتلك الـ –"

أكملت روبن:

– "سارة."

استطاعت فقط تخيلهما يدًا بيد، يستمتعان بالصباح الشتوي، والبلدة الخلابة، الناعسة في الصقيع وشمس الصباح الباكر.

قال ستيفن:

– "أجل. بدا وكأنه يريد العودة أدراجه عندما رآنا، لكنه لم يفعل. قال: «التهاني واجبة، كما أرى»."

استطاعت روبن سماع ماثيو يقولها.

– "وكان هذا كل شيء، حقًا."

قالت جيني فجأة:

– "كنت أود ركله في خصيتيه. وغد متعجرف."

لكن عيون ليندا كانت على هاتف روبن.

سألت:

– "من تراسلين ذهابًا وإيابًا في يوم بوكسينغ داي؟"

قالت روبن:

– "أخبرتكِ للتو. موريس. يعمل في الوكالة."

عرفت بالضبط الانطباع الذي كانت تعطيه لليندا، لكن كان لديها كبرياؤها. ربما لم يكن هناك عار في أن تكون عزباء، لكن شفقة عائلتها، والتفكير في ماثيو وسارة يمشيان عبر ماشام، وشك الجميع فيها وفي سترايك، وحقيقة أنه لم يكن هناك شيء على الإطلاق لترويه عن نفسها وسترايك، باستثناء أنه اعتقد أنه من الأفضل أن يبدأ في تولي بعض خيوطها لأنها لم تحصل على نتائج: كل ذلك جعلها ترغب في التمسك بأي نوع من ورقة التوت لتغطية كرامتها المهترئة. متملقًا ومتجاوزًا للحدود كما قد يكون، كان موريس اليوم، ربما، يستحق الشفقة أكثر من اللوم، وكان يعرض نفسه لإنقاذ ماء وجه روبن.

رأت والدتها وأخاها يتبادلان النظرات وحصلت على الرضا الفارغ بمعرفة أنهما يطاردان بالفعل أثرها الكاذب. بائسة، فتحت الثلاجة وأخرجت نصف زجاجة شمبانيا معاد إغلاقها بعناية متبقية من يوم الكريسماس.

سألت ليندا:

– "ماذا تفعلين؟"

– "أصنع لنفسي ميموزا. لا يزال الكريسماس، أليس كذلك؟"

ليلة واحدة أخرى وستعود في القطار إلى لندن. وكأنها سمعت فكرة روبن المعادية للمجتمع، انبعثت صرخة كرب عبر جهاز مراقبة الطفل خلفها مباشرة، مما جعل روبن تقفز، وما بدأت تفكر فيه على أنه "سيرك الطفل" انتقل من المطبخ إلى

غرفة الجلوس، حيث أحضرت ليندا كوبًا من الماء لجيني لتشربه أثناء الرضاعة وشغلت التلفزيون لها، بينما ركض ستيفن للأعلى لجلب أنابيل.

الشرب، قررت روبن، هو الحل. إذا أضفتِ ما يكفي من عصير البرتقال، فلا أحد يجب أن يعرف أنكِ تنهين زجاجة شمبانيا بمفردك، وتلك المشاعر بالبؤس، والغضب وعدم الكفاءة التي كانت تتلوى في حفرة معدتك يمكن تخديرها بشكل مرضٍ. حملتها الميموزا حتى وقت الغداء، عندما تناول الجميع كأسًا من النبيذ الأحمر، رغم أن جيني شربت "مجرد رشفة" بسبب أنابيل، وتجاهلت اقتراح روبن بأن حليب الثدي الكحولي قد يساعدها على النوم. كان موريس لا يزال يراسل، في الغالب نكات كريسماس غبية وتحديثات عن يومه، وكانت روبن ترد بنفس الطريقة الطائشة التي تستمر بها أحيانًا في أكل الرقائق، مع أثر من كراهية الذات.

أمي وصلت للتو. أرسل شيري وأعذارًا لعدم التحدث إلى مجموعة معهد المرأة الخاص بها عن عمل الشرطة.

ما اسم والدتك؟ ردت روبن نصيًا. كانت بالتأكيد ثملة قليلاً.

فاني، قال موريس.

لم تكن روبن متأكدة مما إذا كانت تضحك أم لا، أو، في الواقع، ما إذا كان ذلك مضحكًا.

سأل جوناثان:

– "روبس، هل تريدين لعب «بيكشنري»؟"

قالت:

– "ماذا؟"

كانت تجلس على كرسي غير مريح ذي ظهر صلب في زاوية غرفة الجلوس. احتل سيرك الطفل نصف الغرفة على الأقل. كان فيلم *ساحر أوز* على التلفزيون لكن لا أحد كان يشاهد حقًا.

كرر جوناثان، رافعًا الصندوق:

– "بيكشنري. أوه، أجل، وروبس، هل يمكنني المجيء والبقاء معكِ لعطلة نهاية أسبوع في فبراير؟"

أنا أمزح فقط، راسل موريس. *فرانسيس.*

قالت روبن مرة أخرى، تحت انطباع أن شخصًا ما سألها شيئًا:

– "ماذا؟"

قالت ليندا بمكر:

– "يبدو أن موريس رجل مثير للاهتمام للغاية."

ونظر الجميع حولهم إلى روبن، التي اكتفت بالقول:

– "بيكشنري، نعم، حسنًا."

يجب أن ألعب بيكشنري، راسلت موريس.

ارسمي قضيبًا، جاء الجواب الفوري.

وضعت روبن هاتفها مرة أخرى. كان تأثير الشراب يتلاشى الآن، تاركًا في أعقابه صداعًا ينبض خلف صدغها الأيمن. لحسن الحظ، وصل مارتن في تلك اللحظة بصينية مليئة بالقهوة وزجاجة "بيليز".

فاز جوناثان في بيكشنري. صرخت الطفلة أنابيل أكثر. وُضع عشاء بارد على طاولة المطبخ، دعي إليه الجيران للإعجاب بأنابيل. بحلول الثامنة مساءً، كانت روبن قد تناولت الباراسيتامول وبدأت في شرب القهوة السوداء لتصفية رأسها. كانت بحاجة للحزم. كانت بحاجة أيضًا، بطريقة ما، لإغلاق محادثتها المستمرة طوال اليوم مع موريس، الذي، استطاعت القول، كان الآن ثملاً جدًا بالفعل.

أمي (Mohter) ذهبت للمنزل، تشتكي من عدم رؤية الأحفاد (grandchioldren) بما يكفي. عما سنتحدث الآن؟ ماذا ترتدين؟

تجاهلت الرسالة. في غرفتها بالأعلى، حزمت حقيبتها، لأنها ستلحق بقطار مبكر. *أرجوك يا رب، لا تدع ماثيو وسارة يكونان عليه.* أعادت رش نفسها بهدية كريسماس والدتها. بشمها مرة أخرى، قررت أن الرسالة الوحيدة التي تنقلها للمارة هي "لقد اغتسلت". ربما اشترت لها والدتها هذا المطهر الزهري الممل بدافع رغبة لا شعورية في مسح ابنتها وتنظيفها من إيحاء الزنا. لم يكن هناك بالتأكيد أي شيء من الإغراء فيه، وسيذكرها إلى الأبد بهذا الكريسماس البائس. ومع ذلك، حزمت

روبن الزجاجة بعناية بين جواربها، لعدم رغبتها في جرح مشاعر والدتها بتركها خلفها.

بحلول الوقت الذي عادت فيه إلى الطابق السفلي، كان موريس قد راسلها خمس مرات أخرى.

كنت أمزح.

قولي لي أنكِ تعرفين أنني كنت أمزح.

تبًا (Fukc) هل أسأت إليكِ

هل فعلت؟

أجيبيني بأي طريقة بحق الجحيم

منزعجة قليلاً، ومحرجة الآن من تظاهرها الغبي والمراهق لعائلتها بأنها، مثل ماثيو، وجدت شريكًا آخر، توقفت في الردهة لترد نصيًا:

لست مستاءة. يجب أن أذهب. أحتاج لنوم مبكر.

دخلت غرفة الجلوس، حيث كانت عائلتها تجلس جميعًا، ناعسين وممتلئين بالطعام، يشاهدون الأخبار. أزاحت روبن قماش شاش، ونصف عبوة حفاضات وأحد ألواح البيكشنري من على الأريكة، لتتمكن من الجلوس.

قالت جيني، وهي تتثاءب وتمد يدها لأغراض الطفل وتضعها عند قدميها:

– "آسفة يا روبن."

أصدر هاتف روبن تنبيهًا مرة أخرى. نظرت ليندا إليها. تجاهلت روبن كلاً من والدتها والهاتف، لأنها كانت تنظر إلى لوحة البيكشنري حيث حاول مارتن رسم "إيكاروس". لم يخمنه أحد. ظنوا أن إيكاروس حشرة تحوم فوق زهرة.

لكن شيئًا ما بخصوص الصورة شد انتباه روبن. مرة أخرى، أصدر هاتفها تنبيهًا. نظرت إليه.

هل أنتِ في السرير؟

نعم ويجب أن تكون أنت كذلك، ردت نصيًا، وعقلها لا يزال على لوحة البيكشنري. الزهرة التي بدت كشمس. الشمس التي بدت كزهرة.

أصدر هاتفها تنبيهًا مرة أخرى. بنفاد صبر، نظرت إليه.

كان موريس قد أرسل لها صورة لقضيبه المنتصب. للحظة، وحتى بينما شعرت بالصدمة والاشمئزاز، واصلت روبن التحديق فيها. ثم، وبفجائية جعلت والدها ينتفض مستيقظًا في كرسيه، نهضت وكادت تركض خارجة من الغرفة.

المطبخ لم يكن بعيدًا بما يكفي. لا مكان سيكون بعيدًا بما يكفي. وهي ترتجف من الغضب والصدمة، فتحت الباب الخلفي بقوة وخرجت بخطوات واسعة إلى الحديقة الجليدية، حيث كان الماء في حمام الطيور الذي أذابته بالماء المغلي قد تجمد بالفعل بلون حليبي تحت ضوء القمر.

دون التوقف للتفكير، اتصلت برقم موريس.

– "مرحبًا –"

– "كيف تجرؤ بحق الجحيم – كيف تجرؤ بحق الجحيم على إرسال ذلك لي؟"

قال بصوت ثقيل:

– "تبًا، لم أكـ – ظننت – «أتمنى لو كنتِ هنا» أو –"

صرخت روبن:

– "قلت إنني ذاهبة للفراش اللعين! لم أطلب رؤية قضيبك اللعين!"

استطاعت رؤية رؤوس الجيران تتمايل خلف ستائر مطبخهم. عائلة إيلاكوت كانت تقدم ترفيهًا غنيًا هذا الكريسماس، بالتأكيد: أولاً طفل جديد، ثم مباراة صراخ حول قضيب.

لهث موريس:

– "أوه تباً. أوه اللعنة... لا... اسمعي، لم أقصد –"

صرخت روبن:

– "من يفعل ذلك بحق الجحيم؟ ما خطبك؟"

– "لا... تباً... اللعنة... أنا آسف... ظننت... أنا آسف جدًا جدًا... روبن، لا... أوه يا يسوع..."

– "لا أريد رؤية قضيبك!"

أجابتها عاصفة من الشهقات الجافة، ثم ظنت روبن أنها سمعته يضع الهاتف على سطح صلب. على مسافة من السماعة أطلق أنين كرب يتخلله نحيب. بدت أشياء ثقيلة تسقط. ثم كان هناك قعقعة والتقط هاتفه المحمول مرة أخرى.

– "روبن، أنا آسف جدًا جدًا... ماذا فعلت، ماذا...؟ ظننت... يجب أن أقتل نفسي اللعينة... لا... لا تخبري سترايك يا روبن... أتوسل إليكِ بحق الجحيم... إذا فقدت هذه الوظيفة... لا تخبري يا روبن... سأفقد هذا، سأفقد كل شيء لعين... لا أستطيع فقدان فتياتي الصغيرات يا روبن..."

ذكرها بماثيو، في اليوم الذي اكتشفت فيه أنه يخون. استطاعت رؤية زوجها السابق بوضوح كما لو كان هناك على العشب المغطى بالجليد، وجهه بين يديه وهو يلهث باعتذاراته، ثم ينظر إليها بذعر. *"هل تحدثتِ إلى توم؟ هل يعرف؟"*

ما الذي كان فيها وجعل الرجال يطلبون منها الاحتفاظ بأسرارهم القذرة؟

قالت، وهي ترتجف من الغضب أكثر من البرد:

– "لن أخبر سترايك. لأن عمته تحتضر ونحن بحاجة لرجل إضافي. لكن من الأفضل لك ألا ترسل لي أي شيء آخر غير تحديث عن قضية مرة أخرى."

– "أوه يا إلهي، روبن... شكرًا لك... شكرًا لك... أنتِ شخص محترم جدًا..."

توقف عن النحيب. إفراطه في الامتنان أهانها تقريبًا بقدر صورة قضيبه.

– "سأذهب."

وقفت في الظلام، بالكاد تشعر بالبرد، وهاتفها المحمول يتدلى بجانبها. وبينما انطفأ الضوء في مطبخ الجار، فُتح الباب الخلفي لمنزل والديها. جاء راونتري يركض متخبطًا عبر العشب المتجمد، سعيدًا بالعثور عليها في الخارج.

سأل مايكل إيلاكوت ابنته:

– "أنتِ بخير يا حبيبتي؟"

قالت روبن، وهي تجثم لتدليل راونتري لإخفاء اندفاع مفاجئ لدموعها:

– "بخير. كل شيء بخير."

الجزء الرابع

العدوّ الأعظم... هو الزمن الشرير...

— إدموند سبنسر، ملكة الجن (The Faerie Queene)

31

أيها الفارس العزيز، يا أعز من كان فارسًا يومًا،
يا من تكابدُ كل هذه الأحزان من أجلي،
فلتشهد السماوات العلى على العناء الشاق الذي تتكبده لأجلي...
إدموند سبنسر ملكة الجن

أضافت الاضطرابات المعوية لسترايك أيامًا إلى مرضه، وقضى ليلة رأس السنة في الفراش، معتمدًا على البيتزا الجاهزة لكنه بالكاد استطاع لمسها عند وصولها. لأول مرة في حياته، لم يشتهِ الشوكولاتة، لأن الترافل الذي تناوله بعد دجاجه منتهي الصلاحية كان أول الأشياء التي عاودت الظهور خلال نوبات تقيئه الطويلة. الشيء الوحيد الممتع الذي فعله هو مشاهدة قرص الـ "DVD" لـ توم وايتس *لا زوار بعد منتصف الليل*، الحفلات المسجلة التي اشترتها له روبن للكريسماس، والتي فتح تغليفها أخيرًا في يوم رأس السنة الجديدة. رسالته النصية التي شكرها فيها استدعت ردًا قصيرًا: *"على الرحب والسعة"* .

بحلول الوقت الذي شعر فيه بأنه لائق بما يكفي للسفر إلى كورنوال، قابضًا على هدايا الكريسماس المتأخرة، كان سترايك قد فقد أكثر من ستة كيلوجرامات (ستون واحد)، وكان هذا أول شيء علقت عليه جوان القلقة عندما ظهر أخيرًا في منزلها في سانت ماوس، مليئًا بالاعتذارات عن غيابه في الكريسماس.

لو انتظر يومًا واحدًا آخر للمجيء إلى جوان وتيد، لما تمكن من الوصول إليهما، لأنه ما إن وصل حتى ضربت جبهة جوية شرسة جنوب بريطانيا. جلدت العواصف ساحل الكورنيش، وعلقت خدمات القطارات، وجرفت أطنانًا من الرمال

من الشواطئ وحولت الفيضانات طرق البلدات الساحلية إلى قنوات متجمدة. انقطعت شبه جزيرة الكورنيش مؤقتًا عن بقية إنجلترا، وبينما لم تكن سانت ماوس قد تضررت بشدة مثل ميفاغيسي وفوي على طول الساحل، ظهرت أكياس الرمل عند مداخل المباني على الواجهة البحرية. تحطمت الأمواج ضد جدار المرفأ، بلون الكاكي والرمادي المعدني. ذاب السياح واختفوا عن الأنظار مثل الفقمات: السكان المحليون في معاطفهم الزيتية المبللة كانوا يحيون بعضهم البعض بإيماءات وهم يشقون طريقهم داخلين وخارجين من المتاجر المحلية. مُسحت كل الجاذبية الصارخة لسانت ماوس الصيفية، ومثل ممثلة أزيل عنها مكياج المسرح، تكشفت الذات الحقيقية للبلدة، مكان من الحجر الصلب والعمود الفقري المتين.

على الرغم من رشقها بالمطر وضربها بالعواصف، كان منزل تيد وجوان، لحسن الحظ، يقع على أرض مرتفعة. محاصرًا هناك، تذكر سترايك لوسي وهي تخبره بأنه أكثر ملاءمة للأزمات منه للحفاظ على التزام مستمر، وعرف أن هناك حقيقة في الاتهام. كان مناسبًا تمامًا لحالات الطوارئ، وللحفاظ على رباطة جأشه، وللتفكير السريع وردود الفعل السريعة، لكنه وجد الصفات التي يتطلبها تدهور جوان البطيء أصعب في الاستدعاء.

افتقد سترايك غياب هدف مهيمن، يمكنه في سبيله تنحية حزنه جانبًا؛ افتقد الضرورة الملحة لتجاهل الألم والضيق في خدمة شيء أعظم، وهو ما كان يدعمه في الجيش. لم تكن أي من استراتيجيات التأقلم القديمة الخاصة به مقبولة في مطبخ جوان، بجانب أطباق الكسرولة المزهرة وقفازات الفرن القديمة الخاصة بها. الفكاهة السوداء والصلابة (الرواقية) ستعتبر قسوة من قبل الجيران الطيبين الذين أرادوا منه مشاركة وإظهار ألمه. وبينما كان يتوق لعمل يشتت انتباهه، كان يُتوقع منه بدلاً من ذلك تقديم أحاديث قصيرة وأعمال مراعاة منزلية.

كانت جوان سعيدة بهدوء: الساعات والأيام وحدها مع ابن أخيها كانت تعويضًا عن الكريسماس الذي فوته. مستسلمًا، أعطاها سترايك ما أرادت: أكبر قدر ممكن من الرفقة، جالسًا معها ومتحدثًا إليها طوال اليوم. توقف العلاج الكيميائي، لأن جوان لم تكن قوية بما يكفي له: كانت ترتدي وشاحًا للرأس فوق الشعر الخفيف

المتبقي لديها، وكان زوجها وابن أخيها يراقبان بقلق بينما كانت تنقر طعامها، ويجعلان نفسيهما مستعدين باستمرار لمساعدتها عندما تتحرك بين الغرف. أي منهما كان بإمكانه حملها بسهولة، الآن.

مع مرور الأيام، لاحظ سترايك تغييرًا آخر في عمته فاجأه. تمامًا كما كشف مسقط رأسها الذي دمرته العاصفة عن جانب مختلف في الشدائد، كذلك كانت تظهر جوان غير مألوفة، جوان تطرح أسئلة مفتوحة لم تكن مصممة لانتزاع تأكيد لتحيزاتها الخاصة، أو طلبات مغلفة ببراعة لأكاذيب مريحة.

سألت ابن أخيها في منتصف نهار السبت، عندما كانا يجلسان معًا في غرفة الجلوس، جوان في الكرسي الأكثر راحة، وسترايك على الأريكة:

– "لماذا لم تتزوج قط يا كورموران؟"

المصباح بجانبها، الذي أضاءه بسبب اليوم الملبد بالغيوم والممطر، جعل بشرتها تبدو شفافة بدقة كورق المناديل.

كان سترايك مبرمجًا جدًا على إخبار جوان بما تريد سماعه لدرجة أنه كان في حيرة من أمره للإجابة. الرد الصادق الذي قدمه لديف بولورث بدا مستحيلاً هنا. ربما تأخذه كخطأ منها إذا أخبرها أنه ليس من النوع الذي يتزوج؛ لابد أنها فعلت شيئًا خاطئًا، فشلت في تعليمه أن الحب ضروري للسعادة.

قال، عائدًا للكليشيهات:

– "لا أدري. ربما لم أقابل المرأة المناسبة."

قالت جوان الجديدة:

– "إذا كنت تنتظر الكمال، فهو غير موجود."

– "أنتِ لا تتمنين لو تزوجت شارلوت، أليس كذلك؟" سألها.

كان يعلم تمامًا أن كلاً من جوان ولوسي تعتبران شارلوت شيطانة تقريبًا.

قالت جوان، بوميض من روحها القتالية القديمة:

– "بالتأكيد لا أتمنى."

وابتسما لبعضهما البعض.

أطل تيد برأسه من الباب.

– "تلك كيرينزا هنا يا حبيبتي. سيارتها توقفت للتو."

ممرضة ماكميلان، التي التقى بها سترايك في يومه الأول هناك، كانت نعمة لم يكن ليتخيلها أبدًا. امرأة نحيلة ومنمشة في مثل عمره، لم تجلب إلى المنزل أي هالة للموت، بل للحياة المستمرة، ببساطة مع المزيد من الراحة والدعم. تعرض سترايك الطويل للمهنة الطبية جعله معتادًا على نوع معين من البهجة القلبية غير الشخصية، لكن كيرينزا بدت وكأنها ترى تيد وجوان كأفراد، وليس كأطفال بسطاء العقول، وسمعها تتحدث إلى تيد، المنقذ السابق، عن أشخاص يحاولون التقاط صور سيلفي وظهورهم لأمواج العاصفة بينما كانت تخلع معطفها الواقي من المطر في المطبخ.

– "بالضبط. لا يفهمون البحر، أليس كذلك؟ احترمه، أو ابتعد عنه تمامًا، كان أبي ليقول ذلك... صباح الخير يا جوان،" قالت وهي تدخل الغرفة. "مرحبًا، كورموران."

قال سترايك وهو ينهض واقفًا:

– "صباح الخير يا كيرينزا. سأبتعد عن الطريق."

– "وكيف تشعرين اليوم يا عزيزتي؟" سألت الممرضة جوان.

– "لست سيئة للغاية. أنا فقط قليلاً..."

توقفت، لتسمح لابن أخيها بالمرور خارج نطاق السمع. وبينما كان سترايك يغلق الباب على المرأتين، سمع المزيد من الخطوات المقرمشة على الممر المفروش بالحصى بالخارج. نظر تيد، الذي كان يقرأ الصحيفة المحلية على الطاولة، للأعلى.

– "من ذاك، الآن؟"

بعد لحظة، ظهر ديف بولورث عند اللوحة الزجاجية في الباب الخلفي، وحقيبة ظهر كبيرة على ظهره. دخل، مبللاً بالمطر ومبتسمًا.

قال:

– "صباح الخير يا ديدي."

وتبادلا المصافحة والعناق الذي أصبح التحية القياسية في سنواتهما اللاحقة.

– "صباح الخير يا تيد."

– "ماذا تفعل هنا؟" سأل تيد.

أزاح بولورث حقيبة ظهره، وفتحها ورفع طبقين مجمدين ومغلفين بالبوليثين وضعهما على الطاولة.

– "بيني خبزت طبقين من الكسرولة. سأذهب لإحضار بعض المؤن، أردت معرفة ما تحتاجونه."

شعلة اللطف النقي والعملي التي كانت تشتعل في ديف بولورث لم تكن أبدًا أكثر وضوحًا لسترايك، ربما باستثناء يومه الأول في المدرسة الابتدائية، عندما أخذ بولورث الضئيل سترايك تحت حمايته.

قال تيد متأثرًا:

– "أنت فتى طيب. قل شكرًا جزيلاً لبيني، أليس كذلك؟"

قال بولورث بتجاهل:

– "أجل، أرسلت حبها وكل ذلك."

سأله سترايك:

– "تريد مرافقتي بينما أدخن؟"

– "هيا إذن."

اقترح تيد:

– "استخدما السقيفة."

لذا توجه سترايك وبولورث معًا عبر الحديقة الغارقة بالمياه، ورؤوسهم منحنية ضد الرياح القوية والمطر، ودخلا سقيفة تيد. أشعل سترايك سيجارته بارتياح.

سأل بولورث وهو ينظر لسترايك من أعلى لأسفل:

– "هل كنت تتبع حمية؟"

– "إنفلونزا وتسمم غذائي."

– "أوه، نعم، قالت لوسي إنك كنت مريضًا." حرك بولورث رأسه باتجاه نافذة جوان. "كيف حالها؟"

– "ليست عظيمة."

– "كم ستبقى هنا؟"

– "يعتمد على الطقس. اسمع، بجدية، أنا أقدر حقًا كل ما كنت تـ –"

– "اخرس يا أحمق."

– "هل يمكنني طلب معروف آخر؟"

– "هات ما عندك."

– "أقنع تيد بتناول كأس معك وقت الغداء. يحتاج للخروج من هذا المنزل قليلاً. سيفعل ذلك إذا علم أنني معها، لكن بخلاف ذلك لن يغادر."

– "اعتبره قد تم."

– "أنت –"

– "– أمير بين الرجال، نعم، أعرف أنني كذلك. أرسنال تأهل لمراحل خروج المغلوب، إذن؟"

– "أجل. بايرن ميونيخ التالي، رغم ذلك."

كان قد فوت مشاهدة تأهل فريقه قبل الكريسماس، لأنه كان يراقب المراوغ عبر الويست إند. دوري أبطال أوروبا، الذي كان يجب أن يكون متعة وتشتيتًا، كان يفشل في جذبه كالمعتاد.

– "روبن تدير الأمور في لندن بينما أنت هنا؟"

– "أجل."

كانت قد راسلته في وقت سابق، طالبة دردشة قصيرة حول قضية بامبورو. رد بأنه سيتصل بها عندما يكون لديه وفت. هو أيضًا كانت لديه أخبار عن القضية، لكن مارغو بامبورو كانت مفقودة منذ ما يقرب من أربعين عامًا، ومثل كيرينزا الممرضة، كان سترايك حاليًا يعطي الأولوية للأحياء.

عندما أنهى سيجارته، عادا إلى المنزل ليجدا تيد وكيرينزا في محادثة في المطبخ.

قالت كيرينزا، مبتسمة لسترايك وهي ترتدي معطفها الواقي من المطر:

– "إنها تفضل التحدث إليك بدلاً مني اليوم. سأعود صباح الغد يا تيد."

بينما كانت تتحرك نحو الباب الخلفي، قال بولورث:

– "تيد، تعال وتناول كأسًا."

قال تيد:

– "أوه، لا، شكرًا يا بني. سأبقى هنا الآن."

توقفت كيرينزا ويدها على مقبض الباب.

– "تلك فكرة جيدة جدًا. احصل على القليل من الهواء النقي يا تيد – ماء نقي، اليوم، يجب أن أقول،" أضافت، بينما كان المطر يقرع السقف. "وداعًا الآن."

غادرت. تطلب الأمر من تيد القليل من الإقناع الإضافي، لكنه وافق أخيرًا على الانضمام لبولورث لتناول شطيرة في حانة "فيكتوري". بمجرد ذهابهما، أخذ سترايك الصحيفة المحلية من الطاولة وحملها عائدًا إلى غرفة الجلوس.

ناقش هو وجوان الفيضانات، لكن صور الأمواج التي تضرب ميفاغيسي عنت لها أقل بكثير مما كانت ستعنيه قبل بضعة أشهر. استطاع سترايك أن يدرك أن عقل جوان كان منشغلاً بالشخصي، وليس العام.

سألت، بينما كان يقلب صفحة الصحيفة:

– "ماذا يقول برجي؟"

– "لم أكن أعرف أنكِ تؤمنين بهذه الأشياء يا جوان."

– "لا أعرف ما إذا كنت أفعل أم لا. لكنني أنظر دائمًا."

– "أنتِ..." قال محاولاً تذكر عيد ميلادها. كان يعلم أنه في الصيف.

قالت:

– "سرطان." ثم أطلقت ضحكة صغيرة. "بأكثر من طريقة." (إشارة لمرضها بالسرطان وبرجها الفلكي).

لم يبتسم سترايك.

أخبرها، ماسحًا برجها ليتمكن من حجب أي شيء كئيب:

– "«وقت جيد لزعزعة روتينك. لذا لا ترفضي الأفكار الجديدة فورًا. تراجع المشتري يشجع النمو الروحي»."

قالت جوان: "هاه". بعد صمت قصير، قالت: "لا أعتقد أنني سأكون هنا لعيد ميلادي القادم يا كورم."

ضربته الكلمات مثل لكمة في الحجاب الحاجز.

– "لا تقولي ذلك."

– "إذا لم أستطع قول ذلك لك، فلمن يمكنني قوله؟"

عيناها، اللتان كانتا دائمًا بلون أزرق شاحب (لون زهرة لا تنسني)، كانتا باهتتين الآن. لم يسبق لها التحدث معه هكذا من قبل، كند. دائمًا، سعت للوقوف أعلى منه قليلاً، بحيث من منظورها يظل الجندي الذي يبلغ طوله ستة أقدام وثلاث بوصات طفلها الصغير.

– "لا أستطيع قوله لتيد أو لوسي، أليس كذلك؟ أنت تعرف كيف هما."

قال بصعوبة:

– "أجل."

– "بعد ذلك... ستعتني بتيد، أليس كذلك؟ تأكد من رؤيته. إنه يحبك كثيرًا جدًا."

تبًا.

لفترة طويلة جدًا، طلبت نوعًا من الزيف من كل من حولها، نظرة وردية لكل شيء، والآن أخيرًا تقدم صدقًا بسيطًا وصراحة في الكلام وتمنى أكثر من أي شيء لو كان بإمكانه ببساطة الإيماء برأسه لأخبار فضيحة في الحي. لماذا لم يزرهما أكثر؟

– "سأفعل، بالطبع."

قالت بهدوء:

– "أريد الجنازة في كنيسة سانت ماوس، حيث تم تعميدي. لكنني لا أريد أن أدفن، لأنه سيكون في المقبرة البعيدة في ترورو. تيد سيرهق نفسه، مسافرًا ذهابًا وإيابًا، حاملاً لي الزهور. أنا أعرفه.

"قلنا دائمًا إننا نريد أن نكون معًا، بعد ذلك، لكننا لم نضع خطة ولن يتحدث معي عن الأمر الآن. لذا، فكرت في الأمر يا كورم، وأريد أن يتم حرق جثتي. ستتأكد من حدوث هذا، أليس كذلك؟ لأن تيد يبدأ في البكاء في كل مرة أحاول التحدث عن الأمر ولوسي لن تستمع ببساطة."

أومأ سترايك وحاول الابتسام.

– "لا أريد العائلة في المحرقة. أكره محارق الجثث، الستائر والحزام الناقل. ودعني في الكنيسة، ثم خذ تيد للحانة ودع متعهدي الدفن يتعاملون مع جزء المحرقة، حسنًا؟ ثم، بعد ذلك، يمكنك استلام رمادي، وأخذي للخارج على قارب تيد ونثري في البحر. وعندما يحين دوره، يمكنك فعل الشيء نفسه لتيد، وسنكون معًا. أنت ولوسي لن ترغبا في القلق بشأن الاعتناء بالقبور طوال الطريق من لندن. حسنًا؟"

كانت الخطة تحمل الكثير من جوان التي يعرفها: كانت مليئة باللطف العملي وبعد النظر، لكنه لم يتوقع اللمسة الأخيرة للرماد الطافي بعيدًا مع المد، لا شاهد قبر، لا تواريخ مرتبة، بدلاً من ذلك اندماج مع العنصر الذي سيطر على حياتها وحياة تيد، جاثمين على بلدتهما الساحلية، خاضعين للمحيط، باستثناء تلك الفترة الغريبة التي اختفى فيها تيد، متمردًا على والده، لعدة سنوات في الشرطة العسكرية.

قال بصعوبة:

– "حسنًا."

غاصت قليلاً في كرسيها بارتياح لإزاحة هذا عن صدرها، وابتسمت له.

– "من الجميل جدًا وجودك هنا."

على مدى الأيام القليلة الماضية اعتاد على شرودها القصير وانتقالاتها غير المنطقية في الحديث، لذا كان الأمر أقل مفاجأة مما كان يمكن أن يكون لسماعها تقول، بعد دقيقة:

– "أتمنى لو قابلتُ روبن خاصتك."

سترايك، الذي كانت عين عقله لا تزال تتبع رماد جوان في الغروب، تماسك.

– "أعتقد أنها ستعجبك. أنا متأكد أنها ستحبك."

– "لوسي تقول إنها جميلة."

– "أجل، هي كذلك."

تمتمت جوان:

– "مسكينة الفتاة."

تساءل لماذا. بالطبع، تم الإبلاغ عن هجوم السكين في الصحافة، عندما أدلت روبن بشهادتها ضد "سفاح شاكلويل".

قال سترايك، محاولاً إبعاد جوان عن روبن، والجنازات، والموت:

– "مضحك، حديثك عن الأبراج. نحن نحقق في اختفاء قديم الآن. الرجل الذي كان مسؤولاً عن القضية..."

لم يسبق له مشاركة تفاصيل تحقيق مع جوان من قبل، وتساءل لماذا لم يفعل، الآن وهو يرى انتباهها الشديد.

قالت، أكثر حيوية مما رآها منذ أيام:

– "لكنني أتذكر تلك الطبيبة! مارغو بامبورو، نعم! كان لديها طفلة في المنزل..."

– "حسنًا، تلك الطفلة هي عميلتنا. اسمها آنا. هي وشريكها لديهما منزل عطلات في فالموث."

– "تلك العائلة المسكينة. عدم المعرفة أبدًا... وإذن الضابط ظن أن الإجابة في النجوم؟"

– "أجل. مقتنع بأن القاتل كان جديًا (كابريكورن)."

– "تيد جدي."

قال سترايك بجدية:

– "شكرًا للمعلومة." فأطلقت ضحكة صغيرة. "هل تريدين المزيد من الشاي؟"

بينما كانت الغلاية تغلي، تحقق سترايك من رسائله. أرسل باركلي تحديثًا عن حبيبة المزدوج، لكن أحدث رسالة كانت من رقم مجهول، وفتحها أولاً.

مرحبًا كورموران، معك أختك غير الشقيقة، برودينس دونليفي. أعطاني آل رقمك. آمل أن تأخذ هذا بالروح التي قُصد بها. دعني أقول أولاً إنني أتفهم تمامًا وأتعاطف مع أسبابك لعدم الرغبة في الانضمام إلينا لحفلة الذكرى السنوية/الألبوم لـ «ديدبيتس». قد تعلم أو لا تعلم أن رحلتي الخاصة لعلاقة مع أبي كانت صعبة من نواحٍ عديدة، لكن في النهاية أشعر أن التواصل معه – ونعم، مسامحته – كانت تجربة مثرية. نأمل جميعًا بشدة أن تعيد النظر –

سألت جوان:

– "ما الخطب؟"

كانت قد تبعته إلى المطبخ، تجر قدميها، منحنية قليلاً.

– "ماذا تفعل؟ يمكنني إحضار أي شيء تريده –"

– "كنت سأريك أين أخبئ بسكويت الشوكولاتة. إذا عرف تيد، يلتهمه كله، والطبيب قلق بشأن ضغط دمه. ماذا كنت تقرأ؟ أنا أعرف تلك النظرة. كنت غاضبًا."

لم يعرف ما إذا كان تقديرها الجديد للصدق سيمتد ليصل والده، لكن بطريقة ما، مع الرياح والأمطار التي تضرب حولهم، هبط جو الاعتراف على المنزل. أخبرها عن الرسالة النصية.

قالت جوان:

– "أوه." وأشارت إلى علبة "تابروير" على رف علوي. "البسكويت هناك."

عادا إلى غرفة الجلوس بالبسكويت، الذي أصرت على أن يضعه في طبق. بعض الأشياء لا تتغير أبدًا.

سألت جوان، عندما استقرت مرة أخرى في كرسيها:

– "لم تقابل برودينس قط، أليس كذلك؟"

قال سترايك، محاولاً أن يبدو واقعيًا:

– "لم أقابل برودينس، أو الكبرى، مايمي، أو الأصغر، إد."

لم تقل جوان شيئًا لمدة دقيقة أو نحو ذلك، ثم نفخت تنهيدة كبيرة صدرها النحيل وأهبطته، وقالت:

– "أعتقد أنه يجب عليك الذهاب لحفلة والدك يا كورم."

– "لماذا؟" رن المقطع الواحد في أذنيه بغضب مراهق، بار بنفسه. لدهشته الطفيفة، ابتسمت له.

قالت:

– "أعرف ما حدث. تصرف بشكل سيء للغاية، لكنه لا يزال والدك."

قال سترايك:

– "لا، ليس كذلك. تيد هو أبي."

لم يقلها بصوت عالٍ من قبل قط. امتلأت عينا جوان بالدموع.

قالت بنعومة:

– "سيحب سماعك تقول ذلك. مضحك، أليس كذلك... منذ سنوات، سنوات وسنوات، كنت مجرد فتاة، وذهبت لرؤية عرافة غجرية حقيقية. اعتادوا التخييم أعلى الطريق. ظننت أنها ستخبرني بالكثير من الأشياء اللطيفة. تتوقع ذلك منهم، أليس كذلك؟ لقد دفعت مالك. هل تعرفين ما قالته؟"

هز سترايك رأسه.

– "«لن يكون لديك أطفال أبدًا.» هكذا ببساطة. مباشرة."

قال سترايك:

– "حسنًا، لقد أخطأت في ذلك، ألم تفعل؟"

بدأت الدموع مرة أخرى في عيني جوان الباهتتين. *لماذا لم أقل هذه الأشياء من قبل قط؟* سأل سترايك نفسه. *كان من السهل جدًا منحها السعادة، وبدلًا من ذلك تمسكت بشدة بولاءاتي المنقسمة، غاضبًا من اضطراري للاختيار، للتصنيف، وبفعل ذلك، للخيانة.* مد يده ليدها وضغطت عليها بقوة مفاجئة.

– "يجب أن تذهب لتلك الحفلة يا كورم. أعتقد أن والدك في قلب... الكثير من الأشياء. أتمنى،" أضافت بعد توقف قصير، "لو كان لديك شخص يعتني بك."

أضاف مبتسمًا:

– "لا تسير الأمور بهذه الطريقة هذه الأيام يا جوان. يُفترض بالرجال أن يكونوا قادرين على الاعتناء بأنفسهم – بأكثر من طريقة."

قالت بهدوء:

– "التظاهر بأنك لا تحتاج لأشياء... هذا مجرد سخف. ماذا يقول برجك؟"

التقط الصحيفة مرة أخرى ونظف حلقه.

– "«القوس: مع تراجع حاكمك، قد تجد أنك لست ذاتك السعيدة المحظوظة المعتادة...»"

32

وحيثما كنتُ، فإن عوني الخفي
سيظل يتبعُ خطاك.
إدموند سبنسر ملكة الجن

كانت الساعة تشير إلى الثالثة بعد الظهر، وروبن، القابعة في سيارتها اللاند روفر بالقرب من المنزل المتلاصق العادي المظهر في ستوك نيوينغتون الذي راقبه سترايك قبل الكريسماس، لم ترَ شيئًا يثير الاهتمام منذ وصولها إلى الشارع في التاسعة من صباح ذلك اليوم. وبينما كان رذاذ المطر يتناثر على زجاجها الأمامي، تمنت لو أنها تدخن، لمجرد أن تجد شيئًا تفعله.

كانت قد حددت هوية المالكة الشقراء للمنزل عبر الإنترنت. اسمها إلينور دين، وهي مطلقة تعيش بمفردها. كانت إلينور في المنزل بالتأكيد، لأن روبن رأتها تمر أمام نافذة قبل ساعتين، لكن الطقس العاصف بدا وكأنه يبقيها بالداخل. لم يزر أحد المنزل طوال اليوم، وبالتأكيد ليس رئيس "المراوغ". ربما كانوا أقارب في نهاية المطاف، وزيارته قبل الكريسماس كانت ببساطة واحدة من تلك الأشياء التي يفعلها المرء في موسم الأعياد: سداد ديون اجتماعية، تقديم هدايا، والاطمئنان. التربيت على الرأس ربما كان مزحة خاصة. بالتأكيد لم يبدُ أنه يوحي بأي شيء جنسي، أو إجرامي أو منحرف، وهو ما كانوا يبحثون عنه.

رن هاتف روبن المحمول.

– "مرحبًا."

سأل سترايك:

– "هل يمكنك التحدث؟"

كان يهبط الشارع شديد الانحدار حيث يقع منزل تيد وجوان، متكئًا على عصا المشي القابلة للطي التي أحضرها معه، عالمًا بأن الطرق ستكون مبللة وربما زلقة. كان تيد قد عاد إلى المنزل؛ وكانا قد ساعدا جوان للتو للصعود إلى الطابق العلوي لأخذ قيلولة، وقرر سترايك، الذي أراد التدخين ولم يرقه جو السقيفة مرة أخرى، الذهاب في نزهة قصيرة تحت المطر المتواصل.

قالت روبن:

– "نعم. كيف حال جوان؟"

قال سترايك:

– "كما هي." لم يكن يرغب في الحديث عن الأمر. "قلتِ إنكِ تريدين دردشة بخصوص بامبورو."

– "أجل. لدي أخبار جيدة، ولا أخبار، وأخبار سيئة."

– "السيئة أولاً."

كان البحر لا يزال مضطربًا، والرذاذ يتفجر في الهواء فوق جدار الرصيف البحري. انعطف يمينًا، متجهًا نحو البلدة.

– "وزارة العدل لن تسمح لك بمقابلة كريد. وصلت الرسالة هذا الصباح."

قال سترايك:

– "آه."

مزق المطر المنهمر الضباب الأزرق لدخان سيجارته، مبددًا إياه.

– "حسنًا، لا أستطيع القول إنني متفاجئ. ماذا تقول؟"

– "تركتها في المكتب، لكن الفحوى هي أن أطباءه النفسيين يتفقون على أن عدم تعاونه لن يتغير في هذه المرحلة."

– "حسنًا. كان أملاً بعيدًا على أية حال."

لكن روبن استطاعت سماع خيبة أمله، وتعاطفت معه. لقد مر خمسة أشهر على القضية، وليس لديهم خيوط جديدة تستحق الذكر، والآن بعد أن تلاشى احتمال استجواب كريد، شعرت بطريقة ما أنها وسترايك يبحثان عبثًا في برك

صخرية صغيرة، بينما ينزلق القرش الأبيض العظيم على بعد ياردات، بعيد المنال، في المياه المظلمة.

تابعت روبن:

– "وعدت إلى أماندا وايت، التي تسمى الآن أماندا لوز، التي ظنت أنها رأت مارغو عند نافذة المطبعة. أرادت المال لتتحدث، أتذكر؟ عرضت عليها نفقات الانتقال إذا أرادت المجيء للمكتب – إنها في لندن، لن يكون المبلغ كبيرًا – وهي تفكر في الأمر."

دمدم سترايك:

– "كرم منها. ما هي الأخبار الجيدة؟"

– "آنا أقنعت زوجة أبيها بالتحدث إلينا. سينثيا."

– "حقًا؟"

– "نعم، لكن بمفردها. روي لا يزال لا يعرف شيئًا عنا. سينثيا ستقابلنا من وراء ظهره."

قال سترايك:

– "حسنًا، سينثيا شيء ما." وأضاف بعد لحظة تفكير: "شيء كبير، في الواقع."

كانت قدماه تأخذانه تلقائيًا نحو الحانة، وساق بنطاله المبللة باردة على كاحله المتبقي.

– "أين سنقابلها؟"

– "لا يمكن أن يكون في منزلهم، لأن روي لا يعرف. إنها تقترح «هامبتون كورت»، لأنها تعمل بدوام جزئي كمرشدة هناك."

– "مرشدة، هاه؟ يذكرني هذا: أي أخبار عن «بوستكارد»؟"

– "باركلي في المعرض اليوم. سيحاول الحصول على صور لها."

– "وماذا يفعل موريس وهاتشينز؟" سأل سترايك، وهو يمشي الآن بحذر صعودًا على الدرجات الواسعة الزلقة التي تؤدي إلى الحانة.

– "موريس مع فتاة «المزدوج»، التي لم تخطئ خطوة واحدة – حظ «المزدوج» سيء حقًا هذه المرة – وهاتشينز يراقب «الراقص». وبالحديث عن ذلك، من المقرر أن تقدم تقريرًا نهائيًا عن «الراقص» يوم الجمعة القادم. سأقابل العميل نيابة عنك، ما رأيك؟"

قال سترايك، وهو يخطو داخل حانة "فيكتوري" بشعور من الارتياح:

– "سيكون ذلك رائعًا، شكرًا."

كان المطر يقطر منه وهو يخلع معطفه.

– "لست متأكدًا متى سأتمكن من العودة. ربما رأيتِ، لقد تم تعليق رحلات القطارات."

– "لا تقلق بشأن الوكالة. لقد غطينا كل شيء. على أية حال، لم أنتهِ من إعطائك أخبار بامب... أوه، انتظر لحظة."

– "هل عليكِ الذهاب؟"

– "لا، لا بأس."

رأت للتو الباب الأمامي لإلينور دين يفتح. خرجت الشقراء الممتلئة مرتدية معطفًا بقلنسوة، مما حد من مجال رؤيتها بشكل ملائم. انزلقت روبن خارجة من اللاند روفر، وأغلقت الباب وانطلقت في المطاردة، ولا تزال تتحدث عبر هاتفها المحمول.

قالت بهدوء:

– "صديقتنا الشقراء تتحرك."

سأل سترايك:

– "هل قلتِ للتو إن لديكِ المزيد من الأخبار الجيدة عن بامبورو؟"

كان قد وصل إلى البار، وبمجرد الإشارة، تمكن من تأمين كأس جعة لنفسه، دفع ثمنه، ثم حمله إلى طاولة الزاوية التي جلس عليها مع بولورث في الصيف.

قالت روبن، وهي تنعطف عند الزاوية في نهاية الطريق، والشقراء الغافلة تمشي أمامها:

– "لدي. أتمنى لو كنت أستطيع القول إنني وجدت دوثويت أو ساتشويل، لكن آخر شخص رأى مارغو حية يُعد شيئًا، أليس كذلك؟"

قال سترايك بحدة:

– "وجدتِ غلوريا كونتي؟"

قالت روبن، وهي لا تزال تسير بتثاقل تحت المطر:

– "لا تتحمس كثيرًا."

بدت إلينور متجهة نحو المتاجر. استطاعت روبن رؤية متجر "تيسكو" في المسافة.

– "لم أتمكن من التحدث إليها بعد، لكنني شبه متأكدة أنها هي. وجدت العائلة في تعداد عام 1961: أم، وأب، وابن أكبر وابنة، غلوريا، واسمها الأوسط ماري. حسب ما تبدو عليه الأمور، غلوريا الآن في فرنسا، في نيم لأكون دقيقة، ومتزوجة من رجل فرنسي. أسقطت اسم «غلوريا»، وتستخدم الآن اسم ماري جوبير. لديها صفحة على فيسبوك، لكنها خاصة. وجدتها من خلال موقع لعلم الأنساب. أحد أبناء عمومتها الإنجليز يحاول تجميع شجرة العائلة. تاريخ الميلاد صحيح وكل شيء."

قال سترايك:

– "عمل رائع بحق الجحيم. أتعلمين، لست متأكدًا من أنها ليست أكثر إثارة للاهتمام حتى من ساتشويل أو دوثويت. آخر من رأى مارغو حية. ومقربة منها. والشخص الوحيد الحي الذي رأى ثيو أيضًا."

حماس سترايك فعل الكثير لتهدئة شكوك روبن بأنه أضاف نفسه إلى نقاط عملها لأنه اعتقد أنها ليست على مستوى المهمة.

تابعت روبن:

– "حاولت إضافتها كصديقة على فيسبوك، لكن لم أتلقَ ردًا بعد. إذا لم تجب، فأنا أعرف الشركة التي يعمل بها زوجها، وفكرت أنني قد أرسل له بريدًا إلكترونيًا لإيصال رسالة لها. لكنني اعتقدت أنه من اللباقة تجربة الطريق الخاص أولاً."

قال سترايك:

– "أوافقك الرأي."

أخذ رشفة من جعة "دوم بار". كان من المريح للغاية أن يكون في الحانة الدافئة والجافة، وأن يتحدث إلى روبن.

قالت روبن:

– "وهناك شيء آخر. أعتقد أنني ربما اكتشفت أي شاحنة شوهدت تسرع مبتعدة عن كليركينويل غرين مساء اختفاء مارغو."

قال سترايك مذهولاً:

– "ماذا؟ كيف؟"

– "خطر ببالي خلال الكريسماس أن ما اعتقد الناس أنه قد يكون زهرة مرسومة على الجانب، ربما كان شمسًا. كما تعلم. الشمس الكوكب."

– "الشمس تقنيًا نجـ –"

– "كف عن الفلسفة، أعرف أنها نجم."

كانت الشقراء ذات القلنسوة، كما شكت روبن، تتجه إلى داخل تيسكو. تبعتها روبن، مستمتعة بدفقة الحرارة الدافئة عند دخولها المتجر، رغم أن الأرضية تحت قدميها كانت زلقة وقذرة.

– "كان هناك متجر للأغذية الكاملة في كليركينويل عام 1974 كان شعاره شمسًا. وجدت إعلانًا له في أرشيف صحف المكتبة البريطانية، وتحققت مع «بيت الشركات» وتمكنت من التحدث إلى المدير، الذي لا يزال حيًا. أعرف أنني لم أكن لأتمكن من التحدث إليه لو لم يكن كذلك،" أضافت، قاطعة الطريق على أي تذاكٍ آخر.

قال سترايك، بينما كان المطر يضرب النافذة خلفه:

– "يا للروعة يا روبن."

الأخبار الجيدة وجعة "دوم بار" كانت تساعد مزاجه بالتأكيد.

– "هذا عمل ممتاز."

قالت روبن:

– "شكرًا لك. واسمع هذا: لقد طرد الرجل الذي كان يقوم بالتوصيل لديه، يعتقد في منتصف عام 1975، لأن الرجل أدين بالسرعة أثناء قيادة الشاحنة. تذكر اسمه – ديف أندروود – لكن لم يتسنَ لي الوقت لـ –"

التفتت إلينور فجأة، في منتصف ممر الأطعمة المعلبة، ومشت عائدة باتجاهها. تظاهرت روبن بالانهماك في اختيار علبة أرز. تاركة طريدتها تمر، أنهت جملتها.

– "– لم يتسنَ لي الوقت للبحث عنه بعد."

اعترف سترايك وهو يفرك عينيه المتعبتين:

– "حسنًا، أنتِ تجعلينني أشعر بالخجل."

رغم أنه أصبح لديه الآن غرفة نوم إضافية لنفسه بدلاً من الأريكة، إلا أن المرتبة القديمة كانت مجرد خطوة صغيرة للأعلى من حيث الراحة، نوابضها المكسورة تنخز ظهره وتصر في كل مرة يتقلب فيها.

– "أفضل ما فعلته هو العثور على ابنة روبي إليوت."

سردت روبن، وهي تراقب هدفها الأشقر تستشير قائمة تسوق قبل الاختفاء في ممر جديد:

– "روبي-التي-رأت-المرأتين-تتصارعان-بجوار-كبائن-الهاتف؟"

– "هي بعينها. ابنتها أرسلت بريدًا إلكترونيًا لتقول إنها سعيدة بالدردشة، لكننا لم نحدد وقتًا بعد. واتصلت بـ جانيس،" قال سترايك، "بشكل أساسي لأنني لم أستطع مواجهة إيرين، لأرى ما إذا كانت تستطيع تذكر الاسم الحقيقي للمدعو آبلثورب، لكنها في دبي، تزور ابنها لمدة ستة أسابيع. رسالة جهاز الرد الآلي الخاصة بها تقول حرفيًا «مرحبًا، أنا في دبي، أزور كيفن لمدة ستة أسابيع». قد أرسل لها رسالة أنصحها فيها بأنه ليس من الذكاء الإعلان للمتصلين العشوائيين بأنها تركت منزلها فارغًا."

سألت روبن:

– "إذن هل اتصلت بإيرين؟"

رأت أن إلينور تنظر الآن إلى طعام الأطفال.

– "ليس بعد. لكنني قمت بـ –"

في تلك اللحظة بالذات، أخبره تنبيه على هاتفه أن شخصًا آخر يحاول الوصول إليه.

– "روبن، قد يكون هذا هو. سأعاود الاتصال بك."

حول سترايك الخطوط.

– "كورموران سترايك."

قال غريغوري تالبوت:

– "نعم، مرحبًا. إنه أنا – غريغ تالبوت. طلبت مني الاتصال."

بدا غريغوري قلقًا. لم يستطع سترايك لومه. كان يأمل في التخلص من مشكلة بتسليم علبة الفيلم القديم لسترايك.

– "أجل، غريغوري، شكرًا جزيلاً لمعاودة الاتصال بي. كان لدي سؤالان آخران، آمل أن يكون ذلك مقبولاً."

– "تفضل."

– "لقد راجعت دفتر ملاحظات والدك وأردت أن أسأل عما إذا كان والدك قد عرف بالصدفة، أو ذكر، رجلاً يدعى نيكولو ريتشي؟ الملقب بـ «ماكي» (القذر)؟"

قال غريغوري:

– "ماكي ريتشي؟ لا، لم يعرفه حقًا. أتذكر أبي يتحدث عنه، رغم ذلك. شخصية كبيرة في مشهد متاجر الجنس في سوهو، إذا كان هو من أفكر فيه؟"

بدا الأمر وكأن الحديث عن رجل العصابات أعطى غريغوري رعشة صغيرة من المتعة. واجه سترايك هذا الموقف من قبل، وليس فقط لدى أفراد الجمهور المفتونين. حتى الشرطة والمحامون لم يكونوا محصنين ضد إثارة الدخول في مدار المجرمين الذين يملكون مالاً وسلطة تنافس مالهم وسلطتهم. عرف ضباطًا كبارًا يتحدثون بشيء يقترب من الإعجاب عن الجريمة المنظمة التي يحاولون منعها، ومحامين تتجاوز بهجتهم بالشرب مع عملاء بارزين مجرد الأمل في حكاية يروونها في حفل عشاء. شك سترايك في أن ماكي ريتشي بالنسبة لغريغوري تالبوت كان

اسمًا من طفولة تُذكر باعتزاز، شخصية رومانسية تنتمي لعصر ضائع، عندما كان والده شرطيًا عاقلاً ورجل عائلة سعيدًا.

قال سترايك:

– "أجل، هذا هو الرجل. حسنًا، يبدو أن ماكي ريتشي كان يحوم حول عيادة مارغو بامبورو، ويبدو أن والدك كان يعرف ذلك."

– "حقًا؟"

– "نعم، ويبدو من الغريب أن تلك المعلومة لم تصل أبدًا للسجلات الرسمية."

قال غريغوري بدفاعية:

– "حسنًا، أبي كان مريضًا. لقد رأيت دفتر الملاحظات. لم يكن يعرف ما يفعله، نصف الوقت."

– "أقدر ذلك، لكن بمجرد أن تعافى، ما كان موقفه من الأدلة التي جمعها أثناء العمل على القضية؟"

– "ماذا تعني؟"

بدا غريغوري مرتابًا الآن، وكأنه يخشى أن سترايك يقوده إلى مكان قد لا يرغب في الذهاب إليه.

– "حسنًا، هل اعتقد أن كل ذلك كان بلا قيمة، أم –؟"

قال غريغوري بهدوء:

– "لقد كان يستبعد المشتبه بهم بناءً على أبراجهم الفلكية. اعتقد أنه رأى شيطانًا في غرفة الضيوف. ماذا تظن أنه اعتقد؟ لقد كان... كان خجلاً. لم يكن خطأه، لكنه لم يتجاوز الأمر أبدًا. أراد العودة وتصحيح الأمور، لكنهم لم يسمحوا له، أجبروه على الخروج. لوثت قضية بامبورو كل شيء بالنسبة له، كل ذكرياته عن القوة. أصدقاؤه كانوا جميعًا شرطيين ولم يعد يراهم بعد ذلك."

– "شعر بالاستياء من الطريقة التي عومل بها، أليس كذلك؟"

– "لن أقول – أعني، كان محقًا، برأيي، في الشعور بأنهم لم يعاملوه بشكل صحيح."

– "هل راجع ملاحظاته أبدًا، بعد ذلك، للتأكد من أنه وضع كل شيء فيها في السجل الرسمي؟"

قال غريغوري، بنفاد صبر قليل الآن:

– "لا أعرف. أعتقد أن موقفه كان: لقد تخلصوا مني، يعتقدون أنني مشكلة كبيرة، لذا ليدعوا لوسون يتعامل مع الأمر."

– "كيف كانت علاقة والدك بلوسون؟"

– "اسمع، عما يدور كل هذا؟" قبل أن يتمكن سترايك من الإجابة، قال غريغوري: "أوضح لوسون تمامًا لأبي أن أيامه قد ولت. لم يرده أن يتسكع حول المكان، لم يرده في أي مكان بالقرب من القضية. بذل لوسون قصارى جهده لتشويه سمعة أبي تمامًا، لا أعني فقط بسبب مرضه. أعني، كرجل، وكضابط كما كان قبل أن يمرض. أخبر كل من في القضية أن يبتعدوا عن أبي، حتى خارج ساعات العمل. لذا إذا لم يتم تمرير المعلومات، فهذا يقع على عاتق لوسون بقدر ما يقع عليه. ربما حاول أبي وصُدّ، على حد علمي."

قال سترايك:

– "بالتأكيد أستطيع رؤية الأمر من وجهة نظر والدك. موقف صعب للغاية."

– "حسنًا، بالضبط." قال غريغوري، وقد هدأ قليلاً، كما قصد سترايك.

– "بالعودة إلى ماكي ريتشي، حسب علمك، لم يكن لوالدك أي تعاملات مباشرة معه أبدًا؟"

– "لا، لكن أعز أصدقاء أبي في القوة كان له، اسمه براونينغ. كان في شرطة الآداب. داهم أحد نوادي ماكي، أعرف ذلك. أتذكر أبي يتحدث عن الأمر."

– "أين براونينغ الآن؟ هل يمكنني التحدث إليه؟"

– "لقد مات براونينغ. ماذا كنت تريد أن تعرف منه بالضبط –؟"

– "أود أن أعرف من أين جاء ذلك الفيلم الذي مررته لي يا غريغوري."

– "لا فكرة لدي. أبي جاء به إلى المنزل ذات يوم فقط، تقول أمي."

– "أي فكرة متى كان هذا؟" سأل سترايك، آملاً ألا يضطر لإيجاد طريقة مهذبة للسؤال عما إذا كان تالبوت عاقلاً تمامًا في ذلك الوقت.

– "كان ليكون أثناء عمل أبي على قضية بامبورو. لماذا؟"

تماسك سترايك.

– "أخشى أننا اضطررنا لتسليم الفيلم للشرطة."

كان هاتشينز قد تطوع للاهتمام بهذا الأمر، في الصباح الذي توجه فيه سترايك إلى كورنوال. كشرطي سابق لا تزال لديه اتصالات جيدة في القوة، كان يعرف أين يأخذه وكيف يتأكد من رؤيته من قبل الأشخاص المناسبين. طلب سترايك من هاتشينز عدم التحدث إلى روبن عن الفيلم، أو إخبارها بما فعله به. كانت حاليًا تجهل محتوياته.

قال غريغوري مرعوبًا:

– "ماذا؟ لماذا؟"

قال سترايك، متمتمًا الآن، احترامًا للزوجين المسنين اللذين دخلا للتو حانة فيكتوري ووقفا، مشوشين بسبب العاصفة بالخارج، يقطران ماءً ويرمشان على بعد أقدام من طاولته:

– "إنه ليس فيلمًا إباحيًا. إنه فيلم «سناف» (فيلم قتل حقيقي). شخص ما صور امرأة تتعرض لاغتصاب جماعي وطعن."

ساد صمت آخر على الطرف الآخر من الهاتف. راقب سترايك الزوجين المسنين يجرجران أقدامهما إلى البار، والمرأة تخلع قبعة المطر البلاستيكية الخاصة بها وهي تمشي.

قال غريغوري، وارتفع صوته أوكتافًا:

– "قُتلت فعلاً؟ أعني... هل هو حقيقي بالتأكيد؟"

– "أجل."

لم يكن بصدد إعطاء تفاصيل. لقد رأى أناسًا يحتضرون وموتى: نوع الدماء التي تراها في أفلام الرعب لم يكن هو نفسه، وحتى بدون صوت، لن ينسى بسرعة المرأة المقنعة العارية وهي تختلج على أرضية المستودع، بينما قتلتها يشاهدونها تموت.

– "وأفترض أنك أخبرتهم من أين حصلت عليه؟" قال غريغوري، مذعورًا أكثر منه غاضبًا.

– "أخشى أنني اضطررت لذلك. أنا آسف، لكن بعض الرجال المتورطين قد يكونون لا يزالون على قيد الحياة، ويمكن اتهامهم. لا يمكنني الجلوس على شيء كهذا."

– "أنا لم أكن أخفي شيئًا، لم أكن أعرف حتى أنه كان –"

– "لم أكن أقصد الاقتراح بأنك كنت تعرف، أو أنك قصدتَ إخفاءه."

– "إذا ظنوا – نحن نكفل أطفالاً يا سترايك –"

– "أخبرت الشرطة أنك سلمته لي طواعية، دون معرفة ما كان عليه. سأقف في المحكمة وأشهد بأنني أعتقد أنك كنت في جهل تام بما كان في عليتك. عائلتك كان لديها نيف وأربعون عامًا لتدميره ولم تفعلوا. لن يلومك أحد."

قال سترايك ذلك، رغم أنه كان يعلم تمامًا أن الصحف الشعبية (التابلويد) قد لا تأخذ وجهة النظر تلك.

قال غريغوري، وبدا عليه الآن توتر هائل:

– "كنت خائفًا أن يحدث شيء كهذا. كنت قلقًا، منذ أن جئت لتناول القهوة. نبش كل هذه الأشياء مرة أخرى..."

– "أخبرتني أن والدك كان ليرغب في رؤية القضية تُحل."

ساد صمت آخر، ثم قال غريغوري:

– "كان ليرغب. لكن ليس على حساب راحة بال أمي، أو أخذ أطفالنا المكفولين مني ومن زوجتي."

خطرت لسترايك عدة ردود، بعضها قاسٍ. لم تكن المرة الأولى التي يواجه فيها الميل للاعتقاد بأن الموتى كانوا ليرغبوا في كل ما هو أكثر راحة للأحياء.

– "كانت لدي مسؤولية تسليم ذلك الفيلم للشرطة بمجرد أن رأيت ما عليه. كما أقول، سأوضح لأي شخص يسأل أنك لم تكن تحاول إخفاء أي شيء، وأنك سلمته طواعية."

لم يكن هناك الكثير ليقال. أنهى غريغوري المكالمة، ومن الواضح أنه لا يزال غير سعيد، وعاود سترايك الاتصال بروبن.

كانت لا تزال في تيسكو، تشتري الآن علبة مكسرات وزبيب، وعلكة وبعض الشامبو لنفسها بينما، على بعد صندوقي دفع، كانت هدف مراقبتها تشتري بودرة أطفال، وطعام أطفال ولهايات جنبًا إلى جنب مع مجموعة من البقالة.

قالت روبن في هاتفها المحمول، وهي تلتفت لتنظر خارج واجهة المتجر بينما كانت الشقراء تمر بها:

– "مرحبًا."

– "مرحبًا. كان ذلك غريغوري تالبوت."

– "ماذا –؟ أوه نعم،" قالت روبن باهتمام مفاجئ، وهي تستدير لتتبع الشقراء خارج المتجر، "ماذا كان على علبة الفيلم تلك؟ لم أسأل أبدًا. هل تمكنت من تشغيل جهاز العرض؟"

– "فعلت. سأخبرك عن الفيلم عندما أراك. اسمعي، هناك شيء آخر أردت قوله. اتركي ماكي ريتشي لي، حسنًا؟ لقد كلفت شانكر بمد بعض خيوط الاستشعار. لا أريدك أن تبحثي عنه، أو تجري استفسارات."

– "ألا يمكنني –؟"

– "ألم تسمعيني؟"

قالت روبن مندهشة:

– "حسنًا، اهدأ! بالتأكيد ريتشي لابد أنه في التسعينيات الآن؟"

– "لديه أبناء. أبناء يخاف منهم شانكر."

– "أوه." قدرت روبن المعنى الضمني تمامًا.

– "بالضبط. إذن اتفقنا؟"

أكدت له روبن:

– "اتفقنا."

بعد أن أغلق سترايك الخط، تتبعت روبن إلينور عائدة إلى المطر، وإلى منزلها المتلاصق. عندما أغلق الباب الأمامي مرة أخرى، عادت روبن إلى سيارتها اللاند روفر وأكلت كيس الفاكهة المجففة والمكسرات، تراقب الباب الأمامي.

خطر لها في تيسكو أن إلينور قد تكون جليسة أطفال، نظرًا لطبيعة مشترياتها، لكن بينما تحول الظهيرة إلى مساء، لم يأتِ أي آباء لتوصيل أطفالهم، ولم يُسمع بكاء طفل في الشارع الصامت.

33

لأنه، هو الطاغية، الذي يحتجزها
بأقوى التعاويذ والمعارف السحرية السوداء،
قد سجنها في زنزانة عميقة محكمة الإغلاق...
وهناك يعذبها بفظاعة،
ويذيقها ليل نهار ألمًا قاتلاً...

إدموند سبنسر ملكة الجن

الآن وقد أصبحت الشقراء في ستوك نيوينغتون شخصًا ذا أهمية أيضًا، أصبحت قضية "المراوغ" تتطلب عمل شخصين إلى ثلاثة أشخاص. كانت الوكالة تراقب منزل إلينور دين بالإضافة إلى تتبع تحركات رئيس المراوغ (SB) والمراوغ نفسه، الذي استمر في ممارسة أعماله، مستمتعًا بالراتب الضخم الذي لم يشعر أحد بأنه يستحقه، لكنه ظل محكمًا لفمه بشأن ما يمسكه على رئيسه.

في الوقت نفسه، كان "المزدوج" مستمرًا في الدفع لمراقبة صديقته، ويبدو أن ذلك كان بدافع اليأس أكثر منه الأمل، و"بوستكارد" قد صمت بشكل مريب. مشتبهتهم الوحيدة، المرشدة الشبيهة بالبومة في "معرض اللوحات القومي"، اختفت من مكان عملها.

قالت روبن لـ باركلي بعد ظهر يوم الجمعة، عندما تقاطعت طرقهما في المكتب:

– "آمل من الله أن تكون إنفلونزا، وأنها لم تقتل نفسها."

كان سترايك لا يزال عالقًا في كورنوال وكانت هي قد ودعت للتو عميل "الراقص" خارج المكتب. دفع فاتورته النهائية الكبيرة بامتعاض، بعد أن اكتشف فقط أن راقص الـ "ويست إند" الذي كانت ابنته الطائشة مغرمة به هو شاب نظيف الحياة، أحادي الزواج، ويبدو أنه غيري الجنس (مستقيم).

بدا باركلي، الذي كان يقدم إيصالاته الأسبوعية لـ بات قبل الخروج لتولي مراقبة المراوغ طوال الليل، متفاجئًا.

– "بحق الجحيم، لماذا تقتل نفسها؟"

قالت روبن:

– "لا أعرف. تلك الرسالة الأخيرة التي كتبتها بدت مذعورة قليلاً. ربما ظنت أنني جئت لمواجهتها، حاملة البطاقات البريدية التي أرسلتها."

نصحها باركلي:

– "أنتِ بحاجة للحصول على بعض النوم."

تحركت روبن نحو الغلاية.

أخبرها باركلي:

– "ليس لي. يجب أن أتولى المهمة من آندي خلال ثلاثين دقيقة. عدنا إلى بيمليكو، نراقب عصفورة المزدوج وهي لا تقيم علاقة مع أي وغد."

عدت بات أوراقًا نقدية من فئة عشرة جنيهات لباركلي، الذي كان موقفها تجاهه متسامحًا أكثر منه دافئًا. ظل العضو المفضل لبات في الوكالة، باستثناء روبن، هو موريس، الذي لم تقابله روبن سوى ثلاث مرات منذ بداية العام الجديد: مرتين عند تبادل الورديات في نهاية نوبة مراقبة ومرة عندما جاء إلى المكتب لترك تقريره الأسبوعي. وجد صعوبة في التقاء عينيه بعينيها وتحدث عن لا شيء سوى العمل، وهو تغيير أملت أن يكون دائمًا.

سألت روبن، وهي تصنع القهوة:

– "من التالي في قائمة انتظار العملاء يا بات؟"

قال باركلي بجمود، وهو يضع نقوده في جيبه:

– "ليس لدينا القوى العاملة لقضية أخرى حالياً. ليس مع غياب سترايك."

قالت روبن، وهي تضع قهوة بات بجانبها:

– "سيعود يوم الأحد، طالما أن القطارات تعمل. لقد رتبنا لمقابلة سينثيا فيبس يوم الاثنين القادم، في قصر هامبتون كورت."

أخبر باركلي بات، التي كانت في غياب سترايك مسؤولة عن جدول المناوبات:

– "أحتاج لعطلة نهاية أسبوع في الوطن، نهاية الشهر. قد أستغل الفرصة، طالما أنني لا أحتاج لجواز سفر."

سألت روبن المنهكة، وهي تجلس على الأريكة في المكتب الخارجي مع قهوتها:

– "ماذا تعني؟"

كانت، نظريًا، خارج الخدمة في تلك اللحظة، لكنها لم تستطع استجماع الطاقة للذهاب إلى المنزل.

قال باركلي، ناظرًا إليها من تحت حاجبيه الكثيفين:

– "الاستقلال الاسكتلندي يا روبن. أعلم أنكم أيها الإنجليز بالكاد لاحظتم، لكن الاتحاد على وشك التفكك."

– "لن يحدث حقًا، أليس كذلك؟"

دمدم باركلي:

– "كل وغد أعرفه سيصوت بنعم في سبتمبر. أحد أصدقائي من المدرسة ناداني بـ «العم توم» (أي خائن لقوميته) آخر مرة كنت فيها في الوطن. ذلك الأحمق لن يفعل ذلك مرة أخرى."

عندما غادر باركلي، سألت بات روبن:

– "كيف حال عمته؟"

عرفت روبن أن بات تشير إلى سترايك، لأنها لم تكن تشير إلى رئيسها بالاسم أبدًا إذا استطاعت تجنب ذلك.

– "مريضة جدًا. ليست لائقة للمزيد من العلاج الكيميائي."

حشرت بات سيجارتها الإلكترونية بين أسنانها واستمرت في الطباعة. بعد فترة، قالت:

– "كان بمفرده في الكريسماس، في الطابق العلوي."

– "أعرف. أخبرني كم كنتِ جيدة معه. تشترين له الحساء. كان ممتنًا حقًا."

استنشقت بات (بأنفها). شربت روبن قهوتها، آملة في دفعة طاقة تكفي فقط لانتشالها من هذه الأريكة وإيصالها للمترو. ثم قالت بات:

– "كنت لأعتقد أنه كان سيكون لديه مكان يذهب إليه، غير العلية."

– "حسنًا، لقد أصيب بإنفلونزا شديدة جدًا. لم يرغب في نقلها لأي شخص آخر."

لكن بينما كانت تغسل كوبها، وترتدي معطفها، وتودع بات وتنطلق للأسفل، وجدت روبن نفسها تتأمل في هذا التبادل القصير. غالبًا ما فكرت في العداء الذي لا يمكن تفسيره، بالنسبة لها، الذي بدت بات تكنه لسترايك. كان واضحًا من نبرتها أن بات تخيلت أن سترايك محصن بطريقة ما ضد الوحدة أو الضعف، وكانت روبن محتارة في السبب، لأن سترايك لم يخفِ أبدًا مكان عيشه أو حقيقة أنه ينام هناك وحيدًا.

رن هاتف روبن المحمول. برؤية رقم مجهول، وتذكر أن توم تورفي كان على الطرف الآخر من الخط آخر مرة أجابت فيها على واحد، توقفت خارج محطة "توتنهام كورت رود" للرد عليه، بقلق طفيف.

قال صوت بلهجة مانشسترية:

– "هل هذه روبن إيلاكوت؟"

– "نعم، هي."

قالت المرأة، بتوتر قليل:

– "مرحبًا. أردتِ التحدث إلى ديف أندروود. أنا ابنته."

قالت روبن:

– "أوه، نعم. شكرًا جزيلاً لمعاودة الاتصال بي."

ديف أندروود كان الرجل الذي تم توظيفه لقيادة شاحنة متجر أغذية كاملة في الوقت الذي اختفت فيه مارغو بامبورو. روبن، التي وجدت عنوانه عبر الإنترنت وكتبت له رسالة قبل ثلاثة أيام، لم تكن تتوقع ردًا سريعًا كهذا. لقد اعتادت على تجاهل الناس لرسائلها حول مارغو بامبورو.

قالت المرأة على الهاتف:

– "كانت صدمة بعض الشيء، تلقي رسالتك. الأمر هو أن أبي لا يستطيع التحدث إليكِ بنفسه. خضع لعملية شق حنجرة قبل ثلاثة أسابيع."

قالت روبن، واضعة إصبعًا في الأذن غير المضغوطة على الهاتف، لحجب صوت المرور الهادر:

– "أوه، يؤسفني جدًا سماع ذلك."

– "أجل. إنه هنا معي الآن، مع ذلك، ويريد مني أن أقول... انظري... هو لن يقع في ورطة، أليس كذلك؟"

– "لا، بالطبع لا. كما قلت في رسالتي، الأمر حقًا يتعلق فقط باستبعاد الشاحنة من التحقيقات."

– "حسنًا إذن. حسنًا، لقد كان هو. مذهل، أنكِ استنتجتِ ذلك، لأنهم جميعًا أقسموا أنها كانت زهرة على جانب الشاحنة، أليس كذلك؟ كان سعيدًا في ذلك الوقت، لأنه ظن أنه سيقع في ورطة، لكنه شعر بالسوء حيال ذلك لسنوات. سلك الطريق الخطأ في عملية توصيل وكان يسرع عبر كليركينويل غرين لمحاولة تصحيح مساره. لم يرد أن يقول شيئًا، لأن الرئيس وبخه في ذلك الصباح لعدم إخراج التوصيلات في الوقت المحدد. رأى في الصحيفة أنهم كانوا يفكرون ربما كان دينيس كريد وهو فقط... حسنًا، أنتِ تعلمين. لا أحد يحب التورط في أشياء كهذه، أليس كذلك؟ وكلما طال صمته، كلما اعتقد أن الأمر سيبدو أسوأ، كونه لم يتقدم على الفور."

قالت روبن:

– "فهمت. نعم، أستطيع تفهم شعوره. حسنًا، هذا مفيد للغاية. وبعد أن قام بتسليمه، هل –؟"

– "أجل، عاد إلى المتجر وحصل على توبيخ حقيقي على أية حال، لأنهم فتحوا الشاحنة ورأوا أنه سلم الطلب الخطأ. كان عليه الخروج مرة أخرى."

إذن مارغو بامبورو لم تكن في الجزء الخلفي من شاحنة الأغذية الكاملة بوضوح.

قالت روبن:

– "حسنًا، شكرًا جزيلاً لمعاودة الاتصال بي، ومن فضلك اشكري والدك لكونه صادقًا. سيكون هذا عونًا كبيرًا."

قالت المرأة: "على الرحب والسعة"، ثم بسرعة، قبل أن تتمكن روبن من إنهاء المكالمة: "هل أنتِ الفتاة التي طعنها «سفاح شاكلويل»؟"

للحظة، فكرت روبن في الإنكار، لكنها وقعت الرسالة لديف أندروود باسمها الحقيقي.

قالت، ولكن بدفء أقل مما وضعته في شكرها للمعلومات حول الشاحنة:

– "نعم."

لم تكن تحب أن تسمى "الفتاة التي طعنها سفاح شاكلويل".

قالت المرأة:

– "واو. أخبرت أبي أنني أعتقد أنها أنتِ. حسنًا، على الأقل كريد لا يستطيع النيل منك، هاه؟"

قالتها بمرح تقريبًا. وافقت روبن، وشكرتها مرة أخرى على تعاونها، وأنهت المكالمة ونزلت الدرج إلى المترو.

على الأقل كريد لا يستطيع النيل منك، هاه؟

ظلت الخاتمة المبهجة مع روبن وهي تنزل إلى المترو. تلك الاستخفافية كانت تخص فقط أولئك الذين لم يشعروا قط بالرعب الأعمى، أو واجهوا القوة الغاشمة والفولاذ، الذين لم يسمعوا قط تنفسًا يشبه تنفس الخنزير بالقرب من أذنهم، أو رأوا عينين غير مركزتين من خلال ثقوب قناع تزلج، أو شعروا بلحمهم ينشق، ومع ذلك بالكاد سجلوا الألم، لأن الموت كان قريبًا جدًا لدرجة أن بإمكانك شم أنفاسه.

نظرت روبن خلف كتفها على السلم المتحرك، لأن الراكب المهمل خلفها ظل يلمس ظهر فخذيها العلويين بحقيبته. أحيانًا كانت تجد الاتصال الجسدي العرضي مع الرجال لا يطاق تقريبًا. عند الوصول إلى أسفل السلم المتحرك تحركت بسرعة لتبعد نفسها عن محيط الراكب. *على الأقل كريد لا يستطيع النيل منك، هاه؟* كما لو أن "النيل منك" لم يكن أكثر من لعبة "مساكة" (لعبة أطفال).

أم أن كونها في الصحيفة جعل روبن بطريقة ما تبدو أقل إنسانية للمرأة على الطرف الآخر من الهاتف؟ بينما كانت روبن تستقر في مقعد بين امرأتين في المترو، عادت أفكارها إلى بات، ودهشة السكرتيرة من أن سترايك ليس لديه مكان يذهب إليه عندما يكون مريضًا، ولا أحد يعتني به. هل كان ذلك أصل نفورها؟ افتراض أن القابلية لتصدر الأخبار تعني الحصانة؟

عندما أدخلت روبن نفسها إلى الشقة بعد أربعين دقيقة، حاملة كيس بقالة ومتطلعة لنوم مبكر، وجدت المكان فارغًا باستثناء فولفغانغ، الذي حياها بحماس، ثم أنّ بطريقة تشير إلى امتلاء مثانته. بتنهيدة، وجدت روبن مقوده وأخذته للأسفل في نزهة سريعة حول المبنى. بعد ذلك، ولشدة تعبها عن طهي وجبة حقيقية، خفقت لنفسها بعض البيض وأكلته مع الخبز المحمص بينما تشاهد الأخبار على التلفزيون.

كانت تملأ حوض الاستحمام لنفسها عندما رن هاتفها المحمول مرة أخرى. هبط قلبها قليلاً عندما رأت أنه أخوها جوناثان، الذي كان في سنته الجامعية الأخيرة في مانشستر. ظنت أنها تعرف ما يتصل بشأنه.

– "مرحبًا، جون."

– "مرحبًا يا روبس. لم تجيبي على رسالتي."

كانت تعلم تمامًا أنها لم تفعل. كان قد أرسلها في ذلك الصباح، بينما كانت تراقب صديقة "المزدوج" تتناول قهوة بريئة، وحيدة مع رواية لـ ستيغ لارسون. أراد جون معرفة ما إذا كان بإمكانه هو وصديقة المجيء والبقاء في شقتها في عطلة نهاية الأسبوع في الرابع عشر والخامس عشر من فبراير.

قالت روبن:

– "آسفة. أعرف أنني لم أفعل، كان يومًا حافلاً. لست متأكدة، لنكون صادقين يا جون. لا أعرف ما هي خطط ماكس –"

– "لن يمانع تحطمنا (نومنا) في غرفتك، أليس كذلك؟ كورتني لم تزر لندن من قبل. هناك عرض كوميدي نريد رؤيته يوم السبت. في مسرح «بلومزبري»."

سألت روبن، مبتسمة الآن:

– "هل كورتني حبيبتك؟"

كان جوناثان دائمًا كتومًا تمامًا مع العائلة بشأن حياته العاطفية.

كرر جوناثان ساخرًا:

– "هل هي حبيبتي."

لكن كان لدى روبن فكرة أنه كان سعيدًا جدًا بالسؤال في الواقع، وخمنت أن الإجابة هي "نعم".

قالت روبن:

– "سأتحقق مع ماكس، حسنًا؟ وسأعاود الاتصال بك غدًا."

بمجرد انتهائها من جوناثان، أنهت ملء حوض الاستحمام وتوجهت إلى غرفة نومها لإحضار بيجامة، وروب حمام وشيء لتقرأه. كان كتاب *شيطان بارادايس بارك* ممددًا أفقيًا عبر قمة رف رواياتها المرتب. بعد التردد للحظة، التقطته وأخذته معها إلى الحمام، محاولة أثناء ذلك تخيل الاستعداد للنوم بوجود أخيها وفتاة مجهولة في الغرفة أيضًا. هل كانت متزمتة، ومتحفظة وعجوزًا قبل أوانها؟ لم تكمل شهادتها الجامعية قط: "التحطم" (النوم العشوائي) على الأرضيات في منازل الغرباء لم يكن جزءًا من حياتها أبدًا، وفي أعقاب الاغتصاب الذي حدث في سكنها الجامعي، لم تكن لديها أي رغبة في النوم في أي مكان سوى في بيئة تملك السيطرة الكاملة عليها.

منزلقة في حمام الفقاعات الساخن، أطلقت روبن تنهيدة ارتياح كبيرة. كان أسبوعًا طويلاً، الجلوس في السيارة لساعات أو السير بتثاقل عبر الشوارع الممطرة خلف المراوغ أو إلينور دين. وعيناها مغلقتان، مستمتعة بالحرارة والياسمين

الصناعي لفقاعات حمامها الرخيصة، انجرفت أفكارها عائدة إلى ابنة ديف أندروود.

على الأقل كريد لا يستطيع النيل منك، هاه؟ بتنحية النبرة المازحة المسيئة جانبًا، بدا لها من المهم أن امرأة عرفت لسنوات أن كريد لم يكن يقود الشاحنة المزينة بالشمس كانت مع ذلك متأكدة من أنه اختطف مارغو.

لأن كريد، بالطبع، لم يكن يستخدم شاحنة دائمًا. قتل امرأتين قبل أن يحصل على وظيفة في المصبغة الجافة، وتمكن من إقناع نساء بالدخول إلى شقة القبو الخاصة به حتى بعد حصوله على المركبة.

فتحت روبن عينيها، ومدت يدها لـ *شيطان بارادايس بارك* وقلبت إلى الصفحة التي تركتها عندها آخر مرة. ممسكة بالكتاب بعيدًا عن الماء الساخن الرغوي، تابعت القراءة.

...في ليلة ما من سبتمبر 1972، رصدت صاحبة منزل دينيس كريد إياه وهو يحضر امرأة إلى شقة القبو لأول مرة. شهدت في محاكمة كريد أنها سمعت البوابة الأمامية "تصر" في وقت قريب من منتصف الليل، فنظرت للأسفل من نافذة غرفة نومها إلى الدرج المؤدي للقبو ورأت كريد وامرأة "بدت ثملة قليلاً لكنها كانت تمشي بشكل جيد"، يتجهان إلى داخل المنزل.

عندما سألت دينيس من تكون المرأة، أخبرها بالقصة غير القابلة للتصديق بأنها عميلة منتظمة للمصبغة. ادعى أنه التقى بالمرأة الثملة بالصدفة في الشارع، وأنها توسلت إليه للسماح لها بالدخول إلى شقته لطلب سيارة أجرة.

في الواقع، المرأة التي رأت «فايوليت» دينيس يوجهها إلى الشقة كانت «غيل رايتمان» العاطلة عن العمل، التي تخلف صديقها عن موعد معها في تلك الليلة. غادرت رايتمان «الجندب»، وهو بار في «شورديتش»، في العاشرة والنصف مساءً، بعد استهلاك عدة كوكتيلات قوية. شوهدت امرأة تطابق وصف رايتمان تركب شاحنة بيضاء على مسافة قصيرة من البار. باستثناء لمحة «كوبر» لامرأة سمراء بمعطف

فاتح اللون تدخل شقة كريد في تلك الليلة، لم تكن هناك مشاهدات أخرى لغيل رايتمان بعد مغادرتها الجندب.

بحلول الآن، كان كريد قد أتقن واجهة من الضعف جذبت بشكل خاص النساء الأكبر سنًا مثل صاحبته، وشخصية ودودة، غامضة جنسيًا نجحت جيدًا مع الثملات والوحيدات. اعترف كريد لاحقًا بمقابلة رايتمان في الجندب، وإضافة «نيمبوتال» إلى مشروبها والكمون لها خارج البار حيث، وهي مشوشة وغير ثابتة على قدميها، كانت ممتنة لعرضه بتوصيلها للمنزل.

قبلت كوبر تفسيره عن عملية التنظيف الجاف التي أرادت طلب سيارة أجرة "لأنني لم يكن لدي سبب للشك في ذلك".

في الواقع، كانت غيل رايتمان الآن مكممة ومقيدة بسلاسل إلى مشعاع (رادياتير) في غرفة نوم كريد، حيث ستبقى حتى قتلها كريد خنقًا في يناير 1973. كانت هذه أطول فترة أبقى فيها ضحية على قيد الحياة، وتوضح درجة الثقة التي كان يتمتع بها في أن شقة القبو الخاصة به أصبحت الآن مكانًا آمنًا، حيث يمكنه الاغتصاب والتعذيب دون خوف من الاكتشاف.

ومع ذلك، قبل الكريسماس بوقت قصير من ذلك العام، زارته صاحبته بحجة تافهة، وتذكرت في قفص الشهود أنه "أراد التخلص مني، كان بإمكاني معرفة ذلك. اعتقدت أن هناك رائحة كريهة في المكان، لكننا واجهنا مشاكل مع مصارف الجيران من قبل. أخبرني أنه لا يستطيع الدردشة لأنه ينتظر مكالمة هاتفية.

"أعرف أنه كان وقت الكريسماس عندما نزلت إلى هناك، لأنني أتذكر سؤاله لماذا لم يضع أي بطاقات. كنت أعلم أنه ليس لديه الكثير من الأصدقاء لكنني اعتقدت أن شخصًا ما لابد تذكره واعتقدت أنه أمر مؤسف. كان الراديو يعزف أغنية «عاشق طويل الشعر من ليفربول»، وكان الصوت عاليًا، أتذكر ذلك، لكن ذلك لم يكن شيئًا غير عادي. دينيس كان يحب الموسيقى."

زيارة كوبر المفاجئة للقبو ختمت حكم الموت على رايتمان بشكل شبه مؤكد. أخبر كريد طبيبًا نفسيًا لاحقًا أنه كان يتلاعب بفكرة الاحتفاظ برايتمان ببساطة "كحيوان أليف" في المستقبل المنظور، ليوفر على نفسه

المخاطر التي تنطوي عليها عمليات الاختطاف الإضافية، لكنه أعاد النظر وقرر "تخليصها من بؤسها".

قتل كريد رايتمان في ليلة 9 يناير 1973، وهو تاريخ اختير ليتزامن مع غياب لمدة ثلاثة أيام لفاي كوبر لزيارة قريب مريض. قطع كريد رأس ويدي رايتمان في حوض الاستحمام قبل نقل بقية الجثة في شاحنته إلى غابة «إيبينغ» ليلاً، ملفوفة في قماش مشمع، ودفنها في قبر ضحل. بالعودة للمنزل، غلى اللحم عن رأس ويدي رايتمان وحطم العظام، كما فعل بجثتي فيرا كيني ونورا ستوروك، مضيفاً مسحوق العظام إلى الصندوق الأبنوسي المرصع الذي كان يحتفظ به تحت سريره.

عند عودتها إلى طريق ليفربول، لاحظت فايوليت كوبر أن "الرائحة الكريهة" قد اختفت من شقة القبو واستنتجت أن المصارف قد أصلحت.

استأنفت صاحبة المنزل والمستأجر أمسياتهما الودية، الشرب والغناء مع الأسطوانات. من المرجح أن كريد جرب تخدير فاي في هذا الوقت. شهدت لاحقاً أنها كانت تنام بعمق شديد في الليالي التي انضم إليها دينيس لتناول كأس قبل النوم لدرجة أنها كانت تجد نفسها لا تزال مترنحة في صباح اليوم التالي.

ظل قبر رايتمان غير مكتشف لما يقرب من أربعة أشهر، حتى اكتشفه شخص ينزه كلبه حيث حفر كلب التيرير واستعاد عظمة فخذ. التحلل، وغياب الرأس واليدين أو أي ملابس جعل التعرف على الجثة شبه مستحيل نظرًا لصعوبات تنميط الأنسجة في مثل هذه الظروف. فقط بعد اعتقال كريد، عندما عُثر على ملابس رايتمان الداخلية، وجوارب طويلة وخاتم أوبال تعرفت عليه عائلتها على أنه يخصها تحت ألواح أرضية غرفة جلوس كريد، تمكن المحققون من إضافة مقتل رايتمان إلى قائمة التهم الموجهة إليه.

لم تفقد شقيقة غيل الصغرى الأمل أبدًا في أن غيل لا تزال حية. "لم أستطع التصديق حتى رأيت الخاتم بعيني. حتى تلك اللحظة، اعتقدت بصدق أنه كان هناك خطأ. ظللت أخبر أمي وأبي أنها ستعود. لم أستطع التصديق أن هناك شرًا كهذا في العالم، وأن أختي يمكن أن تكون قد قابلته.

"إنه ليس بشريًا. تلاعب بنا، بالعائلات، أثناء المحاكمة. يبتسم ويلوح لنا كل صباح. ينظر إلى الوالدين أو الأخ أو أياً كان، كلما ذُكر

قريبهم. ثم، بعد ذلك، بعد إدانته، يستمر في إخبار القليل، والقليل، وكان علينا العيش مع ذلك معلقًا فوق رؤوسنا لسنوات، ما قالته غيل، أو كيف توسلت إليه. كنت لأقتله بيدي العاريتين لو استطعت، لكنني لم أكن لأتمكن أبدًا من جعله يعاني بالطريقة التي جعل غيل تعاني بها. إنه غير قادر على الشعور الإنساني، أليس كذلك؟ يجعلك –"

كان هناك صوت فرقعة عالٍ من الردهة وقفزت روبن بشدة لدرجة أن الماء طاف فوق حافة الحوض.

نادى ماكس، الذي بدا مبتهجًا بشكل غير معهود:

– "هذا أنا فقط!" وسمعته يحيي فولفغانغ. "مرحبًا، أنت. نعم، مرحبًا، مرحبًا..."

نادت روبن:

– "مرحبًا. أخرجته في وقت سابق!"

– "شكرًا جزيلاً. تعالي انضمي إلي، أنا أحتفل!"

سمعت ماكس يصعد الدرج. ساحبة السدادة، ظلت جالسة في الحوض بينما انحسر الماء، وفقاعات هشة لا تزال عالقة بها بينما أنهت الفصل.

"يجعلك تتمنى أن تذهب للجحيم."

في عام 1976، أخبر كريد الطبيب النفسي للسجن ريتشارد ميريدان أنه حاول "التواري عن الأنظار" بعد اكتشاف رفات رايتمان. اعترف كريد لميريمان بأنه شعر برغبة متزامنة في الشهرة وخوف من الاعتقال.

"أحببت القراءة عن السفاح في الصحف. دفنتها في غابة إيبينغ مثل الأخريات لأنني أردت أن يعرف الناس أن نفس الشخص فعلها جميعًا، لكنني عرفت أنني أخاطر بكل شيء، بعدم تنويع النمط. بعد ذلك، بعد أن رأتني فاي معها، ودخلت الشقة وهي هناك، ظننت أنه من الأفضل الاكتفاء بالعاهرات لفترة، والتواري عن الأنظار."

لكن الاختيار لـ "الاكتفاء بالعاهرات" سيؤدي، بعد بضعة أشهر فقط، إلى أقرب احتكاك لكريد بالاعتقال حتى الآن.

انتهى الفصل هنا. خرجت روبن من الحمام، ومسحت الماء المنسكب، وارتدت بيجامتها وروب الحمام، ثم توجهت للأعلى إلى منطقة المعيشة حيث كان ماكس يجلس يشاهد التلفزيون، ويبدو سعيدًا بشكل إيجابي. بدا فولفغانغ وكأنه قد أصيب بمزاج مالكه الجيد: حيا روبن وكأنها كانت غائبة في رحلة طويلة وبدأ يلعق زيت الحمام عن كاحليها حتى طلبت منه بلطف التوقف.

أخبر ماكس روبن، وهو يكتم صوت التلفزيون:

– "حصلت على وظيفة." كان كأسا شمبانيا وزجاجة يجلسان على طاولة القهوة أمامه. "دور ثانٍ، دراما جديدة، بي بي سي وان. تناولي مشروبًا."

قالت روبن، مسرورة جدًا لأجله:

– "ماكس، هذا رائع!"

– "أجل." قال مبتسمًا بإشراق. "اسمعي. هل تعتقدين أن سترايك صديقك سيأتي لتناول العشاء؟ سألعب دور محارب قديم. سيكون من الجيد التحدث إلى شخص هو جندي سابق فعليًا."

قالت روبن، آملة أن تكون محقة:

– "أنا متأكدة أنه سيفعل."

لم يلتق سترايك وماكس أبدًا. قبلت كأسًا من الشمبانيا، وجلست ورفعت كأسها في نخب.

– "تهانينا!"

– "شكرًا." قرع كأسه بكأسها. "سأطهو، إذا جاء سترايك. سيكون جيدًا، في الواقع. أحتاج لمقابلة المزيد من الناس. أنا أتحول إلى واحد من أولئك الرجال الذين «أبقوا أنفسهم لأنفسهم دائمًا» الذين ترينهم في الأخبار."

قالت روبن، وأفكارها لا تزال مع فاي كوبر:

– "وسأكون رفيقة السكن الغبية، التي ظنت أنك لطيف ولم تسأل أبدًا لماذا كنت أجدك دائمًا تطرق ألواح الأرضية مرة أخرى."

ضحك ماكس.

– "وسيلومونك أكثر مني، لأنهم يفعلون ذلك دائمًا. النساء اللواتي لم يدركن... رغم أن بعضهن... من كان ذلك الرجل في أمريكا الذي جعل زوجته تتصل به عبر جهاز اتصال داخلي (إنتركوم) قبل أن يسمح لها بدخول المرآب؟"

– "جيري برودوس." قالت روبن. تم ذكر برودوس في *شيطان بارادايس بارك*. مثل كريد، كان برودوس يرتدي ملابس نسائية عندما اختطف إحدى ضحاياه.

قال ماكس، أكثر انفتاحًا مما عرفته روبن عليه أبدًا تحت تأثير الكحول والأخبار الجيدة:

– "أحتاج للحصول على حياة اجتماعية لعينة مرة أخرى. كنت أشعر بالجحيم منذ رحيل ماثيو. ظللت أتساءل عما إذا كان لا ينبغي لي فقط بيع هذا المكان والمضي قدمًا."

ظنت روبن أن شعورها الطفيف بالذعر قد ظهر على وجهها، لأن ماكس قال:

– "لا تقلقي، لن أفعل. لكنه قتلني نصف قتلة، الإبقاء عليه. اشتريت المكان حقًا بسببه فقط. «ضع كل شيء في العقارات، لا يمكنك الخسارة مع العقارات»، قال."

بدا وكأنه سيقول شيئًا آخر، لكنه قرر عكس ذلك.

– "ماكس، أردت أن أسألك شيئًا، لكن لا بأس تمامًا إذا كان الجواب لا. أخي الأصغر وصديقة يبحثان عن مكان للإقامة في لندن لعطلة نهاية الأسبوع في الرابع عشر والخامس عشر من فبراير. لكن إذا كنت لا –"

– "لا تكوني سخيفة. يمكنهما النوم على هذه،" قال مربتًا على الأريكة. "إنها تنطوي (تفتح كسرير)."

قالت روبن، التي لم تكن تعرف ذلك:

– "أوه. حسنًا، عظيم. شكرًا يا ماكس."

جعلت الشمبانيا والحمام الساخن روبن تشعر بنعاس شديد، لكنهما تحدثا لفترة عن دراما ماكس الجديدة، حتى اعتذرت روبن أخيرًا وقالت إنها بحاجة حقًا للذهاب للنوم.

بينما كانت تسحب اللحاف فوق نفسها، قررت روبن عدم بدء فصل جديد عن كريد. من الأفضل عدم وجود أشياء معينة في رأسك إذا كنت تريدين النوم. ومع ذلك، بمجرد أن أطفأت مصباحها الجانبي وجدت عقلها يرفض التوقف، فمدت يدها لجهاز الآيبود الخاص بها.

لم تكن تستمع للموسيقا بسماعات الرأس أبدًا ما لم تكن تعلم أن ماكس في الشقة. بعض تجارب الحياة تجعل الشخص واعيًا للأبد بقدرته على رد الفعل، والحصول على تحذير مسبق. الآن، ومع ذلك، والباب الأمامي مغلق بقفلين بأمان (تحققت روبن، كما تفعل دائمًا)، ومع رفيق سكنها وكلب على بعد ثوانٍ فقط، أدخلت سماعات الأذن وضغطت "خلط" (shuffle) على الألبومات الأربعة لجوني ميتشل التي اشترتها الآن، مختارة الموسيقى على زجاجة عطر أخرى لم تعجبها.

أحيانًا، عند الاستماع إلى ميتشل، وهو ما كانت روبن تفعله كثيرًا هذه الأيام، كانت تستطيع تخيل مارغو بامبورو تبتسم لها عبر الموسيقى. تجمدت مارغو للأبد في التاسعة والعشرين، تقاتل لكي لا تهزمها حياة أكثر تعقيدًا مما تخيلت أبدًا أنها ستكون، عندما تصورت طموح رفع نفسها من الفقر بذكائها وعملها الشاق.

بدأت أغنية غير مألوفة في العمل. الكلمات روت قصة نهاية علاقة حب. كانت كلمات أبسط وأكثر مباشرة من العديد من أغاني ميتشل، مع استعارات أو شعر قليل. *آخر فرصة ضاعت / البطل لا يستطيع التغيير / آخر فرصة ضاعت / النمرة لن تُرَوض.*

فكرت روبن في ماثيو، غير قادر على تكييف نفسه مع زوجة أرادت من الحياة أكثر من مجرد تقدم مطرد في السلم العقاري، غير قادر على التخلي عن العشيقة التي كانت دائمًا، في الحقيقة، أكثر ملاءمة لمثله وطموحاته من روبن. فهل جعل ذلك روبن النمرة، تقاتل من أجل مهنة اعتقد الجميع غيرها أنها خطأ؟

مستلقية في الظلام، تستمع لصوت ميتشل، الذي كان أعمق وأكثر خشونة في ألبوماتها اللاحقة، أجبرت فكرة كانت تحوم على هامش أفكار روبن لبضعة أسابيع طريقها إلى مقدمة عقلها. كانت تتربص منذ أن قرأت الرسالة من وزارة العدل، التي ترفض إذن سترايك لرؤية القاتل المتسلسل.

قبل سترايك قرار وزارة العدل، وكذلك فعلت روبن، التي لم تكن لديها رغبة في زيادة معاناة عائلات الضحايا. ومع ذلك، فإن الرجل الذي قد ينقذ آنا من حياة من الألم المستمر وعدم اليقين كان لا يزال حيًا. إذا كانت إيرين هيكسون تتوق للتحدث إلى سترايك، فما مدى رغبة كريد، بعد عقود من الصمت؟

آخر فرصة ضاعت / البطل لا يستطيع التغيير.

جلست روبن فجأة، وسحبت سماعات أذنها، وأعادت تشغيل المصباح، ومدت يدها لدفتر الملاحظات والقلم اللذين تحتفظ بهما دائمًا بجانب سريرها هذه الأيام.

لم تكن هناك حاجة لإخبار سترايك بما تنوي فعله. يجب أخذ احتمال أن تأتي أفعالها بنتائج عكسية على الوكالة في الاعتبار. إذا لم تحاول، فستتساءل للأبد عما إذا لم تكن هناك فرصة للوصول لكريد، في نهاية المطاف.

34

... فلا فن، ولا قدرة أي طبيب...
يمكنها علاج جراح كهذه؛ جراح هي ألم الجحيم بعينه.
إدموند سبنسر ملكة الجن

استؤنفت خدمة القطارات بين كورنوال ولندن أخيرًا. حزم سترايك حقائبه، لكنه وعد عمته وعمه بأنه سيعود قريبًا. تشبثت به جوان في صمت عند الوداع. وبشكل لا يصدق، كان سترايك ليفضل أحد تلك الوداعات المشحونة بالابتزاز العاطفي التي كانت تثير غضبه سابقًا.

راكبًا القطار عائدًا إلى لندن، وجد سترايك مزاجه منعكسًا في المشهد الشتوي أحادي اللون من الطين والأشجار المرتجفة الذي كان يراقبه عبر النافذة الملطخة بالأوساخ. كان تدهور جوان البطيء تجربة مختلفة عن الوفيات التي ألفها سترايك، والتي كانت كلها تقريبًا من النوع غير الطبيعي. كجندي ومحقق، اعتاد على الحاجة لاستيعاب الانطفاء المفاجئ والوحشي لكائن بشري دون سابق إنذار، وقبول الفراغ المفاجئ حيث كانت الروح تومض ذات يوم. كان استسلام جوان البطيء لعدو داخل جسدها شيئًا جديدًا عليه. جزء صغير من سترايك، خجل منه، أراد أن ينتهي كل شيء، وأن يبدأ الحداد بشكل جدي، وبينما كان القطار يحمله شرقًا، تطلع إلى الملاذ المؤقت لشقته الفارغة، حيث كان حرًا في الشعور بالبؤس دون الحاجة لاستعراض حزنه للجيران، أو ارتداء قشرة من البهجة الزائفة لعمته.

رفض دعوتين للعشاء ليلة السبت، واحدة من لوسي، وواحدة من نيك وإلسا، مفضلاً التعامل مع دفاتر الوكالة ومراجعة ملفات القضايا المقدمة من

باركلي، وهاتشينز وموريس. في يوم الأحد تحدث مرة أخرى إلى الدكتور غوبتا وإلى اثنين من أقارب الشهود المتوفين في قضية بامبورو، تمهيدًا للقاء مع روبن في اليوم التالي.

لكن في مساء الأحد، وبينما كان واقفًا بجانب السباغيتي التي تغلي على موقده الفردي، تلقى رسالة نصية ثانية من أخته غير الشقيقة المجهولة، برودينس.

مرحبًا كورموران، لا أعرف ما إذا كنت قد تلقيت رسالتي الأولى. آمل أن تصلك هذه. أردت فقط أن أقول (أعتقد) أنني أتفهم أسبابك لعدم الرغبة في الانضمام إلينا من أجل صورة أبي الجماعية، أو للحفلة. هناك ما هو أكثر قليلاً وراء الحفلة من مجرد ألبوم جديد. سأكون سعيدة بالتحدث إليك حول ذلك شخصيًا، لكننا كعائلة نحتفظ بالأمر طي الكتمان. آمل ألا تمانع إضافتي أنني، مثلك، نتاج لإحدى علاقات أبي الأقصر أمداً (!) وكان علي التعامل مع نصيبي من الأذى والغضب على مر السنين. أتساءل عما إذا كنت ترغب في تناول القهوة لمناقشة هذا الأمر بشكل أعمق؟ أنا في «باتني». أرجو أن تتواصل معي. سيكون من الرائع أن نلتقي.

أطيب التمنيات،

برودينس.

بينما كانت السباغيتي تغلي بضجيج الآن، أشعل سترايك سيجارة. بدا الضغط يتزايد خلف مقلتي عينيه. كان يعلم أنه يدخن أكثر من اللازم: كان لسانه يؤلمه، ومنذ إصابته بإنفلونزا الكريسماس، كان سعاله الصباحي أسوأ من أي وقت مضى. كان باركلي يكيل المديح لفضائل السجائر الإلكترونية (Vaping) في آخر مرة التقيا فيها. ربما حان الوقت لتجربة ذلك، أو على الأقل للتقليل من السجائر.

قرأ رسالة برودينس للمرة الثانية. ما السبب السري الذي يمكن أن يكون وراء الحفلة، غير ألبوم والده الجديد؟ هل مُنح روكبي أخيرًا لقب "سير"، أم أنه كان يثير ضجة حول الذكرى الخمسين لفرقة "ديدبيتس" في محاولة لتذكير مانحي

الأوسمة بأنه لم يحصل على واحد بعد؟ حاول سترايك تخيل رد فعل لوسي، لو أخبرها أنه ذاهب لمقابلة حشد من الإخوة غير الأشقاء الجدد، بينما كان مخزونها الصغير من الأقارب على وشك النقصان بواحد. حاول تصور برودينس هذه، التي لم يكن يعرف عنها شيئًا على الإطلاق، سوى أن والدتها كانت ممثلة معروفة.

مطفئًا الموقد، ترك السباغيتي تطفو في مائها، وبدأ في كتابة رد نصي، والسيجارة بين أسنانه.

شكرًا على الرسائل. ليس لدي اعتراض على مقابلتك، لكن الوقت غير مناسب الآن. أقدر أنكِ تفعلين ما تعتقدين أنه الشيء الصحيح لكنني لم أكن أبدًا من محبي تزييف المشاعر أو الحفاظ على خيالات مهذبة لتناسب الاحتفالات العامة. لا تربطني علاقة ب

توقف سترايك لمدة دقيقة كاملة. لم يشر أبدًا إلى جوني روكبي بكلمة "أبي" ولم يرد أن يقول "والدنا"، لأن ذلك بدا وكأنه يجمعه وبرودينس معًا بطريقة تشعره بعدم الراحة، لأنها كانت غريبة تمامًا.

ومع ذلك، جزء منه لم يشعر أنها غريبة. جزء منه شعر بجذب نحوها. ما هو؟ فضول بسيط؟ صدى للشوق الذي شعر به كطفل، لأب لم يظهر أبدًا؟ أم كان شيئًا أكثر بدائية: نداء الدم للدم، شعور حيواني بالاتصال لا يمكن استئصاله تمامًا، مهما حاولت قطع الرابط؟

... بروكبي وليس لدي اهتمام بتزييف واحدة لبضع ساعات لمجرد أنه يصدر ألبومًا جديدًا. لا أكن لكِ أي ضغينة، وكما أقول، سأكون سعيدًا باللقاء عندما تكون حياتي أقل

توقف سترايك مرة أخرى. واقفًا في البخار المتصاعد من قدره، طاف عقله حول جوان المحتضرة، وحول القضايا المفتوحة في دفاتر الوكالة، وبشكل غير مفهوم، حول روبن.

... تعقيدًا. أطيب التمنيات، كورموران.

أكل السباغيتي مع صلصة مشتراة من المتجر، ونام في تلك الليلة على صوت المطر يطرق ألواح السقف، ليحلم بأنه وروكبي يتبادلان اللكمات على سطح سفينة شراعية، كانت تترنح وتتمايل حتى سقط كلاهما في البحر.

كان المطر لا يزال يهطل في الساعة الحادية عشرة إلا عشر دقائق في صباح اليوم التالي، عندما خرج سترايك من محطة مترو إيرلز كورت لانتظار روبن، التي كانت ستقله قبل القيادة لمقابلة سينثيا فيبس في قصر "هامبتون كورت". واقفًا تحت البروز القرميدي خارج مخرج المحطة، وسيجارة أخرى في فمه، قرأ سترايك رسالتين إلكترونيتين وصلتا مؤخرًا على هاتفه: تحديث من باركلي حول "المزدوج"، وواحد من موريس حول "المراوغ". كان قد أوشك على الانتهاء منهما عندما رن الهاتف المحمول. كان آل، وبدلاً من ترك المكالمة تذهب إلى البريد الصوتي، قرر سترايك وضع حد لهذا الإلحاح مرة واحدة وإلى الأبد.

قال آل:

– "مرحبًا، يا أخي. كيف حالك؟"

قال سترايك:

– "كنتُ أفضل."

تعمد ألا يبادله السؤال المهذب.

– "اسمع، اممم... اتصلت بي برو للتو. أخبرتني بما أرسلته لها. الأمر هو أننا حجزنا مصورًا ليوم السبت القادم، لكن إذا لم تكن ستظهر في الصورة... الفكرة كلها هي أنها منا جميعًا. لأول مرة على الإطلاق."

قال سترايك، وقد تعب من كونه مهذبًا:

– "آل، أنا غير مهتم."

ساد صمت قصير. ثم قال آل:

– "أتعلم، أبي يستمر في محاولة التواصل –"

قال سترايك، والغضب يخترق فجأة ضباب التعب، وقلقه بشأن جوان، وكتلة المعلومات غير ذات الصلة المحتملة التي اكتشفها في قضية بامبورو، والتي كان يحاول الاحتفاظ بها في رأسه لينقلها لروبن:

– "أهذا صحيح؟ متى كان هذا؟ عندما سلط محاميه عليّ، يطاردني من أجل المال الذي كان لي قانونًا في المـ...؟"

– "إذا كنت تتحدث عن بيتر غيليسبي، فأبي لم يكن يعرف مدى قسوته معك، أقسم أنه لم يكن يعلم. بيت تقاعد الآن –"

– "لست مهتمًا بالاحتفال بألبومه اللعين الجديد. تفضل واستمتع بوقتك بدوني."

– "اسمع، لا أستطيع الشرح الآن – إذا كان بإمكانك مقابلتي لتناول مشروب، سأخبرك – هناك سبب لرغبتنا في فعل هذا له الآن، الصورة والحفلة –"

– "الإجابة هي لا يا آل."

– "ستظل فقط ترفع إصبعيك في وجهه (تبدي له الازدراء) للأبد، أليس كذلك؟"

– "من الذي يبدي الازدراء؟ لم أقل كلمة واحدة عنه علنًا، على عكسه، هو الذي لا يستطيع إجراء مقابلة لعينة دون ذكري هذه الأيام –"

– "إنه يحاول تصحيح الأمور، وأنت لا تستطيع التنازل قيد أنملة!"

قال سترايك بقسوة:

– "إنه يحاول تنظيف جزء فوضوي من صورته العامة. أخبره أن يدفع ضرائبه اللعينة إذا كان يريد لقب السير. أنا لست خروفه الأسود الأليف اللعين."

أغلق الخط، غاضبًا أكثر مما توقع، وقلبه يخفق بقوة غير مريحة تحت معطفه. راميًا عقب سيجارته في الطريق، سافرت أفكاره بشكل لا مفر منه عائدة إلى جوان، بوشاحها الذي يخفي صلعها، وتيد يبكي في شايه. *لماذا*، فكر بغضب، *لم يكن روكبي هو من يرقد محتضرًا، وعمته هي التي بصحة جيدة وسعيدة، واثقة من أنها ستبلغ عيد ميلادها القادم، تمشي بخطوات واسعة عبر سانت ماوس، تدردش مع أصدقاء العمر، وتخطط لعشاءات لتيد، وتلح على سترايك عبر الهاتف ليأتي للزيارة؟*

عندما انعطفت روبن عند الزاوية في سيارة اللاند روفر بعد بضع دقائق، فوجئت بمظهر سترايك. رغم أنه أخبرها عبر الهاتف عن الإنفلونزا والدجاج منتهي

الصلاحية، إلا أنه بدا أنحف بشكل ملحوظ في الوجه، وغاضبًا جدًا لدرجة أنها نظرت تلقائيًا إلى ساعتها، متسائلة عما إذا كانت متأخرة.

سألت، عندما فتح باب مقعد الراكب:

– "هل كل شيء بخير؟"

قال باقتضاب، وهو يصعد لمقعد الراكب ويصفق الباب:

– "بخير."

– "سنة جديدة سعيدة."

– "ألم نقل ذلك بالفعل؟"

قالت روبن، وقد استفزتها فظاظته نوعًا ما:

– "لا، في الواقع. لكن من فضلك لا تشعر بالضغط لرد التهنئة. أكره أن تشعر بأنك مجبر –"

تمتم سترايك:

– "سنة جديدة سعيدة يا روبن."

انطلقت إلى الطريق، ومساحات الزجاج الأمامي تعمل بجد لإبقاء الزجاج نظيفًا، مع شعور مؤكد بـ "ديجا فو". كان غاضبًا عندما أقلته في عيد ميلاده أيضًا، ورغم كل ما يمر به، كانت هي أيضًا متعبة، ولديها مخاوف شخصية أيضًا، وكانت لتقدر القليل من الجهد.

سألت:

– "ما الأمر؟"

– "لا شيء."

قادا لبضع دقائق في صمت، حتى قالت روبن:

– "هل رأيت رسالة باركلي الإلكترونية؟"

– "عن المزدوج وصديقته؟ نعم، قرأتها للتو. هُجرت، ولن تدرك أبدًا أن ذلك كان لأنها كانت مخلصة أكثر من اللازم."

– "إنه غريب أطوار،" قالت روبن، "لكن طالما يدفع فاتورته..."

– "هذا ما أفكر فيه بالضبط،" قال سترايك، باذلاً جهدًا واعيًا للتخلص من مزاجه السيئ. في النهاية، لا شيء من ذلك – جوان، برو، آل، روكبي – كان خطأ روبن. كانت تحافظ على تماسك الوكالة بينما كان يتعامل مع الأمور في كورنوال. كانت تستحق أفضل من ذلك.

قال، محاولاً التحدث بنبرة أكثر حماسًا:

– "لدينا مجال لعميل آخر من قائمة الانتظار الآن. سأتصل بتلك الوسيطة في السلع التي تظن أن زوجها يضاجع المربية، ما رأيك؟"

– "حسنًا، مهمة المراوغ تستهلك الكثير من القوى العاملة في الوقت الحالي. نحن نغطيه هو، ورئيسه والمرأة في ستوك نيوينغتون. الرئيس عاد إلى إلينور دين مساء أمس، أتعلم. نفس الشيء مرة أخرى، بما في ذلك التربيت على الرأس."

قال سترايك عابساً:

– "حقًا؟"

– "أجل. لكن العملاء بدأ صبرهم ينفد للحصول على دليل حقيقي. بالإضافة إلى ذلك، ليس لدينا أي حل بشأن «بوستكارد» بعد، وبامبورو تستغرق وقتًا لا بأس به."

لم ترغب روبن في القول صراحة إنه مع تنقل سترايك المستمر بين لندن وكورنوال، كانت هي والمتعاقدون يغطون قضايا الوكالة الحالية بالتنازل عن أيام عطلتهم.

– "إذن تعتقدين أننا يجب أن نركز على المراوغ وبوستكارد، هاه؟"

– "أعتقد أننا يجب أن نقبل بأن المراوغ حاليًا وظيفة لثلاثة أشخاص وألا نستعجل في تولي أي شيء آخر الآن."

دمدم سترايك:

– "حسنًا، هذا عادل. أي أخبار عن المرشدة في معرض اللوحات القومي؟ أخبرني باركلي أنكِ كنتِ قلقة من أنها ربما قتلت نفسها."

قالت روبن:

– "لماذا أخبرك بذلك؟" ندمت على البوح بقلقها الآن: بدا الأمر ضعيفًا، وغير مهني.

– "لم يقصد شيئًا بذلك. هل عاودت الظهور؟"

– "لا."

– "أي بطاقات بريدية أخرى لخبير الأرصاد الجوية؟"

– "لا."

– "ربما أخفتها."

أخرج سترايك مفكرته من جيبه وفتحها، بينما استمر المطر في الطبول على الزجاج الأمامي.

– "لدي بضعة مقتطفات وأجزاء عن بامبورو، قبل أن نقابل سينثيا فيبس. كان ذلك عملاً رائعًا منكِ، استبعاد شاحنة الأغذية الكاملة، بالمناسبة."

– "شكرًا."

– "لكن هناك شاحنة جديدة تمامًا في المشهد."

قالت روبن بحدة:

– "ماذا؟"

– "تحدثت إلى ابنة روبي إليوت أمس. تتذكرين روبي –"

– "المرأة التي رأت المرأتين تتصارعان من سيارتها."

– "هي بعينها. تحدثت أيضًا إلى ابن شقيق السيدة فلوري، التي كانت تعبر كليركينويل غرين، تحاول إيصال أمها الخرفة إلى المنزل بعيدًا عن المطر."

نظف سترايك حلقه، وقال، قارئًا من ملاحظاته:

– "وفقًا لـ مارك فلوري، كانت عمته منزعجة تمامًا من الوصف في الصحف لكونها «تصارع» وحتى «تشتبك» مع والدتها، لأنه أوحى بأنها كانت قاسية مع العجوز العزيزة. قالت إنها كانت تستحث والدتها، لا تجبرها، لكنها اعترفت بأنه بخلاف ذلك الوصف انطبق عليهما تمامًا: المكان الصحيح، الوقت الصحيح، قبعة المطر، المعطف الواقي، إلخ.

"لكن تالبوت قفز على تناقض «نحن لم نكن نتصارع» وحاول الضغط على السيدة فلوري للتراجع عن قصتها والاعتراف بأنها والسيدة العجوز لا يمكن أن تكونا الشخصين اللذين رأتهما روبي إليوت. السيدة فلوري لم تقبل ذلك، رغم ذلك. وصفهما كان دقيقًا جدًا: كانت متأكدة أنهما الشخصان المعنيان.

"لذا عاد تالبوت إلى روبي وحاول إجبارها على تغيير قصتها. ستتذكرين أنه كان هناك كشك هاتف آخر عند مدخل طريق «ألبيمارل». حاول تالبوت إقناع روبي بأنها رأت شخصين يتصارعان أمام ذلك الكشك بدلاً من الآخر.

"وهنا تصبح الأمور مثيرة للاهتمام قليلاً،" قال سترايك، قالبًا صفحة في مفكرته. "وفقًا لابنة روبي، كانت روبي امرأة شاردة الذهن، وسائقة متوترة وقارئة خرائط سيئة، بلا أي حس بالاتجاهات تقريبًا. من ناحية أخرى، تدعي ابنتها أن ذاكرتها كانت قوية جدًا للتفاصيل البصرية الصغيرة. قد لا تتذكر في أي شارع قابلت أحد المعارف، لكنها يمكن أن تصف لون رباط الحذاء الذي كان يرتديه. كانت منسقة واجهات عرض في شبابها.

"نظرًا لشرودها العام، كان ينبغي أن يجد تالبوت من السهل إقناعها بأنها أخطأت في كشك الهاتف، لكن كلما ضغط أكثر، كلما تمسكت بموقفها، والسبب في أنها تمسكت بموقفها، وقالت إن المرأتين لم تكونا أمام كشك هاتف ألبيمارل، هو أنها رأت شيئًا آخر يحدث بجانب كشك الهاتف ذاك، شيئًا نسيته تمامًا حتى ذكر تالبوت المبنى الوتدي الشكل. لا تنسي، لم تكن تعرف كليركينويل على الإطلاق.

"وفقًا لابنتها، ظلت روبي تقود في دائرة كبيرة تلك الليلة، وتفوت باستمرار «هايواردز بليس»، حيث كان منزل ابنتها الجديد. عندما قال: «هل أنت متأكدة أنك لم تري هاتين المرأتين المتصارعتين بجانب كشك الهاتف الآخر، بالقرب من المبنى الوتدي الشكل على زاوية طريق ألبيمارل؟» تذكرت روبي فجأة أنها اضطرت للفرملة عند تلك النقطة في الطريق، لأن شاحنة ترانزيت (نقل) أمامها توقفت بجانب المبنى الوتدي دون سابق إنذار. كانت تقل شابة داكنة البشرة، وممتلئة الجسم كانت تقف في المطر المنهمر، بجانب كشك الهاتف. المرأة –"

– "انتظر لحظة،" قالت روبن، رافعة عينيها للحظة عن الطريق الممطر لتنظر إلى سترايك. "«داكنة وممتلئة الجسم»؟ ألم تكن ثيو؟"

– "روبي ظنت أنها كانت كذلك، بمجرد أن قارنت ذكراها للفتاة في المطر بالرسومات التخيلية لمريضة مارغو الأخيرة. داكنة البشرة، بنية صلبة، شعر أسود كثيف – ملتصق بوجها لأنه كان مبللاً جدًا – وترتدي زوجًا من –"

نطق سترايك الاسم غير المألوف بصعوبة، قارئًا من مفكرته.

– "– أقراط كوتشي (Kuchi)."

– "ما هي أقراط كوتشي؟"

– "نمط غجري، وفقًا لابنة روبي، مما قد يفسر وصف غلوريا لثيو بأنها «تشبه الغجر». روبي كانت تعرف الملابس والمجوهرات. كان هذا هو نوع التفاصيل التي تلاحظها.

"فرملت شاحنة الترانزيت دون سابق إنذار لتقل الفتاة-التي-كان-يمكن-أن-تكون-ثيو، معطلة حركة المرور مؤقتًا. السيارات خلف روبي كانت تطلق أبواقها. صعدت الفتاة الداكنة إلى مقعد الراكب الأمامي، وتحركت شاحنة الترانزيت في اتجاه شارع سانت جون وفقدتها روبي من بصرها."

– "ولم تخبر تالبوت؟"

– "تقول ابنتها إنه بحلول الوقت الذي تذكرت فيه الحادثة الثانية، كانت منهكة من الأمر برمته، وسئمت حتى الموت من صراخ تالبوت عليها وإخبارها أنها لابد كانت مخطئة في اعتقادها أن المرأتين المتصارعتين لم تكونا مارغو وكريد في زي امرأة، وكانت نادمة على أنها تقدمت للشهادة في المقام الأول.

"بعد أن تولى لوسون القضية، كانت خائفة مما ستقوله لها الشرطة والصحافة إذا خرجت فجأة بقصة رؤية شخص يشبه ثيو. محقة أو مخطئة، ظنت أن الأمر قد يبدو وكأنها، بعد أن ثبت أن مشاهدتها الأولى بلا قيمة، أرادت فرصة أخرى لتكون مهمة للتحقيق."

– "لكن ابنتها شعرت بأنه لا بأس من إخبارك بكل هذا؟"

– "حسنًا، روبي ميتة، أليس كذلك؟ لا يمكن أن يؤذيها ذلك الآن. أوضحت ابنتها أنها لا تعتقد أن أيًا من هذا سيؤدي لشيء، لذا لا ضير من إخباري بكل شيء. وفي نهاية المطاف،" قال سترايك، قالبًا صفحة في مفكرته، "نحن لا نعرف أن الفتاة كانت ثيو... رغم أنني شخصيًا، أعتقد أنها كانت كذلك. ثيو لم تكن مسجلة في العيادة، لذا ربما لم تكن مألوفة بالمنطقة. تلك الزاوية ستكون مكانًا يسهل التعرف عليه لمقابلة شاحنة الترانزيت بعد رؤيتها للطبيب. مساحة كبيرة للتوقف."

قالت روبن ببطء:

– "صحيح، لكن إذا كانت تلك الفتاة هي ثيو حقًا، فهذا يخرجها من أي تورط في اختفاء مارغو، أليس كذلك؟ من الواضح أنها غادرت العيادة وحدها، وحصلت على توصيلة وقادت –"

– "من كان يقود الشاحنة؟"

– "لا أعرف. أي شخص. والد، صديق، أخ..."

– "لماذا لم تتقدم ثيو بعد كل نداءات الشرطة؟"

– "ربما كانت خائفة. ربما كانت لديها مشكلة طبية لم ترد أن يعرف عنها أحد. الكثير من الناس يفضلون عدم التورط مع الشرطة."

– "أجل، لست مخطئة،" اعترف سترايك. "حسنًا، ما زلت أعتقد أنه من الجدير بالمعرفة أن أحد آخر الأشخاص الذين رأوا مارغو حية ربما غادر المنطقة في مركبة كبيرة بما يكفي لإخفاء امرأة فيها.

"وبالحديث عن آخر شخص رأى مارغو حية،" أضاف سترايك، "هل من رد من غلوريا كونتي؟"

– "لا. إذا لم يحدث شيء بحلول نهاية الأسبوع المقبل، سأحاول الاتصال بها من خلال زوجها."

قلب سترايك صفحة في مفكرته.

– "بعد أن تحدثت إلى ابنة روبي والرجل فلوري، اتصلت بالدكتور غوبتا مرة أخرى. لا أعرف ما إذا كنتِ تذكرين، لكن في ملخصي لملاحظات الأبراج ذكرت «العقرب»، الذي كان موته، وفقًا لتالبوت، يقلق مارغو."

– "نعم. تكهنت بأن العقرب قد تكون صديقة ستيف دوثويت المتزوجة، التي قتلت نفسها."

– "ذاكرة جيدة. حسنًا، غوبتا لا يستطيع تذكر أي مريض مات في ظروف غامضة، أو بطريقة أزعجت مارغو، رغم أنه أكد أن كل هذا كان قبل أربعين عامًا ولا يمكنه الجزم بأنه لم يكن هناك مريض كهذا.

"ثم سألته عما إذا كان يعرف من كان جوزيف برينر يزور في مبنى سكني في شارع سكينر مساء اختفاء مارغو. يقول غوبتا إن لديهم عددًا من المرضى في شارع سكينر، لكنه لا يستطيع التفكير في أي سبب يدفع برينر للكذب بشأن الذهاب في زيارة منزلية هناك.

"أخيرًا، وبشكل غير مفيد بالمرة، يتذكر غوبتا أن رجلين جاءا لاصطحاب غلوريا في نهاية حفلة الكريسماس في العيادة. يتذكر أن أحد الرجلين كان أكبر سنًا بكثير، ويقول إنه افترض أنه والد غلوريا. اسم «ماكي ريتشي» لم يعنِ له شيئًا."

في منتصف جسر تشيسوك، اخترقت الشمس فجأة شقًا في غيوم المطر، مبهرة أعينهم. ومض نهر التايمز القذر تحت الجسر والبرك الضحلة بلمعان الليزر، لكن، بعد ثوانٍ، أغلقت الغيوم مرة أخرى وكانوا يقودون مرة أخرى عبر المطر، في ضوء يناير الرمادي الباهت، على طول طريق مزدوج مستقيم تحده شجيرات زلقة بالمطر وأشجار عارية.

سألت روبن، مختلسة النظر جانبيًا إلى سترايك:

– "ماذا عن ذلك الفيلم؟ الفيلم الذي خرج من علية غريغوري تالبوت؟ قلت إنك ستخبرني شخصيًا."

قال سترايك:

– "آه. نعم."

تردد، ناظرًا عبر مساحات الزجاج الأمامي إلى الطريق المستقيم الطويل أمامه، المتلألئ تحت ستارة مائلة من المطر.

– "أظهر امرأة مقنعة الرأس تتعرض لاغتصاب جماعي وتُقتل."

شعرت روبن بوخز خفيف فوق رقبتها وفروة رأسها.

تمتمت باشمئزاز:

– "والناس يستثارون من ذلك."

عرف من نبرتها أنها لم تفهم، أنها ظنت أنه يصف خيالاً إباحيًا.

قال:

– "لا، لم يكن إباحيًا. شخص ما صور... الشيء الحقيقي."

نظرت روبن حولها بصدمة، قبل أن تعيد وجهها بسرعة إلى الطريق. ابيضت مفاصل أصابعها على عجلة القيادة. شقت صور منفرة طريقها فجأة إلى عقلها. ما الذي رآه سترايك، وجعله يبدو منغلقًا جدًا، وفارغًا جدًا؟ هل كان جسد المرأة المقنعة يشبه جسد مارغو، الجسد الذي قالت أونا كينيدي إنه "كله سيقان"؟

سأل سترايك:

– "أنتِ بخير؟"

قالت بحدة:

– "بخير. ماذا – ماذا رأيت، كيف –؟"

لكن سترايك اختار الإجابة عن سؤال لم تطرحه.

– "كان لدى المرأة ندبة طويلة فوق القفص الصدري. لم يكن هناك ذكر أبدًا لكون مارغو لديها قفص صدري مشوه في التقارير الصحفية أو ملاحظات الشرطة. لا أعتقد أنها كانت هي."

لم تقل روبن شيئًا لكنها ظلت تبدو متوترة.

تابع سترايك:

– "كان هناك أربعة رجال، آه، متورطين، جميعهم قوقازيون، وجميعهم وجوههم مخفية. كان هناك أيضًا رجل خامس يراقب. ظهرت ذراعه لفترة وجيزة في اللقطة. كان يمكن أن يكون ماكي ريتشي. كان هناك خاتم ذهبي كبير غير واضح خارج الكادر."

كان يحاول اختزال الرواية إلى سلسلة من الحقائق الجافة. كانت عضلات ساقه قد توترت بقدر يدي روبن تمامًا، وكان مستعدًا للإمساك بالعجلة. لقد أصيبت بنوبة هلع مرة من قبل أثناء القيادة.

سألت روبن:

– "ماذا تقول الشرطة؟ هل يعرفون من أين جاء؟"

– "سأل هاتشينز في الأرجاء. رجل سابق في شرطة الآداب يعتقد أنه جزء من دفعة استولوا عليها في مداهمة لنادٍ في سوهو عام 75. النادي كان مملوكًا لريتشي. أخرجوا حمولة من المواد الإباحية القوية (هاردكور) من القبو.

"أحد أفضل أصدقاء تالبوت كان أيضًا في شرطة الآداب. أفضل تخمين هو أن تالبوت سرقه أو نسخه، بعد أن أراه صديقه إياه."

قالت روبن، بشيء من اليأس:

– "لماذا يفعل ذلك؟"

قال سترايك:

– "لا أعتقد أننا سنحصل على إجابة أفضل من «لأنه كان مريضًا عقليًا». لكن نقطة البداية لابد أنها كانت اهتمامه بريتشي. اكتشف أن ريتشي كان مسجلاً في عيادة سانت جون وحضر حفلة الكريسماس. في الملاحظات، سمى ريتشي –"

– "– الأسد 3. نعم، أعرف."

استرخت عضلات ساق سترايك قليلاً جدًا. هذه الدرجة من التركيز والتذكر من جانب روبن لم توحِ بشخص على وشك الإصابة بنوبة هلع.

سألها:

– "هل حفظتِ رسالتي الإلكترونية عن ظهر قلب؟"

كان دور روبن لتتذكر الكريسماس، والعزاء القصير الذي شكلته، دفن نفسها في العمل على طاولة مطبخ والديها.

– "أنا أنتبه عندما أقرأ، هذا كل شيء."

– "حسنًا، ما زلت لا أفهم لماذا لم يطارد تالبوت خيط ريتشي هذا، رغم أنه بالحكم من خلال ملاحظات الأبراج، كان هناك تدهور حاد في حالته العقلية خلال الأشهر الستة التي كان مسؤولاً فيها عن القضية. أخمن أنه سرق علبة الفيلم تلك قبل وقت قصير من طرده من القوة، ومن هنا عدم ذكرها في ملاحظات الشرطة."

قالت روبن:

– "ثم خبأه لكي لا يتمكن أحد آخر من التحقيق في موت المرأة. لماذا بحق الجحيم لم يعد الفيلم للشرطة عندما عاد إلى صوابه؟"

كان تعاطفها مع بيل تالبوت قد تضرر بشدة، إن لم يكن قد انطفأ.

– "أخمن لأنه أراد وظيفته مرة أخرى، وفي حال فشل ذلك، أراد التأكد من حصوله على معاشه التقاعدي. بتنحية النزاهة الأساسية جانبًا، لا أرى أنه كان لديه حافز كبير للاعتراف بأنه عبث بالأدلة في قضية أخرى. الجميع كان غاضبًا منه بالفعل: عائلات الضحايا، الصحافة، القوة، كلهم يلومونه على إفساد التحقيق. ثم يتولى لوسون، وهو رجل لا يحبه، ويخبره أن يبقى بعيدًا بحق الجحيم. ربما قال لنفسه إن المرأة الميتة كانت مجرد عاهرة أو –"

قالت روبن بغضب:

– "يا يسوع."

قال سترايك بسرعة:

– "أنا لا أقول «مجرد عاهرة». أنا أخمن عقلية شرطي سبعيناتي تم فضحه علنًا بالفعل لإفساده قضية بارزة."

لم تقل روبن شيئًا، لكنها ظلت متجهمة الوجه لبقية الرحلة، بينما حاول سترايك، وعضلات ساقه الواحدة ونصف متوترة لدرجة الألم، ألا يجعل الأمر واضحًا جدًا أنه يبقي عينًا خفية على اليدين اللتين تقبضان على عجلة القيادة.

35

... و«أورورا» الحسناء، ناهضةً على عجل،
تُخبر باحمرار خدّيها، أنها كانت ترقد
طوال الليل في فراش «تيثونوس» العجوز المتجمد،
مما تبدو منه خجلةً في قرارة نفسها.

إدموند سبنسر ملكة الجن

سأل سترايك روبن، بينما كانت تصف سيارتها في موقف سيارات قصر "هامبتون كورت":

– "هل سبق لك المجيء إلى هنا من قبل؟"

كانت صامتة منذ أن أخبرها عن الفيلم، وكان يحاول كسر التوتر.

– "لا."

خرجا من اللاند روفر وانطلقا عبر موقف السيارات تحت المطر البارد.

– "أين سنقابل سينثيا بالضبط؟"

– "مقهى المطبخ الخاص (Privy Kitchen Café)." قالت روبن. "أتوقع أن يعطونا خريطة في مكتب التذاكر."

كانت تعلم أن الفيلم المخبأ في علية غريغوري تالبوت لم يكن خطأ سترايك. لم يضعه هناك، ولم يخفه لمدة أربعين عامًا، ولم يكن ليعلم، عندما أدخله في جهاز العرض، أنه على وشك مشاهدة اللحظات الأخيرة، والمرعبة، والمبرحة لامرأة. لم تكن لتريده أن يحجب الحقيقة عما رآه. ومع ذلك، فإن وصفه الجاف

والخالي من العاطفة قد أزعج روبن. سواء كان ذلك معقولاً أم لا، أرادت بعض الإشارة إلى أنه شعر بالنفور، أو الاشمئزاز، أو الرعب.

لكن ربما كان هذا غير واقعي. لقد كان شرطيًا عسكريًا قبل وقت طويل من معرفة روبن به، حيث تعلم انفصالاً عاطفيًا كانت تحسده عليه أحيانًا. تحت مظهرها الخارجي الهادئ المصمم، شعرت روبن بالاهتزاز والغثيان، وأرادت أن تعرف أنه عندما شاهد سترايك تسجيل لحظات احتضار المرأة، اعترف بها كشخص حقيقي مثله تمامًا.

مجرد عاهرة.

رنت خطواتهما على الأسفلت المبلل بينما ارتفع القصر الكبير المبني من الطوب الأحمر أمامهما، وروبن، التي أرادت طرد الصور المروعة من عقلها، حاولت تذكر كل ما تعرفه عن هنري الثامن، ذلك الملك التيودوري القاسي والبدين الذي قطع رأس اثنتين من زوجاته الست، لكن بطريقة ما وجدت نفسها تفكر في ماثيو بدلاً من ذلك.

عندما تعرضت روبن للاغتصاب الوحشي من قبل رجل يرتدي قناع غوريلا كان يتربص تحت درج سكنها الجامعي، كان ماثيو لطيفًا، وصبورًا ومتفهمًا. قد يكون محامي روبن في حيرة من مصدر انتقام ماثيو بشأن ما كان يجب أن يكون طلاقًا مباشرًا، لكن روبن توصلت للاعتقاد بأن نهاية الزواج كانت صدمة عميقة لماثيو، لأنه اعتقد أنه يستحق رصيدًا لا نهائيًا لمساعدتها خلال أسوأ فترة في حياتها. شعرت روبن بالتأكيد أن ماثيو يعتقد أنها مدينة له إلى الأبد.

وخزت الدموع عيني روبن. مميلة مظلتها لكي لا يرى سترايك وجهها، رمشت بقوة حتى صفت عيناها مرة أخرى.

مشيا عبر فناء مرصوف بالحصى في صمت حتى توقفت روبن فجأة. سترايك، الذي لم يستمتع أبدًا بالتنقل على الأسطح غير المستوية بساقه الاصطناعية، لم يأسف للتوقف، لكنه كان قلقًا قليلاً من أنه على وشك تلقي نوبة غضب.

قالت روبن، مشيرة لأسفل إلى حجر رصف لامع:

– "انظر إلى ذلك."

نظر سترايك عن كثب ورأى، لدهشته، صليبًا صغيرًا للقديس يوحنا (سانت جون) محفورًا على طوبة مربعة صغيرة.

قال:

– "صدفة."

واصلا المشي، وروبن تنظر حولها، تجبر نفسها على استيعاب محيطها. مرا إلى فناء ثانٍ، حيث كانت مجموعة مدرسية ترتدي معاطف مطر بقلنسوات يخاطبها مرشد يرتدي زي مهرج من العصور الوسطى.

قالت روبن بهدوء:

– "أوه واو."

نظرت من فوق كتفها ثم مشت للخلف لبضع خطوات، لتتمكن من رؤية الشيء المثبت عاليًا في الجدار فوق الممر المقوس بشكل أفضل.

– "انظر إلى ذلك!"

فعل سترايك كما طُلب منه ورأى ساعة فلكية ضخمة، ومزخرفة، من القرن السادس عشر باللونين الأزرق والذهبي. كانت علامات الأبراج مرسومة على المحيط، بكل من الرموز التي أصبح سترايك مألوفًا بها كرهًا، وبصور تمثل كل برج. ابتسمت روبن لتعبير وجه سترايك الممزوج بالدهشة والانزعاج.

قال، ملتقطًا نظرة تسليتها:

– "ماذا؟"

– "أنت،" قالت، ملتفتة لمواصلة المشي. "غاضب من دائرة الأبراج."

– "لو قضيتِ ثلاثة أسابيع تخوضين في كل هراء تالبوت، لما كنتِ متحمسة للأبراج أيضًا."

تراجع ليسمح لروبن بدخول القصر أولاً. متبعين الخريطة التي أُعطيت لسترايك، توجها على طول ممر مغطى ومرصوف نحو مقهى المطبخ الخاص.

قالت روبن، التي كانت تحاول بوعي إبعاد عقلها عن علبة فيلم تالبوت القديمة، وعن زوجها السابق:

– "حسنًا، أعتقد أن هناك نوعًا من الشعر في التنجيم. لا أقول إنه يعمل، لكن هناك نوعًا من – من التناظر فيه، نظام..."

من خلال باب إلى اليمين، ظهرت حديقة تيودورية صغيرة. وقفت وحوش شعاراتية (تستخدم في شعارات النبالة) زاهية الألوان كحراس فوق أحواض مربعة مليئة بأعشاب من القرن السادس عشر. الظهور المفاجئ للنمر المرقط، والأيل الأبيض والتنين الأحمر بدا لروبن وكأنه يشجعها، مؤكدًا قوة وجاذبية الرمز والأسطورة.

قالت روبن، بينما اختفت المخلوقات الغريبة والمتقلبة عن الأنظار:

– "إنه يجعل الأمر منطقيًا بطريقة ما – ليس بالمعنى الحرفي، لكنه نجا لسبب ما."

– "أجل. الناس سيصدقون أي هراء قديم."

لارتياحه الطفيف، ابتسمت روبن. دخلا المقهى ذا الجدران البيضاء، الذي كان به نوافذ صغيرة ذات إطارات رصاصية وأثاث من خشب البلوط الداكن.

– "جدي لنا طاولة خفية، سأحضر المشروبات. ماذا تريدين، قهوة؟"

مختارة غرفة جانبية مهجورة، جلست روبن على طاولة تحت إحدى النوافذ ذات الإطارات الرصاصية وألقت نظرة سريعة على التاريخ المختصر للقصر الذي تلقياه مع تذاكرهما. علمت أن فرسان القديس يوحنا امتلكوا ذات يوم الأرض التي يقف عليها القصر، مما فسر الصليب على حجر الرصف، وأن الكاردينال وولسي أعطى القصر لهنري الثامن في محاولة عبثية لتفادي تراجع نفوذه. ومع ذلك، عندما قرأت أن شبح كاثرين هوارد البالغة من العمر تسعة عشر عامًا يُفترض أنه يركض، صارخًا، على طول "المعرض المسكون"، متوسلة لزوجها البالغ من العمر خمسين عامًا، الملك، ألا يقطع رأسها، أغلقت روبن الكتيب دون قراءة الباقي. وصل سترايك بالقهوة ليجدها عاقدة ذراعيها، تحدق في الفراغ.

– "هل كل شيء على ما يرام؟"

– "نعم. فقط أفكر في الأبراج الفلكية."

قال سترايك، مع تدوير طفيف لعينيه:

– "لا تزالين؟"

– "يونغ يقول إنها كانت محاولة الإنسان الأولى لعلم النفس، هل كنت تعلم ذلك؟"

قال سترايك، جالسًا قبالتها:

– "لم أكن أعلم." روبن، كما كان يعلم، كانت تدرس علم النفس في الجامعة قبل أن تترك الدراسة. "لكن لا عذر للاستمرار في استخدامها الآن وقد أصبح لدينا علم نفس فعلي، أليس كذلك؟"

– "الفولكلور والخرافات لم تختفِ. لن تختفي أبدًا. الناس بحاجة إليها. أعتقد أن عالمًا علميًا بحتًا سيكون مكانًا باردًا. يونغ تحدث أيضًا عن اللاوعي الجماعي، كما تعلم. الأنماط البدائية (Archetypes) الكامنة فينا جميعًا."

لكن سترايك، الذي ضمنت والدته أنه قضى جزءًا كبيرًا من طفولته في جو خانق من البخور، والقذارة والتصوف، قال باقتضاب:

– "أجل، حسنًا. أنا في فريق العقلانية."

قالت روبن، ناظرة للأعلى إلى السماء الممطرة بالخارج:

– "الناس يحبون الشعور بالارتباط بشيء أكبر. أعتقد أنه يجعلك تشعر بوحدة أقل. التنجيم يربطك بالكون، أليس كذلك؟ وبالأساطير والأفكار القديمة –"

– "– وبالمناسبة يغذي غرورك. يجعلك تشعر بضآلة أقل. «انظر كم يخبرني الكون أنني مميز». لا أتقبل فكرة أن لدي أي شيء مشترك مع أشخاص آخرين ولدوا في الثالث والعشرين من نوفمبر أكثر مما أعتقد أن ولادتي في كورنوال تجعلني شخصًا أفضل من شخص ولد في مانشستر."

– "أنا لم أقل أبدًا –"

– "ربما لم تفعلي، لكن أقدم أصدقائي يفعل،" قال سترايك. "ديف بولورث."

– "الذي يغضب عندما لا تكون الأعلام الكورنوالية على الفراولة؟"

– "هو بعينه. قوميّ كورنوالي ملتزم. يصبح دفاعيًا بشأن الأمر إذا تحديته – «أنا لا أقول إننا أفضل من أي شخص آخر» – لكنه يعتقد أنه لا ينبغي أن تكون قادرًا

على شراء عقار هناك ما لم تتمكن من إثبات العرق الكورنوالي. لا تذكريه بأنه ولد في برمنغهام إذا كنتِ تخافين علي أسنانك."

ابتسمت روبن.

قال سترايك:

– "نفس النوع من الشيء، رغم ذلك، أليس كذلك؟ «أنا مميز ومختلف لأنني ولدت على هذه القطعة من الصخر». «أنا مميز ومختلف لأنني ولدت في الثاني عشر من يونيو –»"

– "المكان الذي تولد فيه يؤثر على من تكون، رغم ذلك. الأعراف الثقافية واللغة لها تأثير. وكانت هناك دراسات تظهر أن الأشخاص الذين يولدون في أوقات مختلفة من السنة أكثر عرضة لحالات صحية معينة."

– "إذن روي فيبس ينزف كثيرًا لأنه ولد...؟ مرحبًا هناك!" قال سترايك، مقاطعًا نفسه فجأة، وعيناه على الباب.

التفتت روبن ورأت، لدهشتها اللحظية، امرأة نحيلة ترتدي ثوبًا تيودوريًا طويلاً أخضر وغطاء رأس.

قالت المرأة، مشيرة إلى زيها وضاحكة بتوتر وهي تتقدم نحو طاولتهما:

– "أنا آسفة جدًا! ظننت أنه سيكون لدي وقت للتغيير! كنت أقوم بجولة لمجموعة مدرسية – انتهينا متأخرين –"

نهض سترايك ومد يده لمصافحتها.

قال:

– "كورموران سترايك." وعيناه على قلادة اللؤلؤ المقلدة بالحرف "B" المتدلي منها، قال: "آن بولين، أفترض؟"

احتوت ضحكة سينثيا على بضع شخرات غير مقصودة، مما زاد من تشابهها الغريب، رغم كونها في منتصف العمر، بتلميذة مدرسة خرقاء. كانت حركاتها غير مناسبة للثوب المخملي الفضفاض، حيث كانت مبالغًا فيها وغير رشيقة إلى حد ما.

– "هاهاها، نعم، هذه أنا! المرة الثانية فقط لي كـ «آن». تظن أنك فكرت في كل الأسئلة التي قد يطرحها الأطفال عليك، ثم يقول أحدهم «كيف كان شعورك بقطع رأسك؟»، هاهاها!"

لم تكن سينثيا على الإطلاق ما توقعته روبن. أدركت الآن أن خيالها قد رسم شقراء شابة، الفكرة النمطية عن جليسة الأطفال الاسكندنافية... أم كان ذلك لأن سارة شادلوك كان لديها شعر أبيض تقريبًا؟

سأل سترايك سينثيا:

– "قهوة؟"

– "أوه – قهوة، نعم من فضلك، رائع، شكرًا لك،" قالت سينثيا بحماس مفرط.

عندما غادر سترايك، قامت سينثيا بتمثيلية صغيرة من التردد حول أي مقعد تأخذ حتى سحبت روبن، مبتسمة، المقعد بجانبها وعرضت يدها هي الأخرى.

– "أوه، نعم، مرحبًا!" قالت سينثيا، جالسة ومصافحة.

كان لديها وجه نحيل، شاحب، يرتدي حاليًا ابتسامة قلقة. كانت قزحيات عينيها الكبيرتين مرقطة بشكل كثيف، لون غير محدد بين الأزرق، والأخضر والرمادي، وكانت أسنانها ملتوية نوعًا ما.

سألت روبن:

– "إذن تقودين الجولة وأنتِ متقمصة الشخصية؟"

– "نعم، بالضبط، كـ «آن» المسكينة، هاهاها،" قالت سينثيا، بضحكة متوترة أخرى، تتخللها شخرات. "«لم أستطع إعطاء الملك ابنًا! قالوا إنني ساحرة!» هذه هي نوعية الأشياء التي يحب الأطفال سماعها؛ علي العمل بجد لإدخال السياسة، هاهاها. آن المسكينة." تململت يداها النحيلتان. "أوه، ما زلت – يمكنني خلع هذا، على الأقل، هاهاها!"

بدأت سينثيا العمل على فك دبابيس غطاء رأسها. رغم أنها استطاعت القول إن سينثيا كانت متوترة جدًا، وأن ضحكها المستمر كان لازمة عصبية أكثر

منه تسلية حقيقية، تذكرت روبن مرة أخرى سارة شادلوك، التي كانت تميل للضحك كثيرًا، وبصوت عالٍ، خاصة في محيط ماثيو. سواء عن قصد أم لا، فرض ضحك سينثيا نوعًا من الالتزام: ابتسم مرة أخرى أو ابدُ عدائيًا. تذكرت روبن فيلمًا وثائقيًا عن القردة شاهدته ذات ليلة عندما كانت متعبة جدًا للنهوض والذهاب للفراش: الشمبانزي، أيضًا، يضحك ردًا على بعضه البعض للإشارة إلى التماسك الاجتماعي.

عندما عاد سترايك إلى الطاولة بقهوة سينثيا، وجدها مكشوفة الرأس حديثًا. كان شعرها الداكن رماديًا بنسبة خمسين بالمائة، ومملسًا للخلف في ذيل حصان قصير ورفيع.

قال، وهو يجلس مرة أخرى:

– "لطف كبير منكِ أن تقابلينا يا سيدة فيبس."

– "أوه، لا، على الإطلاق، على الإطلاق،" قالت سينثيا، ملوحة بيديها النحيلتين وضاحكة أكثر. "أي شيء يمكنني فعله لمساعدة آنا في – لكن روي لم يكن على ما يرام، لذا لا أريد إقلاقه الآن."

– "يؤسفني سماع –"

– "نعم، شكرًا لك، لا، إنه سرطان البروستاتا. علاج إشعاعي. لا يشعر بالنشاط الشديد. جاءت آنا وكيم هذا الصباح للجلوس معه، وإلا لما كنت استطعت المجيء – لا أحب تركه في الوقت الحالي، لكن الفتيات هناك، لذا اعتقدت أنني سأكون بخير لـ..."

ضاعت نهاية الجملة وهي تأخذ رشفة من القهوة. ارتعشت يدها قليلاً وهي تعيد الكوب إلى الصحن.

بدأ سترايك: "ربما أخبرتِ ابنة زوجك –" لكن سينثيا قاطعته على الفور.

– "ابنتي. لا أسمي آنا أبدًا ابنة زوجي. آسفة، لكنني أشعر بنفس الشعور تجاهها كما أشعر تجاه جيريمي وإيلي. لا فرق على الإطلاق."

تساءلت روبن عما إذا كان ذلك صحيحًا. كانت واعية بشكل غير مريح بأن جزءًا منها كان يقف جانبًا، يراقب سينثيا بعيون ناقدة. *إنها ليست سارة*، ذكرت روبن نفسها.

– "حسنًا، أنا متأكد أن آنا أخبرتك لماذا استأجرتنا، وما إلى ذلك."

– "أوه، نعم. لا، يجب أن أعترف، كنت أتوقع شيئًا كهذا منذ فترة. آمل ألا يجعل الأمور أسوأ بالنسبة لها."

– "إم – حسنًا، نأمل ذلك نحن أيضًا، بوضوح،" قال سترايك، فضحكت سينثيا وقالت: "أوه، لا، بالطبع، نعم."

أخرج سترايك مفكرته، التي كانت بداخلها بضع أوراق مصورة مطوية، وقلمًا.

– "هل يمكننا البدء بالإفادة التي قدمتِها للشرطة؟"

قالت سينثيا، وبدت مذهولة:

– "لديك الإفادة؟ الأصلية؟"

– "نسخة مصورة،" قال وهو يفتحها.

– "كم هو... مضحك. رؤيتها مرة أخرى، بعد كل هذا الوقت. كنت في الثامنة عشرة. ثمانية عشر! يبدو الأمر وكأنه قبل قرن، هاهاها!"

رأت روبن أن التوقيع في أسفل الصفحة العليا كان مستديرًا وطفوليًا نوعًا ما. ناول سترايك الصفحات المصورة لسينثيا، التي أخذتها وبدت خائفة تقريبًا. قالت:

– "أخشى أنني أعاني من عسر قراءة (ديسليكسيا) فظيع. كنت في الثانية والأربعين قبل أن يتم تشخيصي. ظن والداي أنني كسولة حتى النخاع، هاهاها... اممم، لذا..."

اقترح سترايك:

– "هل تفضلين أن أقرأها لكِ؟"

أعادتها سينثيا إليه على الفور.

– "أوه، شكرًا لك – هكذا أتعلم كل ملاحظات الإرشاد الخاصة بي، بالاستماع إلى أقراص صوتية، هاهاها..."

سوى سترايك الأوراق المصورة على الطاولة.

أخبر سينثيا:

– "من فضلك قاطعيني إذا أردتِ إضافة أو تغيير أي شيء." أومأت وقالت إنها ستفعل.

– "«الاسم، سينثيا جين فيبس... تاريخ الميلاد، 20 يوليو 1957... العنوان، (المدخل الجانبي) ، بروم هاوس، طريق الكنيسة»... ذلك سيكون منزل مارغو –؟"

قالت سينثيا:

– "كان لدي غرف مستقلة فوق المرآب المزدوج."

ظنت روبن أنها ركزت قليلاً على "مستقلة".

– "«أعمل كمربية لابنة الدكتور فيبس والدكتورة بامبورو الرضيعة، وأعيش في منزلهما –»"

– "ستوديو مستقل،" قالت سينثيا. "كان له مدخله الخاص."

تمتم سترايك: "«ساعاتي...» لا أعتقد أننا بحاجة لأي من ذلك. ها نحن ذا. «في صباح يوم الحادي عشر من أكتوبر بدأت العمل في السابعة صباحًا. رأيت الدكتورة بامبورو قبل مغادرتها للعمل. بدت طبيعية تمامًا. ذكرتني بأنها ستتأخر في العودة للمنزل لأنها كانت ستقابل صديقتها الآنسة أونا كينيدي لتناول المشروبات بالقرب من مكان عملها. وبما أن الدكتور فيبس كان طريح الفراش بسبب حادثه الأخير –»"

قالت سينثيا بقلق:

– "هل أخبرتكم آنا عن مرض فون ويلبراند الذي يعاني منه روي؟"

– "إم – لا أعتقد أنها أخبرتنا، لكنه مذكور في تقرير الشرطة."

قالت سينثيا، التي بدت غير سعيدة بسماع ذلك:

– "أوه، ألم تقل؟ حسنًا، إنه من النوع الثالث. هذا خطير، سيئ كالهيموفيليا. ركبته تورمت وكان يعاني من ألم شديد، بالكاد يستطيع الحركة."

– "نعم، كل ذلك في تقرير الشرط –"

– "لا، لأنه تعرض لحادث في السابع من الشهر،" قالت سينثيا، التي بدت مصممة على قول هذا. "كان يومًا رطبًا، المطر ينهمر، يمكنك التحقق من ذلك. كان يمشي حول زاوية المستشفى، متجهًا لموقف السيارات، واصطدم به مريض خارجي

بدراجة هوائية. تشابك روي في العجلة الأمامية، وانزلق، وضرب ركبته وعانى من نزيف كبير. في هذه الأيام يأخذ حقنًا وقائية فلا يحدث الأمر كما كان في السابق، لكن في ذلك الوقت، إذا أصاب نفسه، كان يمكن أن يلزمه الفراش لأسابيع."

قال سترايك: "تمام"، وحكمًا منه بأن هذا هو الشيء الأكثر لباقة لفعله، دون بعناية كل هذه التفاصيل، التي كان قد قرأها بالفعل في إفادات روي ومقابلات الشرطة.

أضافت سينثيا:

– "لا، آنا تعرف أن والدها كان مريضًا في ذلك اليوم. لطالما عرفت."

تابع سترايك قراءة الإفادة بصوت عالٍ. كانت إعادة لسرد حقائق عرفها سترايك وروبن بالفعل. كانت سينثيا مسؤولة عن الطفلة آنا في المنزل. جاءت والدة روي خلال النهار. نظفت ويلما بايليس لمدة ثلاث ساعات وغادرت. أخذت سينثيا أكواب شاي من حين لآخر للمريض ووالدته. في الساعة 6 مساءً، ذهبت إيفلين فيبس إلى منزلها (البنغل) للعب البريدج مع الأصدقاء، تاركة صينية طعام لابنها.

«في الساعة 8 مساءً كنت أشاهد التلفزيون في غرفة الجلوس بالطابق السفلي عندما سمعت الهاتف يرن في الردهة. عادة لا أجيب على الهاتف إلا إذا كان كل من الدكتور فيبس والدكتورة بامبورو بالخارج. وبما أن الدكتور فيبس كان بالداخل، ويمكنه الإجابة على الهاتف من التحويلة بجانب سريره، لم أجب.

«بعد حوالي خمس دقائق، سمعت الجرس الذي وضعته السيدة إيفلين فيبس بجانب سرير الدكتور فيبس، في حالة الطوارئ. صعدت للأعلى. كان الدكتور فيبس لا يزال في السرير. أخبرني أنها كانت الآنسة كينيدي على الهاتف. الدكتورة بامبورو لم تحضر إلى الحانة. قال الدكتور فيبس إنه يعتقد أنها لابد تأخرت في العمل أو نسيت. طلب مني إخبار الدكتورة بامبورو بالصعود إلى غرفة نومهما بمجرد دخولها.

«عدت للطابق السفلي. بعد حوالي ساعة، سمعت الجرس مرة أخرى وصعدت ووجدت الدكتور فيبس قلقًا جدًا الآن بشأن زوجته. سألني عما إذا كانت قد عادت بعد. قلت إنها لم تفعل. طلب مني البقاء في الغرفة

بينما اتصل بالآنسة كينيدي في المنزل. الآنسة كينيدي لم تكن قد رأت أو سمعت من الدكتورة بامبورو بعد. أغلق الدكتور فيبس الخط وسألني عما كانت تحمله الدكتورة بامبورو عندما غادرت المنزل في ذلك الصباح. أخبرته فقط حقيبة يد وحقيبتها الطبية. سألني عما إذا كانت الدكتورة بامبورو قد قالت أي شيء عن زيارة والديها. قلت إنها لم تفعل. طلب مني البقاء بينما اتصل بوالدة الدكتورة بامبورو.

«السيدة بامبورو لم تسمع من ابنتها أو ترها. كان الدكتور فيبس قلقًا للغاية الآن وطلب مني النزول للطابق السفلي والنظر في الدرج في قاعدة الساعة على رف الموقد في غرفة الجلوس ورؤية ما إذا كان هناك أي شيء فيه. ذهبت ونظرت. لم يكن هناك شيء هناك. عدت للأعلى وأخبرت الدكتور فيبس أن درج الساعة فارغ. أوضح الدكتور فيبس أن هذا مكان كان هو وزوجته يتركان فيه أحيانًا ملاحظات خاصة لبعضهما البعض. لم أكن أعرف عن هذا سابقًا.

«طلب مني البقاء معه بينما يتصل بوالدته، لأنه قد يكون لديه شيء آخر لأقوم به. تحدث إلى والدته وطلب نصيحتها. كانت محادثة قصيرة. عندما أغلق الخط، سألني الدكتور فيبس عما إذا كنت أعتقد أنه يجب عليه الاتصال بالشرطة. قلت إنني أعتقد أنه يجب عليه ذلك. قال إنه سيفعل. طلب مني النزول وفتح الباب للشرطة عند وصولهم وإرشادهم إلى غرفة نومه. وصلت الشرطة بعد حوالي نصف ساعة وأرشدتهم إلى غرفة نوم الدكتور فيبس.

«لم أجد الدكتورة بامبورو تتصرف بشكل غير عادي عندما غادرت المنزل في ذلك الصباح. العلاقات بين الدكتور فيبس والدكتورة بامبورو بدت سعيدة تمامًا. أنا متفاجئة جدًا لاختفائها، وهو أمر خارج عن طبيعتها. هي متعلقة جدًا بابنتها ولا أستطيع تخيلها تترك الطفلة أبدًا، أو تذهب بعيدًا دون إخبار زوجها أو إخباري إلى أين هي ذاهبة.

«توقيع وتاريخ سينثيا فيبس، 12 أكتوبر 1974.»

قالت سينثيا:

– "نعم، لا، هذا... ليس لدي أي شيء لأضيفه إلى ذلك. غريب سماعه مرة أخرى! هاهاها!" لكن روبن اعتقدت أن عينيها كانتا خائفتين.

– "هذا بوضوح، آه، حساس، لكن إذا كان بإمكاننا العودة إلى إفادتك بأن العلاقات بين روي ومارغو –"

– "نعم، آسفة، لا، لن أتحدث عن زواجهما. الجميع يتشاجرون، الجميع لديهم تقلبات، لكن ليس من شأني التحدث عن زواجهما." تلون خداها الشاحبان بحمرة أرجوانية.

بدأت روبن:

– "نحن نفهم أن زوجك لم يكن بإمكانه –"

– "زوج مارغو،" قالت سينثيا. "لا، أترين، هما شخصان مختلفان تمامًا. داخل رأسي."

مريح، قال صوت داخل رأس روبن.

قال سترايك:

– "نحن نستكشف ببساطة احتمال أنها ذهبت بعيدًا، ربما للتفكير أو –"

– "لا، مارغو لم تكن لتغادر هكذا دون قول أي شيء. لم يكن ذلك ليناسب شخصيتها."

قالت روبن:

– "آنا أخبرتنا أن جدتها –"

قالت سينثيا، ونبرتها أعلى وأكثر هشاشة:

– "إيفلين كانت تعاني من بداية مرض ألزهايمر ولم يكن بإمكانك أخذ ما قالته على محمل الجد. لطالما أخبرت آنا ذلك، لطالما أخبرتها أن مارغو لم تكن لتتركها أبدًا. لطالما أخبرتها ذلك."

باستثناء، تابع الصوت داخل رأس روبن، *عندما كنتِ تتظاهرين بأنكِ أمها الحقيقية، وتخفين وجود مارغو عنها.*

– "للانتقال،" قال سترايك، "تلقيتِ مكالمة هاتفية في عيد ميلاد آنا الثاني، من امرأة تزعم أنها مارغو؟"

– "امـمم، نعم، لا، هذا صحيح." أخذت رشفة مرتعشة أخرى من القهوة. "كنت أضع الزينة على كعكة عيد الميلاد في المطبخ عندما رن الهاتف، لذا لم أكن في أي خطر لنسيان أي يوم كان، هاهاها. عندما أجبت، قالت المرأة: «هل هذه أنتِ، سينثيا؟» قلت «نعم»، وقالت «هذه مارغو. تمني لآني الصغيرة عيد ميلاد سعيدًا من أمها. وتأكدي من الاعتناء بها.» وانقطع الخط.

"وقفت هناك فقط،" قلدت حمل أداة غير مرئية في يدها، وحاولت الضحك مرة أخرى، لكن لم يخرج صوت، "ممسكة بالملعقة المسطحة. لم أعرف ماذا أفعل. آنا كانت تلعب في غرفة الجلوس. كنت... قررت أنه من الأفضل الاتصال بروي في العمل. أخبرني بالاتصال بالشرطة، ففعلت."

سأل سترايك:

– "هل ظننتِ أنها مارغو؟"

– "لا. لم تكن – حسنًا، الصوت كان يشبهها، لكنني لا أعتقد أنها كانت هي."

– "تظنين أن شخصًا ما كان يقلدها؟"

– "يتصنع الصوت، نعم. اللهجة. كوكني، لكن... لا، لم أحصل على ذلك الشعور الذي يأتيك عندما تعرفين فقط من هو..."

– "أنتِ متأكدة أنها كانت امرأة؟ لم يكن من الممكن أن يكون رجلاً يقلد امرأة؟"

– "لا أعتقد ذلك."

سألت روبن:

– "هل نادت مارغو آنا أبدًا بـ «آني الصغيرة»؟"

قالت سينثيا، وبدا عليها الكآبة:

– "نادتها بكل أنواع أسماء التدليل. آني فاندانغو، أنابيلا، وجه الملاك... شخص ما كان يمكن أن يخمن، أو ربما أخطأوا في الاسم فقط... لكن التوقيت كان... كانوا قد وجدوا للتو أجزاء من ضحية كريد الأخيرة. تلك التي ألقاها من «بيتشي هيد» –"

– "أندريا هوتون." قالت روبن. بدت سينثيا متفاجئة قليلاً لكون الاسم على طرف لسانها.

– "نعم، مصففة الشعر."

– "لا. تلك كانت سوزان ماير. أندريا كانت طالبة دكتوراه."

– "أوه، نعم. بالطبع... أنا سيئة جدًا في الأسماء... حسنًا، روي كان قد مر للتو بكل مسائل التعرف على الجثة مع، امم، كما تعلمون، أجزاء الجسم التي جرفتها المياه، لذا كانت لدينا آمالنا – ليس آمالنا!" قالت سينثيا، وبدا عليها الرعب من الكلمة التي فلتت منها، "لا أقصد ذلك! لا، كنا مرتاحين بوضوح أنها لم تكن مارغو، لكنك تفكر، كما تعلم، ربما ستحصل على إجابة..."

فكر سترايك في رغبته المذنبة بأن ينتهي احتضار جوان البطيء والطويل قريبًا. جثة، مهما كانت غير مرحب بها، تعني أن الكرب يمكن أن يجد التعبير والتسامي بين الزهور، والخطب والطقوس، وعزاء مستمد من الله، والكحول والمشيعين الزملاء؛ تأليه تم الوصول إليه، خطوة أولى اتخذت نحو استيعاب الحقيقة المروعة بأن الحياة قد انطفأت، وأن الحياة يجب أن تستمر.

قالت سينثيا:

– "كنا قد مررنا بالأمر مرة واحدة بالفعل عندما وجدوا الجثة الأخرى، تلك التي في بحيرة ألكسندرا."

تمتمت روبن:

– "سوزان ماير."

– "عُرضت على روي صور، في المرتين... ثم هذه المكالمة الهاتفية، تأتي مباشرة بعد أن اضطر لـ... للمرة الثانية... كان الأمر..."

فجأة كانت سينثيا تبكي، ليس مثل أونا كينيدي، ورأسها مرفوع والدموع تتلألأ على خديها، بل منحنية فوق الطاولة، تخفي وجهها، ويداها المرتجفتان تدعمان جبهتها.

نشجت:

– "أنا آسفة جدًا. كنت أعرف أن هذا سيكون فظيعًا... نحن لا نتحدث عنها أبدًا – أبدًا بعد الآن... أنا آسفة..."

نشجت لبضع ثوانٍ أخرى، ثم أجبرت نفسها على النظر للأعلى مرة أخرى، وعيناها الكبيرتان الآن ورديتان ومبللتان.

– "أراد روي أن يصدق أنها كانت مارغو على الهاتف. ظل يقول «هل أنتِ متأكدة، هل أنتِ متأكدة، ألم يبدُ الصوت مثلها؟» كان على أحر من الجمر بينما كانت الشرطة تتعقب المكالمة...

"أنتما مهذبان جدًا،" قالت، وضحكتها هذه المرة كانت هستيرية قليلاً، "لكنني أعرف ما تريدان معرفته، وما تريد آنا معرفته أيضًا، رغم أنني أخبرتها وأخبرتها... لم يكن هناك أي شيء يجري بيني وبين روي قبل اختفاء مارغو، ولا لأربع سنوات بعد ذلك... هل أخبرتكما أن روي وأنا قريبان؟"

قالتها وكأنها تجبر نفسها على قولها، رغم أن ابنة عم من الدرجة الثالثة، في نهاية المطاف، لم تكن علاقة وثيقة جدًا. لكن روبن، مفكرة في اضطراب النزيف لدى روي، تساءلت عما إذا كان آل فيبس، مثل آل رومانوف، ربما يُنصحون بعدم الزواج من أبناء عمومتهم.

قال سترايك:

– "نعم، أخبرتنا."

– "كنت قد سئمت من سماع اسمه قبل أن أذهب للعمل لديهم، في الواقع. كان الأمر كله، «انظري فقط للقريب روي، بكل مشاكله الصحية، يدخل إمبريال كوليدج ويدرس الطب. لو عملتِ بجدية أكبر فقط يا سينثيا...» اعتدت كراهية فكرته ذاتها، هاهاها!"

تذكرت روبن صورة روي الشاب في الصحافة: الوجه الحساس، والشعر المنسدل، وعيني الشاعر. وجدت العديد من النساء الإصابة والمرض رومانسيين في رجل وسيم. ألم يستحضر ماثيو، في أسوأ فيضانات غيرته ضد سترايك، ساقه المبتورة، جرح المحارب الذي شعر هو، بجسده الكامل والصحي، بعدم القدرة على منافسته؟

– "قد لا تصدقان هذا، لكن بقدر ما كنت معنية في السابعة عشرة، أفضل شيء في روي كان مارغو! لا، ظننت أنها رائعة، عصرية جدًا و، كما تعلمون، الكثير من الآراء والأشياء...

"دعتني للعشاء، بعد أن سمعت أنني رسبت في كل امتحاناتي. حسنًا، كنت أعبدها كبطلة، لذا كنت مبتهجة. سكبت قلبي لها، أخبرتها أنني لا أستطيع مواجهة إعادة الامتحانات، أردت فقط الخروج للعالم الحقيقي وكسب مالي الخاص. وقالت: «انظري، أنتِ رائعة مع الأطفال، ما رأيك في المجيء والاعتناء بطفلتي عندما أعود للعمل؟ سأجعل روي يجهز الغرف فوق المرآب لكِ.»

"كان والداي غاضبين،" قالت سينثيا، بمحاولة شجاعة أخرى ولكن غير ناجحة للضحك. "كانا غاضبين منها، ومن روي، رغم أنه في الواقع، لم يكن يريدني هناك في المقام الأول، لأنه أراد أن تبقى مارغو في المنزل وتعتني بآنا بنفسها. قالت مامي ودادي إنها كانت تسعى فقط وراء عمالة رخيصة. في هذه الأيام أرى الأمر أكثر من وجهة نظرهما. لست متأكدة أنني كنت سأكون مسرورة لو أقنعت امرأة إحدى بناتي بترك المدرسة والانتقال للعيش معهم، والاعتناء بطفلهم. لكن لا، أحببت مارغو. كنت متحمسة."

صمتت سينثيا للحظة، ونظرة بعيدة في عينيها الحزينتين، وتساءلت روبن عما إذا كانت تفكر في العواقب الضخمة وغير القابلة للتغيير لقبول وظيفة المربية، التي بدلاً من أن تكون نقطة انطلاق لحياتها المستقلة، وضعتها في منزل لن تغادره أبدًا، وأدت بها لتربية طفلة مارغو كأنها طفلتها، والنوم مع زوج مارغو، عالقة للأبد في ظل الطبيبة التي ادعت أنها أحبتها. كيف هو العيش مع غياب بهذا الحجم؟

– "أراد والداي مني الرحيل بعد اختفاء مارغو. لم يعجبهما كوني وحيدة في المنزل مع روي، لأن الناس بدؤوا في النميمة. كانت هناك حتى تلميحات في الصحافة، لكنني أقسم لكما بحياة أطفالي،" قالت سينثيا، بنوع من الحسم الكئيب، "لم يكن هناك شيء بين روي وبيني، أبدًا، قبل اختفاء مارغو، ولا لفترة طويلة بعد ذلك، أيضًا. بقيت من أجل آنا، لأنني لم أتحمل تركها... لقد أصبحت ابنتي!"

لم تصبح كذلك، قال الصوت الصارم في رأس روبن. *وكان يجب عليكِ إخبارها بذلك.*

– "لم يواعد روي أي شخص لفترة طويلة بعد اختفاء مارغو. ثم كانت هناك زميلة في العمل لفترة،" تورد وجه سينثيا النحيل مرة أخرى، "لكن ذلك استمر لبضعة أشهر فقط. آنا لم تحبها.

"كان لدي حبيب متقطع، لكنه تركني. قال إن الأمر يشبه مواعدة امرأة متزوجة بطفل، لأنني وضعت آنا وروي أولاً، دائمًا.

"ثم أعتقد..." قالت سينثيا بصوت مهتز، ويد مكورة في قبضة، والأخرى تمسك بها، "... بمرور الوقت... أدركت أنني وقعت في حب روي. لم أحلم أبدًا بأنه قد يرغب في أن يكون معي، رغم ذلك. كانت مارغو ذكية جدًا، شخصية كبيرة جدًا، وكان هو أكبر مني بكثير، ذكيًا جدًا ومثقفًا...

"ذات مساء، بعد أن وضعت آنا في السرير، كنت على وشك العودة إلى غرفي وسألني عما حدث مع ويل، حبيبي، وقلت إن الأمر انتهى، وسأل عما حدث، وبدأنا نتحدث، وقال... قال: «أنتِ شخص مميز جدًا وتستحقين أفضل بكثير منه.» وبعد ذلك... ثم، تناولنا مشروبًا...

"كان ذلك بعد أربع سنوات من اختفائها،" كررت سينثيا. "كنت في الثامنة عشرة عندما اختفت وكنت في الثانية والعشرين عندما اعترفنا أنا وروي... بأن لدينا مشاعر لبعضنا البعض. أبقينا الأمر سرًا، بوضوح. مرت ثلاث سنوات أخرى قبل أن يتمكن روي من الحصول على شهادة وفاة لمارغو."

قال سترايك:

– "لابد أن ذلك كان صعبًا للغاية."

نظرت إليه سينثيا للحظة، دون ابتسامة. بدت وكأنها تقدمت في العمر منذ وصولها إلى الطاولة.

– "راودتني كوابيس عن عودة مارغو ورميي خارج المنزل لما يقرب من أربعين عامًا،" قالت، وحاولت الضحك. "لم أخبر روي قط. لا أريد أن أعرف ما إذا كان يحلم بها، أيضًا. نحن لا نتحدث عنها. إنها الطريقة الوحيدة للتأقلم. قلنا كل ما

كان علينا قوله للشرطة، لبعضنا البعض، لبقية العائلة. نبشنا الأمر كله، ساعات وساعات من الحديث. «حان الوقت لإغلاق الباب»، هكذا عبر روي عن الأمر. قال: «لقد تركنا الباب مفتوحًا لفترة كافية. لن تعود.»

"قيلت بضعة أشياء حاقدة في الصحافة، كما تعلمون، عندما تزوجنا. «زوج الطبيبة المختفية يتزوج المربية الشابة». سيبدو الأمر دائمًا قذرًا، أليس كذلك؟ قال روي ألا أهتم بهم. كان والداي مصدومين من الأمر برمته. فقط عندما أنجبت جيريمي لانوا.

"لم نقصد أبدًا تضليل آنا. كنا ننتظر... لا أعرف... نحاول إيجاد اللحظة المناسبة، للشرح... لكن كيف يفترض بك أن تفعل ذلك؟ اعتادت مناداتي «مامي»،" همست سينثيا، "كانت س- سعيدة، كانت طفلة صغيرة سعيدة تمامًا، لكن بعد ذلك أخبرها أولئك الأطفال في المدرسة عن مارغو ودمر ذلك كل –"

من مكان ما قريب جاءت نسخة عالية بآلة موسيقية إلكترونية (سينثيسايزر) لأغنية "غرين سليفز" (Greensleeves). بدا الثلاثة مذهولين حتى قالت سينثيا، ضاحكة ضحكتها الشاخرة: "إنه هاتفي!" سحبت الهاتف المحمول من جيب عميق في فستانها وأجابت.

– "روي؟"

استطاعت روبن سماع روي يتحدث بغضب من حيث جلست. بدت سينثيا فجأة مذعورة. حاولت النهوض، لكنها داست على حافة فستانها وتعثرت للأمام. محاولة تخليص نفسها، قالت:

– "لا، أنا – أوه، لم تفعل. أوه، يا إلهي – روي، لم أرد إخبارك لأن – لا – نعم، ما زلت معهم!"

متمكنة أخيرًا من تحرير نفسها من كل من الفستان والطاولة، ترنحت سينثيا مبتعدة وخارجة من الغرفة. انزلق غطاء الرأس الذي كانت ترتديه بوهن عن مقعدها. انحنت روبن لالتقاطه، ووضعته مرة أخرى على مقعد كرسي سينثيا ونظرت للأعلى لترى سترايك يراقبها.

سألت روبن:

– "ماذا؟"

كان على وشك الإجابة عندما عادت سينثيا للظهور. بدت منكوبة.

– "روي يعرف – آنا أخبرته. يريد منكما الحضور إلى «بروم هاوس»."

36

غالبًا ما يجد الدواء من يبوح بحزنه؛
لكن أحزانًا مضاعفة تصيب القلوب الكاتمة،
مثل نيران مستعرة يكافح المرء لإخمادها.
إدموند سبنسر ملكة الجن

أسرعت سينثيا مبتعدة لتغيير زي آن بولين وعادت للظهور بعد عشر دقائق وهي ترتدي بنطال جينز غير مناسب تمامًا لمقاسها، وسترة رمادية وحذاءً رياضيًا. بدت قلقة للغاية بينما كانوا يمشون معًا عائدين عبر القصر، محددة وتيرة سريعة وجدها سترايك صعبة على الحجارة المرصوفة التي لا تزال زلقة بالمطر الذي توقف مؤقتًا، لكن السحب الرمادية الثقيلة، رغم حوافها المذهبة، كانت تنذر بعودة وشيكة له.

رافعين أبصارهم أثناء مرورهم مرة أخرى عبر بوابة الفناء الداخلي، لفتت اللمسات الذهبية اللامعة للساعة الفلكية عين روبن، ولاحظت أن الشمس كانت في برج مارغو، برج الدلو.

قالت سينثيا لاهثة، وهم يقتربون من موقف السيارات:

– "سأراكما هناك."

ودون انتظار إجابة، هرولت نصف ركض نحو سيارة "مازدا 3" زرقاء في المسافة.

قالت روبن:

– "سيكون هذا مثيرًا للاهتمام."

قال سترايك:

– "بالتأكيد سيكون كذلك."

قالت روبن، بمجرد عودتهما إلى السيارة:

– "التقط الخريطة. اللاند روفر القديمة لا تملك راديو يعمل، ناهيك عن نظام ملاحة. سيتعين عليك توجيهي."

سأل سترايك، بينما كان يبحث عن طريق الكنيسة في هام:

– "ما رأيك فيها؟"

– "تبدو مقبولة."

أصبحت روبن واعية بأن سترايك كان ينظر إليها، كما فعل في المقهى، بتعبير متسائل قليلاً على وجهه.

قالت مرة أخرى:

– "ماذا؟"

– "كان لدي انطباع بأنكِ لم تتحمسي لها."

قالت روبن، بأثر من الدفاعية:

– "لا، إنها بخير."

رجعت بالسيارة للخلف للخروج من مكان الوقوف، متذكرة ضحكة سينثيا الشاخرة وعادتها في خلط الإيجاب والسلب معًا.

– "حسنًا –"

قال سترايك بزهو:

– "ظننت ذلك."

– "نظرًا لما قد يكون حدث لمارغو، لم أكن لأبدأ المحادثة بنكات مبتهجة عن قطع الرؤوس."

قال سترايك:

– "لقد عاشت مع الأمر لمدة أربعين عامًا. الناس الذين يعيشون مع شيء ضخم بهذا القدر يتوقفون عن رؤيته. إنه خلفية حياتهم. هو واضح بشكل صارخ للجميع غيرهم فقط."

بدأ المطر يهطل مرة أخرى وهما يغادران موقف السيارات: غلالة رقيقة تغطي الزجاج الأمامي بسرعة.

اعترفت روبن، وهي تشغل المساحات:

– "حسنًا، أنا متحيزة. أشعر ببعض الحساسية تجاه الزوجات الثانيات في الوقت الحالي."

قادت السيارة لبضع لحظات قبل أن تدرك أن سترايك ينظر إليها مرة أخرى. سألت للمرة الثالثة:

– "ماذا؟"

– "لماذا أنت حساسة تجاه الزوجات الثانيات؟"

– "لأن – أوه، لم أخبرك، أليس كذلك؟ أخبرت موريس."

حاولت ألا تفكر، منذ ذلك الحين، في يوم "بوكسينغ داي" الذي قضته ثملة تراسل نصيًا، وعن القدر الضئيل من الراحة الذي استمدته من ذلك، أو الحمل الهائل من عدم الراحة.

– "ماثيو وسارة شادلوك معًا رسميًا الآن. تركت خطيبها من أجله."

قال سترايك، وهو لا يزال يراقب ملامحها الجانبية:

– "تبًا. لا، لم تخبريني."

لكنه سجل ذهنيًا حقيقة أنها أخبرت موريس، وهو ما لم يتناسب مع الفكرة التي كونها عن علاقة روبن وموريس. مما أخبره به باركلي عن تحديات موريس لسلطة روبن، ومن تعليقات روبن الفاترة عمومًا على موظفه الجديد، افترض أن اهتمام موريس الجنسي الواضح بروبن قد تلاشى لعدم وجود استجابة. ومع ذلك، أخبرت موريس بهذه المعلومة الشخصية المؤلمة، ولم تخبره هو.

بينما كانا يقودان في صمت نحو طريق الكنيسة، تساءل عما كان يجري في لندن بينما كان هو في كورنوال. كان موريس رجلاً وسيمًا، ومثله مثل روبن، كان يمر بالطلاق. تساءل سترايك لماذا لم يفكر سابقًا في تداعيات هذا التماثل الواضح. مقارنة الملاحظات حول المحامين، وحول الأزواج السابقين الصعبي المراس، وحول

آليات تقسيم حياتين: سيكون لديهم الكثير للحديث عنه، والكثير من الفرص للتعاطف المتبادل.

قال: "مباشرة هنا"، وقادا في صمت عبر "رويال بادوكس"، بين جدران حمراء عالية ومستقيمة.

علقت روبن، بعد عشرين دقيقة من مغادرتهما قصر هامبتون كورت، وهي تنعطف باللاند روفر إلى طريق بدا وكأنه في عمق الريف:

– "شارع لطيف."

إلى يسارهما كانت هناك غابات كثيفة، وإلى اليمين، العديد من المنازل الكبيرة المنفصلة التي تراجعت عن الطريق خلف أسيجة شجرية عالية.

قال سترايك، مشيرًا إلى منزل مترامي الأطراف بشكل خاص بالعديد من الجملونات المدببة نصف الخشبية:

– "إنه ذلك المنزل."

كانت البوابات المزدوجة مفتوحة، وكذلك الباب الأمامي. انعطفا إلى الممر وأوقفا السيارة خلف المازدا الزرقاء.

بمجرد أن أطفأت روبن المحرك، سمعا صراخًا قادمًا من داخل المنزل: صوت ذكر، غير منضبط وحاد النبرة. زوجة آنا فيبس، كيم، الطويلة، الشقراء والتي ترتدي الجينز وقميصًا كما في المرة السابقة، خرجت بخطوات واسعة من المنزل نحوهما، وتعبير وجهها متوتر.

قالت، بينما كان سترايك وروبن ينزلان من السيارة في رذاذ المطر:

– "مشاهد درامية كبرى."

بدأت روبن:

– "هل تودين منا الانتظار –؟"

قالت كيم:

– "لا. هو مصمم على رؤيتكما. تفضلا بالدخول."

ساروا عبر الحصى ودخلوا "بروم هاوس". في مكان ما بالداخل، استمرت أصوات الذكر والأنثى في الصراخ.

كل منزل له رائحته العميقة المتأصلة، وكان هذا المنزل يفوح برائحة خشب الصندل وعفونة ليست غير محببة تمامًا. قادتهما كيم عبر ردهة طويلة ذات نوافذ كبيرة بدت متجمدة في منتصف القرن العشرين. كانت هناك تركيبات إضاءة نحاسية، ولوحات مائية وسجادة قديمة على ألواح أرضية مصقولة. برعشة مفاجئة، فكرت روبن أن مارغو بامبورو مشت ذات مرة على هذه الأرضية بالذات، ورائحة عطر الورد المعدني الخاص بها تمتزج بروائح الطلاء والسجاد القديم.

بينما اقتربوا من باب غرفة الرسم، أصبح الجدال الدائر بالداخل فجأة مفهومًا.

كان رجل يصرخ:

– "– وإذا كان سيتم الحديث عني، يجب أن يكون لي حق الرد – عائلتي تقرر التحقيق معي من وراء ظهري، رائع، رائع، حقًا –"

سمعوا آنا تقول:

– "لا أحد يحقق معك، بحق الله! بيل تالبوت كان غير كفء –"

– "أوه، هل كان حقًا؟ هل كنتِ هناك؟ هل عرفتِه؟"

– "لم يكن علي أن أكون هناك يا أبي –"

فتحت كيم الباب. تبع سترايك وروبن كيم للداخل.

كان الأمر أشبه بالدخول على لوحة حية (تابلوه). تجمد الأشخاص الثلاثة الواقفون بالداخل عند دخولهم. كانت أصابع سينثيا النحيلة مضغوطة على فمها. وقفت آنا تواجه والدها عبر طاولة أثرية صغيرة.

لم يعد الشاعر ذو المظهر الرومانسي لعام 1974 موجودًا. كان ما تبقى من شعر روي فيبس قصيرًا، ورماديًا ويتشبث فقط حول أذنيه ومؤخرة رأسه. في سترته الصوفية المحبوكة (فيست)، بصلعته العالية، المقببة، اللامعة وعينيه الجامحتين، الغائرتين قليلاً في وجه مبقع، كان الآن أكثر ملاءمة لدور عالم مجنون.

بدا روي فيبس غاضبًا جدًا، لدرجة أن روبن توقعت تمامًا أن يبدأ في الصراخ على القادمين الجدد أيضًا. ومع ذلك، تغير سلوك أخصائي أمراض الدم عندما التقت عيناه بعيني سترايك. ما إذا كان هذا تقديرًا لضخامة المحقق، أو

لهالة الجدية والهدوء التي تمكن من بثها في المواقف المشحونة، لم تستطع روبن القول، لكنها اعتقدت أنها رأت روي يقرر العدول عن الصراخ. بعد تردد وجيز، قبل الطبيب يد سترايك الممدودة، وبينما تصافح الرجلان، تساءلت روبن عن مدى وعي الرجال بديناميكيات القوة التي تدور بينهم، بينما تقف النساء للمشاهدة.

قال سترايك:

– "دكتور فيبس."

بدا أن روي وجد صعوبة في تغيير الترس بين الغضب الجامح والتحية المؤدبة، وكان رده الفوري غير متماسك قليلاً.

قال:

– "إذن أنت – أنت المحقق، أليس كذلك؟"

بقع زرقاء محمرة بقيت في خديه الشاحبين.

– "كورموران سترايك – وهذه شريكتي، روبن إيلاكوت."

تقدمت روبن للأمام.

قال روي بتصلب، وهو يصافح يدها أيضًا:

– "تشرفت بلقائك." كانت يده ساخنة وجافة.

قالت سينثيا، في نصف همسة:

– "هل أصنع القهوة؟"

قال روي، ومزاجه السيئ يتنافس بوضوح مع التوتر الذي بدا أنه يزداد بينما وقف سترايك، ضخمًا وثابتًا، يراقبه:

– "نعم – لا، لمَ لا. اجلسوا، اجلسوا،" قال، مشيرًا لسترايك إلى أريكة، بزاوية قائمة مع أخرى.

أسرعت سينثيا خارج الغرفة لصنع القهوة، وجلس سترايك وروبن حيث طُلب منهما.

تمتمت آنا:

– "سأذهب لمساعدة سين."

وهرعت خارج الغرفة، وتبعتها كيم، بعد لحظة تردد، تاركة سترايك وروبن وحدهما مع روي. استقر الطبيب في كرسي مخملي ذي ظهر عالٍ وحدق حوله بغضب. لم يبدُ بخير. تراجع توهج الغضب، تاركًا إياه شاحبًا. كانت جواربه متجمعة حول كاحليه النحيلين.

تلا ذلك أحد أكثر الصمتات غير المريحة التي تحملتها روبن على الإطلاق. لتجنب النظر إلى روي بشكل أساسي، سمحت لعينيها بالتجول في الغرفة الكبيرة، التي كانت قديمة الطراز مثل الردهة. كان هناك بيانو كبير في الزاوية. المزيد من النوافذ الكبيرة تطل على حديقة ضخمة، حيث توجد بركة أسماك مستطيلة طويلة خلف منطقة مرصوفة مباشرة، وفي نهايتها البعيدة هيكل حجري مغطى يشبه المعبد حيث يمكن للناس الجلوس ومشاهدة أسماك الشبوط (كوي كارب)، التي بالكاد تُرى الآن تحت سطح الماء المنقط بالمطر، أو النظر عبر العشب الممتد، بأشجاره الناضجة وأحواض الزهور المعتنى بها جيدًا.

وفرة من الكتب المجلدة بالجلد والتماثيل البرونزية لمواضيع أثرية ملأت خزائن الكتب والخزائن. كان هناك إطار تطريز (تامبور) يقف بين الأرائك، عليه قطعة تطريز جميلة جدًا يجري العمل عليها بالحرير. كان التصميم متأثرًا بالطراز الياباني، لسمكتي شبوط تسبحان في اتجاهين متعاكسين. كانت روبن تناقش ما إذا كانت ستبدي تعليقًا مهذبًا عليه، وتسأل عما إذا كانت سينثيا هي من قامت به، عندما تحدث سترايك.

– "من كان الكلاسيكي (المتخصص في الدراسات الكلاسيكية)؟"

قال روي:

– "ماذا؟ أوه. والدي."

جالت عيناه المجنونتان على مختلف التماثيل البرونزية والرخامية الصغيرة المنتشرة في الغرفة.

– "حصل على مرتبة الشرف الأولى في الكلاسيكيات في كامبريدج."

قال سترايك:

– "آه."

واستؤنف الصمت الجليدي.

ألقت عاصفة من الرياح بالمزيد من المطر على النافذة. شعرت روبن بالارتياح لسماع رنين الملاعق الصغيرة وخطوات النساء الثلاث العائدات.

وضعت سينثيا، التي دخلت الغرفة أولاً، صينية شاي على الطاولة الأثرية الواقفة بين الأرائك. اهتزت الطاولة قليلاً بالوزن. أضافت آنا كعكة كبيرة على حامل.

جلست آنا وكيم جنبًا إلى جنب على الأريكة الحرة، وعندما سحبت سينثيا طاولات جانبية رفيعة لحمل شاي الجميع، وقطعت شرائح من الكعكة لمن أراد، جلست بجانب زوجة ابنة زوجها، وبدا عليها الخوف.

قال روي أخيرًا، مخاطبًا سترايك:

– "حسنًا. سأكون مهتمًا بسماع ما تعتقد أنها فرصك في اكتشاف ما لم تتمكن شرطة العاصمة من اكتشافه في أربعة عقود."

كانت روبن متأكدة من أن روي كان يخطط لهذه الافتتاحية العدوانية خلال الصمت الطويل والمؤلم.

قال سترايك بعملية، بمجرد أن ابتلع قطعة كبيرة من الكعكة التي أعطته إياها سينثيا:

– "ضئيلة إلى حد ما. رغم أن لدينا مشاهدة مزعومة جديدة لزوجتك الأولى أردت مناقشتها معك."

بدا روي مأخوذًا.

أكد سترايك:

– "مشاهدة مزعومة." واضعًا طبقه جانبًا ومادًا يده داخل سترته لإخراج مفكرته. "لكن بوضوح... كعكة ممتازة يا سيدة فيبس،" قال لسينثيا.

قالت بصوت صغير:

– "أوه، شكرًا لك. القهوة والجوز كانت المفضلة لآنا عندما كانت صغيرة – ألم تكن كذلك يا حبيبتي؟"

لكن رد آنا الوحيد كان ابتسامة متوترة.

– "سمعنا عنها من إحدى زميلات زوجتك السابقات، جانيس بيتي."

هز روي رأسه وهز كتفيه بنفاد صبر، ليعبر عن عدم التعرف على الأسماء.

قال سترايك:

– "كانت ممرضة العيادة في عيادة سانت جون."

قال روي:

– "أوه. نعم. أعتقد أنها جاءت هنا مرة، لحفل شواء. بدت امرأة محترمة تمامًا... كارثة، كان ذلك الظهيرة. كارثة دموية. أولئك الأطفال كانوا فظيعين – أتتذكرين؟" وجه كلامه لسينثيا.

قالت سينثيا بسرعة:

– "نعم، لا، كان هناك صبي واحد كان حقًا –"

نباح روي:

– "لغم شراب البنش (Punch). بالفودكا. شخص ما تقيأ."

قالت سينثيا:

– "غلوريا."

قال روي، بتلويحة يد نافدة الصبر:

– "لا أتذكر كل أسمائهم. تقيأت في كل أنحاء حمام الطابق السفلي. مقرف."

سأل سترايك:

– "هذا الصبي كان ليكون كارل أوكدين؟"

– "هذا هو. وجدنا زجاجة الفودكا فارغة، لاحقًا، مخبأة في سقيفة. كان قد تسلل إلى المنزل وأخذها من خزانة المشروبات."

قالت سينثيا:

– "نعم، وبعد ذلك حطم –"

– "وعاء كريستال لأمي ونصف دزينة كؤوس. ضرب كرة كريكيت مباشرة عبر منطقة الشواء. نظفت الممرضة كل ذلك لي، لأن – كان لطفًا منها. عرفت أنني لا أستطيع – زجاج مكسور،" قال روي، بإيماءة نافدة الصبر (مشيرًا لمرضه).

قالت سينثيا، بطيف ضحكة:

– "على الجانب المشرق، لقد حطم وعاء البنش، لذا لم يمرض أحد آخر."

قال روي، دون ابتسامة:

– "ذلك الوعاء كان آرت ديكو (طراز فني). كارثة دموية، الأمر برمته. قلت لمارغو،" وتوقف لثانية بعد نطق الاسم، وتساءلت روبن متى كانت آخر مرة نطق فيها به، "«لا أعرف ما الذي تعتقدين أن هذا سيحققه.» لأنه لم يأتِ، الشخص الذي كانت تحاول استرضاءه – الطبيب الذي لم تكن تتفق معه، ما كان اسمه –؟"

قالت روبن:

– "جوزيف برينر."

– "برينر، بالضبط. لقد رفض الدعوة، فماذا كانت الفائدة؟ لكن لا، كان لا يزال علينا التخلي عن يوم السبت للترفيه عن هذه المجموعة المتنافرة من الناس، وكانت مكافأتنا سرقة شرابنا وتحطيم ممتلكاتنا."

كانت قبضتا روي مستقرتين على ذراعي كرسيه. بسط أصابعه الطويلة للحظة في حركة تشبه سرطانًا ناسكًا يبسط أرجله، ثم كورها بإحكام على نفسها مرة أخرى.

قال:

– "ذلك الصبي نفسه، أوكدين، كتب كتابًا عن مارغو لاحقًا. استخدم صورة من حفل الشواء اللعين ذاك لإضفاء مصداقية على فكرة أنه ووالدته كانا يعرفان كل شيء عن حياتنا الخاصة. لذا، نعم،" قال روي ببرود، "لم تكن واحدة من أفكار مارغو الأفضل."

قالت آنا:

– "حسنًا، كانت تحاول جعل العيادة تعمل بشكل أفضل معًا، ألم تكن كذلك؟ أنت لم تكن بحاجة حقًا لإدارة شخصيات مختلفة في العمل –"

– "أوه، أنتِ تعرفين كل شيء عن عملي أيضًا، أليس كذلك يا آنا؟"

– "حسنًا، لم يكن الأمر مثل كونك طبيبًا عامًا، أليس كذلك؟ كنت تحاضر، وتقوم بأبحاث، لم يكن عليك إدارة عمال نظافة وموظفي استقبال ومجموعة كاملة من غير الأطباء."

قالت سينثيا، مسرعة بولاء لدعم روي:

– "كانوا سيئي السلوك تمامًا يا آنا. لا، لقد كانوا كذلك حقًا. لم أخبر أبدًا – لم أرغب في التسبب في مشاكل – لكن إحدى النساء تسللت للأعلى إلى غرفة نوم والدتك ووالدك."

نباح روي:

– "ماذا؟"

قالت سينثيا بتوتر:

– "نعم. لا، صعدت لتغيير حفاض آنا وسمعت حركة هناك. دخلت وكانت تنظر إلى ملابس مارغو في خزانة الملابس."

سأل سترايك:

– "من كانت هذه؟"

– "الشقراء. موظفة الاستقبال التي لم تكن غلوريا."

قال سترايك:

– "إيرين. هل عرفت أنكِ رأيتها؟"

– "أوه نعم. دخلت وأنا أحمل آنا."

سألت روبن:

– "ماذا قالت عندما رأتك؟"

قالت سينثيا:

– "حسنًا، كانت محرجة قليلاً. ستكونين كذلك، أليس كذلك؟ ضحكت وقالت «فقط أتطفل» وخرجت مارة بي."

قال روي فيبس، وهو يهز رأس:

– "يا إلهي. من وظف هؤلاء الناس؟"

سألت روبن سينثيا:

– "هل كانت تنظر فقط حقًا؟ أم تعتقدين أنها دخلت هناك لـ –"

قالت سينثيا:

– "أوه، لا أعتقد أنها أخذت أي شيء. وأنت لم – مارغو لم تفقد أي شيء أبدًا، أليس كذلك؟" سألت روي.

قال روي بغضب:

– "لا، لكن كان يجب عليك إخباري بهذا في ذلك الوقت."

– "لم أرد التسبب في مشاكل. كنت بالفعل... حسنًا، كان يومًا مرهقًا، أليس كذلك؟"

قال سترايك:

– "بخصوص هذه المشاهدة المزعومة،" وأخبر العائلة قصة تشارلي راماج المنقولة، الذي ادعى رؤية مارغو تتجول بين القبور في فناء كنيسة في ليمنغتون سبا.

– "... وروبن تحدثت الآن إلى أرملة راماج، التي أكدت القصة الأساسية، رغم أنها لم تستطع القسم بأن مارغو هي من ظن أنه رآها، وليست امرأة مفقودة أخرى. لا يبدو أن المشاهدة قد نُقلت للشرطة، لذا أردت أن أسأل عما إذا كان لمارغو أي صلة بليمنغتون سبا تعرفون عنها؟"

قال روي:

– "لا توجد." وهزت سينثيا رأسها.

دون سترايك ملاحظة.

– "شكرًا لك. بما أننا في موضوع المشاهدات،" قال سترايك، "أتساءل عما إذا كان بإمكاننا استعراض بقية القائمة؟"

ظنت روبن أنها تعرف ما يرمي إليه سترايك. مهما كانت فكرة أن مارغو لا تزال على قيد الحياة غير مريحة للأشخاص في هذه الغرفة، أراد سترايك بدء المقابلة من وجهة نظر لا تفترض القتل.

سرد روي بسرعة، قبل أن يتمكن سترايك من التحدث:

– "المرأة في محطة الخدمة في برمنغهام، الأم في برايتون، منزهة الكلاب في إيستبورن. لماذا تكون بالخارج وتتجول، تقود السيارات وتنزه الكلاب؟ إذا كانت قد اختفت طواعية، فمن الواضح أنها لم تكن تريد أن يتم العثور عليها. وينطبق الشيء نفسه على التجول في المقابر."

قال سترايك:

– "صحيح. لكن كانت هناك مشاهدة واحدة –"

قال روي:

– "وارويك. نعم."

مرت نظرة بين الزوج والزوجة. انتظر سترايك. وضع روي كوبه وصحنه على الطاولة أمامه ونظر إلى ابنته.

سأل، ناظرًا إلى ابنته الصامتة:

– "أنتِ متأكدة تمامًا أنكِ تريدين فعل هذا يا آنا، أليس كذلك؟ متأكدة، متأكدة تمامًا؟"

ردت بحدة:

– "ماذا تعني؟ لماذا تظن أنني استأجرت محققين؟ للمتعة؟"

قال روي:

– "حسنًا إذن. حسنًا. تلك المشاهدة لفتت... لفتت انتباهي، لأن الحبيب السابق لزوجتي، رجل يدعى بول ساتشويل، كان ينحدر أصلاً من وارويك. كان هذا رجلاً... أعادت التواصل معه، قبل أن تختفي."

قالت آنا، بضحكة صغيرة متوترة:

– "أوه بحق الله، هل تظن بصدق أنني لا أعرف عن بول ساتشويل؟ بالطبع أعرف!" مدت كيم يدها ووضعتها على ساق رفيقتها، سواء للمواساة أو التحذير، كان من الصعب القول. "ألم تسمع بالإنترنت يا أبي، أو أرشيف الصحافة؟ لقد رأيت صورة ساتشويل السخيفة، بكل شعر صدره وقلائده، وأعرف أن أمي ذهبت لتناول مشروب معه قبل ثلاثة أسابيع من اختفائها! لكنه كان مشروبًا واحدًا فقط –"

قال روي بفظاظة:

– "أوه، هل كان كذلك؟ شكرًا لطمأنتك يا آنا. شكرًا لمعرفتك الخبيرة. كم هو رائع أن تكوني العليمة بكل شيء–"

همست سينثيا:

– "روي."

قالت آنا، وبدت مهتزة:

– "ماذا تقول، إنه كان أكثر من مشروب؟ لا، لم يكن، هذا شيء فظيع لقوله! أونا تقول –"

قال روي بصوت عالٍ، وخدوده الغائرة تتحول للون الأرجواني ويداه تقبضان على ذراعي كرسيه:

– "أوه، صحيح، نعم، فهمت! أونا تقول، أليس كذلك؟ كل شيء مفسر!"

سألت آنا بحدة:

– "ما الذي فُسر؟"

صرخ مشيرًا بيد مرتجفة، بارزة العروق، متورمة المفاصل نحو سترايك وروبن:

– "هذا! أونا كينيدي وراء كل هذا، أليس كذلك؟ كان يجب أن أعرف أنني لم أنتهِ منها بعد!"

قالت كيم بصوت عالٍ:

– "بحق الله يا روي، هذا سخيف –"

– "أونا كينيدي أرادت اعتقالي!"

قالت آنا، مزيلة يد كيم المقيدة عن ساقها بالقوة:

– "أبي، هذا ببساطة غير صحيح! لديك هوس مرضي بأونا –"

– "تلح عليّ لأشتكي من تالبوت –"

قالت آنا بصوت عالٍ:

– "حسنًا، لماذا بحق الجحيم لم تفعل؟ الرجل كان في منتصف انهيار كامل!"

– "روي!" انتحبت سينثيا مرة أخرى، بينما مال روي للأمام ليواجه ابنته عبر الطاولة الدائرية الصغيرة جدًا، بكعكتها المتوازنة بشكل خطير. ملوحًا بيديه بجموح، ووجهه أرجواني، صرخ:

– "الشرطة تحتشد في جميع أنحاء المنزل تبحث في أغراض والدتك – كلاب بوليسية في الحديقة – كانوا يبحثون عن أي سبب لاعتقالي، وكان يجب علي تقديم شكوى رسمية ضد الرجل المسؤول؟ كيف كان سيبدو ذلك؟"

– "لقد كان غير كفء!"

– "هل كنتِ هناك، يا آنسة كليّة العلم؟ هل عرفتِه؟"

– "لماذا استبدلوه؟ لماذا كل شيء مكتوب عن القضية يقول إنه كان غير كفء؟ الحقيقة هي،" قالت آنا، طاعنة الهواء بينها وبين والدها بسبابتها، "أنت وسين أحببتما بيل تالبوت لأنه ظن أنك بريء من البداية و –"

صرخ روي:

– "ظن أنني بريء؟ حسنًا، شكرًا لكِ، من الجيد معرفة أن شيئًا لم يتغير منذ كنتِ في الثالثة عشرة من عمرك –"

قالت سينثيا وكيم معًا:

– "روي!"

– "– واتهمتني ببناء بركة أسماك الكوي فوق المكان الذي دفنتها فيه!"

انفجرت آنا في البكاء وفرت من الغرفة، وكادت تتعثر في ساقي سترايك وهي تخرج. شاكًا في حدوث نزوح جماعي وشيك، سحب قدميه.

قالت كيم ببرود لوالد رفيقتها:

– "متى سيتم مسامحة آنا على الأشياء التي قالتها عندما كانت طفلة مشوشة، تمر بوقت عصيب؟"

صرخ روي:

– "ووقتي العصيب لا شيء، بالطبع؟ لا شيء!"

وكما توقع سترايك، غادر هو الآخر الغرفة بأسرع وتيرة يمكنه تدبرها، والتي كانت عرجة سريعة.

تمتمت كيم: "بحق المسيح"، وخرجت بخطوات واسعة خلف روي وآنا وكادت تصطدم عند الباب بسينثيا، التي قفزت لتتبع روي.

تأرجح الباب مغلقًا. طقطق المطر على البركة بالخارج. نفخ سترايك خديه، وتبادل النظرات مع روبن، ثم التقط طبقه وتابع أكل كعكته.

قال وفمه ممتلئ، ردًا على نظرة روبن:

– "أتضور جوعًا. لم أتناول الغداء. وهي كعكة جيدة."

سمعا صراخًا بعيدًا، وصفق باب آخر.

تمتمت روبن:

– "هل تعتقد أن المقابلة انتهت؟"

قال سترايك، وهو لا يزال يأكل:

– "لا. سيعودون."

– "ذكرني بشأن المشاهدة في وارويك."

كانت قد تصفحت قائمة المشاهدات التي أرسلها سترايك لها عبر البريد الإلكتروني. لم يبدُ أن هناك أي شيء مثير للاهتمام فيها.

– "امرأة طلبت «فكة» في حانة، وصاحبة الحانة ظنت أنها مارغو. تقدمت طالبة ناضجة (أكبر سنًا) بعد يومين لتعرف بنفسها، لكن صاحبة الحانة لم تكن مقتنعة بأنها هي من رأتها. الشرطة كانت مقتنعة، رغم ذلك."

أخذ سترايك لقمة كبيرة أخرى من الكعكة قبل أن يقول:

– "لا أعتقد أن هناك شيئًا في الأمر. حسنًا..." ابتلع وألقى نظرة ذات مغزى على باب غرفة الجلوس، "هناك القليل الآن."

استمر سترايك في أكل الكعكة، بينما جالت عينا روبن في الغرفة واستقرت على ساعة رف موقد برونزية (أورمولو) قبيحة بشكل استثنائي. بنظرة إلى الباب، نهضت لفحصها. آلهة كلاسيكية مذهبة ترتدي خوذة كانت تجلس فوق العلبة المزخرفة والثقيلة.

قال سترايك، مراقبًا إياها، ومشيرًا بشوكته للتمثال:

– "بالاس أثينا."

في قاعدة الساعة كان هناك درج بمقبض نحاسي صغير. متذكرة إفادة سينثيا حول ترك روي ومارغو ملاحظات لبعضهما البعض هنا، سحبت الدرج لفتحه. كان مبطنًا بلباد أحمر وفارغًا.

سألت سترايك، وهي تغلق الدرج:

– "هل تعتقد أنها ذات قيمة؟"

– "لا أدري. لماذا؟"

– "لأنه لماذا تحتفظ بها لولا ذلك؟ إنها بشعة."

كان هناك نوعان متميزان من الذوق معروضان في هذه الغرفة ولم ينسجما، فكرت روبن، وهي تنظر حولها، طوال الوقت تستمع لعودة العائلة. النسخ المجلدة بالجلد لـ أوفيد وبليني، والنسخ الفيكتورية لتماثيل كلاسيكية، من بينها زوج من أسود ميديتشي المصغرة، ونسخة لعذراء فستال وتمثال لـ هيرميس يقف على أطراف أصابعه على قاعدته البرونزية الثقيلة، يفترض أنها تمثل ذوق والد روي، بينما شكت في أن والدته اختارت المناظر الطبيعية المائية الباهتة والمواضيع النباتية، والأثاث الأثري الرقيق وستائر الشيت (Chintz).

تساءلت روبن لماذا لم يقم روي أبدًا بتغيير شامل وإعادة الديكور. تقديس لوالديه؟ نقص في الخيال؟ أم أن الصبي الصغير المريض، الذي كان حبيس المنزل بلا شك لجزء كبير من طفولته، طور تعلقًا بهذه الأشياء لم يستطع التخلي عنه؟ بدا أنه وسينثيا لم يتركا أثرًا يذكر على الغرفة بخلاف إضافة بضع صور عائلية إلى الصور الباهتة بالأبيض والأسود التي تظهر والدي روي وروي كطفل. الصورة الوحيدة التي استرعت انتباه روبن كانت لمجموعة عائلية بدت وكأنها التقطت في أوائل التسعينيات، عندما كان روي لا يزال يمتلك كل شعره، وكان شعر سينثيا كثيفًا ومتموجًا. طفلاهما البيولوجيان، ولد وبنت، كانا يشبهان آنا. لم يكن أحد ليخمن أن لها أمًا مختلفة.

تحركت روبن إلى النافذة. سطح بركة أسماك الشبوط الطويلة والرسمية بالخارج، بجناحها الحجري في النهاية، كان الآن منقرًا بالمطر بكثافة لدرجة أن الأشكال الحمراء والبيضاء والسوداء الزاهية التي تتحرك تحت السطح بالكاد يمكن

تمييزها كأسماك. كان هناك مخلوق كبير بشكل خاص، أبيض لؤلؤي وأسود، بدا وكأنه قد يكون بطول أكثر من قدمين. الجناح المصغر كان ينعكس عادة في سطح البركة الأملس، لكنه اليوم أضاف فقط طبقة إضافية من الرمادي المنتشر إلى النهاية البعيدة للبركة. كان له تصميم مألوف بشكل غريب على الأرضية.

قالت روبن: "كورموران"، في نفس اللحظة التي قال فيها سترايك:

"انظري إلى هذا."

التفت كلاهما. كان سترايك، الذي أنهى كعكته، يقف الآن بجانب أحد تماثيل والد روي الصغيرة، التي كانت روبن قد أغفلتها. كان تمثالاً برونزيًا بارتفاع قدم لرجل عارٍ بقطعة قماش حول كتفيه، يمسك ثعبانًا. محتارة للحظة، أدركت روبن بعد ثانية أو اثنتين لماذا يشير سترايك إليه.

– "أوه... الرمز الثعباني المخترع الذي أعطاه تالبوت لروي؟"

– "بالضبط. هذا أسكليبيوس،" قال سترايك. "إله الطب اليوناني. ماذا وجدتِ؟"

– "انظر إلى أرضية الشرفة (غزيبو). مطعمة في الحجر."

انضم إليها عند النافذة.

قال:

– "آه. يمكنك رؤية بدايات ذلك في إحدى صور حفل شواء مارغو. كان قيد الإنشاء."

كان صليب القديس يوحنا (سانت جون) يقع على أرضية الشرفة، مطعمًا بالجرانيت الأغمق.

قال سترايك:

– "اختيار مثير للاهتمام للتصميم."

قالت روبن، ملتفتة للنظر إلى الغرفة:

– "أتعلم، الأشخاص الذين يعانون من الهوس غالبًا ما يعتقدون أنهم يتلقون رسائل خارقة للطبيعة. أشياء يسميها العاقلون صدفًا."

قال سترايك، ملتفتًا للنظر إلى تمثال بالاس أثينا، أعلى ساعة الرف القبيحة:

– "كنت أفكر في ذلك بالضبط. لرجل في حالة تالبوت من الارتباك العقلي، أخمن أن هذه الغرفة كانت لتبدو مكتظة بالرموز الفلكية –"

رن صوت روي في الردهة بالخارج.

– "– إذن لا تلوميني –"

فتح الباب ودخلت العائلة بانتظام.

– "– إذا سمعت أشياء لا تعجبها!" أنهى روي كلامه، مخاطبًا سينثيا، التي كانت خلفه مباشرة، وبدت خائفة. كان وجه روي أرجوانيًا غير صحي مرة أخرى، رغم أن الجلد حول عينيه ظل أصفر يرقانيًا.

بدا مذهولاً لرؤية سترايك وروبن واقفين عند النافذة.

قال سترايك، بينما عاد هو وروبن إلى أريكتهما:

– "كنا نعجب بحديقتك."

دمدم روي وأخذ مقعده مرة أخرى. كان يتنفس بصعوبة.

قال بعد لحظة أو اثنتين:

– "اعتذاري. أنتما لا تريان العائلة في أفضل حالاتها."

قال سترايك، بينما عادت آنا وكيم لدخول الغرفة واستأنفتا مقعديهما على الأريكة، حيث جلستا ممسكتين بأيدي بعضهما:

– "الأمر مرهق جدًا للجميع."

جلست سينثيا على حافة المقعد بجانبهما، تراقب روي بقلق.

أخبر روي سترايك:

– "أريد أن أقول شيئًا. أريد أن أوضح تمامًا –"

قالت آنا:

– "أوه بحق الله، لقد أجريت مكالمة هاتفية واحدة معها!"

قال روي، وصدره يجهد:

– "سأقدر ذلك يا آنا، إذا استطعت أن أكمل."

مخاطبًا سترايك، قال:

– "كرهتني أونا كينيدي منذ اللحظة التي التقينا فيها أنا ومارغو لأول مرة. كانت متملكة تجاه مارغو، وتصادف أيضًا أنها تركت الكنيسة، وكانت واحدة من أولئك الذين اضطروا لمعاداة كل من لا يزال فيها. علاوة على ذلك –"

قاطعه سترايك، الذي استطاع التنبؤ بانحدار الظهيرة إلى شجار طويل حول أونا كينيدي:

– "دكتور فيبس، أعتقد أنه يجب عليك أن تعلم أنه عندما قابلنا أونا، أوضحت تمامًا أن الشخص الذي اعتقدت أنه يجب علينا تركيز طاقاتنا عليه هو بول ساتشويل."

لثانية أو اثنتين، بدا روي غير قادر على استيعاب ما قيل له للتو بشكل كامل.

قالت آنا بغضب:

– "أرأيت؟ لقد ألمحت للتو إلى أن هناك ما هو أكثر بين أمي وساتشويل من مشروب واحد. ماذا عنيت؟ أم كنت،" قالت، وسمعت روبن الأمل الكامن، "غاضبًا فقط وتلقي بالاتهامات؟"

قال روي:

– "الناس الذين يصرون على فتح علب الديدان يا آنا، لا ينبغي أن يشتكوا عندما يتغطون بالوحل."

– "حسنًا، أكمل إذن، اسكب وحلك."

همست سينثيا: "آنا"، وتم تجاهلها.

قال روي:

– "حسنًا. حسنًا إذن." التفت مرة أخرى إلى سترايك وروبن. "في وقت مبكر من علاقتنا، رأيت رسالة من ساتشويل احتفظت بها مارغو. «عزيزتي برونهيلدا» قالت – كان اسم تدليلها لديه. الفالكيري، كما تعلمون. كانت مارغو طويلة. وشقراء."

توقف روي وابتلع ريقه.

– "قبل حوالي ثلاثة أسابيع من اختفائها، عادت للمنزل وأخبرتني أنها اصطدمت بساتشويل في الشارع وأنهما ذهبا لتناول... مشروب بريء."

نظف حلقه. صبت له سينثيا المزيد من الشاي.

– "بعد أن – بعد أن اختفت، كان علي الذهاب وجمع أشيائها من عيادة سانت جون. من بينها وجدت تمثالاً صغيرًا –"

باعد بين أصابعه حوالي ثلاث بوصات.

– "– خشبيًا، فايكينغ منمق كانت تحتفظ به على مكتبها. مكتوب بالحبر على قاعدة هذا التمثال كان «برونهيلدا»، مع قلب صغير."

أخذ روي رشفة من القهوة.

– "لم أره من قبل قط. بالطبع، من الممكن أن ساتشويل كان يحمله معه لسنوات، على أمل ضئيل أن يصطدم بمارغو يومًا ما في الشارع. ومع ذلك، استنتجت أنهما رأيا بعضهما البعض مرة أخرى وأنه أعطاها هذا – هذا الرمز – في مناسبة لاحقة. كل ما أعرفه هو أنني لم أره أبدًا قبل أن أجمع أشياءها من عيادتها."

استطاعت روبن أن تدرك أن آنا أرادت اقتراح تفسير بديل، لكن كان من الصعب جدًا إيجاد ثغرة في منطق روي.

سأل سترايك:

– "هل أخبرت الشرطة بما شككت فيه؟"

قال فيبس:

– "نعم، وأعتقد أن ساتشويل ادعى أنه لم يكن هناك لقاء ثانٍ، وأنه أعطى التمثال لمارغو قبل سنوات، عندما كانا مرتبطين لأول مرة. لم يتمكنوا من إثبات الأمر بأي من الطريقتين، بالطبع. لكنني لم أره من قبل قط."

تساءلت روبن أيهما سيكون أكثر إيلامًا: اكتشاف أن الزوجة قد خبأت رمز حب من شريك سابق، وبدأت في عرضه بعد سنوات عديدة، أو أنها أعطيت إياه مؤخرًا.

كان سترايك يقول:

– "أخبرني، هل أخبرتك مارغو أبدًا أي شيء عن «حلم وسادة»؟"

قال روي:

– "عن ماذا؟"

– "شيء أخبرها به ساتشويل، يتعلق بوسادة؟"

قال روي بريبة:

– "لا أعرف عما تتحدث."

– "هل ذكر المفتش تالبوت بالصدفة أنه يعتقد أن ساتشويل كذب بشأن مكان وجوده في الحادي عشر من أكتوبر؟"

قال روي، وبدا متفاجئًا جدًا الآن:

– "لا. فهمت أن الشرطة كانت راضية تمامًا عن حجة غيابه."

قال سترايك، مخاطبًا آنا:

– "لقد اكتشفنا أن تالبوت احتفظ بملاحظات قضية منفصلة خاصة به – منفصلة عن سجل الشرطة الرسمي، أعني. بعد أن بدا أنه استبعد «الحمل»، عاد إليه وبدأ في التنقيب عن المزيد من المعلومات عنه."

كررت آنا بارتباك:

– "«الحمل»؟"

قال سترايك، منزعجًا من انزلاقه إلى لغة التنجيم:

– "آسف. تجلى انهيار تالبوت كاعتقاد بأنه يمكنه حل القضية بوسائل غامضة. بدأ في استخدام بطاقات التاروت والنظر في الأبراج. أشار إلى كل شخص مرتبط بالقضية ببرجه الفلكي. ولد ساتشويل تحت برج الحمل، لذا هذا ما يسمى به في ملاحظات تالبوت الخاصة."

ساد صمت قصير، ثم قالت كيم:

– "يا يسوع."

قال روي، وبدا مذهولاً:

– "تنجيم؟"

قالت آنا، ضاربة ركبتها بقبضتها:

– "أترين يا أبي؟ لو كان لوسون قد تولى الأمر في وقت مبكر –"

قال روي، الذي بدا مهتزًا رغم ذلك:

– "لوسون كان أحمق. غبي! كان مهتمًا بإثبات أن تالبوت كان غير كفء أكثر من اهتمامه باكتشاف ما حدث لمارغو. أصر على مراجعة كل شيء. أراد مقابلة الأطباء الذين عالجوني من النزيف في ركبتي شخصيًا، رغم أنهم قدموا إفادات موقعة. عاد إلى بنكي للتحقق من حساباتي، في حال كنت قد دفعت لشخص ما لقتل والدتك. مارس ضغوطًا..."

توقف وسعل، ضاربًا صدره. بدأت سينثيا في النهوض عن الأريكة، لكن روي أشار بحركة غاضبة أن تبقى مكانها.

– "... مارس ضغوطًا على سينثيا، محاولاً جعلها تعترف بأنها كذبت بشأن وجودي في السرير طوال ذلك اليوم، لكنه لم يجد ذرة من معلومات جديدة حول ما حدث لوالدتك. كان بيروقراطيًا تافهًا، بيروقراطيًا متنمرًا وعديم الخيال لم تكن أولويته العثور عليها، بل كانت إثبات أن تالبوت أفسد الأمر. ربما كان بيل تالبوت... كان بوضوح،" أضاف روي، بنظرة غاضبة لسترايك، "مريضًا، لكن الحقيقة البسيطة تبقى: لم يجد أحد أبدًا تفسيرًا أفضل من كريد، أليس كذلك؟"

ومع ذكر كريد، اكفهرت وجوه النساء الثلاث على الأريكة. اسمه ذاته بدا وكأنه يستحضر نوعًا من الثقب الأسود في الغرفة، اختفت فيه نساء أحياء، ولم يُرين مرة أخرى؛ تجسيد لشر خارق للطبيعة تقريبًا. كان هناك حسم في مجرد ذكره: الوحش، المحبوس الآن مدى الحياة، الذي لا يمكن المساس به، ولا الوصول إليه، مثل النساء اللواتي حبسهن وعذبهن في قبوه. واندفعت أفكار روبن بذنب إلى البريد الإلكتروني الذي كتبته الآن، وأرسلته، دون إخبار سترايك بما فعلته، لأنها كانت تخشى أنه قد لا يوافق.

سأل روي فجأة:

– "هل يعرف أي منكم من كانت كارا ولفسون ولويز تاكر؟"

قالت روبن، قبل أن يتمكن سترايك من الإجابة:

– "نعم. لويز كانت مراهقة هاربة وكارا كانت مضيفة ملهى ليلي. اشتبه في أن كريد قتل كلتيهما، لكن لم يكن هناك دليل."

قال روي، راميًا إياها بنوع النظرة التي ربما أعطاها ذات مرة لطالب طب قام بتشخيص صحيح:

– "بالضبط. حسنًا، في عام 1978 التقيت بشقيق كارا ووالد لويز."

قالت آنا، وبدا عليها الصدمة:

– "لم أكن أعرف أنك فعلت ذلك!"

قال روي بحدة:

– "بالطبع لا. كنتِ في الخامسة من عمرك. والد لويز قام بدراسته الخاصة لحياة كريد. ذهب إلى كل مكان عاش فيه كريد أو عمل فيه واستجوب أكبر عدد ممكن من الأشخاص الذين اعترفوا بمعرفته. كان يقدم التماسًا لـ ميرلين-ريس، وزير الداخلية آنذاك، للسماح له بالذهاب والحفر في أكبر عدد ممكن من هذه الأماكن.

"كان الرجل نصف مجنون،" قال روي. "رأيت حينها ما يمكن أن يفعله العيش مع شيء كهذا بك. الهوس سيطر على حياته بأكملها. أراد تفكيك المباني، وهدم الجدران، وكشف الأساسات. حفر الحقول التي ربما مشى فيها كريد ذات مرة. تجريف الجداول، التي قال صديق دراسة إن كريد ربما ذهب للصيد فيها ذات مرة. كان تاكر يرتجف وهو يتحدث، محاولاً إقناعي وولفسون، الذي كان سائق شاحنة، بالانضمام إليه في حملة تلفزيونية. كان علينا تقييد أنفسنا بالسلاسل إلى السياج خارج «داونينغ ستريت»، لنظهر في الأخبار... زواج تاكر كان قد انهار. بدا على علاقة سيئة بأطفاله الأحياء. أصبح كريد حياته كلها."

سألت آنا:

– "وأنت لم ترغب في المساعدة؟"

قال روي بهدوء:

– "لو، كان لديه دليل فعلي – أي خيط صلب يربط بين مارغو وكريد –"

– "قرأت أنك اعتقدت أن إحدى القلائد في القبو ربما كانت –"

– "إذا كنتِ ستستقين معلوماتك من الكتب المثيرة، يا آنا –"

– "لأنك جعلت من السهل جدًا عليّ التحدث إليك عن أمي،" قالت آنا. "أليس كذلك؟"

همست سينثيا مرة أخرى: "آنا".

قال روي:

– "القلادة التي وجدوها في قبو كريد لم تكن لمارغو، وأنا يجب أن أعرف، لأنني أنا من أعطاها إياها." ارتعشت شفتاه، وضغطهما معًا.

قال سترايك، قبل أن تتمكن آنا من قول أي شيء آخر:

– "مجرد سؤالين آخرين، إذا لم تمانع. هل يمكننا التحدث للحظة عن ويلما، عاملة النظافة التي عملت في العيادة وقامت بالأعمال المنزلية لكم هنا، أيضًا؟"

قال روي:

– "كانت فكرة مارغو كلها، توظيفها، لكنها لم تكن جيدة جدًا. كانت المرأة تعاني من بعض الصعوبات الشخصية وظنت مارغو أن الحل هو المزيد من المال. بعد اختفاء مارغو، غادرت. لم تظهر مرة أخرى. ليست خسارة. سمعت لاحقًا أنها طُردت من العيادة. سرقة بسيطة، سمعت."

– "ويلما أخبرت الشرطة –"

قاطع روي:

– "أنه كانت هناك دماء على السجادة بالطابق العلوي، يوم اختفاء مارغو."

من تعبيرات آنا وكيم المذهولة، استنتجت روبن أن هذه كانت معلومات جديدة تمامًا عليهما.

قال سترايك:

– "نعم."

قال روي ببرود:

– "كان دم حيض. بدأت دورة مارغو الشهرية أثناء الليل. كانت هناك أغلفة فوائد صحية في الحمام، أخبرتني أمي. نظفت ويلما السجادة بالإسفنج. كان

هذا في غرفة الضيوف، في الطرف المقابل من المنزل لغرفة النوم الزوجية. مارغو وأنا كنا ننام منفصلين في ذلك الوقت، بسبب،" كان هناك تردد طفيف، "إصابتي."

– "ويلما قالت أيضًا إنها ظنت أنها رأتك –"

– "أمشي عبر الحديقة،" قال روي. "كانت كذبة. إذا رأت أي شخص، فقد كان أحد عمال البناء. كنا ننهي الشرفة (غزيبو) في ذلك الوقت،" قال، مشيرًا نحو المبنى الحجري في نهاية بركة السمك.

دون سترايك ملاحظة وقلب صفحة في مفكرته.

– "هل يذكر أي منكما مارغو تتحدث عن رجل يدعى نيكولو ريتشي؟ كان مريضًا في عيادة سانت جون."

هز كل من روي وسينثيا رأسيهما.

– "ماذا عن مريض يدعى ستيفن دوثويت؟"

– "لا،" قال روي. "لكننا سمعنا عنه لاحقًا، من الصحافة."

قالت سينثيا:

– "شخص ما في حفل الشواء ذكر أن مريضًا أرسل لمارغو شوكولاتة. كان هو، أليس كذلك؟"

– "نعتقد ذلك. لم تتحدث أبدًا عن دوثويت، إذن؟ لم تذكر أبدًا أنه أظهر اهتمامًا غير لائق بها، أو تخبركما أنه مثليّ الجنس؟"

قال روي مرة أخرى:

– "لا. هناك شيء يسمى سرية المريض، كما تعلم."

– "قد يبدو هذا سؤالاً غريبًا، لكن هل كان لدى مارغو أي ندوب؟ تحديدًا، على قفصها الصدري؟"

قال روي، قلقًا:

– "لا. لماذا تسأل ذلك؟"

قال سترايك:

– "لاستبعاد احتمال واحد. هل أخبرتكما مارغو أبدًا أنها تلقت ملاحظات تهديد؟"

– "نعم،" قال روي. "حسنًا، ليست ملاحظات بصيغة الجمع. أخبرتني أنها حصلت على واحدة."

قال سترايك، رافعًا بصره:

– "فعلت؟"

– "نعم. اتهمتها بتشجيع الشابات على الفسق والخطيئة."

– "هل هددتها؟"

– "لا أعرف. لم أرها قط."

– "لم تحضرها للمنزل؟"

قال روي باقتضاب:

– "لا." تردد، ثم قال: "تشاجرنا حولها."

– "حقًا؟"

– "نعم. يمكن أن تكون هناك عواقب وخيمة،" قال روي، محمرًا أكثر، "عواقب مجتمعية، عندما تبدأ في تمكين أشياء لا تحدث في الطبيعة –"

سألت آنا:

– "هل أنت قلق من أنها أخبرت فتاة ما أنه لا بأس أن تكون مثلية؟" ومرة أخرى همست سينثيا: "آنا!"

قال روي، ووجهه محتقن:

– "أنا أتحدث عن إعطاء نصائح متهورة قد تؤدي إلى انهيار الزواج. أنا أتحدث عن تسهيل الفسق، من وراء ظهور الآباء. رجل غاضب جدًا أرسل لها تلك الملاحظة، وهي لم يبدُ عليها أبدًا أنها فكرت – فكرت –"

اختلج وجه روي. للحظة، بدا وكأنه سيصرخ، لكن بعد ذلك، وبشكل غير متوقع تمامًا، انفجر في بكاء صاخب.

جلست زوجته، وابنته وزوجة ابنته، مذهولات، في صف على الأريكة؛ لم تذهب إليه أحد، ولا حتى سينثيا. كان روي يبكي فجأة بشهقات قوية، والدموع تنهمر على خديه الغائرين، محاولاً وفاشلاً في السيطرة على نفسه، ومتحدثًا أخيرًا من خلال النحيب.

– "هي – لم يبدُ عليها أبدًا – أنها تتذكر – أنني لا أستطيع – حمايتها – لا أستطيع – فعل أي شيء – إذا حاول شخص ما – إيذاءها – لأنني نازف – عديم الفائدة... نازف... لعين... عديم الفائدة..."

همست آنا، مرعوبة:

– "أوه يا أبي."

انزلقت عن الأريكة ومشت إلى والدها على ركبتيها. حاولت وضع يديها على ساقه، لكنه أبعد يديها المواسيتين، هازًا رأسه، ولا يزال يبكي.

– "لا – لا – لا أستحق ذلك – أنتِ لا تعرفين كل شيء – أنتِ لا تعرفين –"

قالت، وبدت خائفة:

– "ماذا لا أعرف؟ أبي، أنا أعرف أكثر مما تظن. أعرف عن الإجهاض –"

– "لم يكن هناك أبدًا – أبدًا – أبدًا إجهاض!" قال روي، يبتلع ريقه وينشج. "كان ذلك الشيء الوحيد – الشيء الوحيد الذي عرفناه أنا وأونا كينيدي – كلانا – أنها لن تفعل أبدًا – أبدًا – ليس بعدك! أخبرتني – مارغو أخبرتني – بعد أن أنجبتك – غيرت وجهات نظرها تمامًا. تمامًا!"

همست آنا:

– "إذن ماذا لا أعرف؟"

ناح روي:

– "كنت – كنت قـ – قاسيًا معها! كنت كذلك! جعلت الأمور صعبة! لم أظهر أي اهتمام بعملها. دفعتها بعيدًا! كانت ستتـ – تتركني... أنا أعرف ما حدث. أعرف. لطالما عرفت. في اليوم السابق – قبل أن تذهب – تركت رسالة – في الساعة – الشيء السخيف – الذي اعتدنا – والرسالة قالت – أرجوك تـ – تحدث معي..."

تغلبت عليه شهقاته. وبينما نهضت سينثيا وذهبت لتركع على الجانب الآخر لروي، مدت آنا يدها ليد والدها، وهذه المرة، سمح لها بمسكها. متشبثًا بابنته، قال:

– "كنت أنتظر – اعتذارًا. لذهابها للشرب – مع ساتشويل. ولأنها لم – تكتب اعتذارًا – لم أ-أتحدث معها. وفي اليوم التالي –

"أعرف ما حدث. كانت تحب المشي. إذا كانت منزعجة – مشي طويل. نسيت أمر أونا – ذهبت للمشي – تحاول أن تقرر ما ستفعل – تتركني – لأنني جعلتها – حزينة – حزينة جدًا. لم تكن – منتبهة – وكريد – وكريد – لابد أنه..."

لا تزال ممسكة بيده، لفت آنا ذراعها الأخرى حول كتفي والدها المرتجفين وسحبته إليها. بكى بشكل لا يواسى، متشبثًا بها. تظاهر كل من سترايك وروبن بالاهتمام بالسجادة المزهرة.

قالت كيم بلطف، أخيرًا:

– "روي. لا أحد في هذه الغرفة لم يقل أو يفعل أشياء لا يندم عليها بمرارة. ولا واحد منا."

ظن سترايك، الذي حصل من روي فيبس على أكثر بكثير مما توقع، أن الوقت قد حان لإنهاء المقابلة. كان فيبس في حالة من الضيق الشديد لدرجة أنه بدا من غير الإنساني الضغط عليه أكثر. عندما هدأت شهقات روي قليلاً، قال سترايك رسميًا:

– "أريد أن أشكرك كثيرًا على التحدث إلينا، وعلى الشاي. سنترككم وشأنكم."

نهض هو وروبن. ظل روي متشابكًا مع زوجته وابنته. وقفت كيم لتوديعهم.

قالت كيم بهدوء، وهما يقتربان من الباب الأمامي:

– "حسنًا، يجب أن أخبركما، كان ذلك... حسنًا، قريبًا من المعجزة. لم يتحدث عن مارغو هكذا من قبل، أبدًا. حتى لو لم تكتشفا أي شيء آخر... شكرًا لكما. كان ذلك... شافيًا."

توقف المطر وخرجت الشمس. قوس قزح مزدوج يمتد فوق الغابة المقابلة للمنزل. خرج سترايك وروبن، إلى الهواء النقي المنعش.

قال سترايك، ملتفتًا إلى كيم التي وقفت في المدخل:

– "هل يمكنني أن أسألك شيئًا أخيرًا؟"

– "نعم، بالطبع."

– "الأمر يتعلق بذلك المنزل الصيفي في الحديقة، بجانب بركة السمك. تساءلت لماذا يوجد عليه صليب القديس يوحنا (سانت جون) على الأرضية."

قالت كيم:

– "أوه. مارغو اختارت التصميم. نعم، أخبرتني سينثيا، منذ زمن بعيد. كانت مارغو قد حصلت لتوها على الوظيفة في سانت جون – وبشكل مضحك، هذه المنطقة لها صلة بفرسان الإسبتارية (فرسان القديس يوحنا)، أيضًا –"

قالت روبن:

– "نعم. قرأت عن ذلك، في هامبتون كورت."

– "لذا، اعتقدت أنه سيكون إشارة لطيفة للأمرين... أتعلمان، الآن وقد ذكرتما ذلك، أنا مندهشة لأن أحدًا لم يغيره أبدًا. كل أثر آخر لمارغو قد ذهب من المنزل."

قال سترايك:

– "مكلف، مع ذلك. إزالة ألواح الجرانيت."

قالت كيم، وتلاشت ابتسامتها قليلاً:

– "نعم. أفترض أنه سيكون كذلك."

37

هيدراتٌ برؤوس نبتت، وحيتانٌ تزاحمُ البحرَ بكتفها،
دواماتٌ عظمى، تُجبر كل الأسماك على الفرار،
ذوات الأرجل المضيئة، متدرعةً بحراشف فضية،
وحيوانات "أحادي القرن" الجبارة، بذيول لا تُقاس...
والسمكة المروعة، التي استحقت اسم
الموت...

إدموند سبنسر ملكة الجن

هطل المطر بلا هوادة تقريبًا حتى شهر فبراير. وفي الخامس منه، ضربت أعنف عاصفة حتى الآن الجنوب. فقدت آلاف المنازل الكهرباء، وانهار جزء من الجدار البحري الذي يدعم خط السكك الحديدية بين لندن والجنوب الغربي، واختفت مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية تحت مياه الفيضانات، وتحولت الطرق إلى أنهار، وعرضت نشرات الأخبار المسائية حقولاً تحولت إلى بحار من المياه الرمادية ومنازل غارقة في الوحل حتى الخصر. وعد رئيس الوزراء بمساعدة مالية، وهرعت خدمات الطوارئ لمساعدة العالقين، وعالياً على تلتها فوق سانت ماوس المغمورة بالمياه، حُرمت جوان من زيارة موعودة من سترايك ولوسي، لأنهما لم يتمكنا من الوصول إليها سواء عن طريق البر أو القطار.

صرف سترايك طاقة الشعور بالذنب لعدم توجهه إلى كورنوال قبل أن يجعل الطقس الرحلة مستحيلة، بالعمل لساعات طويلة وتقليل ساعات نومه. بأسلوب ماسوشي (تعذيب للذات)، اختار العمل في نوبات متتالية، ليتمكن باركلي وهاتشينز من أخذ بعض الإجازات المستحقة لهما بسبب رحلاته السابقة لرؤية

جوان. ونتيجة لذلك، كان سترايك، وليس هاتشينز، هو من يجلس في سيارته الـ "بي إم دبليو" تحت المطر الأبدي خارج منزل إلينور دين في ستوك نيوينغتون مساء الأربعاء في الأسبوع التالي، وكان سترايك هو من رأى رجلاً ببدلة رياضية يطرق بابها ويُسمح له بالدخول.

انتظر سترايك طوال الليل لظهور الرجل مرة أخرى. أخيرًا، في السادسة صباحًا، خرج إلى الشارع الذي لا يزال مظلمًا ويده مطبقة على الجزء السفلي من وجهه. سترايك، الذي كان يراقبه عبر نظارات الرؤية الليلية، لمح إلينور دين في روب حمام مبطن مريح، تلوح له مودعة. أسرع الرجل ذو البدلة الرياضية عائدًا إلى سيارته الـ "سيتروين" ويده اليمنى لا تزال تخفي فمه، وانطلق في اتجاه الجنوب.

تتبع سترايك السيارة حتى وصلا إلى شارع "رايزينغ هيل" في بنتونفيل، حيث أوقف هدف سترايك سيارته ودخل مبنى سكنيًا حديثًا من الطوب الأحمر، وكلتا يديه الآن في جيوبه ولا شيء غير عادي بشأن فمه بقدر ما استطاع المحقق أن يرى. انتظر سترايك حتى أصبح الرجل في الداخل بأمان، ودون ملاحظة بأي نافذة أضاءت بعد خمس دقائق، ثم قاد سيارته مبتعدًا، ليوقفها بعد فترة وجيزة في شارع "وايت ليون".

رغم الوقت المبكر، كان الناس يتجهون بالفعل إلى أعمالهم، ومظلاتهم مائلة ضد المطر المنهمر باستمرار. أنزل سترايك نافذة السيارة، لأنه حتى هو، المدخن الشره، لم يكن يستمتع برائحة سيارته بعد ليلة من المراقبة. ثم، ورغم أن لسانه كان يؤلمه من كثرة التدخين، أشعل سيجارة أخرى واتصل بـ سول موريس.

قال موريس:

– "هل كل شيء بخير يا زعيم؟"

قال سترايك، الذي لم يعجبه بشكل خاص مناداة موريس له بـ "الزعيم"، لكنه لم يستطع التفكير في أي طريقة لطلب التوقف عن ذلك دون أن يبدو كأحمق:

– "أريدك أن تغير الأهداف. انسَ أمر المراوغ اليوم؛ لقد تتبعت للتو رجلاً جديدًا قضى الليل في منزل إلينور دين." أعطى موريس العنوان. "إنه في الطابق الثاني، الشقة في أقصى اليسار وأنت تنظر للمبنى. في الأربعينيات، شعر يشوبه

الشيب، وبطن بارزة قليلاً (كرش). انظر ما يمكنك اكتشافه عنه – دردش مع الجيران، اكتشف أين يعمل وابحث قليلاً عبر الإنترنت، انظر ما إذا كان بإمكانك معرفة اهتماماته. لدي حدس بأنه والمدير التنفيذي (SB) يزوران تلك المرأة لنفس السبب."

– "أترى، لهذا أنت القائد الأعلى (head honcho). تتولى الأمر لليلة واحدة وتحل القضية."

تمنى سترايك لو يتوقف موريس عن تملقه هو الآخر. عندما أغلق الخط، جلس يدخن لفترة، بينما كانت الرياح تقرص جلده المكشوف، والمطر يضرب وجهه فيما يشبه وخزات الإبر الجليدية. ثم، بعد التحقق من الوقت للتأكد من أن عمه الذي يستيقظ مبكرًا سيكون مستيقظًا، اتصل بـ تيد.

قال عمه، عبر خط الهاتف الذي يفرقع:

– "أنت بخير يا بني؟"

– "بخير. كيف حالك أنت؟"

– "أوه، أنا بخير. أتناول بعض الإفطار فقط. جوني لا تزال نائمة."

– "كيف حالها؟"

– "لا تغيير. تتماسك."

– "ماذا عن الطعام، هل لديكما ما يكفي؟"

– "نحن بخير من حيث الطعام، لا تقلق بشأن ذلك. ديف بولورث الصغير جاء أمس ومعه ما يكفي لإطعامنا لمدة أسبوع."

سأل سترايك، الذي كان يعلم أن جزءًا كبيرًا من الأرض بين منزل عمته وعمه ومنزل بولورث كان تحت عدة أقدام من الماء:

– "كيف بحق الجحيم وصل إليكما؟"

قال تيد، وبدا مستمتعًا:

– "جدف بقارب لجزء من الطريق. جعل الأمر يبدو وكأنه إحدى مسابقات الرجل الحديدي الخاصة به. كان مغطى بالكامل بالمعاطف الزيتية عندما وصل هنا. حقيبة ظهر كبيرة مليئة بالمشتريات. إنه رجل طيب، ذلك البولورث."

قال سترايك، مغمضًا عينيه للحظة:

– "أجل، هو كذلك."

لم يكن ينبغي أن يكون بولورث هو من يعتني بعمته وعمه. كان يجب أن يكون هو. كان يجب أن يغادر مبكرًا، عالمًا بأن الطقس يبدو سيئًا، لكنه منذ أشهر وهو يوازن بين الذنب تجاه عمته وعمه والذنب الذي يشعر به تجاه العبء الذي يضعه على متعاقديه، وروبن بشكل خاص.

– "تيد، سأكون هناك بمجرد إعادة تشغيل القطارات."

– "أجل، أعرف أنك ستفعل يا بني. لا تقلق علينا. لن آخذك إليها، لأنها تحتاج لراحتها، لكن سأخبرها أنك اتصلت. ستكون مسرورة."

متعبًا، وجائعًا ومتسائلاً أين يمكنه الحصول على بعض الإفطار، كتب سترايك رسالة نصية لديف بولورث، وسيجارته محشورة بين أسنانه، مستخدمًا اللقب الذي أطلقه على بولورث منذ أن تعرض الأخير لعضة سمكة قرش في الثامنة عشرة من عمره.

تيد أخبرني للتو بما فعلته أمس. لن أتمكن أبدًا من رد كل هذا، يا تشام (Chum – وتعني صديق وأيضًا طعم الأسماك). شكرًا لك.

نقر عقب سيجارته خارج السيارة، ورفع النافذة وكان قد أدار المحرك للتو عندما اهتز هاتفه المحمول. متوقعًا رؤية رد من بولورث، يسأله بلا شك متى تحول إلى شخص ناعم أو فتاة كبيرة (لغة بولورث كانت دائمًا أبعد ما تكون عن الصوابية السياسية)، نظر لأسفل إلى الشاشة، مبتسمًا بالفعل توقعًا، وقرأ:

أبي يريد الاتصال بك. متى سيكون وقتًا مناسبًا؟

قرأ سترايك الرسالة مرتين قبل أن يفهم أنها من آل. في البداية، شعر فقط بدهشة فارغة. ثم تصاعد الغضب والاستياء العميق مثل القيء.

قال لهاتفه بصوت عالٍ:

– "اغرب عن وجهي."

انعطف خارجًا من الشارع الجانبي وقاد سيارته مبتعدًا، وفكه مطبق، متسائلاً لماذا يجب أن يلاحقه روكبي الآن، من بين كل الأوقات في حياته، عندما

كان قلقًا للغاية بشأن الأقارب الذين اهتموا به عندما لم يكن هناك أي مجد يُكتسب من الارتباط به. وقت الإصلاح قد ولى؛ الضرر لا يمكن إصلاحه؛ والدم ليس أثخن من الماء اللعين. مستهلكًا بأفكار جوان الهشة، التي لا يشاركها أي ذرة من حمضه النووي، والعالقة في منزلها على التل وسط الفيضانات، تلوى الغضب والذنب بداخله.

بعد دقائق، أدرك أنه يقود عبر كليركينويل. ملاحظًا مقهى مفتوحًا في شارع سانت جون، أوقف سيارته، ثم توجه عبر المطر إلى الدفء والضوء، حيث طلب لنفسه شطيرة بيض وطماطم. مختارًا طاولة بجانب النافذة، جلس مواجهًا للشارع، عينًا بعين مع انعكاسه غير الحليق والمتحجر الوجه في النافذة المرصعة بالمطر.

بصرف النظر عن صداع الكحول، نادرًا ما كان سترايك يصاب بالصداع، لكن شيئًا يشبهه كان قد بدأ يتشكل على الجانب الأيسر من جمجمته. أكل شطيرته، مخبرًا نفسه بحزم أن الطعام يجعله يشعر بتحسن. ثم، بعد طلب كوب ثانٍ من الشاي، أخرج هاتفه المحمول مرة أخرى وكتب ردًا لآل، بهدف مزدوج هو إسكات روكبي مرة واحدة وإلى الأبد، وإخفاء مدى إزعاج إلحاحهما لسلامه عن أخيه غير الشقيق ووالده.

لست مهتمًا. فات الأوان. لا أريد أن أتشاجر معك، لكن خذ هذه الـ «لا» على أنها نهائية.

أرسل الرسالة ثم بحث فورًا عن شيء آخر ليشغل عقله المتعب. المتاجر المقابلة كانت متوهجة باللونين الأحمر والوردي: الرابع عشر من فبراير كان قريبًا جدًا. خطر له الآن أنه لم يسمع من شارلوت منذ أن تجاهل رسالتها في الكريسماس. هل سترسل له رسالة في عيد الحب؟ رغبتها في التواصل بدت وكأنها تُثار بالمناسبات الخاصة والذكريات السنوية.

تلقائيًا، ودون التفكير فيما يفعله، ولكن بنفس الرغبة في الراحة التي دفعته إلى هذا المقهى، أخرج سترايك هاتفه من جيبه مرة أخرى واتصل بروبن، لكن الرقم كان مشغولاً. حاشرًا الهاتف مرة أخرى في جيبه، متوترًا، وقلقًا وتواقًا للعمل، أخبر نفسه أنه يجب أن يستفيد من وجوده في كليركينويل، الآن وقد أصبح هنا.

كان هذا المقهى على مسافة قصيرة سيرًا على الأقدام من عيادة سانت جون القديمة. تساءل كم من هؤلاء المارة عاشوا في المنطقة قبل أربعين عامًا؟ المرأة العجوز المنحنية في معطفها الواقي من المطر مع عربة تسوقها ذات قماش الترتان؟ الرجل ذو السوالف الرمادية الذي يحاول إيقاف سيارة أجرة؟ ربما الرجل السيخي المسن بعمامته، الذي يراسل نصيًا وهو يمشي؟ هل استشار أي منهم مارغو بامبورو؟ هل يمكن لأي منهم تذكر رجل قذر ملتحٍ يدعى شيئًا مثل آبلثورب، جاب هذه الشوارع ذاتها، مصرًا للغرباء على أنه قتل الطبيبة؟

وقعت نظرة سترايك الشاردة على رجل يمشي بمشية متأرجحة غريبة على الجانب الآخر من الطريق. كان شعره الخفيف، بلون الفأر (بني رمادي)، مبللاً بالمطر وملتصقًا برأسه. لم يكن لديه معطف ولا مظلة، لكنه ارتدى سترة رياضية (سويت شيرت) عليها صورة "سونيك القنفذ" (Sonic the Hedgehog) في المقدمة. غياب المعطف، المشية المتثاقلة قليلاً، النظرة الواسعة الطفولية، الفم المفتوح قليلاً، القبول الرواقي بالتبلل ببطء حتى الجلد: كل ذلك أوحى بنوع من الإعاقة الإدراكية. مر الرجل خارج مجال رؤية سترايك بينما رن هاتف المحقق.

قالت روبن:

– "مرحبًا. هل اتصلت بي للتو؟"

شعر سترايك بتخفيف معين للتوتر، وقرر أن الشاي كان يهدئ رأسه بالتأكيد.

– "فعلت، نعم. فقط من أجل تحديث."

أخبرها قصة الرجل ذي البدلة الرياضية الذي زار إلينور دين طوال الليل.

– "وكان يغطي فمه عندما غادر؟ هذا غريب."

– "أعرف. هناك بالتأكيد شيء غريب يحدث في ذلك المنزل. طلبت من موريس التنقيب قليلاً عن الرجل الجديد."

– "بنتونفيل بجوار كليركينويل مباشرة."

– "وهو المكان الذي أنا فيه الآن. مقهى في شارع سانت جون. أعتد – أعتقد،" غلب التثاؤب سترايك، "آسف – أعتقد، بما أنني في المنطقة، قد أقوم

ببحث آخر حول الراحل آبلثورب. أحاول العثور على شخص يتذكر العائلة، أو يعرف ما قد حدث لهم."

– "كيف ستفعل ذلك؟"

– "أمشي في المنطقة،" قال سترايك، وأصبح واعيًا بألم ركبته حتى وهو يقول ذلك، "أسأل في أي متاجر تبدو قديمة التأسيس. أعـ – أعرف،" تثاءب مرة أخرى، "إنه احتمال بعيد، لكن ليس لدينا أي شخص آخر يدعي أنه قتل مارغو."

– "ألست منهكًا؟"

– "كنت في حال أسوأ. أين أنتِ الآَن؟"

– "في المكتب، ولدي القليل من أخبار بامبورو، إذا كان لديك وقت."

قال سترايك، سعيدًا بتأجيل اللحظة التي يضطر فيها للعودة إلى المطر:

– "هاتي ما عندك."

– "حسنًا، أولاً، تلقيت بريدًا إلكترونيًا من زوج غلوريا كونتي. تعرف، موظفة الاستقبال التي كانت آخر من رأى مارغو؟ إنه قصير. «عزيزي السيد إيلاكوت –»"

– "هل يصفك بالسيد؟"

– "اسم «روبن» غالبًا ما يربك الناس. «أكتب نيابة عن زوجتي، التي تأثرت (afflicted - تعبير ركيك لغير الناطقين بالإنجليزية) كثيرًا باتصالاتكم. ليس لديها إثباتات أو معلومات تخص مارغو بامبورو ومن غير المناسب أن تتصلوا بها في مكتبي. عائلتنا خاصة وترغب في البقاء كذلك. أود تأكيداتكم بأنكم لن تتصلوا بزوجتي مرة أخرى. المخلص، هوغو جوبير»."

وافق سترايك، وهو يحك ذقنه غير الحليقة:

– "مثير للاهتمام. لماذا لا ترد غلوريا بنفسها عبر البريد الإلكتروني؟ متأثرة (afflicted) جدًا؟"

– "أتساءل لماذا هي متأث... منزعجة جدًا، أعني؟ ربما،" قالت روبن، مجيبة على سؤالها الخاص، "لأنني اتصلت بها عبر مكتب زوجها؟ لكنني حاولت عبر فيسبوك ولم تجب."

– "أتعلمين، أعتقد أنه قد يكون من المفيد جعل آنا تتصل بغلوريا. ابنة مارغو قد تستميل قلبها أفضل منا. لماذا لا تصوغين طلبًا آخر وترسلينه إلى آنا، لترَ ما إذا كانت مرتاحة للسماح لكِ بوضع اسمها عليه؟"

قالت روبن، وسمعها تخربش ملاحظة:

– "تفكير جيد. على أية حال، في أخبار أفضل، عندما اتصلت بي للتو، كنت أتحدث إلى الابنة الثانية لويلما بايليس، مايا. إنها نائبة مديرة مدرسة. أعتقد أنني قريبة من إقناعها بالتحدث إلينا. إنها قلقة بشأن رد فعل أختها الكبرى، لكنني متفائلة."

– "عظيم. أود سماع المزيد عن ويلما."

– "وهناك شيء آخر. فقط، قد تعتقد أن هذا احتمال بعيد بعض الشيء."

قال سترايك:

– "لقد أخبرتك للتو أنني على وشك الذهاب من باب لباب للسؤال عن مجنون ميت اسمه بالتأكيد لم يكن آبلثورب." فضحكت روبن.

– "حسنًا، إذن، كنت على الإنترنت الليلة الماضية، ألقي نظرة أخرى بحثًا عن ستيف دوثويت، ووجدت موقع «ذكريات بوتلينز» القديم هذا، حيث يدردش موظفو الترفيه (Redcoats) السابقون مع بعضهم البعض ويسترجعون الذكريات وينظمون لم شمل وما شابه – تعرف النوع. على أية حال، لم أتمكن من العثور على أي ذكر لدوثويت، أو جاكس، كما كان يسمي نفسه في كلاكتون أون سي، لكنني وجدت – أعرف أنه ربما غير ذي صلة تمامًا، ولا أعرف ما إذا كنت تذكر، لكن فتاة تدعى جولي ويلكس تم الاقتباس منها في كتاب *ماذا حدث لمارغو بامبورو؟*. قالت إنها صُدمت لأن ستيفي جاكس لم يخبر أصدقاءه بأنه تورط في قضية امرأة مفقودة."

– "أجل، أتذكر."

– "حسنًا... تلك الفتاة غرقت. غرقت في مخيم العطلات في نهاية موسم عطلات 1985. عُثر على جثتها ذات صباح في حمام سباحة المخيم. كانت

مجموعة منهم تناقش وفاتها على لوحات الرسائل في الموقع. يعتقدون أنها سكرت، وانزلقت، وضربت رأسها وسقطت في المسبح.

"ربما هو حظ سيئ فظيع، لكن النساء لديهن عادة الموت في محيط دوثويت، أليس كذلك؟ صديقته المتزوجة تقتل نفسها، طبيبته تختفي، ثم هناك زميلة العمل هذه التي تغرق... أينما يذهب، يتبعه الموت غير الطبيعي... الأمر غريب فقط."

قال سترايك، عابساً وهو ينظر إلى المطر:

– "أجل، إنه كذلك." كان على وشك التساؤل بصوت عالٍ أين أخفى دوثويت نفسه، عندما قالت روبن في عجلة طفيفة:

– "اسمع، هناك شيء آخر أردت أن أسألك إياه، لكن لا بأس تمامًا إذا كان الجواب لا. رفيق سكني ماكس – أنت تعلم أنه ممثل؟ حسنًا، لقد حصل للتو على دور في عمل تلفزيوني كجندي سابق ولا يعرف أي شخص آخر ليسأله. تساءل عما إذا كنت ستأتي لتناول العشاء ليتمكن من طرح بعض الأسئلة عليك."

قال سترايك، متفاجئًا لكن ليس مستاءً:

– "أوه. ... أجل، حسنًا. متى؟"

– "أعرف أن الإشعار قصير، لكن هل يناسبك غدًا؟ إنه يحتاج لذلك قريبًا جدًا."

– "أجل، ذلك سيكون جيدًا." كان يبقي نفسه مستعدًا للسفر إلى سانت ماوس بمجرد أن يصبح ذلك عمليًا، لكن الجدار البحري بدا من غير المرجح أن يتم إصلاحه بحلول اليوم التالي.

عندما أغلقت روبن الخط، طلب سترايك كوبًا ثالثًا من الشاي. كان يماطل، وهو يعرف السبب. إذا كان حقًا سيبحث في أرجاء كليركينويل عن أي شخص يتذكر الرجل الميت الذي ادعى أنه قتل مارغو بامبورو، فسيكون من المفيد أن يعرف الاسم الحقيقي للرجل، وبما أن جانيس بيتي كانت لا تزال في دبي، كان ملاذه الوحيد هو إيرين هيكسون.

كان المطر غزيرًا كما كان دائمًا. دقيقة بدقيقة، أجل الاتصال بإيرين، مراقبًا حركة المرور تتحرك عبر ستائر المطر المتموجة، والمشاة يتنقلون في الشارع المليء بالحفر المائية، ومفكرًا في وفاة "الريد كوت" الشابة منذ زمن بعيد، التي انزلقت، وضربت رأسها وغرقت في حمام سباحة.

الماء في كل مكان، كتب بيل تالبوت في دفتر ملاحظاته الفلكي. كلف سترايك بعض الجهد لفك شيفرة ذلك المقطع بالذات. استنتج أن تالبوت كان يشير إلى مجموعة من الأبراج المائية المرتبطة بوضوح بوفاة "العقرب" المجهول.

لماذا، سأل سترايك نفسه الآن، وهو يرتشف شايه، *العقرب برج مائي؟ العقارب تعيش على اليابسة، في الحر؛ هل تستطيع السباحة أصلاً؟* تذكر علامة السمكة الكبيرة التي استخدمها تالبوت في دفتر الملاحظات لإيرين، والتي وصفها في وقت ما بأنها "قيطس". ملتقطًا هاتفه المحمول، بحث سترايك عن الكلمة في غوغل.

كوكبة قيطس، قرأ، المعروفة أيضًا باسم الحوت، سميت تيمنًا بوحش بحري قتله بيرسيوس عند إنقاذ أندروميدا من إله البحر بوسيدون. كانت تقع في منطقة من السماء تعرف بـ "البحر"، لوجود العديد من الكوكبات الأخرى المرتبطة بالمياه هناك، بما في ذلك الحوت (Pisces)، والدلو حامل الماء، والجدي، الماعز ذو ذيل السمكة.

الماء في كل مكان.

بدأت الملاحظات الفلكية تتشابك حول عمليات تفكيره، مثل شبكة قديمة عالقة في مروحة محرك. مزيج خبيث من المنطق والهراء، عكست، في رأي سترايك، جاذبية التنجيم نفسه، بوعوده المغرية والمريحة بأن اهتماماتك التافهة موضع اهتمام الكون الواسع، وأن النجوم أو عالم الأرواح سيرشدك حيث لا يستطيع عملك الشاق وعقلك القيام بذلك.

كفى، أخبر نفسه بحزم. ضاغطًا رقم إيرين على هاتفه المحمول، انتظر، مستمعًا لرنين هاتفها ومتخيلاً إياه بجانب وعاء الزهور المجففة، في الردهة

المفرطة الزخرفة، بورق الحائط الوردي المزهر والسجاد الوردي السميك. في النقطة التي قرر فيها بالضبط، بمزيج من الارتياح والندم، أنها ليست في المنزل، أجابت.

غردت قائلة:

– "أربعة أربعة خمسة تسعة." جاعلة منها نوعًا من النغمة. جوان، أيضًا، كانت تجيب دائمًا على خطها الأرضي بإخبار المتصل بالرقم الذي طلبه للتو.

– "هل هذه السيدة هيكسون؟"

– "معك."

– "أنا كورموران سترايك، الـ –"

صرخت، وبدا عليها الذهول:

– "أوه، مرحبًا!"

قال سترايك، مخرجًا مفكرته وفاتحًا إياها:

– "تساءلت عما إذا كان بإمكانك مساعدتي. عندما التقينا آخر مرة، ذكرتِ مريضًا في عيادة سانت جون اعتقدتِ أنه قد يكون اسمه آبتون أو آبلثورب –"

– "أوه، نعم؟"

– "– الذي ادعى أنه –"

قاطعته:

– "– قتل مارغو، نعم. أوقف دوروثي في وضح النهار –"

– "نعم –"

– "– لكنها ظنت أنه كومة من الهراء. قلت لها: «ماذا لو فعلها حقًا يا دوروثي –؟»"

قال سترايك بصوت عالٍ:

– "لم أتمكن من العثور على أي شخص بذلك الاسم عاش في المنطقة عام 1974، لذا تساءلت عما إذا كنتِ قد أخطأتِ في تذكر اسـ –"

– "ربما، نعم، ربما فعلت. حسنًا، مر وقت طويل، أليس كذلك؟ هل جربت استعلامات الدليل؟ ليس استعلامات الدليل،" صححت نفسها فورًا. "سجلات الإنترنت والأشياء."

قال سترايك، متمكنًا بالكاد من إبقاء نبرته خالية من السخط أو السخرية:

– "من الصعب إجراء بحث بالاسم الخاطئ. أنا بجوار طريق كليركينويل في الوقت الحالي. أعتقد أنك قلتِ إنه عاش هناك؟"

– "حسنًا، كان يتسكع دائمًا هناك، لذا افترضت ذلك."

– "كان مسجلاً في عيادتكم، أليس كذلك؟ هل تتذكرين اسمه الأو –؟"

– "اممم، دعني أفكر... كان شيئًا مثل... غيلبرت، أو – لا، لا أستطيع التذكر، للأسف. آبلثورب؟ آبلتون؟ آبتون؟ الجميع عرفه محليًا بالنظر لأنه كان يبدو غريبًا جدًا: لحية طويلة، قذر، إلخ إلخ إلخ. وأحيانًا كان طفله معه،" قالت إيرين، وبدأت تسترسل، "طفل غريب المظهر حقًا –"

– "نعم، قلتِ –"

– "– بأذنين ضخمتين. قد لا يزال حيًا، الابن، لكنه على الأرجح... كما تعلم..."

انتظر سترايك، لكن يبدو أنه كان من المفترض أن يستنتج نهاية الجملة من صمت إيرين.

حفزها:

– "على الأرجح –؟"

– "أوه، كما تعلم. في مكان (مؤسسة)."

– "في –؟"

– "دار رعاية أو شيء من هذا القبيل!" قالت، بنفاد صبر قليل، وكأن سترايك هو الغبي. "لم يكن ليكون طبيعيًا أبدًا، أليس كذلك؟ – مع أب مدمن وأم متخلفة، لا أهتم بما تقوله جان. جان ليس لديها نفس الـ... حسنًا، ليس خطأها – عائلتها كانت – معايير مختلفة. وهي تحب أن تبدو – أمام الغرباء – حسنًا، كلنا نفعل – لكن في النهاية، أنت تسعى للحقيقة، أليس كذلك؟"

لاحظ سترايك إبرة الخبث الدقيقة الموجهة لصديقتها، تلمع بين العبارات المفككة.

سألت إيرين، قافزة للموضوع التالي:

– "هل وجدت داكوورث؟"

– "دوثويت؟"

– "أوه، ما خطبي، أستمر في فعل ذلك، هاهاها." مهما كانت قلة سعادتها بسماع صوته، كان على الأقل شخصًا تتحدث إليه. "أود أن أعرف ما حدث له، حقًا أود، كان شخصية مريبة إن وجد مثلها قط. جان قللت من شأن الأمر معك، لكنها أصيبت بخيبة أمل قليلاً عندما اتضح أنه مثلي، كما تعلم. كانت تميل إليه. حسنًا، كانت وحيدة جدًا عندما عرفتها لأول مرة. اعتدنا محاولة تدبير مواعيد لها، إدي وأنا –"

– "نعم، قلتِ –"

– "– لكن الرجال لم يريدوا تحمل طفل وجان كانت قليلاً، كما تعلم، عندما تكون المرأة وحيدة، لا أعني يائسة، لكن متشبثة – لاري لم يمانع، لكن لاري لم يكن بالضبط –"

– "كان لدي شيء آخر أردت سؤاله –"

– "– إلا أنه لم يتزوجها، هو الآخر. مر بطلاق سيئ –"

– "الأمر يتعلق بليمنغتون سبا –"

– "لابد أنك تحققت من بوغنور ريجيس؟"

قال سترايك:

– "عذرًا؟"

– "بخصوص دوثويت؟ لأنه ذهب إلى بوغنور ريجيس، أليس كذلك؟ إلى مخيم عطلات؟"

– "كلاكتون أون سي. ما لم يكن قد ذهب إلى بوغنور ريجيس أيضًا؟"

– "أيضًا ماذا؟"

يا يسوع المسيح اللعين.

سأل سترايك، ببطء ووضوح، وهو يفرك جبهته:

– "ما الذي يجعلك تعتقدين أن دوثويت كان أبدًا في بوغنور ريجيس؟"

– "ظننت – ألم يكن هناك، في وقت ما؟"

– "ليس على حد علمي، لكننا نعلم أنه عمل في كلاكتون أون سي في منتصف الثمانينيات."

– "أوه، لابد أنه كان ذلك – نعم، شخص ما لابد أخبرني بذلك، كلها – أماكن ساحلية من الطراز القديم – كما تعلم."

تذكر سترايك أنه سأل كلاً من إيرين وجانيس عما إذا كانت لديهما أي فكرة إلى أين ذهب دوثويت بعد أن غادر كليركينويل، وأن كلتيهما قالت لا تعرف.

سأل:

– "كيف عرفتِ أنه ذهب للعمل في كلاكتون أون سي؟"

قالت إيرين، بعد توقف قصير جدًا:

– "جان أخبرتني. نعم، جان لابد أخبرتني. كانت جارته، كما تعلم، هي من عرفته. نعم، أعتقد أنها حاولت معرفة أين ذهب بعد مغادرته طريق بيرسيفال، لأنها كانت قلقة عليه."

– "لكن هذا كان بعد أحد عشر عامًا."

– "ماذا كان؟"

قال سترايك:

– "لم يذهب إلى كلاكتون أون سي إلا بعد أحد عشر عامًا من مغادرته طريق بيرسيفال. عندما سألتكما عما إذا كنتما تعرفان أين ذهب –"

قالت إيرين:

– "حسنًا، كنت تعني الآن، أليس كذلك؟ أين هو الآن؟ لا فكرة لدي. هل بحثت في موضوع ليمنغتون سبا، بالمناسبة؟" ثم ضحكت، وقالت: "كل هذه الأماكن الساحلية! لا، انتظر – ليست ساحلية، أليس كذلك، ليمنغتون سبا؟ لكنك تعرف ما أعنيه – ماء – أنا أحب الماء، إنه – غرينتش، عرف إدي أنني سأحب هذا المنزل عندما رصده للبيع – هل كان هناك أي شيء في موضوع ليمنغتون سبا، أم كانت جان تختلقه؟"

– "السيدة بيتي لم تكن تختلقه. السيد راماج رأى بالتأكيد مفقودة –"

قالت إيرين، مناقضة نفسها فورًا:

– "أوه، لم أقصُد أن جان ستختلقه، لا، لا أقصد ذلك. أعني فقط، كما تعلم، مكان غريب لتظهر فيه مارغو، ليمنغتون – هل وجدت أي صلة،" سألت بلا مبالاة، "أم –؟"

– "ليس بعد. لم تتذكري أي شيء عن مارغو وليمنغتون سبا، أليس كذلك؟"

– "أنا؟ يا إلهي، لا، كيف لي أن أعرف لماذا تذهب هناك؟"

– "حسنًا، أحيانًا يتذكر الناس أشياء بعد أن نتحدث إلـ –"

– "هل تحدثت إلى جان منذ ذلك الحين؟"

– "لا. هل تعرفين متى تعود من دبي؟"

– "لا. جيد للبعض، أليس كذلك؟ لن أمانع بعض أشعة الشمس، الشتاء الذي نحن فيه – لكنه ضائع على جان، هي لا تأخذ حمامات شمسية، ولا أود تخيل الرحلة طوال الطريق في الدرجة الاقتصادية، وهو ما تضطر إليه – أتساءل كيف تسير أمورها، ستة أسابيع مع زوجة ابنها! لا يهم مدى التفاهم، تلك فترة طويـ –"

– "حسنًا، من الأفضل أن أتركَكِ تتابعين شؤونك يا سيدة هيكسون."

قالت:

– "أوه، حسنًا. نعم، حسنًا. حظًا سعيدًا في كل شيء."

قال: "شكرًا"، وأغلق الخط.

طقطق المطر على النافذة. بتنهيدة، انسحب سترايك إلى حمام المقهى لقضاء حاجة طال انتظارها.

كان يدفع فاتورته للتو عندما رصد الرجل بسترة "سونيك القنفذ" يمشي مارًا بالنافذة، الآن على نفس جانب الشارع الذي يقع فيه المقهى. كان يتجه عائدًا من الطريق الذي جاء منه، وحقيبتان منتفختان من مشتريات تيسكو تتدليان من يديه، يتحرك بتلك المشية الغريبة نفسها، المتأرجحة من جانب لآخر، وشعره المبلل ملتصق بجمجمته، وفمه مفتوح قليلاً. تبعته عينا سترايك وهو يمر، مراقبًا المطر يقطر من أسفل حقائب تسوقه ومن شحمتي أذنيه الكبيرتين بشكل خاص.

38

طويلاً احتجزها هناك ــ في كوخٍ سري،
أسيرةً لرغباته ونزواته الحسية؛
حتى انتفخ بطنها بثمرته ــ في حينها،
وأنجبت ولدًا لذلك الأب المتوحش...

إدموند سبنسر ملكة الجن

متسائلاً عما إذا كان من الممكن أن يكون محظوظًا بالقدر الذي يأمله، ألقى سترايك بقشيشًا على الطاولة وهرع للخارج إلى المطر المنهمر، مرتديًا معطفه وهو يركض.

إذا كان هذا الشخص البالغ المصاب بإعاقة عقلية، والذي يرتدي سترة "سونيك" المبللة تمامًا، هو بالفعل الطفل ذو الأذنين الكبيرتين الذي سار به والده غريب الأطوار في هذه الشوارع ذات يوم، فلابد أنه كان يعيش في هذا الركن من كليركينويل لمدة أربعين عامًا. *حسنًا، الناس يفعلون ذلك بالطبع*، فكر سترايك، *خاصة إذا كان لديهم دعم هناك وإذا كان عالمهم كله عبارة عن بضعة شوارع مألوفة*. كان الرجل لا يزال في مرمى البصر، متجهًا بجمود نحو طريق كليركينويل تحت وابل المطر، لا يسرع من خطواته، ولا يبذل أي محاولة لمنع نفسه من التبلل تدريجيًا. رفع سترايك ياقة معطفه وتبعه.

على مسافة قصيرة أسفل شارع سانت جون، انعطف هدف سترايك يمينًا مارًا بمتجر خردوات صغير في الزاوية، واتجه إلى طريق "ألبيمارل"، الشارع القصير

الذي يوجد في نهايته كشك هاتف أحمر قديم، وتحيط به مبانٍ شاهقة متصلة على الجانبين. اشتد اهتمام سترايك.

بعد متجر الخردوات مباشرة، وضع الرجل حقيبتي التسوق على الرصيف المبلل وأخرج مفتاح الباب. استمر سترايك في المشي، لأنه لم يكن هناك مكان للاختباء، لكنه دون رقم الباب وهو يمر. *هل يعقل أن المدعو آبلثورب الراحل كان يعيش في هذه الشقة بالذات؟ ألم يفكر سترايك أن طريق ألبيمارل يمثل مكانًا واعدًا للكمون لضحية؟* ربما ليس بجودة زقاق "باسينغ"، ولا بملاءمة الشقق على طول ممر "القدس"، لكنه أفضل بكثير من "كليركينويل غرين" المزدحم، حيث كان تالبوت مقتنعًا بأن مارغو تصارعت مع دينيس كريد المتنكر.

سمع سترايك الباب الأمامي يغلق خلف الرجل ذي الأذنين الكبيرتين فعاد أدراجه. الباب الأزرق الداكن كان بحاجة لطلاء. بجانبه جرس صغير يعمل بالضغط، وأسفله أُلصق الاسم المطبوع "آثورن".

هل يمكن أن يكون هذا هو الاسم الذي تذكرته إيرين بشكل خاطئ كآبلثورب، أو آبلتون أو آبتون؟ ثم لاحظ سترايك أن الرجل قد ترك المفتاح في القفل.

بشعور بأنه ربما كان مستخفًا للغاية بالطرق الغامضة للكون، سحب سترايك المفتاح وضغط جرس الباب، الذي رن بصوت عالٍ في الداخل. للحظة أو اثنتين، لم يحدث شيء، ثم فتح الباب مرة أخرى ووقف هناك الرجل ذو سترة سونيك المبللة.

قال سترايك وهو يمد المفتاح:

– "لقد تركت هذا في القفل."

خاطب الرجل الزر الثالث في معطف سترايك بدلاً من النظر في عينيه.

تمتم وهو يمد يده للمفتاح الذي أعطاه إياه سترايك:

– "فعلت ذلك من قبل وقالت كلير ألا أفعله مرة أخرى."

بدأ الرجل في إغلاق الباب.

قال سترايك، دون أن يضع قدمه تمامًا في الباب، لكن مستعدًا لفعل ذلك إذا لزم الأمر:

– "اسمي كورموران سترايك. أتساءل عما إذا كان بإمكاني الدخول والتحدث إليك عن والدك؟"

برز وجه الآخر ذو الأذنين الكبيرتين، شاحبًا، مقابل الردهة المظلمة.

– "أبي-غويليم مات."

– "نعم، أعلم."

– "كان يحملني على كتفيه."

– "أكان يفعل؟"

– "أجل. أمي أخبرتني."

– "هل تعيش وحدك؟"

– "أعيش مع أمي."

– "هل اسمها كلير؟"

– "لا. ديبورا."

قال سترايك، مخرجًا بطاقة من جيبه:

– "أنا محقق. اسمي كورموران سترايك وأود حقًا التحدث إلى والدتك، إذا كان ذلك مناسبًا."

لم يأخذ الرجل البطاقة، لكنه نظر إليها بطرف عينه. شك سترايك في أنه لا يجيد القراءة.

سأل سترايك، والمطر البارد لا يزال يهطل:

– "هل سيكون ذلك مقبولاً؟"

قال الآخر، ولا يزال يخاطب زر معطف سترايك:

– "آه، حسنًا. يمكنك الدخول."

وفتح الباب بالكامل ليسمح للمحقق بالدخول. ودون انتظار ليرى ما إذا كان سترايك يتبعه، اتجه صاعدًا الدرج المظلم بالداخل.

شعر سترايك ببعض الوخزات لاستغلاله نقاط ضعف رجل مثل آثورن، لكن احتمال النظر حول ما يشك الآن بقوة في أنها الشقة التي عاش فيها قاتل مارغو بامبورو المزعوم في عام 1974 كان لا يقاوم. بعد مسح قدميه بعناية على ممسحة

الأرجل، أغلق سترايك الباب خلفه، ملاحظًا وهو يفعل ذلك رسالتين ملقاتين على الأرض، داس عليهما ابن المنزل ببساطة؛ إحداهما كانت تحمل أثر قدم مبللة. التقط سترايك الرسالتين، ثم صعد الدرج الخشبي العاري، الذي كان يعلوه مصباح عارٍ ومعطل.

بينما كان يصعد، سمح سترايك لنفسه بتخيل شقة لم يدخلها أحد غير سكانها لمدة أربعين عامًا، بخزائن وغرف مقفلة، أو حتى – وقد عُرف أن ذلك يحدث – هيكل عظمي ملقى على مرأى من الجميع. لجزء من الثانية، وهو يخطو إلى البسطة، ارتفعت آماله: الفرن في المطبخ الصغير أمامه مباشرة بدا وكأنه يعود للسبعينيات، وكذلك بلاط الجدران البني، لكن لسوء الحظ، من وجهة نظر المحقق، بدت الشقة مرتبة وتفوح منها رائحة منعشة ونظيفة. كانت هناك حتى علامات مكنسة كهربائية حديثة على السجاد القديم، المزخرف بدوامات برتقالية وبنية. أكياس "تيسكو" جلست تنتظر تفريغها على مشمع (لينوليوم) كان متهالكًا، لكنه مغسول حديثًا.

إلى يمين سترايك كان هناك باب مفتوح على غرفة جلوس صغيرة. كان الرجل الذي تبعه يقف هناك، يواجه امرأة أكبر سنًا بكثير، كانت تجلس تحيك (كروشيه) في كرسي بذراعين بجانب النافذة. بدت، كما هو متوقع، مصدومة لرؤية غريب ضخم يقف في ردهة منزلها.

أعلن الرجل:

– "إنه يريد التحدث إليكِ."

نادى سترايك من البسطة:

– "فقط إذا كنتِ مرتاحة لذلك يا سيدة آثورن."

تمنى لو كانت روبن معه. كانت بارعة بشكل خاص في جعل النساء المتوترات يشعرن بالراحة. تذكر أن جانيس قالت إن هذه المرأة تعاني من رهاب الأماكن المكشوفة (أغورافوبيا).

– "اسمي كورموران سترايك وأردت طرح بضعة أسئلة عن زوجك. لكن إذا لم تكوني سعيدة، بالطبع، سأغادر فورًا."

قال الرجل بصوت عالٍ:

– "أنا بردان."

نصحته والدته:

– "غير ملابسك. لقد ابتللت. لماذا لم ترتدِ معطفك؟"

قال:

– "ضيق جدًا، أيتها المرأة السخيفة."

استدار وخرج من الغرفة مارًا بسترايك، الذي تراجع للسماح له بالمرور.

اختفى ابن غويليم في غرفة مقابلة، ظهر على بابها اسم "سامهاين" بأحرف خشبية ملونة.

لم تبدُ والدة سامهاين مستمتعة بالتواصل البصري أكثر من ابنها. أخيرًا، مخاطبة ركبتي سترايك، قالت:

– "حسنًا. تفضل بالدخول إذن."

– "شكرًا جزيلاً."

غرد طائرا بادجي، أحدهما أزرق والآخر أخضر، في قفص في زاوية غرفة الجلوس. كانت والدة سامهاين تحيك بطانية من قطع مربعة (باتشوورك). كانت هناك كومة من المربعات الصوفية المكتملة مكدسة على حافة النافذة العريضة بجانبها وسلة من الصوف عند قدميها. كانت حصيرة أحجية تركيب (بازل) ضخمة مفرودة على مسند قدمين كبير أمام الأريكة. كانت تحمل أحجية لخيول وحيدة القرن (يونيكورن) مكتملة بنسبة الثلثين. فيما يتعلق بالترتيب، كانت غرفة الجلوس تتفوق كثيرًا على غرفة غريغوري تالبوت.

قال سترايك، وهو يرفع المظاريف المبللة ليريها إياها:

– "لديك بعض الرسائل."

قالت:

– "افتحها أنت."

– "لا أعتقد –"

كررت:

– "افتحها أنت."

كانت لديها نفس الأذنين الكبيرتين لسامهاين ونفس البروز الطفيف في الفك السفلي. ورغم هذه العيوب، كان هناك جمال في وجهها الناعم وعينيها الداكنتين. شعرها الطويل، المجدل بعناية، كان أبيض. لابد أنها في الستين على الأقل، لكن بشرتها الملساء كانت لامرأة أصغر سنًا بكثير. كانت هناك هالة غريبة من عالم آخر تحيط بها وهي تجلس، تعمل بإبرة الكروشيه بجانب النافذة الممطرة، معزولة عن العالم. تساءل سترايك عما إذا كانت تستطيع القراءة. شعر بالأمان لفتح المظاريف التي كانت بوضوح بريدًا دعائيًا، وفعل ذلك.

قال وهو يريها:

– "أُرسل لكِ كتالوج بذور، ورسالة من متجر أثاث."

قالت المرأة بجانب النافذة، ولا تزال تتحدث إلى ساقي سترايك:

– "لا أريدها. يمكنك الجلوس."

انسل بحذر بين الأريكة ومسند القدمين الذي، مثل سترايك نفسه، كان كبيرًا جدًا بالنسبة لهذه الغرفة الصغيرة. بعد تجنب دفع الأحجية الضخمة بنجاح، جلس على مسافة محترمة من المرأة التي تحيك.

قال سترايك، مشيرًا إلى الرسالة الأخيرة:

– "هذه الرسالة لـ كلير سبنسر. هل تعرفينها؟"

لم يكن على الرسالة طابع بريد. وبالحكم من العنوان على الظهر، كانت الرسالة من بائع الخردوات في الطابق السفلي.

قالت:

– "كلير هي أخصائيتنا الاجتماعية. يمكنك فتح الرسالة."

– "لا أعتقد أنه ينبغي علي فعل ذلك. سأتركها لكلير. أنتِ ديبورا، أليس كذلك؟"

تمتمت:

– "نعم."

ظهر سامهاين مرة أخرى عند الباب. كان حافي القدمين الآن لكنه يرتدي جينزًا جافًا وسترة جديدة عليها "سبايدر مان" في المقدمة.

أعلن:

– "سأضع الأشياء في الثلاجة." واختفى مرة أخرى.

قالت ديبورا، بنظرة سريعة إلى حذاء سترايك:

– "سامهاين يقوم بالتسوق الآن."

رغم خجلها، لم تبدُ كارهة للحديث معه.

قال سترايك:

– "ديبورا، أنا هنا لأسألك عن غويليم."

– "إنه ليس هنا."

– "لا، أنا –"

– "لقد مات."

– "نعم، أنا آسف. أنا هنا حقًا بسبب طبيب كان يعمل –"

قالت فورًا:

– "الدكتور برينر."

قال سترايك متفاجئًا:

– "أنتِ تتذكرين الدكتور برينر؟"

– "لم أكن أحبه."

– "حسنًا، أردت أن أسألك عن طبيب مخ..."

ظهر سامهاين مرة أخرى عند باب غرفة الجلوس وقال بصوت عالٍ لأمه:

– "هل تريدين شوكولاتة ساخنة، أم لا؟"

قالت:

– "نعم."

سأل سامهاين سترايك بطلب:

– "هل تريد شوكولاتة ساخنة، أم لا؟"

قال سترايك، بناءً على مبدأ أن جميع المبادرات الودية يجب قبولها في مثل هذه المواقف:

– "نعم من فضلك."

تثاقل سامهاين خارجًا عن الأنظار. متوقفة عن الحياكة، أشارت ديبورا إلى شيء أمامها مباشرة وقالت:

– "هذا غويليم، هناك."

نظر سترايك حوله. كان هناك "عنخ" (مفتاح الحياة) مصري، رمز الحياة الأبدية، مرسومًا على الحائط خلف التلفزيون القديم. كانت الجدران صفراء باهتة في كل مكان باستثناء خلف العنخ، حيث بقيت رقعة من اللون الأخضر القذر. أمام العنخ، فوق جهاز التلفزيون ذي السطح المستوي، كان هناك جسم أسود اعتقد سترايك للوهلة الأولى أنه مزهرية. ثم لاحظ الحمامة المنمقة عليه، وأدرك أنها جرة رماد وفهم، أخيرًا، ما كان يُقال له.

قال سترايك:

– "آه. هذا رماد غويليم، أليس كذلك؟"

– "أخبرتُ تيدور أن يحضر الجرة التي عليها الطائر، لأنني أحب الطيور."

رفرف أحد طائري البادجي فجأة عبر القفص في غبش من الأخضر والأصفر الزاهيين.

سأل سترايك، مشيرًا إلى العنخ:

– "من رسم ذلك؟"

قالت ديبورا، مستمرة في العمل بإبرة الكروشيه ببراعة:

– "غويليم."

دخل سامهاين الغرفة مرة أخرى، حاملاً صينية من الصفيح.

حذرته أمه:

– "ليس فوق أحجيتي."

لكن لم يكن هناك سطح فارغ آخر.

عرض سترايك، مشيرًا نحو الأحجية:

– "هل يمكنني –؟" لكن لم يكن هناك مساحة في أي مكان على الأرض لاستيعابها.

أخبرته ديبورا، بلمحة من اللوم:

– "أغلقها أنت."

رأى سترايك أن حصيرة الأحجية لها أجنحة، يمكن إغلاقها لحماية الأحجية. فعل ذلك، ووضع سامهاين الصينية في الأعلى. غرست ديبورا إبرة الكروشيه بعناية في كرة الصوف وقبلت كوبًا من الشوكولاتة الساخنة سريعة التحضير وبسكويت "بطريق" من ابنها. احتفظ سامهاين بكوب "باتمان" لنفسه. رشف سترايك مشروبه وقال: "جيد جدًا"، ولم يكن ذلك كذبًا تمامًا.

قال سامهاين وهو يفك تغليف بسكويتة:

– "أنا أصنع شوكولاتة ساخنة جيدة، أليس كذلك يا ديبورا؟"

قالت ديبورا، وهي تنفخ على سطح السائل الساخن:

– "نعم."

بدأ سترايك مرة أخرى:

– "أعلم أن هذا كان منذ وقت طويل، لكن كان هناك طبيب آخر، عمل مع الدكتور برينر –"

قال سامهاين آثورن، بقهقهة:

– "جو برينر العجوز كان رجلاً عجوزًا قذرًا."

نظر إليه سترايك بدهشة. وجه سامهاين ابتسامته المتكلفة نحو الأحجية المغلقة.

سأل المحقق:

– "لماذا كان رجلاً عجوزًا قذرًا؟"

قال سامهاين:

– "عمي تيدور أخبرني. رجل عجوز قذر. هاهاهاها. هل هذه لي؟" سأل، ملتقطًا المظروف الموجه لكلير سبنسر.

قالت أمه:

– "لا. هذه لكلير."

– "لماذا هي هنا؟"

قال سترايك:

– "أعتقد أنها من جارك في الطابق السفلي."

قال سامهاين، وهو يضع الرسالة مرة أخرى:

– "إنه وغد. جعلنا نرمي كل شيء، أليس كذلك يا ديبورا؟"

قالت ديبورا باعتدال:

– "يعجبني الوضع أفضل الآَن. إنه جيد الآَن."

سمح سترايك للحظة أو اثنتين بالمرور، في حال كان لدى سامهاين المزيد ليضيفه، ثم سأل:

– "لماذا قال العم تيدور إن جوزيف برينر كان رجلاً عجوزًا قذرًا؟"

قالت ديبورا بهدوء:

– "تيدور كان يعرف كل شيء عن الجميع."

سألها سترايك:

– "من كان تيدور؟"

– "شقيق غويليم. كان يعرف دائمًا عن الناس هنا."

سأل سترايك، شاكًا في الإجابة:

– "هل لا يزال يزوركما؟"

قالت ديبورا، وكأنها كلمة واحدة طويلة:

– "انتقل-إلى-الجانب-الآَخر. اعتاد شراء مشترياتنا. أخذ سامي للعب كرة القدم وللسباحة."

تحدث سامهاين بصوت عالٍ:

– "أنا أقوم بكل التسوق الآَن. أحيانًا لا أريد القيام بالتسوق لكن إذا لم أفعل، أجوع، وتقول ديبورا: «إنه خطؤك أنه لا يوجد شيء للأكل.» لذا أذهب للتسوق حينها."

قال سترايك:

– "حركة جيدة."

شرب الثلاثة شوكولاتتهم الساخنة.

كرر سامهاين بصوت أعلى:

– "رجل عجوز قذر، جو برينر. اعتاد العم تيدور أن يحكي لي بعض القصص. بيتي العجوز والشخص الذي لم يدفع، هاهاهاها. جو برينر العجوز القذر."

قالت ديبورا بهدوء:

– "لم أكن أحبه. أراد مني خلع سروالي الداخلي."

قال سترايك:

– "حقًا؟"

بينما كان هذا بالتأكيد مسألة فحص طبي، شعر بعدم الارتياح.

قالت ديبورا:

– "نعم، لينظر إلي. لم أرد ذلك. غويليم أراد ذلك، لكنني لا أحب أن ينظر إلي رجال لا أعرفهم."

– "لا، حسنًا، أستطيع تفهم ذلك. كنتِ مريضة، أليس كذلك؟"

كان ردها الوحيد:

– "غويليم قال إنه يجب علي ذلك."

لو كان لا يزال في فرع التحقيقات الخاصة، لكانت هناك ضابطة أنثى معه لهذه المقابلة. تساءل سترايك عن مستوى ذكائها.

سأل:

– "هل قابلتِ الدكتورة بامبورو أبدًا؟ كانت،" تردد، "طبيبة سيدة."

قالت ديبورا، بما بدا وكأنه ندم:

– "لم أرَ طبيبة سيدة قط."

– "هل تعرفين ما إذا كان غويليم قد قابل الدكتورة بامبورو قط؟"

قالت ديبورا:

– "لقد ماتت."

قال سترايك متفاجئًا:

– "نعم. الناس يعتقدون أنها ماتت، لكن لا أحد يعرف بالتأكـ –"

أصدر أحد طائري البادجي رنينًا بالجرس الصغير المعلق في أعلى قفصه.

التفت كل من ديبورا وسامهاين، مبتسمين.

سألت ديبورا سامهاين:

– "أيهم كان؟"

قال:

– "بلووي. بلووي أذكى من بيلي بوب."

انتظر سترايك حتى فقدا الاهتمام بطيور البادجي، الأمر الذي استغرق دقيقتين. عندما عاد انتباه كلا الآثورن إلى شوكولاتتهما الساخنة، قال:

– "اختفت الدكتورة بامبورو وأنا أحاول معرفة ما حدث لها. قيل لي إن غويليم تحدث عن الدكتورة بامبورو، بعد اختفائها."

لم تستجب ديبورا. كان من الصعب معرفة ما إذا كانت تستمع، أم تتجاهله عمدًا.

قال سترايك – لم يكن هناك جدوى من عدم قول ذلك؛ كان هذا هو السبب الكامل لوجوده هنا، بعد كل شيء:

– "سمعت أن غويليم أخبر الناس أنه قتلها."

ألقت ديبورا نظرة خاطفة على أذن سترايك اليسرى، ثم عادت إلى شوكولاتتها الساخنة.

قالت بهدوء:

– "أنت مثل تيدور. تعرف ما هو كائن. على الأرجح فعل."

قال سترايك بحذر:

– "تعنين، أنه أخبر الناس عن ذلك؟"

لم تجب.

– "... أم تعتقدين أنه قتل الطبيبة؟"

سأل سامهاين أمه:

– "هل كان أبي-غويليم يمارس السحر عليها؟ أبي-غويليم لم يقتل تلك السيدة. عمي تيدور أخبرني بما حدث حقًا."

سأل سترايك، متحولاً من الأم إلى الابن:

– "ماذا أخبرك عمك؟"

لكن سامهاين كان قد حشر فمه للتو ببسكويت الشوكولاتة، لذا تابعت ديبورا القصة.

– "أيقظني مرة عندما كنت نائمة، وكان الظلام دامسًا. قال: «قتلت سيدة بالخطأ.» قلت: «لقد حلمت حلمًا سيئًا.» قال: «لا، لا، قتلتها، لكنني لم أقصد ذلك»."

– "أيقظك ليخبرك، هاه؟"

– "أيقظني، وكان منزعجًا جدًا."

– "لكنكِ تظنين أنه كان مجرد حلم سيء؟"

– "نعم،" قالت ديبورا، لكن بعد ذلك، بعد لحظة أو اثنتين، قالت: "لكن ربما قتلها، لأنه كان يستطيع القيام بالسحر."

قال سترايك كاذبًا: "فهمت"، وعاد إلى سامهاين.

– "ماذا قال عمك تيدور إنه حدث للطبيبة السيدة؟"

قال سامهاين، مبتسمًا فجأة:

– "لا أستطيع إخبارك بذلك. قال العم تيدور ألا أخبر. أبدًا." لكنه ابتسم ببهجة عفريتية لامتلاكه سرًا. "أبي-غويليم فعل ذلك،" تابع، مشيرًا إلى العنخ على الحائط.

قال سترايك:

– "نعم، أخبرتني أمك."

قالت ديبورا بهدوء، ناظرة إلى العنخ:

– "لا يعجبني. كنت لأحب لو كانت الجدران كلها متشابهة."

قال سامهاين:

– "أنا يعجبني، لأنه مختلف عن الجدران الأخرى... أيتها المرأة السخيفة،" أضاف بشرود.

بدأ سترايك: "هل العم تيدور –" لكن سامهاين، الذي أنهى بسكويتته، نهض الآن وغادر الغرفة، متوقفًا في المدخل ليقول بصوت عالٍ:

– "كلير تقول إنه من اللطيف أنني ما زلت أملك أشياء تخص غويليم!"

اختفى في غرفة نومه وأغلق الباب بحزم خلفه. بشعور أنه رأى للتو عملة ذهبية تتدحرج وتسقط في بالوعة، التفت سترايك مرة أخرى إلى ديبورا.

– "هل تعرفين ما قاله تيدور إنه حدث للطبيبة؟"

هزت رأسها، غير مهتمة. نظر سترايك بأمل مرة أخرى نحو باب غرفة نوم سامهاين. ظل مغلقًا.

سأل ديبورا:

– "هل يمكنك تذكر كيف ظن غويليم أنه قتل الطبيبة؟"

– "قال إن سحره قتلها، ثم أخذها بعيدًا."

– "أخذها بعيدًا، هاه؟"

فُتح باب غرفة نوم سامهاين فجأة مرة أخرى وعاد متثاقلاً إلى الغرفة، حاملاً كتابًا بلا غلاف في يده.

– "ديبورا، هذا هو كتاب سحر أبي-غويليم، أليس كذلك؟"

قالت ديبورا:

– "هذا هو."

كانت قد أنهت شوكولاتتها الساخنة الآن. واضعة الكوب الفارغ جانبًا، التقطت كروشيهها مرة أخرى.

مد سامهاين الكتاب بصمت لسترايك. رغم سقوط الغلاف، كانت صفحة العنوان سليمة: *الماجوس* (The Magus) لـ فرانسيس باريت. كان لدى سترايك انطباع بأن عرض هذا الكتاب عليه كان علامة تقدير، ولذلك تصفحه بتعبير اهتمام عميق، هدفه الرئيسي إبقاء سامهاين سعيدًا وقريبًا لمزيد من الاستجواب.

بعد بضع صفحات من الداخل كانت هناك لطخة بنية. أوقف سترايك شلال الصفحات لفحصها عن كثب. كانت، كما شك، دمًا جافًا، وقد مُسحت عبر بضعة أسطر من الكتابة.

هذا سأقوله أكثر، ألا وهو، أن أولئك الذين يمشون في نومهم، يفعلون ذلك، بلا مرشد آخر سوى روح الدم، أي، روح الإنسان الظاهر، يمشون صعودًا ونزولًا، ويؤدون الأعمال، ويتسلقون الجدران ويديرون أمورًا مستحيلة بخلاف ذلك لأولئك المستيقظين.

قال سامهاين:

– "يمكنك القيام بالسحر، بذلك الكتاب. لكنه كتابي، لأنه كان لأبي-غويليم، لذا فهو لي الآن."

ومد يده قبل أن يتمكن سترايك من فحصه أكثر، غيورًا فجأة على ممتلكاته. عندما أعاده سترايك، ضم سامهاين الكتاب إلى صدره بيد واحدة وانحنى ليأخذ بسكويتة شوكولاتة ثالثة.

قالت ديبورا:

– "لا مزيد، يا سامي."

قال سامهاين بصوت عالٍ:

– "ذهبت في المطر وأحضرتها. يمكنني الحصول على ما أريد. امرأة سخيفة. امرأة غبية."

ركل مسند القدمين، لكنه آلم قدمه الحافية، وهذا زاد من غضبه الطفولي المفاجئ. وجهه وردي ومشاكس، نظر حول الغرفة: شك سترايك في أنه يبحث عن شيء لبعثرته، أو ربما كسره. وقع خياره على طيور البادجي.

هدد أمه، مشيرًا إليه:

– "سأفتح القفص."

ترك *الماجوس* يسقط على الأريكة وهو يتسلق المقعد، مخيمًا فوق سترايك.

قالت ديبورا، منزعجة فورًا:

– "لا، لا تفعل. لا تفعل ذلك يا سامي!"

– "وسأفتح النافذة،" قال سامهاين، محاولاً الآن المشي على طول مقاعد الأريكة، لكن سترايك حاصره. "هاهاها. أيتها المرأة الغبية."

قالت ديبورا خائفة:

– "لا – سامهاين، لا تفعل!"

قال سترايك، ناهضًا ومتحركًا أمامه:

– "أنت لا تريد فتح القفص. لا تريد لطيورك أن تطير بعيدًا. لن تعود."

قال سامهاين:

– "أعرف أنها لن تعود. الطيور الأخيرة لم تعد."

بدا غضبه يهدأ بنفس السرعة التي جاء بها، في مواجهة المعارضة العقلانية. لا يزال واقفًا على الأريكة، قال بنكد: "خرجت في المطر. أحضرتها."

سأل سترايك ديبورا:

– "هل لديك رقم هاتف كلير؟"

قالت، دون أن تسأل لماذا يريده:

– "في المطبخ."

سأل سترايك سامهاين، رغم أنه يعرف تمامًا:

– "هل يمكنك أن تريني أين ذلك؟"

كانت الشقة بأكملها بحجم غرفة جلوس إيرين هيكسون. عبس سامهاين في وجه بطن سترايك لبضع لحظات، ثم قال:

– "حسنًا، إذن."

سار بطول الأريكة، وقفز من نهايتها بضجة جعلت خزانة الكتب تهتز، ثم اندفع نحو البسكويت.

سخر من أمه، ويداه مليئتان ببسكويت البطريق:

– "هاهاها. حصلت عليها. امرأة سخيفة. امرأة غبية."

وخرج من الغرفة.

بينما كان سترايك يتراجع بوصات خارج المساحة بين المسند والأريكة، انحنى لالتقاط *الماجوس*، الذي أسقطه ساماين، ودسه تحت معطفه. ديبورا آثورن، التي كانت تحيك بسلام بجانب النافذة، لم تلاحظ شيئًا.

كانت قائمة قصيرة من الأسماء والأرقام مثبتة على جدار المطبخ بدبوس رسم. سُر سترايك لرؤية أن العديد من الأشخاص يبدون مهتمين برفاهية ديبورا وساماين.

سأل: "من هؤلاء الناس؟" لكن ساماين هز كتفيه وتأكد لسترايك شكه في أن ساماين لا يستطيع القراءة، مهما كان فخورًا بـ*الماجوس*. التقط صورة للقائمة بهاتفه، ثم التفت لساماين.

– "سيساعدني حقًا لو استطعت تذكر ما قاله عمك تيدور إنه حدث للطبيبة السيدة."

قال ساماين، وهو يفك تغليف بطريق آخر:

– "هاهاها. لن أخبر."

– "لابد أن عمك تيدور وثق بك حقًا، ليخبرك."

مضغ ساماين في صمت لفترة، ثم ابتلع وقال، برفع ذقن صغيرة فخورة:

– "أجل."

– "من الجيد أن يكون لديك أشخاص يمكنك الوثوق بهم بمعلومات مهمة."

بدا ساماين مسرورًا بهذا التصريح. أكل بسكويتته، ولأول مرة، نظر إلى وجه سترايك. كان لدى المحقق انطباع بأن ساماين يستمتع بوجود رجل آخر في الشقة.

قال فجأة: "أنا فعلت ذلك"، وماشيًا للحوض، التقط وعاءً طينيًا صغيرًا، كان يحمل فرشاة غسيل وإسفنجة. "أذهب للدرس أيام الثلاثاء ونصنع أشياء. رانجيت يعلمنا."

قال سترايك، آخذًا إياه منه وفاحصًا له:

– "هذا ممتاز. أين كنت، عندما أخبرك عمك بما حدث للدكتورة بامبورو؟"

– "في كرة القدم. وأنا صنعت هذا،" أخبر سترايك، منتزعًا إطار صورة خشبيًا عن الثلاجة، حيث كان مثبتًا بمغناطيس. كانت الصورة المؤطرة حديثة لديبورا وسامهاين، وكلاهما لديه طائر بادجي جاثم على إصبعه.

قال سترايك معجبًا:

– "هذا جيد جدًا."

قال سامهاين، آخذًا إياه منه ولاصقًا إياه على الثلاجة:

– "أجل. رانجيت قال إنه الأفضل. كنا في كرة القدم وسمعت العم تيدور يخبر صديقه."

– "آه."

– "ثم قال لي: «لا تخبر أحدًا»."

– "صحيح. لكن إذا أخبرتني، ربما أستطيع مساعدة عائلة الطبيبة. إنهم حزينون حقًا. يفتقدونها."

ألقى سامهاين نظرة خاطفة أخرى على وجه سترايك.

– "لا يمكنها العودة الآن. الناس لا يمكن أن يكونوا أحياء مرة أخرى عندما يموتون."

– "لا. لكن من الجميل عندما تعرف عائلاتهم ماذا حدث وأين ذهبوا."

– "أبي-غويليم مات تحت الجسر."

– "نعم."

– "عمي تيدور مات في المستشفى."

– "أترين؟ من الجيد أنك تعرف، أليس كذلك؟"

– "أجل. أعرف ما حدث."

– "بالضبط."

– "أخبرني العم تيدور أن نيكو وأولاده هم من فعلوها."

خرجت الكلمات بلا مبالاة تقريبًا.

قال سامهاين:

– "يمكنك إخبار عائلتها، لكن لا أحد غيرهم."

قال سترايك، وعقله يعمل بسرعة كبيرة:

– "حسنًا. هل عرف تيدور كيف فعلها نيكو والأولاد؟"

– "لا. عرف فقط أنهم فعلوها."

التقط سامهاين بسكويتة أخرى. بدا أنه ليس لديه المزيد ليقوله.

– "إم – هل يمكنني استخدام حمامك؟"

قال سامهاين وفمه ممتلئ بالشوكولاتة:

– "المرحاض؟"

– "نعم. المرحاض."

مثل بقية الشقة، كان الحمام قديمًا ولكنه نظيف تمامًا. كان مغطى بورق حائط أخضر، بنمط طيور فلامنغو وردية عليه، يعود بلا شك للسبعينيات والآن، بعد أربعين عامًا، أصبح "كيتش" (فن رديء ذو شعبية) عصريًا. فتح سترايك خزانة الحمام، ووجد علبة شفرات حلاقة، واستخرج واحدة وقطع الصفحة الملطخة بالدم من كتاب *الماجوس* بضربة واحدة سلسة، ثم طواها ودسها في جيبه.

في الخارج على البسطة، أعاد الكتاب لسامهاين.

– "لقد تركته على الأرض."

– "أوه. شكرًا."

– "لن تفعل أي شيء للطيور إذا غادرت، أليس كذلك؟"

نظر سامهاين للسقف، مبتسمًا قليلاً.

سأل سترايك:

– "أليس كذلك؟"

تنهد سامهاين أخيرًا:

– "لا."

عاد سترايك إلى مدخل غرفة الجلوس.

قال:

– "سأذهب الآن يا سيدة آثورن. شكرًا جزيلاً للتحدث معي."

قالت ديبورا، دون النظر إليه:

– "وداعًا."

توجه سترايك للأسفل، وخرج إلى الشارع. بمجرد خروجه، وقف للحظة في المطر، يفكر بعمق. كان ساكنًا بشكل غير عادي لدرجة أن امرأة مارة التفتت لتحدق فيه.

متوصلاً لقرار، انعطف سترايك يسارًا، ودخل متجر الخردوات الذي يقع مباشرة أسفل شقة آل آثورن.

نظر رجل عابس، أشيب ويرتدي مئزرًا خلف المنضدة إلى دخول سترايك. كانت إحدى عينيه أكبر من الأخرى، مما أعطاه مظهرًا خبيثًا بشكل غريب.

قال سترايك بنشاط:

– "صباح الخير. جئت للتو من عند آل آثورن، بالأعلى. فهمت أنك تريد التحدث إلى كلير سبنسر؟"

سأل بائع الخردوات، بمزيج من الدهشة والعدوانية:

– "من أنت؟"

– "صديق للعائلة. هل لي أن أسأل لماذا تضع رسائل لأخصائيتهم الاجتماعية عبر بابهم الأمامي؟"

زمجر بائع الخردوات:

– "لأنهم لا يردون على هواتفهم في قسم الخدمة الاجتماعية اللعين. ولا جدوى من التحدث إليهما، أليس كذلك؟" أضاف، مشيرًا بإصبعه للسقف.

– "هل هناك مشكلة يمكنني المساعدة فيها؟"

قال بائع الخردوات بفظاظة:

– "أشك في ذلك. ربما تشعر بالرضا التام عن الوضع، هاه، إذا كنت صديقًا للعائلة؟ لا أحد يضطر لوضع يده في جيبه غيري، هاه؟ قليل من التستر السريع ودع شخصًا آخر يدفع الفاتورة، هاه؟"

– "أي تستر هذا؟"

كان بائع الخردوات مستعدًا تمامًا للشرح. الشقة بالأعلى، أخبر سترايك، كانت لفترة طويلة خطرًا صحيًا، مكتظة بممتلكات مكدسة لسنوات عديدة

ومغناطيسًا للحشرات، وفي عالم عادل، لا ينبغي أن يكون هو من يتحمل تكاليف العيش تحت زوج من المعتوهين الفعليين –

قال سترايك:

– "أنت تتحدث عن أصدقاء لي."

زمجر بائع الخردوات:

– "افعلها أنت إذن. ادفع ثروة لعينة لإبقاء الجرذان بعيدة. سقفي يترهل تحت ثقل قذارتهم –"

– "لقد كنت بالأعلى للتو وهي نظيفة تمـ –"

– "لأنهم نظفوها الشهر الماضي، عندما قلت إنني ذاهب للمحكمة اللعينة!" زمجر بائع الخردوات. "أبناء عمومة نزلوا من ليدز عندما هددت باتخاذ إجراء قانوني – لم يهتم أحد حتى ذلك الحين – وأعود صباح الاثنين وقد نظفوا كل شيء. أوباش مخادعون!"

– "ألم تكن تريد تنظيف الشقة؟"

– "أريد تعويضًا عن المال الذي اضطررت لإنفاقه! أضرار هيكلية، فواتير لشركة «رينتوكيل» – ذلك الزوج لا ينبغي أن يعيش معًا دون إشراف، إنهما غير مؤهلين، يجب أن يكونا في دار رعاية! إذا اضطررت لأخذ الأمر للمحكمة، سأفعل!"

قال سترايك مبتسمًا:

– "قليل من النصيحة الودية. إذا تصرفت بأي طريقة يمكن اعتبارها تهديدًا تجاه آل آثورن، سيحرص أصدقاؤهم على أن تكون أنت من ينتهي به الأمر في المحكمة. أتمنى لك يومًا سعيدًا،" أضاف، متجهًا للباب.

حقيقة أن شقة آل آثورن قد تم تنظيفها مؤخرًا من قبل أقارب مساعدين تميل للإيحاء بأن رفات مارغو بامبورو لم تكن مخبأة في المكان. من ناحية أخرى، حصل سترايك على بقعة دم وشائعة، وهو ما كان أكثر بكثير مما كان لديه قبل ساعة. وبينما كان لا يزال غير مائل لتصديق التدخل الخارق للطبيعة، كان عليه الاعتراف بأن قرار تناول الإفطار في شارع سانت جون ذلك الصباح كان، على أقل تقدير، خيارًا محظوظًا للغاية.

39

... وهكذا يخدعون الطريق،
حتى تنقشع العاصفة الهوجاء...
لا يستطيعون العثور على المسار، الذي ظهر أولاً،
بل يهيمون جيئة وذهابًا في طرق مجهولة...
إدموند سبنسر ملكة الجن

انطلق منبه روبن في السادسة والنصف من صباح يوم الجمعة، في منتصف حلم عن ماثيو: جاء إليها في شقة إيرلز كورت، وتوسل إليها أن تعود إليه، قائلاً إنه كان أحمق، واعدًا بأنه لن يشتكي أبدًا مرة أخرى من وظيفتها، متوسلاً إياها أن تعترف بأنها تفتقد ما كان بينهما ذات يوم. سألها عما إذا كانت تحب بصدق العيش في شقة مستأجرة، دون أمان وصحبة الزواج، وفي الحلم شعرت روبن بجذب العودة نحو علاقتها القديمة، قبل أن تصبح معقدة بسبب وظيفتها مع سترايك.

كان ماثيو أصغر سنًا في الحلم، ماثيو أكثر لطفًا بكثير، وتم استبعاد سارة شادلوك كغلطة، وهفوة، وخطأ لا معنى له. في الخلفية حامت رفيقة سكن روبن، التي لم تعد ماكس المنعزل والمهذب، بل فتاة شاحبة، تبتسم بتصنع وتردد إقناعات ماثيو، وتقهقه عندما ينظر إليها وتحث روبن على إعطائه ما يريد. فقط عندما تمكنت من إسكات منبهها، وتبديد ضباب النوم، أدركت روبن، التي كانت مستلقية ووجهها لأسفل على وسادتها، مدى الشبه الكبير بين رفيقة السكن في الحلم وسينثيا فيبس.

مكافحة لفهم سبب ضبطها للمنبه في وقت مبكر جدًا، جلست في السرير، وجدران غرفتها الكريمية تبدو أرجوانية زرقاء في ضوء الفجر، ثم تذكرت أن سترايك قد خطط لاجتماع كامل للفريق، الأول منذ شهرين، وأنه طلب منها الحضور قبل ساعة من الآَخرين مرة أخرى، ليتمكنا من مناقشة قضية بامبورو قبل وصول أي شخص آخر.

متعبة للغاية، كما يبدو أنها دائمًا هذه الأيام، استحمت روبن وارتدت ملابسها، تتعثر في الأزرار، وتنسى أين وضعت هاتفها، وتدرك وجود بقعة على سترتها فقط عندما وصلت لمنتصف الدرج المؤدي للمطبخ، وتشعر عمومًا بالسخط على الحياة والبدايات المبكرة. عندما وصلت إلى الطابق العلوي، وجدت ماكس جالسًا على طاولة الطعام في روب حمامه، منكبًا على كتاب طبخ. كان التلفزيون يعمل: مذيعة البرنامج الصباحي كانت تسأل عما إذا كان "عيد الحب" ممارسة في السخرية التجارية أم فرصة لضخ بعض الرومانسية التي تشتد الحاجة إليها في حياة الزوجين.

سألها ماكس:

– "هل لدى كورموران أي متطلبات غذائية خاصة؟"

وعندما نظرت روبن بذهول، قال: "لليلة. العشاء."

قالت روبن:

– "أوه، لا. هو يأكل أي شيء."

تحققت من رسائل بريدها الإلكتروني على هاتفها بينما كانت تشرب كوبًا من القهوة السوداء. مع وخزة صغيرة من الفزع، رأت رسالة من محاميتها بعنوان "الوساطة". بفتحها، رأت أنه تم اقتراح تاريخ فعلي: الأربعاء، التاسع عشر من مارس، بعد أكثر من شهر. تخيلت ماثيو يتحدث إلى محاميه الخاص، يستشير مفكرته، ويفرض سلطته، كالعادة. *أنا مشغول طوال الشهر المقبل.* ثم تخيلت مواجهته عبر طاولة اجتماعات، ومحاموهما بجانبهما، وشعرت بذعر ممزوج بالغضب.

قال ماكس، ولا يزال يقرأ كتب الطبخ:

– "يجب أن تتناولي الإفطار."

قالت روبن، مغلقة بريدها الإلكتروني:

– "سأحصل على شيء لاحقًا."

التقطت المعطف الذي تركته ملقى على ذراع الأريكة وقالت:

– "ماكس، لم تنسَ أن أخي وصديقه سيقضيان عطلة نهاية الأسبوع هنا، أليس كذلك؟ أشك أنهما سيتواجدان كثيرًا. إنها مجرد قاعدة انطلاق."

قال ماكس بشرود، غارقًا في الوصفات:

– "لا، لا، كله تمام."

توجهت روبن للخارج في الصباح الباكر البارد والرطب، ووصلت طوال الطريق إلى المترو قبل أن تدرك أنها لا تحمل محفظتها.

– "تبًا!"

كانت روبن عادة مرتبة، وفعالة ومنظمة؛ نادراً ما ارتكبت هذا النوع من الأخطاء. وشعرها يتطاير، ركضت عائدة إلى الشقة، تسأل نفسها أين بحق الجحيم وضعتها، ومتسائلة، في ذعر الآن، عما إذا كانت قد أسقطتها في الشارع أو سُرقت من حقيبتها.

في هذه الأثناء، في شارع دنمارك، كان سترايك المترنح يقفز على ساقه الواحدة خارجًا من الحمام، وعيناه منتفختان، ومنهكًا بالمثل. الآثار اللاحقة لأسبوع قضاه في تغطية ورديات باركلي وهاتشينز كانت تلحق به الآن، وندم قليلاً على طلب قدوم روبن للعمل في وقت مبكر جدًا.

ومع ذلك، بعد ارتداء بنطاله مباشرة، رن هاتفه المحمول ومع وخزة من الخوف، رأى رقم تيد وجوان.

– "تيد؟"

قال تيد:

– "مرحبًا، يا كورم. لا داعي للذعر، الآن. أردت فقط إعطاءك تحديثًا."

قال سترايك، واقفًا عاري الصدر ومتجمدًا في الضوء الرمادي البارد المرشح عبر ستائر شقته العلوية الرقيقة جدًا:

– "أكمل."

– "إنها لا تبدو بخير. كانت كيرينزا تتحدث عن محاولة نقلها للمستشفى، لكن جوني لا تريد الذهاب. إنها لا تزال في السرير، هي – لم تنهض، أمس." انكسر صوت تيد. "لم تستطع فعلها."

تمتم سترايك، متهاويًا على سريره:

– "تبًا. حسنًا يا تيد، أنا قادم."

قال عمه:

– "لا تستطيع. نحن محاطون بمياه الفيضانات. الأمر خطير. الشرطة تخبر الجميع بالبقاء في أماكنهم، وعدم السفر. كيرينزا تستطيع... تقول إنها تستطيع إدارة ألمها في المنزل. لديها أدوية يمكنهم حقنها... لأنها لا تأكل كثيرًا الآن. كيرينزا لا تعتقد أنه... كما تعلم... تعتقد أنه سيكون..."

بدأ يبكي بحرقة.

"... ليس فورًا، لكن... هي تقول... ليس طويلاً."

قال سترايك بحزم:

– "أنا قادم. هل تعرف لوسي مدى سوء حالة جوان؟"

– "اتصلت بك أولاً."

– "سأخبرها، لا تقلق بشأن ذلك. سأعاونك الاتصال عندما نضع خطة، حسنًا؟"

أغلق سترايك الخط واتصل بلوسي.

شهقت أخته، عندما أعطاها ملخصًا خاليًا من العاطفة لما قاله تيد:

– "أوه يا إلهي، لا. يا «ستيك» (لقب)، لا أستطيع المغادرة الآن – غريغ عالق في ويلز!"

– "ماذا يفعل غريغ بحق الجحيم في ويلز؟"

– "إنه من أجل العمل – أوه يا إلهي، ماذا سنفعل؟"

– "متى سيعود غريغ؟"

– "غدًا ليلاً."

– "إذن سنذهب صباح الأحد."

– "كيف؟ القطارات متوقفة، الطرق مغمورة –"

– "سأستأجر سيارة جيب أو شيئًا ما. بولورث سيقابلنا في الطرف الآَخر بقارب إذا لزم الأمر. سأعاود الاتصال بك عندما أرتب الأمور."

ارتدى سترايك ملابسه، وصنع لنفسه شايًا وخبزًا محمصًا، وحملهما للأسفل إلى مكتب الشركاء في المكتب الداخلي وعاود الاتصال بتيد، متجاوزًا اعتراضاته، ومخبرًا إياه أنه، شاء أم أبى، هو ولوسي قادمان يوم الأحد. استطاع سماع توق عمه إليهما، وحاجته الماسة لصحبة تشاركه عبء الرهبة والحزن. ثم اتصل سترايك بـ ديف بولورث، الذي وافق تمامًا على الخطة ووعد بأن يكون جاهزًا بقارب، وحبال سحب ومعدات غوص إذا لزم الأمر.

– "ليس لدي أي شيء لعين آخر لأفعله. مكان عملي تحت الماء."

اتصل سترايك ببضع شركات تأجير سيارات، ووجد أخيرًا واحدة لديها سيارة جيب متاحة. كان يعطي تفاصيل بطاقة ائتمانه عندما وصلت رسالة نصية من روبن.

آسفة حقًا، فقدت محفظتي، وجدتها للتو، في طريقي الآن.

نسي سترايك تمامًا أنه كان من المفترض أن يراجعا مستجدات قضية بامبورو قبل اجتماع الفريق. بعد الانتهاء من استئجار الجيب، بدأ في تجميع العناصر التي نوى مناقشتها مع روبن: الصفحة الملطخة بالدم التي قطعها من كتاب *الماجوس*، والتي وضعها الآن في حافظة بلاستيكية، والاكتشاف الذي توصل إليه مساء أمس على جهاز الكمبيوتر الخاص به، والذي عرضه على شاشته، جاهزًا ليريها إياه.

ثم فتح جدول المناوبات، للتحقق من الورديات التي سيتعين عليه إعادة توزيعها الآن بعد أن كان متجهًا للعودة إلى كورنوال، ورأى "عشاء مع ماكس" مكتوبًا لذلك المساء.

قال: "هراء". لم يعتقد أنه يستطيع التملص من ذلك الآن، بعد أن وافق عليه في اليوم السابق، لكن هذا كان آخر شيء يحتاجه.

في تلك اللحظة بالذات، روبن، التي كانت تصعد السلم المتحرك في "توتنهام كورت رود" درجتين في كل مرة، سمعت هاتفها المحمول يرن في حقيبتها.

لهثت في الهاتف، وهي تخرج إلى المحطة، واحدة بين العديد من المسافرين المتدافعين:

– "نعم؟"

قال أخوها الأصغر:

– "مرحبًا، روبس."

قالت، وهي تستخدم بطاقة "أويستر" الخاصة بها عند الحاجز:

– "مرحبًا. هل كل شيء بخير؟"

قال جوناثان، رغم أنه لم يبدُ مبتهجًا تمامًا كما في المرة الأخيرة التي تحدثا فيها:

– "أجل، بخير. اسمعي، هل لا بأس إذا أحضرت شابًا آخر معي للنوم عندكم؟"

قالت روبن، وهي تخرج إلى المطر العاصف والفوضى المسيطر عليها لتقاطع طريق توتنهام كورت وطريق تشارينغ كروس، حيث كانت هناك أعمال بناء منذ ثلاث سنوات ونصف:

– "ماذا؟"

أملت أن تكون قد أساءت فهم ما قاله جوناثان.

كرر:

– "شاب آخر. هل هذا مقبول؟ سينام في أي مكان."

أنت روبن، وهي تهرول نصف هرولة على طول طريق تشارينغ كروس الآن:

– "أوه يا جون، لدينا أريكة سرير واحدة فقط."

– "كايل سينام على الأرض، هو لا يبالي. ليست مشكلة كبيرة، أليس كذلك؟ شخص واحد إضافي؟"

تنهدت روبن:

– "حسنًا، لا بأس. ما زلتما تخططان للوصول هنا في العاشرة، مع ذلك؟"

– "لست متأكدًا. قد نأخذ قطارًا أبكر، نفكر في تفويت المحاضرات."

– "أجل، لكن الشيء هو،" قالت روبن، "كورموران قادم لتناول العشاء للتحدث إلى ماكس –"

قال جوناثان، وبدا أكثر حماسًا قليلاً:

– "أوه عظيم! كورتني تود مقابلته، إنها مهووسة بالجرائم!"

– "لا – يا جون، أحاول إخبارك، ماكس يحتاج لمقابلة كورموران بخصوص دور يلعبه. لا أعتقد أنه سيكون هناك طعام كافٍ لثلاثة آخرين –"

– "لا تقلقي بشأن ذلك، إذا وصلنا هناك أبكر، سنطلب لأنفسنا وجبة جاهزة."

كيف كان يفترض بها أن تقول: "من فضلك لا تأتوا أثناء العشاء"؟ بعد أن أغلق الخط، انطلقت روبن في الركض، آملة أن إدارة جوناثان للوقت، والتي عرفت من التجربة أنها بحاجة للتحسين، قد تجعله يفوت ما يكفي من القطارات المتجهة جنوبًا لتأخير وصوله.

منعطفة عند الزاوية إلى شارع دنمارك وهي تركض، رأت، بشعور بالهبوط، سول موريس أمامها، يمشي نحو المكتب ويحمل باقة صغيرة مغلفة من أزهار الجربارة الوردية.

من الأفضل ألا تكون لي.

قال، ملتفتًا بينما ركضت خلفه:

– "مرحبًا، يا روبس. يا إلهي،" أضاف مبتسمًا ابتسامة عريضة، "شخص ما نام أكثر من اللازم. وجه الوسادة،" قال، مشيرًا إلى البقعة على خده حيث خمنت روبن أن خدها لا يزال يحمل تجعدًا باهتًا من الطريقة التي نامت بها، وجهها لأسفل وبلا حراك، لأنها كانت متعبة جدًا. "من أجل بات،" أضاف، عارضًا أسنانه البيضاء المستقيمة مع زهور الجربارة. "تقول إن زوجها لا يحضر لها أي شيء أبدًا في عيد الحب."

يا إلهي، أنت متملق، فكرت روبن، وهي تفتح الباب. لاحظت أنه يناديها "روبس" مرة أخرى، وهي علامة أخرى على أن عدم راحته في وجودها بعد الكريسماس قد تبخرت على مدار الأسابيع السبعة التالية. تمنت لو كان بإمكانها بنفس السهولة التخلص من شعور العار المستمر، وغير المعقول ولكنه لا يقل قوة، الذي شعرت به لرؤيتها انتصابه على هاتفها إلى الأبد.

في الطابق العلوي، كان سترايك المنهك يتحقق من ساعته عندما رن هاتفه المحمول. كان وقتًا مبكرًا بشكل غير معتاد لصديقه القديم نيك هربرت للاتصال به، وسترايك، الذي أصبح الآن متحسسًا لتوقع الأخبار السيئة، أجاب بشعور من التوجس.

– "هل أنت بخير يا أوغي؟"

بدا نيك مبحوحًا، وكأنه كان يصرخ.

قال سترايك، الذي اعتقد أنه يسمع خطوات وأصواتًا على الدرج المعدني بالخارج:

– "أنا بخير. ما الأمر؟"

– "لا شيء كثيرًا. تساءلت عما إذا كنت ترغب في تناول كأس الليلة. أنا وأنت فقط."

قال سترايك، نادمًا بشدة على أن الأمر كذلك:

– "لا أستطيع. آسف، لدي ارتباط."

– "آه. حسنًا. ماذا عن وقت الغداء، هل أنت حر حينها؟"

قال سترايك، بعد تردد طفيف:

– "أجل، لمَ لا؟" يعلم الله أنه يحتاج لكأس بعيدًا عن العمل، وعن العائلة، وعن مائة مشكلة أخرى لديه.

من خلال الباب المفتوح رأى روبن تدخل المكتب الخارجي، متبوعة بسول موريس، الذي كان يحمل باقة زهور. أغلق الباب الفاصل عليهما، ثم عالج دماغه المتعب الزهور والتاريخ.

سأل نيك:

– "انتظر لحظة. ألست مشغولاً بهراء عيد الحب؟"

قال نيك:

– "ليس هذا العام."

ساد صمت قصير. لطالما اعتبر سترايك نيك وإلسا، أخصائي الجهاز الهضمي والمحامية على التوالي، أسعد زوجين يعرفهما. منزلهما في شارع "أوكتافيا" كان غالبًا مكان لجوء له.

قال نيك:

– "سأشرح على كأس جعة. أحتاج لواحد. سآتي إليك."

اتفقا على حانة ووقت وأغلقا الخط. تحقق سترايك من ساعته مرة أخرى: تبقى له ولروبن خمس عشرة دقيقة مما كان يأمل أن يكون ساعة حول بامبورو. فاتحًا الباب، قال:

– "جاهزة؟ ليس لدينا وقت طويل."

قالت روبن، مسرعة للداخل:

– "آسفة. وصلتك رسالتي، أليس كذلك؟ عن المحفظة؟"

– "أجل."

أغلق الباب على موريس وأشار إلى صفحة من كتاب *الماجوس*، التي وضعها أمام مقعد روبن.

– "تلك هي الصفحة من الكتاب في منزل آل آثورن."

كان قد اتصل بروبن بشأن العثور على آل آثورن مباشرة بعد مغادرة بائع الخردوات، وردت بحماس وتهنئة. تجهمه الحالي أزعجها. يفترض أنه بسبب تأخرها، لكن ألم يُسمح لها بقليل من الخطأ البشري، بعد كل الساعات الإضافية التي بذلتها مؤخرًا، تغطي عملها وعمل سترايك، وتدير المتعاقدين، وتحاول جاهدة ألا تضع ضغطًا إضافيًا عليه بينما كانت عمته تحتضر؟ ومع ذلك، في الخارج، استطاعت سماع باركلي وهاتشينز يدخلان المكتب الخارجي، مما ذكرها بأنه منذ وقت ليس ببعيد، كانت الموظفة المؤقتة، وأن سترايك قد وضع توقعاته لشريك بعبارات لا تقبل المساومة في بداية علاقتهما المهنية. كان هناك ثلاثة رجال

بالخارج يعتبرون أنفسهم بلا شك مؤهلين لمنصبها أكثر منها. لذا، جلست روبن ببساطة، والتقطت الصفحة وقرأت المقطع تحت اللطخة.

– "الكتابة تذكر الدم."

– "أعرف."

– "ما مدى نضارة الدم المطلوبة لتحليله؟"

– "أقدم عينة سمعت عنها تم تحليلها بنجاح كان عمرها عشرين عامًا ونيفًا،" قال سترايك. "إذا كان هذا دمًا، ويعود تاريخه إلى وقت كان فيه غويليم آثورن حيًا، فهو أقدم بعقد جيد. من ناحية أخرى، تم حفظه بعيدًا عن الضوء والرطوبة، داخل ذلك الكتاب، مما قد يساعد. على أية حال، سأتصل بروي فيبس وأسأله عن فصيلة دم مارغو ثم سأحاول العثور على شخص ليحلله لنا. قد أجرب ذلك الرجل الذي كانت صديقتك فانيسا تواعده في الطب الشرعي، ما كان اسمه؟"

– "أوليفر، وهو خطيبها الآن."

– "حسنًا، هو، نعم. شيء آخر مثير للاهتمام ظهر من محادثتي مع سامهاين..."

أخبرها عن اعتقاد العم تيدور أن "نيكو وأولاده" قتلوا مارغو بامبورو.

– "«نيكو» – هل تعتقد –؟"

– "نيكولو «ماكي» ريتشي؟ الاحتمالات كبيرة،" قال سترايك. "لم يكن يعيش بعيدًا ولابد أنه كان شخصية محلية، رغم أنه لا يبدو أن أحدًا من العيادة أدرك من دخل حفلة الكريسماس الخاصة بهم.

"تركت رسالة للأخصائية الاجتماعية لآل آثورن، لأنني أريد أن أعرف مدى الثقة التي يمكننا وضعها في ذكريات ديبورا وسامهاين. من المفترض أن شانكر ينقب حول ريتشي لأجلي، لكنني لم أسمع شيئًا منه. قد أعطيه نكزة."

مد يده وأعادت روبن الصفحة الملطخة بالدم.

قال سترايك:

– "على أية حال، التطور الوحيد الآخر هو أنني وجدت سي. بي. أوكدين."

– "ماذا؟ كيف؟"

– "الليلة الماضية،" قال سترايك. "كنت أفكر في الأسماء. إيرين تخطئ فيها – دوثويت وداكوورث، آثورن وآبلثورب. ثم بدأت التفكير في كيف أن الناس غالبًا لا يبتعدون كثيرًا عن اسمهم الأصلي إذا غيروه."

أدار شاشة حاسوبه لتواجهها، ورأت روبن صورة لرجل في أوائل منتصف العمر. كان منمشًا قليلاً، وعيناه قريبتان من بعضهما بجزء من البوصة وشعره يخف، رغم أنه لا يزال لديه ما يكفي لتمشيطه عبر جبهته الضيقة. كان لا يزال من الممكن التعرف عليه بالكاد كالصبي الذي يعقد وجهه للكاميرا، في حفل شواء مارغو بامبورو.

القصة أدناه تقول:

– نصاب متسلسل يتلقى حكماً بالسجن

"خيانة حقيرة للثقة"

سُجن محتال متسلسل احتال بأكثر من 75,000 جنيه إسترليني من أرامل مسنات على مدى عامين، لمدة أربع سنوات وتسعة أشهر.

برايس نوكس، 49 عامًا، من شارع فورتشن، كليركينويل، الذي ولد باسم كارل أوكن (Oaken)، أقنع ما مجموعه تسع "نساء ضعيفات وواثقات" بالتخلي عن مجوهرات ونقود، والتي بلغت في إحدى الحالات 30,000 جنيه إسترليني من مدخرات العمر.

وصف اللورد القاضي ماكريف نوكس بأنه "رجل ماكر وعديم الضمير استغل بوقاحة ضعف ضحاياه."

نوكس، الذي يرتدي ملابس أنيقة ويتحدث بلباقة، استهدف الأرامل اللواتي يعشن بمفردهن، وعادة ما يعرض تقييمات للمجوهرات. أقنع نوكس ضحاياه بالسماح له بإزالة عناصر قيمة من منازلهن، واعدًا بالعودة بتقييم خبير.

في مناسبات أخرى تظاهر بأنه ممثل عن المجلس المحلي، وادعى أن صاحبة المنزل متأخرة في دفع ضريبة المجلس وعلى وشك المقاضاة.

"مستخدمًا أوراقًا تبدو معقولة لكنها مزورة بالكامل، ضغطت وتنمرت على نساء ضعيفات لتحويل الأموال إلى حساب أنشئ لمصلحتك الخاصة،" قال اللورد القاضي ماكريبف، أثناء إصدار الحكم.

"بعض النساء المعنيات كن في البداية محرجات للغاية من إخبار عائلاتهن بأنهن سمحن لهذا الفرد بدخول منازلهن،" قال كبير المفتشين غرانت. "نعتقد أنه قد يكون هناك العديد من الضحايا الأخريات اللواتي يشعرن بالخجل الشديد للاعتراف بأنه تم الاحتيال عليهن، ونحثهن، إذا تعرفن على صورة نوكس، على الاتصال بنا."

قالت روبن:

– "الصحيفة أخطأت في تهجئة اسمه الحقيقي. طبعوا «أوكن» (Oaken)، وليس أوكدين (Oakden)."

قال سترايك:

– "ولهذا السبب لم يكن ليظهر في بحث غوغل أساسي."

شاعرة بانتقاد مبطن، لأنها كانت هي من يفترض بها البحث عن أوكدين، ألقت روبن نظرة على التاريخ في القصة الإخبارية، التي كانت قبل خمس سنوات.

– "سيكون خارج السجن الآن."

قال سترايك، مديرًا الشاشة نحوه مرة أخرى، وطابعًا كلمتين أخريين ثم مديرًا إياها لتواجه روبن مرة أخرى:

– "إنه كذلك. قمت بالمزيد من البحث عن تنويعات لاسمه، و..."

رأت صفحة مؤلف على موقع أمازون، تدرج الكتب التي كتبها مؤلف يدعى كارل أو. برايس. أظهرت الصورة نفس الرجل من الصحيفة، أكبر سنًا قليلاً، أصلع قليلاً، وأكثر تجعدًا حول العينين. إبهاماه معلقان في جيوب جينزه، ويرتدي قميصًا (تي شيرت) أسود عليه شعار أبيض: قبضة مضمومة داخل رمز المريخ (رمز الذكورة).

كارل أو. برايس

كارل أو. برايس هو مدرب حياة، ورائد أعمال وكاتب حائز على جوائز في قضايا الرجال بما في ذلك الذكورية، وحقوق الآباء، ومركزية الأنثى، والصحة العقلية للرجال، والامتياز الأنثوي والنسوية السامة. تجربة كارل الشخصية لنظام محكمة الأسرة المتمركز حول الأنثى، وكراهية الرجال الثقافية واستغلال الذكور تمنحه الأدوات والمهارات لتوجيه الرجال من جميع مناحي الحياة إلى حياة أكثر صحة وسعادة. في سلسلة كتبه الحائزة على جوائز، يدرس كارل التأثير الكارثي الذي أحدثته النسوية الحديثة على حرية التعبير، ومكان العمل، وحقوق الرجال والأسرة النووية.

ألقت روبن نظرة للأسفل على قائمة الكتب أسفل سيرة المؤلف. كانت الأغلفة رخيصة وغير احترافية. جميعها تضمنت صورًا لنساء في أزياء ووضعيات إباحية قليلاً. شقراء بملابس فاضحة ترتدي تاجًا كانت تجلس على عرش لكتاب من *الحب العذري إلى محاكم الأسرة، تاريخ من مركزية الأنثى*، بينما سمراء ترتدي زي جندي عاصفة (ستورم تروبر) مطاطيًا تشير إلى الكاميرا لكتاب مخزي: *الحرب الحديثة على الذكورة*.

قال سترايك، مديرًا الشاشة نحوه:

– "لديه موقعه الإلكتروني الخاص. ينشر كتبه ذاتيًا، ويعرض تدريب الرجال على كيفية الوصول إلى أطفالهم، ويسوق لمخفوقات البروتين والفيتامينات. لا أعتقد أنه سيفوت فرصة التحدث إلينا. يبدو من النوع الذي يأتي راكضًا عند شم رائحة الشهرة أو المال.

"وبالحديث عن ذلك،" قال سترايك، "كيف تسير أمورك مع تلك المرأة التي تظن أنها رأت مارغو عند النافذة في –؟"

– "أماندا لوز. حسنًا، عدت إليها عارضة نفقاتها إذا جاءت إلى المكتب، ولم تجب بعد."

– "حسنًا، طارديها. تدركين أننا الآن في الشهر السادس –؟"

قالت روبن، غير قادرة على تمالك نفسها:

– "نعم، أدرك ذلك. تعلمت العد في المدرسة."

رفع سترايك حاجبيه.

تمتمت:

– "آسفة. أنا فقط متعبة."

– "حسنًا، وأنا كذلك، لكنني مدرك أيضًا لحقيقة أننا ما زلنا لم نتعقب بعض الأشخاص المهمين جدًا بعد. ساتشويل، على سبيل المثال."

قالت روبن، ناظرة إلى ساعتها وناهضة للوقوف:

– "أعمل على ذلك. أعتقد أنهم جميعًا بالخارج، ينتظروننا."

– "لماذا أحضر موريس زهورًا؟"

– "إنها لبات. من أجل عيد الحب."

– "لماذا بحق الجحيم؟"

توقفت روبن عند الباب، ناظرة إلى الخلف نحو سترايك.

– "أليس الأمر واضحًا؟"

خرجت من الغرفة، تاركة سترايك يعبس في أثرها، متسائلاً ما الواضح. كان بإمكانه تخيل سببين فقط لشراء زهور لامرأة: لأنك تأمل في النوم معها، أو لتجنب التعرض للانتقاد لعدم شراء زهور في يوم قد تكون الزهور متوقعة فيه. لم يبدُ أن أيًا منهما ينطبق في هذه الحالة.

كان الفريق جالسًا في دائرة ضيقة بالخارج، هاتشينز وباركلي على الأريكة الجلدية المزيفة، وموريس على أحد الكراسي البلاستيكية القابلة للطي التي تم شراؤها عندما تجاوز الفريق عدد المقاعد الموجودة، وبات على كرسي مكتبها ذي العجلات، مما ترك كرسيين بلاستيكيين غير مريحين آخرين للشريكين. لاحظت روبن كيف توقف الرجال الثلاثة عن الحديث عندما خرج سترايك من المكتب الداخلي: عندما قادت الاجتماع وحدها، كان عليها الانتظار حتى ينهي هاتشينز وموريس مناقشة أحد معارف الشرطة المشتركين الذي تم ضبطه يتلقى رشاوى.

كانت زهور الجربارة الوردية الزاهية الشبيهة بالأقحوان تجلس في مزهرية صغيرة على مكتب بات الآن. ألقى سترايك نظرة عليها قبل أن يقول:

– "حسنًا، لنبدأ بالمراوغ. موريس، هل وصلت لأي نتيجة مع ذلك الرجل ببدلة الرياضة؟"

قال موريس، مستشيرًا ملاحظاته:

– "أجل، فعلت. اسمه باري فيشر. مطلق وله طفل واحد وهو مدير في صالة ألعاب المراوغ الرياضية."

صدرت همهمات استحسان واهتمام منخفضة النبرة من سترايك، وباركلي وهاتشينز. اكتفت روبن برفع حاجب طفيف. كانت تجربتها أن أدنى تلميح للدفء أو الموافقة منها يفسره موريس كدعوة للمغازلة.

– "لذا، حجزت لنفسي جلسة تجريبية مع أحد مدربيهم."

أراهن أنها مع امرأة، فكرت روبن.

– "بينما كنت أتحدث إليها، رأيته يتجول متحدثًا لبعض الفتيات الأخريات. إنه غيري الجنس (ستريت) بالتأكيد، بناءً على الطريقة التي كان ينظر بها إلى إحدى النساء على جهاز التدريب المتقاطع. سأعود يوم الاثنين للتمرين، إذا كان ذلك يناسبك يا زعيم. أحاول معرفة المزيد عنه."

قال سترايك:

– "جيد. حسنًا، يبدو هذا أول خيط قوي لدينا: رابط بين المراوغ وأيًا كان ما يجري داخل منزل إلينور دين."

قالت روبن، التي قضت الليلة قبل الماضية جالسة في سيارتها اللاند روفر خارج منزل إلينور:

– "قد لا يكون ذا صلة، لكن إلينور استلمت طلبية من أمازون صباح أمس. صندوقان ضخمان. بدا خفيفين جدًا، لكن –"

أخبر موريس سترايك، متحدثًا فوق روبن:

– "يجب أن نفتح رهانًا. عشرون على عشيقة متسلطة."

قال باركلي بتفكير:

– "لم أرَ الجاذبية أبدًا في التعرض للجلد. إذا أردت الألم، أنسى فقط إخراج صناديق القمامة."

قال هاتشينز:

– "تبدو كالأمهات قليلاً، رغم ذلك، أليست كذلك؟ لو كان لدي مال المدير التنفيذي، لذهبت لشيء أكثر –"

رسم جسداً أنحف في الهواء. ضحك موريس.

قال باركلي:

– "آه، الأذواق لا تناقش. زميل لي في الجيش لم يكن لينظر لأي شيء تحت ثلاثة عشر حجرًا (حوالي 82 كجم). اعتدنا مناداته هامس الخنازير."

ضحك الرجال. ابتسمت روبن، بشكل أساسي لأن باركلي كان ينظر إليها، وهي تحب باركلي، لكنها شعرت بالتعب والإحباط الشديدين لتستمتع حقًا. كان على وجه بات تعبير "الصبيان سيظلون صبيانًا" من التسامح الضجر.

قال سترايك:

– "لسوء الحظ، علي العودة إلى كورنوال يوم الأحد، وهو ما أقدر –"

سأل باركلي، بينما اهتزت نوافذ المكتب مع الريح:

– "كيف بحق الجحيم ستصل إلى كورنوال؟"

– "جيب. عمتي تحتضر. يبدو أن لديها أيامًا معدودة."

نظرت روبن إلى سترايك، مصدومة.

تابع سترايك بعملية:

– "أقدر أن ذلك يتركنا مضغوطين، لكن لا حيلة في اليد. أعتقد أنه من الجدير الاستمرار في مراقبة المدير التنفيذي نفسه. سيقوم موريس ببعض التنقيب مع هذا الرجل في صالة الألعاب الرياضية ويمكن لبقيتكم تقسيم الورديات على إلينور دين. ما لم يكن لدى أي شخص أي شيء ليضيفه،" قال سترايك، متوقفًا للتعليقات. هز الرجال رؤوسهم جميعًا وظلت روبن، المتعبة جدًا لذكر صناديق أمازون مرة أخرى، صامتة. "لنلقِ نظرة على بوستكارد."

قال باركلي باقتضاب:

– "لدي أخبار. عادت للعمل. تحدثت إليها. صاحبتك،" أضاف، لروبن، "قصيرة. نظارات مستديرة كبيرة. تجولت هناك وبدأت طرح الأسئلة."

سأل موريس، وابتسامة متكلفة تلعب حول شفتيه:

– "عن ماذا؟"

– "تأثيرات الضوء في المناظر الطبيعية لـ جيمس دوفيلد هاردينج. ماذا تظن أنني سألت، من ترشح لدوري أبطال أوروبا؟"

ضحك سترايك، وكذلك فعلت روبن هذه المرة، سعيدة لرؤية موريس يبدو أحمق.

قال الغلازوي (الاسكتلندي):

– "أجل، قرأت الإشعار بجانب صورته وبحثت عنه في هاتفي عند الزاوية. أردت طريقة للدخول في موضوع الطقس معها. على أية حال، دقيقتان في المحادثة، نتحدث عن تأثيرات الضوء والسماء الملبدة وتلك الأشياء، فأتت هي على ذكر صديقنا خبير الأرصاد الجوية. احمر وجهها عندما ذكرته. قالت إنه وصف صورة مشاهد بأنها «تيرنرسك» (نسبة للفنان تيرنر) الأسبوع الماضي.

"إنها هي،" قال باركلي، مخاطبًا روبن. "أرادت ذكره من أجل متعة قول اسمه. إنها بوستكارد."

قال سترايك لباركلي:

– "أحسنت صنعًا بحق الجحيم."

– "إنه فوز روبن. هي صنعت التمريرة. أنا فقط سددتها في المرمى."

قالت روبن، بتأكيد، وهي لا تنظر لسترايك الذي سجل كلاً من النبرة وتعبيرها:

– "شكرًا، سام."

قال سترايك:

– "نقطة عادلة. أحسنتما، كليكما."

مدركًا أنه كان فظًا مع روبن أثناء اجتماعهما حول قضية بامبورو، سعى سترايك للتعويض بسؤالها عن رأيها في أي من عملاء قائمة الانتظار يجب الاتصال به، الآن وقد أصبحت قضية بوستكارد شبه منتهية، وقالت إنها تعتقد أنها وسيطة السلع التي تظن أن زوجها ينام مع مربيتهما.

قال سترايك:

– "عظيم. بات، هل يمكنك التواصل وإخبارها أننا مستعدون للبدء إذا كانت لا تزال تريده تحت المراقبة؟ إذا لم يكن لدى أحد أي شيء آخر –"

قال هاتشينز، الذي كان عمومًا أهدأ شخص في الوكالة:

– "أنا لدي. الأمر يتعلق بلفافة الفيلم تلك التي أردت تمريرها لشرطة العاصمة."

– "أوه نعم؟ هل هناك أخبار؟"

– "صديقي اتصل الليلة الماضية. لا شيء يمكن فعله بها. لن تحصل على أي ملاحقات قضائية الآن."

سألت روبن:

– "لماذا لا؟"

بدت أكثر غضبًا مما قصدت. نظر الرجال جميعًا إليها.

قال هاتشينز:

– "وجوه الجناة مخفية كلها. تلك الذراع التي تظهر للحظة: لا يمكنك بناء قضية ادعاء على خاتم غير واضح."

قالت روبن:

– "ظننت أن جهة اتصالك قالت إن اللفافة خرجت من مداهمة لأحد بيوت دعارة ماكي ريتشي؟"

صححها هاتشينز:

– "هو يعتقد أنها فعلت. لن تحصلي على دليل حمض نووي من علبة بذلك القدم، حُفظت في سقيفة وعلية وتداولها مائة شخص. طريق مسدود. خسارة،" قال بلا مبالاة، "لكن هذا هو الحال."

سمع سترايك الآن هاتفه المحمول يرن في الخلف على مكتب الشركاء، حيث تركه. قلقًا من أن يكون تيد، استأذن من الاجتماع وتراجع إلى المكتب الداخلي، مغلقًا الباب خلفه.

لم يكن هناك معرف متصل على الرقم الذي يرن على هاتفه.

– "كورموران سترايك."

قال صوت أجش غير مألوف:

– "مرحبًا، كورموران. إنه جوني."

ساد صمت قصير.

أضاف روكبي:

– "والدك."

سترايك، الذي كان عقله المتعب مليئًا بجوا، وقضايا الوكالة الثلاث المفتوحة، والذنب لكونه غاضبًا مع شريكته، والمتطلبات اللوجستية التي يضعها على موظفيه باختفائه إلى كورنوال مرة أخرى، لم يقل شيئًا على الإطلاق. من خلال الباب الفاصل، كان بإمكانه سماع الفريق لا يزال يناقش لفافة الفيلم.

قال روكبي:

– "أردت الدردشة. هل هذا مقبول؟"

شعر سترايك فجأة بالانفصال عن جسده؛ منفصل تمامًا عن كل شيء، عن المكتب، عن إجهاده، عن المخاوف التي بدت بالغة الأهمية قبل ثوانٍ فقط. كان الأمر كما لو أن صوته وصوت والده يوجدان وحدهما ولا شيء آخر حقيقي تمامًا، باستثناء أدرينالين سترايك، ورغبة بدائية في ترك علامة لن ينساها روكبي بسرعة.

قال:

– "أنا أستمع."

صمت آخر.

قال روكبي، وبدا غير مرتاح قليلاً:

– "اسمع، لا أريد فعل هذا عبر الهاتف. لنلتقِ. لقد مر وقت طويل جدًا بحق الجحيم. مياه تحت الجسر (ما فات مات). لنلتقِ، لنـ... أريد أن – هذا لا يمكن أن يستمر. هذا الـ – العداء اللعين، أو أياً كان."

لم يقل سترايك شيئًا.

– "تعال إلى المنزل. تعال. لنتحدث، و... أنت لست طفلاً بعد الآن. هناك جانبان لكل قصة. لا شيء أسود وأبيض."

توقف. ظل سترايك صامتًا.

– "أنا فخور بك، هل تعلم ذلك؟ أنا فخور بك بحق الجحيم. ما فعلته و..."

تلاشى الجملة. حدق سترايك، بلا حراك، في الجدار الفارغ أمامه. وراء الجدار الفاصل، كانت بات تضحك على شيء قاله موريس.

كرر روكبي، مع تلميح صغير جدًا من الغضب الآن، لأنه كان رجلاً اعتاد الحصول على ما يريد:

– "اسمع، أنا أفهم، أفعل، لكن ماذا بحق الجحيم يمكنني أن أفعل؟ لا أستطيع السفر عبر الزمن. أخبرني آل بما كنت تقوله، وهناك كومة من الأشياء التي لا تعرفها، عن والدتك وكل رجالها اللعينين. إذا أتيت فقط، يمكننا تناول مشروب، يمكننا تصفية كل شيء. و،" قال روكبي، ملمحًا بهدوء، "ربما يمكنني مساعدتك قليلاً، ربما هناك شيء تريده يمكنني المساعدة به، عرض سلام، أنا منفتح للاقتراحات..."

في المكتب الخارجي، كان هاتشينز وباركلي يغادران، مستعدين للعودة إلى وظائفهما المنفصلة. كانت روبن تفكر فقط في مدى رغبتها في العودة للمنزل. كان من المفترض أن تأخذ بقية اليوم إجازة، لكن موريس كان يتسكع، وكانت واثقة من أنه ينتظر لأنه يريد المشي معها إلى المترو. متظاهرة بأن لديها أوراقًا لتنظر فيها، كانت تبحث في خزانة ملفات بينما يدردش موريس وبات، آملة أن يغادر. كانت قد فتحت لتوها ملفًا قديمًا عن خائنٌ زوجيٌّ كثيرُ الخيانة، عندما ملأ صوت سترايك الغرفة من المكتب الداخلي. التفتت هي، وبات وموريس برؤوسهم. انزلقت عدة صفحات من الملف الذي كانت روبن توازنه على قمة الدرج إلى الأرض.

– "... إذن اغرب عن وجهي للجحيم!"

قبل أن تتمكن روبن من تبادل النظرات مع موريس أو بات، فُتح الباب الفاصل بين المكتبين الداخلي والخارجي. بدا سترايك مرعبًا: أبيض الوجه، مغتاظًا، وأنفاسه تتسارع. عصف عبر المكتب الخارجي، وأمسك بمعطفه وسُمع وهو يتجه لأسفل السلالم المعدنية بالخارج.

التقطت روبن الصفحات الساقطة.

قال موريس، مبتسمًا بتكلف:

– "تبًا. لم أكن لأود أن أكون على الطرف الآخر من تلك المكالمة."

قالت بات، التي بدت راضية بشكل غريب:

– "مزاج سيئ. عرفت ذلك، منذ اللحظة التي وقعت فيها عيناي عليه."

40

وهكذا بينما تكاثرت الكلمات فيما بينهم،
تحولوا إلى الضربات، ثمرة كثرة الكلام...
إدموند سبنسر ملكة الجن

لم تجد روبن طريقة مهذبة لتجنب المشي إلى المترو مع موريس، ونتيجة لذلك اضطرت للاستماع إلى نكتتين بذيئتين، وللكذب بشأن خططها لعيد الحب، لأنها كانت تستطيع تخيل رد فعل موريس تمامًا إذا أخبرته أن سترايك قادم لزيارتها. متظاهرة بأنها لم تسمع أو لم تسجل اقتراح موريس بأن يجتمعا ذات ليلة لمقارنة الملاحظات حول المحامين، افترقت عنه عند أسفل السلم المتحرك بارتياح.

متعبة ومكتئبة قليلاً، ظلت أفكار روبن عالقة عند موريس بينما كان المترو يسرع بها عائدًا نحو إيرلز كورت. هل اعتاد على استجابة النساء بسهولة لوسامته التي لا يمكن إنكارها لدرجة أنه اعتبر أنه يحصل على استجابة إيجابية كأمر مسلم به؟ أم أن الخطأ يكمن في روبن نفسها، التي، من أجل اللباقة، ومن أجل تماسك الفريق، ولأنها لم ترغب في إثارة المشاكل والوكالة مشغولة جدًا، استمرت في الابتسام لنكاته الغبية واختارت ألا تقول، بصوت عالٍ وواضح: "أنا لا أحبك. لن نتواعد أبدًا."

وصلت إلى المنزل لتجد الشقة مليئة برائحة اللحم البقري المطهو ببطء والنبيذ الأحمر المبهجة واللذيذة. بدا أن ماكس قد خرج، لكن طاجن اللحم (الكسرولة) كان في الفرن وفولفغانغ مستلقٍ في أقرب نقطة ممكنة من الباب

الساخن دون أن يحرق نفسه، مذكرًا روبن بالمعجبين الذين يخيمون طوال الليل على أمل إلقاء نظرة على نجوم البوب.

بدلاً من الاستلقاء على سريرها ومحاولة الحصول على بضع ساعات من النوم قبل العشاء، قامت روبن، التي لسعتها تذكيرات سترايك بأنها لم تطارد أماندا لوز أو تعثر على بول ساتشويل، بصنع المزيد من القهوة لنفسها، وفتحت حاسوبها المحمول وجلست على طاولة الطعام الصغيرة.

بعد إرسال بريد إلكتروني آخر لأماندا لوز، فتحت غوغل. عندما فعلت ذلك، تحول كل حرف من الشعار واحدًا تلو الآخر إلى حلوى على شكل قلب بلون الباستيل وعليها شعار: *فارس الأحلام*، *حب جراء وموعد أعمى*. ولسبب ما، انتقلت أفكارها إلى شارلوت كامبل. سيكون من الصعب جدًا، بالطبع، على امرأة متزوجة مقابلة عشيقها الليلة. *ومن ذا الذي كان سترايك يخبره بأن يغرب عن وجهه (Fuck off) عبر الهاتف؟*

عكفت روبن على العمل على ساتشويل، محاولة محاكاة نجاح سترايك في العثور على سي. بي. أوكدين. تلاعبت بأسماء ساتشويل الثلاثة، عاكسة بول وليونارد، مجربة الأحرف الأولى والأخطاء الإملائية المتعمدة، لكن الرجال الذين ظهروا كإجابات لبحثها لم يبدوا واعدين.

هل من الممكن أن الفنان ذا الجينز الضيق والصدر المشعر لمارغو قد تحول، على مدى أربعة عقود، إلى جامع السيارات الكلاسيكية ليو ساتشويل، رجل بدين بلحية صغيرة (سكسوكة) ويرتدي نظارات ملونة؟ غير مرجح، قررت روبن، بعد إضاعة عشر دقائق على ليو: بالحكم من خلال الصور على صفحته على فيسبوك، والتي وقف فيها بجانب هواة آخرين، كان بالكاد يبلغ طوله خمسة أقدام. كان هناك برايان ساتشويل في نيوبورت، لكنه كان يعاني من كسل في العين وكان أصغر بخمس سنوات، وكولين ساتشويل في إيستبورن الذي كان يدير تجارة تحف. كانت لا تزال تحاول العثور على صورة لكولين عندما سمعت الباب الأمامي يفتح. بعد بضع دقائق، دخل ماكس إلى المطبخ، وفي يده كيس تسوق.

سأل:

– "كيف حال الكسرولة؟"

قالت روبن، التي لم تتحقق منها:

– "عظيمة."

قال ماكس، وهو يفتح باب الفرن:

– "ابتعد عن الطريق يا فولفغانغ، إلا إذا كنت تريد أن تحترق."

لارتياح روبن، بدت الكسرولة في حالة جيدة، وأغلق ماكس الباب مرة أخرى.

أغلقت روبن حاسوبها المحمول. استمر شعور بأن الجلوس للطباعة بينما يطبخ شخص آخر في جوارها تصرف وقح منذ الأيام التي عاشت فيها مع زوج كان يستاء دائمًا من إحضارها العمل إلى المنزل.

– "ماكس، أنا آسفة حقًا بشأن هذا، لكن أخي سيحضر صديقًا آخر معه الليلة."

قال ماكس، مفرغًا مشترياته:

– "لا بأس."

– "وربما يصلون مبكرًا. هم لا يتوقعون الأكل معنا –"

– "إنهم مرحب بهم. هذه الكسرولة تكفي لثمانية أشخاص. كنت سأجمد الباقي، لكن يمكننا أكل الكمية كلها الليلة، لا أمانع."

– "هذا لطف كبير منك، لكنني أعلم أنك تريد التحدث إلى كورموران بمفردكما، لذا يمكنني أخذهم –"

قال ماكس، الذي بدا مبتهجًا بشكل معتدل باحتمال وجود صحبة:

– "لا، كلما زاد العدد كان أفضل. أخبرتكِ، لقد قررت التخلي عن حياة العزلة."

قالت روبن:

– "أوه. حسنًا إذن."

كانت لديها بعض الشكوك حول ما خشيت أن يكون مجموعة غير متجانسة تمامًا، لكن مخبرة نفسها أن تعبها يجعلها متشائمة، انسحبت إلى غرفة نومها،

حيث قضت بقية فترة ما بعد الظهر تحاول العثور على صورة لكولين ساتشويل.

أخيرًا، في الساعة السادسة، بعد قدر كبير من المطابقة المرجعية، حددت موقع صورة على موقع ويب لكنيسة محلية، حيث بدا أنه عضو مجلس بلدي. بدين، بخط شعر متراجع، لم يشبه بأي حال الفنان الذي كانت تبحث عنه.

مدركة أنها يجب حقًا أن تغير ملابسها وتصعد لمساعدة ماكس، كانت على وشك إغلاق حاسوبها المحمول عندما وصل بريد إلكتروني جديد. كان سطر الموضوع كلمة واحدة: "كريد"، ومع دفقة من الإثارة العصبية، فتحته روبن.

مرحبًا روبن،

تحديث سريع: لقد مررت طلب كريد للشخصين اللذين ذكرتهما. جهة اتصالي في وزارة العدل كانت أكثر تفاؤلاً مما ظننت. هذا سري، لكن عائلة أخرى كانت تضغط لإعادة استجواب كريد. ابنتهم لم يُعثر عليها قط، لكنهم اعتقدوا دائمًا أن قلادة في منزل كريد تخصها. جهة اتصالي تعتقد أن شيئًا ما قد يكون قابلاً للتحقيق إذا انضمت عائلة بامبورو إلى عائلة تاكر. لا أعرف ما إذا كان سيُسمح لكورموران بإجراء المقابلة، رغم ذلك. هذا القرار ستتخذه سلطات «برودمور»، ووزارة العدل ووزارة الداخلية، وتعتقد جهة اتصالي في وزارة العدل أنه من المرجح أن تكون الشرطة. سأخبرك بما يحدث بمجرد أن أسمع أي شيء آخر.

أطيب التحيات، إيزي

قرأت روبن هذا البريد الإلكتروني وسمحت لنفسها بوميض من التفاؤل، رغم أنها لم تكن تنوي إخبار سترايك بما تفعله بعد. مع الحظ، سيُسمح لهما بالتحدث إلى محقق الشرطة قبل أن يدخل أو تدخل إلى برودمور. كتبت رسالة شكر بالبريد الإلكتروني، ثم بدأت في الاستعداد للعشاء.

صمد مزاجها المتحسن قليلاً أمام النظر في المرآة ورؤية مدى التعب الذي تبدو عليه، مع هالات رمادية تحت عينيها المحتقنتين بالدم قليلاً، وشعر يحتاج بالتأكيد للغسيل. مكتفية بالشامبو الجاف، ربطت روبن شعرها للخلف، وغيرت ملابسها إلى جينز نظيف وبلوزتها المفضلة، ووضعت خافي العيوب تحت العينين وكانت على وشك مغادرة غرفتها عندما رن هاتفها المحمول.

خائفة من أن يكون سترايك يلغي الموعد، شعرت بارتياح إيجابي لرؤية اسم إلسا.

– "مرحبًا، إلسا!"

– "مرحبًا، روبن. هل أنتِ مع كورم؟"

قالت روبن:

– "لا." وبدلاً من مغادرة غرفتها، جلست مرة أخرى على السرير. "هل أنتِ بخير؟"

بدا صوت إلسا غريبًا: ضعيفًا ومخدرًا.

– "هل تعرفين أين كورم؟"

– "لا، لكن يجب أن يكون هنا خلال عشر دقائق. هل تريدين مني أن أنقل له رسالة؟"

– "لا. أنا – هل تعرفين ما إذا كان مع نيك اليوم؟"

قالت روبن، وقد بدأ القلق يساورها الآن:

– "لا. ماذا يحدث يا إلسا؟ صوتك يبدو فظيعًا."

ثم تذكرت أنه عيد الحب وسجلت حقيقة أن إلسا لا تعرف أين زوجها. شيء أكثر من القلق تملك روبن: كان الخوف. نيك وإلسا كانا أسعد زوجين تعرفهما. الأسابيع الخمسة التي عاشتها معهما بعد ترك ماثيو أعادت بعضًا من إيمان روبن المحطم بالزواج. لا يمكن أن ينفصلا: ليس نيك وإلسا.

قالت إلسا:

– "لا شيء."

أصرت روبن:

– "أخبريني. ماذا –؟"

صدرت شهقات ممزقة عبر الهاتف.

– "إلسا، ماذا حدث؟"

– "أنا... لقد أجهضت."

شهقت روبن:

– "يا إلهي. أوه لا. إلسا، أنا آسفة جدًا."

كانت تعلم أن نيك وإلسا كانا يحاولان الإنجاب منذ بضع سنوات. نيك لم يتحدث عن الأمر قط وإلسا، نادرًا ما فعلت. لم يكن لدى روبن أدنى فكرة أنها حامل. تذكرت فجأة عدم شرب إلسا، في ليلة عيد ميلادها.

– "حدث ذلك – في الـ – في السوبر ماركت."

همست روبن:

– "أوه لا. يا إلهي."

– "بدأت أنزف... في المحكمة... نحن في منتصف... قضية ضخمة... لم أستطع المغادرة..." قالت إلسا. "وبعد ذلك... وبعد ذلك... متجهة للمنزل..."

أصبح كلامها غير مترابط. بدأت الدموع في عيني روبن وهي تجلس والهاتف مضغوط على أذنها.

– "... عرفت... شيئًا سيئًا... لذا نزلت من التاكسي... ودخلت... إلى السوبر ماركت... وكنت في... المرحاض... وشعرت... شعرت... وبعد ذلك... كتلة... صغيرة... جسد ضئيل – ضئيل..."

وضعت روبن وجهها بين يديها.

– "و... لم أعرف... ماذا أفعل... لكن... كانت هناك امرأة... في المرحاض مع... وهي... حدث لها ذلك... كانت لطيفة جدًا..."

ذابت مرة أخرى في عدم الترابط. ملأت الشهقات، والابتلاعات والفواق أذن روبن قبل أن تصبح الكلمات مفهومة مرة أخرى.

– "ونيك قال... إنه كان خطئي. قال... كله خطئي... أعمل... بجدية مفرطة... لم أعتنِ... بنفسي بما يكفي... لم أضع... الطفل أولاً."

قالت روبن:

– "لم يفعل."

كانت تحب نيك. لم تستطع التصديق أنه قال شيئًا كهذا لزوجته.

– "لقد فعل، قال إنه كان يجب علي... العودة للمنزل... أنني... وضعت العـ - العمل... قبل الطـ - الطفل –"

قالت روبن:

– "إلسا، استمعي إلي. إذا حملتِ مرة، يمكنكِ الحمل مرة أخرى."

– "لا، لا، لا، لا أستطيع،" قالت إلسا، ذائبة مرة أخرى في البكاء، "كانت محاولتنا الثالثة في التلقيح الصناعي. اتفقنا... اتفقنا... لا مزيد بعد هذه. لا مزيد."

رن جرس الباب.

– "إلسا، يجب أن أفتح الباب، قد يكون كورموران –"

– "نعم، نعم، اذهبي... لا بأس... كل شيء بخير."

قبل أن تتمكن روبن من إيقافها، أغلقت إلسا الخط. بالكاد تعرف ما تفعله، ركضت روبن للأسفل وفتحت الباب على مصراعيه.

لكن بطبيعة الحال، لم يكن سترايك. لم يصل قط في الوقت المحدد لأي حدث خارج العمل دعته إليه، سواء مشروبات، أو حفلة الانتقال لمنزل جديد أو حتى زفافها. بدلاً من ذلك وجدت نفسها تواجه جوناثان، الأخ الأكثر شبهاً بها: طويل ونحيل، بنفس الشعر الأشقر الضارب للحمرة والعيون الزرقاء. كان الشبه أقرب هذا المساء، لأن كلا الشقيقين بدا شاحبًا. جوناثان، أيضًا، كانت لديه هالات تحت عينيه، ناهيك عن مسحة رمادية طفيفة على بشرته.

– "مرحبًا، روبس."

قالت روبن، متقبلة عناق جوناثان ومحاولة التصرف وكأنها سعيدة برؤيته:

– "مرحبًا. تفضل بالدخول."

قال جوناثان:

– "هذه كورتني، وذاك كايل."

قهقهت كورتني، التي كانت تحمل علبة مشروب: "مرحبًا". كانت فتاة جميلة بشكل رائع، بعينين داكنتين كبيرتين وشعر أسود طويل، وبدت ثملة قليلاً. كايل، الذي صدم روبن بالخطأ بحقيبة ظهره الكبيرة عند الدخول، كان أطول منها ببوصتين، نحيلاً، بقصة شعر متدرجة عالية، وعينين كبيرتين محتقنتين بالدم ولحية مشذبة بعناية.

قال، مادًا يده ومبتسمًا لروبن من علٍ:

– "مرحبًا." قد يظن غريب أنه يرحب بها في شقته، وليس العكس. "روبن، أليس كذلك؟"

قالت روبن، مجبرة نفسها على الابتسام:

– "نعم. سعيدة بلقائك. تعالوا للأعلى؛ سنأكل في الطابق العلوي."

غارقة في التفكير في إلسا، تبعت الطلاب الثلاثة. كانت كورتني وكايل يقهقهان ويهمسون معًا، وكورتني تتعثر قليلاً في مشيتها. عند الوصول إلى منطقة المعيشة، قدمت روبن ضيوفها الثلاثة لماكس، بينما ألقى كايل بحقيبة ظهره غير النظيفة على أريكة مضيفه الكريمية.

قال جوناثان لماكس، الذي كان قد أعد الطاولة لستة أشخاص:

– "شكرًا جزيلاً لسماحك لنا بالبقاء. رائحة شيء ما زكية حقًا."

قالت كورتني بصوت عالٍ:

– "أنا نباتية صرفة (Vegan). لكن يمكنني فقط أكل، مثل، المعكرونة، أو أي شيء."

قالت روبن لماكس بسرعة، وهي ترفع خلسة حقيبة ظهر كايل القذرة عن الأريكة، محاولة عدم جعل الأمر يبدو كقضية كبيرة:

– "سأصنع بعض المعكرونة، لا تقلق بشأن ذلك."

ركعت كورتني فورًا على الأريكة وحذاؤها الرياضي الرطب لا يزال في قدميها، وقالت لروبن:

– "هل هذه هي الأريكة السرير؟"

أومأت روبن.

قالت كورتني، بنظرة لكايل:

– "سيتعين علينا ترتيب من ينام أين."

ظنت روبن أنها رأت ابتسامة أخيها تتلاشى.

اقترحت روبن، بينما ألقى جوناثان حقيبته على الأريكة أيضًا:

– "في الواقع، لماذا لا نضع كل الحقائب في غرفتي الآن؟ ونبقي هذه المنطقة خالية لما بعد العشاء؟"

لم يُبدِ لا كورتني ولا كايل أي ميل للتحرك، لذا أخذت روبن وجوناثان الحقائب للأسفل معًا. بمجرد أن أصبحا في غرفة روبن، أخرج جوناثان علبة شوكولاتة من حقيبته وأعطاها لأخته.

– "شكرًا يا جون، هذا جميل. هل تشعر أنك بخير؟ تبدو شاحبًا قليلاً."

– "كنت محششًا الليلة الماضية. اسمعي يا روبس... لا تقولي أي شيء لكورتني عن كونها، مثل، حبيبتي أو أي شيء."

– "لم أكن سأفعل."

– "جيد، لأن..."

اقترحت روبن بتعاطف:

– "انفصلتما؟"

تمتم جوناثان:

– "لم نكن أبدًا – ارتبطنا بضع مرات، لكن – لا أدري، أعتقد أنها قد تكون معجبة بكايل الآن."

رنت ضحكة كورتني من الطابق العلوي. بابتسامة مقتضبة لأخته، عاد جوناثان لأصدقائه.

حاولت روبن معاودة الاتصال بإلسا، لكن رقمها كان مشغولاً. آملة أن يعني هذا أنها عثرت على نيك، راسلت روبن:

حاولت الاتصال بك للتو. من فضلك أخبريني بما يحدث. أنا قلقة عليك.

روبن xxx

عادت للأعلى وبدأت في طهي رافيولي اليقطين لكورتني. مستشعرًا على ما يبدو أن الكسرولة ستغادر الفرن قريبًا، تسلل فولفغانغ حول كاحلي ماكس وروبن. متحققة من ساعتها، لاحظت روبن أن سترايك تأخر بالفعل خمس عشرة دقيقة. رقمه القياسي كان ساعة ونصف. حاولت، دون نجاح يذكر، ألا تشعر بالغضب. بعد الطريقة التي عاملها بها لتأخرها هذا الصباح...

كانت روبن تصفي الرافيولي للتو عندما رن جرس الباب أخيرًا.

قال ماكس، الذي كان يصب المشروبات لجوناثان، وكورتني وكايل:

– "هل تريدين مني –؟"

قالت روبن باقتضاب:

– "لا، سأفتح أنا."

عندما فتحت الباب، عرفت فورًا أن سترايك، الذي كان يحدق فيها بعينين غير مركزتين، كان ثملاً.

قال بصوت ثقيل:

– "آسف لتأخري. هل يمكنني التبول؟"

تراجعت لتسمح له بالمرور. كانت تفوح منه رائحة "دوم بار" والسجائر. متوترة كما كانت، لاحظت روبن أنه لم يفكر في إحضار زجاجة أي شيء لماكس، رغم حقيقة أنه قضى فترة الظهيرة كلها في الحانة على ما يبدو.

قالت مشيرة:

– "الحمام هناك."

اختفى بالداخل. انتظرت روبن على البسطة. بدا أنه استغرق وقتًا طويلاً جدًا.

قالت عندما خرج أخيرًا:

– "نحن نأكل هنا بالأعلى."

تمتم سترايك:

– "المزيد من السلالم؟"

عندما وصلا إلى منطقة المعيشة المفتوحة، بدا أنه تماسك. صافح ماكس وجوناثان بدورهما وقال بشكل متماسك تمامًا إنه مسرور بلقائهم. تخلت كورتني مؤقتًا عن كايل وقفزت لتقول مرحبًا للمحقق الشهير، وبدا سترايك متحمسًا بشكل إيجابي وهو يستوعب مظهرها. واعية فجأة جدًا بمظهرها الباهت وعينيها المنتفختين، التفتت روبن عائدة لمنطقة المطبخ لتضع رافيولي كورتني في وعاء لها. خلفها، سمعت كورتني تقول:

– "وهذا كايل."

قال كايل، مصممًا على عدم الانبهار:

– "أوه، نعم، أنت المحقق؟"

كان جوناثان، وكورتني، وكايل وماكس لديهم مشروبات بالفعل، لذا صبت روبن لنفسها كأسًا كبيرًا من الجن والتونيك. بينما كانت تضيف الثلج، عاد ماكس المبتهج للمطبخ لإحضار جعة لسترايك، ثم أخرج الكسرولة من الفرن ووضعها على الطاولة. أنّ فولفغانغ بينما رُفع موضوع تعبده بعيدًا عن متناوله.

بينما كان ماكس يخدم الجميع على الطاولة، وضعت روبن رافيولي كورتني أمامها.

قالت كورتني:

– "أوه يا إلهي، لا، انتظر. هل هذا نباتي صرف (فيغان)؟ أين العبوة؟"

قالت روبن:

– "في القمامة."

قالت كورتني: "توه"، ونهضت ومشت للمطبخ. كان ماكس وروبن الشخصين الوحيدين على الطاولة اللذين لم تتبع أعينهما كورتني تلقائيًا. شربت روبن نصف كأس الجن الخاص بها قبل التقاط سكينها وشوكتها.

نادت كورتني، من جانب سلة المهملات:

– "لا، لا بأس. إنه فيغان."

قالت روبن:

– "أوه جيد."

إلى يسار روبن، بدأ ماكس يسأل رأي سترايك في جوانب مختلفة من شخصية وماضي دوره. عادت كورتني للطاولة وبدأت في التهام المعكرونة، تشرب وتعيد ملء كأس نبيذها بانتظام وهي تتحدث مخبرة جوناثان وكايل بخططها عن مسيرة احتجاجية في الجامعة. لم تشارك روبن في أي من المحادثتين، لكنها أكلت وشربت في صمت، وعين واحدة على الهاتف المحمول بجانب طبقها في حال راسلت إلسا أو اتصلت.

كان سترايك يقول:

– "... لا يمكن أن يحدث. لم يكن ليسمح له بالانضمام في المقام الأول، إدانة بالحيازة بقصد التوزيع. هراء تام."

– "حقًا؟ الكتاب قاموا بالكثير من البحث –"

– "كان يجب أن يعرفوا ذلك، إذن."

كانت كورتني تقول:

– "... لذا نعم، في الأساس، ترتدين ملابسك الداخلية وتنانير قصيرة وأشياء من هذا القبيل،" وعندما ضحك كايل وجون قالت: "لا تضحكا، الأمر جدي –"

قال ماكس، مخربشًا في مفكرة:

– "... لا، هذا مفيد. لذا إذا كان في السجن قبل الجيش –"

– "إذا قضى أكثر من ثلاثين شهرًا، فالجيش لم يكن ليقبله..."

– "لن أرتدي حمالات جوارب يا كايل – على أية حال، ميراندا لا تريد –"

قال ماكس:

– "لا أعرف كم من المفترض أن يكون قد قضى. سأتحقق. أخبرني عن المخدرات في الجيش، ما مدى شيوعها –؟"

– "– فقالت، «ألا تفهمين كم هي إشكالية كلمة (ساقطة/عاهرة) يا كورتني؟» وأنا كنت مثل، «إم، ماذا تظنين –»"

قال كايل، متحدثًا فوق كورتني:

– "«ماذا تظنين أن (مسيرة العاهرات) اللعينة لأجله؟»" كان لديه صوت عميق وهالة شاب اعتاد أن يُستمع إليه.

أضاءت شاشة هاتف روبن. إلسا ردت.

تمتمت: "اعذروني"، رغم أن أحدًا لم يكن ينتبه لها، وتوجهت لمنطقة المطبخ لتقرأ ما قالته إلسا.

لم أقصد إقلاقك. نيك في المنزل، ثمل تمامًا. كان في الحانة مع كورم. نحن نتحدث. يقول إنه لم يقصد الأمر بالطريقة التي أخذتها بها. أي طريقة أخرى كانت موجودة؟ X

روبن، التي شعرت بأنها في صف إلسا تمامًا، راسلت مع ذلك:

إنه أحمق (dickhead) لكنني أعلم أنه يحبك حقًا. Xxx

بينما كانت تصب لنفسها جن وتونيك مزدوجًا آخر، ناداها ماكس، طالبًا منها إحضار جعة أخرى لسترايك من الثلاجة. عندما وضعت روبن الزجاجة المفتوحة أمام سترايك لم يشكرها، بل اكتفى بأخذ رشفة طويلة منها ورفع صوته، لأنه كان يجد صعوبة في محاولة إسماع صوته فوق كايل وكورتني، اللذين انتقلت محادثتهما الآن إلى آراء ميراندا المجهولة حول المواد الإباحية.

– "... لذا أنا، مثل، أنتِ تفهمين أن النساء يمكنهن في الواقع اختيار ما يفعلنه بأجسادهن الخاصة، ميراند – أوه تباً، آسفة –"

إيماءة كورتني الواسعة أطاحت بكأس نبيذها. قفزت روبن للحصول على مناديل المطبخ. بحلول الوقت الذي عادت فيه، كان كايل قد أعاد ملء كأس كورتني. مسحت روبن النبيذ بينما نمت المحادثتان المنفصلتان بصوت أعلى باطراد على جانبيها، ورمت مناديل المطبخ المبللة، ثم جلست مرة أخرى، متمنية لو كان بإمكانها فقط الذهاب للنوم.

– "... خلفية مضطربة، هذا أصلي (مبتكر) بحق الجحيم، خمن ماذا، الكثير من الناس ينضمون للجيش لأنهم يريدون الخدمة، ليس للهرب..."

زمجر كايل:

– "رهاب العاهرات (Whorephobia) خالص. أفترض أنها تظن أن النادلات يعشقن كل دقيقة لعينة من وظائفهن، أليس كذلك؟"

– "... ولا يمكن أن يكون في الكتيبة الأولى للبنادق إذا كان في عمرك. الكتيبة تشكلت فقط..."

– "... عمالة للإيجار، أين الفرق اللعين؟"

– "... أعتقد أنها كانت نهاية 2007..."

– "... وبعض النساء يستمتعن بمشاهدة الإباحية، أيضًا!"

سقطت كلمات كورتني بصوت عالٍ في هدوء مؤقت. نظر الجميع حولهم إلى كورتني، التي احمرت خجلاً وكانت تقهقه ويدها على فمها.

قال كايل، بابتسامة متكلفة:

– "لا بأس، نحن نتحدث عن النسوية. كورتني لا تقترح، كما تعلمون – ترفيه ما بعد العشاء."

شهقت كورتني: "كايل!"، ضاربة ذراعه العلوي وذائبة في المزيد من القهقهات.

سألت روبن، ناهضة لجمع الأطباق الفارغة:

– "من يريد تحلية؟"

نهض ماكس أيضًا.

تمتمت روبن لماكس، وهي تفرغ بضع قطع غير مأكولة من الرافيولي في سلة المهملات:

– "آسفة لأن سترايك سكران جدًا."

قال ماكس، بابتسامة خفيفة:

– "أتمزحين؟ هذا ذهب خالص. شخصيتي مدمن كحول."

ذهب، حاملاً كعكة جبن (تشيز كيك) محلية الصنع إلى الطاولة، قبل أن تتمكن روبن من إخباره أن سترايك لا يشرب عادة بهذا القدر؛ في الواقع، كانت هذه المرة الثانية فقط التي تعرفه فيها ثملاً. المرة الأولى كان حزينًا ومحببًا للغاية، لكن الليلة كان هناك تيار خفي مؤكد من العدوانية. تذكرت صرخة "اذهب وضاجع نفسك" التي سمعتها عبر باب المكتب بعد الظهر وتساءلت مرة أخرى من كان سترايك يكلم.

تبعت روبن ماكس عائدة إلى الطاولة، حاملة تارت ليمون وثالث كأس جن وتونيك كبير. كان كايل يمتع الطاولة بأكملها الآن بآرائه حول المواد الإباحية. لم تعجب روبن تعابير وجه سترايك كثيرًا. غالبًا ما أظهر نفورًا غريزيًا تجاه نوع الشبان الذين لا يمكنك تخيلهم في الجيش؛ وثقت في أنه سيكتفظ بمشاعره لنفسه الليلة.

كان كايل يقول، بإيماءة واسعة:

– "... شكل من أشكال الترفيه، تمامًا مثل أي شكل آخر."

خوفًا من المزيد من الحوادث، حركت روبن زجاجة النبيذ شبه الفارغة بتكتم بعيدًا عن نطاق الضرب.

– "عندما تنظر للأمر بموضوعية، وتجرده من كل الهراء المتزمت –"

قالت كورتني:

– "أجل، بالضبط، النساء لديهن وكالة (سلطة) على أجسادهن الـ –"

قال كايل، مشيرًا الآن إلى رأسه المصفف بعناية:

– "– الأفلام، الألعاب، كل ذلك يحفز مراكز المتعة في دماغك. يمكنك المجادلة بأن الأفلام هي إباحية عاطفية. كل هذا الغضب الأخلاقي المصطنع حول الإباحية –"

همست كورتني لروبن، التي تظاهرت بعدم السماع:

– "لا أستطيع أكل أي منهما إذا كان فيهما منتجات ألبان."

– "– نساء يردن كسب العيش من أجسادهن الخاصة، هذا هو التعريف الحرفي لتمكين المرأة ويمكنك القول إن له فائدة مجتمعية أكثر من –"

قال سترايك بشكل غير متوقع:

– "عندما كنت في كوسوفو."

التفت الطلاب الثلاثة للنظر إليه، بتعابير مذهولة. توقف سترايك، يعبث لإخراج سجائره من جيبه.

قالت روبن:

– "كورموران، لا يمكنك التد –"

قال ماكس ناهضًا:

– "لا مشكلة. سأحضر منفضة."

استغرق الأمر من سترايك ثلاث محاولات لجعل قداحته تعمل وفي تلك الأثناء راقبه الجميع في صمت. دون رفع صوته، هيمن على الغرفة.

قالت روبن في الصمت، وصوتها مبتهج بشكل مصطنع:

– "من يود تشيز كيك؟"

قالت كورتني، بعبوس طفيف:

– "أنا لا أستطيع. لكن قد أتمكن من تناول تارت الليمون، إذا كان –؟"

كرر سترايك، نافثًا الدخان بينما عاد ماكس، ووضع منفضة أمامه وجلس مرة أخرى:

– "عندما كنت في كوسوفو – شكرًا – حققت في قضية إباحية – حسنًا، اتجار بالبشر. بضعة جنود دفعوا مقابل الجنس مع فتيات قاصرات. تم تصويرهن دون علمهن والفيديوهات انتهى بها المطاف على «بورن هب». انتهت القضية كجزء من تحقيق مدني دولي. حمولة كاملة من الفتيان والفتيات قبل سن البلوغ تم الاتجار بهم في الإباحية. الأصغر كان في السابعة."

أخذ سترايك سحبة كبيرة من سيجارته، محملقًا عبر الدخان في كايل.

سأله:

– "أي فائدة مجتمعية ستقول إن لذلك؟"

ساد صمت قصير وبغيض حدق فيه الطلاب الثلاثة في المحقق.

قال كايل، بنصف ضحكة صغيرة:

– "حسنًا، بوضوح، هذا – هذا شيء مختلف تمامًا. لا أحد يتحدث عن الأطفال – هذا ليس – هذا غير قانوني، أليس كذلك؟ أنا أتحدث عن –"

قال سترايك، ولا يزال يراقب كايل عبر دخانه:

– "صناعة الإباحية مليئة بالاتجار. نساء وأطفال من بلدان فقيرة. واحدة من الفتيات الصغيرات في قضيتي تم تصويرها بكيس بلاستيكي فوق رأسها، بينما كان رجل يغتصبها شرجيًا."

من زاوية عينها، رأت روبن كايل وكورتني يرميانها بنظرات خاطفة وعرفت، بهبوط معدة مفاجئ، أن أخاها لابد وأنه شارك تاريخها مع أصدقائه. كان ماكس الشخص الوحيد على الطاولة الذي بدا مسترخيًا تمامًا. كان يراقب سترايك باهتمام غير متحيز لكيميائي يفحص تجربة جارية.

قال سترايك:

– "فيديو تلك الطفلة شوهد أكثر من مائة ألف مرة على الإنترنت."

والسيجارة محشورة في فمه، ساعد نفسه الآن بقطعة كبيرة من التشيز كيك، مدمرًا إياها فعليًا للحصول على ثلثها في طبقه.

– "الكثير من مراكز المتعة حُفزت هناك، هاه؟" تابع، ناظرًا للأعلى إلى كايل.

قالت كورتني، مندفعة للدفاع عن كايل:

– "لا، لكن هذا مختلف تمامًا، رغم ذلك. كنا نتحدث عن النساء اللواتي – الأمر متروك للنساء، النساء البالغات، لتقرير ما يردن فعله بأجسادهن الخ –"

سأل سترايك ماكس وفمه ممتلئ بالتشيز كيك، ولا يزال يحمل سيجارة مشتعلة في يده اليسرى:

– "هل طهوت كل هذا؟"

قال ماكس:

– "نعم."

– "جيد بحق الجحيم." التفت مرة أخرى إلى كايل. "كم نادلة تعرف تم الاتجار بها في العمل؟"

– "حسنًا، بوضوح ولا واحدة لكن – أعني، من المحتم أنك رأيت تلك الأشياء السيئة، أليس كذلك، كونك من الشرطة –"

– "طالما أنك لست مضطرًا لرؤيتها، فكله تمام، هاه؟"

قال كايل، وقد احمر وجهه الآن:

– "حسنًا، إذا كنت تشعر هكذا... إذا كنت ضد الأمر هكذا، فلا بد أنك لم – لم تستخدم الإباحية أبدًا، إذن، ألا تـ –؟"

قالت روبن بصوت عالٍ، ناهضة ومشيرة نحو منطقة الأريكة:

– "إذا لم يكن أحد آخر يريد تحلية، هل نتناول القهوة هناك؟"

دون انتظار إجابة، اتجهت لمنطقة المطبخ. خلفها، سمعت كشط بضعة كراسي. بعد تشغيل الغلاية، توجهت للأسفل إلى الحمام، حيث، بعد أن تبولت، جلست لخمس دقائق على المرحاض ووجهها بين يديها.

لماذا حضر سترايك ثملاً؟ لماذا كان عليهم الحديث عن الاغتصاب والإباحية؟ مهاجمها كان مستهلكًا شرهًا للمواد الإباحية العنيفة، بتركيز خاص على الخنق، لكن تاريخ بحثه على الإنترنت اعتبره القاضي دليلاً غير مقبول. لم ترد روبن معرفة ما إذا كان سترايك يستخدم الإباحية؛ لم ترد التفكير في أطفال يتم الاتجار بهم وتصويرهم، تمامًا كما لم ترد تذكر صورة قضيب موريس على هاتفها، أو فيلم القتل الحقيقي الذي سرقه بيل تالبوت. متعبة ومحبطة، سألت نفسها لماذا لم يستطع سترايك ترك الطلاب وشأنهم، إن لم يكن مراعاة لمضيفه، فمن أجلها، شريكته.

عادت للأعلى. في منتصف الطريق لمنطقة المعيشة سمعت صوت كايل المحتدم وعرفت أن الجدال قد تصاعد. عند الوصول للطابق العلوي، رأت روبن الخمسة الآخرين جالسين حول طاولة القهوة، التي كان عليها إبريق قهوة، وزجاجة وشوكولاتة جوناثان. كان سترايك وماكس يحملان كأسي براندي بينما كورتني، التي كانت الآن ثملة بوضوح شديد، وإن لم يكن بقدر سترايك، كانت تومئ مع حجة كايل، وكوب قهوة متوازن بشكل خطير في يديها. جلست روبن مرة أخرى على طاولة الطعام المهجورة، بعيدًا عن بقية المجموعة، وأخذت قطعة لحم من الكسرولة وأطعمتها لفولفغانغ الممتن بشكل مثير للشفقة.

كان كايل يقول لسترايك:

– "الفكرة هي إزالة الوصمة واستعادة اللغة المهينة حول النساء. هذه هي النقطة."

قال سترايك، وصوته ثقيل بالكحول:

– "وهذا سيتحقق بواسطة مجموعة من فتيات الطبقة المتوسطة اللطيفات يذهبن للمشي بملابسهن الداخلية، أليس كذلك؟"

بدأت كورتني:

– "حسنًا، ليس بالضرورة بالملابس الدخـ –"

قال كايل بصوت عالٍ:

– "الأمر يتعلق بإنهاء لوم الضحية. بالتأكيد يمكنك –؟"

– "وكيف ينهي ذلك لوم الضحية؟"

قالت كورتني بصوت عالٍ:

– "حسنًا، بوضوح، بتغيير المو... المواقف الأساسية –"

– "تظنين أن المغتصبين سيرونكن جميعًا تسيرن وسيقولون «من الأفضل التوقف عن الاغتصاب»، أليس كذلك؟"

بدأ كل من كورتني وكايل بالصراخ على سترايك. نظر جوناثان بقلق إلى أخته، التي شعرت بهبوط مقزز آخر في معدتها.

– "الأمر يتعلق بإزالة الوصمة –"

قال سترايك، آخذًا رشفة غير متقنة من البراندي:

– "أوه، لا تفهميني خطأ، الكثير من الرجال سيستمتعون بمشاهدتكن تتبخترن بحمالات صدركن، وأنا متأكد أنكن ستبدون رائعات على إنستغرام –"

قالت كورتني، التي بدت على وشك البكاء الآن:

– "الأمر لا يتعلق بإنستغرام! نحن نسجل نقطة جادة حول –"

قال سترايك، متحدثًا فوقها مرة أخرى:

– "الرجال الذين ينعتون النساء بالعاهرات (Sluts)، نعم، قلتِ ذلك. أنا متأكد أنهم سيشعرون بالتوبيخ الشديد، وهم يشاهدونك تتـ... تتبخترين (Prance) بتنورتك القصيرة."

قال كايل:

– "الأمر ليس عن التوبيخ، أنت تفوت الـ –"

انفعل سترايك:

– "أنا لا أفوت نقطتك اللعينة فائقة الدقة. أنا أقول لك إنه في العالم الحقيقي، «مسيرة العاهرات» (Whore Walk) اللعينة هذه –"

قال كايل وكورتني بصوت عالٍ:

– "مسيرة الفاسقات (SlutWalk)."

– "– لن تُحدث فرقًا لعينًا. نوع الرجل الذي ينعت النساء بالعاهرات سينظر لعرضكم الجانبي اللعين ويفكر «انظروا، هناك تمشي مجموعة من

العاهرات». استعيدوا اللغة اللعينة قدر ما تشاؤون. أنتم لا تغيرون الموق... المواقف الحقيقية في العالم بتقرير أن الشتائم ليست مهـ... مهينة."

فولفغانغ، الذي كان لا يزال يرتجف عند كاحل روبن على أمل الحصول على المزيد من اللحم، أطلق أنينًا عاليًا، مما جعل سترايك يلتفت. رأى روبن جالسة هناك، شاحبة وبلا تعبير.

سألها سترايك بصوت عالٍ، ملوحًا بكأسه في اتجاه الطلاب، بحيث انسكب البراندي فوق الحافة على السجاد:

– "ما رأيكِ في كل هذا؟"

قالت روبن، وقلبها يخفق بسرعة تؤلم:

– "أعتقد أنه سيكون فكرة جيدة تغيير الموضوع."

– "هل ستذهبين في مسيرة عاهرات لعينة –؟"

قالت روبن، والدم يضج في أذنيها، راغبة فقط في أن تنتهي المحادثة:

– "لا أعرف، ربما."

كان مغتصبها قد نخر بكلمة "عاهرة" مرارًا وتكرارًا أثناء الهجوم. لو كان قاتلها المحتمل قد ضغط على رقبتها لثلاثين ثانية أخرى، لكانت آخر كلمة تسمعها على الأرض.

قال سترايك، ملتفتًا مرة أخرى للطلاب:

– "إنها مهذبة. تتحدث نيابة عن النساء الآن، أليس كذلك؟"

قال كايل ساخرًا:

– "نيابة عن ضحية اغتصاب فعلية!"

بدت الغرفة وكأنها تلتوي. هبط صمت لزج. على حافة مجال رؤية روبن رأت ماكس يلتفت لينظر إليها.

نهض سترايك في المحاولة الثانية. عرفت روبن أنه كان يقول شيئًا لها، لكنه كان كله ضوضاء: أذناها بدتا ممتلئتين بالقطن. ترنح سترايك نحو الباب: كان يغادر. ارتد عن إطار الباب واختفى عن الأنظار.

استمر الجميع في التحديق في روبن.

همست كورتني من خلال الأصابع التي ضغطتها على فمها:

– "أوه يا إلهي، أنا آسفة حقًا إذا كان لا ينبغي علي قول ذلك." كانت عيناها تفيضان بالدموع. من الطابق السفلي جاء صوت صفق الباب.

قال صوت بعيد بدا تمامًا كصوت روبن:

– "لا بأس. اعذروني للحظة."

نهضت، وتبعت سترايك.

41

وعندها شرعوا يهزون رماحهم المرتجفة،
ووجهوا نصالها القاتلة نحو صدور بعضهم،
ناسين أن كلًا منهم كان يومًا صديقًا للآخر.
إدموند سبنسر ملكة الجن

باغت الطريق المظلم غير المألوف سترايك الذي كان ثملاً بشكل استثنائي. ضربته الأمطار والرياح العاتية وهو يقف، يترنح، متسائلاً عن اتجاه المترو. كان حسه بالاتجاهات، الموثوق عادة، يخبره بالانعطاف يمينًا، لذا ترنح منطلقًا في ذلك الطريق، باحثًا في جيوبه عن السجائر وهو يمشي، متلذذًا بالتنفيس اللذيذ عن التوتر والغضب الذي استمتع به للتو. تجلت ذكرى ما حدث للتو في شظايا متناثرة قليلة: وجه كايل الأحمر الغاضب. *تافه*. طلاب لعينون. ماكس يضحك على شيء قاله سترايك. الكثير من الطعام. والشراب أكثر.

تلألأ المطر في أضواء الشارع وشوش رؤية سترايك. بدت الأشياء تنكمش وتتضخم من حوله، خاصة السيارة المتوقفة التي وضعت نفسها فجأة في طريقه بينما كان يحاول المشي في خط مستقيم أسفل الشارع. عبثت أصابعه السميكة بلا جدوى في جيوبه. لم يستطع العثور على سجائره.

ربما كان كأس البراندي الأخير خطأً. كان لا يزال يستطيع تذوقه. لم يكن يحب البراندي، وكان قد شرب كمية هائلة من جعة "دوم بار" مع نيك في الحانة.

كان المشي في هذه الرياح العاتية جهدًا جبارًا. كان توهج شعوره بالعافية يتلاشى، لكنه بالتأكيد لم يشعر بالغثيان، حتى بعد كل ذلك الطاجن من اللحم

البقري وقطعة كبيرة من التشيز كيك، رغم أنه لم يرغب حقًا في التفكير فيها، ولا في الأربعين سيجارة أو نحو ذلك التي استهلكها في الأربع والعشرين ساعة الماضية، ولا في البراندي الذي كان لا يزال يستطيع تذوقه.

دون سابق إنذار، تقلصت معدته. ترنح سترايك نحو فجوة بين سيارتين، وانحنى مزدوجًا وتقيأ بنفس الغزارة التي فعلها في الكريسماس، مرارًا وتكرارًا، لعدة دقائق، حتى وجد نفسه واقفًا ويداه على ركبتيه، لا يزال يلهث، لكنه لا يخرج شيئًا آخر.

ووجهه يتصبب عرقًا، وقف منتصبًا، ماسحًا فمه بظاهر يده، ومكابس تطرق في رأسه. مرت عدة ثوانٍ قبل أن يدرك وجود شبح شاحب يقف مراقبًا إياه، وشعره الأشقر يتطاير بجنون في الريح.

قال، بينما اتضحت صورة روبن:

– "مـ...؟ أوه. إنها أنتِ."

خطر له أنها ربما تبعته لتحضر له سجائره المنسية ونظر بأمل إلى يديها، لكنهما كانتا فارغتين. ابتعد سترايك عن بركة القيء في المزراب واستند إلى سيارة أخرى متوقفة.

قال بصوت ثقيل، تحت انطباع أن روبن قد تكون قلقة بشأنه:

– "كنت في الحانة مع نيك طوال فترة ما بعد الظهر."

كان شيء صلب يضغط على مؤخرته. أدرك الآن أن سجائره معه، في نهاية المطاف، وكان سعيدًا بذلك، لأنه يفضل تذوق التبغ على القيء. سحب العلبة من جيبه الخلفي، وبعد بضع بدايات خاطئة، تمكن من إشعالها.

أخيراً، اخترق وعيه أن سلوك روبن كان غير عادي. مركزًا على وجهها، سجله كأبيض ومتقلص بشكل غريب.

– "ماذا؟"

كررت:

– "«ماذا»؟ «ماذا» اللعينة؟"

كانت روبن تشتم أقل بكثير مما يفعل سترايك. هواء الليل الرطب، الذي بدا جليديًا على وجه سترايك المتعرق، كان يفيقه بسرعة. بدت روبن غاضبة: في الواقع، أكثر غضبًا مما رآها عليه في أي وقت مضى. لكن الشراب كان لا يزال يبطئ ردود أفعاله، ولم يخطر بباله شيء أفضل من أن يكرر:

– "ماذا؟"

قالت:

– "تصل متأخرًا، لأنك بالطبع تفعل ذلك، لأنه متى أظهرت لي أبدًا اللياقة اللعينة المعتادة للوصول في الوقت المحدد –"

قال سترايك مرة أخرى، هذه المرة ليس لأنه يبحث عن معلومات بل لعدم التصديق:

– "ما...؟"

كانت هي المرأة الفريدة في حياته التي لم تحاول تغييره قط. لم تكن هذه روبن التي يعرفها.

– "تصل سكرانًا للغاية، لأنك بالطبع تفعل ذلك، لأنه ما أهميتي أنا؟ روبن فقط هي من ستشعر بالحرج، ورفيق سكني، وعائلتـ..."

تمكن سترايك من القول:

– "لم ينزعج."

ذكرياته عن الأمسية لم تكن واضحة بشكل خاص، لكنه كان واثقًا من ذلك، على الأقل: ماكس لم يمانع كونه ثملاً. ماكس أعطاه المزيد من الخمر. ماكس ضحك على نكتة قالها، والتي لم يستطع تذكرها الآن. لقد أحب ماكس.

– "ثم تشن هجومًا على ضيوفي. وبعد ذلك،" قالت روبن، "تعرضني لكشف شيء أردت إبقاءه خا... إبقاءه –"

كانت عيناها رطبتين فجأة، وقبضتاها مضمومتين، وجسدها متصلبًا.

– "– إبقاءه خاصًا ليتم تداوله في جدال لعين، أمام غرباء. هل خطر ببالك لمرة واحدة –"

قال سترايك:

– "انتظري لحظة، أنا لم أبدًا –"

– "– هل خطر ببالك لمرة واحدة أنني قد لا أرغب في مناقشة الاغتصاب، أمام أشخاص بالكاد أعرفهم؟"

– "أنا لم–"

– "لماذا كنت تسألني عما إذا كنت أعتقد أن «مسيرات العاهرات» (SlutWalks) فكرة جيدة؟"

– "حسنًا، بوضوح لأن –"

– "هل كنا بحاجة للحديث عن اغتصاب الأطفال على العشاء؟"

– "كنت أسجل نقط –"

– "ثم تخرج، وتتركني لـ –"

قال سترايك:

– "حسنًا، حسب ما يبدو، كلما غادرت أسرع، كان أفضـ –"

قالت، متقدمة نحوه، وأسنانها مكشرة، وهو لم يرها هكذا من قبل قط:

– "أفضل لك، لأنه تسنى لك إفراغ كل عدوانيتك في منزلي، ثم الخروج وتركي أنظف فوضاك اللعينة، كالمعتاد!"

قال سترايك، رافعًا حاجبيه:

– "«كالمعتاد اللعين»؟ انتظري دقيقـ –"

– "الآن علي العودة إلى هناك، وإصلاح الأمر، وتهدئة مشاعر الجميع –"

ناقضها سترايك:

– "لا، ليس عليكِ. اذهبي إلى الفراش اللعين إذا كـ –"

صرخت روبن، ضاربة نفسها بقوة على عظمة القص مع كل كلمة:

– "هذا. ما. أفعله! مثلما أتذكر أن أقول من فضلك وشكرًا للسكرتيرة، عندما لا تكترث أنت تباً! مثلما ألتمس الأعذار لمزاجك السيئ للآخرين عندما يشعرون بالإهانة! مثلما أتحمل طنًا من القرف نيابة عنك –"

قال سترايك، دافعًا نفسه بعيدًا عن السيارة المتوقفة، وناظرًا إليها من كامل طوله:

– "مهلاً. من أين يأتي كل هـ –؟"

– "– ولا يمكنك أن تكلف نفسك عناءً لعينًا، مع كل ما أفعله لك، لتصل صاحيًا لعشاء واحد –"

قال سترايك، ومزاجه يشتعل من جديد من رماد نشوته السابقة:

– "إذا كنتِ تصرين على المعرفة، كنت في الحانة مع نيك، الذي –"

– "– الذي فقدت زوجته طفلهما للتو! أعرف – وماذا بحق الجحيم كان يفعل في الحانة معك، تاركًا إياها لـ –"

نباح سترايك:

– "هي طردته! هل أخبرتكِ بذلك، خلال اجتماع تظلمات الأخوية العظمى؟ ولن أعتذر عن رغبتي في بعض الراحة والاستجمام اللعينين بعد الأسبوع الذي مررت به للتو –"

– "– بينما أنا لا أحتاج لراحة واستجمام، أليس كذلك؟ أنا لم أتنازل عن نصف إجازتي السنوية –"

– "كم مرة شكرتكِ لتغطيتي عندما أكون في كورنـ...؟"

– "إذن ما قصة تصرفك كوغد معي هذا الصباح، عندما تأخرت للمرة الأولى اللعينة على الإطلاق –"

– "نمت ثلاث ساعات ونصفًا –"

– "أنت تعيش فوق المكتب اللعين!"

قال سترايك: "تبًا لهذا"، وألقى سيجارته أرضًا. بدأ يبتعد عنها، متأكدًا الآن من الاتجاه إلى المترو، مفكرًا في الأشياء التي كان يمكن أن يقولها: إنه الذنب بشأن الضغط الذي كان يضعه على روبن هو ما أبقاه في لندن، بينما كان ينبغي أن يكون في سانت ماوس مع عمته المحتضرة؛ جوني روكبي على الهاتف ذلك الصباح؛ ودموع نيك في الحانة، والراحة التي شعر بها للجلوس مع صديق قديم والشرب، والاستماع لمشاكل شخص آخر بدلاً من القلق بشأن مشاكله الخاصة.

صرخت روبن من خلفه:

– "وإياك، أن تشتري لي المزيد من الزهور اللعينة!"

صرخ سترايك من فوق كتفه، وهو يبتعد بخطوات واسعة في الظلام:

– "لا خطر من حدوث ذلك!"

42

... قتاله الأخير
مع «بريتومارت»، أساء إليه وأوجعه بشدة،
حتى أنه لم يستطع ركوب جواده، إلا بعد أن يداوي جراحه.
إدموند سبنسر ملكة الجن

عندما استيقظ سترايك صباح السبت، بصداع يقرع رأسه وطعم كريه في فمه، استغرق الأمر منه بعض الوقت لتجميع ما حدث بالضبط في الليلة السابقة. بصرف النظر عن ذكرى التقيؤ، الذي شعر أنه فعله أكثر مما ينبغي مؤخرًا، كان كل ما استطاع تذكره في البداية هو وجه كايل الأحمر المشرق ووجه روبن الأبيض المتقلص.

لكن بعد ذلك، وببطء، أعاد بناء شكاوى روبن: الوصول متأخرًا وثملاً، والوقاحة مع أخيها، وإفساد حفل عشاء بإخبار اثنين من الطلاب بما اعتبره حقائق صادمة عن العالم الحقيقي. اعتقد أيضًا أنه تم ذكر كونه غير ودود بما يكفي مع الموظفين.

بحذر، نهض من السرير، وبمساعدة الأثاث، قفز على ساق واحدة في طريقه إلى الحمام ثم إلى الدش.

بينما كان سترايك يغتسل، تصارع دافعان منفصلان بداخله. أحدهما كان الرغبة في تبرير الذات، التي ربتت على ظهره ومنحته الفوز فيما استطاع تذكره من جداله مع الطلاب. والآخر كان صدقًا فطريًا حول دوافعه أجبره على الاعتراف بأن

عدائه الفوري لضيوف روبن كان متجذرًا في تشابههم مع نوعية الأشخاص الذين كانت والدته لتنجذب إليهم فورًا.

كانت حياة ليدا سترايك بأكملها معركة ضد القيود من أي نوع: الذهاب في مسيرة بملابسها الداخلية كان سيبدو لها مجرد ضربة رائعة أخرى ضد القيود. سترايك، الذي لم ينسَ أبدًا قلب ليدا الكريم أو حبها الراسخ للمستضعفين، كان مع ذلك واضح الرؤية بشأن حقيقة أن نشاطها اتخذ في الغالب شكل استعراضية متحمسة. لم تكن ليدا لتقبل بالكدح الممل المتمثل في طرق الأبواب لحشد التأييد، أو العمل الشاق المتمثل في التسويات، أو العمل المضني الذي يستلزمه التغيير الهيكلي. لم تكن أبدًا مفكرة عميقة أو ناقدة، وكانت فريسة سهلة لما اعتبره سترايك "دجالين فكريين". أساس فلسفة حياتها، إذا كان يمكن استخدام كلمة كهذه لمجموعة فضفاضة من النزوات وردود الفعل التلقائية التي أسمتها معتقدات، كان أن كل ما ترفضه البرجوازية لابد أن يكون جيدًا وصحيحًا. بطبيعة الحال، كانت ستنحاز إلى كايل وكورتني في الدفاع عن المواد الإباحية و"مسيرات العاهرات"، وكانت سترى اعتراضات ابنها كشيء لابد أنه التقطه من زوجة أخيها مفسدة المتع.

بينما كان سترايك يجفف نفسه ويضع ساقه الاصطناعية، متحركًا بحذر احترامًا لرأسه النابض بالألم، خطرت له فكرة الاتصال بروبن، لكنه استبعدها. عادته الراسخة منذ زمن طويل، في أعقاب شجار مع امرأة، كانت انتظار قيامها بالخطوة التالية، وهو ما اعتبره مجرد حس سليم. إذا اعتذرت، فذلك حسن وجيد؛ وإذا أرادت المزيد من النقاش، فهناك فرصة لأن تكون أكثر هدوءًا بعد فترة من التفكير؛ وإذا كانت لا تزال غاضبة، فمن الماسوشية ببساطة التطوع لمزيد من الغم حتى تأتي هي بحثًا عنه. بينما لم يكن سترايك معارضًا من حيث المبدأ لتقديم اعتذار غير مطلوب في حال شعر أنه كان مخطئًا، فمن الناحية العملية كانت اعتذاراته تميل لأن تقدم متأخرة، وفقط عندما يصبح من الواضح أن الحل لن يأتي بأي طريقة أخرى.

هذا الأسلوب في العمل (modus operandi) يدين بالكثير لتجاربه مع شارلوت. محاولة التصالح مع شارلوت قبل استنفاد آخر ذرة من غضبها كانت مثل محاولة إعادة بناء منزل أثناء زلزال. في بعض الأحيان، بعد أن يرفض الرضوخ لطلب جديد ما – عادة ترك الجيش، لكن أحيانًا التخلي عن الاتصال بصديقة أخرى أو رفض إنفاق مال لا يملكه، وكلها كانت تراها شارلوت دليلاً على أنه لا يحبها – كانت شارلوت ترحل، وفقط بعد عودتها، وبحلول ذلك الوقت قد يكون سترايك قد التقى أو نام مع شخص آخر، تتم مناقشة الشجار. جدالاتهم كانت تستمر غالبًا لأسبوع أو أكثر. مرتين، عاد سترايك لمهام في الخارج قبل أن يتم حل أي شيء.

ومع ذلك، وبينما كان يأكل لفافة لحم مقدد كان في أمس الحاجة إليها، ويشرب القهوة ويبتلع قرصين من "النوروفين"؛ وبعد أن اتصل بـ تيد، وسمع أن جوان لا تزال صامدة، وأكد له أنه ولوسي سيكونان هناك في اليوم التالي؛ وبينما كان يفتح بضع رسائل بريدية، ويمزق دعوة كبيرة ذات حواف مذهبة لحفلة الذكرى الخمسين لفرقة "ديدبيتس" في مايو؛ وأثناء تسوق الطعام في الرياح والمطر الأبديين، مخزنًا ما قد يكون لرحلة تستغرق ساعات عديدة؛ وبينما كان يحزم الملابس للرحلة، ويتحدث إلى لوسي ويتحقق من توقعات الطقس، ظلت أفكاره تعود إلى روبن.

تدريجيًا أدرك أن ما كان يزعجه أكثر هو حقيقة أنه اعتاد على كون روبن في صفه، وهو أحد الأسباب الرئيسية التي تجعله يميل للبحث عن أسباب للاتصال بها إذا كان في وقت فراغ أو يشعر بالإحباط. بمرور الوقت، طورا زمالة مريحة ومرضية للغاية، ولم يتخيل سترايك أنه يمكن تعطيلها بما صنفه على أنه "شجار حفلة عشاء".

عندما رن هاتفه في الرابعة مساءً، فاجأ نفسه بالتقاطه بسرعة على أمل أن تكون شريكته، ليرى رقمًا مجهولاً آخر. متسائلاً عما إذا كان على وشك سماع روكبي مرة أخرى، أو قريب دم مجهول آخر، أجاب.

– "سترايك."

قال صوت نسائي حاد، من الطبقة المتوسطة:

– "ماذا؟"

– "كورموران سترايك معك. من المتحدث؟"

– "كلير سبنسر، الأخصائية الاجتماعية لآل آثورن. تركتَ رسالة لي."

قال سترايك، ساحبًا كرسي مطبخ وجالسًا:

– "أوه، نعم. شكرًا لمعاودة الاتصال بي، يا سيدة – إم – آنسة سبنسر."

قالت، وبدت مستمتعة قليلاً:

– "سيدة. هل لي أن أسأل فقط – هل أنت كورموران سترايك الشهير؟"

– "أشك أن هناك الكثير غيري."

مد يده لسجائره، ثم دفعها بعيدًا مرة أخرى. كان يحتاج حقًا للتقليل منها.

قالت كلير سبنسر:

– "فهمت. حسنًا، كانت صدمة بعض الشيء تلقي رسالة منك. كيف تعرف آل آثورن؟"

قال سترايك، مفكرًا في مدى عدم دقة هذا البيان:

– "ظهر اسمهم في سياق قضية أحقق فيها."

– "هل كنت أنت من دخل متجر جارهم في الطابق السفلي، وهدده؟"

– "لم أهدده. لكن موقفه بدا عدوانيًا، لذا أشرت إلى أن لديهم أصدقاء قد يستاؤون إذا تنمر عليهم."

قالت كلير، وبدت أكثر دفئًا:

– "هاه. إنه فظيع، ذلك الرجل. يحاول إخراجهم من تلك الشقة منذ زمن طويل. يريد شراء المبنى بأكمله. أزال جدارًا داعمًا، ثم حاول إلقاء اللوم على ديبورا وسامهاين في ترهل سقفه. لقد سبب لهم الكثير من التوتر."

– "الشقة كانت –" كاد سترايك يقول "نُظفت من القذارة"، لكنه حاول إيجاد طريقة أكثر تهذيبًا للقول، "– نُظفت بعناية مؤخرًا، كما قال؟"

– "نعم. لا أنكر أنها كانت فوضوية جدًا، لكننا رتبنا ذلك الآن، وأما عن قوله إنهم تسببوا في أضرار هيكلية، فقد أحضرنا مساحًا قام بفحص المكان بالكامل ووافق على أنه لا يوجد شيء خاطئ فيه. يا له من رجل انتهازي. على أية حال،

فعلت شيئًا جيدًا، هناك، بتحذيره. يعتقد أنه لأنهم ليس لديهم الكثير من الأقارب المقربين، يمكنه الإفلات بترهيبهم. إذن، ما هذه القضية التي تحقق فيها؟"

بإيجاز، أخبرها سترايك عن مارغو بامبورو، واختفائها في عام 1974، والمعلومات التي قادته إلى باب آل آثورن.

اختتم قائلاً:

– "... وهكذا، أردت التحدث إلى شخص يمكنه إخباري بمدى الاعتماد الذي يمكنني وضعه على ما أخبروني به."

ساد صمت قصير.

قالت كلير، التي بدت أكثر تحفظًا الآن قليلاً:

– "فهمت. حسنًا، أخشى أن لدي واجب السرية بصفتي أخصائيتهم الاجتماعية، لذا –"

– "هل يمكنني طرح بعض الأسئلة عليكِ؟ وإذا لم تستطيعي الإجابة، سأقبل ذلك بوضوح."

قالت:

– "حسنًا."

كان لديه انطباع بأن تصرفاته فيما يتعلق ببائع الخردوات المتنمر قد وضعتها في صفه.

قال سترايك:

– "من الواضح أنهما مؤهلان للعيش بمفردهما."

قالت كلير:

– "مع الدعم، نعم. لقد أبلوا بلاءً حسنًا في الواقع. لديهم رابط متبادل قوي. ربما هو ما أبقى كليهما خارج الرعاية المؤسسية."

– "وما هو بالضبط –؟" تساءل سترايك عن كيفية صياغة السؤال بحساسية. جاءت كلير لمساعدته.

– "متلازمة الهشاشة (Fragile X syndrome) X. ديبورا تؤدي وظائفها بشكل جيد نسبيًا، رغم أن لديها بعض الصعوبات الاجتماعية، لكنها تستطيع القراءة

وما إلى ذلك. سامهاين يتكيف بشكل أفضل اجتماعيًا، لكن إعاقته الإدراكية أكبر من والدته."

– "والأب، غويليم –؟"

ضحكت كلير.

– "أنا أخصائيتهم الاجتماعية منذ عامين فقط. لم أعرف غويليم قط."

– "ألا يمكنكِ إخباري بمدى سلامة عقله؟"

كان هناك توقف أطول.

قالت أخيرًا:

– "حسنًا، أعتقد... يبدو أنه من المعروف عمومًا أنه كان غريب الأطوار جدًا. تحدث معي أفراد مختلفون من العائلة عنه. يبدو أنه كان يعتقد أنه يستطيع سحر الناس. بالسحر الأسود، كما تعلم."

– "أخبرتني ديبورا بشيء وجدته... مقلقًا قليلاً. تضمن طبيبًا يدعى الدكتور برينر، الذي كان شريكًا للدكتورة بامبورو في عيادة سانت جون. ربما كانت تشير إلى فحص طبي، لكن –"

ظن أن كلير قالت شيئًا.

– "عذرًا؟"

– "لا، لا شيء. ماذا أخبرتك بالضبط؟"

– "حسنًا، ذكرت اضطرارها لخلع سروالها الداخلي، وعدم رغبتها في ذلك، لكنها قالت إن غويليم أخبرها أنه يجب عليها ذلك. افترضت –"

– "كان هذا طبيبًا؟"

– "نعم."

كان هناك توقف آخر، أطول.

قالت كلير أخيرًا:

– "لا أعرف حقًا ماذا أقول لك. من الممكن أن يكون ذلك فحصًا طبيًا، لكن... حسنًا، الكثير من الرجال اعتادوا زيارة تلك الشقة."

لم يقل سترايك شيئًا، متسائلاً عما إذا كان يتم إخباره بما يعتقد أنه يتم إخباره به.

قالت كلير:

– "كان على غويليم الحصول على مال الشراب والمخدرات من مكان ما. مما كشفته ديبورا للأخصائيين الاجتماعيين على مر السنين، نعتقد أنه كان – حسنًا، لعدم تجميل الكلام، نعتقد أنه كان يؤجرها (يستغلها في الدعارة)."

تمتم سترايك باشمئزاز:

– "يا للمسيح."

– "أعرف. من مقتطفات وأجزاء أخبرت بها مقدمي الرعاية، نعتقد أن غويليم اعتاد أخذ سامهاين للخارج كلما كانت مع عميل. إنه أمر مروع. إنها ضعيفة جدًا. في المحصلة، لا أستطيع الأسف لأن غويليم مات شابًا. لكن من فضلك – لا تذكر أيًا من هذا لعائلة ديبورا، إذا تحدثت إليهم. ليس لدي أي فكرة عما يعرفونه، وهي سعيدة ومستقرة هذه الأيام. لا داعي لإزعاج أي شخص."

قال سترايك:

– "لا، بالطبع لا." وتذكر كلمات سامهاين: جو *برينر العجوز كان رجلاً عجوزًا قذرًا.*

– "ما مدى موثوقية ذاكرة سامهاين في رأيك؟"

– "لماذا؟ ماذا أخبرك؟"

– "بضعة أشياء قالها عمه تيدور."

قالت كلير بحذر:

– "حسنًا، الأشخاص المصابون بمتلازمة الهشاشة X عادة ما تكون لديهم ذكريات طويلة المدى جيدة جدًا. أود القول إنه سيكون أكثر موثوقية بشأن الأشياء التي أخبره بها عمه تيدور من العديد من الموضوعات الأخرى."

– "يبدو أن العم تيدور كانت لديه نظرية حول ما حدث لمارغو بامبورو. تضمنت بعض الأشخاص المدعوين «نيكو وأولاده»."

قالت كلير:

– "آه، نعم. هل تعرف من ذاك؟"

– "أكملي."

– "كان هناك رجل عصابات قديم اعتاد العيش في كليركينويل، يدعى نيكولو ريتشي. يحب سامهاين الحديث عن «نيكو وأولاده». وكأنهم أبطال شعبيون، أو شيء من هذا القبيل."

تحدثا لدقيقتين أخريين، لكن لم يكن لدى كلير المزيد من الأمور المهمة لترويها.

– "حسنًا، شكرًا جزيلاً لمعاودة الاتصال بي. الأخصائيون الاجتماعيون يعملون أيام السبت مثل المحققين، كما أرى."

قالت بجفاف:

– "الناس لا يتوقفون عن الحاجة للمساعدة في عطلات نهاية الأسبوع. حظًا سعيدًا. آمل أن تكتشف ما حدث لتلك الطبيبة المسكينة."

لكنه استطاع أن يدرك من نبرتها، مهما كانت ودودة، أنها تعتقد أن ذلك مستبعد للغاية.

استقر صداع سترايك الآن في نبض كليل يزداد إذا انحنى أو وقف بسرعة كبيرة. عاد إلى ترتيباته المنهجية لمغادرة اليوم التالي إلى كورنوال، مفرغًا ثلاجته من السلع القابلة للتلف، صانعًا شطائر للرحلة؛ مستمعًا للأخبار، التي أخبرته أن ثلاثة أشخاص ماتوا في ذلك اليوم نتيجة للظروف الجوية السيئة؛ حازمًا حقيبته؛ متأكدًا من أن رسائل بريده الإلكتروني محدثة، واضعًا رسالة "خارج المكتب" تعيد توجيه العملاء المحتملين إلى بات، ومتحققًا من الجدول، للتأكد من أنه تم تعديله لاستيعاب غيابه. خلال كل هذه المهام أبقى أذنًا صاغية لهاتفه المحمول، في حال وصول رسالة نصية من روبن، لكن لم يأتِ شيء.

أخيرًا، في الساعة الثامنة، بينما كان ينهي طهي وجبة مقلية شعر أنه يستحقها نظرًا لصداعه النصفي ومدى صعوبة عمله طوال اليوم، اهتز هاتفه المحمول أخيرًا. من عبر الطاولة، رأى أن ثلاث رسائل نصية طويلة متتالية قد وصلت. عالماً بأنه سيغادر في الصباح التالي دون أي فكرة واضحة عن موعد

عودته، بدا أن روبن قد بدأت عملية المصالحة كما اعتادت النساء أن تفعل، بمقال عن مظالمها المختلفة. فتح الرسالة الأولى، مستعدًا بشهامة لقبول أي شروط تقريبًا لسلام متفاوض عليه، وعندها فقط أدرك أنها من رقم مجهول.

ظننت أن اليوم هو عيد الحب لكنني أدركت للتو أنه الـ 15. لقد وضعوني على الكثير من الأدوية هنا لدرجة أنني بالكاد أستطيع تذكر اسمي. أنا في مصحة (مكان) مرة أخرى. هذا ليس هاتفي. هناك امرأة أخرى هنا مسموح لها بهاتف وأعارته لي. رقمك هو رقم الهاتف المحمول الوحيد الذي أعرفه عن ظهر قلب. لماذا لم تغيره أبدًا؟ هل كان ذلك بسببي أم أن هذا غروري. أنا ممتلئة جدًا بالأدوية لدرجة أنني لا أستطيع الشعور بأي شيء لكنني أعلم أنني أحبك. أتساءل كم سيتعين عليهم إعطائي قبل أن يذهب ذلك أيضًا. ما يكفي لقتلي أفترض.

الرسالة التالية، من نفس الرقم، قرأت:

كيف قضيت عيد الحب. هل مارست الجنس. أنا هنا جزئيًا لأنني لا أريد الجنس. لا أطيق لمسه لي وأعلم أنه يريد المزيد من الأطفال. أفضل الموت على إنجاب المزيد. في الواقع أفضل الموت على معظم الأشياء. لكنك تعرف ذلك عني. هل سأراك مرة أخرى؟ يمكنك المجيء ورؤيتي هنا. اليوم تخيلتك تدخل، كما فعلت عندما كانت ساقك. تخيلتك تخبرهم أن يدعوني أذهب لأنك تحبني وستعتني بي. بكيت و

تابعت الرسالة الثالثة:

الطبيب النفسي كان مسرورًا لرؤيتي أبكي لأنهم يحبون العاطفة. لا أعرف ما هو العنوان الكامل لكنه يسمى «سيموندز هاوس». أحبك لا تنسني مهما حدث لي. أحبك.

رسالة رابعة وأخيرة قرأت:

إنها شارلوت في حال لم يكن ذلك واضحًا.

قرأ سترايك السلسلة بأكملها مرتين. ثم أغمض عينيه، ومثل الملايين من رفاقه البشر، تساءل لماذا لا تأتي المصائب فرادى أبدًا، بل في انهيارات جليدية، بحيث تصبح غير متوازن بشكل متزايد مع كل ضربة تصيبك.

43

وأنتِ أيتها الفارس الحسناء، سيدتي الأعز،
خففي من قسوة إرادتك الغاضبة،
فخيرٌ لتلك النار أن تتحول إلى لهيب آخر؛
وبمحو ذكرى كل سوء،
امنحيه عفوك...
إدموند سبنسر ملكة الجن

لارتياح روبن، استيقظ ضيوفها الثلاثة مبكرًا في صباح اليوم التالي، لأنهم أرادوا قضاء يوم كامل في لندن. كان الجميع هادئين بعد ما اعتبرته روبن "عشاء الكابوس". خشيت توسلاً باكيًا للمغفرة من كورتني، التي بدت محبطة بشكل خاص، لذا اصطنعت روبن نشاطًا مبتهجًا لم تكن تشعر به بالتأكيد، مقدمة توصيات لأماكن رخيصة لتناول الطعام وأشياء جيدة لرؤيتها قبل توديع الطلاب. ولأن روبن كان من المقرر أن تقوم بالمراقبة على إلينور دين طوال الليل، فقد أعطت جوناثان مفتاحًا احتياطيًا، ولم تكن نادمة لأنها ستكون على الأرجح لا تزال في ستوك نيوينغتون عندما يعود الطلاب إلى مانشستر، لأنهم كانوا ينوون اللحاق بقطار منتصف صباح الأحد.

رغبة منها في عدم الانفراد بـ ماكس، في حال أراد "تشريح" أحداث الليلة السابقة، جعلت روبن من نفسها سجينة طوعية في غرفة نومها طوال اليوم، حيث واصلت العمل على حاسوبها المحمول، محاولة حجب موجات الغضب تجاه سترايك، والرغبة في البكاء التي ظلت تهدد بالتغلب عليها. ورغم محاولتها الجادة

للتركيز على معرفة من كان يعيش في "ممر القدس" عندما اختفت مارغو، إلا أن أفكارها ظلت تعود لشريكها.

لم تتفاجأ روبن على الإطلاق لعدم سماعها منه، لكن فليحل عليها اللعنة إن هي بادرت بالاتصال. لم تستطع بضمير مرتاح سحب كلمة واحدة مما قالته بعد مشاهدته يتقيأ في المزراب، لأنها سئمت من اعتبار وجودها وجهدها أمرًا مفروغًا منه بطرق لم يدركها سترايك.

لكن مع تقدم فترة ما بعد الظهر، واستمرار المطر في الهطول خارج نافذتها، ورغم أنها لم تكن ثملة تقريبًا مثل سترايك، تطور لديها صداع كليل. تساوت أجزاء البؤس والغضب في سحبها لأسفل في كل مرة تذكرت فيها عشاء الليلة الماضية، وكل الأشياء التي صرخت بها في وجه سترايك في الشارع. تمنت لو تستطيع البكاء، لكن الضيق في صدرها منعها من ذلك. غلى غضبها من جديد كلما تذكرت سترايك السكران وهو يهاجم ضيوفها، لكنها وجدت نفسها بعد ذلك تعيد تشغيل حجج كورتني وكايل في رأسها. كانت واثقة من أن أيًا من الطلاب لم يحتك أبدًا بالقبح الذي واجهته روبن، ليس فقط تحت ذلك الدرج المظلم في سكنها الجامعي، بل خلال عملها مع سترايك: نساء معنفات، فتيات مغتصبات، وموت. لم يرغبوا في سماع قصص سترايك، لأنه كان من المريح أكثر بكثير الاعتقاد بأن اللغة وحدها يمكنها إعادة تشكيل العالم. لكن أيًا من ذلك لم يجعلها تشعر بلطف أكبر تجاه شريكها: على العكس، استاءت من اتفاقها معه. كان يبحث عن شخص أو شيء ليهاجمه، وكانت هي من دفع الثمن.

أجبرت روبن نفسها على مواصلة العمل، لأن العمل كان ثابتها الوحيد، وخلاصها. بحلول الثامنة مساءً، كانت روبن متأكدة، بقدر ما يسمح به فحص دقيق للسجلات عبر الإنترنت، أن لا أحد ممن يعيشون في ممر القدس كان هناك منذ أربعين عامًا. بحلول هذا الوقت، كانت جائعة جدًا لدرجة أنها احتاجت حقًا لأكل شيء ما، مما خشيت أن يعني مواجهة ماكس، ومناقشة سترايك.

وبالفعل، عندما وصلت إلى منطقة المعيشة، وجدت ماكس جالسًا يشاهد التلفزيون وفولفغانغ في حجره. كتم صوت الأخبار لحظة رؤيتها، وهبط قلب روبن.

قال:

– "مساء الخير."

قالت روبن:

– "مرحبًا. سأصنع لنفسي شيئًا لآكله. هل تريد أي شيء؟"

– "لا يزال هناك قليل من الكسرولة، إذا كنتِ تريدينها."

– "سترايك لم ينهها كلها، إذن؟"

ذكرته أولاً بنية الانتهاء من الأمر. استطاعت أن تدرك أن لدى ماكس أشياء ليقولها.

قال ماكس:

– "لا."

رفع فولفغانغ الناعس إلى الأريكة بجانبه، ونهض وانتقل للمطبخ.

– "سأسخنها لكِ."

– "لا داعي، يمكنني –"

لكن ماكس فعل ذلك، وعندما استقرت روبن على الطاولة مع طعامها ومشروب، جلس على الطاولة معها ومعه بيرة. كان هذا غير معتاد للغاية وشعرت روبن بالتوتر فجأة. هل كان يتم تهيئتها لنوع من الإعلان غير المرحب به؟ هل قرر ماكس، في نهاية المطاف، بيع الشقة؟

قال:

– "لم أخبركِ قط كيف انتهى بي المطاف في شقة جميلة كهذه، أليس كذلك؟"

قالت روبن بحذر:

– "لا."

– "حصلت على تعويض كبير، قبل خمس سنوات. إهمال طبي."

– "أوه."

ساد صمت. ابتسم ماكس.

– "عادة ما يقول الناس: «تّبا، ما الخطأ الذي حدث؟» لكنك لا تحققين أبدًا، أليس كذلك؟ لاحظت ذلك. لا تطرحين الكثير من الأسئلة."

– "حسنًا، علي فعل الكثير من ذلك في العمل."

لكن لم يكن هذا هو السبب في أنها لم تسأل ماكس عن أموره المالية، ولم يكن السبب في أنها لم تسأل الآن عما حدث لجسده أو علاجه. كان لدى روبن الكثير من الأشياء في ماضيها الخاص التي لم ترد أن يتم التحقيق فيها بلا نهاية لدرجة أنها لا تريد التسبب في عدم الراحة للآخرين.

قال ماكس، متفحصًا الملصق على زجاجة البيرة الخاصة به:

– "كنت أعاني من خفقان قبل سبع سنوات. عدم انتظام ضربات القلب (أريثميا). تم تحويلي إلى أخصائي قلب وقام بإجراء عملية: فتح صدري وقام بكي العقدة الجيبية. ربما لا تعرفين ما هي،" قال ناظرًا إلى روبن، وهزت رأسها. "أنا لم أكن أعرف أيضًا، حتى أفسدوا قلبي. بشكل أساسي، دمروا قدرة قلبي على النبض من تلقاء نفسه. انتهى بي الأمر بضرورة تركيب جهاز تنظيم ضربات القلب."

قالت روبن، وقطعة من اللحم معلقة في الهواء على شوكتها:

– "أوه لا."

– "والجزء الأفضل كان،" قال ماكس، "أنه لم يكن أي من ذلك ضروريًا. لم يكن هناك أي خطب في العقدة الجيبية الخاصة بي في المقام الأول. اتضح أنني لم أكن أعاني من تسرع القلب الأذيني على الإطلاق. كان رهاب المسرح."

– "أنا – ماكس، أنا آسفة جدًا."

قال ماكس، آخذًا رشفة من بيرته:

– "أجل، لم يكن الأمر جيدًا. عمليتان جراحيتان للقلب المفتوح غير ضروريتين، ومضاعفات لا تنتهي. فقدت وظائف، وكنت عاطلاً عن العمل لمدة أربع سنوات وما زلت أتناول مضادات الاكتئاب. قال ماثيو إنه يجب علي متابعة دعوى ضد الأطباء. ربما لم أكن لأفعل، لو لم يلح علي. أتعاب محامين. طن من التوتر. لكنني فزت في النهاية، وحصلت على تعويض كبير، وأقنعني بوضع كل

شيء في عقار لائق. إنه محامٍ، يكسب مالاً وفيرًا. على أية حال، اشترينا هذا المكان."

أزاح ماكس شعره الأشقر الكثيف عن وجهه ونظر للأسفل إلى فولفغانغ، الذي هرول للطاولة ليتلذذ برائحة الكسرولة مرة أخرى.

– "بعد أسبوع من انتقالنا، أجلسني وأخبرني أنه راحل. كان الحبر بالكاد قد جف على عقد الرهن العقاري. قال إنه ناضل ضد ذلك، لأنه شعر بالولاء تجاهي، بسبب ما مررت به، لكنه لم يستطع محاربة مشاعره أكثر من ذلك. أخبرني،" قال ماكس، بابتسامة جوفاء، "أنه أدرك أن الشفقة ليست حبًا. أراد مني الاحتفاظ بالشقة، لم يرد مني شراء حصته – كما لو كان بإمكاني فعل ذلك – فوقع متنازلاً عن نصفه. كان ذلك ليجعله يشعر بذنب أقل، بوضوح. وذهب مع تياغو. إنه برازيلي، الرجل الجديد. يملك مطعمًا."

قالت روبن بهدوء:

– "هذا، يبدو كالجحيم."

– "أجل، كان كذلك... أحتاج حقًا للتوقف عن النظر إلى حساباتهم اللعينة على إنستغرام." أطلق ماكس تنهيدة عميقة وفرك بشرود القميص فوق الندوب على صدره. "بوضوح فكرت في البيع فقط، لكننا بالكاد عشنا هنا معًا، لذا فالأمر ليس وكأن المكان يحمل طنًا من الذكريات. لم يكن لدي الطاقة للمرور بمزيد من البحث عن منزل والانتقال، لذا بقيت هنا، أكافح لسداد الرهن العقاري كل شهر."

ظنت روبن أنها تعرف لماذا يخبرها ماكس بكل هذا، وتأكد حدسها عندما نظر إليها مباشرة وقال:

– "على أية حال، أردت فقط أن أقول، أنا آسف بشأن ما حدث لك. لم تكن لدي أي فكرة. إلسا أخبرتني فقط أنكِ احتُجزتِ تحت تهديد السلاح –"

قالت روبن، ولدهشة ماكس الواضحة، بدأت تضحك:

– "أوه، لم أتعرض للاغتصاب حينها."

بلا شك كان تعبها، لكنه كان راحة أن تجد كوميديا سوداء في هذه الليتاني (التلاوة الطويلة) من الأشياء الرهيبة التي يفعلها البشر ببعضهم البعض، رغم أن

شيئًا من ذلك لم يكن مضحكًا حقًا على الإطلاق: قلبه المشوه، وقناع الغوريلا في كوابيسها.

– "لا، الاغتصاب حدث قبل عشر سنوات. ولهذا السبب تركت الجامعة."

قال ماكس:

– "تبًا."

– "أجل،" قالت روبن، ومرددة صدى كلمات ماكس، قالت: "لم يكن الأمر جيدًا."

سأل ماكس، وعيناه على ساعد روبن:

– "إذن متى حدث شيء السكين؟"

فضحكت مرة أخرى. حقًا، ماذا كان هناك لتفعله غير ذلك؟

– "كان ذلك قبل عامين."

– "أثناء العمل لسترايك؟"

– "نعم." وتوقفت روبن عن الضحك الآن. "اسمع، بخصوص الليلة الماضية —"

قال ماكس:

– "لقد استمتعت بالليلة الماضية."

– "لا يمكنك أن تكون جادًا."

– "أنا جاد تمامًا. كان مفيدًا حقًا لبناء شخصيتي. لديه طاقة «رجل ضخم حقيقي لا يقبل الهراء»، أليس كذلك؟"

– "تعني أنه يتصرف كأحمق (Dick)؟"

ضحك ماكس وهز كتفيه.

– "هل هو مختلف جدًا وهو صاحٍ؟"

– "نعم، حسنًا – لا أعرف. أقل حماقة." وقبل أن يتمكن ماكس من سؤال أي شيء آخر عن شريكها، قالت بسرعة: "إنه محق بشأن طهيك، على أية حال. كان رائعًا. شكرًا جزيلاً، كنت بحاجة لذلك حقًا."

بعد التنظيف، عادت روبن للطابق السفلي، حيث استحمت قبل تغيير ملابسها لمراقبة الليلة. مع بقاء ساعة قبل أن تحتاج لتولي المهمة من هاتشينز، جلست مرة أخرى على سريرها وكتبت بكسل تنويعات على اسم بول ساتشويل في غوغل. *بول ل. ساتشويل. ل. ب. ساتشويل. بول ليونارد ساتشويل. ليو بول ساتشويل.*

رن هاتفها المحمول. نظرت للأسفل. كان سترايك. بعد لحظة أو اثنتين، التقطته، لكنها لم تقل شيئًا.

– "روبن؟"

– "نعم."

– "هل أنتِ بخير للتحدث؟"

قالت مرة أخرى: "نعم"، وقلبها ينبض أسرع من المعتاد وهي تعبس في السقف.

– "أتصل للاعتذار."

كانت روبن مذهولة جدًا لدرجة أنها لم تقل شيئًا لعدة ثوانٍ. ثم نظفت حلقها وقالت:

– "هل يمكنك حتى تذكر ما تعتذر عنه؟"

– "إم... أجل، أعتقد ذلك،" قال سترايك. "أنا... لم أقصد أن يتم نبش ذلك الموضوع. كان يجب أن أدرك أنه ليس موضوعًا تودين مناقشته على العشاء. لم أفكر."

بدأت الدموع في عيني روبن أخيرًا.

قالت، محاولة أن تبدو غير مبالية:

– "حسنًا."

– "وأنا آسف لكوني وقحًا مع أخيك وأصدقائه."

– "شكرًا لك."

ساد صمت. المطر لا يزال يهطل بالخارج. ثم قال سترايك:

– "هل سمعتِ من إلسا؟"

– "لا. هل سمعت من نيك؟"

– "لا."

ساد صمت آخر.

– "إذن، نحن بخير، هاه؟"

قالت روبن، متسائلة عما إذا كان ذلك صحيحًا:

– "نعم."

قال سترايك:

– "إذا كنت قد اعتبرت وجودك أمرًا مفروغًا منه (مسلّماً به)، فأنا آسف. أنتِ أفضل ما لدي."

قالت روبن، متخلية عن التظاهر بأنها لا تبكي وهي تستنشق دموعها:

– "أوه، بحق الجحيم يا سترايك."

– "ماذا؟"

– "أنت فقط... أنت تثير الحنق بشكل لعين."

– "لماذا؟"

– "قولك ذلك. الآن."

– "ليست المرة الأولى التي أقول فيها ذلك."

– "بلى، هي كذلك في الواقع."

– "لقد أخبرت أشخاصًا آخرين."

قالت روبن، تضحك وتبكي في آن واحد الآن وهي تمد يدها للمناديل:

– "أجل، حسنًا، أترين كيف أن ذلك ليس نفس الشيء مثل إخباري أنا؟"

قال سترايك:

– "أجل، أفترض ذلك. الآن وقد ذكرتِ الأمر."

كان يدخن على طاولة مطبخه الصغيرة المصنوعة من الفورميكا بينما كان المطر الأبدي يهطل خارج نافذة عليته. بطريقة ما، جعلته رسائل شارلوت النصية يدرك أنه يجب أن يتصل بروبن، يجب أن يصلح الأمور معها قبل أن ينطلق إلى

كورنوال وجوان. الآن صوتها، وضحكتها، كان لهما تأثير عليه كالمعتاد، بجعل كل شيء يبدو أقل سوءًا بمقدار ضئيل.

سألت روبن، مجففة عينيها:

– "متى ستغادر؟"

– "غدًا في الثامنة. لوسي ستقابلني عند تأجير السيارات. لدينا سيارة جيب."

– "حسنًا، كن حذرًا." كانت قد سمعت في الأخبار ذلك اليوم عن الأشخاص الثلاثة الذين ماتوا، محاولين السفر عبر الرياح والفيضانات.

– "أجل. لا أستطيع التظاهر بأنني لا أتمنى لو كنتِ أنتِ من تقودين. لوسي فظيعة بشكل لعين خلف عجلة القيادة."

– "يمكنك التوقف عن إطرائي الآن. لقد سامحتك."

قال سترايك، وعيناه على المطر الذي لا يرحم:

– "أنا جاد. أنتِ ودورة القيادة المتقدمة الخاصة بك. أنتِ الشخص الوحيد الذي لا يرعبني حتى الموت خلف عجلة القيادة."

– "هل تعتقد أنكما ستصلان؟"

– "ربما ليس طوال الطريق بالجيب. لكن بولورث مستعد لإنقاذنا. لديه إمكانية الوصول لقوارب مطاطية. علينا أن نفعلها. قد لا يتبقى لجوا سوى أيام."

– "حسنًا، سأفكر فيك،" قالت روبن. "آمل أن يسير كل شيء على ما يرام."

– "شكرًا، روبن. ابقي على اتصال."

بعد أن أغلق سترايك الخط، جلست روبن لفترة، تتلذذ بالشعور المفاجئ بالخفة الذي ملأها. ثم سحبت حاسوبها المحمول نحوها، مستعدة لإغلاقه قبل المغادرة للمراقبة الليلية في اللاند روفر. بشكل عارضي، وكأنها ترمي النرد لمرة أخيرة قبل الابتعاد عن طاولة القمار، كتبت *"بول ساتشويل فنان"* في غوغل.

... الفنان بول ساتشويل قضى معظم حياته المهنية في جزيرة كوس اليونانية...

قالت روبن بصوت عالٍ، وكأن الحاسوب قد تحدث إليها:

– "ماذا؟"

نقرّت على النتيجة، وملأ موقع متحف ومعرض الفنون في ليمنغتون سبا الشاشة. لم تره مرة واحدة، في كل ساعات بحثها عن ساتشويل. هذه الصفحة إما أنشئت للتو أو عُدلت.

معرض مؤقت 3 - 7 مارس 2014

فنانون محليون

سيستضيف متحف ومعرض الفنون في ليمنغتون سبا معرضًا مؤقتًا لفنانين من منطقة وركشير. الدخول مجاني.

مررت روبن لأسفل الصفحة متجاوزة صور فنانين مختلفين حتى رأته.

كان هو، بلا شك، نفس الرجل. قد يكون وجهه قد أصبح كالجلمود ومتشققا، وأسنانه قد اصفرت، وشعره الكثيف المجعد تحول لأكثر بياضًا وخفة، لكنه لا يزال يتدلى إلى كتفيه، بينما قميصه المفتوح يظهر شعر صدر أبيض كثيفًا.

ولد في ليمنغتون سبا ونشأ في وارويك، قضى الفنان بول ساتشويل معظم حياته المهنية في جزيرة كوس اليونانية. يعمل بشكل رئيسي بالألوان الزيتية، استكشاف بول المتأثر بالثقافة الهيلينية للأساطير يتحدى المشاهد لمواجهة المخاوف البدائية وفحص المفاهيم المسبقة من خلال الاستخدام الحسي للخط واللون...

44

بحرٌ هائلٌ من الأحزان، وأسىً عاصف،
تتقاذفُ فيه سفينتي الواهية طويلاً،
بعيدةً عن مرفأ الخلاص المأمول،
لماذا تضربُ أمواجك القاسية بهذه القوة،
وجبالك الرطبة تتزاحمُ فوق بعضها،
مهددةً بابتلاع حياتي المذعورة؟

إدموند سبنسر ملكة الجن

كانت مياه العاصفة، والأمطار والرياح العاتية التي واجهاها حقيقية بما يكفي، ومع ذلك، كان لكفاح سترايك ولوسي للوصول إلى سانت ماوس طابع غريب يشبه الحلم. كلاهما كان يعلم أن الموت يكمن في النهاية؛ وكلاهما كان مصممًا على أنه إذا تمكنا من الوصول إلى جوان وهي على قيد الحياة، فسيبقيان معها حتى تموت.

تمايلت الأشجار وصرت بينما كانا يسرعان على طول الطريق السريع. اضطرا للانحراف حول بحيرات واسعة وعظيمة حيث كانت هناك حقول مؤخرًا، مما أجبرهما على الخروج عن طريقهما لأميال. مرتين أوقفتهما حواجز الطرق وأمرهما رجال شرطة غاضبون بالعودة. ضغطا للأمام، وقادا في نقطة ما خمسين ميلاً للتقدم خمسة عشر ميلاً فقط، يستمعان لكل تحديث للطقس على الراديو ويصبحان متيقنين تدريجيًا أنه ستأتي نقطة يضطران فيها للتخلي عن الجيب. جلد المطر السيارة، ورفعت الرياح العاتية مساحات الزجاج الأمامي عن الزجاج، وتبادل الأخ والأخت القيادة، يربطهما هدف واحد، ومتحررين مؤقتًا من كل المخاوف الأخرى.

لدهشة سترايك الممتنة، كشفت الأزمة عن لوسي مختلفة، تمامًا كما كشف المرض عن جوان مختلفة. كانت أخته مركزة تمامًا على ما يجب القيام به. حتى قيادتها كانت مختلفة، بدون ثلاثة أبناء صاخبين في المقعد الخلفي، يتشاجرون ويضربون بعضهم البعض إذا استمرت الرحلة لأكثر من عشرين دقيقة. كان قد نسي كم يمكن للوسي أن تكون فعالة وعملية، وكم هي صبورة، وحازمة. انكسر تصميمها الهادئ فقط عندما وصلا إلى طريق مسدود على بعد ثلاثين ميلاً من سانت ماوس، حيث جعلت الفيضانات والأشجار المتساقطة الطريق غير سالك.

بينما جلست لوسي منهكة على عجلة القيادة، تنتحب ووجهها بين ذراعيها، ترك سترايك الجيب ليقف بالخارج تحت شجرة، حيث، محتميًا من المطر الدائم ومستغلاً الفرصة للتدخين، اتصل بـ ديف بولورث، الذي كان يبقي نفسه مستعدًا لمساعدتهما.

قال بولورث، عندما أعطاه سترايك موقعهما:

– "أجل، اعتقدنا أن هذا هو المكان الذي ستضطران للتوقف فيه."

– "من هم «نحن»؟"

– "حسنًا، لا أستطيع فعل هذا بمفردي اللعين، أليس كذلك يا ديدي؟ يجب أن نكون معك خلال ساعة. ابقَ في السيارة."

وبعد ساعة، صادقًا في كلمته، ظهر ديف بولورث وخمسة رجال آخرين، اثنان منهم أعضاء في فريق الإنقاذ المحلي، وثلاثة أصدقاء مدرسة قدامى لسترايك، من الظلام المتجمع. مرتدين ملابس مقاومة للماء، وحاملين سراويل صيد طويلة (waders) جاهزة لأسوأ الممرات، تولى الرجال مسؤولية حقائب سترايك ولوسي. تاركين الجيب متوقفة في شارع جانبي، انطلقت المجموعة سيرًا على الأقدام.

بدأ طرف جذع ساق سترايك في الاحتكاك المؤلم قبل وقت طويل من مشيهم لمدة ساعتين متواصلتين فوق أرض مستنقعية وأسفلت زلق. سرعان ما اضطر للتخلي عن كبريائه والسماح لاثنين من أصدقاء مدرسته القدامى بدعمه من الجانبين. حل الظلام قبل أن يصلوا إلى زورقين مطاطيين رتبهما بولورث لحملهما

فوق الحقول المغمورة. مستخدمين المجاديف للتجديف والدفع بالتناوب، شقوا طريقهم بمساعدة الكشافات والبوصلات.

كان بولورث قد استعان بكل صديق ومعرفة لديه لترتيب عبور سترايك ولوسي عبر شبه الجزيرة التي دمرتها العاصفة. قطعوا عدة أميال بواسطة جرار يجر مقطورة، لكن في بعض الممرات اضطروا للخوض عبر أقدام من مياه الفيضانات الجليدية، وقبلت لوسي الضئيلة أن تُحمل على ظهر أضخم رجل إنقاذ.

بعد أربع ساعات من تخليهم عن الجيب، وصلوا إلى سانت ماوس. عند بوابة منزل تيد وجوان، عانق الأخ والأخت كل واحد من مرافقيهما مودعين.

قال بولورث، بينما حاول سترايك المنهك والمؤلم صياغة كلمات لما شعر أنه لا يمكن وصفه:

– "لا تبدأ. ادخل للداخل، وإلا فما الفائدة اللعينة من كل هذا؟"

استقبلهما تيد، الذي كانا يطلعانه بانتظام خلال رحلتهما، بملابس نومه عند الباب الخلفي، والدموع تنهمر في الثنايا العميقة لوجهه الصخري.

ظل يقول، وهو يصنع لهما الشاي:

– "لم أعتقد أبدًا أنكما ستصلان إلى هنا. لم أعتقد أبدًا أنكما ستنجحان."

سألت لوسي المرتجفة، بينما جلس الثلاثة في المطبخ، وأيديهم حول أكواب الشاي، يأكلون الخبز المحمص:

– "كيف حالها؟"

قال تيد:

– "تمكنت من تناول القليل من الحساء اليوم. إنها لا تزال... تنام كثيرًا. لكن عندما تكون مستيقظة، تحب التحدث. أوه، ستطير فرحًا بوجودكما هنا..."

وهكذا بدأت أيام كان لها نفس طابع الغرابة والخروج عن الزمن لرحلتهما. في البداية، تخلى سترايك، الذي كان طرف جذع ساقه ملتهبًا بعد المتطلبات المؤلمة لرحلتهم، عن ساقه الاصطناعية وتنقل في المنزل الصغير بالقفز والتمسك بظهور الكراسي والجدران. قرأ ورد على رسائل روبن الإلكترونية حول عمل الوكالة، لكن أخبارها بدت وكأنها تأتي من مكان أبعد بكثير من لندن.

كانت جوان الآن تشبه الطائر في هشاشتها، وعظامها مرئية عبر الجلد الشفاف. أوضحت أنها ترغب في الموت في المنزل، وليس في المستشفى في ترورو، لذا رقدت، صغيرة ومنكمشة، في السرير المزدوج الكبير الذي هيمن على غرفة النوم، سرير تم شراؤه لاستيعاب ضخامة تيد عندما كان رجلاً طويلاً، ولائقًا ومفتول العضلات، عضوًا سابقًا في الشرطة العسكرية الملكية وعضوًا لاحقًا ومخلصًا في فريق الإنقاذ المحلي.

خلال النهار، تناوب سترايك، وتيد ولوسي الجلوس بجانب سرير جوان، لأنها سواء كانت مستيقظة أو نائمة، أحبت معرفة أن أحدهم قريب. جاءت كيرينزا صباحًا ومساءً، وكانت هذه الأوقات الوحيدة التي غادرت فيها عائلتها الغرفة. لم تعد جوان قادرة على ابتلاع الدواء، فبدأت كيرينزا بحقن المورفين عبر مضخة حقن. عرف سترايك أنها تغسل عمته، وتساعدها في أداء وظائف أكثر خصوصية: فترة النقاهة الطويلة بعد بتر ساقه لم تترك له أي وهم حول ما يتعامل معه الممرضون. لطيفة، وفعالة وإنسانية، كانت كيرينزا واحدة من الأشخاص القلائل الذين رحب بهم سترايك بسرور في المطبخ الذي تعصف به التيارات الهوائية.

وما زالت جوان متشبثة بالحياة. ثلاثة أيام بعد وصولهما، أربعة: نامت بشكل شبه دائم، لكنها ظلت متشبثة بالحياة.

قال تيد:

– "إنه أنتما. لا تريد الذهاب وأنتما هنا."

بدأ سترايك يخشى الصمت الذي كان أكبر من أن تملأه الأصوات البشرية. كانت أعصابه مشدودة بسبب الرنين المستمر للملاعق الصغيرة في المشروبات الساخنة التي تُصنع لمجرد فعل شيء ما، وبسبب الدموع التي يذرفها العم تيد عندما يظن أن لا أحد ينظر، وبسبب الاستفسارات الهامسة للجيران ذوي النوايا الحسنة.

في اليوم الخامس، وصل زوج لوسي، غريغ، مع أبنائهما الثلاثة. كان الزوج والزوجة قد ناقشا مدى عقلانية إخراج الأولاد من المدرسة، والمخاطرة برحلة لا تزال صعبة، رغم أن العواصف هدأت أخيرًا، لكن لوسي لم تعد تطيق غيابهم. عندما

وصل غريغ، ركض الأولاد خارجين من السيارة نحو أمهم وتشبثت العائلة بأكملها ببعضها البعض، بينما نظر سترايك وتيد، متحدين في وحدتهما، رجل أعزب وأرمل قريبًا. اقتيد الأولاد إلى غرفة نوم جوان لرؤيتها، وتمكنت من الابتسام لهم جميعًا. حتى لوك كان هادئًا بعد ذلك، وبكى جاك.

كانت هناك حاجة لغرفتي الضيوف لاستيعاب القادمين الجدد، لذا عاد سترايك، دون تذمر، للنوم على الأريكة.

أخبره بولورث بصراحة في اليوم السادس:

– "تبدو كالخراء."

وبالفعل شعر سترايك، الذي استيقظ كل ساعة على أريكة شعر الحصان، بذلك.

– "لنذهب لتناول كأس."

سأل جاك بأمل:

– "هل يمكنني المجيء؟"

كان يظهر ميلاً للتسكع حول سترايك بدلاً من والده، بينما جلست لوسي في الطابق العلوي مع جوان.

قال سترايك:

– "يمكنك إذا قال والدك إن ذلك مقبول."

وافق غريغ، الذي كان يتجول حاليًا في الحديقة وهاتفه مضغوط على أذنه، محاولاً المساهمة في مكالمة جماعية مع مكتبه في لندن بينما يلعب لوك وآدم كرة القدم حوله، بإشارة إبهام لأعلى.

لذا سار سترايك، وبولورث وجاك نزولاً إلى سانت ماوس معًا. رغم أن السماء كانت مظلمة والطرق لا تزال مبللة، إلا أن الرياح قد هدأت أخيرًا. عندما وصلوا إلى الواجهة البحرية، رن هاتف سترايك المحمول. أجاب، وهو لا يزال يمشي.

– "سترايك."

– "إنه شانكر. تلقيت رسالتك."

– "تركتها قبل عشرة أيام."

– "كنت مشغولاً، يا قطعة الخراء الناكر للجميل."

قال سترايك:

– "آسف."

لوح للآخرين بالتقدم وتوقف مرة أخرى عند جدار المرفأ، ناظرًا إلى البحر الأخضر الرمادي والأفق الضبابي.

قال شانكر:

– "لقد بحثت قليلاً، ولن تعرف من كانت تلك الفتاة يا بونسن. التي في الفيلم. لا أحد يعرف. لكنها لابد فعلت شيئًا خطيرًا بحق الجحيم لتنال ذلك."

قال سترايك، وهو يمسح البحر المستوي بنظره:

– "استحقت ذلك، في رأيك."

لم يبد البحر قادرًا، الآن، على العنف الذي ألحقه بالبلدة.

قال شانكر بنفاد صبر:

– "لا أقول إنها استحقته – أقول إنه حتى ماكي ريتشي لم يجعل من ذلك عادة. هل أنت في حبس انفرادي؟"

– "ماذا؟"

– "أين أنت بحق الجحيم؟ لا يوجد ضجيج."

– "في كورنوال."

للحظة، توقع سترايك أن يسأل شانكر أين ذلك. كان شانكر جاهلاً بشكل مثير للإعجاب تقريبًا بالبلاد التي تقع خارج لندن.

– "ما الذي تفعله بحق الجحيم في كورنوال؟"

– "عمتي تحتضر."

قال شانكر:

– "أوه تباً. آسف."

– "أين هو الآن؟"

– "من؟"

– "ريتشي."

– "إنه في دار رعاية. أخبرتك."

– "حسنًا. شكرًا للمحاولة يا شانكر. أقدر ذلك."

ربما لأول مرة على الإطلاق، كان شانكر هو من صرخ في سترايك ليمنعه من إغلاق الخط.

– "أوي – أوي!"

قال سترايك، رافعًا الهاتف إلى أذنه مرة أخرى:

– "ماذا؟"

– "لماذا تريد معرفة مكانه؟ لن تذهب للتحدث إلى ريتشي. لقد انتهيت."

قال سترايك، وعيناه مغلقتان جزئيًا ضد نسيم البحر:

– "لم أنتهِ. لم أكتشف ما حدث للطبيبة بعد."

– "بحق الجحيم. هل تريد أن تُصاب برصاصة في رأسك اللعين؟"

– "أراك لاحقًا يا شانكر."

وقبل أن يتمكن صديقه القديم من قول أي شيء آخر، قطع المكالمة ووضع هاتفه على الصامت.

كان بولورث جالسًا بالفعل على طاولة مع جاك عندما وصل سترايك إلى حانة "فيكتوري"، وكأسا جعة وكولا على الطاولة.

أخبر بولورث سترايك، بينما جلس المحقق:

– "كنت أخبر جاك للتو. ألم أفعل، هاه؟" سأل جاك، الذي أومأ مبتسمًا بإشراق. "عندما يكبر. هذه هي حانته المحلية."

– "حانة على بعد ثلاثمائة ميل من مكان سكنه؟"

– "لقد ولد في كورنوال. كان يخبرني للتو."

قال سترايك:

– "أوه نعم. نسيت ذلك."

كانت العائلة تقيم مع تيد وجوان عندما دخلت لوسي في المخاض قبل شهر من موعدها. ولد جاك في نفس مستشفى ترورو مثل سترايك نفسه.

أخبر بولورث جاك، الذي كان يستمتع كثيرًا بموافقة بولورث:

– "وأنت نانكارو من جهة أمك. لذا هذا يجعلك كورنواليًا، مولدًا ونشأة."

التفت بولورث لسترايك.

– "من كان ملك اللؤلؤ (Pearly King - إشارة لملابس تقليدية لسكان لندن الأصليين) على الهاتف هناك؟ كنا نستطيع سماع لهجة الكوكني الخاصة به من على بعد ميل."

قال سترايك:

– "رجل يدعى شانكر. أخبرتك عنه. أمي كشطته من الشارع ذات ليلة عندما طُعن. تبنانا."

رشف سترايك جعة، متسائلاً كيف سينسجم بولورث وشانكر، في الاحتمال غير المرجح للقائهما أبدًا. تخيل أنهما قد ينتهيان بلكم بعضهما البعض. بدوا لسترايك كقطعتين من أحجيتي تركيب مختلفتين تمامًا: لا نقطة اتصال. عند ذكر الطعن، ألقى بولورث نظرة سريعة على جاك، لكن سترايك قال وهو يخفض كأسه:

– "لا تقلق بشأنه. يريد أن يكون شرطيًا عسكريًا (Red Cap)، مثلي ومثل تيد."

ابتسم جاك أكثر. كان يقضي وقتًا رائعًا.

سأل عمه:

– "هل يمكنني تجربة بعض من تلك الجعة؟"

قال سترايك:

– "لا تتمادَ."

قال بولورث، مشيرًا إلى صفحة في الصحيفة التي التقطها:

– "انظر إلى هذا. ويستمنستر تحاول التنمر على الاسكتلنديين، الأوغ..."

نظف سترايك حلقه. قهقه جاك.

– "آسف،" قال بولورث. "لكن هيا. يخبرونهم أنهم لا يستطيعون الاحتفاظ بالجنيه الإسترليني إذا صوتوا للاستقلال؟ بالطبع سيحتفظون بالجنيه. إنه في مصلحة الجميع..."

تحدث لمدة عشر دقائق تالية عن القومية الصغيرة، والحجج الواضحة لاستقلال كل من اسكتلندا وكورنوال وغباء أولئك الذين عارضوها، حتى بدت عينا جاك زجاجيتين، وكملاذ أخير، سحب سترايك المحادثة عائدة إلى كرة القدم. أرسنال، كما توقع، خسر أمام حامل اللقب بايرن ميونيخ، ولم يشك في أن مباراة الإياب ستشهد خروجهم. شاهد هو وتيد المباراة معًا وقاما بعمل جيد في التظاهر بالاهتمام بالنتيجة. سمح سترايك لبولورث بتمرير تعليق نقدي على الخطأ الذي أدى لطرد تشيزني، وتم إسقاط السياسة لحسن الحظ.

فكر سترايك في بولورث لاحقًا تلك الليلة، وهو مستلقٍ في الظلام على أريكة شعر الحصان مرة أخرى، غير قادر على النوم. كان لتعبة الآن طابع محموم، تفاقم بسبب ألم جسده، والضغط المستمر للتواجد هنا، في هذا المنزل المكتظ، بانتظار استسلام الجسد الضئيل في الطابق العلوي.

في هذه الحالة القريبة من الحمى، دار خليط من الأفكار في عقل سترايك. فكر في الفئات والحدود، تلك التي نريد إنشاءها وفرضها، وتلك التي نسعى للهروب منها أو تدميرها. تذكر اللمعة المتعصبة في عين بولورث وهو يجادل من أجل حدود أكثر صلابة بين مقاطعته وبقية إنجلترا. نام وهو يفكر في المجموعات الزائفة للتنجيم، وحلم بليدا، تفرش بطاقات التاروت الخاصة بها في كمونة نورفولك منذ زمن بعيد.

استيقظ سترايك في الخامسة بسبب جسده المؤلم. عالمًا بأن تيد سيستيقظ قريبًا، نهض وارتدى ملابسه، مستعدًا لتولي وردية السرير بينما يتناول عمه الإفطار.

وبالفعل، عند سماع خطى سترايك على البسطة العلوية، خرج تيد من غرفة النوم في روب حمامه.

همس سترايك:

– "صنعت لك الشاي للتو. إنه في الإبريق في المطبخ. سأجلس معها قليلاً."

همس تيد، مربتًا على ذراع سترايك:

– "أنت فتى طيب. إنها نائمة الآن، لكنني أجريت دردشة صغيرة معها في الرابعة. أكثر ما قالته منذ أيام."

بدا أن الحديث مع زوجته قد رفع معنوياته. توجه للأسفل لتناول شايه ودخل سترايك بهدوء إلى الغرفة المألوفة، متخذًا موقعه على الكرسي ذي الظهر الصلب بجانب جوان.

لم يتم تغيير ورق الحائط، بقدر ما عرف سترايك، منذ أن انتقل تيد وجوان إلى المنزل، منزلهما الوحيد منذ تركه للجيش، في البلدة التي نشأ فيها كلاهما. بدا أن تيد وجوان لا يلاحظان أن المنزل قد أصبح رثًا على مر العقود: رغم أن جوان كانت دقيقة بشأن النظافة، فقد جهزت وزينت المنزل مرة واحدة وبدا أنها لم ترَ أي حاجة للقيام بذلك مرة أخرى.

كان الورق مزينًا باقات صغيرة من الزهور الأرجوانية، واستطاع سترايك تذكر تتبع الأشكال الهندسية بينها بسبابته كطفل صغير، عندما تسلق السرير مع تيد وجوان في الصباح الباكر، عندما كان كلاهما لا يزال ناعسًا وهو يريد الإفطار ورحلة إلى الشاطئ.

بعد عشرين دقيقة من جلوسه، فتحت جوان عينيها ونظرت إلى سترايك بذهول شديد لدرجة أنه ظن أنها لا تعرفه.

قال بهدوء، محركًا كرسيه أقرب قليلاً لسريرها ومشغلاً المصباح، بظله ذي الأهداب:

– "إنه أنا يا جوان. كورم. تيد يتناول الإفطار."

ابتسمت جوان. كانت يدها مخلبًا صغيرًا الآن. ارتعشت الأصابع. أخذها سترايك في يده. قالت شيئًا لم يستطع سماعه، فخفض رأسه الضخم نحو وجهها.

– "ماذا قلتِ؟"

– "... أنت... رجل طيب."

تمتم سترايك:

– "أوه، لا أعرف عن ذلك."

أمسك يدها بقبضة خفيفة، خائفًا من الضغط عليها. "القوس الشيخوخي" (حلقة رمادية حول القزحية) الذي يحدد قزحيات عينيها الشاحبتين جعل اللون الأزرق يبدو أكثر بهوتًا من أي وقت مضى. فكر في كل الأوقات التي كان يمكنه زيارتها، ولم يفعل. كل تلك الفرص الضائعة للاتصال. كل تلك الأوقات التي نسي فيها عيد ميلادها.

– "... تساعد الناس..."

حدقت فيه ثم، باذلة جهدًا خارقًا، همست:

– "أنا فخورة بك."

أراد التحدث، لكن شيئًا ما كان يسد حلقه. بعد بضع ثوانٍ، رأى جفنيها يرتخيان.

– "أحبك يا جوان."

خرجت الكلمات مبحوحة جدًا لدرجة أنها كانت غير مسموعة تقريبًا، لكنه اعتقد أنها ابتسمت وهي تغوص عائدة في نوم لم تستيقظ منه أبدًا.

45

في سالف العصر كان هناك نبعٌ متفجر،
منه يتدفقُ سيلٌ فضيٌ سريع،
مفعمٌ بخصائص عظيمة، وللتداوي مفيد.

إدموند سبنسر ملكة الجن

كانت روبن لا تزال في المكتب عندما اتصل سترايك ذلك المساء بخبر وفاة جوان.

قال سترايك:

– "أنا آسف لهذا، لكنني أعتقد أنني سأضطر للبقاء هنا حتى ننتهي من ترتيبات الجنازة. هناك الكثير للقيام به وتيد منهار تمامًا."

كان قد أطلع تيد ولوسي للتو على خطة جوان لجنازتها، مما أدى لانهيارهما بالبكاء على طاولة المطبخ. كانت دموع تيد بسبب التأثر الشديد بترتيبات زوجته لراحته وتخفيف العبء عنه، كما فعلت طوال سنوات زواجهما الخمسين، وبسبب الخبر بأنها أرادت، في النهاية، دخول البحر وانتظاره هناك. أما في حالة لوسي، فكان النحيب على ضياع فرصة وجود قبر كانت تأمل في زيارته والاعتناء به. كانت لوسي تملأ أيامها بالالتزامات التطوعية: لقد منحت هدفًا وشكلاً لحياة صممت ألا تكون أبدًا مثل حياة أمها البيولوجية الطائشة.

طمأنته روبن:

– "لا مشكلة. نحن نتدبر الأمور بشكل جيد."

– "أنتِ متأكدة؟"

– "متأكدة تمامًا."

قال سترايك:

– "هناك تراكم في المحرقة، بسبب الفيضانات. تم تحديد موعد الجنازة مبدئيًا في الثالث من مارس."

كان هذا هو اليوم الذي خططت روبن لقضائه في ليمنغتون سبا، لتتمكن من حضور افتتاح معرض بول ساتشويل. لم تخبر سترايك بذلك: استطاعت أن تدرك أن قدرته الذهنية محدودة الآن لأي شيء بخلاف جوان، وحياته في كورنوال.

كررت:

– "لا تقلق." وأضافت: "أنا آسفة جدًا يا كورموران."

قال سترايك:

– "شكرًا. كنت قد نسيت كيف يبدو الأمر. التخطيط لجنازة. اضطررت بالفعل للتحكيم في جدال واحد."

بعد أن شارك خطط جوان لوداعها الأخير، ومسحت لوسي وتيد دموعهما، اقترح تيد أن يطلبوا من المعزين التبرع لمؤسسة "ماكميلان" لدعم مرضى السرطان بدلاً من الزهور.

– "... لكن لوسي تقول إن جوان كانت لترغب في الزهور. اقترحت أن نقول «هذا أو ذاك». يقول تيد إن ذلك سيعني أن الناس سيفعلون الأمرين ولا يمكنهم تحمل تكلفة ذلك، لكن تباً للأمر. لوسي محقة. جوان كانت لتريد الزهور، وبأكبر قدر ممكن. هكذا كانت تحكم دائمًا على جنازات الآخرين."

بعد أن ودعا بعضهما البعض، جلست روبن لفترة على مكتب الشركاء، تتساءل عما إذا كان من المناسب للوكالة إرسال زهور لجنازة عمة سترايك. لم تقابل جوان قط: قلقت من أن يبدو الأمر غريبًا، أو تطفليًا، إرسال التعازي. تذكرت كيف أنه، عندما عرضت اصطحاب سترايك من منزل جوان في "سانت ماوس" الصيف الماضي، قاطعها بسرعة، مقيمًا، كعادته، حدًا صارمًا بين روبن وحياته الشخصية.

متثائبة، أغلقت روبن الكمبيوتر، وأغلقت ملف "بوستكارد" المكتمل، الذي كانت تقوم بتحديثه، ونهضت وذهبت لإحضار معطفها. عند الباب الخارجي توقفت، وانعكاس وجهها الخالي من التعبير يظهر في الزجاج المظلم. ثم، وكأنها تستجيب لأمر غير مسموع، عادت للمكتب الداخلي، وأعادت تشغيل الكمبيوتر، وقبل أن تتمكن من التشكيك في قرارها، طلبت باقة من الورود الوردية الداكنة ليتم تسليمها لكنيسة سانت ماوس في الثالث من مارس، مع رسالة: *"مع أعمق المواساة من روبن، وسام، وآندي، وسول وبات."*

قضت روبن بقية الشهر تعمل دون راحة. أجرت اجتماعًا نهائيًا مع خبير الأرصاد الجوية المضطهد وزوجته، كشفت فيه عن هوية "بوستكارد"، وأعطتهما الاسم الحقيقي والعنوان لـ "بوستكارد"، وأخذت دفعتهم النهائية. ثم جعلت بات تتصل بعميلة قائمة الانتظار، وسيطة السلع التي شكت في أن زوجها ينام مع مربيتهما، وفي اليوم التالي، رحبت بالمرأة في المكتب لتدوين تفاصيلها واستلام الدفعة المقدمة.

لم تكلف وسيطة السلع نفسها عناء إخفاء خيبة أملها لأنها تقابل روبن بدلاً من سترايك. كانت شقراء نحيلة، باهتة اللون تبلغ من العمر اثنين وأربعين عامًا، وكان لشعرها المصبوغ بشكل مفرط ملمس السلك الرفيع عن قرب. وجدتها روبن غير محبوبة حتى نهاية المقابلة، عندما تحدثت عن زوجها، الذي أفلس عمله والذي يعمل الآن من المنزل، مما يمنحه ساعات طويلة وحيدًا مع المربية.

قالت الوسيطة:

– "أربعة عشر عامًا. أربعة عشر عامًا، وثلاثة أطفال والآن..."

أخفت عينيها خلف يديها المرتجفتين، وشعرت روبن، التي كانت مع ماثيو منذ كانت في المدرسة، رغم الواجهة الهشة للمرأة، بوهج غير متوقع من التعاطف.

بعد مغادرة العميلة الجديدة، استدعت روبن موريس إلى المكتب وأعطته مهمة اليوم الأول لمراقبة المربية.

قال:

– "علم وينفذ (Okey-doke). مهلاً، ما رأيك أن نسمي العميلة «آر بي» (RB)؟"

سألت روبن:

– "إلام يرمز ذلك؟"

قال موريس، مبتسمًا بابتسامة عريضة:

– "عاهرة غنية (Rich Bitch). إنها محملة بالمال."

قالت روبن دون ابتسامة:

– "لا."

قال موريس، رافعًا حاجبيه:

– "أوبس. إنذار نسوية؟"

– "شيء من هذا القبيل."

– "حسنًا، ماذا عن –؟"

قالت روبن ببرود:

– "سنسميها السيدة سميث، تيمناً بالشارع الذي يعيشون فيه."

على مدى الأيام القليلة التالية، أخذت روبن دورها في تعقب المربية، وهي سمراء ذات شعر لامع ذكرتها نوعًا ما بصديقة سترايك السابقة لوريلاي. بدا أطفال وسيطة السلع يعشقون مربيتهم بالتأكيد، وكذلك، خشيت روبن، والدهم. وبينما لم يلمس المربية مرة واحدة بأي طريقة غرامية، أظهر كل علامات الرجل المفتون تمامًا: محاكاة لغة جسدها، الضحك المفرط على نكاتها، والإسراع لفتح الأبواب والبوابات لها.

بعد ليلتين، غفت روبن على عجلة القيادة لبضع ثوانٍ أثناء القيادة نحو منزل إلينور دين في ستوك نيوينغتون. منتفضة ومستيقظة، شغلت الراديو فورًا وفتحت النافذة، فدمعت عيناها من هواء الليل البارد المليء بالسخام، لكن الحادث أخافها. على مدى الأيام القليلة التالية، زادت من استهلاكها للكافيين في محاولة للبقاء مستيقظة. جعلها هذا متوترة قليلاً، ووجدت صعوبة في النوم حتى في المناسبات النادرة التي أتيحت لها الفرصة.

كانت روبن دائمًا حريصة على أموال الشركة مثل سترايك نفسه، تعامل كل بنس يُنفق وكأنه سيُخصم من راتبها الخاص. بقيت عادة التقتير معها، رغم أن بقاء الوكالة لم يعد يعتمد على استخلاص المال من العملاء قبل وصول المطالبات النهائية. كانت روبن تدرك جيدًا أن سترايك يأخذ القليل جدًا من المال من العمل لاحتياجاته الخاصة، مفضلاً إعادة استثمار الأرباح في الوكالة. استمر في عيش حياة تقشفية في الغرفتين والنصف فوق المكتب، وكانت هناك أشهر أخذت فيها هي، الشريكة ذات الراتب، أجرًا للمنزل أكثر من الشريك الأكبر ومؤسس الشركة.

كل هذا زاد من شعورها بالذنب لحجز غرفة في فندق "بريمير إن" في ليمنغتون سبا ليلة الأحد قبل معرض ساتشويل الفني. كانت البلدة على بعد ساعتين فقط بالسيارة؛ عرفت روبن أنه كان بإمكانها الاستيقاظ مبكرًا صباح الاثنين بدلاً من المبيت في البلدة. ومع ذلك، كانت منهكة للغاية، وخشيت الغفوة على عجلة القيادة مرة أخرى.

بررت غرفة الفندق لنفسها بالمغادرة قبل أربع وعشرين ساعة من افتتاح المعرض، مما يمنحها الوقت لإلقاء نظرة على الكنيسة حيث زُعم أن مارغو شوهدت بعد أسبوع من اختفائها. حزمت أيضًا نسخًا مصورة لجميع صفحات ملاحظات تالبوت الفلكية التي ذكرت بول ساتشويل، بنية دراستها في هدوء غرفتها بالفندق. أضافت إليها نسخة مستعملة من كتاب إيفانجلين آدامز *مكانك في الشمس*، وعلبة بطاقات تاروت غير مفتوحة ونسخة من *كتاب ثوث*. لم تخبر سترايك أنها اشترت أيًا من هذه العناصر ولم تكن تنوي المطالبة بنفقاتها.

بقدر ما كانت تحب لندن، كانت روبن المولودة في يوركشاير تشتاق أحيانًا للأشجار، والبراري والتلال. قيادتها على طريق M40 العادي، مرورًا بنجوع وقرى ذات أسماء قديمة مثل ميدلتون تشيني، وتيمبل هيردويك وبيشوبس إيتشنغتون، منحتها لمحات من حقول خضراء منبسطة. حمل اليوم البارد الرطب نفحة مرحبًا بها من الربيع في الهواء، وفي الفجوات بين السحب البيضاء السريعة، ملأ ضوء شمس ساطع وقاسٍ سيارة اللاند روفر القديمة بضوء جعل من انعكاس روبن في النافذة المغبرة بجانبها شبحًا رماديًا شاحبًا. كانت بحاجة حقًا لتنظيف السيارة:

في الواقع، كانت هناك مهام شخصية صغيرة ومتنوعة تتراكم بينما كانت تعمل بلا توقف للوكالة، مثل الاتصال بوالدتها، التي كانت تتجنب مكالماتها، ومحاميتها، التي تركت رسالة حول الوساطة القادمة، ناهيك عن نتف حاجبيها، وشراء زوج جديد من الأحذية المسطحة وترتيب تحويل مصرفي لـ ماكس، لتغطية نصفها من ضريبة المجلس.

بينما كانت الأسيجة الشجرية تومض مارة، حولت روبن أفكارها بوعي بعيدًا عن هذه الشؤون الدنيوية الكئيبة إلى بول ساتشويل. شكت في أنها ستجده في ليمنغتون سبا، غير قادرة على تخيل لماذا قد يرغب الرجل البالغ من العمر خمسة وسبعين عامًا في ترك منزله في كوس لمجرد زيارة معرض فني إقليمي. ربما أرسل ساتشويل لوحاته من اليونان، أو أعطى إذنًا بعرضها. لماذا يترك ما تخيلته روبن كفيلا مبهرة ذات جدران بيضاء، واستوديو فنان يقع بين بساتين الزيتون؟ كانت خطتها هي التظاهر بالاهتمام بشراء أو تكليف إحدى لوحاته، للحصول على عنوان منزله. للحظة أو اثنتين، انغمست في خيال صغير بالسفر إلى اليونان مع سترايك، لاستجواب الفنان العجوز. تخيلت لفحة الحرارة الشبيهة بالفرن التي ستضربهم عند مغادرة الطائرة في أثينا، ورأت نفسها في فستان وصندل، تتجه صاعدة طريقًا متربًا إلى باب ساتشويل الأمامي. لكن عندما أظهر لها خيالها سترايك في سروال قصير، والقضيب المعدني لساقه الاصطناعية معروضًا، شعرت فجأة بالحرج من خيالاتها الخاصة، وأغلقت الخيال الصغير قبل أن يأخذها إلى الشاطئ، أو الفندق.

على مشارف ليمنغتون سبا، اتبعت روبن اللافتة المؤدية لكنيسة "جميع القديسين" (All Saints)، والتي عرفت من بحثها أنها المرشح الوحيد الممكن للمكان الذي رأى فيه تشارلي راماج مارغو. ذكرت جانيس "كنيسة كبيرة"؛ كانت "جميع القديسين" منطقة جذب سياحي بسبب حجمها. لم يكن لأي من الكنائس الأخرى في ليمنغتون سبا مقابر ملحقة بها. علاوة على ذلك، كانت "جميع القديسين" تقع مباشرة على طريق أي شخص يسافر شمالاً من لندن. ورغم أن روبن وجدت صعوبة في فهم سبب تجول مارغو بين شواهد القبور في ليمنغتون سبا، بينما كان زوجها يتوسل للحصول على معلومات عن مكان وجودها في الصحافة

الوطنية وعشيقها المولود في ليمنغتون لا يزال في لندن، كان لديها شعور غريب بأن رؤية الكنيسة بنفسها ستعطيها فكرة أفضل عما إذا كانت مارغو قد ذهبت هناك أبدًا. كانت الطبيبة المفقودة تصبح حقيقية جدًا لروبن.

تمكنت من تأمين مكان لوقوف السيارات في "بريوري تيراس"، بجانب الكنيسة مباشرة، وانطلقت سيرًا على الأقدام حول المحيط، مندهشة من الحجم الهائل للمكان. كان حجمًا مذهلاً لبلدة صغيرة نسبيًا؛ في الواقع، بدت أقرب لكاتدرائية، بنوافذها الطويلة المقوسة. منعطفة يمينًا إلى شارع الكنيسة، لاحظت الصدفة الإضافية لكون اسم الشارع مشابهًا جدًا لعنوان منزل مارغو. على اليمين، وفر جدار منخفض تعلوه درابزين بقعة مثالية لسائق دراجة نارية للتوقف، والاستمتاع بكوب شاي من الترمس الخاص به، ناظرًا إلى المقبرة.

إلا أنه لم تكن هناك مقبرة. توقفت روبن فجأة. لم تستطع رؤية سوى قبرين، تابوتين حجريين مرتفعين تآكلت نقوشهما. بخلاف ذلك، كان هناك ببساطة امتداد واسع من العشب يتقاطع معه ممران للمشاة.

– "سقطت قنبلة عليها."

كانت أم تبدو مرحة تمشي نحو روبن، تدفع عربة أطفال مزدوجة تحتوي على توأمين نائمين. فسرت توقف روبن المفاجئ بشكل صحيح.

قالت روبن:

– "حقًا؟"

قالت المرأة، مبطئة من سيرها:

– "أجل، في عام 1940. لوفتفافه (سلاح الجو الألماني)."

قالت روبن، متخيلة الأرض المحطمة، وشواهد القبور المكسورة وربما شظايا التوابيت والعظام:

– "واو. فظيع."

قالت المرأة، مشيرة إلى القبرين القديمين الواقفين في ظل شجرة طقسوس:

– "أجل – لكنهم أخطؤوا هذين الاثنين."

تمطى أحد التوأمين الصغيرين قليلاً في نومه ورفت جفونه. بابتسامة هزلية لروبن، انطلقت الأم مرة أخرى بمشية سريعة.

دخلت روبن المنطقة المسورة التي كانت يومًا مقبرة، تنظر حولها وتتساءل عما يمكن استخلاصه من قصة راماج، الآن. لم تكن هناك مقبرة هنا في عام 1974، عندما ادعى أنه رأى مارغو تتجول بين شواهد القبور. أم هل افترضت جانيس بيتي وجود مقبرة سليمة، عندما سمعت أن مارغو كانت تنظر إلى القبور؟ التفتت روبن لتنظر إلى القبرين الناجيين. بالتأكيد، إذا كانت مارغو تفحص هذين القبرين، لكانت قد اقتربت لأقدام قليلة من سائق دراجة نارية متوقف بجانب الكنيسة.

وضعت روبن يديها على القضبان السوداء الباردة التي تمنع الفضوليين من لمس القبور القديمة فعليًا، وفحصتها. ما الذي كان يمكن أن يجذب مارغو إليها؟ النقوش المحفورة على الحجر المغطى بالطحالب كانت غير مقروءة تقريبًا. أمالت روبن رأسها، محاولة تمييزها.

هل كانت تتوهم؟ هل قالت إحدى الكلمات "فيرغو" (عذراء/برج العذراء)، أم أنها أمضت وقتًا طويلاً جدًا تفكر في ملاحظات تالبوت الفلكية؟ ومع ذلك، كلما درستها، كلما بدا الاسم يشبه "فيرغو".

كانت روبن تربط ذلك البرج بشخصين، هذه الأيام: زوجها المنفصل عنها، ماثيو، ودوروثي أوكدين، سكرتيرة العيادة الأرملة في مكان عمل مارغو القديم. أصبحت روبن بارعة جدًا في قراءة ملاحظات تالبوت الفلكية، لدرجة أنها كانت تسمع بشكل روتيني "دوروثي" في رأسها عند النظر إلى رمز العذراء. الآن أخرجت هاتفها، وبحثت عن القبر وشعرت بطمأنينة خفيفة لاكتشاف أنها لم تكن تتوهم: كان هذا المثوى الأخير لشخص يدعى جيمس فيرغو دان.

لكن لماذا يكون هذا موضع اهتمام لمارغو؟ مررت روبن لأسفل صفحة علم أنساب لعائلتي فيرغو ودان وعلمت أن الرجل الذي ترقد عظامه الآن غبارًا على بعد أقدام قليلة منها قد ولد في جامايكا، حيث كان مالكًا لستة وأربعين عبدًا.

تمتمت روبن، معيدة هاتفها إلى جيبها:

– "لا داعي للشعور بالأسف عليك، إذن."

وواصلت المشي حول المحيط إلى واجهة الكنيسة، حتى وصلت إلى البابين الأماميين المزدوجين الكبيرين من البلوط والحديد. بينما كانت تتجه صاعدة الدرجات الحجرية نحوهما، سمعت همهمة منخفضة لترنيمة. بالطبع: كان صباح الأحد.

بعد لحظة تردد، فتحت روبن الباب بأكبر قدر ممكن من الهدوء وأطلت للداخل. تكشفت مساحة هائلة وكئيبة: قطوع مكافئة باردة من الحجر الرمادي، ومائة قدم من الهواء البارد بين المصلين والسقف. بلا شك اعتبرت كنيسة بهذا الحجم الهائل ضرورية في عهد الوصاية (Regency times)، عندما تدفق الناس إلى بلدة المنتجع الصحي لشرب مياهها، لكن المصلين المعاصرين لم يقتربوا من ملئها. نظر إليها شماس يرتدي رداءً أسود؛ ابتسمت روبن باعتذار، وأغلقت الباب بهدوء وعادت إلى الرصيف، حيث كان تمثال فولاذي حديث كبير، جزء منه خربشة وجزء لولب، يفترض بوضوح أنه يمثل النبع الطبي الذي بنيت حوله البلدة.

كانت حانة قريبة تفتح أبوابها للتو واشتهت روبن قهوة، لذا عبرت الطريق ودخلت "المكتبة القديمة" (The Old Library).

كان التصميم الداخلي كبيرًا لكنه بالكاد أقل كآبة من الكنيسة، الديكور في الغالب ظلال من اللون البني. اشترت روبن لنفسها قهوة، واستقرت في زاوية مخفية حيث لا يمكن مراقبتها، وغرقت في الشرود. لم تخبرها لمحتها لداخل الكنيسة بشيء. كانت مارغو ملحدة، لكن الكنائس كانت من الأماكن القليلة التي يمكن للمرء الجلوس فيها والتفكير، دون إزعاج. هل يمكن أن تكون مارغو قد انجذبت لـ "جميع القديسين" بدافع تلك الحاجة غير المركزة وغير المكتملة التي دفعت روبن نفسها ذات مرة إلى مقبرة مجهولة، لتجلس هناك على مقعد خشبي وتتأمل الحالة المزرية لزواجها؟

وضعت روبن كوب قهوتها، وفتحت حقيبة الساعي التي أحضرتها معها وأخرجت رزمة النسخ المصورة، لتلك الصفحات من دفتر تالبوت التي ذكرت بول ساتشويل. مسويّة إياها، نظرت لأعلى بشكل عارض إلى الرجلين اللذين جلسا للتو على طاولة قريبة. الذي كان يوليه ظهره كان طويلاً وعريضًا، بشعر داكن ومجعد،

وقبل أن تتمكن من تذكير نفسها بأنه لا يمكن أن يكون سترايك، لأن شريكها كان في سانت ماوس، مرت بها رعشة من الإثارة والسعادة.

بدا أن الغريب شعر بروبن تنظر إليه، لأنه التفت قبل أن تتمكن من تحويل عينيها. لمحت عينين زرقاوين مثل عيني موريس، وذقنًا ضعيفًا ورقبة قصيرة قبل أن تحني رأسها لفحص الملاحظات الفلكية، شاعرة بنفسها تحمر خجلاً وغير قادرة فجأة على استيعاب كتلة الرسومات والرموز أمامها.

كانت موجات من العار تتحطم عليها، غير متناسبة تمامًا مع التقاء عينيها بعيني غريب. في حفرة معدتها، ومضت الشرارات الأخيرة للإثارة التي شعرت بها عند التفكير في أنها تنظر إلى سترايك وماتت.

كان خطأً لحظيًا في الإدراك، أخبرت نفسها. *لا يوجد شيء يدعو للقلق على الإطلاق. اهدئي.*

لكن بدلاً من قراءة الملاحظات، وضعت روبن وجهها بين يديها. في هذا البار الغريب، ومقاومتها منخفضة بسبب الإرهاق، عرفت روبن أنها كانت تتجنب سؤال ما تشعر به حقًا تجاه سترايك طوال العام الماضي. مشغولة بمحاولة تخليص نفسها من ماثيو، والتعود على شقة جديدة ورفيق سكن جديد، وإدارة وتفادي قلق وحكم والديها، وصد مضايقات موريس المستمرة، والتهرب من تصميم إلسا المثير للغضب على التوفيق بين رأسين، والعمل بجهد مضاعف أكثر من أي وقت مضى، كان من السهل عدم التفكير في أي شيء آخر، حتى سؤال مشحون مثل ما تشعر به حقًا تجاه كورموران سترايك.

الآن، في زاوية هذه الحانة البنية الكئيبة، ومع عدم وجود شيء آخر ليشتتها، وجدت روبن نفسها تفكر عائدة إلى تلك الليالي في شهر العسل التي قضتها تمشي على الرمل الأبيض الناعم بعد ذهاب ماثيو للفراش، عندما استجوبت روبن نفسها حول ما إذا كانت مغرمة بالرجل الذي كان آنذاك رئيسها، وليس شريكها. حفرت قناة عميقة على الشاطئ وهي تمشي جيئة وذهابًا في الظلام، مقررة أخيرًا أن الإجابة هي "لا"، وأن ما تشعر به هو مزيج من الصداقة، والإعجاب والامتنان للفرصة التي منحها إياها للشروع في مهنة حلمت بها ذات مرة، والتي

ظنت أنها أغلقت في وجهها للأبد. كانت تحب شريكها؛ وكانت معجبة به؛ وكانت ممتنة له. هذا كل شيء. هذا كل ما في الأمر.

باستثناء... تذكرت مقدار السعادة التي منحتها إياها رؤيته جالسًا في مقهى "نوتس"، بعد غياب لمدة أسبوع، ومدى سعادتها، بغض النظر عن الظروف، لرؤية اسم سترايك يضيء هاتفها.

خائفة تقريبًا الآن، أجبرت نفسها على التفكير في كم يمكن لسترايك أن يكون مثيرًا للحنق بشكل لعين: متجهم، قليل الكلام وناكر للجميل، وليس وسيمًا بأي حال من الأحوال، بأنفه المكسور وشعره الذي يصفه هو نفسه بأنه "يشبه شعر العانة"، مثل ماثيو، أو حتى موريس...

لكنه كان أعز أصدقائها. هذا الاعتراف، الذي أُبقي بعيدًا لفترة طويلة، تسبب في التواء مؤلم تقريبًا في قلب روبن، ليس أقلها لأنها عرفت أنه سيكون من المستحيل أبدًا إخبار سترايك بذلك. استطاعت تخيله يبتعد عنها متثاقلاً مثل بيسون (ثور أمريكي) مذعور عند تصريح عارٍ كهذا بالمودة، مضاعفًا الحواجز التي يحب نصبها إذا اقتربا من بعضهما البعض أكثر من اللازم. ومع ذلك، كان هناك نوع من الراحة في الاعتراف بالحقيقة المؤلمة: كانت تهتم بشدة لشريكها. وثقت به في الأمور الكبيرة: لفعل الشيء الصحيح للأسباب الصحيحة. أعجبت بذكائه وقدرت مثابرته، ناهيك عن الانضباط الذاتي المثير للإعجاب أكثر لأن العديد من الرجال ذوي الأجساد الكاملة لم يتقنوه أبدًا. كانت غالبًا ما تندهش من انعدام رثائه لنفسه بشكل شبه كلي. أحبت الدافع للعدالة الذي شاركته إياه، ذلك التصميم الذي لا ينكسر للتسوية والحل.

وكان هناك شيء آخر، شيء غير عادي للغاية. لم يجعلها سترايك تشعر بعدم الراحة الجسدية ولا مرة واحدة. كلاهما في المكتب، ولفترة طويلة العاملان الوحيدان في الوكالة، وبينما كانت روبن امرأة طويلة، كان هو أضخم بكثير، ولم يجعلها تشعر بذلك قط، كما يفعل الكثير من الرجال، ولا حتى في محاولة للترهيب، بل لأنهم يستمتعون بـ "الاستعراض"، كما ينشر الطاووس ذيله. لم يستطع ماثيو

تجاوز فكرة وجودهما معًا طوال الوقت، في مساحة مكتب صغيرة، لم يستطع تصديق أن سترايك لا يستغل الموقف للقيام بمحاولات تقرب، مهما كانت خفية.

لكن روبن، التي ستظل للأبد شديدة الحساسية للمسة غير المدعوة، والنظرة الجانبية الشهوانية، وغزو المساحة الشخصية، واختبار الحدود التقليدية، لم تختبر مرة واحدة، مع سترايك، ذلك الشعور بالانكماش داخل جلدها الذي تثيره محاولات دفع علاقة إلى مساحة مختلفة. كان هناك تحفظ عميق يغلف حياة سترايك الخاصة، وبينما كان ذلك يحبطها أحيانًا (هل اتصل بشارلوت كامبل أم لا؟)، امتد حبه للخصوصية ليشمل احترامًا لحدود الآخرين. لم تكن هناك أبدًا لمسة مفيدة ظاهريًا ولكنها غير ضرورية، لا يد على أسفل الظهر، لا إمساك بالذراع، لا نظرة تجعل جلدها يقشعر، أو تجعلها ترغب في تغطية نفسها: إرث تلك اللقاءات العنيفة مع الرجال التي تركتها مشوهة بطرق أكثر من المرئية.

في الحقيقة (لماذا لا تعترف بكل شيء لنفسها الآن، وهي متعبة جدًا، ودفاعاتها منخفضة؟) كانت واعية بلحظتين فقط في أربع سنوات حيث كانت متأكدة من أن سترايك رآها كامرأة مرغوبة، وليس كصديقة، أو متدربة، أو أخت صغرى.

الأولى كانت عندما عرضت ذلك الفستان الأخضر من "كافالي" لأجله، في سياق تحقيقهما الأول معًا، عندما أشاح بنظره عنها كما يفعل الرجل إذا كان يتجنب ضوءًا ساطعًا جدًا. كانت محرجة من سلوكها الخاص، بعد ذلك: لم تقصد جعله يظن أنها تحاول أن تكون مغرية أو مستفزة؛ كل ما كانت تحاول فعله هو الحصول على معلومات من مساعدة المبيعات. لكن عندما أعطاها الفستان الأخضر لاحقًا، معتقدًا أنه لن يراها مرة أخرى أبدًا، تساءلت عما إذا كان جزء من الرسالة التي كان سترايك يحاول نقلها هو أنه لا يتنصل من تلك النظرة، وأنها، بالفعل، بدت رائعة في الفستان، وهذا الشك لم يجعلها تشعر بعدم الراحة، بل بالسعادة والإطراء.

اللحظة الثانية، الأكثر إيلامًا للتذكر، كانت عندما وقفت في أعلى الدرج في مكان زفافها، وسترايك أسفلها، والتفت عندما نادت اسمه، ونظر إليها، العروس

الجديدة. كان مصابًا ومنهكًا، ومرة أخرى، رأت وميضًا لشيء ما في وجهه لم يكن مجرد صداقة، وتعانقا، وشعرت...

من الأفضل عدم التفكير في الأمر. من الأفضل عدم الإسهاب في التفكير في ذلك العناق، وفي كيف شعرت وكأنها في الوطن، وكيف أن نوعًا من الجنون تملكها في تلك اللحظة، وتخيلته يقول "تعالي معي" وعرفت أنها كانت ستذهب لو فعل.

جرفت روبن أوراق الأبراج عن طاولة الحانة، وحشرتها مرة أخرى في حقيبتها وخرجت، تاركة نصف قهوتها غير مشروب.

محاولة التخلص من ذكرياتها بالمشي، عبرت جسرًا حجريًا صغيرًا يمتد فوق نهر "ليم" بطيء الجريان، الذي كان مرقطًا بكتل من طحلب البط، ومرت برواق "غرف المضخات الملكية"، حيث سيفتح معرض ساتشويل في اليوم التالي. ماشية بخطوات واسعة ونشيطة، ويداها في جيوبها، حاولت روبن التركيز على "الباراد" (The Parade)، حيث شوهت واجهات المتاجر ما كان ذات يوم شرفة ريجنسي بيضاء ممتدة.

لكن ليمنغتون سبا لم تفعل شيئًا لرفع معنوياتها. على العكس، ذكرتها كثيرًا بمدينة منتجع صحي أخرى: باث، حيث ذهب ماثيو للجامعة. بالنسبة لروبن، المنحنيات الطويلة والمتناظرة لمباني الريجنسي، بواجهاتها الكلاسيكية البسيطة، ستستحضر للأبد ذكريات كانت عزيزة ذات يوم وشوهتها اكتشافات لاحقة: رؤى لنفسها وماثيو يتجولان يدًا بيد، مغطاة بالمعرفة بأنه، حتى في ذلك الحين، كان ينام مع سارة.

تمتمت روبن: "أوه، تباً لكل شيء"، وهي ترمش لإبعاد الدموع عن عينيها. استدارت فجأة وتوجهت عائدة طوال الطريق إلى اللاند روفر.

بعد إيقاف السيارة بالقرب من الفندق، قامت بانعطاف إلى "كو-أب" (Co-op) قريب لشراء مخزون صغير من الطعام، ثم سجلت الدخول في آلة الخدمة الذاتية في فندق "بريمير إن" الخاص بها وتوجهت للأعلى إلى غرفتها المفردة. كانت صغيرة، وعارية لكن نظيفة ومريحة تمامًا، وتطل على قاعة بلدة قبيحة بشكل

مذهل من الطوب الأحمر والأبيض، والتي كانت مزينة بشكل مفرط بلفائف، وجملونات وأسود.

شطيرتان، وإكلير شوكولاتة، وعلبة دايت كوك وتفاحة جعلت روبن تشعر بتحسن. بينما كانت الشمس تغرب ببطء خلف المباني في الباراد، خلعت حذاءها ومدت يدها في حقيبتها لإخراج الصفحات المصورة من دفتر تالبوت ومجموعة بطاقات تاروت "ثوث" الخاصة بها، التي ابتكرها أليستر كراولي، والتي سعى بيل تالبوت من خلالها لحل لغز اختفاء مارغو. مخرجة المجموعة من العلبة إلى يدها، خلطت البطاقات، فاحصة الصور. تمامًا كما شكت، نسخ تالبوت العديد من الزخارف إلى دفتر ملاحظاته، يفترض من تلك البطاقات التي ظهرت خلال محاولاته المتكررة لحل القضية باستشارة التاروت.

سوت روبن الآن نسخة مصورة لما فكرت فيه كـ "صفحة القرون"، والتي أسهب فيها تالبوت في الحديث عن الأبراج الثلاثة ذات القرون في دائرة الأبراج: الجدي، والحمل والثور. جاءت هذه الصفحة في الربع الأخير من دفتر الملاحظات، حيث ظهرت اقتباسات من أليستر كراولي، ورموز فلكية ورسومات غريبة أكثر بكثير من الحقائق الملموسة.

هنا في صفحة القرون كان دليل على اهتمام تالبوت المتجدد بساتشويل، الذي استبعده أولاً على أساس أنه كان حملاً (Aries) وليس جديًا (Capricorn). من الواضح أن تالبوت قام بحساب الطالع الفلكي الكامل لميلاد ساتشويل وكلف نفسه عناء تدوين جوانب مختلفة، لاحظ أنها كانت *نفس AC. نفس AC. ولا تنسَ صلة LS*.

لزيادة الارتباك، استمر شميدت الغامض في تصحيح الأبراج، رغم أنه سمح لساتشويل بالاحتفاظ ببرجه الأصلي الحمل.

ثم خطرت لروبن فكرة غريبة: فكرة دائرة أبراج من أربعة عشر برجًا كانت سخيفة بوضوح (ولكن لماذا كانت أكثر سخافة من دائرة أبراج من اثني عشر برجًا؟ سأل صوت في رأسها، بدا يشبه صوت سترايك بشكل لافت للنظر)، لكن بالتأكيد إذا كنت ستحشر برجين إضافيين، فالتواريخ ستضطر للتزحزح، أليس كذلك؟

التقطت هاتفها المحمول وكتبت في غوغل "دائرة أبراج أربعة عشر برجًا شميدت" (fourteen-sign zodiac Schmidt).

قالت روبن بصوت عالٍ، في غرفتها الفندقية الساكنة:

– "يا إلهي."

قبل أن تتمكن من استيعاب ما قرأته بالكامل، رن الهاتف المحمول في يدها. كان سترايك.

قالت روبن، محولة إياه بسرعة لمكبر الصوت لتتمكن من مواصلة قراءة ما وجدته للتو:

– "مرحبًا. كيف حالك؟"

قال سترايك، الذي بدا صوته كذلك:

– "منهك. ماذا حدث؟"

سألت روبن، وعيناها تمسحان سطور النص بسرعة:

– "ماذا تعني؟"

– "صوتك يبدو كما تفعلين عندما تكتشفين شيئًا ما."

ضحكت روبن.

– "حسنًا، لن تصدق هذا، لكنني وجدت شميدت للتو."

– "وجدتِ ماذا؟"

– "شميدت، الاسم الأول، ستيفن. إنه شخص حقيقي! كتب كتابًا في عام 1970 بعنوان *تنجيم 14* (Astrology 14)، يقترح إدراج برجين إضافيين في دائرة الأبراج، أوفيوتشوس (الحواء/حامل الثعبان)، وقيطس (الحوت)!"

ساد صمت قصير، ثم تمتم سترايك:

– "كيف بحق الجحيم فاتني ذلك؟"

قالت روبن، متهاوية على وسائدها وسط بطاقات التاروت المبعثرة:

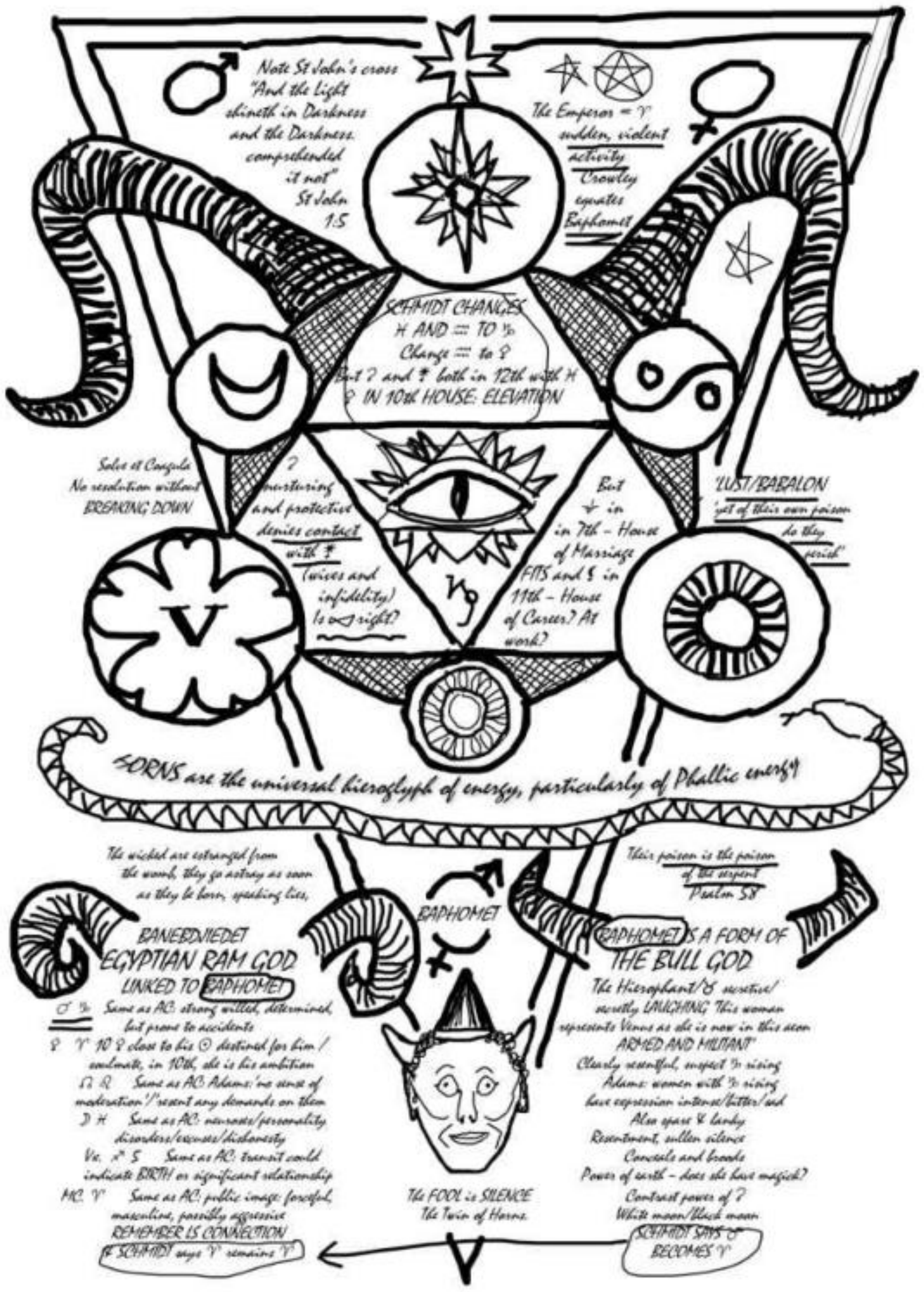
– "تتذكر تمثال الرجل الذي يحمل الثعبان، في منزل مارغو القديم؟"

قال سترايك:

– "أسكليبيوس. أوفيوتشوس كان الشكل الروماني. إله الشفاء."

قالت روبن:

– "حسنًا، هذا يفسر كل التواريخ المتغيرة، أليس كذلك؟ ولماذا ارتبك تالبوت المسكين للغاية! كان يحاول وضع الجميع في تواريخ شميدت المعدلة، لكنهم لم يبدوا مناسبين. وكل المنجمين الآَخرين الذين كان يستشيرهم كانوا لا يزالون يستخدمون نظام الاثني عشر برجًا، لذا –"



قاطعها سترايك قائلاً:

– "نعم، هذا كفيل بجعل المجنون أكثر جنونًا، بلا شك."

كانت نبرته تقول: "هذا مثير للاهتمام، لكنه ليس مهمًا". أزاحت روبن بطاقة "ثلاثة أقراص" من تحتها وتفحصتها بشرود. كانت روبن الآن ضليعة في

الرموز الفلكية لدرجة أنها لم تكن بحاجة للبحث عن معنى الرموز لتعرف أنها تمثل أيضًا المريخ في برج الجدي.

سألته:

– "كيف هي الأمور معك؟"

– "حسنًا، الكنيسة لن تتسع لكل القادمين غدًا، وهو ما كان ليسعد جوان كثيرًا. أردت فقط إخبارك بأنني سأتجه عائدًا يوم الثلاثاء."

– "هل أنت متأكد أنك لست بحاجة للبقاء لفترة أطول؟"

– "الجيران يعدون جميعًا بالاعتناء بـ تيد. وتحاول لوسي إقناعه بالمجيء إلى لندن لفترة قصيرة بعد ذلك. أي أخبار أخرى من طرفك؟"

قالت روبن:

– "آه... لنرَ... لقد أنهيت قضية (بوستكارد). أعتقد أن خبير الأرصاد الجوية لدينا خاب أمله تمامًا حين رأى من هي مطاردته. لكن زوجته ابتهجت للغاية."

أطلق سترايك ضحكة مقتضبة.

تابعت روبن:

– "إذن، لقد تولينا قضية وسيط السلع. لم نحصل على صور تدين الزوج والمربية بعد، لكنني لا أعتقد أن الأمر سيطول."

قال سترايك بصوت أجش:

– "أنتِ تستحقين إجازة طويلة مقابل كل هذا يا روبن. لا يمكنني شكرك بما فيه الكفاية."

قالت:

– "لا تكن سخيفًا."

أنهيا المكالمة بعد فترة وجيزة.

بدا أن غرفة روبن قد أصبحت فجأة أكثر ظلمة. غابت الشمس؛ وبدا مبنى البلدية في ظل العتمة كقصر قوطي وحشي. أضاءت مصباحها الجانبي ونظرت حولها إلى السرير المغطى بالملاحظات الفلكية وبطاقات التاروت. في ضوء فتر

حماس سترايك، بدت خربشات تالبوت كرسومات تلميذ مراهق مصمم على الغرابة في الصفحات الخلفية لكراسته، لا تقود إلى شيء، ونفذت لمجرد حب الغرابة.

وهي تتثاءب، أعادت طي الملاحظات المصورة ووضعتها في حقيبتها، وذهبت للاستحمام، ثم عادت بملابس النوم إلى السرير وجمعت بطاقات التاروت، مرتبة إياها أثناء ذلك للتأكد من عدم ضياع أي منها. لم تكن ترغب بشكل خاص في أن تظن عاملة النظافة أنها من النوع الذي يترك بطاقات التاروت مبعثرة خلفه.

وبينما كانت تهم بإعادة الرزمة إلى صندوقها، جلست روبن فجأة على السرير وبدأت في خلط الأوراق بدلاً من ذلك. كانت متعبة للغاية لمحاولة تنفيذ "تخطيط الخمس عشرة بطاقة" الذي يوصي به الكتيب الصغير المرفق مع التاروت، لكنها عرفت من خلال فحصها الشامل لملاحظات تالبوت أنه كان يحاول أحيانًا تلمس طريقه في التحقيق من خلال وضع ثلاث بطاقات فقط: الأولى تمثل "طبيعة المشكلة"، والثانية "السبب"، والثالثة "الحل".

بعد دقيقة من الخلط، قلبت روبن البطاقة العليا ووضعتها في بقعة الضوء التي يلقيها مصباحها الجانبي: "أمير الكؤوس". رجل عارٍ يميل للزرقة والخضرة يمتطي نسرًا يغوص نحو الماء. كان يحمل كأسًا بداخلها ثعبان في يد، وزهرة لوتس في اليد الأخرى. سحبت روبن كتاب "تحوت" من حقيبتها وبحثت عن المعنى.

الخصائص الأخلاقية للشخص المصور في هذه البطاقة هي الدهاء، والعنف السري، والمكر. إنه كتوم للغاية، وفنان في كل أساليبه.

فكرت فورًا في دينيس كريد. فنان في القتل، على طريقته.

قلبت البطاقة التالية: "أربعة كؤوس"، أو "الترف". زهرة لوتس أخرى تصب الماء فوق أربعة كؤوس أخرى، ذهبية هذه المرة. عادت روبن إلى الكتاب.

تشير البطاقة إلى القمر في السرطان، وهو منزله الخاص؛ لكن السرطان نفسه موضوع بحيث يشير هذا إلى ضعف معين، واستسلام للرغبة.

هل كان التاروت ينتقدها على حياة الرفاهية؟ جالت روبن ببصرها في غرفتها الصغيرة التي تشبه الصندوق، ثم قلبت البطاقة الأخيرة.

المزيد من الكؤوس والمزيد من زهور اللوتس، وسمكتان متشابكتان تصبان الماء في كأسين ذهبيين آخرين يقفان على بحيرة خضراء.

الحب... تشير البطاقة أيضًا إلى الزهرة في السرطان. تظهر انسجام الذكر والأنثى: مفسرة بأوسع معانيها. إنه انسجام تام ووادع...

تفحصت روبن البطاقة لبضع ثوانٍ أخرى، قبل أن تضعها بجانب البطاقتين الأخريين. كانت جميعها كؤوسًا. وكما عرفت من دراستها لتاروت تحوت، فإن الكؤوس تعني الماء. حسنًا، ها هي ذي في مدينة منتجعات ومياه...

هزت روبن رأسها، رغم أنه لم يكن هناك أحد ليراها تفعل ذلك، وأعادت بطاقات التاروت إلى صندوقها، ودست نفسها في الفراش، وضبطت منبهها، ثم أطفأت النور.

46

بينما استراح ذلك الوثني المتغطرس،
في ظلٍ سري بجوار نبع؛
كان هو نفسه، الذي أراد سابقًا قمع
«أونا» الحسناء...

إدموند سبنسر ملكة الجن

تخلل ليلة روبن صحوات مفاجئة من سلسلة أحلام قلقة: أنها نامت على عجلة القيادة مرة أخرى، أو أنها استغرقت في النوم ووصلت إلى المعرض لتجد معرض ساتشويل قد انتهى.

عندما رن المنبه على هاتفها المحمول في السابعة صباحًا، أجبرت نفسها فورًا على النهوض من السرير، واستحمت، وارتدت ملابسها، وسعيدة بمغادرة غرفة النوم غير الشخصية، توجهت للطابق السفلي وحقيبتها المحزومة معها لتناول "الموسلي" وشرب القهوة في غرفة الطعام، التي كانت مطلية بلون أخضر طيني كئيب.

كان النهار بالخارج منعشًا لكنه ملبد بالغيوم، وشمس فضية باردة تحاول اختراق السحاب. بعد إعادة حقيبتها إلى سيارة اللاند روفر المتوقفة، توجهت سيرًا على الأقدام نحو "غرف المضخات الملكية" (Royal Pump Rooms)، التي تضم المعرض حيث كان معرض ساتشويل على وشك الافتتاح. إلى يسارها كانت حدائق "جيفسون" المزخرفة، ونافورة من الحجر الوردي ربما كانت النموذج لإحدى بطاقات تاروت كراولي. أربعة أحواض بنمط المحار كانت تجلس في القمة.

... ضعف معين، واستسلام للرغبة...

أنتِ تصبحين مثل تالبوت، قالت روبن لنفسها بحدة. مسرعة الخطى، وصلت إلى غرف المضخات مع بعض الوقت الفائض.

كان المبنى قد فتح لتوه؛ كانت شابة ترتدي الأسود تبتعد عن الأبواب الزجاجية، ممسكة بمجموعة مفاتيح. دخلت روبن، لتجد أثرًا ضئيلاً لغرف المضخات من عهد الوصاية بالداخل: الأرضية مغطاة ببلاط رمادي حديث، والسقف مدعوم بأعمدة معدنية. احتل مقهى أحد أجنحة المساحة المفتوحة، ومتجر جناحًا آخر. رأت روبن أن المعرض يقع في الجهة المقابلة، عبر المزيد من الأبواب الزجاجية.

تألف من غرفة واحدة طويلة، بجدران من الطوب وأرضية خشبية، تم تخصيصها مؤقتًا لمعرض لفنانين محليين. كان هناك ثلاثة أشخاص فقط بالداخل: امرأة ممتلئة الجسم، بشعر رمادي قصير (بوب) تضع طوق رأس (أليس باند)، ورجل صغير بمظهر بائس شكت روبن في أنه زوجها، وشابة أخرى ترتدي الأسود، افترضت أنها تعمل هناك. كان صوت المرأة ذات الشعر الرمادي يتردد في أرجاء الغرفة وكأنها في صالة ألعاب رياضية.

– "قلت لـ شونا إن «لونغ إيتشنغتون» تحتاج لضوء مسلط! بالكاد يمكنك رؤيتها، هذه الزاوية مظلمة جدًا!"

سارت روبن ببطء في الأرجاء، تنظر إلى اللوحات والرسومات. تم منح مساحة لخمسة فنانين محليين في المعرض المؤقت، لكنها حددت أعمال بول ساتشويل دون صعوبة: لقد مُنحت موقعًا بارزًا وبرزت بجرأة بين دراسات المعالم المحلية، وصور شخصية لبريطانيين شاحبين يقفون في محطات الحافلات، ولوحات الطبيعة الصامتة.

شخصيات عارية تتلوى وتعبث في مشاهد من الأساطير اليونانية. بيرسيفوني تصارع في ذراعي هاديس وهو يحملها إلى العالم السفلي؛ أندروميدا تشد السلاسل التي تربطها بالصخر بينما يرتفع مخلوق يشبه التنين من الأمواج

لافتراسها؛ ليدا تستلقي على ظهرها في أعشاب البردي بينما يقوم زيوس، في هيئة بجعة، بتلقيحها.

طفا سطران لـ جوني ميتشل عائدين إلى ذاكرة روبن وهي تنظر إلى اللوحات: *"عندما رأيت معرضك لأول مرة، أعجبتني لوحات السيدات..."*

إلا أن روبن لم تكن متأكدة مما إذا كانت اللوحات قد أعجبتها. الشخصيات النسائية كانت جميعهن بشعر أسود، وبشرة زيتونية، وصدور ثقيلة وعاريات جزئيًا أو كليًا. كانت اللوحات متقنة، لكن روبن وجدتها شهوانية قليلاً. كانت كل امرأة علي وجهها تعبيرًا مشابهًا من الاستسلام الفارغ، وبدا أن ساتشويل لديه تفضيل واضح لتلك الأساطير التي تضمنت التقييد، أو الاغتصاب أو الاختطاف.

قال الزوج ذو الوجه الوديع للرسامة الغاضبة لـ "لونغ إيتشنغتون"، مظهرًا بجانب روبن لتأمل صورة لـ آيو عارية تمامًا، وشعرها يتدفق خلفها وثدياها يلمعان بالعرق وهي تهرب من ثور ذي انتصاب هائل:

– "مذهلة، أليست كذلك؟"

قالت روبن:

– "ممم. كنت أتساءل عما إذا كان سيأتي إلى المعرض. بول ساتشويل، أعني."

قال الرجل:

– "أعتقد أنه قال إنه سيمر مرة أخرى."

– "مرة أخرى –؟ تعني أنه هنا؟ في إنجلترا؟"

قال الرجل، وبدا متفاجئًا نوعًا ما:

– "حسنًا، نعم. كان هنا أمس، على أية حال. جاء لرؤية تعليقها."

قالت الشابة التي ترتدي الأسود، والتي بدت سعيدة بوجود سبب للتحدث مع شخص آخر غير الفنانة المستشيطة غضبًا بطوق الرأس:

– "يزور العائلة، أعتقد أنه قال ذلك."

سألت روبن:

– "ليس لديكِ تفاصيل اتصال له، أليس كذلك؟ ربما عنوان المكان الذي يقيم فيه؟"

قالت الشابة، التي بدت الآن مهتمة:

– "لا."

من الواضح أن الفنانين المحليين لم يكونوا يثيرون عادة هذا القدر من الإثارة.

– "يمكنك ترك اسمك وعنوانك، رغم ذلك، إذا رغبت، وسأخبره أنك تريدين التحدث إليه إذا مر؟"

لذا رافقت روبن الشابة عائدة إلى منطقة الاستقبال، حيث خربشت اسمها ورقم هاتفها على قطعة من الورق، ثم، وقلبها لا يزال ينبض بسرعة من الإثارة، ذهبت إلى المقهى، واشترت لنفسها كابتشينو وتمركزت بجانب نافذة طويلة تطل على حدائق "غرفة المضخات"، حيث كان لديها رؤية جيدة للأشخاص الذين يدخلون المبنى.

هل يجب عليها الحجز مرة أخرى في فندق "بريمير إن" والانتظار هنا في ليمنغتون سبا حتى يظهر ساتشويل نفسه؟ هل سيعتقد سترايك أن الأمر يستحق إهمال قضاياهم الأخرى للبقاء هنا على أمل ظهور ساتشويل؟ كانت جنازة جوان اليوم: لم تستطع إثقاله بالسؤال.

تساءلت عما يفعله شريكها الآن. ربما يرتدي ملابسه للقداس بالفعل. لم تحضر روبن سوى جنازتين في حياتها. توفي جدها لأمها قبل أن تترك الجامعة مباشرة: عادت للمنزل للجنازة ولم ترجع للجامعة أبدًا. تذكرت القليل جدًا من المناسبة: تطلب الأمر كل ما لديها للحفاظ على واجهة هشة من العافية، وتذكرت الشعور الغريب بالانفصال عن الجسد الذي كمن وراء هشاشة قشر البيض التي قابلت بها استفسارات أفراد الأسرة الخائفين الذين عرفوا ما حدث لها. تذكرت أيضًا يد ماثيو حول يدها. لم يتركها مرة واحدة، مفوتًا المحاضرات ومباراة رجبي مهمة ليأتي ويكون معها.

الجنازة الأخرى الوحيدة التي حضرتها كانت قبل أربع سنوات، عندما حضرت هي وسترايك حرق جثة فتاة مقتولة في سياق تحقيقهما الأول في جريمة قتل، واقفين معًا في الجزء الخلفي من المحرقة غير الشخصية وقليلة الحضور. كان ذلك قبل أن يوافق سترايك على توظيفها بشكل دائم، عندما لم تكن سوى موظفة مؤقتة سمح لها سترايك بالدخول في تحقيقه. بالتفكير مرة أخرى في جنازة روشيل أونيفاد، أدركت روبن أنه حتى في ذلك الحين، كانت الروابط التي تشدها إلى ماثيو قد بدأت ترتخي. لم تكن روبن قد أدركت ذلك بعد، لكنها وجدت شيئًا أرادته أكثر مما أرادت أن تكون زوجة ماثيو.

بعد إنهاء قهوتها، قامت روبن برحلة سريعة إلى الحمام، ثم عادت إلى المعرض على أمل أن يكون ساتشويل قد دخله وهي لا تراقب، لكن لم يكن له أثر. كان عدد قليل من الناس قد دخلوا للتجول حول المعرض المؤقت. كانت لوحات ساتشويل تجذب أكبر قدر من الاهتمام. بعد أن جابت الغرفة مرة أخرى، تظاهرت روبن بالاهتمام بنافورة مياه قديمة في الزاوية. مغطاة بالأكاليل ورؤوس الأسود ذات الأفواه الفاغرة، كانت توزع ذات يوم مياه المنتجع الصحي المانحة للصحة.

خلف الجرن كانت هناك غرفة أخرى، قدمت تباينًا كليًا مع المساحة النظيفة والحديثة خلفها. كانت مثمنة الأضلاع ومبنية من الطوب، بسقف عالٍ جدًا ونوافذ من زجاج "بريستول" الأزرق. خطت روبن للداخل: كان، أو كان ذات يوم، حمامًا تركيًا أو غرفة بخار، وكان له مظهر معبد صغير. في أعلى نقطة من السقف المقبب كانت هناك قبة مزينة بنجمة ثمانية الرؤوس من الزجاج، يتدلى منها فانوس.

– "من اللطيف رؤية القليل من التأثير الوثني، أليس كذلك؟"

كان الصوت مزيجًا من لهجة "كوكني" متكلفة، مغطاة بأثر طفيف جدًا من لهجة يونانية. استدارت روبن وهناك، مزروعًا بثبات في وسط الحمام، في بنطال جينز وقميص "دنيم" قديم، كان رجل مسن عينه اليسرى مغطاة بضمادة جراحية، برزت ببيضاء صارخ مقابل بشرة بنية كالتراكوتا القديمة. شعره الأبيض المتناثر ينسدل على كتفيه المنحنيين؛ شعر صدر أبيض ينمو في المساحة التي تركتها

أزراره المفكوكة، سلسلة فضية تتدلى حول عنقه ذي الجلد المجعد كالكريب، وخواتم من الفضة والفيروز تزين أصابعه.

سأل بول ساتشويل، كاشفًا عن أسنان صفراء بنية وهو يبتسم:

– "أنتِ الشابة التي أرادت التحدث معي؟"

قالت روبن:

– "نعم، أنا هي." وأضافت وهي تمد يدها: "روبن إيلاكوت."

مسحت عينه المكشوفة وجه روبن وقوامها بتقدير غير مخفٍ. أمسك يدها لفترة أطول قليلاً مما ينبغي بعد مصافحتها لكن روبن واصلت الابتسام وهي تسحبها، ونقبت في حقيبة يدها عن بطاقة، وأعطته إياها.

قال ساتشويل، وتلاشت ابتسامته قليلاً وهو يقرأ البطاقة بعين واحدة:

– "محققة خاصة؟ ما هذا بحق الجحيم؟"

شرحت روبن.

قال ساتشويل، وبدا عليه الصدمة:

– "مارغو؟ المسيح العظيم، هذا منذ، ماذا... أربعين عامًا؟"

قالت روبن، متنحية جانبيًا لتسمح لبعض السياح بأخذ مكانها في وسط الحمام، وقراءة تاريخه من اللافتة على الحائط:

– "تقريبًا. جئت من لندن على أمل التحدث إليك عنها. سيعني الكثير للعائلة إذا أمكنك إخباري بأي شيء تتذكره."

قال ساتشويل:

– "إيلا ري (يا رجل/هيا)، ماذا تتوقعين مني أن أتذكر بعد كل هذا الوقت؟"

لكن روبن كانت واثقة من أنه سيقبل. اكتشفت أن الناس عمومًا يريدون معرفة ما تعرفه بالفعل، ولماذا جئت لتجدهم، وما إذا كان لديهم أي سبب للقلق. وأحيانًا يريدون التحدث، لأنهم وحيدون أو يشعرون بالإهمال، ومن الممتع أن يكون هناك شخص يتعلق بكلماتك، وأحيانًا، كما الآن (مسنًا كما كان، عينه الوحيدة، التي كانت زرقاء باردة وشاحبة، مسحت جسدها وعادت لوجهها) يريدون قضاء المزيد من الوقت مع شابة يجدونها جذابة.

قال ساتشويل ببطء:

– "حسنًا إذن، لا أعرف ما يمكنني إخبارك به، لكنني جائع. دعيني أدعوكِ للغداء."

قالت روبن مبتسمة:

– "سيكون ذلك رائعًا، لكنني أنا من سيدعوك. أنت تسدي لي معروفًا."

47

... الثور المقدس، الذي يقف غافلاً،
بقرنين مذهبين، وإكليل من الزهور يتوجه...
فجأة، وبضربة قاتلة، يذهل،
ويسقط منكبًا على وجهه...
لم تتوقف الفتاة المحاربة لترثيه،
بل مضت راكبة، محافظة على مسارها...
إدموند سبنسر ملكة الجن

ودع ساتشويل الموظفة في المعرض الفني بإمساك يديها في مصافحة مزدوجة وتأكيد أنه سيمر لاحقًا في الأسبوع. حتى أنه ودع بحفاوة رسامة "لونغ إيتشنغتون" الساخطة، التي عبست في أثره وهو يغادر.

قال ضاحكًا، بينما كان هو وروبن يتجهان خارج غرف المضخات:

– "المعارض الإقليمية. مضحك، رؤية أعمالي بجوار صور تلك العجوز الشمطاء التي تشبه البطاقات البريدية، أليس كذلك؟ ومع ذلك، هناك شيء من الإثارة في العرض حيث ولدت. لم أعد إلى هنا منذ، يا إلهي، لابد أنه نيف وخمسون عامًا. لديك سيارة؟ جيد. سنخرج من هنا، ونذهب إلى وارويك. إنها قريبة جدًا."

حافظ ساتشويل على تدفق مستمر من الحديث بينما كانا يسيران نحو اللاند روفر.

– "لم أحب ليمنغتون قط." بعين واحدة فقط في خدمته، كان عليه إدارة رأسه بطريقة مبالغ فيها للنظر حوله. "راقية أكثر من اللازم لأمثالي..."

علمت روبن أنه عاش في بلدة المنتجع الصحي حتى بلغ السادسة فقط، وعندها انتقل هو ووالدته العزباء إلى وارويك. كان لديه أخت غير شقيقة أصغر، نتيجة لزواج والدته الثاني، وكان يقيم معها حاليًا، وقرر إجراء عملية إزالة المياه البيضاء (الكاتاراكت) أثناء وجوده في إنجلترا.

– "لا أزال مواطنًا بريطانيًا، لي الحق في ذلك. لذا عندما سألوني،" قال، بتلويحة كبيرة للخلف نحو غرف المضخات الملكية، "إذا كنت سأساهم ببعض اللوحات، فكرت، لمَ لا؟ أحضرتها معي."

قالت روبن بغير صدق:

– "إنها رائعة. هل لديك أخت واحدة فقط؟"

لم يكن لديها هدف سوى إجراء محادثة مهذبة، لكن من زاوية عينها، رأت رأس ساتشويل يستدير لتتمكن عينه غير المضمضة من النظر إليها.

قال، بعد لحظة أو اثنتين:

– "لا. كان... كان لدي أخت أكبر أيضًا، لكنها ماتت عندما كنا أطفالاً."

– "أوه، أنا آسفة."

– "واحدة من تلك الأشياء. معاقة بشدة. كانت تعاني من نوبات وتلك الأمور. كانت أكبر مني. لا أستطيع تذكر الكثير عن ذلك. أثر الأمر على أمي بشدة، بوضوح."

– "أستطيع التخيل."

كانا قد وصلا إلى اللاند روفر. روبن، التي كانت قد حسبت ذهنيًا الخطر عليها، في حال ثبت أن ساتشويل خطير، كانت واثقة من أنها ستكون آمنة في ضوء النهار، ونظرًا لأنها تسيطر على السيارة. فتحت الأبواب وصعدت إلى مقعد السائق، ونجح ساتشويل في رفع نفسه إلى مقعد الراكب في محاولته الثانية.

قال، وهو يربط حزام الأمان:

– "نعم، انتقلنا إلى وارويك من هنا بعد وفاة بلانش. أنا وأمي فقط. ليس أن وارويك أفضل كثيرًا، لكنها أصيلة. مباني العصور الوسطى الأصيلة، كما تعلمين؟"

نظرًا لأنه ولد ونشأ في "ميدلاندز"، اعتقدت روبن أن لهجته الـ "كوكني" لابد أن تكون تصنعًا طويل الأمد. كانت تأتي وتذهب، ممزوجة بنغمة كانت أجنبية قليلاً بعد سنوات عديدة في اليونان.

قال:

– "بينما هذا المكان... الفيكتوريون فعلوا فعلتهم الشنيعة به." وبينما كانت روبن ترجع للخلف للخروج من موقف السيارات، قال، ناظرًا للأعلى إلى الوجه المغطى بالطحالب لتمثال حجري للملكة فيكتوريا: "ها هي ذا، انظري، البقرة العجوز البائسة،" وضحك. "انظري لحالة ذلك المبنى،" أضاف، وهما يمران بمبنى البلدية. "هذا شيء مشترك بيني وبين كراولي، بالتأكيد. ولدنا هنا، وكرهنا العيش هنا."

ظنت روبن أنها لابد أساءت السمع.

– "أنت و..."

– "أليستر كراولي."

كررت، وهما يقودان صعودًا في "الباراد":

– "كراولي؟ الكاتب في السحر والتنجيم؟"

– "أجل. ولد هنا. لا ترين ذلك في العديد من الكتيبات الإرشادية، لأنهم لا يحبون ذلك. هنا، انعطفي يسارًا. هيا، إنه في طريقنا."

بعد دقائق، وجهها إلى "ميدان كلاريندون"، حيث المنازل البيضاء الشاهقة المتلاصقة، وإن كانت مقسمة الآن إلى شقق، احتفظت بأثر من عظمتها القديمة.

قال ساتشويل برضا، مشيرًا للأعلى إلى الرقم 30:

– "هذا هو، حيث ولد. لا لوحة تذكارية ولا شيء. لا يحبون الحديث عنه، الناس الطيبون في ليمنغتون سبا. مررت بمرحلة كراولي في شبابي،" قال ساتشويل، بينما كانت روبن تنظر للأعلى إلى النوافذ المربعة الكبيرة. "هل تعلمين أنه عذب قطة حتى الموت عندما كان صبيًا، فقط ليرى ما إذا كانت لديها تسعة أرواح؟"

قالت روبن، وهي تضع السيارة في وضع الرجوع للخلف:

– "لم أكن أعلم."

قال ساتشويل برضا مريض:

– "ربما حدث ذلك هناك."

نفس AC (أليستر كراولي). نفس AC. ومضة تنوير أخرى ضربت روبن. تالبوت كان يبحث عن مكونات متطابقة بين طالع ساتشويل وكراولي، الذي أعلن نفسه "الوحش"، و"بافوميت"، وأشرس رجل في الغرب. *صلة LS*. بالطبع: ليمنغتون سبا.

لماذا قرر تالبوت، بعد أشهر من التحقيق، أن ساتشويل يستحق طالعًا فلكيًا كاملاً، المشتبه به الوحيد الذي نال هذا الشرف؟ كانت حجة غيابه تبدو محكمة، في النهاية. هل كانت عودة الشكوك عرضًا لمرض تالبوت، أثارها تزامن مكان ميلاد ساتشويل وكراولي، أم أنه كشف ضعفًا غير مسجل في حجة غياب ساتشويل؟

استمر ساتشويل في الحديث عن حياته في اليونان، ورسمه وعن خيبة أمله في حال إنجلترا القديمة، وأصدرت روبن أصواتًا مناسبة في فترات منتظمة بينما كانت تراجع ذهنيًا تلك الميزات في طالع ساتشويل التي وجدها تالبوت مثيرة للاهتمام.

المريخ في الجدي: قوي الإرادة، مصمم، لكنه عرضة للحوادث.

القمر في الحوت: عصاب / اضطرابات الشخصية / عدم الأمانة.

الطالع الأسد: لا إحساس بالاعتدال. يستاء من المطالب عليه.

وصلا إلى وارويك في غضون نصف ساعة، وكما وعد ساتشويل، وجدا نفسيهما في بلدة بالكاد كان يمكن أن تقدم تباينًا أكبر مع المباني البيضاء الواسعة والمتسعة لليمنغتون. ذكر قوس حجري قديم روبن بـ كليركينويل. مرا بمنازل من الخشب والعوارض، وحصى، وشوارع شديدة الانحدار وأزقة ضيقة.

قال ساتشويل، عندما أوقفت روبن السيارة في ساحة السوق:

– "سنذهب إلى «روبوك» (الوعل). إنها هناك منذ الأزل. أقدم حانة في المدينة."

قالت روبن مبتسمة وهي تتحقق من وجود مفكرتها في حقيبتها:

– "أينما تحب."

مشيا معًا عبر قلب وارويك، وساتشويل يشير إلى المعالم التي اعتبرها تستحق النظر. كان واحدًا من أولئك الرجال الذين يشعرون بالحاجة للمس، ناقرًا ذراع روبن بلا ضرورة لجذب انتباهها، ممسكًا بمرفقها وهما يعبران الشارع، ومفترضًا عمومًا هالة التملك عليها وهما يشقان طريقهما نحو شارع "سميث".

سأل ساتشويل، وهما يحاذيان متجر "بيكتشريسك" لمستلزمات الفن:

– "هل تمانعين؟"

ودون انتظار إجابة قادها إلى المتجر حيث، وهو يختار الفرش والزيوت، تحدث بأهمية ذاتية متعالية عن الاتجاهات الحديثة في الفن وغباء النقاد. *أوه يا مارغو*، فكرت روبن، لكنها تخيلت بعد ذلك مارغو بامبورو التي تحملها معها في رأسها تحكم عليها، بدورها، من خلال ماثيو، بمخزونه اللانهائي من الحكايات عن إنجازاته الرياضية الخاصة، وحديثه المتفاخر بشكل متزايد عن زيادات الرواتب والمكافآت، وشعرت بالتواضع والاعتذار.

أخيرًا، وصلا إلى حانة "روبوك إن"، وهي حانة ذات عوارض منخفضة مع لافتة رأس غزال تتدلى بالخارج، وأمنا طاولة لشخصين نحو الجزء الخلفي من الحانة. لم تستطع روبن إلا أن تلاحظ الصدفة: الجدار خلف ساتشويل كان منقطًا برؤوس حيوانات ذات قرون، بما في ذلك غزال محنط ونماذج برونزية اللون لظبي وكبش. حتى القوائم كان عليها صور ظلية لرؤوس أيائل بقرون. طلبت روبن من النادلة دايت كوك، محاولة طوال الوقت قمع الأفكار حول الأبراج ذات القرون.

سألت، مبتسمة، عندما غادرت النادلة للبار:

– "هل سيكون من المقبول لو طرحت بضعة أسئلة عن مارغو الآن؟"

قال ساتشويل، بابتسامة كشفت عن أسنانه الملطخة مرة أخرى:

– "أجل، بالطبع."

لكنه التقط بطاقة القائمة فورًا ودرسها.

– "وهل تمانع لو دونت ملاحظات؟" سألت روبن، مخرجة مفكرتها.

– "تفضلي،" قال، ولا يزال يبتسم، مراقبًا إياها من فوق قائمة طعامه بعينه المكشوفة، التي تابعت حركاتها وهي تفتح الدفتر وتخرج سن قلمها.

– "إذن، أعتذر إذا كانت أي من هذه الأسئلة –"

سأل ساتشويل، الذي طلب جعة:

– "هل أنتِ متأكدة أنكِ لا تريدين مشروبًا حقيقيًا؟ أكره الشرب وحدي."

– "حسنًا، أنا أقود، أترين."

– "يمكنك البقاء للمبيت. ليس معي، لا تقلقي،" قال بسرعة، بابتسامة عريضة بدت على رجل مسن كهذا كابتسامة "ساتير" (مخلوق أسطوري شهواني) ماكر، "أعني، اذهبي لفندق، سجلي النفقات. أتوقع أنكِ تأخذين مبلغًا جيدًا من عائلة مارغو مقابل هذا، أليس كذلك؟"

اكتفت روبن بالابتسام، وقالت:

– "أحتاج للعودة إلى لندن. نحن مشغولون جدًا. سيكون من المفيد حقًا الحصول على بعض المعلومات الخلفية عن مارغو. كيف التقيتما؟"

أخبرها القصة التي كانت تعرفها بالفعل، عن كيف أخذه عميل إلى نادي بلاي بوي ورأى هناك الفتاة ذات التسعة عشر عامًا والسيقان الطويلة بأذنيها وذيلها الأرنبي.

– "ونشأت صداقة بينكما؟"

قال ساتشويل:

– "حسنًا، لا أعرف ما إذا كنت سأسميها كذلك."

وعينه الباردة على روبن، قال:

– "كان لدينا اتصال جنسي قوي جدًا. كانت عذراء عندما التقينا، كما تعلمين."

ظلت روبن تبتسم رسميًا. لن يحرجها.

تنهد قائلاً:

– "كانت في التاسعة عشرة. كنت في الخامسة والعشرين. فتاة جميلة. أتمنى لو احتفظت بالصور التي التقطتها لها، لكن بعد اختفائها شعرت بالخطأ حيال الاحتفاظ بها."

سمعت روبن أونا مرة أخرى. *"التقط صورًا لها. أنتما تعرفان. صور."* لابد أنها تلك الصور الكاشفة أو البذيئة التي يتحدث عنها ساتشويل، لأنه في النهاية، بالكاد كان سيشعر بالذنب لاحتفاظه بصورة عادية.

عادت النادلة بجعة ساتشويل ودايت كوك روبن. طلبا الطعام؛ بعد مسح سريع للقائمة، طلبت روبن سلطة دجاج ولحم مقدد؛ طلب ساتشويل شريحة لحم وبطاطس مقلية. عندما ذهبت النادلة سألت روبن، رغم أنها تعرف الإجابة:

– "كم بقيتما معًا؟"

– "سنتين تقريبًا، في المجمل. انفصلنا، ثم عدنا لبعضنا. لم تحب استخدامي لعارضات أخريات. غيورة. لم تكن مارغو مخلوقة لتكون ملهمة فنان. لم تحب الجلوس بلا حراك وعدم الكلام، هاها... لا، لقد وقعت في حب مارغو بامبورو بشدة. أجل، كان هناك الكثير فيها أكثر من كونها فتاة أرنب."

بالطبع كان هناك، فكرت روبن، وإن كانت لا تزال تبتسم بأدب. *لقد أصبحت طبيبة لعينة.*

– "هل رسمتها أبدًا؟"

– "أجل. بضع مرات. بعض الرسومات ولوحة واحدة بالحجم الطبيعي. بعتهم. كنت بحاجة للمال. أتمنى لو لم أفعل."

غرق في شرود لحظي، وعينه المكشوفة تمسح الحانة، وتساءلت روبن عما إذا كانت الذكريات القديمة تطفو حقًا خلف الوجه الأسمر بشدة، الذي كان مجعدًا وداكنًا لدرجة أنه قد يكون منحوتًا من خشب الساج، أم أنه كان يلعب الدور المتوقع منه عندما قال بهدوء:

– "كانت فتاة مذهلة، مارغو بامبورو."

أخذ رشفة من جعته، ثم قال:

– "زوجها هو من استأجركما، أليس كذلك؟"

– "لا. ابنتها."

قال ساتشويل مومئًا:

– "أوه. أجل، بالطبع: كان هناك طفلة. لم تبدُ وكأنها أنجبت طفلاً، عندما قابلتها بعد زواجهما. كانت نحيلة كعادتها. زوجتاي، كلتاهما زاد وزنهما حوالي ستة كيلوجرامات مع كل طفل من أطفالنا."

سألت روبن بأدب:

– "كم طفلاً لديك؟"

أرادت أن يسرع الطعام في الوصول. كان من الأصعب المغادرة بمجرد وضع الطعام أمامك، وغريزة ما أخبرتها أن مزاج بول ساتشويل الغريب قد لا يدوم.

– "خمسة. اثنان مع زوجتي الأولى، وثلاثة مع الثانية. لم نقصد ذلك: حصلنا على توأمين في الرمية الأخيرة. كلهم كبروا تقريبًا الآن، شكرًا للمسيح. الأطفال والفن لا يختلطان. أحبهم،" قال بخشونة، "لكن سيريل كونولي كان محقًا. عدو المستقبل الواعد هو عربة الأطفال في الردهة اللعينة."

ألقى عليها نظرة سريعة من عينه الواحدة المرئية وقال فجأة:

– "إذن زوجها لا يزال يعتقد أن لي علاقة باختفاء مارغو، أليس كذلك؟"

استفسرت روبن:

– "ماذا تعني بـ «لا يزال»؟"

– "لقد أعطى اسمي للشرطة. في الليلة التي اختفت فيها. ظن أنها ربما هربت معي. هل كنتِ تعلمين أنني ومارغو اصطدمنا ببعضنا قبل أسبوعين من اختفائها؟"

– "كنت أعلم، نعم."

– "وضع ذلك أفكارًا في رأس ما اسمه. لا أستطيع لومه، أفترض أن الأمر بدا مريبًا. ربما كنت سأفكر في نفس الشيء، لو أن فتاتي التقت بشعلة قديمة قبل أن تغادر مباشرة – تختفي، أعني."

وصل الطعام: بدت شريحة لحم وبطاطس ساتشويل شهية، لكن روبن، التي كانت مشغولة جدًا بالتركيز على أسئلتها، لم تقرأ التفاصيل الصغيرة في القائمة. متوقعة طبق سلطة، تلقت طبقًا خشبيًا يحمل أوعية صغيرة مختلفة تحتوي على

شرائح سجق ساخن، وحمص وفوضى لزجة من أوراق مغطاة بالمايونيز، تشكيلة صعبة الأكل أثناء تدوين الملاحظات.

عرض ساتشويل، دافعًا الدلو المعدني الصغير الذي يحتوي عليها نحوها:

– "تريدين بعض البطاطس؟"

قالت روبن مبتسمة:

– "لا شكرًا."

أخذت قضمة من عود خبز وتابعت، وقلمها في يدها اليمنى:

– "هل تحدثت مارغو عن روي، عندما اصطدمت بها؟"

قال ساتشويل، وفمه ممتلئ باللحم:

– "قليلاً. وضعت واجهة جيدة. ما تفعلينه، عندما تقابلين الحبيب السابق، أليس كذلك؟ تتظاهرين بأنكِ تعتقدين أنكِ فعلتِ الشيء الصحيح. لا ندم."

– "هل اعتقدت أن لديها ندمًا؟"

– "لم تكن سعيدة، استطعت معرفة ذلك. فكرت، لا أحد يعيرك اهتمامًا. حاولت التظاهر بالشجاعة، لكنها بدت لي بائسة. منهكة."

– "هل رأيتما بعضكما البعض مرة واحدة فقط؟"

مضغ ساتشويل لحمه، ناظرًا إلى روبن بتفكير. أخيرًا ابتلع، ثم قال:

– "هل قرأتِ إفادتي للشرطة؟"

– "نعم."

قال ساتشويل، ملوحًا بشوكته نحوها:

– "إذن أنتِ تعرفين جيدًا أنها كانت مرة واحدة فقط. أليس كذلك؟"

كان يبتسم، محاولاً تمرير التوبيخ الضمني كمزاح، لكن روبن شعرت بالشوكة الرفيعة للعدوانية.

قالت روبن، مبتسمة، وكأنها لم تلاحظ النبرة التحتية، متحدية إياه ليصبح دفاعيًا:

– "إذن ذهبتما لتناول مشروب، وتحدثتما؟"

وتابع هو، بنبرة ألطف:

– "أجل، ذهبنا إلى بار ما في كامدن، ليس بعيدًا عن شقتي. كانت في زيارة منزلية لمريض ما."

دونت روبن ملاحظة.

– "وهل يمكنك تذكر ما تحدثتما عنه؟"

– "أخبرتني أنها التقت بزوجها في كلية الطب، وأنه كان طموحًا وكل ذلك. ماذا كان؟" قال ساتشويل، بما بدا لروبن عدم اهتمام مصطنع. "طبيب قلب أو شيء من هذا القبيل؟"

– "أخصائي أمراض دم."

– "ما هذا، دم؟ أجل، كانت دائمًا تنبهر بالأشخاص الأذكياء، مارغو. لم يخطر ببالها أنهم يمكن أن يكونوا أوغادًا مثل أي شخص آخر."

سألت روبن بخفة:

– "هل كان لديك انطباع بأن الدكتور فيبس كان وغدًا؟"

– "ليس حقًا. لكن قيل لي إنه متزمت ومدلل أمه قليلاً."

سألت روبن، متوقفة وقلمها معلق فوق مفكرتها:

– "من أخبرك بذلك؟"

أجاب بهز كتف طفيف:

– "شخص قابله. أنتِ لست متزوجة؟" تابع، وعيناه على يد روبن اليسرى العارية.

قالت روبن، بابتسامة مقتضبة:

– "أعيش مع شخص."

كانت هذه هي الإجابة التي تعلمت تقديمها، لإيقاف مغازلة الشهود والعملاء، ولإقامة الحواجز.

قال ساتشويل:

– "آه. أنا أعرف دائمًا، إذا كانت فتاة تعيش مع رجل دون زواج، فهي لابد معجبة به حقًا. لا شيء سوى مشاعرها يمسكها، أليس كذلك؟"

قالت روبن، بابتسامة مقتضبة:

– "أفترض ذلك." عرفت أنه يحاول إرباكها. "هل ذكرت مارغو أي شيء قد يقلقها، أو يسبب لها مشاكل؟ في المنزل أو في العمل؟"

قال ساتشويل، وهو يمضغ البطاطس:

– "أخبرتك، كان كل ذلك تجميلاً للواقع. وظيفة رائعة، زوج رائع، طفل لطيف، منزل جميل: لقد نجحت." ابتلع. "فعلت نفس الشيء في المقابل: أخبرتها أنني أقيم معرضًا، فزت بجائزة لإحدى لوحاتي، في فرقة، حبيبة جادة... وهو ما كان كذبًا،" أضاف، بشخرة خفيفة. "أتذكر تلك الفتاة فقط لأننا انفصلنا في وقت لاحق من ذلك المساء. لا تسأليني عن اسمها الآن. لم نكن معًا لفترة طويلة. كان لديها شعر أسود طويل ووشم ضخم لشبكة عنكبوت حول سرتها، هذا ما أتذكره بشكل أساسي – أجل، على أية حال، أنهيت الأمر. رؤية مارغو مرة أخرى –"

تردد. وعينه المكشوفة غير مركزة، قال:

– "كنت في الخامسة والثلاثين. إنه عمر مضحك. يبدأ يتضح لك أن الأربعين سيحدث لك حقًا، ليس فقط للآخرين. كم عمرك، خمس وعشرون؟"

– "تسع وعشرون."

– "يحدث ذلك مبكرًا للنساء، ذلك القلق بشأن التقدم في السن. هل لديك أطفال بعد؟"

– "لا." ثم أضافت: "إذن مارغو لم تقل لك أي شيء قد يوحي بسبب للاختفاء الطوعي؟"

قال ساتشويل، إيجابيًا في هذه النقطة مثل أونا:

– "لم تكن مارغو لتذهب وتترك الجميع في مأزق. ليست مارغو. المسؤولية كانت اسمها الأوسط. كانت فتاة جيدة، كما تعلمين؟ نوع عريفة المدرسة."

– "إذن لم تضعا أي خطط للقاء مرة أخرى؟"

قال ساتشويل، ماضغًا البطاطس:

– "لا خطط. ذكرت لها أن فرقتي تعزف في «قلعة دبلن» الأسبوع التالي. قلت، «مري إذا كنتِ قريبة»، لكنها قالت إنها لن تستطيع. قلعة دبلن كانت حانة في كامدن. قد لا تزال هناك."

– "نعم، إنها كذلك."

– "أخبرت المحقق أنني ذكرت الحفلة لها. أخبرته أنني كنت سأكون مستعدًا لرؤيتها مرة أخرى، لو أرادت ذلك. لم يكن لدي ما أخفيه."

تذكرت روبن رأي سترايك بأن تطوع ساتشويل بهذه المعلومة بدا مفيدًا أكثر من اللازم، ومحاولة منها لإخفاء شكها المفاجئ، سألت:

– "هل رصد أحد مارغو في الحانة، الليلة التي كنت تعزف فيها؟"

أخذ ساتشويل وقته قبل البلع، ثم قال:

– "ليس على حد علمي."

– "التمثال الخشبي الصغير لفايكينغ الذي أعطيتها إياه،" قالت روبن، مراقبة إياه بعناية، "الذي كتب على قاعدته «برونهيلدا» –"

– "الذي كانت تحتفظ به على مكتبها في العمل؟" قال، بما اعتقدت روبن أنه قد يكون مسحة من الغرور المُرضى. "أجل، أعطيتها ذلك في الأيام الخوالي، عندما كنا نتواعد."

هل يمكن أن يكون ذلك صحيحًا، تساءلت روبن. *بعد الطريقة المريرة التي انفصلت بها مارغو وساتشويل، بعد أن حبسها في شقته حتى لا تتمكن من الخروج للعمل، بعد أن ضربها، بعد أن تزوجت رجلاً آخر، هل كانت مارغو ستحتفظ حقًا بهدية ساتشويل السخيفة الصغيرة؟ ألم تصبح النكات الخاصة وأسماء التدليل أشياء ميتة وفاسدة بعد انفصال مؤلم، عندما يصبح التفكير فيها أسوأ تقريبًا من ذكريات الشجار والإهانات؟* أعطت روبن معظم هدايا ماثيو للجمعيات الخيرية بعد أن اكتشفت خيانته، بما في ذلك الفيل المحشو الذي كان أول هدية عيد حب منه وصندوق المجوهرات الذي أعطاها إياه في عيد ميلادها الحادي والعشرين. ومع ذلك، استطاعت روبن أن تدرك أن ساتشويل سيتمسك بقصته، لذا انتقلت للسؤال التالي في مفكرتها.

– "كانت هناك مطبعة في طريق كليركينويل أعتقد أنك كنت مرتبطًا بها."

قال ساتشويل عابساً:

– "ماذا قلتِ؟ مطبعة؟"

– "تلميذة تُدعى أماندا وايت تدّعي أنها رأت مارغو في نافذة علوية تابعة لهذه المطبعة في ليلة –"

– "حقًا؟ لم يكن لي أي ارتباط بأي مطبعة قط. من يقول إنني كنت كذلك؟"

– "كان هناك كتاب كُتِب في الثمانينيات عن اختفاء مارغو –"

– "حقًا؟ فاتني ذلك."

– "– قال إن المطبعة أنتجت منشورات لملهى ليلي رسمت له جدارية."

قال ساتشويل، نصف مستمتع، ونصف ساخط:

– "يا إلهي. هذا ليس ارتباطًا. سيكون من المبالغة تسميته صدفة. لم أسمع قط بالمكان اللعين."

دونت روبن ملاحظة وانتقلت لسؤالها التالي.

– "ما رأيك في بيل تالبوت؟"

– "من؟"

– "المحقق المسؤول. الأول."

أومأ ساتشويل:

– "أوه نعم. رجل غريب جدًا. عندما سمعت لاحقًا أنه أصيب بانهيار أو ما شابه، لم أتفاجأ. ظل يسألني عما كنت أفعله في تواريخ عشوائية. لاحقًا، استنتجت أنه كان يحاول تحديد ما إذا كنت سفاح إسيكس. أراد معرفة وقت ولادتي أيضًا، وما علاقة ذلك بأي شيء بحق الجحيم..."

– "كان يحاول رسم خريطة فلكية لك." وشرحت اهتمام تالبوت بالتنجيم.

قال ساتشويل، وبدا منزعجًا:

– "*دين تو بيستيفو!* (لا أصدق ذلك!) تنجيم؟ هذا ليس مضحكًا. كان مسؤولاً عن القضية – لكم من الوقت؟"

– "ستة أشهر."

– "يا يسوع." عبس ساتشويل بحيث تجعد الشريط اللاصق الشفاف الذي يثبت الضمادة على عينه.

– "لا أعتقد أن الناس من حوله أدركوا مدى مرضه حتى أصبح الأمر أوضح من أن يتم تجاهله،" قالت روبن، مخرجة الآن بضعة أوراق مصورة من حقيبتها: نسخ لإفادات ساتشويل لكل من تالبوت ولوسون.

قال بحدة:

– "ما كل هذا؟"

– "إفاداتك للشرطة."

– "لماذا هناك – ما هذه، نجوم؟ – في كل مكان –"

– "إنها نجوم خماسية. هذه هي الإفادة التي أخذها تالبوت منك. إنه مجرد إجراء روتيني،" أضافت، لأن ساتشويل كان يبدو حذرًا الآن. "لقد فعلنا ذلك مع كل من قابلتهم الشرطة. أعلم أنه تم التحقق من إفاداتك مرتين في ذلك الوقت، لكنني تساءلت عما إذا كان بإمكاني مراجعتها مرة أخرى، في حال تذكرت أي شيء مفيد؟"

آخذة صمته كعلامة موافقة، تابعت:

– "كنت وحيدًا في الاستوديو الخاص بك بعد ظهر يوم الحادي عشر من أكتوبر، لكنك تلقيت مكالمة هناك في الخامسة من سيد... هندريكس؟"

– "هندريكس، نعم. كان وكيلي في ذلك الوقت."

– "خرجت لتناول الطعام في مقهى محلي حوالي السادسة والنصف، حيث أجريت محادثة مع المرأة خلف الصندوق، والتي تذكرتها. ثم عدت للمنزل لتغيير ملابسك، وخرجت مرة أخرى لمقابلة بضعة أصدقاء في بار يسمى «جو بلوغز» حوالي الساعة الثامنة. أكد الأصدقاء الثلاثة الذين كنت تشرب معهم قصتك... لا شيء لإضافته لأي من ذلك؟"

قال ساتشويل، وظنت روبن أنها اكتشفت شعورًا طفيفًا بالارتياح:

– "لا. كل هذا يبدو صحيحًا."

سألت روبن بشكل عارض:

– "هل كان أحد هؤلاء الأصدقاء هو من قابل روي فيبس؟"

قال ساتشويل، دون ابتسامة:

– "لا." ثم، مغيرًا الموضوع، قال: "ابنة مارغو لابد أنها تقرع باب الأربعين الآن، أليس كذلك؟"

– "أربعون في العام الماضي."

قال ساتشويل، هازًا رأسه:

– "*إيلا*. الوقت يمر فقط –"

قامت إحدى اليدين البنيتين كلون الماهوجني، المجعدة والمزينة بخواتم فضية وفيروزية ثقيلة، بحركة سلسة، كطائرة ورقية في الجو.

– "– ثم ذات يوم تكون عجوزًا ولم ترَ ذلك يتسلل إليك."

– "متى انتقلت للخارج؟"

– "لم أقصد الانتقال، ليس في البداية. ذهبت للسفر، أواخر عام 75. كنت أفكر في السفر لفترة،" قال ساتشويل. "لكن بعد أن قتل كريد مارغو – كان شيئًا مروعًا بحق الجحيم – صدمة كبيرة – لا أدري، أردت تغيير المشهد."

– "هذا ما تعتقد أنه حدث لها، إذن؟ كريد قتلها؟"

وضع آخر قطعة من اللحم في فمه، ومضغها وابتلعها قبل الإجابة.

– "حسنًا، نعم. بوضوح في البداية أملت أنها تركت زوجها فقط وكانت مختبئة في مكان ما. لكن بعد ذلك استمر الأمر واستمر و... نعم، الجميع اعتقد أنه سفاح إسيكس، بما في ذلك الشرطة. ليس فقط المجنون، الثاني، الذي تولى المسؤولية."

– "لوسون."

هز ساتشويل كتفيه، وكأنه يقول إن اسم الضابط لا يهم، وسأل:

– "هل ستستجوبون كريد؟"

– "نأمل ذلك."

– "لماذا سيقول الحقيقة، الآن؟"

– "يحب الدعاية. قد تعجبه فكرة إحداث ضجة في الصحف. إذن اختفاء مارغو كان صدمة لك؟"

قال ساتشويل، وهو ينقب الآن بين أسنانه بلسانه:

– "حسنًا، بوضوح كان كذلك. كنت قد رأيتها للتو مرة أخرى و... لن أدعي أنني كنت لا أزال مغرمًا بها، أو أي شيء من هذا القبيل، لكن... هل تورطتِ أبدًا في تحقيق للشرطة؟" سألها، بأثر من العدوانية.

– "نعم. عدة مرات. كان الأمر مرهقًا ومخيفًا، في كل مرة."

– "حسنًا، ها أنتِ ذا."

– "ما الذي جعلك تختار اليونان؟"

– "لم أفعل، حقًا. حصلت على ميراث من جدتي وفكرت، سأأخذ بعض الوقت، أتجول في أوروبا، أرسم... مررت بفرنسا وإيطاليا، وفي عام 76 وصلت إلى كوس. عملت في بار. رسمت في ساعات فراغي. بعت عددًا لا بأس به من الصور للسياح. التقيت بزوجتي الأولى... لم أغادر قط."

– "شيء آخر أردت أن أسألك عنه،" قالت روبن، ناقلة إفادات الشرطة إلى أسفل رزمتها الصغيرة. "اكتشفنا مشاهدة محتملة لمارغو، بعد أسبوع من اختفائها. مشاهدة لم يتم إبلاغ الشرطة بها أبدًا."

– "نعم؟ أين؟"

– "في ليمنغتون سبا، في مقبرة كنيسة جميع القديسين."

ارتفع حاجبا ساتشويل الأبيضان الكثيفان، ضاغطين على الشريط الشفاف الذي يثبت الضمادة على عينه.

كرر، وبدا عليه الذهول:

– "في جميع القديسين؟ تنظر للقبور. زُعم أن شعرها كان مصبوغًا بالأسود."

– "من رأى هذا؟"

– "رجل يزور المنطقة على دراجة نارية. بعد عامين، أخبر ممرضة عيادة سانت جون بذلك."

– "أخبر الممرضة؟"

تصلب فك ساتشويل.

– "وماذا أخبرتك الممرضة أيضًا؟" سأل، باحثًا في وجه روبن. بدا فجأة وبشكل غير متوقع غاضبًا.

– "هل تعرف جانيس؟" سألت روبن، متسائلة عن سبب غضبه.

– "هذا هو اسمها، إذن؟ لم أستطع التذكر."

– "أنت تعرفها؟"

وضع ساتشويل المزيد من البطاطس في فمه. استطاعت روبن رؤية أنه كان يحاول تقرير ما سيخبرها به، وشعرت بتلك الرعشة من الإثارة التي جعلت كل الساعات الطويلة والمملة للوظيفة، والجلوس، والأرق، تستحق العناء.

قال ساتشويل فجأة:

– "إنها مثيرة للمشاكل. مثيرة للمشاكل، تلك الممرضة. هي ومارغو لم تكونا تحبان بعضهما البعض. مارغو أخبرتني أنها لم تكن تحبها."

– "متى كان هذا؟"

– "عندما اصطدمنا ببعضنا البعض، كما أخبرتك، في الشارع –"

– "ظننت أنك قلت إنها لم تتحدث عن العمل؟"

– "حسنًا، أخبرتني بذلك. كان لديهم شجار أو شيء ما. لا أعرف. كان مجرد شيء قالته بشكل عابر. أخبرتني أنها لم تكن تحب الممرضة."

كان الأمر وكأن قناعًا صلبًا قد ظهر تحت الجلد البني الداكن: الساحر ذو الوجه المجعد الكوميدي قليلاً قد استُبدل برجل عجوز لئيم أعور. تذكرت روبن كيف كان الجزء السفلي من وجه ماثيو يتوتر عند الغضب، معطيًا إياه مظهر كلب مكمم، لكنها لم تكن خائفة. استشعرت في ساتشويل نفس غريزة الحفاظ على الذات الماكرة كما في زوجها السابق. مهما كان ما قد ألحقه ساتشويل بمارغو، أو بالزوجات اللواتي تركنه، فإنه سيفكر مرتين قبل صفع روبن في حانة مزدحمة، في البلدة التي لا تزال أخته تعيش فيها.

قالت روبن:

– "تبدو غاضبًا."

– "*غيا خاري تو* (بحق الجحيم)، بالطبع أنا كذلك – تلك الممرضة، ما اسمها؟ تحاول توريطي، أليس كذلك؟ تختلق قصة لجعل الأمر يبدو وكأن مارغو هربت لتكون معي –"

– "جانيس لم تختلق القصة. تحققنا مع أرملة السيد راماج وأكدت أن زوجها الراحل أخبر أشخاصًا آخرين أنه التقى بامرأة مفقودة –"

– "ماذا أخبرتك جانيس أيضًا؟" قال مرة أخرى.

– "لم تذكرك أبدًا. لم تكن لدينا أدنى فكرة أنكما تعرفان بعضكما البعض."

– "لكنها تدعي أن مارغو شوهدت في ليمنغتون سبا بعد اختفائها؟ لا، إنها تعرف بالضبط ما تفعله بحق الجحيم."

أخذ ساتشويل شريحة بطاطس أخرى، وأكلها، ثم نهض فجأة ومشى مارًا بروبن، التي نظرت فوق كتفها لتره يخطو داخل حمام الرجال. كان مظهره الخلفي أكبر سنًا من الأمامي: استطاعت رؤية فروة الرأس الوردية من خلال الشعر الأبيض الخفيف ولم يكن هناك مؤخرة تملأ بنطال الجينز الخاص به.

خمنت روبن أنه يعتبر المقابلة منتهية. ومع ذلك، كان لديها شيء آخر في جعبتها: شيء خطير، ربما، لكنها ستستخدمه بدلاً من ترك المقابلة تنتهي هنا، مع أسئلة أثيرت أكثر مما أجيب عنها.

مرت خمس دقائق كاملة قبل أن يعاود الظهور واستطاعت أن تدرك أنه شحن نفسه في غيابه. بدلاً من الجلوس مرة أخرى، وقف فوقها وقال:

– "لا أعتقد أنكِ محققة لعينة. أعتقد أنكِ صحافة."

بالنظر من الأسفل، كانت رقبة السلحفاة ملفتة للنظر بشكل خاص. السلسلة، والخواتم الفيروزية والفضية والشعر الطويل بدت الآن كزي تنكري.

قالت روبن:

– "يمكنك الاتصال بآنا فيبس والتحقق إذا رغبت. لدي رقمها هنا. لماذا تظن أن الصحافة ستكون مهتمة بك؟"

– "نلت كفايتي منهم في المرة السابقة. أنا ذاهب. لا أحتاج لهذا. من المفترض أنني أتعافى."

– "شيء أخير، وسسترغب في سماعه."

تعلمت الحيلة من سترايك. ابقِ هادئًا، لكن حازمًا. اجعلهم يقلقون بشأن ما لديك أيضًا.

التفت ساتشويل، وعينه الواحدة المكشوفة قاسية كالصوان. لم يبق أي أثر للمغازلة، ولا محاولة للتعالي عليها. كانت ندًا الآن؛ خصمًا.

– "لماذا لا تجلس؟ لن يستغرق هذا طويلاً."

بعد تردد طفيف، أنزل ساتشويل نفسه مرة أخرى إلى مقعده. رأسه الأشيب كان يحجب الآن رأس الغزال المحنط المعلق على الجدار الطوبي خلفه. من وجهة نظر روبن، بدت القرون وكأنها تنبت مباشرة من الشعر الأبيض الذي ينسدل في تجعيدات ذابلة على كتفيه.

قالت روبن:

– "مارغو بامبورو كانت تعرف شيئًا عنك لم تكن تريده أن يخرج للعلن. أليس كذلك؟"

حدق فيها بغضب.

– "حلم الوسادة؟"

تصلب كل خط في وجهه، محولاً إياه إلى ذئب. انخسف الصدر المحروق بالشمس، المجعد تحت شعره الأبيض، وهو يزفر.

– "أخبرت شخصًا ما، أليس كذلك؟ من؟" قبل أن تتمكن روبن من الإجابة، قال: "زوجها، أفترض؟ أو تلك الفتاة الأيرلندية اللعينة، أكانت هي؟"

تحرك فكاه، يمضغان لا شيء.

– "ما كان يجب أن أخبرها أبدًا. هذا ما تفعله عندما تكون ثملاً ومغرمًا، أو أيًا كان ما كنا عليه بحق الجحيم. ثم ظل الأمر يعبث بعقلي لسنوات أنها ست..."

انتهت الجملة في صمت.

سألت روبن، تتلمس طريقها، متظاهرة بأنها تعرف أكثر مما تعرف:

– "هل ذكرته، عندما التقيتما مرة أخرى؟"

قال ساتشويل:

– "سألت عن أمي المسكينة. ظننت في ذلك الوقت، هل تهاجمينني؟ لكن لا أعتقد أنها كانت كذلك. ربما تعلمت بشكل أفضل، كونها طبيبة، ربما غيرت وجهات نظرها. لابد أنها رأت أشخاصًا مثل بلانش. حياة لا تستحق العيش.

"على أية حال،" قال، مائلاً للأمام قليلاً، "لا أزال أعتقد أنه كان حلمًا. حسنًا؟ كنت في السادسة من عمري. حلمت به. وحتى لو لم يكن حلمًا، كلاهما ميت وذهب الآن ولا أحد يستطيع قول غير ذلك. أمي العجوز ماتت في عام 89. لا يمكنكم ملاحقتها لأي شيء الآن، البقرة المسكينة. أم عزباء، تحاول التدبير معنا جميعًا بمفردها. إنها رحمة،" قال ساتشويل، "تخليص شخص ما من بؤسه. رحمة."

نهض، ووجهه مسحوب اللون تحت سمرته، مترهلاً، واستدار ومشى مبتعدًا، لكن في اللحظة التي كان على وشك الاختفاء فيها استدار فجأة وترنح عائدًا إليها، وفكه يتحرك.

قال، بأقصى قدر من الخبث استطاع حشده:

– "أعتقد أنكِ عاهرة صغيرة لئيمة."

غادر للأبد هذه المرة.

بالكاد ارتفع معدل ضربات قلب روبن. كانت عاطفتها المسيطرة هي الابتهاج. دافعة أوعيتها الصغيرة غير الشهية جانبًا، سحبت الدلو المعدني الصغير الذي تركه خلفه نحوها، وأنهت بطاطس الفنان.

48

السير أرتيجال، الذي منذ زمن بعيد،
تولى المهمة...
التي أُوكلت إليه، تلبية لأمرها
السامي،
يمّم وجهه شطر شاطئ البحر...

إدموند سبنسر *ملكة الجن*

انتهت مراسم جنازة جوان بالترنيمة الأحب إلى قلوب البحارة: "الأب الأبدي، القوي المخلص". وبينما كان الحضور ينشدون الكلمات المألوفة، حمل تيد، وسترايك، وديف بولورث، وثلاثة من رفاق تيد في خدمة قوارب النجاة النعشَ على أكتافهم عائدين عبر ممر الكنيسة البسيطة ذات الجدران القشدية، بعوارضها الخشبية ونوافذها ذات الزجاج المعشق التي تصور القديس موديز برداء أرجواني، وهو القديس الذي سُميت القرية والكنيسة باسمه. ومحاطًا ببرج جزيرة وفقمة رابضة على صخرة، راقب القديس حملة النعش وهم يغادرون الكنيسة.

يا مخلصنا، يا من بكلمته القديرة
خضعت الرياح والأمواج له مطيعة،
يا من مشيت فوق اللجج المزبدة،
وفي خضم الغضب نمت قرير العين...

سار بولورث، وهو الأقصر قامة بفارق ملحوظ بين الرجال الستة، خلف سترايك مباشرة، باذلاً قصارى جهده لتحمل نصيب عادل من الثقل.

شكل المشيعون، الذين اضطر كثير منهم للوقوف في مؤخرة الكنيسة المكتظة، أو الاستماع قدر المستطاع من الخارج، حلقة محترمة حول سيارة الموتى بالخارج بينما كان الصندوق المصنوع من خشب البلوط اللامع يُحمل إليها. بالكاد سُمعت همسة حين أُغلقت الأبواب الخلفية بقوة على رفات جوان الدنيوية. وبينما صعد متعهد الدفن، بظهره المستقيم ومعطفه الأسود السميك، إلى مقعد السائق، وضع سترايك ذراعه حول كتفي تيد. ومعًا، راقبا سيارة الموتى وهي تبتعد حتى غابت عن الأنظار. شعر سترايك بجسد تيد يرتجف.

قالت لوسي وعيناها متورمتان ومغلقتان تقريبًا:

– "انظر إلى كل هذه الزهور يا تيد."

واستدار ثلاثتهم عائدين نحو الكنيسة ليتفحصوا الكومة الكثيفة من الباقات، والأكاليل، والزهور التي شكلت وهجًا احتفاليًا قبالة الجدار الخارجي للكنيسة الصغيرة.

تابعت قائلة:

– "زنابق جميلة يا تيد، انظر... من ماريون وغاري، طوال المسافة من كندا..."

كان الحشد لا يزال يتدفق خارجًا من الكنيسة لينضم إلى الواقفين بالخارج. حافظ الجميع على مسافة من العائلة بينما كانوا يتحركون بشكل جانبي بمحاذاة جدار الكنيسة. لا شك أن جوان كانت لتبتهج بهذا الكم الهائل من التكريم بالزهور، وقد استمد سترايك عزاءً غير متوقع من الرسائل التي كانت لوسي تقرؤها بصوت عالٍ لتيد، الذي كانت عيناه، مثل عينيها، منتفختين وحمراوين.

أخبرت عمها:

– "إيان وجودي... تيري وأوليف..."

قال تيد بذهول:

– "كُثر، أليس كذلك؟"

لا شك أن حشد المشيعين الذي بدأ يهمس الآن ويدور في المكان يتساءل عما إذا كان من قسوة القلب الانطلاق فورًا إلى حانة "السفينة والقلعة"، حيث

سيقام العزاء، هكذا فكر سترايك. لم يستطع لومهم؛ فهو أيضًا كان يتوق لشراب، وربما لآخر يتبعه أيضًا.

قرأت لوسي بصوت عالٍ:

– "«مع أعمق مشاعر المواساة، من روبن، وسام، وآندي، وشاول، وبات»."

التفتت لتنظر إلى سترايك مبتسمة، وأضافت:

– "يا للروعة. هل أخبرت روبن أن الورود الوردية كانت المفضلة لدى جون؟"

قال سترايك، الذي لم يكن يعرف ذلك بنفسه:

– "لا أظن ذلك."

حقيقة أن وكالته كانت ممثلة هنا بين رسائل التعزية لجون عنت له الكثير. على عكس لوسي، سيعود هو إلى لندن وحيدًا بالقطار. ورغم أنه كان يتوق للعزلة طوال الأيام العشرة الماضية، إلا أن احتمال العودة لغرفته الصامتة في العلية كان كئيبًا بعد هذه الأيام الطويلة من التوجس والفقد. كانت الورود، المقدمة لروح جوان، مقدمة له أيضًا: كانت تخبره أنه لن يكون وحيدًا، وأن لديه شيئًا قد بناه، وحسنًا، قد لا تكون عائلة، لكن لا يزال هناك "ناس" يهتمون لأمره بانتظاره في لندن. قال سترايك لنفسه "ناس"، لأن هناك خمسة أسماء على البطاقة، لكنه استدار مفكرًا فقط في روبن.

قادت لوسي السيارة بتيد وسترايك إلى "السفينة والقلعة" في سيارة تيد، تاركة غريغ ليلحق بهم مع الأولاد. لم يتحدث أي منهم في السيارة؛ فقد حل عليهم نوع من الإنهاك العاطفي.

كانت جوان تدرك ما تفعله، هكذا فكر سترايك وهو يشاهد الشوارع المألوفة تنزلق أمامه. كان ممتنًا لأنهم لم يتبعوا الجنازة إلى المحرقة، وأنهم سيستعيدون الجسد في هيئة يمكن ضمها إلى الصدر وحملها على قارب، في هدوء ظهيرة مشمسة قادمة، العائلة فقط، ليلقوا وداعهم الأخير والخاص.

أطلت نوافذ غرفة الطعام في "السفينة والقلعة" على خليج سانت ماوز، الذي كان غائمًا لكنه وادع. اشترى سترايك كوبين من الجعة له ولتيد، وتأكد من

جلوس عمه بأمان على كرسي وسط حلقة من الأصدقاء المهتمين، ثم عاد إلى البار لطلب كأس مزدوجة من الويسكي (فيموس غروس)، تجرعها دفعة واحدة، ثم حمل كوب الجعة واتجه إلى النافذة.

كان البحر بلون رمادي هادئ، يلمع أحيانًا حيث تلامسه الأطراف الفضية للغيوم. عند النظر إليها من نافذة الفندق، بدت "سانت ماوز" كلوحة تمازجت فيها ألوان الرمادي والأردوازي، لكن قوارب التجديف الصغيرة الجاثمة على المسطحات الطينية بالأسفل أضفت لمسات مرحبًا بها من الألوان المبهجة.

جاءه صوت:

– "هل أنت بخير يا ديدي؟"

التفت؛ كانت إلسا مع بولورث، ومدت يديها لتعانق سترايك. كان ثلاثتهم قد ارتحلوا مدرسة "سانت ماوز" الابتدائية معًا. في تلك الأيام، وبحسب ما يذكره سترايك، لم تكن إلسا تحب بولورث كثيرًا. لطالما كان غير محبوب من زميلات الدراسة. ومن فوق كتف ديف، استطاع سترايك رؤية زوجة بولورث، بيني، تدردش مع مجموعة من الصديقات.

قالت إلسا:

– "كان نيك يود الحضور حقًا يا كورم، لكن كان عليه العمل."

قال سترايك:

– "بالطبع. كان لطفًا كبيرًا منك أن تحضري يا إلسا."

قالت ببساطة:

– "لقد أحببت جوان. أمي وأبي سيدعوان تيد يوم الجمعة لزيارتهما. وأبي سيأخذه في جولة غولف يوم الثلاثاء."

كانت ابنتا عائلة بولورث، اللتان لم تشتهرا بحسن السلوك، تلعبان المطاردة بين المشيعين. اندفعت الصغرى بينهما – لم يستطع سترايك أبدًا تذكر أيهما روز وأيهما ميل – حولهم وتشبثت للحظة بظهر ساقي سترايك، وكأنه قطعة أثاث، وهي تتطلع نحو أختها، قبل أن تركض مبتعدة مرة أخرى وهي تقهقه.

قال بولورث، وكأن شيئًا لم يكن:

– "وسندعو تيد عندنا يوم السبت."

لم يقم أي من الوالدين بولورث بتقويم أطفالهما إلا إذا تسببوا في إزعاج مباشر للوالدين.

تابع بولورث:

– "لذا لا تقلق يا ديدي، سنتأكد من أن العجوز بخير."

قال سترايك بصعوبة:

– "شكرًا يا صاحبي."

لم يبكِ في الكنيسة، ولم يبكِ طوال هذه الأيام الأخيرة الرهيبة، لأنه كان هناك الكثير مما يجب تنظيمه، ووجد الراحة في الانشغال. ومع ذلك، كان اللطف الذي أظهره أصدقاؤه القدامى يتسرب عبر دفاعاته: أراد التعبير عن امتنانه كما ينبغي، لأن بولورث لم يسمح له بعد بقول كل ما أراده بشأن الطريقة التي مكن بها سترايك ولوسي من الوصول إلى جوان وهي تحتضر. ولكن قبل أن يتمكن سترايك من البدء، انضمت بيني بولورث إلى مجموعتهم، تتبعها امرأتان لم يتعرف عليهما سترايك، لكنهما كانتا تبتسمان له بإشراق.

قالت بيني، التي كانت عيناها داكنتين وأنفها أفطس، والتي دأبت على رفع شعرها في ذيل حصان عملي منذ كانت في الخامسة:

– "أهلاً كورم. أبيغيل وليندي ترغبان حقًا في مقابلتك."

قال سترايك بلا ابتسامة:

– "أهلاً."

مد يده وصافحهما، موقنًا أنهما على وشك الحديث عن انتصاراته كمحقق، وشعر بالانزعاج مسبقًا. اليوم، أكثر من أي يوم آخر، لم يكن يريد أن يكون شيئًا سوى ابن شقيق جوان. افترض أن أبيغيل هي ابنة ليندي، لأنه لو أزلتَ حاجبي الشابة المرسومين بعناية هندسية دقيقة والسمرة المزيفة، لكان لهما نفس الوجه المستدير المسطح.

قالت ليندي:

– "لقد كانت فخورة بك للغاية."

وقالت أبيغيل الممتلئة، التي بدت على وشك القهقهة:

– "نحن نتابع كل أخبارك في الصحف."

ثم سألت ليندي وهي تلتهمه بعينيها:

– "ما الذي تعمل عليه الآن؟ لا أظن أن بإمكانك القول، أليس كذلك؟"

وسألت أبيغيل:

– "هل تورطت أبدًا مع العائلة المالكة، بأي شكل؟"

اللعنة.

قال سترايك:

– "لا. اعذروني، أحتاج لتدخين سيجارة."

كان يعلم أنه قد أهانهما، لكنه لم يكترث، رغم أنه استطاع تخيل استهجان جوان وهو يبتعد عن المجموعة بجوار النافذة. ماذا كان سيضيره، كانت لتقول، لو سلى صديقاتها بالحديث عن وظيفته؟ كانت جوان تحب التفاخر به، ابن الأخ الذي كان أقرب شيء لابن حقيقي حظيت به، وفجأة عاد إليه السبب، بعد أيام الشعور بالذنب الطويلة هذه، في أنه تجنب العودة إلى البلدة الصغيرة لفترة طويلة: *لأنه وجد نفسه يختنق ببطء تحت وطأة فناجين الشاي والمفارش المطرزة والمحادثات المنتقاة بعناية، وفخر جوان الخانق، وفضول الجيران، والنظرات الجانبية إلى ساقه الاصطناعية حين يظن أحد أنه لا يراهم ينظرون.*

وبينما كان يسير بخطوات ثقيلة عبر القاعة، أخرج هاتفه وضغط على رقم روبن دون تفكير واعٍ.

قالت بصوت بدا عليه تفاجؤ طفيف لسماع صوته:

– "أهلاً."

توقف سترايك عند عتبة باب الفندق ليسحب سيجارة من العلبة بأسنانه، وقال:

– "أهلاً."

عبر الطريق وأشعل السيجارة، ناظرًا عبر المسطحات الطينية نحو البحر، وتابع:

– "أردت فقط الاطمئنان، وشكرك."

– "على ماذا؟"

– "الزهور من الوكالة. عنت الكثير للعائلة."

قالت روبن:

– "أوه، أنا سعيدة... كيف كانت الجنازة؟"

قال سترايك وهو يراقب طائر نورس يطفو على سطح البحر الوادع:

– "كانت، كما تعلمين... جنازة. هل من جديد من طرفك؟"

قالت روبن بعد تردد للحظة:

– "حسنًا، نعم، في الواقع. لكن ربما ليس هذا هو الوقت المناسب. سأخبرك حين تكون..."

قاطعها سترايك، الذي كان يتوق للحياة الطبيعية، لشيء يفكر فيه لا يتصل بجون، أو الفقد، أو سانت ماوز:

– "إنه وقت ممتاز."

وهكذا سردت روبن قصة مقابلتها مع بول ساتشويل، واستمع سترايك في صمت.

ختمت روبن حديثها قائلة:

– "... ثم نعتني بالسافلة الصغيرة البغيضة، وغادر."

قال سترايك، مندهشًا بصدق، ليس فقط لأن روبن تمكنت من استخلاص كل تلك المعلومات من ساتشويل، بل مما اكتشفته:

– "يا إلهي العظيم."

قالت روبن:

– "كنت أجلس هنا للتو أبحث في السجلات عبر هاتفي – أنا في اللاند روفر، سأعود للمنزل بعد قليل. بلانش دوريس ساتشويل، توفيت عام 1945، عن عمر عشر سنوات. إنها مدفونة في مقبرة خارج ليمنغتون سبا. ساتشويل وصف الأمر بأنه قتل رحيم. حسنًا..."

صححت نفسها:

– "هو أسماه حلمًا، وكانت تلك طريقته لإخبار مارغو، مع الاحتفاظ ببعض الإنكار المقبول، أليس كذلك؟ لكنها ذكرى مؤلمة يحملها المرء معه منذ سن السادسة، أليست كذلك؟"

قال سترايك:

– "بالتأكيد هي كذلك. وهذا يمنحه دافعًا من نوع ما، إذا ظن أن مارغو قد تخبر السلطات..."

– "بالضبط. وما رأيك بخصوص الجزء المتعلق بـ جانيس؟ لماذا لم تخبرنا أنها تعرف ساتشويل؟"

قال سترايك:

– "سؤال وجيه جدًا. أعيدي عليّ ما قاله، ماذا قال عن جانيس؟"

– "عندما أخبرته أن جانيس هي من قالت إن مارغو شوهدت في ليمنغتون سبا، قال إنها مثيرة للمشاكل والفتن، وأنها كانت تحاول توريطه بطريقة ما في اختفاء مارغو."

قطب سترايك جبينه وهو ينظر إلى النورس الطافي، الذي كان يحدق في الأفق بتركيز شديد، ومنقاره المعقوف القاسي يشير نحو المدى:

– "مثير للاهتمام حقًا. وماذا عن ذلك الشيء بخصوص روي؟"

قالت روبن:

– "قال إن أحدهم أخبره أن روي كان (ابن أمه) و(شخصًا متيبسًا متعجرفًا). لكنه رفض إخباري بمن قال ذلك."

قال سترايك:

– "لا يبدو هذا كلام جانيس، لكن لا أحد يعلم. حسنًا، لقد أبليت بلاءً حسنًا يا روبن."

– "شكرًا."

قال سترايك:

– "سنجري حديثًا مطولاً حول بامبورو حين أعود. بل سنحتاج لحديث مطول حول كل شيء."

– "عظيم. أتمنى أن تمضي بقية إقامتك على خير."

قالت روبن ذلك بنبرة الحسم التي تشير إلى أن المكالمة على وشك الانتهاء. أراد سترايك إبقاءها على الخط، لكن من الواضح أنها رأت أنه لا ينبغي لها الاستحواذ على وقته في ظهيرته الأخيرة مع العائلة المفجوعة، ولم يستطع التفكير في ذريعة لمواصلة الحديث. ودع كل منهما الآخر، وأعاد سترايك هاتفه إلى جيبه.

جاءه صوت بولورث:

– "تفضل يا ديدي."

كان بولورث قد خرج من الفندق حاملاً كوبين طازجين من الجعة. قبل سترايك كوبه شاكرًا، واستدار كلاهما لمواجهة الخليج وهما يشربان.

سأل بولورث:

– "ستعود إلى لندن غدًا، أليس كذلك؟"

– "أجل. لكن ليس لوقت طويل. أرادت جوان أن نأخذ رمادها على قارب تيد وننثره في البحر."

– "فكرة لطيفة."

– "اسمع يا صاحبي... شكرًا على كل شيء."

قال بولورث:

– "اخرس. كنت لتفعل الشيء نفسه لأجلي."

– "أنت محق. كنت لأفعل."

قال بولورث دون أن يتلعثم:

– "سهل عليك قول ذلك يا وغد، باعتبار أن أمي ميتة ولا أعرف أين يقبع أبي بحق الجحيم."

ضحك سترايك.

– "حسنًا، أنا محقق خاص. هل تريدني أن أجده لك؟"

قال بولورث:

– "اللعنة، لا."

شربا الجعة. حدث انقشاع قصير في الغيوم، وغدا البحر فجأة بساطًا من الماس، وبدا النورس الطافي كقطعة أوريغامي بيضاء كورق الكتابة. كان سترايك يتساءل بشرود عما إذا كان ولاء بولورث الشغوف لكورنوال رد فعل ضد والده الغائب المولود في برمنغهام، حين تحدث بولورث مرة أخرى:

– "على ذكر الآباء... أخبرتني جوان أن والدك يسعى للم شمل."

– "قالت ذلك، أليس كذلك؟"

قال بولورث:

– "لا تنزعج. أنت تعرف كيف كانت. أرادت مني أن أعرف أنك تمر بوقت عصيب. لا أمل في ذلك، كما أفهم؟"

قال سترايك:

– "لا. لا أمل."

قُطع الصمت الوجيز بصرخات وصياح ابنتي بولورث وهما تركضان خارجتين من الفندق. متجاهلتين والدهما وسترايك، تسللتا تحت السلسلة التي تفصل الطريق عن الحصى الرطب وركضتا نحو حافة الماء، يطاردهما بعد لحظة لوك، ابن شقيق سترايك، الذي كان يحمل كعكتين بالكريمة في يده، عازمًا بوضوح على رميهما على الفتاتين.

زأر سترايك:

– "هيه! لا!"

سقط وجه لوك خيبةً.

قال وهو يستدير ليري سترايك لطخة بيضاء أسفل ظهر سترة بدلته السوداء، التي اشتُريت حديثًا لجنازة عمة أبيه:

– "هما من بدأتا."

قال سترايك، بينما كانت فتاتا بولورث تقهقهان وتختلسان النظر من فوق حافة قارب التجديف الذي احتمتا خلفه:

– "وأنا من ينهي الأمر. أعد تلك الكعك من حيث أتيت بها."

محدقًا في عمه بغضب، قضم لوك قضمة متمردة من إحدى الكعكتين، ثم استدار وعاد إلى داخل الفندق.

تمتم سترايك:

– "صعلوك صغير."

راقب بولورث بفتور ابنتيه وهما تبدآن في ركل مياه البحر الباردة والرمال على بعضهما. ولم يبدِ رد فعل إلا عندما اختل توازن الفتاة الصغرى وسقطت للخلف في مياه البحر الجليدية، مطلقة صرخة صدمة.

– "اللعنة... ادخلا. هيا – لا تتباكي، إنه خطؤك... هيا، إلى الداخل، الآن!"

عاد آل بولورث الثلاثة إلى داخل فندق "السفينة والقلعة"، تاركين سترايك وحيدًا مرة أخرى.

لم ينزعج طائر النورس الطافي، الذي اعتاد بلا شك طوفان السياح وهدير وطحن عبارة فالموث وقوارب الصيد التي تمر دخولاً وخروجًا من الخليج كل يوم، من صرخات وصياح فتاتي بولورث. كانت عيناه الحادتان مثبتتين على شيء لم يستطع سترايك رؤيته، بعيدًا في عرض البحر. وفقط حين أطبقت الغيوم مرة أخرى وأظلم البحر ليصبح بلون الحديد، طار الطائر أخيرًا.

تابعت عينا سترايك الطائر وهو يحلق بأجنحة واسعة مقوسة نحو المدى، مبتعدًا عن ملجأ الخليج نحو البحر المفتوح، مستعدًا لاستئناف مهمة البقاء الشاقة والضرورية.

الجزء الخامس

...الربيع الشهواني، متوشّحًا بأوراق الزهور...

— إدموند سبنسر، ملكة الجن (The Faerie Queene)

49

بعد عواصف طويلة وأنواء قد ولت،
تجلو الشمس أخيرًا وجهها المبهج؛
وهكذا، حينما يفرغ القدر كل جعبته من الحقد،
لابد أن تلوح في الأفق ساعات من الهناء؛
وإلا لاستسلمت الأرواح المبتلاة لليأس...

إدموند سبنسر ملكة الجن

في الثامنة من صباح اليوم الذي كان ينبغي أن تقابل فيه زوجها المنفصل عنها في جلسة وساطة، خرجت روبن من محطة "توتنهام كورت رود" تحت سماء لازوردية. بدت أشعة الشمس وكأنها معجزة صغيرة بعد أشهر طويلة من الأمطار والعواصف، وروبن، التي لم يكن لديها مراقبة لتقوم بها اليوم، ارتدت فستانًا، سعيدة بالخروج من جينزها وستراتها الأبدية.

رغم غضبها من ماثيو لإلغائه الجلسة بإشعار قبل أربع وعشرين ساعة فقط *"يأسف موكلي لنشوء مسألة شخصية عاجلة. ونظرًا لعدم توفري في الجزء الأخير من مارس، أقترح أن نجد تاريخًا مناسبًا للطرفين في أبريل"*).. ورغم شكوكها في أن ماثيو يطيل العملية لمجرد استعراض قوته وزيادة الضغط عليها للتخلي عن مطالبتها بحسابهما المشترك، إلا أن معنوياتها ارتفعت بفضل الوهج المغبر لشمس الصباح الباكر التي أضاءت أعمال الطرق الأبدية في قمة طريق "تشارينغ كروس".

الحقيقة، التي فرضت نفسها بقوة على روبن خلال الأيام الخمسة التي أصر سترايك على أن تأخذها كإجازة، هي أنها كانت أكثر سعادة في العمل. ومع عدم

رغبتها في العودة إلى يوركشاير ومواجهة وابل الأسئلة المعتاد من والدتها حول الطلاق ووظيفتها، وعدم كفاية الأموال للخروج من لندن في إجازة قصيرة منفردة، قضت معظم وقتها في الاهتمام بمهامها المتراكمة، أو العمل على قضية بامبورو.

كانت لديها، إن لم تكن خيوطًا دقيقة، فأفكار، وهي الآن تتجه إلى المكتب مبكرًا على أمل اللحاق بسترايك قبل أن تسيطر مشاغل اليوم. غطت المثاقب الهوائية على صيحات العمال في الطريق بينما كانت تمر، حتى وصلت إلى الهدوء الظليل لشارع دنمارك، حيث لم تفتح المتاجر أبوابها بعد.

عند قمة الدرج المعدني تقريبًا، سمعت روبن أصواتًا تنبعث من خلف باب المكتب الزجاجي. ورغم أن الساعة لم تكن الثامنة والربع تمامًا، كان الضوء مضاءً بالفعل.

قال سترايك عندما فتحت الباب:

– "صباح الخير."

كان واقفًا بجانب الغلاية وبدا متفاجئًا باعتدال لرؤيتها في وقت مبكر جدًا.

– "ظننت أنكِ لن تحضري حتى وقت الغداء؟"

– "أُلغي الأمر."

تساءلت عما إذا كان سترايك قد نسي ما كان لديها ذلك الصباح، أم أنه كان متحفظًا لأن موريس كان جالسًا على الأريكة المصنوعة من الجلد الصناعي. رغم وسامته المعتادة، كانت عينا موريس الزرقاوان اللامعتان محتقنتين بالدم وفكه داكنًا باللحية الخفيفة.

قال موريس:

– "مرحبًا بالغريبة. انظروا إليكِ. دعاية حقيقية للراحة والاستجمام."

تجاهلت روبن هذا التعليق، لكن بينما كانت تعلق سترتها، وجدت نفسها تتمنى لو لم ترتدِ الفستان. استاءت بشدة من جعل موريس لها تشعر بالخجل من مظهرها، لكن كان ليكون أسهل لو ارتدت الجينز كالمعتاد.

قال سترايك:

– "لقد ضبط موريس السيد سميث متلبسًا، مع المربية."

قالت روبن، محاولة أن تكون كريمة، ومتمنية لو لم يكن موريس هو من فعلها:

– "كان ذلك سريعًا!"

قال موريس، وهو يمرر لروبن كاميرا رقمية للرؤية الليلية:

– "بالجرم المشهود، الواحدة وعشر دقائق صباحًا. الزوج كان يدعي أنه خارج مع الشباب. المربية لديها دائمًا ليلة إجازة أيام الثلاثاء. الوغدان الغبيان ودعا بعضهما على عتبة الباب. خطأ مبتدئين."

مررت روبن الصور ببطء. المربية الفاتنة التي تشبه صديقة سترايك السابقة لوريلاي كانت تقف في مدخل منزل متلاصق، غارقة في أحضان زوج السيدة سميث. لم يلتقط موريس العناق فحسب، بل اسم الشارع ورقم الباب أيضًا.

سألت روبن، وهي تتجاوز صور العناق:

– "أين هذا المكان؟"

قال موريس:

– "شورديتش. أعز صديقة للمربية تستأجره. مفيد دائمًا أن يكون لديك صديق يسمح لك باستخدام مكانه لمضاجعة سريعة، هاه؟ لدي اسمها وتفاصيلها أيضًا، لذا فهي على وشك الانجرار إلى كل هذا أيضًا."

تمطى موريس بترف على الأريكة، وذراعاه فوق رأسه، وقال وهو يتثاءب:

– "ليس كثيرًا ما تحصل على فرصة لجعل ثلاث نساء تعيسات في وقت واحد، أليس كذلك؟"

قالت روبن، ناظرة إلى الجانب الجانبي الوسيم لزوج وسيطة السلع، الذي ظهر كخيال ظل مقابل مصباح الشارع وهو يشق طريقه عائدًا لسيارة العائلة:

– "ناهيك عن الزوج."

قال موريس، مستمرًا في تمطيه:

– "حسنًا، نعم، هو أيضًا."

ارتفع قميصه (تي شيرت)، كاشفًا عن مساحة من البطن المفتولة العضلات، وهي حقيقة اعتقدت روبن أنه ربما كان واعيًا بها تمامًا.

سأل سترايك روبن:

– "لا تمانعين في اجتماع إفطار، أليس كذلك؟ لقد تأخرنا في اللحاق بمستجدات بامبورو. وأنا لم أتناول الإفطار." كان قد فتح للتو علبة البسكويت ووجدها فارغة.

قالت روبن، منزلة سترتها فورًا مرة أخرى:

– "عظيم."

قال موريس لسترايك، ناهضًا عن الأريكة:

– "أنت لا تأخذني للإفطار أبدًا."

متجاهلاً هذا التعليق، قال سترايك:

– "عمل جيد بشأن سميث يا موريس. سأخبر الزوجة لاحقًا. أراك غدًا."

قالت روبن، بينما كانت هي وسترايك يخرجان من باب الشارع الأسود إلى برودة شارع دنمارك، حيث لم تخترق الشمس المكان بعد:

– "فظيع، أليس كذلك، هذه الطائرة المفقودة؟"

قبل أحد عشر يومًا، أقلعت رحلة الخطوط الجوية الماليزية 370 من كوالالمبور واختفت دون أثر. أكثر من مائتي شخص في عداد المفقودين. هيمنت النظريات المتنافسة حول ما حدث للطائرة على الأخبار طوال الأسبوع الماضي: الاختطاف، وتخريب الطاقم والفشل الميكانيكي من بينها. كانت روبن تقرأ عنها في طريقها للعمل. كل أولئك الأقارب، ينتظرون الأخبار. لابد أن تأتي قريبًا، بالتأكيد؟ طائرة تحمل ما يقرب من مائتين وخمسين شخصًا ليست سهلة الضياع مثل امرأة واحدة، تذوب في مطر كليركينويل.

وافق سترايك، وهما يتجهان نحو الشمس في طريق تشارينغ كروس:

– "كابوس للعائلات. لا أريد الذهاب لستاربكس." توقف، ناظرًا للطريق صعودًا ونزولاً.

لذا سارا إلى "بار إيطاليا" في شارع "فريث"، الذي يقع مقابل نادي "روني سكوت" للجاز، على بعد خمس دقائق من المكتب. كانت الطاولات والكراسي المعدنية الصغيرة بالخارج على الرصيف فارغة كلها. رغم وعده المشمس، كان

هواء صباح مارس لا يزال يحمل برودة. كل كرسي مرتفع عند المنضدة داخل المقهى كان يحمل زبونًا يجرع القهوة قبل بدء يوم عمله، بينما يقرأ الأخبار من هاتفه أو يتفحص رفوف المنتجات المنعكسة في المرآة التي تواجهه.

سأل سترايك بشك، ناظرًا من فستان روبن إلى المنضدة بالداخل:

– "هل ستكونين دافئة بما يكفي إذا جلسنا هنا بالخارج؟"

كانت قد بدأت تتمنى حقًا لو ارتدت الجينز.

– "سأكون بخير. وأريد فقط كابتشينو، لقد أكلت بالفعل."

بينما كان سترايك يشتري الطعام والشراب، جلست روبن على الكرسي المعدني البارد، وشدت سترتها بإحكام حولها وفتحت حقيبتها، بنية إخراج دفتر ملاحظات تالبوت الجلدي، لكن بعد لحظة تردد، غيرت رأيها وتركته حيث كان. لم ترد أن يظن سترايك أنها كانت تركز على تأملات تالبوت الفلكية خلال الأيام القليلة الماضية، رغم أنها، في الواقع، قضت ساعات عديدة منكبّة على الكتاب.

قال سترايك، عائدًا إليها وواضعًا القهوة أمامها:

– "كابتشينو."

كان قد اشترى لنفسه "إسبريسو" مزدوجًا ولفافة موزاريلا وسلامي. جالسًا بجانبها، قال:

– "كيف تم إلغاء الوساطة؟"

مسرورة لأنه تذكر، قالت روبن:

– "يدعي ماثيو أن شيئًا عاجلاً طرأ."

– "تصدقينه؟"

– "لا. أعتقد أنها المزيد من ألاعيب العقل. لم أكن أتطلع إليها، لكن على الأقل كانت ستنتهي. إذن،" قالت، غير راغبة في الحديث عن ماثيو، "هل لديك أي شيء جديد عن بامبورو؟"

قال سترايك، الذي كان يعمل بلا توقف على قضايا أخرى منذ عودته من كورنوال:

– "ليس الكثير. حصلنا على نتائج الطب الشرعي بخصوص لطخة الدم التي وجدتها في الكتاب في شقة آل آثورن."

– "وماذا؟"

– "فصيلة O إيجابي."

– "وهل اتصلت بروي لمعرفة..."

– "أجل. مارغو كانت A إيجابي."

– "أوه."

قال سترايك، بهزة كتف:

– "آمالي لم تكن مرتفعة. بدت كلطخة من جرح ورقة، إن كان لا بد من التشبيه.

"وجدت ماكي ريتشي، رغم ذلك. إنه في دار رعاية خاصة تسمى «سانت بيترز»، في إيسلينغتون. اضطررت للقيام بقدر لا بأس به من انتحال الشخصية عبر الهاتف للحصول على تأكيد."

– "عظيم. هل تريد مني أن –؟"

– "لا. أخبرتك، شانكر أصدر تحذيرات صارمة حول إزعاج الوغد العجوز، خشية أن يشم أبناؤه خبرًا."

– "وتشعر، من بيننا نحن الاثنين، أنني الشخص الذي يزعج الناس، أليس كذلك؟"

ابتسم سترايك ابتسامة متكلفة خفيفة وهو يمضغ لفافته.

– "لا جدوى من هز قفص لوكا ريتشي ما لم نضطر لذلك. أخبرني شانكر أن ماكي خرف، وهو ما أملت أن يعني أنه أقل حدة مما كان عليه. ربما كان ليعمل لصالحنا. لسوء الحظ، مما تمكنت من استدراجه من الممرضة، هو لا يتكلم بعد الآن."

– "إطلاقًا؟"

– "يبدو ذلك. ذكرت الأمر بشكل عابر. حاولت معرفة ما إذا كان ذلك لأنه مكتئب، أو أصيب بسكتة دماغية، أو ما إذا كان مصابًا بالخرف، وفي هذه الحالة استجوابه بلا جدوى بوضوح، لكنها لم تقل.

"ذهبت لتفقد الدار. كنت آمل في مكان مؤسسي كبير حيث يمكنك التسلل للداخل والخارج دون ملاحظة، لكنه أقرب لفندق مبيت وإفطار (B&B). لديهم ثمانية عشر مقيمًا فقط. أود القول إن فرص الدخول هناك دون اكتشاف أو انتحال صفة قريب بعيد قريبة من الصفر."

بشكل غير عقلاني، الآن وقد بدا ريتشي بعيد المنال، شعرت روبن، التي لم تكن مهتمة به أكثر من أي من المشتبه بهم الآخرين، فورًا وكأن شيئًا حاسمًا للتحقيق قد فُقد.

قال سترايك:

– "لا أقول إنني لن أحاول معه، في نهاية المطاف. لكن في الوقت الحالي، المكاسب المحتملة لا تبرر إغضاب مجموعة من رجال العصابات المحترفين علينا. من ناحية أخرى، إذا لم يكن لدينا شيء آخر بحلول أغسطس، قد أضطر لرؤية ما إذا كان بإمكاني الحصول على كلمة أو اثنتين من ريتشي."

من نبرته، خمنت روبن أن سترايك، أيضًا، يدرك جيدًا أن أكثر من نصف عامهم المخصص لقضية بامبورو قد انقضى بالفعل.

– "لقد قمت أيضًا،" تابع، "بالاتصال بكاتب سيرة مارغو، سي. بي. أوكدين، الذي يتمنع بصعوبة. يبدو أنه يعتقد أنه أكثر أهمية للتحقيق بكثير مما أعتقد أنا."

– "هل يسعى وراء المال؟"

– "أود القول إنه يسعى وراء أي شيء يمكنه الحصول عليه. بدا مهتمًا باستجوابي بقدر اهتمامه بالسماح لي باستجوابه."

اقترحت روبن:

– "ربما يفكر في كتابة كتاب عنك، مثل الذي كتبه عن مارغو؟"

لم يبتسم سترايك.

– "يبدو مزيجًا متساويًا من المكر والغباء. لا يبدو أنه خطر له أنني لابد أعرف الكثير عن ماضيه المشبوه، نظرًا لأنني تمكنت من تعقبه بعد تغييرات متعددة للاسم. لكن يمكنني أن أرى كيف احتال على كل أولئك النساء العجائز. يقدم عرضًا جيدًا عبر الهاتف بمعرفة وتذكر كل شخص حول مارغو. كان هناك طلاقة حقيقية في الأمر: «نعم، الدكتور غوبتا، رجل رائع»، «أوه نعم، إيرين، صعبة المراس قليلاً». الأمر مقنع حتى تتذكري أنه كان في الرابعة عشرة عندما اختفت مارغو، وربما قابلهم جميعًا مرتين، على الأكثر.

"لكنه رفض إخباري بأي شيء عن برينر، وهو من أنا مهتم به حقًا. «سأحتاج للتفكير في ذلك،» قال. «لست متأكدًا أنني أريد الخوض في ذلك.» اتصلت به مرتين حتى الآن. في المرتين حاول تحويل المحادثة إليّ، سحبتها مرة أخرى إلى برينر، وقطع المكالمة، مدعيًا أن لديه شيئًا عاجلاً للاهتمام به. في المرتين، وعد بمعاودة الاتصال بي لكنه لم يفعل."

سألت روبن:

– "ألا تعتقد أنه يسجل المكالمات؟ يحاول الحصول على أشياء عنك يمكنه بيعها للصحف؟"

اعترف سترايك، وهو يسكب السكر في قهوته:

– "خطر لي ذلك. ربما يجب أن أتحدث أنا إليه في المرة القادمة؟"

– "قد لا تكون فكرة سيئة. على أية حال، هذا كل ما فعلته بشأن بامبورو منذ عدت. لكنني أخطط للمرور على الممرضة جانيس في اللحظة التي أحصل فيها على ساعتين فارغتين. ستكون قد عادت من دبي الآن، وأريد أن أعرف لماذا لم تذكر أبدًا أنها تعرف بول ساتشويل. لا أعتقد أنني سأحذرها بقدومي، هذه المرة. هناك ميزة لمباغتة الناس. إذن، ما الجديد من طرفك؟"

قالت روبن:

– "حسنًا، غلوريا كونتي، أو جوبير، كما هي هذه الأيام، لم تجب على رسالة آنا الإلكترونية."

قال سترايك عابساً:

– "خسارة. ظننت أنها ستكون أكثر ميلاً للتحدث إلينا إذا سألت آنا."

– "أنا كذلك. أعتقد أن الأمر يستحق إعطاءها أسبوعًا آخر، ثم جعل آنا تنكزها. أسوأ ما يمكن أن يحدث هو «لا» قاطعة أخرى. في أخبار أفضل قليلاً، من المفترض أن أتحدث إلى أماندا وايت، التي تسمى الآن أماندا لوز، في وقت لاحق اليوم."

– "كم يكلفنا ذلك؟"

– "لا شيء. ناشدت طبيعتها الخيرة، وتظاهرت بالاقتناع، لكن أستطيع القول إنها مفتونة تمامًا بفكرة الدعاية، وتعجبها فكرة العمل معك، والحصول على اسمها في الصحف مرة أخرى كالتلميذة الشجاعة التي تمسكت بقصتها عن المرأة في النافذة حتى عندما لم تصدقها الشرطة. هذا بالرغم من حقيقة أن حيلتها الكاملة، عندما اتصلت بها لأول مرة، كانت أنها لا تريد المرور بكل ضغط اهتمام الصحافة مرة أخرى ما لم تحصل على المال منه."

سأل سترايك، مخرجًا سجائره من جيبه:

– "هل لا تزال متزوجة؟ لأنها وأوكدن يبدوان كثنائي جيد. قد لا يكون نشاطًا جانبيًا سيئًا لنا، التوفيق بين المحتالين."

ضحكت روبن.

– "لكي ينجبوا أطفالاً مشبوهين معًا، وبالتالي يبقوننا في العمل للأبد؟"

أشعل سترايك سيجارته، وزفر ثم قال:

– "ليست خطة عمل مثالية. لا يوجد ضمان أن تزاوج وغدين سينتج وغدًا ثالثًا. عرفت أشخاصًا محترمين رباهم أوغاد كاملون، والعكس صحيح."

– "أنت مع الطبيعة ضد التنشئة، إذن؟"

– "ربما. أبناء أختي الثلاثة تربوا جميعًا بنفس الطريقة، أليس كذلك؟ و–"

أكملت روبن:

– "– واحد رائع، وواحد أحمق وواحد وغد."

انفجار ضحك سترايك العالي بدا وكأنه أهان الرجل الذي يرتدي بدلة ويبدو منهكًا والذي كان يسرع مارًا وهاتفه المحمول مضغوط على أذنه.

قال سترايك، ولا يزال يبتسم وهو يراقب الرجل العابس يختفي عن الأنظار:

– "تذكرتِ جيدًا."

مؤخرًا هو أيضًا كانت لديه حالات مزاجية حيث كان صوت بهجة الآخرين يزعجه، لكن في هذه اللحظة، مع الشمس، والقهوة الجيدة وروبن بجانبه، أدرك فجأة أنه أسعد مما كان عليه منذ شهور.

قالت روبن:

– "الناس لا يُربون بنفس الطريقة أبدًا، رغم ذلك. ولا حتى في نفس المنزل، مع نفس الوالدين. ترتيب الولادة يهم، وكل أنواع الأشياء الأخرى. بالحديث عن ذلك، ابنة ويلما بايليس، مايا، وافقت بالتأكيد على التحدث إلينا. نحاول إيجاد موعد مناسب. أعتقد أنني أخبرتك، الأخت الصغرى تتعافى من سرطان الثدي، لذا لا أريد مضايقتهم.

"وهناك شيء آخر،" قالت روبن، شاعرة بالخجل.

رأى سترايك، الذي عاد إلى شطيرته، لدهشته، روبن تسحب من حقيبتها دفتر ملاحظات تالبوت المجلد بالجلد، الذي افترض سترايك أنه لا يزال في خزانة الملفات المقفلة في المكتب.

– "كنت أراجع هذا."

قال سترايك، وفمه ممتلئ بالخبز:

– "تظنين أنني فوت شيئًا، هاه؟"

– "لا، أنا –"

– "لا بأس. ممكن تمامًا. لا أحد معصوم من الخطأ."

كانت الشمس تشق طريقها ببطء إلى شارع فريث الآن، وتوهجت صفحات الدفتر القديم باللون الأصفر عندما فتحته روبن.

– "حسنًا، الأمر يتعلق بـ «العقرب». تتذكر العقرب؟"

– "الشخص الذي ربما كانت مارغو قلقة بشأن موته؟"

– "بالضبط. ظننت أن العقرب قد تكون صديقة ستيف دوثويت المتزوجة، التي قتلت نفسها."

– "أنا منفتح لنظريات أخرى." أنهى شطيرته، ونفض يديه وأخرج سجائره. "الملاحظات تسأل عما إذا كان الدلو واجه الحوت، أليس كذلك؟ وهو ما افترضت أنه يعني أن مارغو واجهت دوثويت."

رغم نبرته المحايدة، استاء سترايك من تذكر هذه الأبراج. المهمة الشاقة وغير المجدية في النهاية لتحديد أي المشتبه بهم والشهود يمثلهم كل رمز فلكي كانت بعيدة كل البعد عن أن تكون جزء البحث المفضل لديه.

قالت روبن، مخرجة ورقتين مطويتين مصورتين، كانت تحتفظ بهما في الدفتر:

– "حسنًا، كنت أتساءل... انظر إلى هؤلاء."

مررت الوثيقتين لسترايك، الذي فتحهما ورأى نسختين لشهادتي ميلاد، واحدة لـ أوليف ساتشويل، والأخرى لـ بلانش ساتشويل.

قالت روبن، بينما كان سترايك، يدخن، يفحص الوثائق:

– "أوليف كانت والدة ساتشويل. وبلانش كانت أخته، التي ماتت في العاشرة – ربما بوسادة على وجهها."

قال سترايك:

– "إذا كنتِ تتوقعين مني استنتاج أبراجهم من تواريخ الميلاد هذه، فأنا لم أحفظ دائرة الأبراج بأكملها."

– "ولدت بلانش في الخامس والعشرين من أكتوبر، مما يجعلها عقربًا. ولدت أوليف في التاسع والعشرين من مارس. وفقًا للنظام التقليدي، ستكون حملاً، مثل ساتشويل..."

لدهشة سترايك، أخرجت روبن الآن نسخة من كتاب *تنجيم 14* (Astrology 14) لـ ستيفن شميدت.

– "كان من الصعب جدًا تعقب هذا. لقد نفد من الطباعة منذ عصور."

قال سترايك، مراقبًا روبن تقلب إلى صفحة تدرج تواريخ الأبراج المعدلة وفقًا لشميدت:

– "تحفة فنية كهذه؟ تدهشينني."

ابتسمت روبن، لكن رافضة أن يتم تشتيتها قالت:

– "انظر هنا. وفقًا لنظام شميدت، والدة ساتشويل كانت حوتًا (Pisces)."

سأل سترايك:

– "نحن نخلط بين النظامين الآن، أليس كذلك؟"

أشارت روبن:

– "حسنًا، تالبوت فعل ذلك. قرر أن إيرين وروي يجب أن يُعطيا أبراج شميدت الخاصة بهم، لكن سُمح للآخرين بالاحتفاظ بالأبراج التقليدية."

قال سترايك، مدركًا جيدًا أنه يحاول فرض منطق على ما كان غير منطقي بالأساس:

– "لكن تالبوت بنى افتراضات ضخمة وشاملة على أساس الأبراج الأصلية للناس. تم استبعاد برينر كمشتبه به فقط لأنه كان –"

– "– ميزانًا، نعم."

– "حسنًا، ماذا يحدث لكون جانيس نفسانية وكون سفاح إسيكس جديًا إذا بدأت كل التواريخ في الانزلاق؟"

– "أينما كان هناك تناقض بين البرج التقليدي وبرج شميدت، يبدو أنه ذهب مع البرج الذي اعتقد أنه يناسب الشخص بشكل أفضل."

– "مما يجعل الأمر برمته مهزلة. وأيضًا،" قال سترايك، "يضع كل تعريفاتي للأبراج والمشتبه بهم موضع تساؤل."

– "أعرف. حتى تالبوت يبدو أنه أصبح متوترًا جدًا بمحاولة العمل عبر كلا النظامين، وذلك عندما بدأ التركيز بشكل أساسي على الكويكبات والتاروت."

قال سترايك، نافثًا الدخان بعيدًا عنها:

– "حسنًا، تابعي ما كنتِ تقولينه – إذا كانت أخت ساتشويل عقربًا، وأمها كانت حوتًا... ذكريني، ماذا يقول ذلك المقطع عن العقرب بالضبط؟"

قلبت روبن صفحات دفتر تالبوت للخلف حتى وجدت المقطع المزين برسومات خربشة للسرطان، والسمكة، والعقرب، والماعز ذي ذيل السمكة وجرة حامل الماء.

قرأت بصوت عالٍ:

– "«الدلو قلق بشأن كيفية موت العقرب، علامة استفهام». و – مكتوب بأحرف كبيرة – «شميدت يتفق مع آدامز». ثم، «هل واجه الدلو الحوت بشأن العقرب؟ هل كان السرطان هناك، هل شهد السرطان؟ السرطان طيب، غريزته هي الحماية»، ثم، بأحرف كبيرة، «قابل مرة أخرى. العقرب والدلو متصلان، ماء، ماء، أيضًا السرطان، والجدي»، بأحرف كبيرة، «لديه ذيل سمكة»."

قال سترايك، عاقدًا حاجبيه:

– "نحن نفترض أن السرطان لا يزال يعني جانيس، صحيح؟"

– "حسنًا، جانيس وسينثيا هما السرطانان الوحيدان المرتبطان بالقضية، وجانيس تبدو مناسبة لهذا بشكل أفضل. لنقل إن مارغو قررت أنها ستتصرف بناءً على شكوكها بأن والدة ساتشويل قتلت أخته. إذا اتصلت بأوليف من العيادة، فربما تكون جانيس قد سمعت مكالمة هاتفية، أليس كذلك؟ وإذا كانت جانيس تعرف عائلة ساتشويل، أو كانت متورطة معهم بطريقة لا نعرفها، فربما لم ترغب في إخبار الشرطة بما سمعته، خوفًا من توريط أوليف."

سأل سترايك:

– "لماذا تنتظر مارغو سنوات للتحقق من شكوكها حول حلم الوسادة؟" لكن قبل أن تتمكن روبن من تقديم إجابة، فعل هو ذلك بنفسه. "بالطبع، يستغرق الناس أحيانًا سنوات لتقرير الإجراء الذي يجب اتخاذه بشأن شيء كهذا. أو لاستجماع الشجاعة للقيام به."

أعاد لروبن النسختين المصورتين.

– "حسنًا، إذا كانت هذه هي القصة وراء مسألة العقرب، فساتشويل لا يزال مشتبهًا به رئيسيًا."

قالت روبن مذنبة:

– "لم أحصل أبدًا على عنوانه في اليونان."

– "سنصل إليه من خلال أخته الناجية إذا اضطررنا."

أخذ سترايك رشفة من القهوة ثم، ضد حكمه الأفضل قليلاً، سأل:

– "ماذا قلتِ عن الكويكبات؟"

قلبت روبن الصفحات أكثر في دفتر الملاحظات، لتري سترايك الصفحة التي انكبّت عليها في ليمنغتون سبا، والتي فكرت فيها كـ "صفحة القرون".

– "مع استمرار القضية، بدا أنه تخلى عن التنجيم الطبيعي. أعتقد أن شميدت أربكه لدرجة أنه لم يعد يستطيع العمل به، فبدأ في اختراع نظامه الخاص. لقد حسب مواقع الكويكبات لمساء اختفاء مارغو. انظر هنا –"

كانت روبن تشير إلى الرمز ⚴.

– "هذا الرمز يرمز للكويكب «بالاس أثينا» – تتذكر تلك الساعة القبيحة في منزل آل فيبس؟ – وهو يستخدمه ليعني مارغو. الكويكب بالاس أثينا كان في البيت العاشر من دائرة الأبراج في الليلة التي اختفت فيها مارغو، والبيت العاشر يحكمه الجدي. ويُفترض أيضًا أنه يحكم الأعمال التجارية، والطبقات العليا والطوابق العليا."

– "تظنين أن مارغو لا تزال في قبو شخص ما؟"

ابتسمت روبن، لكنها رفضت أن يتم تشتيتها.

– "وانظر هنا..." أمالت الدفتر نحوه. "بافتراض أن الكويكبات الأخرى تشير أيضًا لأشخاص أحياء، لدينا سيريس، وجونو وفيستا.

"أعتقد أنه يستخدم فيستا، «حارسة الموقد»، لتمثيل سينثيا. فيستا كانت في البيت السابع، وهو بيت الزواج. كتب تالبوت «يناسب» (FITS) – لذا أعتقد أنه يقول إن سينثيا كانت في منزل مارغو الزوجي، بروم هاوس.

"أعتقد أن «سيريس الراعية، الحامية» تبدو كجانيس مرة أخرى. إنها في البيت الثاني عشر، وكذلك جونو، المرتبطة بـ «الزوجات والخيانة»، مما قد يعيدنا إلى جوانا هاموند، صديقة دوثويت المتزوجة..."

– "ماذا يمثل البيت الثاني عشر؟"

– "الأعداء، والأسرار، والأحزان والدمار (undoing)."

نظر إليها سترايك، رافعًا حاجبيه. لقد جاري روبن لأن الجو كان مشمسًا، وكان يستمتع بصحبتها، لكن تسامحه مع التنجيم كان ينفد الآن بسرعة كبيرة.

– "إنه أيضًا بيت الحوت،" قالت روبن، "وهو برج دوثويت، لذا ربما –"

– "تظنين أن جانيس وجوانا هاموند كانتا كلتيهما في شقة دوثويت عندما اختُطفت مارغو، أليس كذلك؟"

– "لا، لكن –"

– "لأن ذلك سيكون صعبًا، نظرًا لأن جوانا هاموند ماتت قبل أسابيع من اختفاء مارغو. أم تقترحين أن شبحها كان يطارد دوثويت؟"

قالت روبن، نصف ضاحكة وهي تواصل:

– "حسنًا، أعرف أن ذلك قد لا يعني شيئًا، لكن تالبوت كتب شيئًا آخر هنا: «سيريس تنفي الاتصال بجونو. هل يمكن أن يكون قيطس (Cetus) محقًّا؟»"

كانت تشير إلى رمز الحوت الذي يمثل إيرين.

قال سترايك:

– "أجد صعوبة في تخيل إيرين هيكسون محقة بشأن أي شيء." سحب دفتر الملاحظات الجلدي نحوه للنظر عن كثب في كتابة تالبوت الصغيرة الوسواسية، ثم دفع الملاحظات بعيدًا مرة أخرى بهزة كتف نافدة الصبر قليلاً. "انظري، من السهل الانجرار إلى هذا الهراء. عندما كنت أراجع الملاحظات بدأت في صنع روابط بينما كنت أحاول متابعة قطار أفكاره، لكنه كان مريضًا، أليس كذلك؟ لا شيء يؤدي إلى أي مكان ملموس."

– "كنت فقط مفتونة بعبارة «هل يمكن أن يكون قيطس محقًّا؟» لأن تالبوت لم يثق بإيرين من البداية، أليس كذلك؟ ثم يبدأ في التساؤل عما إذا كانت قد تكون محقة بشأن... بشأن شيء متصل بالأعداء، والأسرار والدمار..."

قال سترايك:

– "إذا اكتشفنا أبدًا ما حدث لمارغو بامبورو، أراهنك بمائة جنيه أنكِ ستكونين قادرة على تقديم حجج قوية بنفس القدر لكون هراء تالبوت السحري دقيقًا تمامًا، وخاطئًا تمامًا. يمكنك دائمًا مط هذا الهراء الرمزي ليناسب الحقائق. إحدى صديقات أمي اعتادت تخمين أبراج الجميع وكانت تصيب في كل مرة."

– "كانت تصيب؟"

– "أوه نعم. لأنه حتى عندما كانت مخطئة، كانت محقة. يتضح أن لديهم حمولة من الكواكب في ذلك البرج أو، لا أدري، القابلة التي ولدتهم كانت من ذلك البرج. أو كلبهم."

قالت روبن بإنصاف:

– "حسنًا." كانت تتوقع شكوكية سترايك، في النهاية، وأعادت الآن كلاً من الدفتر وكتاب *تنجيم 14* إلى حقيبتها. "أعلم أنه قد لا يعني شيئًا على الإطلاق، أنا فقط –"

– "إذا أردتِ الذهاب ورؤية إيرين هيكسون مرة أخرى، تفضلي. أخبريها أن تالبوت ظن أنه قد يكون لديها بصيرة عميقة في شيء متصل بالكويكبات و – لا أدري – الجبن –"

قالت روبن، محاولة أن تبدو صارمة:

– "البيت الثاني عشر لا يحكم الجبن."

– "ما رقم بيت منتجات الألبان؟"

قالت ضاحكة رغمًا عنها:

– "أوه، اغرب عن وجهي."

اهتز هاتف روبن المحمول في جيبها، فسحبته. رسالة نصية وصلت للتو.

مرحبًا روبن، إذا أردتِ يمكنني التحدث الآن؟ وافقت للتو على العمل في وردية متأخرة، لذا لست مطلوبة في العمل لبضع ساعات. وإلا فسيتعين أن يكون بعد 8 الليلة – أماندا

أخبرت سترايك:

– "أماندا وايت. تريد التحدث الآن."

قال سترايك، مرتاحًا للعودة إلى أرض التحقيق الصلبة:

– "يناسبني." كاذبة أم لا، أماندا وايت ستتحدث على الأقل عن امرأة فعلية عند نافذة حقيقية.

ضغطت روبن رقم أماندا، وحولت الهاتف إلى مكبر الصوت ووضعته على الطاولة بينها وبين سترايك.

قال صوت نسائي واثق، بلمحة من لهجة شمال لندن:

– "مرحبًا. هل هذه روبن؟"

– "نعم، وأنا مع كورموران."

– "صباح الخير،" قال سترايك.

قالت أماندا، وبدا عليها السرور:

– "أوه، إنه أنت، أليس كذلك؟ لي الشرف. كنت أتعامل مع مساعدتك."

قال سترايك، دون النظر إلى روبن:

– "إنها شريكتي في الواقع."

سألت أماندا:

– "حقًا؟ في العمل، أم في الشيء الآخر؟"

قال سترايك:

– "في العمل. أفهم أن روبن كانت تتحدث إليكِ عما رأيتِه ليلة اختفاء مارغو بامبورو؟"

– "هذا صحيح."

– "هل تمانعين لو قمنا بتسجيل هذه المقابلة؟"

– "لا، لا أظن. أعني، أريد فعل الشيء الصحيح، رغم أنني لن أدعي أنه لم يكن معضلة بعض الشيء، لأنه كان مرهقًا حقًا، في المرة السابقة. صحفيون، مقابلتان مع الشرطة، وكنت في الرابعة عشرة فقط. لكنني كنت دائمًا فتاة عنيدة، هاها، وتمسكت بموقفي..."

وهكذا روت أماندا القصة التي كانت مألوفة بالفعل لروبن وسترايك: عن المطر، وصديقة المدرسة الغاضبة، والنافذة العلوية، والتعرف بأثر رجعي على مارغو، عندما رأت أماندا صورتها في الصحيفة. طرح سترايك بضعة أسئلة، لكنه استطاع أن يدرك أن لا شيء سيغير قصة أماندا أبدًا. وسواء كانت تعتقد بصدق أنها رأت مارغو بامبورو عند النافذة تلك الليلة أم لا، فمن الواضح أنها كانت مصممة على عدم التخلي أبدًا عن ارتباطها باللغز الذي دام أربعين عامًا.

أنهت القصة قائلة:

– "... وأفترض أنني مطاردة منذ ذلك الحين بفكرة أنني لم أفعل شيئًا، لكنني كنت في الرابعة عشرة ولم يضربني الأمر إلا لاحقًا، كان بإمكاني أن أكون الشخص الذي ينقذها."

قالت روبن، بينما أومأ لها سترايك، مشيرًا إلى أنه حصل على كل ما يريد:

– "حسنًا، شكرًا جزيلاً للتحدث إلينا يا أماندا. أنا حقًا –"

قالت أماندا:

– "هناك شيء آخر، قبل أن تذهبوا. انتظروا حتى تسمعوا هذا. إنها صدفة مذهلة فقط، ولا أعتقد حتى أن الشرطة تعرف بهذا، لأنهما كلاهما ميت."

سألت روبن، بينما أشعل سترايك لنفسه سيجارة أخرى:

– "من الميت؟"

قالت أماندا:

– "حسنًا، ما رأيكم في هذه الغرابة؟ وظيفتي الأخيرة، عمة هذه الفتاة الشابة في المكتب –"

قلب سترايك عينيه.

– "– كانت في نزل للمحتضرين (hospice) مع، خمنوا من؟"

قالت روبن بأدب:

– "لا أعرف."

– "فايوليت كوبر." قالت أماندا. "ربما لا تـ –"

– "صاحبة منزل دينيس كريد."

قالت أماندا، وبدا عليها السرور لأن روبن قدرت أهمية قصتها:

– "بالضبط! إذن، على أية حال، أليس غريبًا جدًا، أنني رأيت مارغو عند تلك النافذة، وبعد ذلك، بعد كل تلك السنوات، أعمل مع شخص قابلت قريبته فاي كوبر؟ إلا أنها كانت تسمي نفسها شيئًا مختلفًا بحلول ذلك الوقت، لأن الناس كرهوها."

قالت روبن، متأكدة من عدم النظر إلى سترايك:

– "تلك صدفة. حسنًا، شكـ –"

ضحكت أماندا:

– "ليس هذا كل شيء! لا، هناك المزيد! إذن، عمة هذه الفتاة قالت إن فاي أخبرتها أنها كتبت لكريد، مرة، تسأله عما إذا كان قد قتل مارغو بامبورو."

توقفت أماندا، بوضوح تريد رد فعل، لذا قالت روبن، التي كانت قد قرأت عن هذا بالفعل في *شيطان حديقة الفردوس*:

– "واو."

– "أعرف. ويبدو أن فاي قالت – هذا وهي على فراش الموت، لذا تعلمون، كانت تقول الحقيقة، لأنك ستفعل، أليس كذلك؟ – قالت فاي إن الرسالة التي تلقتها ردًا، قالت إنه قتلها.

– "حقًا؟" قالت روبن. "ظننت أن الرسالة –"

– "لا، لكن هذا مباشر من فايوليت،" قالت أماندا، بينما قلب سترايك عينيه مرة أخرى، "وقالت، إنه فعلها بالتأكيد، أخبرها بذلك تقريبًا. قالها بطريقة هي فقط ستفهمها، لكنها عرفت بالضبط ما يعنيه.

"مجنون، رغم ذلك، أليس كذلك؟ أرى مارغو عند النافذة، وبعد ذلك، بعد سنوات –"

– "مذهل،" قالت روبن. "حسنًا، شكرًا جزيلاً لوقتك يا أماندا، كان هذا حقًا... إم..."

تطلب الأمر من روبن دقيقتين أخريين، والكثير من الامتنان غير الصادق، لإنهاء المكالمة مع أماندا.

سألت روبن سترايك، عندما نجحت أخيرًا في التخلص من أماندا:

– "ما رأيك؟"

أشار بإصبعه إلى السماء.

سألت روبن، ناظرة للأعلى إلى الزرقة المغبرة:

– "ماذا؟"

قال سترايك:

– "إذا نظرتِ بعناية، قد ترين كويكبًا يمر عبر «بيت الهراء»."

50

«يا ويلي» (قالت هي)، «أين أنا، أو مع من؟
بين الأحياء، أم بين الأموات؟»
إدموند سبنسر ملكة الجن

استهلك عمل الوكالة غير المرتبط بقضية بامبورو سترايك للأيام القليلة التالية. محاولته الأولى لمفاجأة الممرضة جانيس بيتي في المنزل كانت عقيمة. غادر "نايتينغيل غروف" (بستان العندليب)، وهو شارع عادي المظهر يقع بمحاذاة خط سكة حديد الجنوب الشرقي، دون تلقي أي رد على طرقه.

محاولته الثانية، يوم الأربعاء التالي، تمت في ظهيرة عاصفة ظلت تهدد بزخات مطر. اقترب سترايك من منزل جانيس من محطة "هيذر غرين"، على طول رصيف يحده من اليمين سور وسياج شجري، يفصل الطريق عن خطوط السكة الحديدية. كان يفكر في روبن وهو يسير بتثاقل، مدخنًا، لأنها رفضت للتو فرصة الانضمام إليه لمقابلة جانيس، قائلة إن هناك "شيئًا آخر" تحتاج للقيام به، لكن دون تحديد ماهية ذلك الشيء. اعتقد سترايك أنه اكتشف أثرًا من التحفظ، يكاد يصل لدرجة الدفاعية، في رد روبن على اقتراح المقابلة المشتركة، حيث عادة ما كان سيكون هناك خيبة أمل فقط.

منذ تركت ماثيو، اعتاد سترايك على المزيد من السهولة والانفتاح بينه وبين روبن، لذا فإن هذا الرفض، المقترن بنبرتها وعدم وجود تفسير، جعله فضوليًا. وبينما كانت هناك بالطبع أمور قد لا يتوقع منها إخباره بها – *رحلات لطبيب*

النساء خطرت بباله – كان يتوقع منها أن تقول "لدي موعد مع الطبيب"، على الأقل.

أظلمت السماء بينما اقترب سترايك من منزل جانيس، الذي كان أصغر بكثير من منزل إيرين هيكسون. كان يقع في صف من المنازل المتلاصقة. علقت ستائر دانتيل على جميع النوافذ، وكان الباب الأمامي أحمر داكنًا. لم يدرك سترايك على الفور حقيقة أن ضوءًا كان يسطع من خلف ستائر الدانتيل في نافذة غرفة الجلوس حتى أصبح في منتصف الطريق عبر الشارع. ومع ذلك، عندما أدرك أن طريدته لابد أن تكون بالداخل، دفع بنجاح كل الأفكار حول شريكته التجارية من عقله، وعبر الطريق بخطى أسرع وطرق بحزم على الباب الأمامي. بينما وقف ينتظر، سمع أصواتًا مكتومة لتلفزيون بصوت عالٍ عبر زجاج النافذة السفلية. كان يفكر للتو في الطرق مرة أخرى، في حال لم تسمع جانيس في المرة الأولى، عندما فُتح الباب.

على النقيض من آخر مرة التقيا فيها، بدت الممرضة، التي كانت ترتدي نظارات ذات إطار فولاذي، مصدومة وغير مسرورة برؤية سترايك. من خلفها، انطلق صوتا امرأتين أمريكيتين من التلفزيون غير المرئي: *"إذن تحبين البريق؟" "أحب البريق!"*

– "إم – هل فاتتني رسالة، أم –؟"

قال سترايك بغير صدق:

– "آسف لعدم الإخطار المسبق، لكن بما أنني كنت في المنطقة، تساءلت عما إذا كان بإمكانك منحي بضع دقائق؟"

نظرت جانيس خلف كتفها. كان صوت ذكر مخنث (Camp) يقول الآن:

"الفستان الذي وقعت كيلي في حبه هو عينة فريدة من نوعها من منصة العرض.."

واضح الاستياء عليها، التفتت جانيس مرة أخرى لسترايك.

– "حسنًا... لا بأس، لكن المكان في حالة فوضى – وهل يمكنك من فضلك مسح قدميك جيدًا، لأن آخر رجل ظهر هنا دون سابق إنذار أحضر معه فضلات كلاب. يمكنك إغلاق الباب خلفك."

خطا سترايك فوق العتبة، بينما سارت جانيس بخطوات واسعة خارج نطاق الرؤية إلى غرفة الجلوس. توقع سترايك منها إطفاء التلفزيون لكنها لم تفعل. بينما كان سترايك يمسح قدميه على حصيرة جوز الهند داخل الباب، قال صوت ذكر: *"ثوب منصة العرض الفريد من نوعه هذا قد يكون من المستحيل العثور عليه، لذا راندي في رحلة بحث..."* بعد التردد للحظة على ممسحة الأرجل، قرر سترايك أن جانيس تتوقع منه أن يتبعها، ودخل غرفة الجلوس الصغيرة.

بعد أن قضى جزءًا كبيرًا من شبابه في منازل عشوائية (Squats) مع والدته، كان لدى سترايك فكرة مختلفة تمامًا عن "الفوضى" مقارنة بجانيس. ورغم اكتظاظها، مع وجود شيء على كل سطح تقريبًا، كانت العلامات الوحيدة لعدم الترتيب الفعلي في الغرفة هي نسخة من صحيفة "ديلي ميرور" ملقاة على كرسي بذراعين، وبعض التغليف المجعد الملقى بجانب علبة تمر مفتوحة على طاولة القهوة المنخفضة ومجفف شعر، كان ملقى بشكل غير متناغم على الأرض بجانب الأريكة، والذي كانت جانيس تفصله حاليًا عن الكهرباء.

"... أنتونيلا تسحب أقرب ثوب لاختيار كيلي، فستان مرصع بالكامل بقيمة 15،000 دولار..."

شرحت جانيس، وهي تعتدل واقفة، ووجهها متورد، ومجفف الشعر في يدها وتبدو غاضبة قليلاً، وكأن سترايك يجبرها على تبرير نفسها:

– "المرآة هنا بالأسفل أفضل لتجفيف شعري. كنت سأقدر بعض التحذير، كما تعلم،" أضافت، وبدت صارمة بقدر ما يمكن لامرأة مبتسمة الوجه بطبيعتها أن تكون. "لقد فاجأتني على حين غرة."

تذكر سترايك فجأة وبشكل مؤثر جوان، التي كانت دائمًا ما تتوتر إذا مر الضيوف بينما المكنسة الكهربائية أو طاولة الكي لا تزال بالخارج.

– "آسف. كما أقول، تصادف وجودي في المنطقة..."

قال الراوي بصوت عالٍ: *"حتى مع دخول كيلي في الفستان رقم واحد، لا تزال غير قادرة على إخراج فستان أحلامها من عقلها"*، ونظر كل من سترايك وجانيس

نحو التلفزيون، حيث كانت شابة تتلوى للدخول في فستان أبيض ضيق، شبه شفاف ومغطى بأحجار الراين الفضية.

قالت جانيس، التي كانت ترتدي نفس السترة الزرقاء الداكنة والسروال الواسع كما في المرة الأخيرة التي رآها فيها سترايك:

– "برنامج «قل نعم للفستان» (Say Yes to the Dress). متعتي المذنبة... هل تريد كوبًا من الشاي؟"

– "فقط إذا لم يكن في ذلك إزعاج."

قالت جانيس، مع أول وميض لابتسامة:

– "حسنًا، دائمًا ما يكون هناك بعض الإزعاج، أليس كذلك؟ لكنني كنت سأصنع لنفسي بعضًا في أول فاصل إعلاني، لذا قد تتناول بعضًا أيضًا."

– "في هذه الحالة، شكرًا جزيلاً." قال سترايك.

قال مستشار الزفاف الذكر المخنث على الشاشة، وهو يقلب بإلحاح عبر رفوف الفساتين البيضاء، وحاجباه منتوفان بحدة لدرجة أنهما بدوا مرسومين: *"إذا لم أجد هذا الفستان، فلن يكون الأمر –"*

أصبحت الشاشة سوداء. كانت جانيس قد أطفأتها بجهاز التحكم عن بعد الخاص بها.

سألت سترايك، مادة العلبة:

– "تريد تمرة؟"

– "لا شكرًا."

– "حصلت على صناديق منها في دبي. كنت سأعطيها كهدايا، لكن لا أستطيع التوقف عن أكلها. تفضل بالجلوس. لن أتأخر لحظة."

ظن سترايك أنه لمح نظرة أخرى لأسفل نحو ساقيه السفليين بينما كانت تسير خارج الغرفة، ومجفف الشعر في يد، والتمر في الأخرى، تاركة سترايك ليأخذ كرسيًا بذراعين، صرّ تحت وزنه.

وجد سترايك غرفة الجلوس الصغيرة خانقة. كان اللون الأحمر هو السائد، السجادة مزينة بنمط قرمزي دوامي، وفوقها سجادة تركية قرمزية رخيصة. صور

الزهور المجففة معلقة على الجدران الحمراء، بين صور قديمة، بعضها بالأبيض والأسود، والملونة باهتة، معروضة في إطارات خشبية. خزانة صينية مليئة بزخارف زجاجية رخيصة. أكبرها، عربة سندريلا تجرها ستة خيول زجاجية، وقفت في مكان الصدارة على رف الموقد فوق المدفأة الكهربائية. بوضوح، تحت ملابس جانيس العملية، كان ينبض قلب رومانسي.

عادت بعد بضع دقائق، تحمل صينية بمقابض خوص عليها كوبان من الشاي مع الحليب المضاف بالفعل، وطبق من بسكويت "هوب نوب" بالشوكولاتة. بدا أن فعل صنع الشاي قد وضعها في مزاج أفضل قليلاً مع ضيفها.

قالت، ماسكة بسترايك ينظر نحو إطار مزدوج على الطاولة الجانبية الصغيرة بجانبه:

– "هذا لاري."

على جانب كان رجل بدين، ناعس العينين بأسنان مدخن. وعلى الجانب الآخر كانت امرأة شقراء، ثقيلة الوزن لكنها جميلة.

– "آه. ومن هذه –؟"

– "أختي الصغيرة، كلير. توفيت عام 97. سرطان البنكرياس. اكتشفوه متأخرًا."

قال سترايك:

– "أوه، يؤسفني سماع ذلك."

قالت جانيس، بتنهيدة عميقة:

– "أجل. فقدتهما كلاهما في نفس الوقت تقريبًا. لقول الحقيقة،" قالت، وهي تجلس على الأريكة وركبتاها تصدران طقطقة مسموعة، "دخلت هنا مرة أخرى بعد دبي وفكرت، أحتاج حقًا لوضع بعض الصور الجديدة. كان الأمر كئيبًا، العودة إلى هنا، عدد الموتى...

"حصلت على بعض الصور الرائعة لـ كيف والأحفاد في العطلة، لكن لم أطبعها بعد. الفتى المجاور سيفعل ذلك لي. كل صوري القديمة لكيف والأطفال قديمة بسنتين. أعطيت الفتى الذاكرة... اللوحة، هل تسمى هكذا؟"

اقترح سترايك:

– "بطاقة؟"

– "هي تلك. الأطفال المجاورون يضحكون علي فقط. ومع ذلك، إيرين أسوأ مني. بالكاد تستطيع تغيير بطارية. إذن،" قالت، "لماذا تريد رؤيتي مرة أخرى؟"

سترايك، الذي لم يكن ينوي المخاطرة برفض فوري، خطط لطرح أسئلته حول ساتشويل في النهاية. ساحبًا مفكرته وفاتحًا إياها، قال:

– "بضعة أشياء ظهرت منذ رأيتك آخر مرة. سألت الدكتور غوبتا عن الأول، لكنه لم يستطع المساعدة، لذا أملت أن تكوني قادرة على ذلك. هل تعرفين بالصدفة أي شيء عن رجل يدعى نيكولو ريتشي، الملقب أحيانًا بـ «ماكي» (القذر)؟"

قالت جانيس:

– "رجل عصابات قديم، ألم يكن كذلك؟ عرفت أنه عاش محليًا، في كليركينويل، لكنني لم أقابله قط. لماذا تريد – أوه، هل كانت إيرين تخبرك عن قصة الأساسات؟"

– "ماذا؟"

– "أوه، لا شيء، حقًا. كانت هناك هذه الشائعة، في الوقت الذي كانوا يقومون فيه بالكثير من إعادة التطوير حول كليركينويل في أوائل السبعينيات، أن بعض البنائين وجدوا جثة مدفونة في الخرسانة تحت أحد المباني المهدمة. القصة كانت أن رجال عصابات «إيطاليا الصغيرة» أخفوها هناك، في الأربعينيات. لكن إدي – هذا إدي زوج إيرين، البناء الذي انتهى بها الأمر بالزواج منه – هكذا التقيا، حانة محلية، عندما كانت شركتهم تقوم بالكثير من إعادة التطوير – أخبرنا إدي أن كل ذلك هراء. لم أصدق ذلك أبدًا. أعتقد أن إيرين صدقت، قليلاً،" أضافت جانيس، تغمس بسكويتة في شايها.

– "كيف يرتبط هذا بمارغو؟"

– "حسنًا، بعد اختفاء مارغو، كانت هناك نظرية بأن جثتها قد وضعت في إحدى الأساسات المفتوحة وغطيت بالخرسانة. كانوا لا يزالون يقومون ببعض البناء هناك في عام 74، أترين."

– "هل كان الناس يلمحون إلى أن ريتشي قتلها؟"

– "يا إلهي، لا!" قالت جانيس، بضحكة صغيرة مصدومة. "ما علاقة ماكي ريتشي بمارغو؟ كان ذلك فقط بسبب تلك الشائعة القديمة. وضعت الفكرة في عقول الناس، كما تعلم، دفن الجثث في الخرسانة. الناس يمكن أن يكونوا سخيفين بشكل لعين. قال لي لاري – كان بنّاءًا، كما تعلم – ليس الأمر وكأن العمال لم يكونوا ليلاحظوا حمولة من الخرسانة الطازجة عندما جاؤوا للعمل."

– "هل كنتِ على علم بأن ريتشي حضر حفلة كريسماس عيادة سانت جون؟"

قالت جانيس، وفمها ممتلئ:

– "فعل ماذا؟"

– "وصل هو وزوج آخر من الرجال قرب نهاية الحفلة، ربما لمرافقة غلوريا للمنزل."

– "هم – ماذا؟" قالت جانيس، وبدت مندهشة بشكل غير متكلف. "ماكي ريتشي وغلوريا؟ كف عن المزاح. هل هذا لأن – لا، انظر، لا تريد إعارة أي اهتمام لإيرين، ليس بخصوص غلوريا. إيرين... تنجرف وراء خيالها. لم تحب غلوريا كثيرًا أبدًا. وتفهم الأمور بشكل خاطئ أحيانًا. لم أسمع أبدًا أن عائلة غلوريا كانت لها أي صلات إجرامية. شاهدت إيرين أفلام *العراب* أكثر من اللازم،" قالت جانيس. "شاهدنا الأول معًا، في السينما، وعدت وشاهدته مرة أخرى مرتين بمفردي. جيمس كان، كما تعلم،" تنهدت. "رجل أحلامي."

– "ريتشي كان بالتأكيد في حفلة العيادة. مما أستطيع قوله، ظهر في النهاية تمامًا."

– "حسنًا إذن، كنت قد غادرت بالفعل. كنت بحاجة للعودة للمنزل لكيف. هل لا يزال حيًا، ريتشي؟"

– "نعم."

– "لابد أنه طاعن في السن حقًا، أليس كذلك؟"

– "هو كذلك."

– "هذا غريب، رغم ذلك. ماذا بحق الأرض كان ريتشي يفعل في سانت جون؟"

– "آمل أن أكتشف ذلك،" قال سترايك، قالبًا صفحة من مفكرته. "الشيء التالي الذي أردت أن أسألك عنه كان بخصوص جوزيف برينر. هل تتذكرين العائلة التي اعتقدتِ أنها قد تدعى آبلثورب؟ حسنًا، لقد وجدت –"

قالت جانيس، وبدت معجبة:

– "لا تقل لي أنك تعقبتهم! ما كان اسمهم؟"

– "آثورن."

– "آثورن!" قالت جانيس، بارتياح. "كنت أعرف أنه لم يكن آبلثورب. أزعجني ذلك لأيام، بعد ذلك... كيف حالهم؟ إنها متلازمة الهشاشة X التي لديهم، أليس كذلك؟ ليسوا في دار رعاية، أو –؟"

– "لا يزالون يعيشون معًا في الشقة القديمة، ويتدبرون أمورهم بشكل جيد إلى حد ما، أعتقد."

– "آمل أنهم يتلقون دعمًا جيدًا، هل هم كذلك؟"

– "هناك أخصائية اجتماعية متورطة، وتبدو في صفهم جدًا، وهو ما يقودني إلى ما كنت سأسألك عنه.

"تقول الأخصائية الاجتماعية إنه منذ وفاة غويليم، كشفت ديبورا..." تردد سترايك، "... حسنًا، الطريقة التي صاغت بها الأخصائية الاجتماعية الأمر، كانت أن غويليم كان، إم، يؤجر ديبورا (للدعارة)."

قالت جانيس، والابتسامة تنزلق عن وجهها:

– "كان ماذا؟"

– "إنها فكرة غير سارة، أعلم،" قال سترايك بلا عاطفة. "عندما كنت أتحدث إليها، أخبرتني ديبورا عن زيارة الدكتور برينر لها في المنزل. قالت إنه – إم – طلب منها خلع سروالها الداخلي –"

قالت جانيس، فيما بدا اشمئزازًا غريزيًا:

– "لا! لا، أنا متأكدة – لا، هذا ليس صحيحًا. ليس هكذا كان سيحدث الأمر، لو احتاجت لفحص حميم. كان سيحدث في العيادة."

– "قلتِ إنها كانت تعاني من رهاب الأماكن المكشوفة؟"

– "حسنًا – نعم، لكن..."

– "سامهاين، الابن، قال شيئًا عن كون الدكتور برينر «رجلاً عجوزًا قذرًا»."

– "هو... لكن... لا، إنه... لابد أنه كان فحصًا... ربما بعد ولادة الطفل؟ لكن كان يجب أن أكون أنا، الممرضة... لقد أزعجني هذا، الآن،" قالت جانيس، وبدت مهمومة. "تظن أنك سمعت كل شيء، لكن... لا، هذا أزعجني حقًا. أعني، كنت في المنزل تلك المرة الواحدة لرؤية الطفل ولم تقل لي كلمة... لكن بالطبع، كان هو هناك، الأب، يخبرني بكل شيء عن قواه السحرية اللعينة. ربما كانت خائفة جدًا لدرجة... لا، لقد أزعجني هذا حقًا، لقد فعل."

– "أنا آسف، لكن يجب أن أسأل: هل سمعتِ أبدًا أن برينر استخدم بائعات الهوى؟ هل سمعتِ أي شائعات عنه، محليًا؟"

– "ولا كلمة. كنت سأخبر شخصًا ما، لو سمعت ذلك. لن يكون أخلاقيًا، ليس في منطقة تغطيتنا. جميع النساء هناك كن مسجلات في عيادتنا. كانت لتكون مريضة."

– "وفقًا لملاحظات تالبوت، شخص ما ادعى رؤية برينر في «مبنى مايكل كليف» في المساء الذي اختفت فيه مارغو. القصة التي قدمها برينر للشرطة كانت أنه ذهب مباشرة للمنزل."

– "مبنى مايكل كليف... ذلك هو البرج السكني في شارع سكينر، أليس كذلك؟ كان لدينا مرضى هناك، لكن بخلاف ذلك..." بدت جانيس مشمئزة. "لقد أزعجتني." قالت مرة أخرى. "هو وتلك المرأة المسكينة آثورن... وها أنا أدافع عنه

أمام الجميع، بسبب تجاربه في الحرب. منذ أقل من أسبوعين، كان ابن دوروثي يجلس بالضبط حيث تجلس الآن –"

قال سترايك بحدة:

– "كارل أوكدين كان هنا؟"

– "أجل، ولم يمسح قدميه، هو الآخر. فضلات كلاب في كل مكان على سجادة ردهتي."

– "ماذا أراد؟"

– "حسنًا، تظاهر بأنها كانت جلسة استدراك لطيفة. قد تظن أنني قد لا أتعرف عليه بعد كل هذا الوقت، لكن في الواقع، لا يبدو مختلفًا كثيرًا، ليس حقًا. على أية حال، جلس في ذلك الكرسي حيث أنت، يتشدق بكل أنواع الهراء عن الأيام الخوالي وأن أمه تتذكرني باعتزاز – ها! دوروثي أوكدين، تتذكرني باعتزاز؟ ظنت دوروثي أنني وإيرين زوج من الفاجرات، تنانير فوق ركبنا، نخرج للحانة معًا...

"ذكرك أنت،" قالت جانيس، بنظرة ثاقبة. "أراد معرفة ما إذا كنت قد قابلتك، بعد. كتب كتابًا عن مارغو، كما تعلم، لكنه لم يصل للمتاجر أبدًا، وهو غاضب بشأن ذلك. أخبرني بكل شيء عنه عندما كان هنا. يفكر في كتابة واحد آخر وأنت من جعله يهتم بالأمر. المحقق الشهير يحل القضية – أو المحقق الشهير لا يحل القضية. أي منهما سيفي بالغرض لكارل."

– "ماذا كان يقول عن برينر؟" سأل سترايك. سيكون هناك وقت كافٍ لاحقًا للتفكير في تداعيات كاتب سيرة هاوٍ يدوس في كل مكان بالقضية.

– "قال إن الدكتور برينر كان رجلاً عجوزًا ساديًا، وها أنا ذا، أدافع نوعًا ما عن الدكتور برينر... لكن الآن تخبرني بهذا عن ديبورا آثورن..."

– "أوكدن قال إن برينر كان ساديًا، هاه؟ تلك كلمة قوية."

– "ظننت ذلك أيضًا. قال كارل إنه لم يحبه قط، قال إن الدكتور برينر اعتاد الذهاب لمنزل دوروثي كثيرًا، وهو ما لم أدركه أبدًا، لتناول غداء الأحد وذلك. ظننت دائمًا أنهم مجرد زملاء عمل. كما تعلم، ربما وبخ الدكتور برينر كارل، هذا

كل شيء. كان رعبًا مقدسًا عندما كان طفلاً، كارل، ويبدو كنوع الرجل الذي يحمل ضغينة."

– "إذا جاء أوكدين إلى هنا مرة أخرى، أنصحك بعدم السماح له بالدخول. لقد قضى وقتًا (في السجن)، كما تعلمين. للاحتيال على..." توقف بالكاد عن قول "عجائز" "... نساء عازبات وسلب أموالهن."

قالت جانيس، مأخوذة:

– "أوه. يا للكارثة. من الأفضل أن أحذر إيرين. قال إنه سيجرب معها بعد ذلك."

– "وبدا مهتمًا بشكل أساسي ببرينر، أليس كذلك، عندما جاء إلى هنا؟"

– "حسنًا، لا. بدا مهتمًا بك في الغالب، لكن نعم، تحدثنا عن برينر أكثر من أي شخص آخر في العيادة."

– "سيدة بيتي، ألا تزالين تحتفظين بالصدفة بنعيّ الجريدة لبرينر التي ذكرتِها؟ أعتقد أنكِ قلتِ إنكِ احتفظتِ بها؟"

قالت جانيس، ناظرة نحو الدرج في قاعدة خزانتها الصينية:

– "أوه، نعم... كارل أراد رؤية ذلك أيضًا، عندما سمع أنني أملكها..."

دفعت نفسها عن الأريكة وعبرت إلى الخزانة الصينية. ممسكة برف الموقد لتثبيت نفسها، ركعت، وفتحت الدرج وبدأت في البحث.

– "إنها كلها في حالة فوضى، قصاصاتي. تظن إيرين أنني مجنونة، أنا وصحفي،" أضافت، ومعصمها عميق في محتويات الدرج. "لم تكن أبدًا مهتمة كثيرًا بالأخبار أو السياسة أو أي من ذلك، لكنني دائمًا ما حفظت مقتطفات وأجزاء مثيرة للاهتمام، كما تعلم: أشياء طبية، ولن أكذب، أحب قصة عن العائلة المالكة و..."

بدأت في شد ما بدا وكأنه ركن لمجلد من الورق المقوى.

– "... ويمكن لإيرين أن تظن أنه غريب قدر ما تشاء، لكنني لا أرى ما الخطأ – في حفظ – قصة..."

تحرر المجلد.

– "... حياة،" قالت جانيس، ماشية على ركبتيها إلى طاولة القهوة. "لماذا هذا كئيب؟ ليس أسوأ من الاحتفاظ بصورة."

فتحت المجلد وبدأت تبحث في القصاصات، وبعضها أصفر من القدم.

– "أترين؟ حفظت هذا لها، لإيرين،" قالت جانيس، رافعة مقالاً عن الريحان المقدس. "يُفترض أن يساعد في مشاكل الهضم، ظننت أن إدي يمكنه زراعة بعضه في الحديقة لها. تأخذ الكثير من الحبوب لأمعائها، تضر بقدر ما تنفع، لكن إيرين واحدة من أولئك الذين، إذا لم يأتِ الأمر في قرص، فهي لا تريد معرفته...

"الأميرة ديانا،" قالت جانيس بتنهيدة، مظهرة صفحة أولى تذكارية لسترايك. "كنت معجبة..."

– "هل تسمحين لي؟" سأل سترايك، مادًا يده لبضع قصاصات صحفية.

– "تفضل،" قالت جانيس، ناظرة من فوق نظارتها إلى قطع الورق في يد سترايك. "ذلك المقال عن السكري مثير للاهتمام جدًا. الرعاية تغيرت كثيرًا منذ تقاعدت. ابني بالمعمودية مصاب بالنوع الأول. أحب متابعة كل ذلك... وذلك سيكون الشيء عن الطفل الذي مات بالتهاب الصفاق، في يدك الأخرى، أليس كذلك؟"

– "نعم،" قال سترايك، ناظرًا إلى القصاصة، التي كانت بنية من القدم.

– "أجل،" قالت جانيس بظلامية، ولا تزال تقلب قطع الصحف، "هو السبب في كوني ممرضة. هذا ما وضع الفكرة في رأسي. عاش على بعد بابين مني عندما كنت طفلة. قصصت ذلك واحتفظت به، الصورة الوحيدة التي سأملكها أبدًا... بكيت بحرقة. الطبيب،" قالت جانيس، بلمحة من الصلابة، "استُدعي ولم يظهر أبدًا اللعين. كان ليخرج لطفل من الطبقة المتوسطة، عرفنا ذلك جميعًا، لكن جوني ماركس الصغير من بيثنال غرين، من اهتم... وتم انتقاد الطبيب، لكن لم يُشطب اسمه أبدًا... إذا كان هناك شيء واحد أكرهه، فهو معاملة الناس بشكل مختلف بسبب مكان ولادتهم."

بدون أي شعور ظاهر بالمفارقة، أزاحت المزيد من صور العائلة المالكة بعيدًا، وبدت محتارة.

تمتمت:

– "أين شيء الدكتور برينر؟"

لا تزال ممسكة بعدة قصاصات، مشت على ركبتيها عائدة نحو الدرج المفتوح ونقبت فيه مرة أخرى.

– "لا، إنه حقًا ليس هنا. هذا غريب جدًا..."

اقترح سترايك:

– "لا تظنين أن أوكدين أخذه، أليس كذلك؟"

نظرت جانيس للأعلى.

قالت ببطء:

– "ذلك الوغد الوقح. كان بإمكانه أن يطلب بحق الجحيم."

جرفت قصاصاتها عائدة إلى مجلدها، وأعادته إلى درجها، واستخدمت رف الموقد لسحب نفسها للأعلى، وركبتاها تطقطقان بصوت عالٍ مرة أخرى، ثم جلست مرة أخرى على الأريكة بتنهيدة ارتياح وقالت:

– "أتعلم، كان دائمًا خفيف اليد، ذلك الصبي."

– "ما الذي يجعلك تقولين ذلك؟"

– "المال اختفى، في العيادة."

– "حقًا؟"

– "أجل. وصل الأمر كله إلى ذروته بعد اختفاء مارغو. كانت مبالغ صغيرة من المال تختفي باستمرار وظنوا أنها ويلما، عاملة النظافة – الجميع باستثنائي. ظننت دائمًا أنه كارل. اعتاد المرور بعد المدرسة، وفي عطلات المدارس. همست بكلمة في أذن الدكتور غوبتا، لكنني لا أدري، ربما لم يرد إزعاج دوروثي، وكان من الأسهل دفع ويلما للخارج. صحيح، كانت هناك مشاكل أخرى مع ويلما... كانت تشرب،" قالت جانيس، "وتنظيفها لم يكن الأفضل. لم تستطع إثبات أنها لم تسرق، وبعد اجتماع للموظفين حول الأمر، استقالت. استطاعت رؤية إلى أين تتجه الأمور."

– "وهل توقفت السرقات؟"

– "أجل، لكن ماذا في ذلك؟ ربما ظن كارل أنه من الأفضل أن يهدأ، بعد أن كاد ينكشف أمره."

قال سترايك، الذي مال للموافقة:

– "مجرد سؤالين آخرين. الأول عن امرأة تدعى جوانا هاموند."

– "هل يجب أن أعرف من تكون؟"

– "كانت صديقة ستيف دوثويت –"

– "– الحبيبة، التي قتلت نفسها. أوه نعم."

– "هل يمكنك تذكر ما إذا كانت مسجلة في عيادة سانت جون؟"

– "لا، لم تكن. أعتقد أنهم عاشوا في هوكستون."

– "إذن مارغو لم تكن لتتورط مع الطبيب الشرعي، أو يكون لها أي صلة مهنية بوفاتها؟"

– "لا، ستكون مثلي: لم تعرف بوجود المرأة حتى ماتت بالفعل وجاء ستيف يطلب المساعدة. أراهن أنني أعرف لماذا تسأل، رغم ذلك،" قالت جانيس. "كان تالبوت مصممًا تمامًا على أن ستيف هو سفاح إسيكس، ألم يكن كذلك؟ مستمرًا حول ستيف، في كل تلك المقابلات التي أجريتها معه. لكن بصراحة، ستيف دوثويت كان روحًا لطيفة. نشأت مع بضعة رجال عنيفين حقًا. أبي كان واحدًا منهم. أعرف النوع، وستيف لم يكن كذلك بالتأكيد."

متذكرًا كيف وجدت بعض النساء الضعف الظاهر لدينيس كريد محببًا، اكتفى سترايك بالإيماء.

– "سأل تالبوت عما إذا كنت قد زرت تلك جوانا قط، كممرضة. أخبرته أنها لم تكن مريضة في سانت جون، لكن ذلك لم يثنه. هل اعتقدت أن هناك أي شيء مريبًا بشأن موتها، رغم ذلك؟ ظللت أقول: «لم أقابل المرأة قط. كيف لي أن أعرف؟» كنت قد سئمت من كل ذلك بحلول ذلك الوقت، بصدق، أن أعامل وكأنني جيبسي روز لي (عرافة شهيرة). أخبرت تالبوت، اذهب لترَ ما قاله الطبيب الشرعي!"

– "وأنت لا تعرفين ما إذا كان هناك موت كانت مارغو قلقة بشأنه؟ موت ربما صُنف كطبيعي، أو عرضي، لكنها اعتقدت أنه قد تكون هناك شبهة جنائية؟"

– "ما الذي يجعلك تسأل ذلك؟"

– "فقط أحاول توضيح شيء تركه تالبوت في ملاحظاته. بدا أنه يعتقد أن مارغو ربما كانت لديها شكوك حول الطريقة التي مات بها شخص ما. تم ذكرك فيما يتعلق بالوفاة."

اتسعت عينا جانيس الزرقاوان المستديرتان خلف نظارتها.

أوضح سترايك:

– "ذُكرتِ كشاهدة على شيء ما، أو ربما كنت حاضرة. لم يكن هناك تلميح لاتهام."

– "آمل بحق الجحيم ألا يكون هناك! لا، لم أشهد أي شيء قط. كنت سأقول لو فعلت، أليس كذلك؟"

ساد صمت قصير، حكم سترايك بحكمة عدم كسره، وبالفعل، تحدثت جانيس مرة أخرى.

– "انظر، لا أستطيع التحدث نيابة عن مارغو بعد أربعين عامًا. لقد رحلت، أليس كذلك؟ ليس من العدل لأي منا. لا أريد إلقاء الشكوك حولنا، بعد كل هذه السنوات."

– "أنا فقط أحاول استبعاد خطوط التحقيق المحتملة."

كان هناك توقف أطول. انجرفت عينا جانيس فوق صينية الشاي وإلى صورة شريكها الراحل، بأسنانه الملطخة وعينيه الناعستين اللطيفتين. أخيرًا، تنهدت وقالت:

– "حسنًا، لكنني أريدك أن تكتب أن هذه كانت فكرة مارغو، وليست فكرتي، حسنًا؟ أنا لا أتهم أحدًا."

قال سترايك، والقلم جاهز فوق مفكرته:

– "عادل بما فيه الكفاية."

– "حسنًا إذن، حسنًا – كان الأمر حساسًا جدًا، بسبب عملنا معها – دوروثي، أعني.

"دوروثي وكارل عاشا مع والدة دوروثي. كان اسمها مود، رغم أنني لم أكن لأتذكر ذلك لولا أن كارل كان هنا في اليوم الآخر. كنا نتحدث وذكرت جدته، وناداها «مود اللعينة»، وليس «الجدة» أو أي شيء.

"على أية حال، كانت مود تعاني من عدوى في ساقها، قرحة أخذت وقتها في الشفاء. احتاجت للتضميد والعناية، لذا كنت أزور المنزل كثيرًا. في كل مرة كنت هناك، أخبرتني أنها تملك المنزل، وليس دوروثي. كانت تسمح لابنتها وحفيدها بالعيش معها. أحبت قول ذلك، كما تعلم. الشعور بالقوة.

"لن أقول إن العيش معها كان ممتعًا. سيدة عجوز نكدة. لا شيء يعجبها أبدًا. تذمرت كثيرًا من كون حفيدها مدللاً – لكن كما قلت، كان رعبًا مقدسًا عندما كان أصغر سنًا، لذا لا أستطيع لومها هناك.

"على أية حال،" قالت جانيس، "قبل شفاء القرحة في ساقها، ماتت، بعد سقوطها من على الدرج. الآن، مشيها لم يكن رائعًا، لأنها كانت طريحة الفراش لفترة بسبب هذه الساق المريضة، واحتاجت لعصا. الناس يسقطون من على الدرج، وإذا كنت مسنًا، فمن الواضح أن ذلك يمكن أن يكون له عواقب وخيمة، لكن...

"حسنًا، بعد أسبوع، طلبت مارغو مني الدخول إلى غرفة استشارتها للتحدث، و... حسنًا، نعم، حصلت على انطباع بأن مارغو ربما كانت غير مرتاحة قليلاً بشأن الأمر. لم تقل أي شيء صراحة، سألتني فقط عن رأيي. عرفت ما كانت تقوله... لكن ماذا كان بوسعنا أن نفعل؟ لم نكن هناك عندما سقطت وقالت العائلة إنهم كانوا في الطابق السفلي وسمعوا فقط سقوطها، وها هي ذا في أسفل الدرج، فاقدة للوعي تمامًا، وماتت بعد ليلتين في المستشفى.

"دوروثي لم تظهر أي عاطفة حيال ذلك، لكن دوروثي لم تظهر الكثير من العاطفة حيال أي شيء قط. ماذا كان بوسعنا أن نفعل؟" كررت جانيس، وكفاها متجهتان للأعلى. "بوضوح استطعت رؤية الطريقة التي يعمل بها عقل مارغو، لأنها عرفت أن مود تملك المنزل، والآن دوروثي وكارل يجلسان مرتاحين، و... حسنًا، إنه

نوع الشيء الذي يفكر فيه الأطباء، بالطبع يفعلون. سيرتد الأمر عليهم، إذا فوتوا أي شيء. لكن في النهاية، لم تفعل مارغو أي شيء حيال ذلك، وبقدر ما أعرف لم تكن هناك أي مشاكل.

"ها هو ذا،" اختتمت جانيس، بلمحة طفيفة من الارتياح لإزاحة هذا عن صدرها. "الآن أنت تعرف."

– "شكرًا لك،" قال سترايك، مدونًا ملاحظة. "هذا مفيد جدًا. أخبريني: هل ذكرتِ هذا لتالبوت أبدًا؟"

– "لا، لكن شخصًا آخر ربما فعل. الجميع عرف أن مود ماتت، وكيف ماتت، لأن دوروثي أخذت يوم إجازة للجنازة. سأكون صادقة، بحلول نهاية كل مقابلاتي مع تالبوت، أردت فقط الخروج من هناك. في الغالب أراد مني التحدث عن أحلامي. كان الأمر مخيفًا، بصراحة. غريب، الأمر برمته."

– "أنا متأكد أنه كان كذلك. حسنًا، هناك شيء واحد آخر فقط أردت سؤاله، ثم أنتهي. شريكتي تمكنت من تعقب بول ساتشويل."

قالت جانيس، دون أي علامة على الإحراج أو عدم الراحة:

– "أوه. صحيح. كان ذلك حبيب مارغو القديم، أليس كذلك؟"

– "نعم. حسنًا، فوجئنا باكتشاف أنكما تعرفان بعضكما البعض."

نظرت جانيس إليه بذهول.

– "ماذا؟"

كرر سترايك:

– "أنكما تعرفان بعضكما البعض."

– "أنا وبول ساتشويل؟" قالت جانيس بضحكة صغيرة. "لم أقابل الرجل قط!"

– "حقًا؟" قال سترايك، مراقبًا إياها عن كثب. "عندما سمع أنكِ أخبرتينا عن مشاهدة مارغو في ليمنغتون سبا، غضب بشدة. قال كلمات مفادها،" قرأ سترايك من مفكرته، "أنكِ كنتِ تحاولين التسبب في مشاكل له."

ساد صمت طويل. ظهر خط عبوس بين عيني جانيس الزرقاوين المستديرتين.

قالت أخيرًا:

– "هل ذكرني بالاسم؟"

– "لا. في الواقع، بدا أنه نسيه. تذكرك فقط بـ «الممرضة». أخبر روبن أيضًا أنكِ ومارغو لم تكونا تحبان بعضكما البعض."

– "قال إن مارغو لم تكن تحبني؟" قالت جانيس، مع التركيز على الكلمة الأخيرة.

– "أخشى ذلك."

– "لكن... لا، آسفة، هذا ليس صحيحًا. كنا على وفاق تام! باستثناء تلك المرة الواحدة مع كيف وبطنه... حسنًا، لقد غضبت منها حينها، لكنني عرفت أنها تقصد الخير. ظننت أنها تسدي لي معروفًا، بفحصه... أخذت الأمر بحساسية لأن... حسنًا، تصبحين دفاعية قليلاً، كأم، إذا ظننتِ أن امرأة أخرى تحكم عليكِ لعدم اعتنائكِ بأطفالك بشكل صحيح. كنت بمفردي مع كيف و... تشعرين بالأمر أكثر، عندما تكونين بمفردك."

– "إذن لماذا،" سأل سترايك، "يقول ساتشويل إنه يعرفك، وأنكِ أردتِ إيقاعه في ورطة؟"

كُسر الصمت الذي تلا ذلك بصوت قطار يمر خلف السياج: هدير متسارع عظيم تصاعد ثم هدأ، وأغلق هدوء غرفة الجلوس مثل فقاعة في أثره، محتجزًا المحقق والممرضة في حالة تعليق وهما ينظران لبعضهما البعض.

قالت جانيس أخيرًا:

– "أظن أنك تعرف بالفعل."

– "أعرف ماذا؟"

– "لا تتظاهر معي. كل تلك الأشياء التي حللتها – أنت لست رجلاً غبيًا. أظن أنك تعرف بالفعل، وكل هذا لمحاولة إخافتي لأخبرك."

– "أنا بالتأكيد لا أحاول إخافة –"

قالت جانيس فجأة:

– "أعرف أنك لم تحبها. إيرين. لا تكلف نفسك عناء التظاهر، أعلم أنها أزعجتك. لو لم أكن أستطيع قراءة الناس لما كنت جيدة في وظيفتي، أدخل وأخرج من منازل الغرباء طوال الوقت، أليس كذلك؟ وكنت جيدة جدًا في وظيفتي. اسمع: لقد رأيت إيرين في واحدة من حالات استعراضها. كانت متحمسة جدًا لمقابلتك، فقدمت عرضًا كبيرًا.

"ليس سهلاً على النساء، العيش بمفردهن عندما اعتدن الصحبة، كما تعلم. حتى أنا، العودة من دبي، كانت إعادة تكيف. تعتاد وجود العائلة حولك ثم تعود للمنزل الفارغ مرة أخرى، وحيدة... أنا، لا أمانع صحبتي الخاصة، لكن إيرين تكرهها.

"لقد كانت صديقة جيدة جدًا لي، إيرين. لطيفة جدًا. ساعدتني ماليًا، بعد وفاة لاري، في وقت لم أكن أملك فيه شيئًا. كنت دائمًا موضع ترحيب في منزلها. نحن صحبة لبعضنا البعض، نعود لزمن طويل. لذا قد يكون لديها بعض التكلف والتصنع، فماذا في ذلك؟ الكثير من الناس كذلك..."

كان هناك توقف قصير آخر.

قالت جانيس بحزم:

– "انتظر هناك. أحتاج لإجراء مكالمة هاتفية."

نهضت وغادرت الغرفة. انتظر سترايك. وراء ستائر الدانتيل، انزلقت الشمس فجأة من خلف سحابة بلون الرصاص، وحولت عربة سندريلا الزجاجية على رف الموقد إلى نيون ساطع.

عادت جانيس وهاتف محمول في يدها.

قالت، وبدت مضطربة:

– "إنها لا ترد."

جلست مرة أخرى على الأريكة. كان هناك توقف آخر.

قالت جانيس أخيرًا، وكأن سترايك قد أجبرها بخطبة عصماء على الكلام:

– "حسنًا، لم أكن أنا من عرف ساتشويل – كانت إيرين. لكن لا تذهب وتظن أنها فعلت أي شيء لم يكن ينبغي لها فعله! أعني، ليس بالمعنى الإجرامي. أقلقها الأمر كالجحيم، بعد ذلك. كنت قلقة عليها... أوه يا إلهي."

أخذت نفسًا عميقًا ثم قالت:

– "حسنًا، إذن... كانت مخطوبة لإدي في ذلك الوقت. إدي كان أكبر من إيرين بكثير. عبدَ الأرض التي تمشي عليها، وهي أحبته، أيضًا. أحبته،" قالت جانيس، رغم أن سترايك لم يناقضها. "وكانت غيورة حقًّا إذا نظر إدي فقط لأي شخص آخر...

"لكنها كانت تحب دائمًا الشرب والمغازلة، إيرين. كان الأمر غير ضار. في الغالب غير ضار... ذلك الرجل ساتشويل كانت لديه فرقة، أليس كذلك؟"

– "هذا صحيح."

– "أجل، حسنًا، رأتهم إيرين يعزفون في حانة ما. لم أكن معها الليلة التي قابلت فيها ساتشويل. لم أعرف شيئًا عن الأمر حتى بعد اختفاء مارغو.

"لذا شاهدت ساتشويل و – حسنًا، أعجبت به. وبعد انتهاء الفرقة، رأت ساتشويل يدخل البار، ويذهب مباشرة إلى الجزء الخلفي من الغرفة لمارغو، التي كانت تقف هناك في زاوية، في معطفها الواقي من المطر. ظنت إيرين أن ساتشويل لابد رآها من المسرح. لم تكن إيرين قد رصدت مارغو من قبل، لأنها كانت في المقدمة، مع أصدقائها. على أية حال، راقبتهما، وأجرى ساتشويل ومارغو دردشة قصيرة – قصيرة جدًا، قالت إيرين – وبدا الأمر وكأنه تحول إلى شجار. ثم اعتقدت إيرين أن مارغو رصدتها، وعندها خرجت مارغو.

"إذن، تذهب إيرين إلى ذلك الساتشويل وتخبره أنها أحبت الفرقة وكل شيء و، حسنًا، شيء أدى لآخر، و... نعم."

سأل سترايك:

– "لماذا يظن ساتشويل أنها ممرضة؟"

تجهمت جانيس.

– "حسنًا، لقول الحقيقة، هذا ما اعتادت الفتاة السخيفة إخبار الرجال به، عندما كانوا يغازلونها. اعتادت التظاهر بأنها ممرضة لأن الرجال أحبوا ذلك. طالما لم يعرفوا شيئًا عن الأمور الطبية تمكنت من خداعهم، لأنها سمعت أسماء الأدوية وكل ذلك في العمل، رغم أنها أخطأت في معظمها، باركها الرب."

– "إذن هل كانت هذه علاقة ليلة واحدة، أم..."

– "لا. كان أمرًا استمر لأسبوعين، أو ثلاثة. لكنه لم يدم. اختفاء مارغو... حسنًا، وضع حدًا لذلك. يمكنك التخيل.

"لكن لبضعة أسابيع هناك، كانت إيرين... مفتونة، أفترض أنك ستقول. لقد أحبت إدي، كما تعلم... كانت ريشة في قبعتها (مصدر فخر) أن يكون لديها هذا الرجل الأكبر سنًا، إدي، عمل ناجح وكل شيء، يريد الزواج منها، لكن... مضحك، أليس كذلك؟ كلنا حيوانات، عندما تزيل كل شيء آخر. فقدت عقلها تمامًا بسبب بول ساتشويل. لبضعة أسابيع فقط. تحاول رؤيته بقدر ما تستطيع، تتسلل... أراهن أنها أخافته حتى الموت، في الواقع، لأنه مما أخبرتني به لاحقًا، أظن أنه أخذها للفراش فقط نكاية في مارغو. مارغو كانت من أرادها حقًا... وأدركت إيرين ذلك متأخرًا جدًا. لقد استُخدمت."

– "إذن قصة سن إيرين المؤلم،" قال سترايك، "التي أصبحت بعد ذلك قصة رحلة تسوق..."

قالت جانيس بهدوء:

– "أجل. كانت مع ساتشويل بعد ظهر ذلك اليوم. أخذت ذلك الإيصال من أختها لاستخدامه مع الشرطة. لم أعرف حتى وقت لاحق. وجدتها غارقة في الدموع في شقتي، تسكب قلبها. حسنًا، من غيري يمكنها إخباره؟ ليس إدي أو والديها! كانت مرعوبة من خروج الأمر للعلن، وفقدان إدي. كانت قد استيقظت بحلول ذلك الوقت. كل ما أرادته هو إدي، وكانت خائفة من أنه سيتركها إذا اكتشف أمر ساتشويل.

"أترين، ساتشويل أخبر إيرين تقريبًا، آخر مرة التقيا فيها، أنه كان يستخدمها للانتقام من مارغو. كان غاضبًا من مارغو لقولها إنها جاءت فقط لمشاهدة الفرقة

بدافع الفضول، ولغضبها عندما حاول إقناعها بالعودة لشقته. أعطاها (إيرين) ذلك الشيء الخشبي الصغير الفايكينغ، كما تعلم. كان يحمله معه، آملاً أن تظهر (مارغو)، وأظن أنه اعتقد أنها ستذوب فقط أو شيئًا ما عندما يفعل ذلك، وتكون تلك نهاية روي... وكأن هذا كل ما يتطلبه الأمر، لترك طفل وزواج، دمية خشبية صغيرة... قال بعض الأشياء البذيئة عن مارغو لإيرين... «مثيرة (Prick tease)» كان أقلها...

"على أية حال، بعد اختفاء مارغو واستدعاء الشرطة، اتصل ساتشويل بإيرين وقال ألا تذكر أي شيء مما قاله عن غضبه من مارغو، وتوسلت إليه ألا يخبر أحدًا عن كليهما، وهكذا تركا الأمر. وكنت أنا الوحيدة التي عرفت، وأبقيت فمي مغلقًا، أيضًا، لأنه... حسنًا، هذا ما تفعله عندما يكون صديقًا، أليس كذلك؟"

– "إذن عندما قال تشارلي راماج إنه رأى مارغو في ليمنغتون سبا،" قال سترايك، "هل كنتِ على علم –؟"

– "– بأن هذا هو المكان الذي جاء منه ساتشويل؟ ليس حينها، لم أكن، ليس عندما أخبرني تشارلي لأول مرة. لكن ليس بعد فترة طويلة، كانت هناك قصة إخبارية عن عجوز في ليمنغتون سبا وضع لافتة في حديقته الأمامية. «البيض متحدون ضد الغزو الملون» أو شيئًا فظيعًا من هذا القبيل. كنت أنا ولاري بالخارج لتناول العشاء مع إدي وإيرين، وكان إدي يتحدث عن هذا العنصري العجوز في الأخبار، وبعد ذلك، عندما ذهبت أنا وإيرين للمرحاض، قالت لي: «ليمنغتون سبا، هذا هو المكان الذي جاء منه بول ساتشويل.» لم تكن قد ذكرته لي منذ زمن طويل.

"لن أكذب، أعطاني ذلك شعورًا غير مريح حقًا، إخبارها لي بذلك، لأنني فكرت، أوه يا إلهي، ماذا لو رأى تشارلي مارغو حقًا؟ ماذا لو هربت مارغو لتكون مع حبيبها السابق؟ لكن بعد ذلك فكرت، انتظر لحظة: إذا ذهبت مارغو فقط حتى ليمنغتون سبا، كيف لم تُرَ أبدًا منذ ذلك الحين؟ أعني، إنها ليست «تمبكتو»، أليس كذلك؟"

– "لا،" قال سترايك. "ليست كذلك. وهل هذا كل ما أخبرتك به إيرين عن مارغو وساتشويل؟"

– "هذا يكفي، أليس كذلك؟" بدا لون بشرة جانيس الوردي والأبيض أكثر بهوتًا مما كان عليه عند وصول سترايك، والعروق تحت عينيها أغمق. "انظر، لا تقسُ على إيرين. من فضلك. لا تبدو كذلك، لكنها رقيقة تحت كل تلك السخافات. إنها تقلق، كما تعلم."

– "لا أرى سببًا لأقسو عليها،" قال سترايك. "حسنًا، لقد كنتِ مفيدة جدًا يا سيدة بيتي. شكرًا لكِ. هذا يوضح لي بضع نقاط."

تهاوت جانيس للخلف على الأريكة، عابسة في سترايك.

قالت فجأة:

– "أنت تدخن، أليس كذلك؟ أستطيع شم الرائحة منك. ألم يوقفوك عن التدخين بعد بتر ساقك؟"

– "حاولوا."

– "سيء جدًا لك. لن يساعد في حركتك، أيضًا، مع تقدمك في العمر. سيء لدورتك الدموية وجلدك. يجب أن تقلع."

– "أعرف أنني يجب أن أفعل،" قال سترايك، مبتسمًا لها وهو يعيد مفكرته إلى جيبه.

– "همم،" قالت جانيس، وعيناها ضيقتان. "«تصادف وجودي في المنطقة»، يا لخالتي فاني (تعبير يعني: لا أصدقك)."

51

... لا تظنن أبدًا أن ذلك الوحش
يمكن قهره أو تدميره:
فهو ليس، وا أسفاه، خصمًا
يمكن لنصلٍ أن يجرحه، أو لقوةٍ أن تهزمه.
إدموند سبنسر ملكة الجن

ارتفعت أبراج برج لندن المقببة خلف جدار من الطوب الأصفر القذر، لكن روبن لم تملك أي انتباه لتكريسه للمعالم الأثرية القديمة. لم يكن الاجتماع الذي رتبته دون علم سترايك من المفترض أن يبدأ بعد ثلاثين دقيقة فحسب، بل كانت على بعد أميال مما توقعت أن تكون فيه في الساعة الواحدة، وغير ملمة تمامًا بهذا الجزء من لندن. ركضت وهاتفها المحمول في يدها، تختلس النظر بشكل متقطع إلى الخريطة على شاشته.

في غضون خطوات قليلة، رن الهاتف. عند رؤيتها أنه سترايك، أجابت على المكالمة.

– "مرحبًا. رأيت جانيس للتو."

قالت روبن، محاولة عدم اللهاث بينما كانت تمسح محيطها بحثًا عن علامة مترو أو سيارة أجرة:

– "أوه جيد. أي شيء مثير للاهتمام؟"

قال سترايك، الذي كان يتجول عائدًا على طول "نايتينغيل غروف":

– "الكثير."

على الرغم من تبادله الأخير مع الممرضة، كان قد أشعل للتو سيجارة "بنسون آند هيدجز". بينما كان يمشي في النسيم البارد، كان الدخان يُخطف من شفتيه في كل مرة يزفر فيها.

– "أين أنتِ في الوقت الحالي؟"

قالت روبن، التي لا تزال تركض، ولا تزال تنظر حولها عبثًا عن علامة مترو:

– "طريق تاور بريدج (جسر البرج)."

– "ظننت أنكِ تراقبين رئيس المراوغ (SB) هذا الصباح؟"

– "كنت كذلك،" قالت روبن.

ربما كان من الأفضل أن يعرف سترايك فورًا ما حدث للتو.

– "تركته للتو على جسر البرج مع باركلي."

– "عندما تقولين «مع» باركلي –"

– "قد يتحدثان الآن، لا أعرف. يا كورموران، بدا SB وكأنه يفكر في القفز."

بما أنها غير قادرة على التحدث بشكل طبيعي أثناء الهرولة، أبطأت إلى مشي سريع.

سأل سترايك مندهشًا:

– "من فوق جسر البرج؟"

قالت روبن، وهي تنعطف عند زاوية لتقاطع مزدحم:

– "لماذا لا يكون جسر البرج؟ لقد كان أقرب هيكل مرتفع يمكن الوصول إليه..."

– "لكن مكتبه ليس قريبًا من أي مكان –"

– "نزل في محطة «مونيومنت» كالمعتاد لكنه لم يذهب للعمل. نظر إلى المكتب لبرهة، ثم ابتعد. ظننت أنه يمد ساقيه فقط، لكنه توجه بعد ذلك إلى جسر البرج ووقف هناك، يحدق لأسفل في الماء."

قضت روبن أربعين دقيقة قلقة تراقب SB وهو يحدق لأسفل في النهر ذي اللون الأسمنتي، وحقيبته تتدلى بوهن بجانبه، بينما تهدر حركة المرور على طول

الجسر خلفه. شكت في أن سترايك يمكن أن يتخيل مدى الضغط العصبي الذي وجدته في انتظار باركلي ليأتي ويحل محلها.

لم يكن هناك أي أثر لمحطة مترو. انطلقت روبن في الهرولة مرة أخرى. قالت:

– "فكرت في الاقتراب منه، لكنني خشيت أن أفزعه فيقفز. أنت تعرف كم هو ضخم، لم أكن لأتمكن من إمساكه."

– "هل تعتقدين حقًا أنه كان –"

قالت روبن، محاولة ألا تبدو منتصرة:

– "نعم."

لمحت للتو علامة مترو حمراء دائرية من خلال فجوة في حركة المرور وبدأت في الركض.

– "بدا يائسًا تمامًا."

سأل سترايك، الذي أصبح بإمكانه الآن سماع ضربات قدميها على الأرض حتى فوق هدير حركة المرور:

– "هل تركضين؟"

قالت روبن: "نعم"، ثم أضافت: "أنا متأخرة عن موعد طبيب الأسنان."

ندمت على عدم التوصل لسبب قوي في وقت سابق لعدم قدرتها على مقابلة جانيس بيتي، وقررت استخدام هذه القصة، في حال سأل سترايك مرة أخرى.

قال سترايك:

– "آه. صحيح."

قالت روبن، وهي تتجاوز المارة:

– "على أية حال، وصل باركلي لتولي المهمة – وافق على أن SB بدا وكأنه يفكر في القفز – وقال –"

كانت تشعر بألم في جانبها الآن (غرزة).

– "– قال – إنه سيذهب ويحاول – والتحدث إليه – وعندها غادرت. على الأقل – باركلي ضخم بما يكفي – لإمساكه إذا حاول أي شيء." أنهت كلامها لاهثة.

أشار سترايك:

– "لكن هذا يعني أيضًا أن SB سيتعرف على باركلي في المستقبل."

قالت روبن، مبطئة للمشي مرة أخرى لأنها كانت تقريبًا عند درجات المترو، وتدلك الألم في جانبها:

– "حسنًا، نعم، أعرف ذلك، لكن نظرًا لأننا اعتقدنا أنه قد يكون على وشك قتل نفسه –"

قال سترايك، الذي توقف في ظل محطة هيذر غرين لإنهاء سيجارته:

– "مفهوم. أفكر فقط لوجستيًا. بالطبع، إذا كنا محظوظين، فقد يبوح بكل شيء لباركلي عما يمسكه المراوغ عليه. الرجال اليائسون يكونون مستعدين أحيانًا لـ –"

قالت روبن، التي وصلت لمدخل المترو:

– "كورموران، سأضطر للذهاب. سأراك في المكتب بعد موعدي ويمكنك إطلاعي على أخبار جانيس."

– "اتفقنا. آمل ألا يكون مؤلمًا."

قالت روبن:

– "ما الذي لا يكون مؤلـ – أوه، طبيب الأسنان، لا، إنه مجرد فحص."

مقنعة حقًا يا روبن، فكرت، غاضبة من نفسها، وهي تحشر هاتفها المحمول مرة أخرى في جيبها وتركض نازلة الدرج إلى المترو.

بمجرد ركوبها القطار، خلعت سترتها، لأنها كانت تتعرق من الجري، وهذبت شعرها بمساعدة انعكاسها في النافذة المظلمة القذرة المقابلة لها. بين SB وأفكاره الانتحارية المحتملة، والكذب على سترايك، وقصتها الواهية والمخاطر المحتملة للاجتماع الذي كانت على وشك عقده، شعرت بالتوتر الشديد.

كانت هناك مناسبة أخرى، قبل بضع سنوات، عندما اختارت روبن متابعة خيط تحقيق مع إبقائه سرًا عن سترايك. أدى ذلك إلى قيام سترايك بطردها.

هذا مختلف، حاولت طمأنة نفسها، وهي تمسح خصلات شعر متعرقة عن جبهتها. *لن يمانع، طالما نجح الأمر. هذا ما يريده هو أيضًا.*

خرجت من محطة توتنهام كورت رود بعد عشرين دقيقة وأسرعت وسترتها على كتفها إلى قلب سوهو.

فقط عندما كانت تقترب من "مقهى النجمة" (Star café)، ورأت اللافتة فوق الباب، سجلت صدفة الاسم. محاولة عدم التفكير في الكويكبات، أو الأبراج أو النذر، دخلت روبن المقهى، حيث كانت الطاولات الخشبية المستديرة تقف على أرضية من الطوب الأحمر. كانت الجدران مزينة بعلامات صفيح قديمة الطراز، إحداها كانت تعلن عن "سجائر روبن". أسفل هذا مباشرة، ربما عن عمد، جلس رجل عجوز يرتدي سترة واقية من الرياح سوداء، وجهه متورد بعروق مكسورة وشعره الرمادي الكثيف مصفف بالزيت في خصلة مرفوعة (Quiff) بدت وكأنها لم تتغير منذ الخمسينيات. كانت عصا مشي مسنودة على الحائط بجانبه. على جانبه الآَخر جلست فتاة مراهقة بشعر طويل أصفر نيون، كانت تراسل على هاتفها ولم ترفع نظرها حتى اقتربت روبن من طاولتهما.

قالت روبن:

– "سيد تاكر؟"

قال الرجل بصوت مبحوح، كاشفًا عن أسنان بنية ملتوية:

– "أجل. آنسة إيلاكوت؟"

قالت مبتسمة وهما يتصافحان:

– "روبن."

– "هذه حفيدتي، لورين."

قالت لورين، رافعة بصرها عن هاتفها، ثم خافضة إياه مرة أخرى:

– "أهلاً."

– "سأحضر لنفسي قهوة فقط. هل يمكنني شراء أي شيء لأي منكما؟"

رفضا. بينما كانت روبن تشتري لنفسها قهوة "فلات وايت"، شعرت بعيني الرجل العجوز عليها. خلال محادثتهما الوحيدة السابقة، التي كانت عبر الهاتف، تحدث برايان تاكر لمدة ربع ساعة، دون توقف، عن اختفاء ابنته الكبرى، لويز، في عام 1972، وعن سعيه مدى الحياة لإثبات أن دينيس كريد قتلها. كان روي فيبس

قد وصف تاكر بأنه "نصف مجنون". وبينما لم تكن روبن لتذهب إلى هذا الحد بناءً على الأدلة حتى الآن، لم يكن هناك شك في أنه بدا مستهلكًا تمامًا بكريد، وبسعيه للعدالة.

عندما عادت روبن إلى طاولة آل تاكر وجلست مع قهوتها، وضعت لورين هاتفها جانبًا. وصلات شعرها الطويلة النيون، ووشم وحيد القرن على ساعدها، ورموشها الصناعية بشكل صارخ وطلاء أظافرها المقشر، كلها وقفت في تباين مع الوجه البريء ذي الغمازات الذي بالكاد يمكن تمييزه تحت مساحيق التجميل الكثيفة.

أخبرت روبن:

– "جئت لمساعدة جدي. لا يمشي بشكل جيد هذه الأيام."

قال تاكر:

– "إنها فتاة جيدة. فتاة جيدة جدًا."

قالت روبن لكليهما:

– "حسنًا، شكرًا جزيلاً لمقابلتي. أقدر ذلك حقًا."

عن قرب، كان أنف تاكر المتورم يبدو مثل حبة فراولة، منقطًا كما كان بالرؤوس السوداء.

قال بصوته المنخفض المبحوح:

– "لا، أنا الذي أقدر ذلك يا آنسة إيلاكوت. أعتقد أنهم سيسمحون بحدوث ذلك حقًا هذه المرة، أعتقد ذلك. وكما قلت على الهاتف، إذا لم يفعلوا، فأنا مستعد لاقتحام استوديو التلفزيون –"

قالت روبن:

– "حسنًا، نأمل ألا نحتاج لفعل أي شيء بهذا التط–"

اعترف تاكر، محدقًا في روبن بعينين صغيرتين محتقنتين بالدم:

– "– وأخبرتهم بذلك، وقد هزهم الأمر. حسنًا، ذلك، وجهة اتصالك تضغط على وزارة العدل. الحق يقال، بدأت أعتقد أنه كان يجب علي تهديدهم بالصحافة

قبل سنوات. لا تصل لأي مكان مع هؤلاء الناس باللعب وفق القواعد، إنهم يماطلونك فقط ببيروقراطيتهم وآراء خبرائهم المزعومة."

– "لا يمكنني إلا أن أتخيل مدى صعوبة الأمر عليك، لكن بما أننا قد نكون أمام فرصة لمقابلته، فلا نريد فعل أي شيء –"

قال تاكر:

– "سأحصل على العدالة للويز حتى لو قتلني ذلك. ليعتقلوني. سيعني ذلك المزيد من الدعاية فقط."

– "لكننا لا نريد –"

قالت لورين:

– "هي لا تريدك أن تفعل شيئًا سخيفًا يا جدي. لا تريدك أن تفسد الأمور."

قال تاكر، وعيناه صغيرتان، منقطتان وشبه عديمتي اللون، غائرتان في جيوب من اللون الأرجواني:

– "لا، لن أفعل، لن أفعل. لكن هذه قد تكون فرصتنا الوحيدة والفريدة، لذا يجب أن تتم بالطريقة الصحيحة وبواسطة المحقق الصحيح."

سألت لورين:

– "ألن يأتي هو؟ كورموران سترايك؟ قال جدي إنه قد يأتي."

قالت روبن، ورأت وجهي آل تاكر يتهجمان، فأضافت بسرعة:

– "لا. إنه في قضية أخرى حاليًا، لكن أي شيء ستقولانه لكورموران، يمكنكما قوله لي، بصفتي شريك –"

قال تاكر:

– "يجب أن يكون هو من يستجوب كريد. ليس أنتِ."

– "أنا أفهم –"

قاطعها تاكر بحزم:

– "لا يا حبيبتي، أنتِ لا تفهمين. لقد كان هذا حياتي كلها. أنا أفهم كريد أفضل من أي من المعتوهين الذين كتبوا كتبًا عنه. لقد درسته. لقد تم عزله عن أي نوع من الاهتمام لسنوات، الآن. رئيسك رجل مشهور. سيرغب كريد في مقابلته.

سيظن كريد أنه أذكى، بالطبع سيفعل. سيرغب في هزيمة رئيسك، سيرغب في الخروج منتصرًا، لكن إغراء رؤية اسمه في الصحف مرة أخرى؟ لطالما انتعش بالدعاية. أعتقد أنه سيكون مستعدًا للتحدث، طالما استطاع رئيسك جعله يصدق أن الأمر يستحق وقته... هو شرعي (Kosher)، رئيسك، أليس كذلك؟"

في أي ظروف أخرى تقريبًا، كانت روبن لتقول "إنه شريكي في الواقع"، لكن اليوم، فهمًا لما يُسأل عنه، قالت:

– "نعم، هو شرعي."

قال برايان تاكر:

– "أجل، ظننت أنه يبدو كذلك، ظننت ذلك. عندما تواصلت جهة اتصالك، دخلت على الإنترنت، وبحثت عن كل شيء. مثير للإعجاب، ما فعله. هو لا يجري مقابلات صحفية، أليس كذلك؟"

– "لا."

قال تاكر مومئًا:

– "يعجبني ذلك. يفعل ذلك للأسباب الصحيحة. لكن الاسم معروف، الآن، وسيروق ذلك لكريد، وكذلك حقيقة أن رئيسك كان له اتصال بأشخاص مشهورين. كريد يحب كل ذلك. أخبرت وزارة العدل وأخبرت جهة اتصالك، أريد هذا السترايك ليفعل ذلك، لا أريد الشرطة تستجوبه. لقد أخذوا فرصتهم ونعرف جميعًا كيف سار ذلك. ولا مزيد من الأطباء النفسيين اللعينين، يظنون أنهم أذكياء جدًا ولا يستطيعون حتى الاتفاق على ما إذا كان الوغد عاقلاً أم لا.

"أنا أعرف كريد. أفهم كريد. لقد قمت بدراسة مدى الحياة لنفسيته. كنت هناك كل يوم في المحكمة، أثناء المحاكمة. لم يسألوه عن لو (لويز) في المحكمة، ليس بالاسم، لكنه تواصل بصريًا معي مرات عديدة. لابد أنه عرفني، لابد أنه عرف من أنا، لأن لو كانت صورة طبق الأصل مني.

"عندما سألوه في المحكمة عن المجوهرات – تعرفين عن القلادة، قلادة لو؟"

– "نعم."

سأل لورين، التي أومأت برأسها:

– "حصلت عليها قبل يومين من اختفائها. أرتها لأختها ليز، والدة لورين – ألم تفعل؟ فراشة على سلسلة، لا شيء باهظ الثمن، ولأنها كانت منتجة بكميات كبيرة، قالت الشرطة إنها يمكن أن تكون لأي شخص. تذكرت ليز القلادة بشكل مختلف – هذا ما شتت الشرطة، لم تكن متأكدة في البداية أنها تخص لو – لكنها اعترفت أنها رأتها لفترة وجيزة فقط. وعندما ذكروا المجوهرات، نظر كريد مباشرة إلي. عرف من أكون. لو كانت صورة طبق الأصل مني،" كرر تاكر. "تعرفين تفسيره لامتلاك مخزون من المجوهرات تحت ألواح الأرضية؟"

– "نعم، قال إنه اشتراها لأنه يحب ارتداء ملابس النساء –"

قال تاكر، متحدثًا فوق روبن:

– "أنه اشتراها، ليرتديها."

– "سيد تاكر، قلت على الهاتف –"

– "لو سرقتها من ذلك المتجر الذي اعتادوا الذهاب إليه جميعًا، ما كان اسمه –"

قالت لورين:

– "بيبا."

– "بيبا،" قال تاكر. "قبل يومين من اختفائها، تهربت من المدرسة وفي ذلك المساء أرت أم لورين، ليز، ما سرقته. كانت صعبة المراس، لو. لم تنسجم مع زوجتي الثانية. توفيت أم الفتيات عندما كانت لو في العاشرة. أثر ذلك على لو بشكل أسوأ، أكثر من الأختين الأخريين. لم تحب زوجتي الثانية قط."

كان قد أخبر روبن بكل هذا على الهاتف، لكن مع ذلك، أومأت بتعاطف.

– "تشاجرت زوجتي مع لو في الصباح السابق لاختفائها، وتهربت لو من المدرسة مرة أخرى. لم ندرك حتى لم تعد للمنزل تلك الليلة. اتصلنا بكل أصدقائها، لم يرها أحد منهم، فاتصلنا بالشرطة. اكتشفنا لاحقًا، أن إحدى صديقاتها كذبت. كانت قد هربت لو للطابق العلوي ولم تخبر والديها.

"شوهدت لو ثلاث مرات في اليوم التالي، لا تزال بزيها المدرسي. آخر مشاهدة معروفة كانت خارج مغسلة ملابس في كنتيش تاون. طلبت من رجل ما ولاعة. كنا نعلم أنها بدأت التدخين. كان ذلك جزئيًا ما تشاجرت بشأنه مع زوجتي.

"التقط كريد فيرا كيني في كنتيش تاون أيضًا،" قال تاكر بصوت مبحوح. "في عام 1970، مباشرة بعد انتقاله إلى المكان بجانب «بارادايس بارك». فيرا كانت أول امرأة أخذها عائدًا إلى ذلك القبو. قيدهن بالسلاسل، كما تعلمين، وأبقاهن على قيد الحياة بينما هو –"

قالت لورين بشفقة:

– "جدي، لا تفعل."

تمتم تاكر، خافضًا رأسه:

– "لا. آسف يا حبيبتي."

قالت روبن، مغتنمة فرصتها:

– "سيد تاكر، قلت على الهاتف إن لديك معلومات عن مارغو بامبورو لا يعرفها أحد غيرك."

قال تاكر، وهو يمد يده داخل سترته لإخراج رزمة من الأوراق المطوية، وفردها بيدين مرتجفتين:

– "أجل. هذه الورقة العليا، حصلت عليها من خلال حارس في سجن «ويكفيلد»، في عام 79. اعتدت التسكع هناك كل عطلة نهاية أسبوع في أواخر السبعينيات، أراقبهم جميعًا يدخلون ويخرجون. اكتشفت أين يحبون الشرب وكل شيء.

"على أية حال، هذا الحارس بالتحديد، لن أذكر اسمه، لكننا أصبحنا أصدقاء. كان كريد في جناح شديد الحراسة، في زنزانة انفرادية، لأن كل السجناء الآخرين أرادوا النيل منه. كاد رجل أن يقلع عين كريد في عام 82، سرق ملعقة من المقصف وشحذ المقبض ليصبح مدببًا في زنزانته. حاول طعن كريد عبر مقلة العين. أخطأه بالكاد، لأن كريد راوغ. أخبرني صديقي أنه صرخ مثل فتاة صغيرة،" قال تاكر بتلذذ.

"على أية حال، قلت لصديقي، قلت، أي شيء يمكنك اكتشافه، أي شيء يمكنك إخباري به. أشياء يقولها كريد، تلميحات يعطيها، كما تعلم. دفعت له مقابل ذلك. كان يمكن أن يفقد وظيفته لو اكتشف أي شخص. وحصل صديقي على هذه وهربها لي. لم أتمكن أبدًا من الاعتراف بامتلاكها، لأن كلينا سيقع في ورطة لو خرج الأمر للعلن، لكنني اتصلت بزوج مارغو بامبورو، ما كان اسمه –"

– "روي فيبس."

– "روي فيبس، نعم. قلت: «لدي قطعة من كتابة كريد هنا سترغب في رؤيتها. تثبت أنه قتل زوجتك»."

كشفت ابتسامة محتقرة عن أسنان تاكر التي بلون التوفي مرة أخرى.

– "لكنه لم يرغب في المعرفة. ظن فيبس أنني مجنون. بعد عام من اتصالي به، قرأت في الصحيفة أنه تزوج المربية. يبدو أن كريد أسدى للدكتور فيبس معروفًا."

قالت لورين مصدومة:

– "جدي!"

تمتم تاكر:

– "حسنًا، حسنًا. لم أحب ذلك الطبيب قط. كان بإمكانه أن يفيدنا كثيرًا، لو أراد. استشاري مستشفى، كان من نوع الرجال الذين كان وزير الداخلية ليستمع إليهم. كان بإمكاننا مواصلة الضغط لو ساعدنا، لكنه لم يكن مهتمًا، وعندما رأيت أنه ذهب مع المربية فكرت، آه، حسنًا، كل شيء مفسر."

بدأت روبن: "هل يمكنني –" مشيرة نحو الورقة التي كان تاكر لا يزال يمسك بها مسطحة على الطاولة، لكنه تجاهلها.

– "لذا كان الأمر أنا وجيري فقط لسنوات. جيري ولفسون، شقيق كارا. هل تعرفين من هي؟" سأل روبن بحدة.

– "نعم، مضيفة الملهى الليلي –"

– "مضيفة ملهى ليلي، وبائعة هوى على الجانب، ومدمنة مخدرات أيضًا.

لم يكن لدى جيري أوهام بشأنها، لم يكن ساذجًا، لكنها كانت لا تزال أخته. ربته، بعد رحيل أمهما. كارا كانت كل العائلة التي لديه.

"فبراير 1973، بعد ثلاثة أشهر من لو ، اختفت كارا أيضًا. غادرت ناديها في سوهو في الساعات الأولى من الصباح. غادرت فتاة أخرى في نفس الوقت بالضبط. لم يكن بعيدًا عن هنا، في الواقع،" قال تاكر، مشيرًا خارج الباب. "الفاتنتان تذهبان في طريقين مختلفين في الشارع. تنظر الصديقة للخلف وترى كارا تنحني وتتحدث إلى سائق شاحنة في نهاية الطريق. افترضت الصديقة أن كارا تعرف السائق. تمشي مبتعدة. كارا لا تُرى مرة أخرى أبدًا.

"تحدث جيري إلى جميع أصدقاء كارا في النادي، بعد ذلك، لكن لم يعرف أحد شيئًا. كانت هناك شائعة تدور، بعد اختفاء كارا، أنها كانت مخبرة للشرطة. ذلك النادي كان يديره زوج من شخصيات العالم السفلي. ناسبهم القول إنها مخبرة، أترين؟ لإخافة الفتيات الأخريات ليبقين أفواههن مغلقة حول أي شيء رأينه أو سمعنه في النادي.

"لكن جيري لم يصدق أبدًا أن كارا كانت واشية. ظن أنه سفاح إسيكس من البداية – الشاحنة كانت الدليل. لذا وحدنا قوانا.

"حاول الحصول على إذن لزيارة كريد، مثلي تمامًا، لكن السلطات لم تسمح لنا. استسلم جيري، في النهاية. شرب حتى الموت. يحدث شيء كهذا لشخص تحبه، يترك علامة عليك. لا يمكنك الخروج من تحته. ثقله يسحق بعض الناس.

"انهار زواجي. ابنتاي الأخريان لم تتحدثا إلي لسنوات. أرادتا مني التوقف عن الحديث عن لو، التوقف عن الحديث عن كريد، التظاهر بأنه لم يحدث أبدًا –"

قالت لورين بصرامة:

– "هذا ليس عادلاً يا جدي."

تمتم تاكر:

– "أجل، حسنًا. حسنًا، أقر لكِ، والدة لورين، لانت مؤخرًا. قلت لليز: «فكري في كل الوقت الذي كان يجب أن أقضيه مع لو، مثلما قضيته معكِ ومع

ليزا. اجمعي كل ذلك. وجبات العائلة والعطلات. مساعدتها في واجباتها المدرسية. إخبارها بتنظيف غرفتها. الشجار معها –» يا إلهي، كان يمكن أن تكون متمردة. مشاهدتها تتخرج، أتوقع، لأنها كانت ذكية، لو، حتى لو وقعت في مشاكل في المدرسة مع كل ذلك التهرب. قلت لليز: «لم أحظَ بفرصة السير بها في الممر (في زفافها)، أليس كذلك؟ لم أحظَ بفرصة زيارتها في المستشفى عندما ولد أطفالها. اجمعي كل الوقت الذي كنت سأعطيه لها لو عاشت –»"

تلعثم تاكر. وضعت لورين يدًا ممتلئة فوق يد جدها، التي كانت مفاصلها متورمة وأرجوانية.

نعق تاكر، وعيناه مغشاتان بالدموع:

– "– اجمعي كل ذلك الوقت معًا، وهذا ما أدين به لها، معرفة ما حدث لها. هذا كل ما أفعله. إعطاؤها حقها."

شعرت روبن بالدموع توخز جفنيها.

قالت بهدوء:

– "أنا آسفة جدًا."

– "أجل، حسنًا." قال تاكر، ماسحًا عينيه وأنفه بقسوة بكم سترته. أخذ الآن الورقة العليا من الكتابة ودفعها نحو روبن. "ها هي ذي. هذا يظهر لكِ ما نحن بصدده."

أخذت روبن الورقة، التي كُتبت عليها فقرتان قصيرتان بخط واضح ومائل، كل حرف منفصل ومتميز، وبدأت في القراءة.

تحاول السيطرة من خلال الكلمات وأحيانًا بالإطراء. تخبرني كم أنا ذكي، ثم تتحدث عن «العلاج». الاستراتيجية شفافة بشكل مضحك. «مؤهلاتها» و«تدريبها» هما، مقارنة بمعرفتي الذاتية، ووعيي الذاتي، ومضة عود ثقاب رطب بجانب ضوء الشمس.

تعد بأن تشخيص الجنون سيعني علاجًا ألطف لي. تخبرني بذلك بين الصرخات، وأنا أجلد وجهها وثدييها. وهي تنزف، تتوسل إلي لأرى أنها يمكن أن تكون ذات فائدة لي. ستشهد لصالحي. غطرستها وتعطشها للهيمنة تم تأجيجهما

بالموافقة المجتمعية التي اكتسبتها من منصب «طبيبة». حتى وهي مقيدة بالسلاسل، تعتقد أنها متفوقة. سيتم تصحيح هذا الاعتقاد.

قال تاكر في همس شرس:

– "أترين؟ كان يحتجز مارغو بامبورو مقيدة بالسلاسل في قبوه. إنه يستمتع بالكتابة عن ذلك، إعادة عيشه. لكن الأطباء النفسيين لم يعتقدوا أنه كان اعترافًا، اعتبروا أن كريد كان يخرج هذه القطع من الكتابة فقط لمحاولة جذب المزيد من الانتباه لنفسه. قالوا إنها كانت كلها لعبة لمحاولة الحصول على المزيد من المقابلات، لأنه أحب وضع ذكائه ضد الشرطة، والقراءة عن نفسه في الصحافة، ورؤية نفسه في الأخبار. قالوا إن ذلك كان مجرد القليل من الخيال، وأن أخذه على محمل الجد سيعطي كريد ما يريده، لأن الحديث عنه سيثيره."

قالت لورين بصوت خافت:

– "مقرف."

– "لكن صديقي الحارس قال – لأنكِ تعلمين، كانت هناك ثلاث نساء اعتقدوا أن كريد قتلهن ولم يتم العثور على جثثهن أبدًا: لو ، وكارا ولفسون ومارغو بامبورو – وصديقي الحارس قال، إن الطبيبة هي من أحب حقًا أن يُسأل عنها. كريد يحب الأشخاص ذوي المكانة العالية، أترين. يعتقد أنه كان بإمكانه أن يكون رئيس شركة متعددة الجنسيات، أو أستاذًا ما أو شيئًا من هذا القبيل، لو لم يتحول للقتل. صديقي أخبرني بكل هذا. قال، كريد يرى نفسه في ذلك المستوى، كما تعلمين، فقط في مجال مختلف."

لم تقل روبن شيئًا. تأثير ما قرأته للتو لم يكن من السهل تبديده. أصبحت مارغو بامبورو حقيقية لروبن، وها هي قد أجبرت للتو على تخيلها، تعذب وتنزف، تحاول إقناع سيكوباتي بالإبقاء على حياتها.

تابع تاكر، مربتًا على الأوراق التي لا تزال موضوعة أمامه، وأجبرت روبن نفسها على التركيز:

– "نُقل كريد إلى بلمارش في عام 83، وبدؤوا في تخديره حتى لا يتمكن من الحصول على – كما تعلمين، لا يستطيع الحفاظ على...

"وعندها حصلت على إذن للكتابة إليه، وجعله يكتب لي ردًا. منذ إدانته، كنت أضغط على السلطات للسماح لي باستجوابه مباشرة، والسماح له بالرد. أرهقتهم في النهاية. كان علي أن أقسم بأنني لن أنشر أبدًا ما كتبه لي، أو أعطي الرسالة للصحافة، لكنني عضو عائلة الضحية الوحيد الذي سُمح له بالاتصال المباشر به أبدًا... وهناك،" قال، مديرًا الورقتين التاليتين نحو روبن. "هذا ما حصلت عليه ردًا."

كانت الرسالة مكتوبة على ورق رسائل السجن. لم يكن هناك "عزيزي السيد تاكر".

رسالتك وصلتني قبل ثلاثة أسابيع، لكنني وُضعت في الحبس الانفرادي بعد ذلك بوقت قصير وحُرمت من مواد الكتابة، لذا لم أتمكن من الرد. عادة لا يُسمح لي بالرد على استفسارات مثل استفسارك، لكنني فهمت أن إصرارك قد أرهق السلطات. ومهما بدا الأمر غير مرجح، أنا معجب بك لهذا، يا سيد تاكر. الصمود في وجه الشدائد هو إحدى خصائصي المميزة.

خلال أسابيعي الثلاثة من العزلة القسرية، تساءلت كيف يمكنني أن أشرح لك ما لا يأمل واحد في عشرة آلاف رجل أن يفهمه. على الرغم من أنك تظن أنني لابد قادر على تذكر الأسماء، والوجوه وشخصيات "ضحاياي" المختلفين، إلا أن ذاكرتي تظهر لي فقط الوحش متعدد الأطراف، متعدد الأثداء الذي عبثت معه، شيئًا كريه الرائحة أعطى لسانًا للألم والبؤس. في النهاية، لم يكن وحشي رفيقًا جيدًا أبدًا، رغم وجود سحر في التواءاته. مع ما يكفي من التحفيز، يمكن رفعه إلى نشوة من الألم، وعندها كان يعرف أنه حي، ووقف مرتجفًا على حافة الهاوية، يتوسل، يصرخ، يتضرع للرحمة.

كم مرة مات الوحش، ثم عاش مرة أخرى؟ عدد قليل جدًا لإرضائي. رغم أن وجهه وصوته تحورا، إلا أن ردود فعله لم تختلف أبدًا. ريتشارد ميريدان، طبيبي النفسي القديم، أعطى ما تملكني أسماء أخرى، لكن الحقيقة هي أنني كنت في قبضة جنون إلهي.

نازع زملاء ميريدان استنتاجه بأنني عاقل. للأسف، رفض القاضي آراءهم.

في الختام: ربما قتلت ابنتك، أو ربما لم أفعل. إما أنني فعلت ذلك في قبضة جنون ما لا يزال يحجب ذاكرتي، والذي قد يخترقه طبيب أكثر مهارة، أو أنني لم أقابلها قط، ولويز الصغيرة في الخارج في مكان ما، تضحك على محاولات والدها للعثور عليها، أو ربما تتحمل جحيمًا مختلفًا عن ذلك الذي عاش فيه وحشي.

بلا شك الدعم النفسي الإضافي المتاح في برودمور سيساعدني على استعادة أكبر قدر ممكن من الذاكرة. لأسبابهم الغامضة الخاصة، ومع ذلك، تفضل السلطات إبقائي هنا في بلمارش. هذا الصباح فقط تعرضت للتهديد تحت أنظار الحراس. بغض النظر عن الحقيقة الواضحة بأن وجاهة ما تلتصق بأي شخص يهاجمني، فأنا أتعرض، يوميًا، للترهيب والخطر الجسدي. كيف يتوقع أي شخص مني استعادة صحة عقلية كافية لمساعدة الشرطة أكثر هو لغز.

الأشخاص الاستثنائيون يجب أن يدرسهم فقط أولئك الذين يستطيعون تقديرهم. التحليل البدائي، مثل الذي تعرضت له حتى الآن، يرسخ فقط عجزي عن تذكر كل ما فعلته. ربما أنت، يا سيد تاكر، يمكنك مساعدتي. حتى أكون في بيئة مستشفى حيث يمكن إعطائي المساعدة التي أحتاجها، ما الحافز الذي لدي لنبش ذاكرتي المجزأة بحثًا عن تفاصيل قد تساعدك في اكتشاف ما حدث لابنتك؟ سلامتي تتعرض للخطر يوميًا. قدراتي العقلية تتدهور.

ستصاب بخيبة أمل بطبيعة الحال لعدم تلقي تأكيد لما حدث للويز. كن مطمئنًا، عندما لا يكون الجنون مسيطرًا علي، فأنا لست خاليًا من التعاطف الإنساني. حتى أسوأ منتقدِيَّ يقرون بأنني في الواقع أفهم الآخرين بسهولة أكبر بكثير مما يفهمونني! على سبيل المثال، أستطيع تقدير ما سيعنيه لك استعادة جثة لويز ومنحها الجنازة التي ترغب فيها بشدة. من ناحية أخرى، مخزوني الصغير من التعاطف البشري يستنفد بسرعة بسبب الظروف التي أعيش فيها حاليًا. التعافي من الهجوم الأخير علي، الذي كاد يزيل عيني، تأخر بسبب رفض السلطات السماح لي بحضور مستشفى مدني. "الرجال الأشرار يفقدون الحق في المعاملة العادلة!"

هكذا يبدو رأي الجمهور. ومع ذلك، الوحشية تولد الوحشية. حتى الأطباء النفسيين الأكثر غباءً يتفقون، هناك.

هل لديك روح رحيمة، يا سيد تاكر؟ إذا كان الأمر كذلك، فإن أول رسالة ستكتبها عند استلام هذه ستكون للسلطات، تطلب فيها أن يتم قضاء ما تبقى من عقوبتي في برودمور، حيث قد يتم استدراج الأسرار التي لا تزال ذاكرتي الجامحة تحملها إلى السطح أخيرًا.

المخلص لك،

دينيس

أنهت روبن القراءة، ونظرت للأعلى.

قال تاكر، بتعبير جائع بشكل غريب:

– "لا تستطيعين رؤيته، أليس كذلك؟ لا، بالطبع لا تستطيعين. ليس واضحًا. أنا لم أره بنفسي، في البداية. ولا سلطات السجن. كانوا مشغولين جدًا بتحذيري من أنهم لن ينقلوه إلى برودمور، لذا لا داعي للسؤال."

نقر أسفل الرسالة بإصبع ذي ظفر أصفر.

– "الدليل هناك. السطر الأخير. الحرف الأول. جملتي (My sentence). ضعي الحرف الأول من كل جملة معًا، وانظري ماذا تحصلين."

فعلت روبن كما طُلب منها.

قرأت روبن بصوت عالٍ:

– "ا – ب – ن – ت – ك (Y—O—U—R—D—A—U—G—H—T—E—R)..." حتى، خوفًا مما ستنتهي إليه الرسالة، صمتت، حتى وصلت للجملة الأخيرة، عندما بدا طعم القهوة بالحليب يتحول إلى زنخ في فمها، وقالت: "يا إلهي."

سألت لورين، عابسة ومجهدة لترى:

– "ماذا تقول؟"

قال تاكر باقتضاب، آخذًا الرسالة مرة أخرى:

– "لا يهمك. ها أنتِ ذا،" أخبر روبن، مطويًا الأوراق وحاشرًا إياها مرة أخرى في جيبه الداخلي. "الآن ترين ما هو. قتل لو كما قتل طبيبتكم وهو يشمت بذلك."

قبل أن تتمكن روبن من قول أي شيء، أدار تاكر ورقته التالية لتواجهها، ورأت خريطة مصورة لـ إيسلينغتون، مع دائرة بالحبر حول ما بدا وكأنه منزل كبير. قال:

– "الآن، هناك مكانان لم ينظر فيهما أحد أبدًا، حيث أعتقد أنه ربما أخفى الجثث. عدت لكل مكان كان له صلة به، طفلاً أو بالغًا. تحققت الشرطة من كل الأشياء الواضحة، الشقق التي عاش فيها وذلك، لكن لم يكلفوا أنفسهم عناء هذه.

"عندما اختفت لو في نوفمبر 72، لم يكن ليتمكن من دفنها في غابة إيبينغ، لأن –"

قالت روبن:

– "كانوا قد وجدوا جثة فيرا كيني هناك للتو."

بدا تاكر معجبًا على مضض.

– "أنتم تقومون بواجبكم المنزلي في تلك الوكالة، أليس كذلك؟ أجل، بالضبط. كان لا يزال هناك تواجد للشرطة في الغابة في ذلك الوقت.

"لكن أترين ذلك، هناك؟" قال تاكر، ناقرًا على المبنى المحدد. "هذا منزل خاص، الآن، لكن في السبعينيات كان فندق «آرشر»، وخمني من اعتاد غسل ملابسهم؟ مصبغة كريد. اعتاد التقاط الأشياء منهم مرة في الأسبوع في شاحنته، وإعادتها مرة أخرى، الملاءات وأغطية الأسرة وما إلى ذلك...

"على أية حال، بعد القبض عليه، أعطت المرأة التي كانت تملك فندق آرشر تصريحًا لصحيفة «الميل»، قائلة إنه كان يبدو دائمًا لطيفًا ومؤدبًا، دائمًا ثرثارًا عندما يراها...

"هذا ليس محددًا على الخرائط الحديثة،" قال تاكر، محركًا إصبعه الآن إلى صليب محدد في أرض العقار، "لكنه موجود في سندات الملكية القديمة. هناك بئر خلف ذلك العقار. مجرد عمود في الأرض يجمع مياه الأمطار. سبق المبنى الحالي.

"تعقبت المالكة في عام 89، بعد أن باعت. أخبرتني أن البئر كان مغطى بالألواح في وقتها، وزرعت شجيرات حوله، لأنها لم ترد أن يسقط أي طفل فيه بالخطأ. لكن كريد اعتاد المرور عبر تلك الحديقة لتسليم الغسيل، مارًا بالمكان الذي كان فيه البئر تمامًا. لابد أنه عرف بوجوده. لم تستطع تذكر إخباره،" قال تاكر بسرعة، قاطعًا الطريق على سؤال روبن، "لكن هذا لا يقدم ولا يؤخر، أليس كذلك؟ لم تكن لتتذكر كل كلمة قالوها لها، أليس كذلك، بعد كل ذلك الوقت؟

"في جوف الليل، كان بإمكان كريد إيقاف شاحنة عند المدخل الخلفي، والدخول عبر البوابة الخلفية... لكن بحلول الوقت الذي أدركت فيه كل هذا،" قال تاكر، جازًا على أسنانه البنية في إحباط، "كان فندق آرشر قد عاد ليكون ملكية خاصة، والآن تم بناء مشتل لعين فوق البئر القديم."

قالت روبن بحذر:

– "ألا تعتقد، عندما بنوا فوقه، أنهم ربما لاحظوا –"

قال تاكر بعدوانية:

– "لماذا يفعلون؟ لم أعرف بناءً يبحث عن العمل عندما يمكنه فقط وضع الخرسانة فوقه. على أية حال، كريد ليس غبيًا. كان ليرمي القمامة هناك فوق الجثة، أليس كذلك؟ يغطيها. لذا هذا احتمال،" قال بحزم. "ثم لديكِ هذا."

كانت آخر قطعة ورقية لتاكر خريطة ثانية.

– "ذاك هناك،" قال، ناقرًا بإصبعه المتورم المفاصل على مبنى آخر محاط بدائرة، "هو منزل جدة دينيس كريد الكبرى. مذكور في *شيطان حديقة الفردوس*. قال كريد، في إحدى مقابلاته، إن المرة الوحيدة التي رأى فيها الريف عندما كان طفلاً كانت عندما أخذوه إلى هناك.

"وانظري هنا،" قال تاكر، مشيرًا إلى رقعة كبيرة من الخضرة. "المنزل يظهر مباشرة على غابة الكنيسة الكبرى (Great Church Wood). فدادين من الغابات، فدادين وفدادين. عرف كريد الطريق إلى هناك. كان لديه شاحنة. لعب في تلك الغابات كطفل.

"نحن نعلم أنه اختار غابة إيبينغ لمعظم الجثث، لأنه لم يكن لديه صلة معروفة بالمكان، لكن بحلول عام 75، كانت الشرطة تتحقق بانتظام من غابة إيبينغ ليلاً، أليس كذلك؟ لكن هنا غابة مختلفة يعرفها، وليست بعيدة جدًا عن لندن، وكريد لديه شاحنته ومجارفه جاهزة في الخلف.

"أفضل تخمين لي،" قال تاكر، "هو أن لو وطبيبتك في البئر أو في الغابة. ولديهم تكنولوجيا مختلفة الآن عما كان لديهم في السبعينيات. رادار يخترق الأرض وما إلى ذلك. لن يكون من الصعب رؤية ما إذا كانت هناك جثة في أي من هذين المكانين، ليس إذا كانت الإرادة موجودة.

"لكن،" قال تاكر، ماسحًا الخريطتين عن الطاولة وطاويهما بيديه المرتجفتين، "لا توجد إرادة، أو لم تكن موجودة، ليس لسنوات. لا أحد في السلطة يهتم. يعتقدون أن الأمر انتهى، يعتقدون أن كريد لن يتحدث أبدًا. لذا لهذا السبب يجب أن يكون رئيسك هو من يستجوبه. أتمنى لو كان بإمكاني أن أكون أنا،" قال تاكر، "لكنكِ رأيتِ ما اعتقد كريد أنني أستحقه..."

بينما أعاد تاكر أوراقه إلى داخل سترته، أصبحت روبن واعية بأن المقهى حولهم قد امتلأ أثناء محادثتهم. على الطاولة الأقرب جلس ثلاثة شبان، جميعهم بلحى إدواردية مسلية. بعد أن تكيفت لفترة طويلة فقط مع صوت تاكر المنخفض والمبحوح، بدت أذنا روبن فجأة مليئتين بالضجيج. شعرت وكأنها نُقلت فجأة من الماضي البعيد إلى حاضر صاخب وغير مبالٍ. ما الذي كانت مارغو بامبورو، ولويز تاكر وكارا ولفسون لتفكر فيه بشأن الهواتف المحمولة في كل يد تقريبًا، أو صوت أغنية "سعيد" لـ فاريل ويليامز التي تعزف الآن في مكان ما قريب، أو الشابة التي تحمل قهوة عائدة من المنضدة، وشعرها في كعكتين عاليتين، وترتدي قميصًا (تي شيرت) كتب عليه *اذهب وضاجع سيلفيك (صورك الذاتية)* (GO F#CK YOUR #SELFIE)؟

قالت لورين ذات الشعر الأصفر بنعومة، واضعة ذراعها حول جدها بينما تدحرجت دمعة سمينة على أنفه المتورم وسقطت على الطاولة الخشبية:

– "لا تبكِ يا جدي."

الآن وقد توقف عن الحديث عن لويز وكريد، بدا أنه قد أصبح أصغر حجمًا.

أخبرت لورين روبن:

– "لقد أثر الأمر على عائلتنا بأكملها. أمي والعمة ليزا خائفتان دائمًا إذا خرجت أنا وأبناء عمومتي بعد حلول الظلام –"

قال تاكر، الذي كان يمسح عينيه الآن بكمة مرة أخرى:

– "محقّتان تمامًا!"

قالت لورين ذات الوجه البريء:

– "– وكلنا نشأنا ونحن نعلم أنه شيء يمكن أن يحدث حقًا، كما تعلمين؟ الناس يختفون حقًا. يُقتلون حقًا."

قالت روبن:

– "نعم. أعلم."

مدت يدها عبر الطاولة وأمسكت بساعد الرجل العجوز لفترة وجيزة.

– "سنفعل كل ما في وسعنا يا سيد تاكر، أعدك. سأكون على اتصال."

بينما كانت تغادر المقهى، كانت روبن واعية بأنها تحدثت للتو نيابة عن سترايك، الذي لم يكن يعرف شيئًا على الإطلاق عن خطة استجواب كريد، ناهيك عن محاولة معرفة ما حدث للويز تاكر، لكن لم يكن لديها طاقة متبقية للقلق بشأن ذلك الآن. شدت روبن سترتها بإحكام حولها ومشت عائدة إلى المكتب، وأفكارها مستهلكة بالفراغ الرهيب الذي خلفه المختفون في أعقابهم.

52

كثيرًا ما تكون هناك نارٌ بلا دخان.

إدموند سبنسر ملكة الجن

كانت الساعة الواحدة صباحًا، وكان سترايك يقود سيارته باتجاه ستوك نيوينغتون لإعفاء روبن، التي كانت تراقب حاليًا المنزل المتلاصق الذي عاد رئيس المراوغ (SB) لزيارته، وحيث كان من المؤكد تقريبًا أنه ينغمس في نوبة أخرى من السلوك القابل للابتزاز الذي اكتشفه المراوغ بطريقة ما. ورغم أن ما يمسكه المراوغ على رئيسه قد دفع الأخير للوقوف على "جسر البرج" (تاور بريدج)، إلا أن المدير التنفيذي لم يبدُ قادرًا أو راغبًا في التخلي عما كان يفعله داخل منزل إلينور دين.

كان الليل منعشًا وصافيًا، رغم أن النجوم في الأعلى لم تكن مرئية إلا بشكل خافت من طريق "إسيكس" المضاء بوهج ساطع، وكان صوت باركلي ينبعث حاليًا من مكبر صوت سيارة الـ "بي إم دبليو". مر أسبوع منذ أن تمكن الاسكتلندي من إقناع المدير التنفيذي بمغادرة جسر البرج وتناول القهوة معه.

قال باركلي:

– "المسكين لا يملك من أمره شيئًا."

قال سترايك:

– "بوضوح. هذه زيارته الثالثة في عشرة أيام."

– "قال لي: «لا أستطيع التوقف». يقول إن ذلك يخفف عنه التوتر."

– "كيف يوفق بين ذلك وبين حقيقة أنه يميل للانتحار؟"

– "الابتزاز هو ما يجعله يميل للانتحار يا سترايك، وليس أيًا كان ما يفعله في ستوك نيوينغتون."

– "ألم يعطِ أي إشارة عما يفعله هناك؟"

– "أخبرتك، قال إنه لا يضاجعها، لكن زوجته ستتركه إذا خرج الأمر للعلن. قد يكون مطاطًا،" أضاف باركلي بتفكير.

– "ماذا؟"

– "مطاط،" كرر باركلي. "مثل ذلك الرجل الذي كان لدينا وكان يحب ارتداء اللاتكس للعمل تحت بدلته."

قال سترايك:

– "أوه نعم. نسيت أمره."

غالبًا ما تداخلت الميول الجنسية المختلفة لعملائهم في ذاكرة سترايك. كان بإمكانه سماع همهمة الكازينو في الخلفية. كان المراوغ هناك منذ ساعات وكان باركلي يؤنسه، دون أن يلاحظه أحد، من الجانب الآخر من الصالة.

قال باركلي:

– "على أية حال، هل تريد مني البقاء هنا؟ لأن الأمر يكلف ثروة صغيرة وأنت قلت إن العميل بدأ يتذمر بشأن المبلغ الذي نتقاضاه. يمكنني مراقبة متى يغادر الوغد اللزج، من الخارج في الشارع."

– "لا، ابقَ ملتصقًا به، استمر في تصويره، وحاول الحصول على شيء يدينه."

– "المراوغ محشو بالكوكايين حتى أذنيه."

– "نصف زملائه سيكونون مدمني كوكايين أيضًا. سنحتاج لشيء أسوأ من ذلك للإيقاع بالوغد بتهمة ابتزاز الناس ودفعهم للوقوف على الجسور العالية..."

– "أنت تتساهل يا سترايك."

– "فقط حاول الحصول على شيء على الحقير ولا تضع رهانات كبيرة."

قال باركلي:

– "ليس المقامرة هي ما سيفلسنا، بل المشروبات."

أغلق الخط، وأنزل سترايك النافذة وأشعل سيجارة، محاولاً تجاهل الألم في رقبته وكتفيه المتيبسين.

مثل المدير التنفيذي، كان بإمكان سترايك الاستفادة من استراحة من مشاكل الحياة وتحدياتها، لكن هذه المنافذ كانت منعدمة حاليًا. على مدار العام الماضي، استنزف مرض جوان ذلك النزر اليسير من الوقت الذي لم يُكرس للعمل. منذ بتر ساقه، لم يعد يمارس أي نوع من الرياضة. كان يرى الأصدقاء بشكل غير متكرر بسبب متطلبات الوكالة، واستمد من أقاربه صداعًا أكثر بكثير مما استمد متعة، وكانوا مزعجين بشكل خاص في الآَونة الأخيرة.

غدًا هو "أحد القيامة" (عيد الفصح)، مما يعني أن عائلة جوان ستجتمع في سانت ماوس لنثر رمادها في البحر. وبصرف النظر عن الحدث الحزين نفسه، لم يكن سترايك يتطلع لرحلة طويلة أخرى إلى كورنوال، أو لمزيد من الاتصال القسري مع لوسي، التي أوضحت خلال عدة مكالمات هاتفية أنها تخشى هذا الوداع الأخير. مرارًا وتكرارًا عادت لحزنها لعدم وجود قبر لزيارته، واكتشف سترايك نبرة لوم خفية، وكأنها تعتقد أن سترايك كان ينبغي أن يتجاوز رغبات جوان وهي تحتضر. عبرت لوسي أيضًا عن خيبة أملها لأن سترايك لن يأتي لعطلة نهاية الأسبوع بأكملها، كما ستفعل هي وغريغ، وأضافت بفظاظة أنه من الأفضل أن يتذكر إحضار بيض عيد الفصح لأبناء أخته الثلاثة، وليس فقط لـ جاك. كان سترايك في غنى عن نقل ثلاث بيضات شوكولاتة هشة طوال الطريق إلى ترورو في القطار، مع حقيبة ليديرها وساقه تؤلمه من أيام وأسابيع من العمل المتواصل.

ولمضاعفة توتره، بدأت أخته غير الشقيقة المجهولة، برودينس، وأخوه غير الشقيق آل في مراسلته نصيًا مرة أخرى. بدا أن إخوته غير الأشقاء يتخيلون أن سترايك، بعد أن استمتع بلحظة من التنفيس الضروري بالصراخ في وجه روكبي عبر الهاتف، ربما يندم على ثورته، وأكثر استعدادًا لحضور حفلة والده للتصالح. لم يجب سترايك على أي من رسائلهم، لكنه شعر بها كلسعات حشرات: مصممًا على عدم الحك، لكنها كانت مع ذلك مصدرًا لإزعاج مستمر.

ومخيمة فوق كل قلق آخر كانت قضية بامبورو التي، رغم كل الساعات التي وضعها هو وروبن فيها، كانت تثبت أنها غامضة كما كانت عندما وافقا لأول مرة على معالجة اللغز الذي دام أربعين عامًا. كان الموعد النهائي للعام يقترب أكثر فأكثر، ولم يحدث أي شيء يشبه الاختراق بعد. إذا كان صادقًا، كان لدى سترايك آمال ضئيلة في المقابلة مع بنات ويلما بايليس، التي سيجريها هو وروبن في وقت لاحق من ذلك الصباح، قبل أن يستقل سترايك القطار إلى ترورو.

في المجمل، وبينما كان يقود سيارته نحو منزل المرأة في منتصف العمر التي بدا أن المدير التنفيذي يشعر بجاذبية نحوها، اضطر سترايك للاعتراف بأنه شعر بوميض من التعاطف مع أي رجل في بحث يائس عما كان المحقق متأكدًا أنه شكل من أشكال التنفيس الجنسي. مؤخرًا، اتضح لسترايك أن العلاقات التي أقامها منذ ترك شارلوت، رغم كونها عابرة، كانت ملاذه الوحيد الخالص من الوظيفة. كانت حياته الجنسية في حالة ركود منذ تشخيص إصابة جوان بالسرطان: كل تلك الرحلات الطويلة إلى كورنوال التهمت الوقت الذي كان يمكن منحه للمواعيد الغرامية.

وهذا لا يعني أنه لم تكن لديه فرص. فمنذ أن أصبحت الوكالة ناجحة، أظهرت قلة من النساء الثريات وغير السعيدات اللواتي شكلن عنصرًا أساسيًا في عمل الوكالة ميلاً لتقييم سترايك كمسكن محتمل لآلامهن العاطفية أو فراغهن. كان سترايك قد قبل عميلة جديدة من هذا النوع بالضبط في اليوم السابق، "الجمعة العظيمة". ولأنها حلت محل السيدة سميث، التي كانت قد بدأت بالفعل إجراءات الطلاق ضد زوجها بناءً على صور موريس له مع مربيتهم، فقد أطلقوا على السمراء البالغة من العمر اثنين وثلاثين عامًا لقب "الآنسة جونز".

كانت جميلة بلا شك، بساقين طويلتين، وشفتين ممتلئتين وبشرة ذات نعومة باهظة الثمن. كانت موضع اهتمام أعمدة النميمة جزئيًا لأنها وريثة، وجزئيًا لأنها كانت متورطة في معركة حضانة مريرة مع صديقها المنفصل عنها، والذي كانت تبحث عن فضائح لاستخدامها ضده في المحكمة. كانت الآنسة جونز قد شبكت وفكت ساقيها الطويلتين مرارًا بينما كانت تخبر سترايك عن تعاطي شريكها

السابق المنافق للمخدرات، وحقيقة أنه كان يسرب قصصًا عنها للصحف، وأنه لم يكن لديه أي اهتمام بابنته البالغة من العمر ستة أشهر إلا كوسيلة لجعل الآنسة جونز تعيسة. وبينما كان يودعها عند الباب، وقد انتهت مقابلتهما، لمست ذراعه مرارًا وضحكت لفترة أطول من اللازم على مجاملاته المعتدلة. محاولاً إخراجها بأسلوب مهذب من الباب تحت عين بات المستنكرة، كان لدى سترايك شعور محاولة نزع علكة عن أصابعه.

كان بإمكان سترايك تخيل تعليقات ديف بولورث جيدًا لو كان مطلعًا على المشهد، لأن بولورث كانت لديه نظريات قاطعة حول نوع النساء اللواتي يجدن صديقه القديم جذابًا، واللواتي كانت شارلوت أنقى مثال عليهن. النساء الأكثر انجذابًا لسترايك، في رأي بولورث، كن عصابيات، وفوضويات وأحيانًا خطرات، وولعهن بالملاكم السابق ذي الأنف المكسور يشير إلى رغبة لا شعورية في شيء صخري يمكنهن الالتصاق به مثل القواقع.

أثناء القيادة عبر شوارع ستوك نيوينغتون المهجورة، تحولت أفكار سترايك بشكل طبيعي إلى خطيبته السابقة. لم يرد على الرسائل النصية اليائسة التي أرسلتها له مما عرف، بعد البحث في غوغل عن المكان، أنه عيادة نفسية خاصة. لم يقتصر الأمر على وصولها عشية مغادرته لفراش موت جوان، بل لم يرغب في تغذية آمالها الزائفة بأنه سيظهر لإنقاذها. هل لا تزال هناك؟ إذا كان الأمر كذلك، فستكون هذه أطول فترة استشفاء لها على الإطلاق. توأمها البالغان من العمر عامًا واحدًا بلا شك في رعاية مربية، أو الحماة التي أكدت له شارلوت ذات مرة أنها مستعدة وراغبة في تولي الواجبات الأمومية.

على مسافة قصيرة من شارع إلينور دين، اتصل سترايك بروبن.

– "هل لا يزال بالداخل؟"

– "نعم. ستتمكن من ركن سيارتك خلفي مباشرة، هناك مساحة. أعتقد أن أصحاب الرقم 14 لابد قد ذهبوا بعيدًا في عيد الفصح مع الأطفال. السيارتان غير موجودتين. أراك خلال خمس دقائق."

عندما انعطف سترايك إلى الشارع، رأى اللاند روفر القديمة متوقفة على بعد بضعة منازل من باب إلينور الأمامي، وتمكن من ركن سيارته دون صعوبة في المساحة خلفها مباشرة. وبينما كان يطفئ محركه، قفزت روبن من سيارتها اللاند روفر، وأغلقت الباب بهدوء، ومشت حول الـ "بي إم دبليو" إلى جانب الراكب، وحقيبة ساعي البريد (messenger bag) على كتفها.

قالت، وهي تنزلق في المقعد بجانبه:

– "صباح الخير."

– "صباح الخير. ألستِ حريصة على المغادرة؟"

بينما قال ذلك، أضاءت شاشة الهاتف المحمول في يدها: شخص ما قد راسلها. لم تنظر روبن حتى إلى الرسالة، بل قلبت الهاتف على ركبتها، لإخفاء ضوئه.

– "لدي بضعة أشياء لأخبارك بها. لقد تحدثت إلى سي. بي. أوكدين."

قال سترايك:

– "آه."

نظرًا لأن أوكدين بدا مهتمًا بشكل أساسي بسترايك، ولأن سترايك شك في أن أوكدين يسجل مكالماته، اتفق المحققان على أن روبن هي من يجب أن تحذره من الاقتراب من القضية.

– "لم يعجبه ذلك. كان هناك الكثير من «إنه بلد حر»، و«يحق لي التحدث إلى أي شخص أريد». قلت له: «محاولة الدخول قبلنا والتحدث إلى الشهود قد تعيق تحقيقنا». قال، بصفته كاتب سيرة ذا خبرة –"

قال سترايك بصوت خافت:

– "أوه، ليذهب للجحيم."

– "– فهو يعرف كيف يستجوب الناس للحصول على معلومات منهم، وقد تكون فكرة جيدة لنا نحن الثلاثة أن نجمع مواردنا."

– "أجل. هذا بالضبط ما تحتاجه هذه الوكالة، محتال مدان على كشوف المرتبات. كيف تركتِ الأمر؟"

– "حسنًا، أستطيع القول إنه يريد حقًا مقابلتك وأعتقد أنه مصمم على حجب كل ما يعرفه عن برينر حتى يواجهك وجهًا لوجه. يريد الاحتفاظ ببرينر كطعم."

مد سترايك يده لسيجارة أخرى.

– "لست متأكدًا أن برينر يستحق سي. بي. أوكدين."

– "حتى بعد ما قالته جانيس؟"

أخذ سترايك سحبة من السيجارة، ثم نفث الدخان خارج النافذة، بعيدًا عن روبن.

– "أقر لك، برينر يبدو أكثر ريبة بكثير الآن مما كان عليه عندما بدأنا البحث، لكن ما هي احتمالات أن أوكدين لديه معلومات مفيدة فعليًا؟ كان طفلاً عندما حدث كل هذا وسرقة ذلك النعي تفوح منها رائحة رجل يحاول تلفيق أشياء ليقولها، بدلاً من –"

سمع حفيفًا بجانبه والتفت ليرى روبن تفتح حقيبتها. لدهشته الطفيفة، كانت روبن تسحب دفتر ملاحظات تالبوت مرة أخرى.

قال سترايك، محاولاً ألا يبدو نافد الصبر:

– "لا تزالين تحملين ذلك معك، هاه؟"

قالت روبن:

– "يبدو أنني أفعل."

حركت هاتفها المحمول إلى لوحة القيادة لتتمكن من فتح الكتاب في حجرها. مراقبًا الهاتف، رأى سترايك رسالة نصية ثانية تصل، مضيئة الشاشة، وهذه المرة، لمح الاسم: موريس.

سأل سترايك، وحتى لأذنيه، بدا السؤال انتقاديًا:

– "عما يراسلك موريس؟"

قالت روبن، التي كانت تقلب صفحات دفتر تالبوت:

– "لا شيء. إنه يشعر بالملل فقط، جالسًا خارج منزل صديق الآنسة جونز. أريد أن أريك شيئًا. هناك، انظر إلى ذلك."

مررت له الكتاب، مفتوحًا على صفحة تذكرها سترايك من فحصه الخاص للملاحظات. كانت قريبة من نهاية الدفتر، حيث كانت الصفحات مزخرفة بكثافة برسومات غريبة. في وسط هذه الصفحة رقص هيكل عظمي أسود يحمل منجلاً.

قالت روبن:

– "تجاهل كل رسومات التاروت الغريبة. انظر هناك، رغم ذلك. تلك الجملة بين ساقي الهيكل العظمي. الرمز الصغير، الدائرة التي بداخلها صليب، يرمز لـ «سهم السعادة» (Part of Fortune)..."



– "ماذا يعني ذلك؟"

– "إنها نقطة في الطالع الفلكي يُفترض أن تتعلق بالنجاح الدنيوي. «سهم السعادة في البيت الثاني، المال والممتلكات». و«منزل الأم»، تحته خط. آل

أوكدين عاشوا في شارع «فورتشن» (الحظ/الثروة)، أتذكر؟ وكان سهم السعادة في بيت المال والممتلكات عندما اختفت مارغو، وهو يربط ذلك بحقيقة أن دوروثي ورثت منزل والدتها، ويقول إن ذلك لم يكن مأساة، بل ضربة حظ لدوروثي."

سأل سترايك، فاركًا عينيه المتعبتين:

– "هل تعتقدين ذلك؟"

– "نعم، لأن انظر، يبدأ بعد ذلك في الهذيان حول برج العذراء (Virgo) – وهو برج دوروثي في كلا النظامين – كونها تافهة ولديها دافع خفي، وهو ما يتناسب مع ما نعرفه عنها. على أية حال،" قالت روبن، "كنت أنظر في تواريخ الميلاد، وخمن ماذا؟ في ظل كل من النظام التقليدي ونظام شميدت، كانت والدة دوروثي من برج العقرب (Scorpio)."

– "بحق المسيح، كم عدد العقارب الذين سنجدهم؟"

قالت روبن، غير منزعجة:

– "أعرف ما تعنيه، لكن مما قرأته، العقرب هو أحد أكثر أبراج الميلاد شيوعًا. على أية حال، هذا هو الجزء المهم: كارل أوكدين ولد في السادس من أبريل. هذا يعني أنه حمل (Aries) في النظام التقليدي، لكنه حوت (Pisces) في نظام شميدت."

ساد صمت قصير.

سأل سترايك:

– "كم كان عمر أوكدين عندما سقطت جدته من على الدرج؟"

– "أربعة عشر عامًا."

أدار سترايك وجهه بعيدًا عن روبن لينفث الدخان خارج النافذة مرة أخرى.

– "تظنين أنه دفع جدته، هاه؟"

– "ربما لم يكن متعمدًا. ربما دفعها أثناء مروره وفقدت توازنها."

– "«مارغو واجهت الحوت». سيكون شيئًا فظيعًا أن تتهم طفلاً بـ–"

– "ربما لم تواجهه على الإطلاق. المواجهة ربما كانت شيئًا اشتبه فيه تالبوت، أو تخيله. في كلتا الحالتين –"

– "– إنه أمر موحٍ، نعم. إنه موحٍ..." أطلق سترايك أنينًا خفيفًا. "سنضطر لمقابلة أوكدين اللعين، أليس كذلك؟ هناك بؤرة ساخنة تتشكل حول تلك المجموعة الصغيرة، أليس كذلك؟ برينر وآل أوكدين، احترام ظاهري –"

– "– وسم داخلي. أتذكر؟ هذا ما قالته أونا كينيدي عن دوروثي."

جلس المحققان للحظة أو اثنتين، يراقبان باب إلينور دين الأمامي، الذي ظل مغلقًا، وحديقتها المظلمة صامتة وساكنة.

سألت روبن:

– "كم عدد جرائم القتل، في رأيك، التي تمر دون اكتشاف؟"

– "الدليل في السؤال، أليس كذلك؟ «دون اكتشاف» – من المستحيل المعرفة. لكن نعم، إنها تلك الوفيات المنزلية الهادئة التي تتساءل عنها. أشخاص ضعفاء يتم التخلص منهم من قبل عائلاتهم، والجميع يعتقد أنه كان سوء صحة –"

– "– أو رحمة أنهم ذهبوا،" قالت روبن.

قال سترايك:

– "بعض الوفيات رحمة."

ومع هذه الكلمات، ارتفعت صورة للرعب في عين عقل كل منهما. كان سترايك يتذكر جثة الرقيب غاري توبلي، الملقاة على الطريق المغبر في أفغانستان، وعيناه مفتوحتان على آخرهما، وجسده مفقود من الخصر لأسفل. تكررت الرؤية في كوابيس سترايك منذ رآها، وأحيانًا، في هذه الأحلام، كان غاري يتحدث إليه، ملقى في الغبار. كان دائمًا من المريح تذكر، عند الاستيقاظ، أن وعي غاري قد انطفأ على الفور، وأن عينيه المفتوحتين وتعبيره المحير أظهرا أن الموت قد طالبه قبل أن يتمكن دماغه من تسجيل العذاب أو الرعب.

لكن في عقل روبن كانت هناك صورة لشيء لم تكن متأكدة من حدوثه قط. كانت تتخيل مارغو بامبورو مقيدة بمشعاع (*أجلد وجهها وثدييها*)، تتوسل من أجل حياتها (*الاستراتيجية شفافة بشكل مضحك*)، وتعاني من العذاب (*يمكن رفعه إلى نشوة من الألم، وعندها كان يعرف أنه حي، ووقف مرتجفًا على حافة الهاوية، يتوسل، يصرخ، يتضرع للرحمة*).

قالت روبن، متحدثة جزئيًا لكسر الصمت وتبديد تلك الصورة الذهنية:

– "أتعرف، أود حقًا العثور على صورة لوالدة دوروثي، مود."

– "لماذا؟"

– "للتأكيد، لأن – لا أعتقد أنني أخبرتك، انظر..."

قلبت الصفحات للخلف في الدفتر إلى الصفحة المليئة بعلامات الماء. بخط صغير أسفل صورة لعقرب كانت الكلمات *"شامة (Mole) (آدامز)"* .

سأل سترايك:

– "هل هذا برج جديد؟ الخلد (Mole)؟"

قالت روبن مبتسمة:

– "لا، يلمح تالبوت إلى حقيقة أن المنجمة إيفانجلين آدامز قالت إن العقرب الحقيقي غالبًا ما يكون لديه وحمة، أو شامة (Mole) بارزة. لقد قرأت كتابها، حصلت عليه مستعملاً."

ساد صمت.

قال سترايك، لأن روبن كانت تنظر إليه بترقب:

– "ماذا؟"

– "كنت أنتظرك لتسخر."

قال سترايك:

– "فقدت الرغبة في السخرية منذ فترة. هل تدركين أنه من المفترض بنا أن نكون قد حللنا هذه القضية في غضون أربعة عشر أسبوعًا تقريبًا؟"

تنهدت روبن:

– "أعرف."

التقطت هاتفها المحمول للتحقق من الوقت، ومن زاوية عينه، رأى سترايك رسالة نصية أخرى من موريس.

– "حسنًا، سنقابل بنات بايليس لاحقًا. ربما يكون لديهن شيء مفيد ليخبرننا به... هل أنت متأكد أنك تريد مقابلتهن معي؟ سأكون بخير للقيام بذلك وحدي. ستكون متعبًا حقًا بعد الجلوس هنا طوال الليل."

– "سأنام في القطار إلى ترورو بعد ذلك. هل لديك أي خطط لأحد عيد الفصح؟"

– "لا. أرادت أمي مني العودة للمنزل لكن..."

تساءل سترايك عما كانت التتمة الصامتة للجملة، وعما إذا كانت قد وضعت خططًا مع شخص آخر، ولم ترد إخباره بذلك. موريس، على سبيل المثال.

قالت روبن:

– "حسنًا، أقسم أن هذا آخر شيء سأطرحه من دفتر تالبوت، لكنني أريد التنبيه لشيء قبل أن نقابل آل بايليس."

– "تفضلي."

– "أنت قلت بنفسك، إنه بدا عنصريًا، من ملاحظاته."

اقتبس سترايك:

– "«شبح أسود»، نعم."

– "و«ليليث القمر الأسود» –"

– "– والتساؤل عما إذا كانت ساحرة."

قالت روبن:

– "بالضبط. أعتقد أنه ضايقها حقًا، وربما العائلة أيضًا. اللغة التي يستخدمها لويلما – «فظة»، «غير شريفة»..." قلبت روبن الصفحات عائدة للصفحة التي تضم الأبراج الثلاثة ذات القرون، "و«المرأة كما هي الآن في هذا الدهر... مسلحة ومحاربة»."

– "ساحرة نسوية راديكالية."

– "وهو ما يبدو رائعًا جدًا عندما تقوله، لكن لا أعتقد أن تالبوت قصده بهذه الطريقة."

– "تظنين أن هذا هو سبب عدم رغبة البنات في التحدث إلينا؟"

– "ربما. لذا أعتقد أننا بحاجة لأن نكون... كما تعلم. حساسين لما قد يكون حدث. بالتأكيد لا ندخل هناك ونحن نبدو وكأننا نشتبه في ويلما بأي شيء."

– "نقطة وجيهة، ومأخوذة في الاعتبار."

تنهدت روبن وهي تعيد دفتر الملاحظات إلى حقيبتها:

– "حسنًا إذن. من الأفضل أن أتحرك... ماذا يفعل هناك؟" سألت بهدوء، ناظرة إلى باب إلينور دين الأمامي.

– "يعتقد باركلي أنه قد يكون ولعًا بالمطاط."

– "سيحتاج للكثير من بودرة التلك ليحشر نفسه في أي شيء مصنوع من المطاط، بحجم تلك البطن."

ضحك سترايك.

– "حسنًا، سأراكِ خلال..." تحققت روبن من الوقت على هاتفها، "سبع ساعات وخمس وأربعين دقيقة."

قال سترايك:

– "نومًا هنيئًا."

بينما كانت تبتعد عن الـ "بي إم دبليو"، رآها سترايك تنظر إلى هاتفها المحمول مرة أخرى، بلا شك تقرأ رسائل موريس. راقبها وهي تصعد إلى سيارة اللاند روفر القديمة، ثم تدير المركبة الشبيهة بالدبابة في منعطف ثلاثي النقاط، رافعة يدها مودعة وهي تمر به، متجهة عائدة إلى إيرلز كورت.

بينما كان سترايك يمد يده لترمس الشاي تحت مقعده، تذكر موعد طبيب الأسنان المزعوم في اليوم الآخر، الذي بدت روبن مضطربة بشأنه بشكل غريب، والذي حدث (رغم أن سترايك لم يربط بين الأمرين سابقًا) في يوم إجازة موريس بعد الظهر. عبر احتمال غير مرحب به بالمرة عقله: *هل كذبت روبن، مثل إيرين هيكسون، ولنفس السبب؟* قفز عقله إلى ما قالته روبن قبل بضعة أشهر، عندما ذكرت أن زوجها السابق لديه شريكة جديدة: *"أوه، لم أخبرك، أليس كذلك؟ أخبرت موريس."*

بينما كان يفك غطاء الترمس، راجع سترايك ذهنيًا سلوك روبن حول موريس في الأشهر القليلة الماضية. لم يبدُ عليها أبدًا أنها تحبه بشكل خاص، لكن هل كان ذلك تمثيلاً، مصممًا لصرف الانتباه؟ هل كانت شريكته ومتعاقده في علاقة فعلية فشل هو، المشغول بمشاكله الخاصة، في رصدها؟

صب سترايك الشاي لنفسه، واستقر مرة أخرى في مقعده، وعبس في وجه باب إلينور دين المغلق من خلال البخار المتصاعد من الشاي الذي بطعم البلاستيك ولون الطين. كان غاضبًا، أخبر نفسه، لأنه كان يجب أن يضع قاعدة عمل تمنع الشركاء من مواعدة المتعاقدين، ولسبب آخر فضل عدم فحصه، لأنه كان يعرف تمامًا ما هو، ولن يأتي أي خير من التفكير فيه.

53

كثلاثة فروع جميلة تبرعمت بعيدًا وعلى نطاق واسع،
استمدت عصارة حياتها من جذر واحد:
وكذلك كانت أمهن، مثل ذلك الجذر
الذي يقسم حياتها...

إدموند سبنسر ملكة الجن

بعد سبع ساعات، وفي ضوء النهار البارد والمسطح لصباح ملبد بالغيوم، أخذت روبن، التي عادت لسيارتها اللاند روفر، منعطفًا في طريقها إلى المقهى حيث ستلتقي هي وسترايك ببنات بايليس الثلاث.

عندما اقترحت مايا، الأخت الوسطى، اللقاء في مقهى "بليجيك" (Belgique) في وانستيد، أدركت روبن مدى قرب المسافة التي ستقودها من "المسطحات" (Flats) حيث تخلص دينيس كريد من ضحيته الثانية قبل الأخيرة المعروفة، مصففة الشعر البالغة من العمر سبعة وعشرين عامًا، سوزان ماير.

قبل نصف ساعة من موعد المقابلة المخطط لها، أوقفت روبن اللاند روفر بجانب صف من المتاجر على طريق "ألديرزبروك"، ثم عبرت الشارع وتوجهت صعودًا في ممر مشاة قصير، قادها إلى الضفة المليئة بالقصب لبحيرة "ألكسندرا" الاصطناعية، وهي امتداد واسع من المياه تطفو عليه طيور مائية متنوعة. جاءت بطتان تجدفان بأمل نحو روبن، لكن عندما فشلت في إخراج خبز أو مكافآت أخرى،

انزلقتا مبتعدتين مرة أخرى، مدمجتين، مكتفيتين ذاتيًا، وعيونهما العقيقية تمسح كلاً من الماء والضفة بحثًا عن إمكانيات أخرى.

قبل تسعة وثلاثين عامًا، قاد دينيس كريد إلى هذه البحيرة تحت جنح الليل، ودحرج جثة سوزان ماير مقطوعة الرأس واليدين فيها، ملفوفة في بلاستيك أسود وحبل. قصة شعر سوزان ماير المميزة وابتسامتها الخجولة أكسبتها مكانًا بارزًا على غلاف *شيطان حديقة الفردوس*.

بدت السماء الحليبية معتمة مثل البحيرة الضحلة، التي تشبه حرير اليشم الذي صنعت فيه الطيور المائية المنزلقة تجاعيد متموجة. ويداها في جيوبها، نظرت روبن عبر الماء والأعشاب الحفيفة، محاولة تخيل المشهد عندما رصد عامل في الحديقة الجسم الأسود في الماء، والذي افترض في البداية أنه قماش مشمع منتفخ بالهواء، حتى علقه بعصا طويلة، وشعر بالوزن المروع وأقام صلة فورية (أو هكذا أخبر طاقم التلفزيون الذي وصل بعد وقت قصير من الشرطة والإسعاف) بالجثث التي استمرت في الظهور في غابة إيبينغ، على بعد عشرة أميال بالكاد.

كان كريد قد اختطف سوزان قبل شهر بالضبط من اختفاء مارغو. هل تداخلتا في قبو كريد؟ إذا كان الأمر كذلك، فإن كريد، لفترة وجيزة، احتجز ثلاث نساء هناك في وقت واحد. فضلت روبن عدم التفكير فيما لابد أن أندريا، أو مارغو، إذا كانت هناك، قد شعرت به عند سحبها إلى قبو كريد، ورؤية امرأة زميلة مقيدة هناك، ومعرفة أنها، أيضًا، ستتحول إلى تلك الحالة الهزيلة ومكسورة العظام قبل أن تموت.

كانت أندريا هوتون آخر امرأة يُعرف أن كريد قد قتلها، وقد غير النمط عندما تعلق الأمر بالتخلص من جثتها، قاطعًا ثمانين ميلاً من منزله في طريق ليفربول لرمي الجثة من "بيتشي هيد". كانت كل من غابة إيبينغ ومسطحات وانستيد قد أصبحت تحت حراسة مشددة للغاية بحلول ذلك الوقت، ورغم رغبة كريد الواضحة في التأكد من نسب كل عملية قتل إلى "سفاح إسيكس"، كما يتضح من المخزون السري لقصاصات الصحف التي احتفظ بها تحت ألواح الأرضية في شقة القبو الخاصة به، إلا أنه لم يرد أبدًا أن يتم القبض عليه.

تحققت روبن من ساعتها: حان وقت التوجه لمقابلة أخوات بايليس. سارة عائدة إلى اللاند روفر، تأملت في الحد الفاصل بين الحياة الطبيعية والجنون. ظاهريًا، كان كريد أكثر عقلانية بكثير من بيل تالبوت. لم يترك كريد أي خربشات نصف مجنونة خلفه لتفسير عمليات تفكيره؛ لم يخطط أبدًا لمسار الكويكبات لترشده: مقابلاته مع الأطباء النفسيين والشرطة كانت واضحة تمامًا. لم يكن لكريد الإيمان بالعلامات والرموز، ولا لغة سرية لا يفك شفرتها إلا المبتدئون، ولا ملاذ في الغموض أو السحر. كان دينيس كريد مخططًا دقيقًا، وعبقريًا في التضليل في شاحنته البيضاء الصغيرة الأنيقة، مرتديًا المعطف الوردي الذي سرقه من فاي كوبر، وأحيانًا يرتدي شعرًا مستعارًا، والذي من مسافة بعيدة، لضحية ثملة، أعطى هيئته الضبابية مظهرًا أنثويًا لفترة كافية فقط لتغلق يداه الكبيرتان على فم يلهث.

عندما وصلت روبن إلى الشارع الذي يقع فيه المقهى، رصدت سترايك يخرج من سيارته الـ "بي إم دبليو" على مسافة قصيرة من المدخل. ملاحظًا اللاند روفر بدوره، رفع سترايك يدًا للتحية وتوجه صعودًا في الشارع نحوها، بينما ينهي ما بدا وكأنه "ماك مافن" بالبيض واللحم المقدد، وذقنه خشنة، والهالات تحت عينيه أرجوانية.

كانت أولى الكلمات التي نطق بها، وهو يتحقق من ساعته بينما تنزل روبن من السيارة وتصفق الباب:

– "هل لدي وقت لسيجارة؟"

أجاب نفسه بتنهيدة:

– "لا. آه حسنًا..."

قال لروبن، وهما يتجهان معًا نحو المقهى:

– "يمكنكِ تولي قيادة هذه المقابلة. لقد قمتِ بكل العمل الميداني. سأدون الملاحظات. ذكريني ما هي أسماؤهن؟"

– "إيدن هي الكبرى. إنها مستشارة عن حزب العمال من لويشام. مايا هي الوسطى، وهي نائبة مديرة مدرسة ابتدائية. الصغرى هي بورشيا داغلي، وهي أخصائية اجتماعية –"

– "– مثل والدتها –"

– "بالضبط، وتعيش في الشارع المجاور من هنا. أعتقد أننا جئنا إلى منطقتها لأنها كانت مريضة، لذا لم ترد الأخريات أن تضطر للسفر."

دفعت روبن باب المقهى وقادت الطريق للداخل. كان التصميم الداخلي حديثًا وأنيقًا، بمنضدة منحنية، وأرضية خشبية وجدار برتقالي زاهٍ مميز. بالقرب من الباب على طاولة لستة أشخاص جلست ثلاث نساء سوداوات. وجدت روبن من السهل تحديد أي أخت هي، بسبب الصور التي رأتها على صفحات فيسبوك العائلية، وعلى موقع مجلس لويشام.

إيدن، المستشارة، جلست وذراعاها معقودتان، وقصة شعرها القصيرة المتموجة (bob) تلقي بظلالها على معظم وجهها، بحيث لم يكن مرئيًا بوضوح سوى فم بلون البرقوق مرسوم بعناية وغير مبتسم. كانت ترتدي سترة سوداء مفصلة جيدًا وسلوكها يوحي بسيدة أعمال قوطعت أثناء اجتماع مهم.

مايا، نائبة المديرة، كانت ترتدي سترة زرقاء بلون زهرة الذرة وجينز. صليب فضي صغير يتدلى حول عنقها. كانت أصغر حجمًا من إيدن، والأكثر دكنة في البشرة، وفي رأي روبن، الأجمل بين الأخوات. شعرها الطويل المجدول كان مربوطًا للخلف في ذيل حصان كثيف، وكانت ترتدي نظارة مربعة الإطار فوق عينيها الكبيرتين والمتباعدتين وفمها الممتلئ، بزواياه المائلة للأعلى بشكل طبيعي، كان ينقل الدفء. حقيبة يد جلدية كانت تجلس في حجر مايا، وكانت تقبض عليها بكلتا يديها وكأنها خائفة من أن تهرب لولا ذلك.

بورشيا، الأخت الصغرى والأخصائية الاجتماعية، كانت أيضًا الأثقل وزنًا. كان شعرها مقصوصًا تقريبًا حتى جمجمتها، بلا شك بسبب علاجها الكيميائي الأخير. كانت قد رسمت حاجبيها اللذين بدآ للتو في النمو مرة أخرى؛ تقوسا فوق عينين عسليتين تلمعان بالذهب مقابل بشرتها. كانت بورشيا ترتدي سترة فضفاضة أرجوانية مع جينز وأقراط خرزية طويلة، تتأرجح مثل ثريات مصغرة وهي تنظر حولها إلى سترايك وروبن. بينما اقتربا من الطاولة رصدت روبن وشمًا صغيرًا على مؤخرة عنق بورشيا: الرمح الثلاثي من علم باربادوس. عرفت روبن أن إيدن ومايا كلتيهما

تجاوزتا الخمسين، وأن بورشيا في التاسعة والأربعين، لكن الأخوات الثلاث كان يمكن أن يمررن كأصغر بعشر سنوات على الأقل من أعمارهن الحقيقية.

عرفت روبن بنفسها وبسترايك. تم تبادل المصافحات، وإيدن غير مبتسمة طوال الوقت، وجلس المحققان، سترايك على رأس الطاولة، وروبن بينه وبين بورشيا، تواجه مايا وإيدن. الجميع ما عدا إيدن تبادلوا حديثًا صغيرًا متكلفًا عن المنطقة المحلية والطقس، حتى جاء النادل لأخذ طلبهم. بمجرد مغادرته، قالت روبن:

– "شكرًا جزيلاً لمقابلتنا، نحن نقدر ذلك حقًا. هل تمانعن لو قام كورموران بتدوين ملاحظات؟"

هزت مايا وبورشيا رأسيهما بالنفي. سحب سترايك مفكرته من جيب معطفه وفتحها.

بدأت روبن:

– "كما قلت على الهاتف، نحن نسعى حقًا وراء المعلومات الخلفية، لبناء صورة كاملة لحياة مارغو بامبورو في الأشهر –"

قاطعتها إيدن:

– "هل يمكنني طرح بضعة أسئلة؟"

قالت روبن بأدب، رغم أنها توقعت متاعب:

– "بالطبع."

أزاحت إيدن شعرها عن وجهها، كاشفة عن عينين سوداوين كالأبنوس.

– "هل تعلمان أن هناك رجلاً يتصل بكل من كان له صلة بسانت جون، قائلاً إنه سيكتب كتابًا عنكما وأنتم تحققون في اختفاء بامبورو؟"

تبًا، فكرت روبن.

سأل سترايك:

– "هل هذا رجل يدعى أوكدن؟"

– "لا، كارل برايس."

– "إنه نفس الشخص."

– "هل أنتما مرتبطان به أم –"

– "لا،" قال سترايك، "وأنصحكن بشدة بعدم التحدث إليه."

قالت إيدن ببرود:

– "أجل، استنتجنا ذلك بأنفسنا. لكن هذا يعني أنه ستكون هناك دعاية، أليس كذلك؟"

نظرت روبن إلى سترايك، الذي قال:

– "إذا قمنا بحل القضية، ستكون هناك دعاية حتى بدون أوكدين – أو برايس، أو أيًا كان ما يسمي نفسه هذه الأيام – لكن هذه «إذا» كبيرة. لنكن صرحاء، الاحتمالات هي أننا لن نحلها، وفي هذه الحالة أعتقد أن أوكدين سيجد صعوبة كبيرة في بيع أي كتب، وأيًا كان ما ستخبرننا به لن يذهب أبعد من ذلك."

سألت بورشيا، مائلة للأمام، لتتمكن من النظر عبر روبن إلى سترايك:

– "ماذا لو كنا نعرف شيئًا قد يساعدكم في حل القضية، مع ذلك؟"

ساد توقف لامتناهي الصغر شعرت فيه روبن تقريبًا باهتمام سترايك يزداد حدة، جنبًا إلى جنب مع اهتمامها.

أجاب سترايك ببطء:

– "يعتمد على ماهية تلك المعلومة. قد يكون من الممكن عدم الكشف عن مصدرها، لكن إذا كان المصدر مهمًا للحصول على إدانة..."

ساد صمت طويل. بدا الهواء بين الأخوات مشحونًا بتواصلات صامتة.

قالت بورشيا أخيرًا، بنبرة استفهامية:

– "حسنًا؟"

تمتمت مايا لإيدن، التي استمرت في الجلوس في صمت، وذراعاها معقودتان:

– "لقد قررنا ذلك."

قالت إيدن، بنبرة "لا تلوموني لاحقًا":

– "حسنًا، لا بأس."

مدت نائبة المديرة يدها بشرود للصليب الفضي الصغير حول عنقها، وأمسكت به وهي تبدأ في الكلام.

قالت:

– "أحتاج لشرح القليل من الخلفية، أولاً. عندما كنا أطفالاً – إيدن وأنا كنا بالفعل مراهقتين، لكن بورشيا كانت في التاسعة فقط –"

صححتها بورشيا:

– "الثامنة."

قالت مايا بطاعة:

– "الثامنة، أُدين والدنا بـ – بالاغتصاب وأرسل إلى السجن."

قالت إيدن:

– "لكنه لم يفعلها، رغم ذلك."

مدت روبن يدها تلقائيًا لكوب قهوتها وأخذت رشفة، لتخفي وجهها.

قالت إيدن، مراقبة روبن:

– "لم يفعل، مفهوم؟ كان لديه صديقة بيضاء لبضعة أشهر. كليركينويل كلها كانت تعرف. شوهدا معًا في الحانات في كل مكان. حاول إنهاء العلاقة، وادعت هي الاغتصاب."

تقلصت معدة روبن وكأن الأرض قد مالت. أرادت بشدة أن تكون هذه القصة غير صحيحة. فكرة كذب أي امرأة بشأن الاغتصاب كانت بغيضة لها. كان عليها التحدث عبر كل لحظة من اعتدائها الخاص في المحكمة. مغتصبها وقاتلها المحتمل ذو الصوت الناعم والبالغ من العمر ثلاثة وخمسين عامًا اعتلى المنصة بعد ذلك ليشرح لهيئة المحلفين كيف دعته روبن البالغة من العمر عشرين عامًا إلى بئر سلم سكنها الجامعي للجنس. في روايته، كان كل شيء بالتراضي: همست بأنها تحب الأمر عنيفًا، مما فسر الكدمات الشديدة حول رقبتها، استمتعت بالأمر لدرجة أنها طلبت منه العودة في الليلة التالية، ونعم (بضحكة صغيرة في قفص الاتهام)، بالطبع فوجئ، فتاة شابة مهذبة الحديث مثلها، تتقرب منه هكذا، من العدم...

قالت إيدن:

– "شيء سهل لامرأة بيضاء أن تفعله لرجل أسود، خاصة في عام 1972. كان لدى أبي سجل بالفعل، لأنه دخل في شجار قبل ذلك ببضع سنوات. سُجن لخمس سنوات."

قال سترايك، غير ناظر لروبن:

– "لابد أن الأمر كان صعبًا على العائلة."

قالت مايا:

– "كان كذلك. صعبًا جدًا. الأطفال الآخرون في المدرسة... حسنًا، أنتم تعرفون كيف هم الأطفال..."

قالت بورشيا:

– "كان أبي يجلب معظم المال. كنا خمسة، وأمي لم تحصل على الكثير من التعليم. قبل اعتقال أبي، كانت تدرس، تحاول اجتياز بعض الامتحانات، لتحسين وضعها. كنا بالكاد نتدبر أمورنا بينما كان أبي يجلب أجرًا، لكن بمجرد ذهابه، كافحنا."

قالت مايا:

– "تزوجت أمنا وأختها من أخوين. تسعة أطفال بينهما. كانت العائلتان قريبتين جدًا، حتى اعتقال أبي – لكن بعد ذلك تغير كل شيء. عمي ماركوس ذهب للمحكمة كل يوم بينما كان أبي يُحاكم، لكن أمي رفضت الذهاب وعمي ماركوس كان غاضبًا جدًا منها."

قالت إيدن بحدة:

– "حسنًا، عرف أنه كان سيحدث فرقًا كبيرًا، لو رأى القاضي أن أبي لديه العائلة متحدة خلفه. أنا ذهبت. تهربت من المدرسة لأذهب. كنت أعلم أنه بريء."

قالت بورشيا، رغم أن نبرتها كانت بعيدة كل البعد عن التهنئة:

– "حسنًا، جيد لكِ، لكن أمي لم ترغب في الجلوس في محكمة علنية تستمع لزوجها يتحدث عن عدد المرات التي مارس فيها الجنس مع صديقته –"

قالت إيدن بفظاظة:

– "تلك المرأة كانت حثالة."

قالت بورشيا، بلكنة باربادوسية:

– "الماء القذر يبرد الحديد الساخن (يعني أن الحاجة تبرر الوسيلة أحيانًا). كان خياره."

قالت مايا بسرعة:

– "لذا، على أية حال، صدق القاضي المرأة، وسُجن أبي. لم تذهب أمي لزيارته في الداخل أبدًا، ولم تأخذني أو بورشيا أو إخوتنا، أيضًا."

تحدثت إيدن مرة أخرى:

– "أنا ذهبت. جعلت العم ماركوس يأخذني. كان لا يزال والدنا. لم يكن لأمي الحق في منعنا من رؤيته."

تابعت مايا، قبل أن تتمكن بورشيا من قول أي شيء:

– "أجل، لذا، أرادت أمي الطلاق، لكن لم يكن لديها مال للمشورة القانونية. لذا وضعتها الدكتورة بامبورو على اتصال مع هذه المحامية النسوية، التي كانت تقدم مساعدة قانونية للنساء في الظروف الصعبة، مقابل رسوم مخفضة. عندما أخبر العم ماركوس أبي أن أمي تمكنت من الحصول على محامٍ، كتب لها أبي من السجن، يتوسل إليها لتغيير رأيها. قال إنه وجد الله، وأنه يحبها وأنه تعلم درسه وكل ما يريده هو عائلته."

أخذت مايا رشفة من قهوتها.

– "بعد حوالي أسبوع من تلقي أمي لرسالة أبي، كانت تنظف غرفة استشارات الدكتورة بامبورو ذات مساء بعد مغادرة الجميع، ولاحظت شيئًا في سلة المهملات."

فتحت مايا حقيبة اليد التي كانت تمسك بها في حجرها، وأخرجت ورقة زرقاء شاحبة مجعدة بشدة، كان من الواضح أنها كورت في شكل كرة في وقت ما في الماضي. مدتها لروبن، التي بسطتها على الطاولة ليتمكن سترايك من قراءتها أيضًا.

كان خط اليد الباهت مزيجًا مميزًا من الأحرف الكبيرة والصغيرة.

اتركي فتاتي وشأنها أيتها العاهرة أو سأحرص على أن تذهبي إلى الجحيم ببطء وبألم.

نظرت روبن جانبيًا إلى سترايك ورأت دهشتها، التي بالكاد أخفتها، منعكسة هناك. قبل أن يتمكن أي منهما من قول أي شيء، مرت مجموعة من الشابات بطاولتهم، مجبرات سترايك على سحب كرسيه للداخل. تدردشن وتضحكن، جلست النساء على الطاولة خلف مايا وإيدن.

قالت مايا، متحدثة بصوت أهدأ لكي لا تسمعها القادمات الجدد:

– "عندما قرأت أمي ذلك، ظننت أن أبي أرسلها. ليس حرفيًا، لأن رقيب السجن لم يكن ليسمح بخروج ذلك أبدًا – ظننت أن شخصًا ما فعل ذلك نيابة عنه."

قالت إيدن، عاقدة ذراعيها وتعبير وجهها متجهم:

– "تحديدًا، العم ماركوس. العم ماركوس، الذي كان واعظًا علمانيًا ولم يستخدم الكلمة البذيئة في حياته."

قالت مايا، متجاهلة هذه المقاطعة:

– "أخذت أمي الملاحظة إلى منزل العم ماركوس والعمة كارمن، وسألت ماركوس مباشرة عما إذا كان وراءها. أنكر ذلك، لكن أمي لم تصدقه. كان ذكر الجحيم: ماركوس كان واعظًا من نوع «النار والكبريت» في ذلك الوقت –"

قالت بورشيا:

– "– ولم يصدق أن أمي تريد الطلاق حقًا. ألقى باللوم على الدكتورة بامبورو لإقناع أمي بترك أبي، لأنه، كما تعلمون، أمي احتاجت حقًا لامرأة بيضاء لتشير إلى أن حياتها كانت قذرة . لم تكن لتلاحظ ذلك لولاها."

قالت إيدن فجأة:

– "سأذهب لتدخين سيجارة، حسنًا؟"

دفعت نفسها للأعلى وخرجت، وكعباها يقرعان على ألواح الأرضية الخشبية.

بدا أن الشقيقتين الأصغر تنفستا الصعداء برحيلها.

أخبرت مايا سترايك وروبن بهدوء، مراقبة عبر النافذة بينما كانت إيدن تخرج علبة سجائر "سيلك كات"، وتنفض شعرها عن وجهها وتشعل لنفسها سيجارة:

– "كانت المفضلة لدى أبي. أحبته حقًا، حتى لو كان زير نساء."

قالت بورشيا:

– "ولم تنسجم أبدًا مع أمي. شجاراتهما كانت لتوقظ الموتى."

قالت مايا:

– "للانصاف، انفصالهما ضرب إيدن بقوة أكبر. تركت المدرسة في السادسة عشرة، وحصلت لنفسها على وظيفة في «ماركس آند سبنسر» للمساعدة في الدعم –"

قالت بورشيا:

– "أمي لم تردها أبدًا أن تترك المدرسة. كان ذلك خيار إيدن. تحب إيدن الادعاء بأنها ضحت من أجل العائلة، لكن بالله عليكم. لم تكن تطيق الانتظار للخروج من المدرسة، لأن أمي وضعت الكثير من الضغط عليها للحصول على درجات جيدة. تحب الادعاء بأنها كانت أمًا ثانية لنا جميعًا، لكن ليس هكذا أتذكر الأمر. أتذكر في الغالب ضربها لي ضربًا مبرحًا إذا نظرت إليها نظرة خاطئة فقط."

على الجانب الآخر من النافذة، وقفت إيدن تدخن وظهرها لهما.

قالت مايا بحزن:

– "كان الوضع برمته كابوسًا. أمي والعم ماركوس لم يتصالحا أبدًا، ومع كون أمي وكارمن أختين..."

حثت بورشيا مايا:

– "لنخبرهما الآن، بينما لا تستطيع حشر أنفها،" والتفتت لسترايك وروبن وقالت: "العمة كارمن كانت تساعد أمي للحصول على الطلاق، من وراء ظهر العم ماركوس."

سألت روبن، بينما مر نادل بطاولتهم في طريقه لمجموعة النساء على الطاولة المجاورة:

– "كيف؟"

قالت بورشيا:

– "انظر، عندما أخبرت المحامية التي أوصت بها الدكتورة بامبورو أمي بما تتقاضاه، عرفت أمي أنها لن تكون قادرة على تحمل تكلفتها أبدًا، ولا حتى بالأسعار المخفضة."

قالت مايا:

– "عادت أمي للمنزل بعد ذلك وبكت، لأنها كانت يائسة لإنجاز الطلاق والانتهاء منه قبل خروج أبي من السجن. عرفت أنه بخلاف ذلك سينتقل للعيش مرة أخرى وستكون محاصرة. على أية حال، بعد بضعة أيام، سألتها الدكتورة بامبورو كيف سارت الأمور مع المحامية، واعترفت أمي بأنها لن تمضي في الطلاق، لعدم كفاية الأموال، لذا." تنهدت مايا، "عرضت الدكتورة بامبورو دفع تكاليف المحامية، مقابل قيام أمي ببضع ساعات في الأسبوع بتنظيف المنزل في هام."

كانت النساء على الطاولة خلفهم يغازلن النادل الشاب الآن، يتساءلن عما إذا كان الوقت مبكرًا جدًا لكعكة بالكريمة، ويقهقهن حول كسر حميتهن.

قالت مايا:

– "لم تشعر أمي أنها تستطيع الرفض. لكن مع تكاليف الوصول طوال الطريق إلى هام، والوقت الذي سيستغرقه الوصول إلى هناك، بينما كان لديها بالفعل وظيفتان أخريان وامتحانات قادمة..."

خمنت روبن:

– "عمتكما كارمن وافقت على القيام بالتنظيف بدلاً منها."

ومن زاوية عينها رأت سترايك يلقي نظرة عليها.

قالت مايا، وعيناها تتسعان في مفاجأة:

– "أجل. بالضبط. بدا حلاً جيدًا. العمة كارمن كانت ربة منزل وكان العم ماركوس والدكتورة بامبورو كلاهما في العمل طوال اليوم، لذا ظنت أمي أن أياً منهما لن يعرف أبدًا أن المرأة الخطأ كانت تظهر."

قالت بورشيا:

– "كانت هناك لحظة حرجة واحدة، تذكرين يا إم (M)؟ عندما دعتنا الدكتورة بامبورو جميعًا لحفل شواء في منزلها؟" التفتت لروبن. "لم نستطع الذهاب، لأن مربية الدكتورة بامبورو كانت لتدرك أن أمي ليست المرأة التي تظهر مرة في الأسبوع للتنظيف. عمتي كارمن لم تحب تلك المربية،" أضافت بورشيا. "لم تحبها على الإطلاق."

سأل سترايك:

– "لماذا كان ذلك؟"

– "ظننت أن الفتاة كانت تلاحق زوج الدكتورة بامبورو. كانت تحمر خجلاً كل مرة تقول اسمه، على ما يبدو."

فتح باب المقهى ودخلت إيدن. بينما جلست، التقطت روبن نفحة دخان ممتزجة بعطرها.

سألت، وهي تبدو بردانة:

– "إلى أين وصلتم؟"

قالت مايا:

– "تنظيف العمة كارمن بدلاً من أمي."

أعادت إيدن عقد ذراعيها، متجاهلة قهوتها.

قال سترايك:

– "إذن الإفادة التي قدمتها والدتكن للشرطة، حول الدم ورؤية الدكتور فيبس يمشي عبر الحديقة –"

قالت مايا، متلمسة الصليب حول عنقها مرة أخرى:

– "– كانت في الحقيقة هي تخبره بكل ما أخبرتها به كارمن، أجل. لم تستطع الاعتراف بأن أختها كانت تذهب هناك بدلاً منها، لأن عمي ماركوس كان ليجن جنونه لو اكتشف. توسلت العمة كارمن لأمي ألا تخبر الشرطة ووافقت أمي.

"لذا كان عليها التظاهر بأنها هي من رأت الدم على السجادة والدكتور فيبس يمشي عبر العشب."

قاطعت بورشيا، بضحكة خالية من المرح:

– "إلا أن كارمن غيرت رأيها بشأن الدكتور فيبس، لاحقًا. عادت أمي إليها بعد مقابلتها الأولى مع الشرطة وقالت: «إنهم يسألون عما إذا كان من الممكن أنني ارتبكت وأخطأت بين أحد العمال والدكتور فيبس.» قالت كارمن: «أوه. نعم. نسيت أن هناك عمالاً في الخلف. ربما فعلت.»"

أطلقت بورشيا ضحكة قصيرة، لكن روبن عرفت أنها لم تكن مستمتعة حقًا. كانت نفس نوع الضحكة التي لاذت بها روبن، في الليلة التي ناقشت فيها الاغتصاب مع ماكس على طاولة المطبخ.

قالت بورشيا، ملتقية بعين مايا:

– "أعرف أن الأمر ليس مضحكًا، لكن هيا. كارمن كانت دائمًا مشتتة كالجحيم، لكن تظن أنها ربما تأكدت من حقائقها حينها، أليس كذلك؟ كانت أمي مريضة حرفيًا من التوتر، مثل، تتقيأ إذا أكلت أي شيء. وبعد ذلك وجدت تلك العجوز العاهرة السكرتيرة في العمل أمي تعاني من نوبة دوار..."

قالت إيدن، مستعيدة حيويتها فجأة:

– "أجل. الشيء التالي كان، اتهام أمي بكونها لصة وسكيرة وطردتها العيادة. ادعت السكرتيرة العجوز أنها شمت خلسة ترمس أمي وشمت رائحة خمر فيه. تلفيق كامل."

سأل سترايك، وقلمه جاهز فوق مفكرته:

– "كان ذلك بعد بضعة أشهر من اختفاء مارغو بامبورو، أليس كذلك؟"

قالت إيدن بسخرية جليدية:

– "أوه، أنا آسفة، هل خرجت عن الموضوع؟ عودة للسيدة البيضاء المفقودة، أيها الجميع. لا تهتموا بما مرت به المرأة السوداء، من يكترث؟"

بدأ سترايك: "آسف، لم أ –"

ألقت إيدن في وجهه:

– "هل تعرف من هي تيانا ميداني؟"

اعترف:

– "لا."

قالت إيدن:

– "لا، بالطبع لا تعرف بحق الجحيم. بعد أربعين عامًا من اختفاء مارغو بامبورو، ها نحن جميعًا، نهتم بها وأين ذهبت. تيانا ميداني مراهقة سوداء من لويشام. اختفت العام الماضي. كم عدد الصفحات الأولى التي ظهرت عليها تيانا؟ لماذا لم تكن على رأس الأخبار، مثلما كانت بامبورو؟ لأننا لا نساوي نفس القيمة، أليس كذلك، للصحافة أو للشرطة اللعينة؟"

بدا سترايك غير قادر على إيجاد رد مناسب؛ بلا شك، فكرت روبن، لأن نقطة إيدن كانت غير قابلة للجدل. صورة ضحية دينيس كريد السوداء الوحيدة، جاكي أيليت، سكرتيرة وأم لطفل واحد، كانت الأصغر والأقل وضوحًا بين الصور الشبحية بالأبيض والأسود لضحايا كريد على غلاف *شيطان حديقة الفردوس*. ظهرت بشرة جاكي الداكنة بشكل أسوأ على الغلاف الكئيب. أُعطيت الأهمية القصوى لـ جيرالدين كريستي البالغة من العمر ستة عشر عامًا وسوزان ماير البالغة من العمر سبعة وعشرين عامًا، وكلتاهما شاحبة وشقراء.

قالت إيدن بحدة:

– "عندما اختفت مارغو بامبورو، عوملت النساء البيض في عيادتها مثل الخزف الصيني من قبل الشرطة، مفهوم؟ يمسحون دموعهن اللعينة لهن تقريبًا – لكن ليس أمنا. عاملوها مثل محتالة متمرسة. ذلك الشرطي المسؤول، ما كان اسمه _"

اقترحت روبن:

– "تالبوت؟"

– "«ماذا تخفين؟ هيا، أعرف أنكِ تخفين شيئًا»."

ارتفعت الصورة الغامضة لـ "الحبر الأعظم" (The Hierophant) في ذهن روبن. حافظ الأسرار والغموض في تاروت "ثوث" كان يرتدي أردية زعفرانية ويجلس على ثور ("البطاقة تشير إلى برج الثور") وأمامه، بنصف حجمه، وقفت كاهنة سوداء، شعرها مجدول مثل شعر مايا ("أمامه المرأة المتشحة بسيف؛ إنها تمثل

المرأة القرمزية..."). أيهما جاء أولاً، وضع بطاقات التاروت التي تشير إلى السرية والإخفاء، أم غريزة الشرطي بأن ويلما المرعوبة كانت تكذب عليه؟

بدأت إيدن: "عندما استجوبني –"

سأل سترايك بحدة:

– "تالبوت استجوبكِ؟"

قالت إيدن، وأدركت روبن أن عيني إيدن كانتا لامعتين فجأة بالدموع:

– "أجل، جاء إلى «ماركس آند سبنسر» دون سابق إنذار، إلى مكان عملي. شخص آخر في العيادة رأى تلك الملاحظة المجهولة التي تلقتها بامبورو. اكتشف تالبوت أن أبي كان في السجن وسمع أن أمي كانت تنظف للطبيبة. ذهب إلى كل رجل في عائلتنا، متهمًا إياهم بكتابة رسائل التهديد، ثم جاء إلي، طارحًا علي أسئلة غريبة حقًا عن كل أقاربي الذكور، يريد معرفة ما كانوا يفعلونه في تواريخ مختلفة، سائلاً عما إذا كان العم ماركوس يبيت بالخارج كثيرًا. حتى أنه سألني عن –"

سألت روبن:

– "– أبراج والدك والعم ماركوس؟"

بدت إيدن مذهولة.

– "كيف بحق الجحيم عرفتِ ذلك؟"

– "تالبوت ترك دفتر ملاحظات. إنه مليء بكتابات عن التنجيم والسحر. كان يحاول حل القضية باستخدام بطاقات التاروت والتنجيم."

كررت إيدن:

– "تنجيم؟ تنجيم لعين؟"

أخبر سترايك إيدن:

– "لم يكن ينبغي لتالبوت استجوابك دون حضور شخص بالغ. كم كان عمرك، ستة عشر؟"

ضحكت إيدن في وجه المحقق.

– "قد تكون هذه هي الطريقة التي تسير بها الأمور للفتيات البيض، لكننا مختلفون، ألا تستمع؟ نحن صلوبات. نحن قويات. ذلك الهراء السحري،" قالت

إيدن، ملتفتة لروبن، "أجل، هذا منطقي، لأنه سألني عن «أوبياه» (Obeah - سحر شعبي). هل تعرفين ما هو؟"

هزت روبن رأسها.

– "نوع من السحر اعتادوا ممارسته في الكاريبي. نشأ في غرب أفريقيا. ولدنا جميعًا في ساوثوارك، لكن، كما تعلمين، كنا جميعًا وثنيين سودًا للمفتش تالبوت. انفرد بي في الغرفة الخلفية وكان يسألني أشياء عن طقوس تستخدم الدم، عن السحر الأسود. كنت مرعوبة، لم أعرف عما يتحدث. ظننت أنه يقصد أمي والدم على السجادة، ملمحًا أنها تخلصت من الدكتورة بامبورو."

قالت روبن:

– "كان يعاني من انهيار ذهاني. لهذا السبب أبعدوه عن القضية. اعتقد أنه يطارد شيطانًا. لم تكن والدتك المرأة الوحيدة التي اعتقد أنها قد تمتلك قوى خارقة للطبيعة – لكنه كان بالتأكيد عنصريًا،" أضافت روبن بهدوء. "هذا واضح من ملاحظاته."

قالت بورشيا:

– "لم تخبرينا قط عن مجيء الشرطة لـ «ماركس آند سبنسر». لماذا لم تخبرينا؟"

قالت إيدن، مجففة عينيها الدامعتين بغضب:

– "لماذا سأفعل؟ كانت أمي مريضة بالفعل من توتر كل ذلك، وكان لدي العم ماركوس يصرخ في وجهي بأن أمي سلطت الشرطة عليه وعلى أولاده، وكنت خائفة حقًا، لو اكتشف العم ماركوس أمر مجيء الضابط لعملي، لكان سيبلغ عنه، وهو آخر شيء كنا نحتاجه. يا إلهي، كانت فوضى،" قالت إيدن، ضاغطة يديها لفترة وجيزة على عينيها المبللتين، "فوضى دموية."

بدت بورشيا وكأنها تود قول شيء مريح لأختها الكبرى، لكن كان لدى روبن انطباع بأن هذا سيكون خروجًا كبيرًا عن علاقتهما المعتادة، لدرجة أنها لم تعرف تمامًا كيف تبدأ. بعد لحظة أو اثنتين، تمتمت بورشيا:

– "أحتاج للمرحاض."

دفعت كرسيها بعيدًا عن الطاولة واختفت في الحمام.

قالت مايا، بمجرد أن تأرجح باب الحمام مغلقًا خلف أختها الصغرى:

– "لم أرد لبورش أن تأتي اليوم."

كانت بلباقة لا تنظر لأختها الكبرى، التي كانت تحاول التظاهر بأنها لا تبكي، بينما تمسح المزيد من الدموع خلسة من عينيها.

– "إنها لا تحتاج لهذا التوتر. أنهت العلاج الكيميائي لتوها."

سأل سترايك:

– "كيف حالها؟"

– "أعطيت الضوء الأخضر (شفيت) الأسبوع الماضي، الشكر لله. تتحدث عن العودة للعمل بساعات مخفضة. أعتقد أن الوقت مبكر جدًا."

سألت روبن:

– "هي أخصائية اجتماعية، أليس كذلك؟"

تنهدت مايا:

– "أجل. تراكم لمائة رسالة يائسة كل صباح، وتعلم أنك في خط النار إذا ساءت الأمور مع عائلة لم تتمكن من الوصول إليها. لا أعرف كيف تفعل ذلك. لكنها مثل أمي. فولة وانقسمت نصفين. كانت دائمًا طفلة أمي، وكانت أمي بطلتها."

أطلقت إيدن "هاه" ناعمة، قد تكون موافقة أو استخفافًا. تجاهلتها مايا. ساد صمت قصير، تأملت فيه روبن الروابط المتشابكة للعائلة. حرب بالوكالة بين جول وويلما بايليس بدت وكأنها لا تزال تدور في الجيل التالي.

فتح باب الحمام مرة أخرى وعادت بورشيا للظهور. بدلاً من أخذ مقعدها بجانب روبن، أدارت وركيها العريضين حول سترايك في نهاية الطاولة، وحشرت نفسها خلف مايا المذهولة، التي سحبت كرسيها بسرعة، حتى وصلت لإيدن. بعد دس حفنة من ورق التواليت في يد أختها الكبرى، لفت بورشيا ذراعيها الممتلئتين حول عنق إيدن وطبعت قبلة على قمة رأسها.

قالت إيدن بصوت أجش، مادة يدها لتمسك بذراعي أختها الصغرى، ليس لإزالتهما، بل لتثبيتهما هناك:

– "ماذا تفعلين؟"

رأت روبن من زاوية عينها أن سترايك يتظاهر بفحص مفكرته.

قالت بورشيا بنعومة، طابعة قبلة أخرى على قمة رأس أختها الكبرى قبل تركها:

– "أشكركِ. للموافقة على القيام بهذا. أعرف أنكِ لم ترغبي."

جلس الجميع في صمت مذهول قليلاً بينما شقت بورشيا طريقها عائدة حول الطاولة واستأنفت مقعدها بجانب روبن.

سألت بورشيا مايا، بينما كانت إيدن تنف أنفها:

– "هل أخبرتِهما الجزء الأخير؟ عن أمي وبيتي فولر؟"

قالت مايا، التي بدت مصدومة بفعل المصالحة الذي شهدته للتو:

– "لا. أنتِ من أخبرتها أمي بذلك، ظننت أنه يجب عليكِ."

قالت بورشيا، ملتفتة لتنظر إلى سترايك وروبن:

– "حسنًا. هذا حقًا آخر شيء نعرفه، وقد لا يكون فيه شيء، لكن قد تأخذانه أيضًا، الآن وقد عرفتما الأشياء الأخرى."

انتظر سترايك، والقلم جاهز.

– "أخبرتني أمي بهذا بعد وقت ليس ببعيد من تقاعدها. لم يكن ينبغي لها، حقًا، لأنه كان عن عميلة، لكن عندما تسمعان ما هو، ستفهمان.

"ظلت أمي تعمل في كليركينويل بعد أن تأهلت كأخصائية اجتماعية. كان ذلك حيث كل أصدقائها؛ لم ترغب في الانتقال. لذا تعرفت حقًا على المجتمع المحلي.

"إحدى العائلات التي كانت تعمل معها عاشت في شارع «سكينر»، ليس بعيدًا جدًا عن عيادة سانت جون –"

كرر سترايك:

– "شارع سكينر؟"

الاسم قرع جرسًا، لكن، منهكًا كما كان، لم يستطع تذكر السبب فورًا. روبن، من ناحية أخرى، عرفت فورًا لماذا بدا شارع سكينر مألوفًا.

– "أجل. العائلة كانت تسمى فولر. كان لديهم تقريبًا كل مشكلة يمكنك التفكير فيها: إدمان، عنف منزلي، إجرام، المجموعة الكاملة. نوع رئيسة العائلة كانت جدة في الأربعينيات من عمرها فقط، والمصدر الرئيسي لدخل هذه المرأة كان الدعارة. بيتي كان اسمها، وقالت أمي إنها كانت مثل خدمة أخبار محلية، إذا أردت معرفة عن العالم السفلي، على أية حال. كانت العائلة في المنطقة لأجيال.

"على أية حال، ذات يوم، تقول بيتي لأمي، بمكر قليلاً، لترَ رد فعلها: «ماركوس لم يرسل أي ملاحظات تهديد لتلك الطبيبة، ليكون في علمك.»

"أمي ذُهلت،" قالت بورشيا. "تفكيرها الأول كان أن ماركوس كان يزور المرأة، كما تعلمون، كعميل – أعلم أنه لم يكن،" قالت بورشيا بسرعة، رافعة يدًا لإسكات إيدن، التي فتحت فمها. "أمي وماركوس لم يتحدثا لسنوات في هذه المرحلة. على أية حال، كان الأمر بريئًا تمامًا: التقت بيتي بماركوس لأن الكنيسة كانت تقوم ببعض التوعية في المنطقة المحلية. أحضر بعض أغراض مهرجان الحصاد للعائلة، وحاول إقناع بيتي بالمجيء لخدمة كنيسة.

"بيتي استنتجت صلة ماركوس بأمي، لأن أمي كانت لا تزال تستخدم اسم «بايليس»، وادعت بيتي أنها تعرف من كتب حقًا ملاحظات التهديد لمارغو بامبورو، وأن الشخص الذي كتب الملاحظات هو نفس الشخص الذي قتلها. قالت أمي: «من كان؟» وقالت بيتي إنها لو أخبرت أبدًا، فإن قاتل مارغو سيقتلها هي أيضًا."

ساد صمت قصير. قرقع المقهى حولهم، وقالت إحدى النساء على الطاولة المجاورة بصوت عالٍ، وبمتعة متملقة:

– "يا إلهي هذا جيد."

سألت روبن:

– "هل صدقت والدتك بيتي؟"

قالت بورشيا:

– "لم تعرف ماذا تظن. عرفت بيتي بعض الأشخاص الخشنين جدًا، لذا كان من الممكن أنها سمعت شيئًا عبر القيل والقال، لكن من يدري؟ الناس يتحدثون،

أليس كذلك، ويحبون جعل أنفسهم مهمين،" وتذكرت روبن جانيس بيتي تقول هذا بالضبط، وهي تمرر شائعة ظهور مارغو بامبورو في مقبرة. "لكن إذا كان هناك أي شيء في الأمر، فامرأة مثل بيتي، ستذهب للقمر قبل أن تذهب للشرطة.

"قد تكون ميتة الآن،" قالت بورشيا، "نظرًا لأسلوب حياتها، لكن مهما كانت قيمة المعلومة، ها هي ذي. لا ينبغي أن يكون من الصعب معرفة ما إذا كانت لا تزال على قيد الحياة."

قال سترايك:

– "شكرًا جزيلاً لإخبارنا. هذا بالتأكيد يستحق المتابعة."

بعد أن قلن كل ما يعرفنه، سقطت الأخوات الثلاث الآن في صمت مؤلم. لم تكن المرة الأولى التي يكون لدى روبن فيها سبب للتفكير في مقدار الأضرار الجانبية التي يتركها كل عمل عنف في أعقابه. اختفاء مارغو بامبورو قد عاث فسادًا بوضوح في حياة فتيات بايليس، والآن وقد عرفت المدى الكامل للحزن الذي جلبه لهن، والطبيعة المؤلمة للذكريات المرتبطة به، فهمت تمامًا رفض إيدن الأولي للتحدث إلى المحققين. بل كان عليها أن تسأل نفسها لماذا غيرت الأخوات رأيهن.

قالت بصدق:

– "شكرًا جزيلاً لكن على هذا. أعلم أن ابنة مارغو ستكون ممتنة بشكل لا يصدق لأنكن وافقتن على التحدث إلينا."

قالت مايا:

– "أوه، الابنة هي من استأجرتكما، إذن؟ حسنًا، يمكنك إخبارها عني، أمي شعرت بالذنب طوال حياتها لأنها لم تصارح الشرطة بالحقيقة. أحبت الدكتورة بامبورو، كما تعلمون. أعني، لم تكونا صديقتين مقربتين أو أي شيء، لكنها اعتقدت أنها شخص محترم."

قالت بورشيا:

– "أثقل ذلك كاهلها. حتى وفاتها، أثقل كاهلها. ولهذا السبب احتفظت بتلك الملاحظة. كانت لترغب منا في فعل هذا. هناك دائمًا تحليل خط اليد وأشياء كهذه، أليس كذلك؟"

وافق سترايك على أن هناك كذلك. ذهب لدفع الفاتورة وانتظرت روبن على الطاولة مع الأخوات، اللواتي استطاعت أن تدرك أنهن يردن رحيل المحققين، وبأسرع وقت ممكن. لقد كشفن عن صدمتهن الشخصية وأسرار عائلتهن، والآن طبقة رقيقة من الحديث الصغير المهذب كانت أثقل من أن تُحتمل، وأي شكل آخر من المحادثة مستحيل. شعرت روبن بالارتياح عندما انضم إليها سترايك مرة أخرى، وبعد وداعات موجزة، غادرا المقهى.

في اللحظة التي ضرب فيها الهواء النقي، توقف سترايك لإخراج علبة "بنسون آند هيدجز" من جيبه وأشعل واحدة.

تمتم، وهما يواصلان المشي:

– "احتجت لتلك. إذن... شارع سكينر..."

قالت روبن:

– "... هو المكان الذي شوهد فيه جوزيف برينر ليلة اختفاء مارغو بامبورو."

تمتم سترايك، مغمضًا عينيه للحظة:

– "آه. كنت أعرف أن هناك شيئًا ما."

– "سأبحث في أمر بيتي فولر بمجرد وصولي للمنزل. ما رأيك في بقية الأمر؟"

قال سترايك، متوقفًا بجانب اللاند روفر وناظرًا للخلف نحو المقهى. كانت سيارته الـ "بي إم دبليو" تقع على بعد خمسين ياردة أخرى للأمام. أخذ سحبة أخرى من سيجارته، عابسًا.

– "أتعلمين... إنه يعطينا زاوية أخرى لدفتر ملاحظات تالبوت اللعين،" اعترف. "جردي كل الهراء السحري، وكان محقًا، ألم يكن كذلك؟ ويلما كانت تخفي أشياء عنه. الكثير من الأشياء، في الواقع."

قالت روبن:

– "ظننت ذلك أيضًا."

– "تدركين أن ملاحظة التهديد تلك هي أول قطعة من الأدلة المادية نعثر عليها؟"

– "نعم. في أي وقت ستتجه إلى ترورو؟"

لم يجب سترايك. ناظرة للأعلى، رأت روبن أنه كان يحدق بثبات شديد عبر الحديقة المفتوحة على الجانب الآخر من الطريق لدرجة أنها التفتت، هي أيضًا، لترَ ما الذي أسر انتباهه، لكنها لم ترَ شيئًا سوى زوج من كلاب "ويست هايلاند" (ترير) تتقافز ومالكها الذكر، الذي كان يمشي، ملوحًا بزوج من المقاود.

– "كورموران؟"

بدا أن سترايك يستعيد انتباهه من مكان بعيد جدًا.

قال: "ماذا؟" ثم، "أجل. لا، كنت فقط..."

التفت لينظر للخلف إلى المقهى، عابسًا.

– "أفكر فقط. لكن لا شيء، أعتقد أنني أفعل مثل تالبوت. أرى معنى في صدفة تامة."

– "أي صدفة؟"

لكن سترايك لم يجب حتى فتحت أبواب المقهى، وخرجت أخوات بايليس الثلاث في معاطفهن.

قال:

– "يجب أن نتحرك. لابد أنهن سئمن من رؤيتنا الآن. أراكِ يوم الاثنين. أعلميني إذا اكتشفتِ أي شيء مثير للاهتمام عن بيتي فولر."

54

ولكن ذلك الألم لم يكن عليه بجديد؛
ولا عُدَّ ألمًا بالمرة؛ لأنه طالما خبر
سطوته، وطالما أحب دون طائل.
إدموند سبنسر ملكة الجن

اهتز القطار فجأة: تدحرج رأس سترايك النائم جانبًا وارتطم بالنافذة الباردة. استيقظ، شاعراً بلعاب يسيل على ذقنه. ماسحًا إياه بكم معطفه، نظر حوله. الزوجان المسنان أمامه كانا غارقين بأدب في القراءة، لكن عبر الممر، كان أربعة مراهقين يستمتعون بنوبات من الضحك الصامت، يتحاشون النظر إليه بعناية، وأكتافهم تهتز بينما يتظاهرون بالاهتمام بالحقول خارج النافذة. يبدو أنه كان يشخر وفمه مفتوح على مصراعيه، لأنه كان جافًا بشكل غير سار الآن. بتفقده لساعته، رأى أنه كان نائمًا لساعتين على الأقل.

مد سترايك يده لترمس الشاي بنقشة الترتان (المربعات الاسكتلندية) الجالس على الطاولة أمامه، والذي كان قد شطفه وأعاد ملأه في "ماكدونالدز" في وقت سابق، وصب لنفسه قهوة سوداء بينما استمر المراهقون في الشهق والنخير من الضحك. بلا شك ظنوه غريب الأطوار وكهلاً بشكل مضحك، بشخيره وترمسه الترتاني، لكن عامًا من التنقل في عربات القطار المتأرجحة علمه أن ساقه الاصطناعية تقدر تقليل الرحلات إلى عربة الطعام قدر الإمكان. شرب كوبًا من القهوة الملوثة بطعم البلاستيك، ثم أعاد توطين نفسه بشكل مريح، وعقد ذراعيه، ناظرًا إلى الحقول التي تنزلق مارة، والتي تعلوها أبراج الكهرباء، والسحب البيضاء

المنبسطة تكتسب وهجًا أزرق مخضرًا بفعل الغبار على الزجاج. لم يسجل المشهد الطبيعي إلا بشكل عرضي: كان انتباه سترايك منصبًا للداخل على الفكرة الغريبة التي خطرت له بعد المقابلة مع أخوات بايليس.

بالطبع، قد لا تكون الفكرة سوى نتاج عقل مثقل بالأعباء يصنع روابط زائفة بين صدف بسيطة. قلبها ذهنيًا بهذه الطريقة وتلك، فاحصًا إياها من زوايا مختلفة، حتى تثاءب أخيرًا، وتحرك ببطء جانبيًا إلى المقعد الفارغ بجانبه، وسحب نفسه بجهد إلى وضع الوقوف في الممر، ليتمكن من الوصول إلى حقيبته في رف الأمتعة العلوي. بجانب حقيبته جلس كيس من "ويتروز"، لأنه قام بانعطاف إلى السوبر ماركت في طريقه إلى محطة بادينغتون، حيث التقط ثلاث بيضات عيد فصح لأبناء أخته، أو بالأحرى، ثلاثة قنافذ شوكولاتة ("أصدقاء الغابة") لأنها كانت مدمجة الحجم نسبيًا. الآن، وهو يتحسس في حقيبته بحثًا عن *شيطان حديقة الفردوس*، أسقط بالخطأ الكيس الحامل للشوكولاتة. سقط القنفذ العلوي: وفي محاولته للإمساك به، ضربه بالخطأ ليرتفع في الهواء؛ ارتد الصندوق عن ظهر مقعد المرأة المسنة، مما جعلها تصرخ في مفاجأة، وضرب الصندوق الأرض.

المراهقون الذين كان سترايك يقدم لهم عرضًا كوميديًا فرديًا غير مقصود كانوا الآن يشهقون ويبكون من الضحك علنًا. فقط عندما انحنى سترايك بشكل أخرق لالتقاط قنفذ الشوكولاتة المتشقق الآن، ويد واحدة على طاولة المراهقين لتثبيت نفسه، رصدت إحدى الشابات القضيب المعدني الذي يعمل ككاحله الأيمن. عرف ما رأته من خلال التوقف المفاجئ لضحكها، والهمسات المحمومة لإسكات أصدقائها. لاهثًا، ومتعرقًا ومدركًا الآن أن نصف عيون العربة عليه، حشر القنفذ التالف مرة أخرى في كيسه، ووجد *شيطان حديقة الفردوس* في حقيبته ثم، متعرقًا قليلاً، ولكن آخذًا متعة خبيثة في الصدمة المتقعرة الوجوه للمراهقين بجانبه، انسل عائدًا إلى مقعد النافذة الخاص به.

بعد تقليب الكتاب بحثًا عن الجزء الذي أراد إعادة قراءته، وجد سترايك أخيرًا الفصل الموجود في ثلثي الكتاب، بعنوان "الاعتقال".

... حتى الآن، كانت علاقة كريد بصاحبة المنزل فايوليت كوبر مفتاحًا لسلامته المستمرة. تعترف فايوليت نفسها أنه خلال السنوات الخمس الأولى من استئجاره، لم تكن لتصدق السوء ﭬ "دين"، الذي رأته كروح وحيدة ولطيفة، مولعًا بأمسيات الغناء معًا، وربما مثلي الجنس.

ومع ذلك، فإن الجهود التي بذلها ذات مرة لإبقاء فايوليت سعيدة بدأت تزعج كريد. فبينما كان يخدرها ﭬ السابق لأنه كان يخطط لطحن العظام وتحويلها لغبار ﭬ القبو، أو يحتاج لتحميل جثة ﭬ الشاحنة ليلاً، بدأ الآن ﭬ خلط الجن والبرتقال الخاص بها بالباربيتورات فقط لتجنب ملل صحبتها.

تغير سلوك كريد تجاه فايوليت أيضًا. أصبح "لئيمًا" معها، "يسخر مني دون داعٍ، ويقول أشياء بغيضة، ويضحك علي لاستخدامي الكلمات الخاطئة وأشياء من هذا القبيل، ويعاملني كأنني غبية، وهو ما لم يفعله من قبل.

"أتذكر مرة، كنت أخبره عن المكان الذي اشتراه أخي عندما تقاعد، كوخ ﭬ الريف، كل شيء جميل، وقلت: يجب أن تري الحديقة، وروده والغاز ييبو (قاصدة غازيبو - شرفة/مقصورة)، فضحك علي، دينيس، حسنًا، سخر مني، حقًا، لأنني قلتها بشكل خاطئ. غاز ييبو (Gazz ybo)، قلت، ولم أنسَ ذلك أبدًا، قال: لا تستخدمي كلمات إذا لم تستطيعي قولها، تبدين غبية فقط.

"جرحت مشاعري. لم أرَ ذلك الجانب البغيض منه. كنت أعلم أنه ذكي، اعتاد حل الكلمات المتقاطعة ﭬ التايمز كل يوم. عرف كل الإجابات ﭬ برنامج «ماستر مايند»، عندما كنا نشاهده معًا، لكنه لم يحط من قدري من قبل.

"ثم، ذات ليلة، بدأ ﭬ الحديث عن وصيتي. أراد أن يعرف لمن سأترك المنزل. سألني تقريبًا أن أتركه له.

"لم يعجبني ذلك. لم أكن امرأة عجوزًا، لم أكن أخطط للموت ﭬ أي وقت قريب. غيرت الموضوع، لكنه بدأ فيه مرة أخرى بعد بضع ليالٍ. قلت: انظر، كيف تعتقد أن هذا يشعرني يا دينيس، وأنت تستمر هكذا، وكأنني في أيامي الأخيرة؟ أنت تجعلني أشعر وكأنك ستقضي علي.

"أصبح متغطرسًا وقال إن الأمر جيد بالنسبة لي، لكنه لا يملك شيئًا، لا أمان ولا شيء، وماذا لو طُرد إلى الشارع من قبل من سأترك له المنزل؟ وخرج غاضبًا. تصالحنا، لاحقًا، لكن ذلك ترك طعمًا سيئًا."

قد يبدو من قمة التهور أن يقنع كريد فايوليت بتغيير وصيتها ثم يقتلها. وبصرف النظر عن وجود دافع واضح، فإنه سيخاطر بدخول الشرطة إلى القبو حيث كان يخفي رفات ومتعلقات ما لا يقل عن خمس نساء. ومع ذلك، يبدو أن غطرسة كريد وشعوره بالحصانة لم يعرفا حدودًا بحلول هذا الوقت. كان يقوم أيضًا بتخزين الحبوب بكميات أكبر من أي وقت مضى، مما جعله على اتصال بأكثر من تاجر شوارع واحد. هذا جعله معروفًا على نطاق أوسع.

أحد جهات اتصاله الجديدة للمخدرات كان مايكل كليت، الذي باع الباربيتورات المسروقة من جهة اتصال في شركة أدوية. عقد كليت لاحقًا صفقة مع الشرطة مقابل شهادته في محاكمة القاتل. شهد كليت أن كريد سأله عما إذا كان بإمكانه أو بإمكان جهة اتصاله الحصول على دفتر وصفات طبية لطبيب. اشتبهت الشرطة في أن كريد كان يأمل في تزوير وصفة طبية لفايوليت، لتفسير حيازتها لوسائل الجرعة الزائدة...

على الرغم من القهوة، بدأت جفون سترايك تتدلى مرة أخرى. بعد دقيقتين أخريين، مال رأسه جانباً وانزلق الكتاب من قبضته المرتخية.

عندما استيقظ مرة أخرى، كانت السماء بالخارج قد تحولت للون الوردي المرجاني، وذهب المراهقون الضاحكون، ووجد نفسه على بعد عشر دقائق من محطة ترورو. أكثر تيبسًا من أي وقت مضى وفي مزاج لا يسمح بلم شمل العائلة، تمنى لو كان متجهًا عائدًا إلى شقته العلوية من أجل حمام وبعض السلام. ومع ذلك، ارتفع قلبه قليلاً عندما رأى ديف بولورث ينتظره على الرصيف. خشخش كيس قنافذ الشوكولاتة قليلاً بينما كان سترايك يترجل بصعوبة من القطار. سيتعين عليه تذكر إعطاء القنفذ المكسور لـ لوك.

قال بولورث، وهما يتصافحان ويربتان على ظهور بعضهما البعض، وكيس ويتروز الخاص بسترايك يعيق العناق:

– "بخير يا ديدي؟"

– "شكرًا لاصطحابي يا تشام، أقدر ذلك حقًا."

قادا إلى سانت ماوس في سيارة "داتشيا داستر" الخاصة ببولورث، يناقشان خطط اليوم التالي. دُعي بولورث وعائلته لنثر الرماد، جنبًا إلى جنب مع كيرينزا، ممرضة ماكميلان.

قال بولورث، وهو يقود عبر الممرات الريفية، بينما تحولت الشمس إلى جمرة مشتعلة في الأفق:

– "... إلا أنه لن يكون نثرًا، بل تعويمًا."

– "كيف ذلك؟"

– "لوسي لديها جرة،" قال بولورث. "قابلة للذوبان في الماء، قطن وطين. كانت تريني إياها الليلة الماضية. من المفترض أن تبدو كزهرة. تضع الرماد بداخلها والشيء كله يطفو بعيدًا ويذوب."

قال سترايك:

– "فكرة لطيفة."

قال بولورث ببراغماتية:

– "يمنع الحوادث الغبية. هل تذكر إيان ريستاريك، من المدرسة؟ أراد جده أن يُرمى رماده من «لاندز إند». الأغبياء رموه في رياح قوية وانتهى بهم الأمر وأفواههم مليئة بالرجل العجوز. أخبرني ريستاريك أنه كان ينفخ الرماد من أنفه لمدة أسبوع بعد ذلك."

ضاحكًا، شعر سترايك بهاتفه يهتز في جيبه، وسحبه. كان يأمل أن تكون الرسالة من روبن، ربما تخبره أنها حددت مكان بيتي فولر بالفعل. بدلاً من ذلك، رأى رقمًا مجهولاً.

كرهتك بقدر ما فعلت لأنني أحبتك كثيرًا جدًا. حبي لم ينتهِ أبدًا لكن حبك انتهى. لقد بلي. أنا أبليته.

كان بولورث لا يزال يتحدث، لكن سترايك لم يعد يستمع. قرأ النص عدة مرات، عابسًا قليلاً، ثم أعاد الهاتف إلى جيبه وحاول التركيز على حكايات صديقه القديم.

في منزل تيد كانت هناك صيحات ترحيب، وعناق من عمه، ولوسي وجاك. حاول سترايك أن يبدو سعيدًا بوجوده هناك، رغم إرهاقه، وعلمه بأنه سيضطر لانتظار النوم حتى يذهب الجميع للفراش. صنعت لوسي المعكرونة للجميع، وعندما لم تكن تعتني باحتياجات الجميع، وتوبخ لوك لركلة آدم أو تنقر في طبقها الخاص، كانت تترنح على حافة البكاء.

همست لأخيها بعد العشاء، بينما كان غريغ والأولاد، بإصرار من غريغ، يرفعون المائدة:

– "الأمر غريب جدًا، أليس كذلك؟ الوجود هنا بدونها؟" ودون توقف أسرعت، "قررنا أننا سنقوم بمراسم الرماد في الصباح، لأن الطقس يبدو جيدًا، ثم نعود هنا لغداء الفصح."

قال سترايك:

– "يبدو رائعًا."

كان يعلم مدى الأهمية التي توليها لوسي للترتيبات والخطط، ولإنجاز كل شيء بالطريقة الصحيحة. أحضرت الجرة وأبدت إعجابها بالزنبقة البيضاء المنمقة. كان تيد قد وضع رماد جوان بداخلها بالفعل.

قال، دون أدنى فكرة عما إذا كان ذلك صحيحًا أم لا:

– "هذا رائع. جوان كانت لتحبها."

قالت لوسي، والدموع تتجمع مرة أخرى:

– "واشتريت ورودًا وردية لنا جميعًا لرميها في الماء معها."

قال سترايك، كاتمًا تثاؤبًا:

– "لمسة لطيفة."

كان يريد حقًا الاستحمام فقط، ثم الاستلقاء والنوم.

– "شكرًا لترتيب كل هذا يا لوسي. أوه، وأحضرت بيض عيد الفصح للأولاد، أين تريدينها؟"

– "يمكننا وضعها في المطبخ. هل تذكرت إحضار البعض لروز وميل أيضًا؟"

– "من؟"

– "بنات ديف وبيني، سيأتون غدًا أيضًا."

بحق الجحيم.

– "لم أفكر –"

قالت لوسي:

– "أوه يا ستيك، ألست أباهما الروحي؟"

قال سترايك، باذلاً قصارى جهده لكي لا يبدو حاد المزاج:

– "لا، لست كذلك. لكن لا بأس، أجل، سأقفز إلى المتاجر صباح الغد وأشتري المزيد."

لاحقًا، عندما كان وحيدًا أخيرًا في غرفة الجلوس المظلمة، مستلقيًا على الأريكة التي أصبح مألوفًا بها بشكل غير راغب على مدار العام الماضي، وساقه الاصطناعية مسنودة على طاولة القهوة، فحص هاتفه مرة أخرى. كان مسرورًا لرؤية أنه لا توجد المزيد من الرسائل من الرقم المجهول، ورغم إرهاقه، تمكن من النوم بسرعة.

ومع ذلك، قبل الرابعة صباحًا بقليل، رن الهاتف. منتزعًا من نوم عميق، تحسس سترايك بحثًا عنه، وسجل الوقت ثم رفعه إلى أذنه.

– "مرحبًا؟"

ساد صمت طويل، رغم أنه كان بإمكانه سماع تنفس على الطرف الآخر من الخط.

قال، شاكًا في الإجابة:

– "من هذا؟"

جاء همس صغير:

– "بلووي. إنها أنا."

– "إنها الرابعة صباحًا يا شارلوت."

همست: "أعرف"، وأصدرت ما قد يكون قهقهة أو نشيجًا. بدت غريبة؛ ربما في حالة هوس. حدق سترايك في السقف المظلم، ورماد عمته على بعد اثني عشر قدمًا فقط.

– "أين أنتِ؟"

– "في الجحيم."

– "شارلوت –"

أغلقت الخط.

استطاع سترايك سماع دقات قلبه بقوة مشؤومة، مثل طبل كبير عميق داخل كهف. اندفعت خيوط ساخنة من الذعر والرهبة خلاله.

كم من الأعباء يفترض به أن يتحمل؟ ألم يدفع ما يكفي، ويعطِ ما يكفي، ويضحِ بما يكفي – ويحب بما يكفي؟ بدت جوان قريبة جدًا الآن، في ظلام غرفة جلوسها الخاصة، مع أطباقها المزخرفة وزهورها المجففة، أقرب حتى من رفاتها الغبارية، في تلك الزنبقة البيضاء المضحكة بشكل غامض، والتي ستبدو ضئيلة وتافهة تطفو بعيدًا في البحر الواسع، مثل طبق ورقي مهمل. خُيّل إليه أنه يسمع كلماتها الأخيرة وهو مستلق هناك: *"أنت رجل طيب... تساعد الناس... أنا فخورة بك..."*

اتصلت به شارلوت من نفس الرقم المجهول الذي راسلته منه سابقًا. دار عقل سترايك المنهك الآن حول الحقائق المعروفة، وهي أن شارلوت لديها محاولات انتحار في ماضيها، وأنها متزوجة ولديها أطفال، وأنها أُدخلت مؤخرًا إلى منشأة عقلية. تذكر قراره قبل أسابيع، بالاتصال بزوجها إذا أرسلت له أي رسائل تدميرية أخرى، لكن جاغو روس لن يكون في بنكه التجاري في الساعة 4 صباحًا في عطلة عيد الفصح. تساءل عما إذا كان تجاهل المكالمة قسوة أم لطفًا، وكيف سيتحمل معرفة أنها أخذت جرعة زائدة، إذا لم يستجب. بعد عشر دقائق طويلة جدًا، توقع خلالها نصف توقع أن تعاود الاتصال به، جلس سترايك لكتابة رسالة نصية.

أنا في كورنوال. عمتي توفيت للتو. أعتقد أنكِ بحاجة لمساعدة، لكنني الشخص الخطأ لتقديمها لكِ. إذا كنتِ وحدكِ، فأنتِ بحاجة للاتصال بشخص ما وإخباره بما تشعرين به.

الشيء الرهيب هو مدى معرفة كل منهما للآخر. عرف سترايك تمامًا كم ستجد شارلوت هذا الرد الفاتر جبانًا ومخادعًا. ستعرف أن جزءًا صغيرًا منه (منكمشًا بفعل الامتناع المصمم، وإن لم يتم استئصاله أبدًا) يشعر بجذب للعودة إليها، خاصة في هذه الحالة القصوى، ليس فقط لأنه تحمل مسؤولية سعادتها لسنوات، ولكن لأنه لا يستطيع أبدًا أن ينسى أنها جاءت إليه عندما كان في أدنى مستوياته، مستلقيًا في سرير مستشفى بساق مبتورة حديثًا، متسائلاً أي حياة ممكنة له الآن. كان لا يزال يتذكر ظهورها في المدخل، أجمل امرأة رآها في حياته، وكيف مشت عبر الجناح نحوه وقبلته بصمت على فمه، وتلك اللحظة، أكثر من أي لحظة أخرى، أخبرته أن الحياة ستستمر، وستحتوي على لحظات مجيدة من الجمال والمتعة، وأنه لم يعد وحيدًا، وأن ساقه المفقودة لا تهم المرأة التي لا يستطيع نسيانها.

جالسًا في الظلام، باردًا بشكل غير معتاد بسبب إرهاقه، كتب سترايك أربع كلمات أخرى –

الأمور ستتحسن

– وأرسل الرسالة. ثم استلقى مرة أخرى وانتظر اهتزاز الهاتف مرة أخرى، لكنه ظل صامتًا، وفي النهاية نام.

استيقظ، حتمًا، على دخول لوك مندفعًا إلى غرفة الجلوس. بينما كان يستمع لضجيج لوك في المطبخ، مد سترايك يده لهاتفه ونظر إليه. أرسلت شارلوت رسالتين أخريين، واحدة قبل ساعة، والأخرى بعد نصف ساعة.

بلووي أنا آسفة بشأن عمتك. هل هي التي قابلتها؟

وبعد ذلك، عندما لم يجب سترايك:

هل أنا شريرة؟ جاغو يقول إنني كذلك. اعتدت أن أظن أنني لا يمكن أن أكون كذلك، لأنك أحببتني

على الأقل لم تكن ميتة. بشعور يشبه الملزمة في بطنه، جلس سترايك، ووضع ساقه الاصطناعية وحاول إغلاق عقله أمام شارلوت.

لم يكن الإفطار مناسبة مريحة بشكل خاص. كانت الطاولة مزدحمة ببيض عيد الفصح، لدرجة أنها بدت كعش كرتوني. أكل سترايك من طبق في حجره. اشترت لوسي لسترايك وتيد بيضة لكل منهما، وأدرك المحقق الآن أنه كان يجب عليه شراء واحدة لأخته أيضًا. كان لدى الأولاد الثلاثة أكوام تترنح.

سأل آدم سترايك، رافعًا هدية عمه:

– "ما علاقة القنفذ بعيد الفصح؟"

قال تيد، من طرف الطاولة:

– "وقت الفصح هو الربيع، أليس كذلك؟ إنه الوقت الذي تستيقظ فيه الحيوانات السباتية."

قال لوك، هازًا الصندوق:

– "بيضتي مكسورة كلها."

قال سترايك:

– "هذا مؤسف." ورمته لوسي بنظرة حادة.

كانت متوترة، توبخ أبناءها للنظر في هواتفهم أثناء الوجبة، وتحدق بغضب في سترايك عندما يتحقق من هاتفه، وتنظر باستمرار خارج النافذة، للتحقق من حالة الطقس. كان المحقق سعيدًا بوجود عذر للخروج من المنزل لشراء بيض عيد الفصح لبنات بولورث، لكنه بالكاد مشى عشر ياردات أسفل الطريق المنحدر، والسيجارة في يده، عندما توقفت العائلة في سيارتهم الداتشيا. عندما أسر سترايك بمهمته بصوت منخفض، قال بولورث:

– "تبًا لذلك، لديهن ما يكفي من الشوكولاتة لعام في المنزل. دعك من ذلك."

في الساعة الحادية عشرة، مع ترك فخذ خروف في الفرن وضبط المؤقت، وبعد إخبار لوك بـ "لا، لا يمكنك أخذ الآيباد الخاص بك على القارب"، وبداية خاطئة واحدة، بسبب الحاجة للعودة للمنزل لتبول ابنة بولورث الصغرى التي أصرت على

أنها لا تحتاج لذلك قبل المغادرة، شقت المجموعة طريقها بنجاح نزولاً إلى المرفأ، حيث التقوا بكيرينزا الممرضة، وصعدوا على متن قارب تيد الشراعي القديم، *جوانيت*.

سترايك، الذي كان ذات يوم مساعد عمه الفخور، لم يعد لديه التوازن للعمل سواء على الأشرعة أو الدفة. جلس مع النساء والأطفال، معفى من ضرورة إجراء محادثة بسبب ضجيج الرياح ضد القماش. صرخ تيد بالأوامر لبولورث وجاك. كان لوك يأكل الشوكولاتة، وعيناه مغلقتان جزئيًا ضد النسيم البارد؛ كانت بنات بولورث متكومات، يرتجفن، بجانب أمهن، التي كانت تحيطهن بذراعيها. كانت الدموع تسيل بالفعل على خدي لوسي وهي تحتضن الجرة البيضاء المسطحة في حجرها. بجانبها، حملت كيرينزا باقة من الورود الوردية الداكنة ملفوفة بفضفاضة في السلوفان، وتُرك الأمر لغريغ وبولورث للصراخ في الأطفال للانتباه للعارضة (boom) بينما كانوا يبحرون حول شبه الجزيرة حيث تقف قلعة سانت ماوس كحارس.

تغير سطح البحر من ثانية لأخرى، من سهل متموج من الميرمية والرمادي، إلى شبكة من البريق الماسي الساطع. كانت رائحة الأوزون مألوفة ومريحة لسترايك مثل رائحة الجعة. كان يفكر للتو كم هو سعيد لأن جوان اختارت هذا، وليس قبرًا، عندما شعر بهاتفه يهتز ضد صدره. غير قادر على مقاومة إغراء قراءة ما عرف أنه رسالة نصية من شارلوت، سحبه وقرأه.

ظننت أنك ستعود ظننت أنك ستمنعني من الزواج منه لم أظن أنك ستدعني أفعلها

أعاد الهاتف إلى جيبه. كان لوك يراقبه وظن سترايك أنه رأى فكرة تخطر بباله لسؤال لماذا يمكن للعم كورموران النظر في هاتفه، بينما هو ممنوع من إحضار الآيباد الخاص به، لكن النظرة التي أعطاه إياها عمه بدت وكأنها جعلته يعيد التفكير في الفكرة، واكتفى بحشر المزيد من الشوكولاتة في فمه.

بدا شعور بالتقيد يهبط على الجميع، حتى لوك، بينما أدار تيد القارب في اتجاه الريح وأوقفه ببطء، والشراع يرفرف بصوت عالٍ في الريح، وقلعة سانت ماوس

الآن بحجم قلعة رملية في المسافة. وزعت كيرينزا الورود، واحدة لكل شخص باستثناء تيد، الذي أخذ ما تبقى من الباقة بين يديه اللتين حرقتهما الشمس للأبد. لم يتحدث أحد، ومع ذلك لم تشعر اللحظة بخيبة أمل. بينما رفرفت الأشرعة بغضب فوق رؤوسهم، انحنى تيد منخفضًا فوق جانب القارب وأسقط الجرة برفق في البحر، متمتمًا بوداعه، والشيء الذي تخيل سترايك أنه سيبدو غير كافٍ ومبتذلاً أصبح، على وجه التحديد بسبب صغره وهو يطفو بفروسية على المحيط، مؤثرًا، ونبيلاً بشكل غريب. سرعان ما ستذوب آخر البقايا الدنيوية لجوان نانكارو في البحر، وستبقى الورود الوردية فقط، التي قذفت واحدة تلو الأخرى في البحر من قبل كل منهم، لتظهر المكان الذي اختفت فيه.

وضع سترايك ذراعه حول لوسي، التي أراحت رأسها على كتفه، بينما أبحروا عائدين للشاطئ. روزين، الكبرى بين بنات بولورث، انفجرت في نحيب أثاره في البداية مشهد الجرة وهي تختفي في المسافة، لكنه استمر بفضل استمتاعها بحزنها الخاص وتعاطف والدتها. راقب سترايك حتى لم يعد بإمكانه رؤية النقطة البيضاء، ثم حول عينيه نحو الشاطئ، مفكرًا في فخذ الخروف الذي ينتظرهم في المنزل.

اهتز هاتفه مرة أخرى، بعد دقائق من استعادته للأرض الصلبة. بينما ساعد بولورث تيد في ربط القارب، أشعل سترايك سيجارة وابتعد عن المجموعة لقراءة الرسالة الجديدة.

أريد أن أموت وأنا أقول الحقيقة الناس كاذبون جدًا كل من أعرفه يكذب في مثل إذا منهم سأراد التوقف عن التظاهر

أخبر لوسي:

– "سأعود مشيًا."

قالت فورًا:

– "لا تستطيع، الغداء سيكون جاهزًا لنا –"

قال سترايك بحزم، رافعًا سيجارته في وجهها المستنكر:

– "سأرغب في واحدة أخرى من هذه. سأقابلكم هناك."

سأل بولورث:

– "تريد صحبة يا ديدي؟ يمكن لبيني أخذ الفتيات للمنزل."

– "لا، لا بأس يا صاح. أحتاج لإجراء مكالمة عمل،" أضاف بهدوء، لكي لا تسمع لوسي. بينما قال ذلك، شعر بهاتفه يهتز مرة أخرى.

قالت كيرينزا، ووجهها المنمش لطيف كعادتها:

– "وداعًا يا كورم. لن آتي للغداء."

– "عظيم، لا، آسف، أعني – شكرًا للمجيء يا كيرينزا، جوان كانت تحبك كثيرًا."

عندما ركبت كيرينزا أخيرًا سيارتها الميني، وكانت سيارات العائلة تبتعد، أخرج سترايك هاتفه مرة أخرى.

لا تنسَ أبدًا أنني أحببتك وداعًا يا بلوز (x)

اتصل سترايك بالرقم. بعد بضع رنات، ذهب إلى البريد الصوتي.

– "شارلوت، إنه أنا. سأستمر في الاتصال حتى تجيبي."

أغلق الخط واتصل مرة أخرى. ذهب الرقم إلى البريد الصوتي للمرة الثانية.

بدأ سترايك في المشي، لأن قلقه كان يتطلب عملاً. الشوارع حول المرفأ لم تكن مزدحمة. معظم الناس سيكونون جالسين لتناول غداء الفصح. مرارًا وتكرارًا اتصل برقم شارلوت، لكنها لم تجب.

كان الأمر كما لو أن سلكًا يضيق حول جمجمته. كانت رقبته صلبة من التوتر. من ثانية لأخرى تذبذبت مشاعره بين الغضب، والاستياء، والإحباط والخوف. كانت دائمًا متلاعبة خبيرة. كما نجت بصعوبة من الموت على يدها، مرتين.

قد يظل الهاتف دون إجابة لأنها ميتة بالفعل. قد تكون هناك بنادق رياضية في "قلعة كروي"، حيث عاشت عائلة زوجها لأجيال. ستكون هناك أدوية قوية المفعول في العيادة: ربما تكون قد خزنتها. ربما تكون قد أخذت شفرة حلاقة لنفسها، كما حاولت أن تفعل ذات مرة خلال أحد شجاراتهما الأكثر وحشية.

بعد الاتصال بالرقم للمرة العاشرة، توقف سترايك، ناظرًا من فوق الدرابزين إلى البحر الذي لا يرحم، الذي لم يتنفس أي عزاء وهو يندفع ثم يتراجع عن

الشاطئ. ذكريات جوان، والطريقة التي تشبثت بها بشراسة بالحياة، غمرت عقله: قلقه بشأن شارلوت كان ممزوجًا بالغضب، لرميها الحياة بعيدًا.

وبعد ذلك رن هاتفه.

كاد يصرخ:

– "أين أنتِ؟"

– "بلووي؟"

بدت ثملة، أو مخدرة جدًا.

– "أين أنتِ؟"

تمتمت:

– "... أخبرتك. بلووي، أتـ ذك..."

– "شارلوت، أين أنتِ؟"

– "أخبرتك، سـ موندز..."

استدار وبدأ يركض نصف ركض، ويعرج نصف عرج عائدًا في الطريق الذي جاء منه: كان هناك كشك هاتف أحمر قديم الطراز على بعد عشرين ياردة، وبيده الحرة كان يسحب بالفعل عملات معدنية من جيب بنطاله.

– "هل أنتِ في غرفتك؟ أين أنتِ؟"

فاحت من كشك الهاتف رائحة البول، وأعقاب السجائر والقذارة من ألف نعل مسدود بالطين.

– "يـ مكن رؤية السماء... بلووي، أنا جد..."

كانت لا تزال تتمتم، وتنفسها بطيء.

قال صوت مرح عبر السماعة في يده اليسرى:

– "واحد واحد ثمانية، واحد واحد ثمانية؟" (خدمة استعلامات الدليل).

– "سيموندز هاوس (Symonds House)، إنها عيادة نفسية سكنية في كنت."

– "هل أوصـ–"

– "نعم، أوصليني... شارلوت، هل لا تزالين هناك؟ تحدثي إلي. أين أنتِ؟"

لكنها لم تجب. كان تنفسها عاليًا وأصبح حشريًا.

قال صوت نسائي مشرق في أذنه الأخرى:

– "سيموندز هاوس."

– "هل لديكم مريضة داخلية هناك تدعى شارلوت روس؟"

قالت موظفة الاستقبال:

– "أنا آسفة يا سيدي، نحن لا نكشف –"

– "لقد أخذت جرعة زائدة. اتصلت بي للتو من منشأتكم، وأخذت جرعة زائدة. تحتاجون للعثور عليها – قد تكون بالخارج، هل لديكم حدائق هناك؟"

– "سيدي، هل لي أن أسألك –"

– "تحققي من مكان وجود شارلوت روس، الآن، لديّ على خط آخر وقد أخذت جرعة زائدة."

سمع المرأة تتحدث إلى شخص بعيد عن الهاتف.

– "... السيدة روس... الطابق الأول، فقط للتأكـ..."

تحدث الصوت في أذنه مرة أخرى، لا يزال مشرقًا بمهنية، لكنه قلق الآن.

– "سيدي، من أي رقم تتصل السيدة روس؟ هي – المرضى الداخليون ليس لديهم هواتفهم المحمولة الخاصة."

قال سترايك:

– "حصلت على واحد من مكان ما، بالإضافة إلى حمولة لعينة من المخدرات."

في مكان ما في خلفية المكالمة سمع صراخًا، ثم خطوات عالية. حاول إدخال عملة أخرى في الفتحة، لكنها سقطت مباشرة وخرجت من الأسفل.

– "تبًا –"

– "سيدي، سأطلب منك ألا تتحدث معي هكذا –"

– "لا، أنا فقط –"

انقطع الخط. كان تنفس شارلوت بالكاد مسموعًا الآن.

ضرب سترايك بكل ما لديه من فكة في جيوبه في الفتحة، ثم أعاد الاتصال باستعلامات الهاتف. في غضون دقيقة، كان متصلاً مرة أخرى بالصوت النسائي في سيموندز هاوس.

– "سيموندز هاوس –"

– "هل وجدتموها؟ انقطع الاتصال بي. هل وجدتموها؟"

قالت المرأة التي بدت مضطربة:

– "أخشى أنني لا أستطيع الكشف –"

قال سترايك:

– "حصلت على هاتف محمول ووسائل لقتل نفسها تحت حراستكم، لذا يمكنك بحق الجحيم الكشف عما إذا كانت ميتة –"

– "سيدي، سأقدر عدم صراخك في وجهي –"

لكن بعد ذلك سمع سترايك أصوات ذكور بعيدة عبر الهاتف المحمول المثبت على أذنه الأخرى. لم يكن هناك جدوى من إغلاق الخط والاتصال: شارلوت لم تسمع مكالماته العشر السابقة. لابد أنها وضعت الهاتف على الصامت.

زأر: "إنها هنا!" وصرخت المرأة على خط الهاتف العمومي بصدمة. "اتبعوا صوتي، إنها هنا!"

كان سترايك يزأر في الهاتف، مدركًا جيدًا الاحتمالات شبه المستحيلة لسماع الباحثين له: كان بإمكانه سماع حفيف وتكسر، وعرف أن شارلوت كانت بالخارج، ربما في الأحراش.

ثم، عبر الهاتف المحمول، سمع رجلاً يصرخ.

– "تباً، إنها هنا – إنها هنا! اللعنة... اطلبوا سيارة إسعاف!"

قالت المرأة المصدومة، الآن وقد توقف سترايك عن الصراخ:

– "سيدي، هل لي أن أحصل على اسمك؟"

لكن سترايك أغلق الخط. فوق صوت فكته المرتطمة بصندوق العملات المرتجعة، استمر في الاستماع للرجلين اللذين وجدا شارلوت، أحدهما يصرخ

بتفاصيل جرعتها الزائدة لخدمات الطوارئ، والآخر ينادي اسم شارلوت مرارًا وتكرارًا، حتى لاحظ أحدهم أن الهاتف المحمول بجانبها كان نشطًا، وأطفأه.

55

عن مصائب العشاق الحزينة في سالف الأزمان،
تبقى حكايات كثيرة تثير الأشجان...
إدموند سبنسر *ملكة الجن*

باعتبارها حسناء مرموقة وسيدة مجتمع، تملك عددًا مثيرًا من العلاقات بالمشاهير، وماضيًا متمردًا مدمرًا للذات، كانت شارلوت مادة دسمة وقديمة لأعمدة النميمة. وبطبيعة الحال، تصدر خبر نقلها الطارئ من مصحة نفسية خاصة عناوين الأخبار.

نشرت الصحف الشعبية قصصًا مدعمة بصور كثيفة، تظهر شارلوت في الرابعة عشرة (حين هربت لأول مرة من مدرستها الخاصة وأشعلت حملة بحث للشرطة)، وفي الثامنة عشرة (إبطًا بإبط مع والدها المذيع الشهير، المزواج السكير)، وفي الحادية والعشرين (مع والدتها عارضة الأزياء التي تحولت لسيدة مجتمع، في حفل كوكتيل)، وفي الثامنة والثلاثين، حيث بدت جميلة كما كانت دائمًا، تبتسم ببرود بجانب زوجها الأشقر الشاحب، وفي حضنها طفلان توأمان، وخلفها غرفة استقبال فاخرة. لم يتمكن أحد من العثور على صورة لها مع كورموران سترايك، لكن حقيقة أنهما تواعدا يومًا ما، وهو ما حرصت شارلوت بنفسها على ذكره للصحافة حين خطبت لـ جاغو، ضمنت ظهور اسمه مطبوعًا بجوار اسمها.

"نقل طارئ للمستشفى"، "تاريخ من مشكلات الإدمان"، "ماضٍ مضطرب": ورغم أن الصحف لم تقل ذلك صراحة، إلا أن القارئ الساذج فقط هو من قد يشك في أن شارلوت حاولت إنهاء حياتها. اكتسبت القصة زخمًا جديدًا حين أسرّ "مصدر

داخلي" مجهول في "سايموندز هاوس" بأن الفيكونتيسة المستقبلية روس قد عُثر عليها "كما يُزعم" مكبّة على وجهها بين الشجيرات، خلف منزل صيفي قديم مباشرة.

تصدرت قصص الصحف الرصينة الممارسات المشكوك فيها لمصحة "سايموندز هاوس" باهظة التكلفة، "التي" (كما ذكرت صحيفة التلغراف) "تشتهر بكونها الملاذ الأخير للأثرياء وذوي النفوذ. وتشمل علاجاتها المثيرة للجدل التحفيز المغناطيسي عبر الجمجمة، وعقار السيلوسيبين المهلوس (المعروف باسم الفطر السحري)." واستخدمت هذه الصحف أيضًا صورًا كبيرة لشارلوت لتزيين قصصها؛ لذا فإن روبن، التي قرأت كل تلك الأخبار خلسة وشعرت بالذنب لاحقًا، كانت تتذكر باستمرار كم كانت حبيبة سترايك السابقة فاتنة الجمال دائمًا.

لم ينبس سترايك بكلمة واحدة عن الأمر لروبن، وهي لم تسأل. فُرض حظر تام على اسم شارلوت منذ تلك الليلة، قبل أربع سنوات، حين كانت روبن لا تزال موظفة مؤقتة، واعترف لها سترايك وهو في حالة سكر شديد بأن شارلوت كذبت بشأن حملها بطفله. كل ما كانت تعرفه روبن الآن هو أن سترايك عاد من كورنوال بمزاج شديد الانغلاق والتحفظ، وبينما كانت تدرك أن التخلص من رماد عمته كان مناسبة حزينة، لم تستطع إلا أن تشك في هذا المصدر الآخر لمزاجه العكر.

بدافع الولاء لسترايك، رفضت الخوض في النميمة عن حبيبته السابقة، رغم أن كل من حولها بدا راغبًا في الحديث عن الأمر. بعد أسبوع من عودة سترايك من كورنوال، دخلت روبن المكتب، وهي في مزاج سيئ بالفعل لأن ماثيو أجل جلسة الوساطة مرة أخرى. وعند رؤية الباب يفتح، حاولت بات، السكرتيرة، إخفاء نسخة من صحيفة "ديلي ميل" كانت تعكف عليها مع موريس بسرعة. وحين أدركت أن القادم هو روبن وليست سترايك، أطلقت بات ضحكتها التي تشبه نعيق الغراب وضربت بالصحيفة مرة أخرى على مكتبها.

قال موريس وهو يغمز لروبن:

– "ممسوكة بالجرم المشهود. هل رأيتِ كل هذا عن طليقة الزعيم؟"

إنه ليس رئيسي، إنه شريكي، فكرت روبن، لكنها اكتفت بقول:

– "نعم."

قال موريس وهو يتفحص صورة لشارلوت في الحادية والعشرين ترتدي فستانًا قصيرًا مطرزًا:

– "هذا ما يسمونه صيدًا أكبر من حجمه بكثير. كيف بحق الجحيم انتهى الأمر برجل بمظهره مع امرأة كهذه؟"

لم تسلم روبن من الأمر حتى في المنزل. كان ماكس، الذي قُص شعره المنسدل ليقوم بدور ضابط جيش سابق، قد بدأ تصوير مسلسله التلفزيوني، وبدا أكثر مرحًا مما عهدته يومًا. كان ماكس أيضًا مفتونًا تمامًا بمعرفة أن سترايك كان مرتبطًا بشارلوت لستة عشر عامًا.

أخبر روبن، التي صعدت من غرفتها بعد عدة ساعات قضتها في تمشيط السجلات عبر الإنترنت بحثًا عن بيتي فولر:

– "لقد قابلتها مرة واحدة."

كانت العاهرة السابقة تثبت أنها أصعب في العثور عليها مما توقعت.

قالت روبن، التي كانت تريد ولا تريد سماع القصة في آن واحد:

– "حقًا؟"

– "أجل، كنت في مسرحية قبل سنوات مع أخيها غير الشقيق. سايمون ليجارد؟ الذي قام ببطولة ذلك المسلسل القصير عن الانهيار المالي، ماذا كان اسمه؟ جاءت لمشاهدة مسرحيتنا واصطحبتنا جميعًا للعشاء بعدها. لقد أعجبتني في الواقع، كانت مرحة حقًا. بعض هؤلاء الفتيات الأرستقراطيات أكثر طرافة مما قد تظنين."

قالت روبن بنبرة غير ملزمة:

– "ممم."

وعادت فورًا إلى غرفتها مع كوب الشاي.

كان تعليق إلسا البارد عبر الهاتف، بعد أسبوعين من عيد الفصح:

– "أراهن أنها حاولت الاتصال بكورم قبل أن تفعلها."

بحلول ذلك الوقت، كانت روبن قد نجحت، من خلال المقارنة الصبورة للمعلومات، في تحديد هوية المرأة التي اعتقدت أنها الأرجح أن تكون بيتي فولر التي عاشت في شارع سكينر وقت اختفاء مارغو بامبورو. كانت بيتي تعيش الآن في سكن للرعاية في "سانز ووك"، غير بعيد عن شقتها الأصلية، وخططت روبن لزيارتها بعد ظهر اليوم التالي، بعد جلسة الوساطة مع ماثيو التي بدا أخيرًا أنها ستمضي قدمًا.

اتصلت إلسا لتتمنى لروبن حظًا سعيدًا. كانت روبن تحاول ألا تفكر في اضطرارها لرؤية ماثيو، مخبرة نفسها أن المحنة ستنتهي في غضون ساعتين، لكن التركيز على قائمة أسئلتها لبيتي فولر أصبح يزداد صعوبة مع تقدم المساء، وكانت سعيدة، في البداية، بمقاطعة إلسا لها.

سألت إلسا:

– "ماذا يقول كورم عن موضوع شارلوت كله؟"

قالت روبن بصدق:

– "لا شيء."

– "لا، هو لم يعد يتحدث عنها أبدًا. أتساءل كم سيستمر زواجها. لا بد أنه معلق بخيط رفيع. أنا مندهشة جدًا لأنه استمر متعثرًا كل هذا الوقت، في الواقع. لقد فعلت ذلك فقط لتنتقم من كورم."

أشارت روبن:

– "حسنًا، لقد أنجبت أطفالاً من جاغو."

ثم ندمت فورًا. كانت إلسا قد أخبرتها بالفعل أنها ونيك قررا عدم تجربة جولة رابعة من التلقيح الصناعي.

قالت إلسا:

– "هي لم ترد أطفالاً قط. كان ذلك شيئًا مشتركًا بينها وبين كورم. ذلك، وامتلاكهما أمهات متشابهات حقًا. شرب، ومخدرات، ومليون رجل لكل منهما، باستثناء أن أم شارلوت لا تزال حية. إذن، ألم تتحدثي معه عن كل هذا؟"

قالت روبن، التي كانت تشعر بسوء طفيف جراء هذه المحادثة، رغم نوايا إلسا الطيبة:

– "لا. إلسا، آسفة، لكن عليّ الذهاب. لدي عمل لأنجزه للغد."

– "ألا يمكنكِ أخذ فترة الظهيرة إجازة؟ يمكننا أن نلتقي لاحتساء القهوة، ربما تحتاجين لبعض الراحة والاستجمام بعد ذلك. كورم لن يمانع، أليس كذلك؟"

– "أنا واثقة أنه لن يمانع، لكننا مشغولون جدًا، وأنا أتابع خيطًا مهمًا. على أي حال، العمل يعطيني شيئًا أفكر فيه غير ماثيو. لنتحدث في عطلة نهاية الأسبوع، إذا كنتِ متفرغة."

نامت روبن بشكل سيئ تلك الليلة. لم تكن شارلوت هي من تسللت إلى أحلامها، بل الآنسة جونز، عميلة الوكالة التي، كما لاحظ الجميع الآن، أُعجبت بسترايك لدرجة أنه اضطر للطلب من بات التوقف عن تحويل مكالماتها إليه. استيقظت روبن قبل أن يرن منبهها، سعيدة بالهروب من حلم معقد تكشف فيه أن الآنسة جونز كانت زوجة ماثيو طوال الوقت، وأن روبن كانت تدافع عن نفسها ضد تهمة الاحتيال في نهاية طاولة طويلة مصقولة في غرفة اجتماعات مظلمة.

رغبة منها في أن تبدو محترفة وواثقة، ارتدت بنطالاً وسترة سوداوين، رغم أن ماثيو يعرف تمامًا أنها تقضي معظم حياتها في التحقيقات مرتدية الجينز. ألقت نظرة أخيرة في مرآتها قبل مغادرة غرفتها، وظنت أنها تبدو شاحبة ومنهكة. حاولت ألا تفكر في كل تلك الصور لشارلوت روس، التي نادرًا ما ارتدت شيئًا غير الأسود، لكن جمالها الخزفي كان يزداد إشراقًا بالتباين، أمسكت روبن حقيبة يدها وغادرت غرفتها.

بينما كانت تنتظر المترو، حاولت روبن تشتيت انتباهها عن شعور التوتر الذي يعتصر معدتها بتفقد رسائل بريدها الإلكتروني.

عزيزتي الآنسة إيلاكوت،

كما ذكرت سابقًا، لست مستعدًا للتحدث إلى أي شخص سوى السيد سترايك. هذا ليس تقليلاً من شأنكِ، لكنني سأشعر براحة أكبر بالتحدث رجلاً لرجل. للأسف، سأكون غير متاح اعتبارًا من نهاية الأسبوع المقبل بسبب التزامات العمل

التي ستأخذني خارج البلاد. ومع ذلك، يمكنني توفير وقت في مساء يوم 24. إذا كان هذا يناسب السيد سترايك، أقترح "البار الأمريكي" في فندق ستافورد كمكان لقاء سري. يرجى إعلامي إذا كان هذا مقبولاً.

المخلص،

سي بي أوكدن

بعد عشرين دقيقة، حين خرجت من محطة مترو هولبورن وعادت الشبكة لهاتفها، حولت روبن هذه الرسالة لسترايك. كان لديها ربع ساعة مريح قبل موعدها، وكانت هناك أماكن كثيرة للحصول على قهوة في محيطها، لكن قبل أن تتمكن من فعل ذلك، رن هاتفها المحمول: كانت بات، من المكتب.

قال الصوت الأجش المألوف:

– "روبن؟ هل تعرفين أين كورموران؟ حاولت الاتصال به لكنه لا يجيب. شقيقه آل هنا في المكتب، يريد رؤيته."

قالت روبن مندهشة:

– "حقًا؟"

كانت قد التقت بآل قبل عامين، لكنها علمت أنه وسترايك ليسا مقربين.

– "لا، لا أعرف أين هو يا بات. هل تركتِ رسالة؟ ربما يكون في مكان لا يستطيع الرد فيه."

قالت بات:

– "أجل، تركت بريدًا صوتيًا. حسنًا، سأستمر في محاولة الاتصال به. وداعًا."

تابعت روبن سيرها، وقد نسيَت رغبتها في القهوة أمام فضولها حول ظهور آل في المكتب. كانت قد استلطفت آل نوعًا ما حين قابلته؛ بدا وكأنه يهاب أخاه الأكبر قليلاً، وهو ما وجدته روبن محببًا. لم يكن آل يشبه سترايك كثيرًا، كونه أقصر، بشعر أملس، وفك ضيق، وذلك الحول التباعدي الطفيف الذي ورثه عن والدهما الشهير.

وبينما كانت تفكر في عائلة سترايك، انعطفت عند الزاوية ورأت، بشعور مفاجئ من الرهبة أوقفها مكانها، ماثيو يترجل من سيارة أجرة، مرتديًا معطفًا داكنًا

غير مألوف فوق بدلته. التفت رأسه، وللحظة كانا ينظران لبعضهما البعض، تفصل بينهما خمسون ياردة مثل متبارزين بالمسدسات يستعدان لإطلاق النار. ثم رن هاتف روبن؛ مدت يدها إليه تلقائيًا، وحين وضعته على أذنها ونظرت لأعلى، كان ماثيو قد اختفى داخل المبنى.

– "ألو؟"

قال سترايك:

– "أهلاً، تلقيت للتو الإيميل من أوكدن. (خارج البلاد)، يا للهراء."

نظرت روبن إلى ساعتها. كان لا يزال لديها خمس دقائق، ومحاميتها، جوديث، لم تظهر بعد. تراجعت مستندة إلى الجدار الحجري البارد وقالت:

– "نعم، فكرت في ذلك أيضًا. هل عاودت الاتصال ببات؟"

– "لا، لماذا؟"

– "آل في المكتب."

– "آل من؟"

قالت روبن:

– "أخوك، آل."

ساد صمت وجيز.

قال سترايك بصوت خافت:

– "اللعنة."

سألت روبن:

– "أين أنت؟"

– "في متجر (بي آند كيو) في تشينغفورد. صديقتنا الشقراء في ستوك نيوينغتون تتسوق."

– "لأجل ماذا؟"

– "رغوة مطاطية وألواح خشبية، كبداية. ذلك الرجل من صالة ألعاب (المراوغ) يساعدها. أين أنتِ؟"

قالت روبن:

– "أنتظر خارج مكتب محامي ماثيو. إنه صباح جلسة الوساطة."

– "تبًا، لقد نسيت. حظًا موفقًا. اسمعي – خذي بقية اليوم إجازة، إذا كنتِ..."

قالت روبن وهي تلمح جوديث من بعيد تمشي بخطوات سريعة نحوها في معطف أحمر:

– "لا أريد إجازة. أخطط للذهاب ورؤية بيتي فولر بعد ذلك. عليّ الذهاب يا كورموران. نتحدث لاحقًا."

أنهت المكالمة وتقدمت لملاقاة جوديث، التي ابتسمت ابتسامة عريضة.

سألت وهي تربت على ذراع روبن باليد التي لا تحمل حقيبتها:

– "هل أنتِ بخير؟ سيكون الأمر على ما يرام. دعيني أتولى الحديث."

قالت روبن، مبتسمة بأكبر قدر استطاعت حشده من الدفء:

– "حسنًا."

صعدتا الدرج معًا إلى منطقة استقبال صغيرة، حيث تقدم رجل ممتلئ الجسم يرتدي بدلة، بقصة شعر تشبه قصة يوليوس قيصر، بابتسامة روتينية ويده ممدودة لجوديث.

– "آنسة كوبس؟ أندرو شينستون. آنسة إيلاكو؟ كيف حالك؟"

تركت مصافحته يد روبن تنبض ألمًا. سار هو وجوديث أمام روبن عبر أبواب مزدوجة، يدردشان حول زحام لندن، وتبعتهما روبن، جافة الحلق وتشعر كطفل يجرجر قدميه خلف والديه. بعد مسافة قصيرة في ممر مظلم، انعطفوا يسارًا إلى غرفة اجتماعات صغيرة بها طاولة بيضاوية وسجادة زرقاء رثة.

كان ماثيو يجلس هناك وحيدًا، لا يزال يرتدي معطفه. عدّل جلسته في كرسيه حين دخلوا. نظرت روبن مباشرة في وجهه وهي تجلس، في الجانب المقابل له قطريًا. ولدهشتها، أشاح ماثيو بنظره فورًا. كانت قد تخيلته يحدق عبر الطاولة، بذلك البياض الغريب حول فمه الذي يشبه الكمامة والذي كان يرتسم على وجهه أثناء المشاجرات قرب نهاية زواجهما.

قال أندرو شينستون بابتسامة أخرى، بينما كانت جوديث كوبس تفتح الملف الذي أحضرته معها، وكان أمامه حافظة مستندات جلدية مغلقة:

– "حسنًا إذن. موقف موكلكِ لا يزال كما ورد في رسالتكِ بتاريخ الرابع عشر، يا جوديث، هل هذا صحيح؟"

قالت جوديث، ونظارتها السوداء السميكة تستقر على طرف أنفها وهي تمسح بنظرها نسخة من الرسالة المذكورة:

– "هذا صحيح. الآنسة إيلاكوت سعيدة تمامًا بالتنازل عن أي مطالبة من موكلك، باستثناء ما يتعلق بعائدات بيع الشقة في... اممم..."

شارع هاستينغز، فكرت روبن. تذكرت الانتقال إلى تلك الشقة المحولة الضيقة مع ماثيو، وهما يحملان بحماس صناديق نباتات الزينة والكتب في الممر القصير، وماثيو يوصل آلة القهوة التي كانت واحدة من أولى مقتنياتهما المشتركة، وذلك الفيل المحشو الذي أهداها إياه منذ زمن بعيد، جالسًا على السرير.

قالت جوديث وهي تتفحص رسالتها:

– "... شارع هاستينغز، نعم. والتي تود استرداد مبلغ العشرة آلاف جنيه التي ساهم والداها بها في الوديعة، عند الشراء."

كرر أندرو شينستون:

– "عشرة آلاف."

نظر هو وماثيو إلى بعضهما البعض.

– "في هذه الحالة، نحن موافقون."

سألت جوديث كوبس، وهي متفاجئة بقدر روبن نفسها:

– "أنتم... موافقون؟"

قال شينستون:

– "ظروف موكلي تغيرت. أولويته الآن هي تأمين الطلاق بأسرع وقت ممكن، وهو ما أعتقد أن موكلتكِ أشارت إلى أنه مفضل لديها أيضًا، باستثناء العشرة آلاف جنيه؟ بالطبع، نحن نقترب من إتمام العامين المطلوبين، لذا..."

نظرت جوديث إلى روبن، التي أومأت برأسها وفمها لا يزال جافًا.

قال أندرو شينستون برضا عن النفس، وكان من المستحيل الهروب من الشك بأنه يخاطب نفسه:

– "إذن أعتقد أننا يمكننا إنهاء الأمور اليوم. جيد جدًا بالفعل. لقد سمحت لنفسي بصياغة..."

فتح حافظة مستنداته، وأدارها على سطح الطاولة المصقول ودفعها نحو جوديث، التي قرأت الوثيقة بداخلها بعناية.

قالت أخيرًا:

– "نعم."

وأزاحت الوثيقة جانبيًا لروبن، التي علمت أن ماثيو يتعهد بتحويل المال إلى حساب روبن خلال سبعة أيام من التوقيع. أضافت جوديث بصوت خافت لروبن:

– "سعيدة؟"

قالت روبن، مذهولة قليلاً:

– "نعم."

تساءلت، ما الهدف إذن من جرها إلى هنا؟ هل كان استعراضًا أخيرًا للقوة، أم أن ماثيو قرر فقط صباح اليوم الاستسلام؟ مدت يدها إلى حقيبتها، لكن جوديث كانت تمد لها قلم الحبر الخاص بها، فأخذته روبن ووقعت. مررت جوديث الوثيقة مرة أخرى لأندرو شينستون، الذي مررها لماثيو، فخربش توقيعًا سريعًا. نظر إلى روبن للحظة حين انتهى، ثم أشاح بنظره بسرعة مرة أخرى، وفي تلك اللحظة، عرفت روبن ما حدث، ولماذا أعطاها ما أرادت.

قال أندرو شينستون مرة أخرى وهو يضرب الطاولة بيده السميكة ويضحك:

– "جيد جدًا. حسنًا، لقاء قصير ولطيف، هاه؟ أعتقد أننا...؟"

قالت جوديث بضحكة صغيرة:

– "نعم، أعتقد أننا انتهينا!"

نهض ماثيو وروبن وشاهدا محاميهما يجمعان أغراضهما، وفي حالة جوديث، ترتدي معطفها مرة أخرى. مشوشة بما حدث للتو، انتاب روبن مرة أخرى

شعور بأنها طفل مع والديه، غير واثقة من كيفية مغادرة الموقف، وتنتظر أن يطلق المحاميان سراحها.

أمسك أندرو شينستون الباب مفتوحًا لروبن فمرت عائدة إلى الممر، متجهة نحو الردهة. خلفها، كان المحاميان يتحدثان عن حركة المرور مرة أخرى. حين توقفوا في الردهة لتوديع بعضهم البعض، وبعد كلمة شكر مقتضبة لشينستون، سار ماثيو مباشرة متجاوزًا روبن، إلى الشارع.

انتظرت روبن حتى اختفى أندرو شينستون داخل المبنى مرة أخرى قبل أن تخاطب جوديث.

قالت:

– "شكرًا جزيلاً."

قالت جوديث ضاحكة:

– "حسنًا، لم أفعل الكثير حقًا، أليس كذلك؟ لكن الوساطة غالبًا ما تعيد الناس إلى صوابهم، لقد رأيت ذلك يحدث من قبل. من الأصعب بكثير تبرير موقفك في غرفة مع مراقبين موضوعيين."

تصافحتا، واتجهت روبن للخارج إلى نسيم ربيعي دفع شعرها إلى داخل فمها. شعرت ببعض الاضطراب. عشرة آلاف جنيه. كانت قد عرضت إعادتها لوالديها، لعلمها أنهما كافحا لمجاراة مساهمة والدي ماثيو، لكنهما أخبراها أن تحتفظ بها. سيتعين عليها تسوية فاتورتها مع جوديث بالطبع، لكن المتبقي سيمنحها حاجز أمان، وربما يساعدها للعودة لامتلاك مكان خاص بها.

انعطفت عند الزاوية وهناك، أمامها مباشرة، واقفًا عند حافة الرصيف، وذراعه مرفوعة في محاولة لإيقاف سيارة أجرة، كان ماثيو. عندما لمحها، تسمر لحظة، ويده لا تزال مرفوعة، وتباطأت سيارة الأجرة التي كان يحاول إيقافها على بعد عشر ياردات، وأقلت زوجين بدلاً منه.

قالت روبن:

– "سارة حامل، أليس كذلك؟"

نظر إليها؛ لم يكن طويلاً كسترايك تمامًا، لكنه كان وسيمًا كما كان في السابعة عشرة، يوم طلب منها الخروج معه.

تردد قائلاً:

– "أجل. كان ذلك حادثًا."

حادث، ياللكذب، فكرت روبن. كانت سارة تعرف دائمًا كيف تحصل على ما تريد. أدركت روبن أخيرًا كم كانت اللعبة التي لعبتها سارة طويلة النفس: حاضرة دائمًا، تقهقه، تغازل، مستعدة للقبول بأفضل صديق لماثيو لتبقى قريبة منه. ثم، حين أحكمت قبضتها، لكن ماثيو هدد بالإفلات، كان هناك القرط الماسي الذي تركته في سرير روبن، والآن، ما هو أثمن، حمل لضمانه، قبل أن يتمكن من دخول حالة العزوبية الخطرة. كان لدى روبن شك قوي بأن هذا هو ما كان يكمن خلف التأجيلين لجلسة الوساطة. هل افتعلت سارة، المضطربة هرمونيًا وغير الواثقة حديثًا، مشاهد درامية، خوفًا من التقاء ماثيو بروبن وجهًا لوجه بينما لم يقرر بعد ما إذا كان يريد الطفل أو أمه؟

– "وهي تريد الزواج قبل أن تلد؟"

قال ماثيو:

– "أجل. حسنًا، وأنا كذلك."

هل ومضت صورة زفافهما في ذهنه، كما ومضت في ذهن روبن؟ الكنيسة في ماشام التي ارتادها كلاهما منذ المدرسة الابتدائية، حفل الاستقبال في ذلك الفندق الجميل، مع البجعات في البحيرة التي رفضت السباحة معًا، والاستقبال الكارثي، الذي عرفت روبن خلاله، لبضع ثوانٍ مرعبة، أنها لو طلب سترايك منها الرحيل معه، لكانت ذهبت.

– "كيف هي الأمور معكِ؟"

قالت روبن:

– "عظيمة."

تظاهرت بالتماسك. هذا ما تفعله حين تقابل طليقك، أليس كذلك؟ تتظاهر بأنك تعتقد أنك فعلت الصواب. لا ندم.

قال بينما كانت حركة المرور تتدفق أمامهما:

– "حسنًا، أنا بحاجة لـ..."

بدأ يبتعد.

– "مات."

التفت عائدًا.

– "ماذا؟"

– "لن أنسى أبدًا... كيف كنتَ، حين احتجت إليك حقًا. مهما حدث آخر... لن أنسى ذلك الجزء أبدًا."

لجزء من الثانية، اختلج وجهه قليلاً، كوجه صبي صغير. ثم مشى عائدًا إليها، وانحنى، وقبل أن تدرك ما يحدث، عانقها بسرعة، ثم أفلتها وكأنها جمرة ملتهبة.

قال بصوت مبحوح:

– "حظًا موفقًا، روبس."

ومضى مبتعدًا إلى الأبد.

56

«في حين أن هذه السيدة، كنعجة شاردة،
غارقة الآن في لجج النوم، مطمئنة رقودها.»
إدموند سبنسر *ملكة الجن*

في اللحظة نفسها التي استدار فيها ماثيو ليبتعد عن روبن في "هولبورن"، قرر سترايك، الذي كان جالسًا في سيارته المتوقفة على بعد ثلاثة أميال، خارج المنزل المألوف في "ستوك نيوينغتون"، الاتصال بأخيه، خشية أن يظل آل منتظرًا إياه في المكتب طوال اليوم. كان غضب المحقق ممزوجًا بمشاعر أخرى يصعب تحديدها، أقلها إيلامًا كان إعجابًا مُضمرًا بإصرار آل. لم يشك سترايك في أن آل جاء للمكتب في محاولة أخيرة بائسة لإقناعه بنوع من المصالحة مع والده، ويُفضل أن يكون ذلك قبل أو أثناء الحفل الاحتفالي بألبوم والده الجديد. ورغم أنه اعتبر آل دائمًا شخصية ضعيفة ومنغمسة في الملذات، كان على سترايك الاعتراف بأنه يظهر شجاعة بالمخاطرة بمواجهة غضب أخيه الأكبر.

انتظر سترايك حتى أفرغت إلينور دين الرغوة والخشب الرخيص من سيارتها وحملت كل شيء للداخل بمساعدة صديقها من صالة ألعاب "المراوغ"، وراقب الباب الأمامي يغلق، ثم اتصل برقم آل.

قال آل بعد رنة واحدة:

– "أهلاً."

– "لماذا أنت في مكتبي؟"

– "أردت رؤيتك يا أخي. لنتحدث وجهًا لوجه."

كذب سترايك:

– "حسنًا، لن أعود إلى هناك اليوم. لذا أقترح أن تقول ما لديك الآن."

– "يا أخي..."

– "من معك؟"

– "آه... سكرتيرتك... بات، أليس كذلك؟"

سمع سترايك آل يبتعد عن هاتفه ليتأكد، وسمع نعيق بات بالموافقة، "ورجل يدعى..."

قال الاسكتلندي بصوت عالٍ في الخلفية:

– "باركل."

قال سترايك:

– "حسنًا، ادخل مكتبي لتحصل على بعض الخصوصية."

استمع بينما أخبر آل بات بما طلبه سترايك، وسمع الصوت المألوف لباب مكتبه يُغلق، ثم قال:

– "إذا كان الأمر يتعلق بما أظن..."

– "كورموران، لم نرد إخبارك بهذا، لكن أبي مصاب بالسرطان."

أوه، بحق الجحيم.

مال سترايك للأمام لحظة وأسند جبهته على عجلة القيادة، قبل أن يعتدل في جلسته مرة أخرى.

تابع آل:

– "البروستاتا. يعتقدون أنهم اكتشفوه مبكرًا. لكننا ظننا أنه يجب عليك أن تعرف، لأن هذا الحفل ليس مجرد احتفال بذكرى الفرقة والألبوم الجديد. إنه لمنحه شيئًا يتطلع إليه."

ساد صمت.

كرر آل:

– "ظننا أنه يجب عليك أن تعرف."

لماذا بحق الجحيم يجب عليّ أن أعرف؟ فكر سترايك، وعيناه على الباب المغلق لمنزل إلينور دين. لم تكن تربطه أي علاقة بـ روكبي. هل توقع آل منه أن يبكي، أن يهرع لجانب روكبي، أن يبدي تعاطفًا أو شفقة؟ روكبي كان مليونيرًا. وبلا شك سيحظى بأفضل علاج ممكن. تكررت ذكرى جرة جوان وهي تطفو مبتعدة في البحر بينما قال سترايك:

– "حسنًا، لا أعرف حقًا كيف أرد على ذلك. أنا متأكد أنه أمر مزعج لكل من يهتم لأمره."

ساد صمت طويل آخر.

قال آل بهدوء:

– "ظننا أن هذا قد يُحدث فرقًا."

– "في ماذا؟"

– "في موقفك."

قال سترايك بنبرة مشجعة:

– "طالما اكتشفوه مبكرًا، سيكون بخير. ربما سيعيش لينجب بضعة أطفال آخرين لا يراهم أبدًا."

صاح آل غاضبًا حقًا الآن:

– "يا يسوع المسيح! قد لا تكترث، لكنه يصادف أن يكون أبي..."

قال سترايك:

– "أنا أكترث لمن اكترثوا لأمري يومًا، واخفض صوتك اللعين، هؤلاء موظفيَّ الذين تذيع أموري الخاصة أمامهم."

– "هذه هي أولويتك؟"

فكر سترايك في شارلوت التي، وفقًا للصحف، لا تزال في المستشفى، وفي لوسي، التي كانت تلح لتعرف ما إذا كان سترايك سيتمكن من أخذ عطلة نهاية الأسبوع للانضمام إلى تيد في منزلها ببروملي. فكر في العملاء في قضية المراوغ، الذين كانوا يلمحون لإنهاء الدفع خلال أسبوع ما لم تكتشف الوكالة ما يمسكه المراوغ على رئيسه. فكر في مارغو بامبورو، والسنة التي تتلاشى بسرعة

والمخصصة لمعرفة ما حدث لها. وبشكل لا يمكن تفسيره، فكر في روبن، وحقيقة أنه نسي أن اليوم هو جلسة الوساطة الخاصة بها مع ماثيو.

قال سترايك، كابحًا جماح غضبه فقط بممارسة أقصى درجات ضبط النفس:

– "لدي حياة، وهي صعبة ومعقدة، تمامًا مثل أي شخص آخر. روكبي لديه زوجة ونصف دزينة أطفال، وأنا وصلت طاقتي القصوى تجاه من يحتاجون إليّ. لن أحضر حفله اللعين، ولست مهتمًا بالسماع منه، ولا أريد علاقة معه. لا أعرف كيف يمكنني توضيح ذلك أكثر يا آل، لكنني..."

انقطع الخط. دون أن يندم على أي كلمة قالها، لكنه يتنفس بصعوبة مع ذلك، رمى سترايك هاتفه على مقعد الراكب، وأشعل سيجارة وراقب الباب الأمامي لمنزل إلينور دين لخمس عشرة دقيقة أخرى، حتى التقط الهاتف بجانبه مرة أخرى بنزوة مفاجئة، واتصل بباركل.

– "ماذا تفعل الآن؟"

قال الاسكتلندي باقتضاب:

– "أرتب نفقاتي. ذلك الكازينو كلفك ثروة."

– "هل أخي لا يزال هناك؟"

– "لا، لقد غادر."

– "جيد. أريدك أن تأتي وتتولى الأمر في ستوك نيوينغتون."

– "ليس معي سيارتي."

قال سترايك بغضب:

– "حسنًا، تباً إذن."

قال باركل:

– "أنا آسف يا سترايك، لكن من المفترض أن أكون في إجازة بعد الظهر..."

قال سترايك مغلقًا عينيه:

– "لا، أنا آسف. أشعر بالإحباط فقط. استمتع بإجازتك. بجدية."

أضاف الكلمة الأخيرة خشية أن يظن باركلي أنه يسخر منه. وكان لديه نفس الإحساس بسلك يشد حول جبهته كما شعر في "سانت ماوز".

بعد أن أنهى المكالمة مع باركل، اتصل سترايك بروبن.

– "كيف سارت الوساطة؟"

قالت روبن، رغم أن صوتها بدا فاترًا بشكل غريب:

– "بخير. لقد سوينا الأمر."

– "عظيم!"

– "نعم. إنه شعور بالراحة."

– "هل قلتِ إنك ذاهبة لـ بيتي فولر؟"

– "نعم، كنت على وشك التوجه للمترو."

– "ذكريني أين تسكن؟"

– "سكن رعاية في (سانز ووك) بكليركينويل."

قال سترايك:

– "حسنًا، سألاقيكِ هناك."

– "حقًا؟ أنا بخير لأذهب..."

قاطعها سترايك:

– "أعرف، لكنني أريد أن أكون هناك."

انطلق مبتعدًا عن منزل إلينور دين مدركًا أنه كان فظًا للتو مع زميليه المفضلين. لو كان سينفّس عن غضبه، لكان الأجدر أن يكون ذلك على حساب بات وموريس.

بعد عشرين دقيقة، دخل سترايك "كليركينويل" عبر شارع "بيرسيفال". إلى يمينه كانت الشقق المبنية من الطوب الأحمر العادية حيث عاشت جانيس بيتي وستيف دوثويت يومًا ما، وتساءل مرة أخرى عما حل بمريض مارغو القديم، الذي ظل مكانه مجهولاً رغم أفضل جهوده وجهود روبن.

كان "سانز ووك" شارعًا ضيقًا مخصصًا للمشاة باتجاه واحد. أوقف سترايك سيارته الـ "بي إم دبليو" أقرب ما يمكن إليه. كان اليوم دافئًا بشكل مفاجئ، رغم وجود كمية جيدة من السحب. وبينما كان يقترب من "سانز ووك"، رأى روبن تنتظره عند المدخل.

قالت:

– "مرحبًا. إنه في الطرف الآَخر، ذلك المبنى الحديث من الطوب الأحمر ذو البرج الدائري في الأعلى."

قال سترايك وهما ينطلقان معًا:

– "عظيم. آسف بخصوص ما حدث سابقًا، أنا..."

قالت روبن:

– "لا، الأمر بخير. أعلم أننا بحاجة لنتائج قريبًا جدًا."

لكن سترايك ظن أنه لمح فتورًا طفيفًا.

شرح قائلاً:

– "آَل أثار غضبي. لذا ربما كنت قليلاً..."

كررت روبن بابتسامة طمأنت سترايك:

– "كورموران، الأمر بخير."

– "أخبار عظيمة بشأن الوساطة."

قالت روبن، رغم أنها لم تبدُ سعيدة بشكل خاص:

– "نعم. إذن، ما هو أفضل أسلوب نتبعه مع بيتي فولر برأيك؟"

– "أن نكون صادقين ومباشرين بشأن هويتنا وما نحقق فيه، ثم نتصرف حسب الموقف، أعتقد. ونأمل بحق المسيح ألا تكون مصابة بالخرف..."

كان "بريوري هاوس" مبنى حديثًا متعدد الطوابق بحديقة مشتركة في الخلف. وبينما كانا يقتربان من الأبواب الأمامية، خرج زوجان في منتصف العمر؛ بدت عليهما نظرة الارتياح لأشخاص أدوا واجبهم للتو، ومبتسمين لسترايك وروبن، أمسكا الباب مفتوحًا ليسمحا لهما بالدخول.

قالت روبن مبتسمة لهما:

– "شكرًا جزيلاً."

وبينما مضى الزوجان، سمعت المرأة تقول:

– "على الأقل تذكرت من نكون هذه المرة..."

لولا الدراجات الكهربائية (سكوترات التنقل)، لكان المكان يشبه سكنًا جامعيًا، بسجادته الرمادية الداكنة القوية تحت الأقدام، ولوحة إعلاناته المليئة بالنشرات، ورائحة الطهي الجماعي الكئيبة العالقة في الهواء.

قالت روبن مشيرة نحو ممر:

– "إنها في الطابق الأرضي. تحققت من الأسماء على الجرس."

مرا بعدد من الأبواب الصنوبرية المتطابقة حتى وصلا إلى الباب الذي كُتب عليه "إليزابيث فولر" على بطاقة في حامل معدني. من خلال الخشب جاءت أصوات مكتومة. تمامًا كما كان الحال حين زار جانيس بيتي، كان التلفاز مرتفع الصوت جدًا بالداخل. طرق سترايك الباب بقوة.

بعد انتظار طويل، فُتح الباب ببطء شديد ليكشف عن سيدة عجوز تلهث وتضع قنية أنفية، وكانت قد سحبت خزان الأكسجين معها إلى الباب. ومن فوق كتفها، رأى سترايك تلفازًا يصدح ببرنامج الواقع "ذا أونلي واي إز إسيكس".

كانت فتاة بتبرج كثيف وثوب أزرق ساطع تقول على الشاشة:

– "أنا بخير. أنت فقط أزعجتني يا آرغ."

بدت بيتي فولر وكأنها خضعت لجاذبية أثقل من بقية البشر. كل شيء فيها ترهل وتدلى: زوايا فمها الخالي من الشفاه، جفناها الشفافان كالورق، وجنتاها المترهلتان، طرف أنفها الرفيع. بدا وكأن اللحم قد شُفط من الجزء العلوي لجسدها إلى الأسفل: لم يكن لبيتي صدر يذكر، لكن وركيها كانا عريضين وساقاها العاريتان المسكينتان متورمتين للغاية، وكاحلاها أسمك من عنقها. كانت ترتدي ما يشبه خفًا رجاليًا وفستانًا محبوكًا أخضر داكنًا عليه عدة بقع. كانت فروة رأسها المصفرة واضحة من خلال الشعر الرمادي الخفيف الممشط للخلف عن وجهها، وكانت سماعة طبية بارزة في أذنها اليسرى.

سألت بصوت مبحوح وهي تنظر من روبن إلى سترايك:

– "من أنتما؟"

قال سترايك بصوت عالٍ وواضح:

– "مساء الخير يا سيدة فولر. اسمي كورموران سترايك وهذه روبن إيلاكوت."

أخرج رخصة قيادته من جيبه وعرضها عليها، مع بطاقته. قامت بحركة نافدة الصبر لتظهر أنها لا تستطيع قراءتها؛ كانت عيناها مغشاة بالمياه البيضاء (الغلوكوما).

قال سترايك، ولا يزال صوته يعلو فوق صوت الزوجين المتجادلين على الشاشة ("في نهاية اليوم يا لوسي، لقد نامت، لليلة واحدة، مع صبي..." – "آرغ – آرغ – آرغ – هذا غير ذي صلة..."):

– "نحن محققان خاصان. لقد تم تعييننا لمحاولة معرفة ما حدث لمارغو بامبورو. كانت طبيبة..."

– "من؟"

كرر سترايك بصوت أعلى:

– "الدكتورة مارغو بامبورو. اختفت من كليركينويل عام 1974. سمعنا أنك..."

قالت بيتي فولر، التي بدا أنها تحتاج لاستنشاق الهواء كل بضع كلمات:

– "أوه أجل... الدكتورة بامبورو... أجل."

– "حسنًا، تساءلنا عما إذا كان بإمكاننا التحدث إليكِ عنها؟"

وقفت بيتي فولر هناك لما بدا عشرين ثانية طويلة جدًا، تفكر في الأمر، بينما قال شاب ببدلة عنابية للفتاة المتبرجة بإفراط على الشاشة: "لم أرد إثارة الموضوع لكنكِ جئتِ إليّ..."

قامت بيتي فولر بحركة نافدة الصبر، واستدارت وجرجرت قدميها عائدة للداخل. تبادل سترايك وروبن النظرات.

سأل سترايك بصوت عالٍ:

– "هل من الممكن الدخول يا سيدة فولر؟"

أومأت برأسها. بعد أن وضعت خزان الأكسجين بعناية، سقطت في كرسيها، ثم جذبت الفستان المحبوك في محاولة لتغطية ركبتيها. دخل سترايك وروبن

الغرفة وأغلق سترايك الباب. وبينما كانت تراقب السيدة العجوز تكافح لشد فستانها لأسفل، شعرت روبن برغبة في أخذ بطانية من السرير غير المرتب، ووضعها باحتشام فوق حجرها.

اكتشفت روبن خلال بحثها أن بيتي تبلغ الرابعة والثمانين. صدمتها الحالة الجسدية للسيدة العجوز. كانت الغرفة الصغيرة تفوح برائحة العرق والبول. أظهر باب مفتوح مرحاضًا صغيرًا يؤدي إلى غرفة النوم المفردة. ومن خلال باب خزانة الملابس المفتوح، رأت روبن ملابس مجعدة ملقاة هناك، وزجاجتي نبيذ فارغتين، مخفيتين جزئيًا بين الملابس الداخلية. لم يكن هناك شيء على الجدران سوى تقويم قطط: كان شهر مايو يظهر هرتين صهباوين تطلان من بين أزهار الغرنوقي الوردية.

صاح سترايك فوق صوت التلفاز، حيث استمر الزوجان على الشاشة في الجدال، ورموش المرأة كثيفة كيرقات الدب الصوفي:

– "هل يمكن خفض صوت هذا؟"

قالت بيتي فولر:

– "أطفئه. إنه تسجيل."

خمدت أصوات "إسيكس" فجأة. نظر المحققان حولهما. كان هناك خياران فقط للجلوس: السرير غير المرتب وكرسي مستقيم صلب، فأخذت روبن الأول، وسترايك الثاني.

قال سترايك مخرجًا دفتر ملاحظاته من جيبه:

– "لقد وظفتنا ابنة الدكتورة بامبورو، يا سيدة فولر، لمحاولة معرفة ما حدث لها."

أصدرت بيتي فولر صوتًا مثل "هممهم"، بدا مستخفًا، رغم أن سترايك ظن أنه قد يكون أيضًا محاولة لتنظيف حلقها من البلغم. تأرجحت قليلاً إلى جانب في كرسيها وسحبت دون جدوى الجزء الخلفي من فستانها. كانت ساقاها السفليتان المتورمتان معقودتين بدوالي الأوردة.

– "إذن، أنت تتذكرين اختفاء الدكتورة بامبورو، أليس كذلك يا سيدة فولر؟"

دمدمت وهي لا تزال تتنفس بصعوبة:

– "... أجل."

رغم عجزها وأسلوبها غير المبشر، كان لدى سترايك انطباع بشخص أكثر يقظة مما قد يبدو للوهلة الأولى، وأسعد بصحبة واهتمام مما قد يوحي به المظهر الخارجي المنفر.

– "كنتِ تعيشين في شارع سكينر حينها، أليس كذلك؟"

سعلت، مما بدا أنه نظف رئتيها، وقالت بصوت أكثر ثباتًا قليلاً:

– "كنت هناك حتى... العام الماضي. (مايكل كليف هاوس). الطابق العلوي. لم أعد أستطيع التدبر، لا مزيد."

نظر سترايك إلى روبن؛ كان يتوقع منها قيادة الاستجواب، مفترضًا أن بيتي ستستجيب بشكل أفضل لامرأة، لكن روبن بدت سلبية بشكل غريب، جالسة على السرير، ونظرها يجول في الغرفة الصغيرة.

سأل سترايك بيتي:

– "هل كنتِ إحدى مريضات الدكتورة بامبورو؟"

لهثت بيتي:

– "أجل. كنت كذلك."

كانت روبن تفكر، *هل هذا هو المكان الذي ينتهي إليه العزّاب، الأشخاص بلا أطفال ليعتنوا بهم، وبلا دخل مزدوج؟ في صناديق صغيرة، يعيشون بديلاً عن الحياة عبر نجوم الواقع؟*

في عيد الميلاد القادم، بلا شك، ستصطدم بماثيو وسارة وطفلهما الجديد في ماشام. كان بوسعها تخيل تبختر سارة الفخور في الشوارع، تدفع عربة أطفال من الطراز الأول، وماثيو بجانبها، وطفل بشعر سارة الأبيض الأشقر يطل من فوق البطانيات. الآن، حين تصطدم بهما جيني وستيفن، ستكون هناك أرضية مشتركة، لغة الأبوة والأمومة المشتركة. قررت روبن في تلك اللحظة، وهي جالسة على سرير بيتي فولر، التأكد من عدم عودتها للمنزل في عيد الميلاد القادم. ستعرض العمل خلال العيد، إذا لزم الأمر.

كان سترايك يسأل بيتي:

– "هل أحببتِ الدكتورة بامبورو؟"

قالت بيتي:

– "كانت... لا بأس بها."

سأل سترايك:

– "هل قابلتِ أيًا من الأطباء الآخرين في العيادة؟"

ارتفع صدر بيتي فولر وهبط مع تنفسها المجهد. رغم صعوبة الجزم مع وجود القنية الأنفية، ظن سترايك أنه رأى ابتسامة رفيعة.

قالت:

– "أجل."

– "أيهم؟"

قالت بصوت أجش وسعلت مرة أخرى:

– "برينر. احتجت زيارة منزلية... طوارئ... لم تكن هي متاحة."

– "إذن الدكتور برينر جاء لزيارتك؟"

قالت بيتي فولر:

– "هممهم. أجل."

لاحظت روبن بضعة صور صغيرة في إطارات رخيصة على حافة النافذة. اثنتان منها تظهران قطًا مخططًا سمينًا، يفترض أنه حيوان أليف مفقود، لكن كان هناك أيضًا صورتان لطفلين صغيرين، وواحدة لفتاتين مراهقتين بشعر كثيف، ترتديان فساتين بأكمام منتفخة من الثمانينيات. *إذن يمكنك أن تنتهي وحيدًا، في شبه قذارة، حتى لو كان لديك أطفال؟ هل المال وحده هو ما يصنع الفرق إذن؟* فكرت في العشرة آلاف جنيه التي ستتلقاها في حسابها البنكي في وقت لاحق من ذلك الأسبوع، والتي ستنخفض فورًا بسبب الفواتير القانونية وضريبة المجلس. ستحتاج لتوخي الحذر لكي لا تبددها. كانت بحاجة حقًا للبدء في الادخار، للبدء في الدفع لصندوق تقاعد.

كان سترايك يسأل بيتي:

– "لابد أنك كنتِ مريضة بشكل خطير، أليس كذلك؟ لتحتاجي زيارة منزلية؟"

لم يكن لديه سبب خاص للسؤال، سوى خلق جو حواري ودي. في تجربته مع السيدات العجائز، لم يكن هناك شيء يستمتعن به أكثر من مناقشة صحتهن.

فجأة ابتسمت بيتي فولر له ابتسامة عريضة، كاشفة عن أسنان صفراء متكسرة.

– "هل جربت يومًا أخذه... في الخلف... بقضيب طوله تسع بوصات؟"

فقط بممارسة أقصى درجات ضبط النفس منعت روبن نفسها من إطلاق ضحكة مصدومة. كان عليها أن تعترف لسترايك بالفضل: لم يبتسم حتى وهو يقول:

– "لا أستطيع القول إنني فعلت."

لهثت بيتي فولر:

– "حسنًا، يمكنك... أخذ الكلمة مني... إنه عذاب... لعين... الرجل هجم عليّ... مثل مثقاب كهربائي لعين... شق مؤخرتي."

شهقت للهواء، وهي تضحك نصف ضحكة.

– "سيندي ابنتي سمعتني أئن... دم... قالت (أمي، عليكِ... أن يفحصكِ أحد)... اتصلت... بالطبيب."

– "سيندي هي..."

قالت بيتي فولر:

– "ابنتي. أجل... لدي اثنتان. سيندي وكاثي..."

سأل سترايك، محاولاً عدم التوقف طويلاً عند الصورة الذهنية التي استحضرتها بيتي:

– "والدكتور برينر جاء لزيارتك، أليس كذلك؟"

قالت بيتي فولر:

– "أجل... ألقى نظرة... أرسلني للطوارئ، أجل... تسع عشرة غرزة. وجلست على... كيس ثلج... لأسبوع... وبلا مال لعين... يدخل... بعد ذلك،"

لهثت، "لا شرجي... ما لم يكونوا... يدفعون الضعف ولا شيء فوق... ست بوصات... أيضًا."

أطلقت قهقهة انتهت بسعال. تجنب سترايك وروبن النظر لبعضهما بعناية.

سأل سترايك، حين هدأ السعال:

– "هل كانت تلك المرة الوحيدة التي قابلتِ فيها الدكتور برينر؟"

نعت بيتي فولر وهي تضرب صدرها:

– "لا. رأيته بانتظام... كل ليلة جمعة... لشهور... بعدها."

لم تبدُ عليها أي وخزات ضمير لإخبار سترايك بهذا. على العكس، ظن سترايك أنها تبدو مستمتعة.

سأل سترايك:

– "متى بدأ ذلك الترتيب؟"

قالت بيتي فولر:

– "بعد أسبوعين... من فحصه لي... لمؤخرتي. طرق بابي... بحقيبته الطبية... مدعيًا أنه... جاء ليفحص... ثم قال... يريد موعدًا منتظمًا. ليلة الجمعة... السادسة والنصف... أخبري الجيران... فحص طبي... إذا سألوا..."

توقفت بيتي لتسعل بصوت عالٍ. حين هدّأت صدرها المقعقع، تابعت:

– "... وإذا أخبرتُ أي أحد... سيذهب للشرطة... ويقول إنني كنت... أبتزه..."

– "هددكِ، أليس كذلك؟"

لهثت بيتي فولر، وإن كان دون ضغينة:

– "أجل. لكنه لم يكن... يحاول الحصول عليه... مجانًا... لذا أبقيت... فمي مغلقًا."

سألت روبن:

– "لم تخبري الدكتورة بامبورو أبدًا عما يجري؟"

نظرت بيتي جانبيًا إلى روبن التي، في رأي سترايك، نادرًا ما بدت في غير مكانها كما بدت جالسة على سرير بيتي: شابة، ونظيفة، وصحية، وربما رأت عينا

بيتي المتدليتان والمغشاتان شريكته بنفس الطريقة، لأنها بدت مستاءة من السؤال والسائلة معًا.

– "بالطبع لم أفعل... تباً. كانت تحاول جعلي... أتوقف عن العمل... برينر... كان أسهل وظيفة في الأسبوع."

سأل سترايك:

– "لماذا ذلك؟"

ضحكت بيتي بصفير مرة أخرى.

– "كان يحبني... ممددة بلا حراك، وكأنني في... غيبوبة... ألعب دور الميتة. كان يضاجعني... قائلاً كلماته القذرة... تظاهرت... أنني لا أسمع... إلا مرة واحدة،" قالت بيتي بضحكة نصف مكتومة وسعال، "إنذار الحريق اللعين... انطلق في المنتصف... قلت... في أذنه... (لن أبقى ميتة... إذا كنا نحترق تباً... لدي أطفال... في الغرفة المجاورة)... كان غاضبًا جدًا... اتضح أنه... إنذار كاذب..."

قهقهت، ثم سعلت مرة أخرى.

سألت روبن:

– "هل تظنين أن الدكتورة بامبورو شكت في زيارة الدكتور برينر لكِ؟"

قالت بيتي بحدة، مع نظرة جانبية أخرى:

– "لا. بالطبع لم تفعل تباً... هل كان أي منا سيخبرها؟"

سأل سترايك:

– "هل كان برينر معكِ، الليلة التي اختفت فيها؟"

قالت بيتي فولر بلامبالاة:

– "أجل."

– "وصل وغادر في الأوقات المعتادة؟"

قالت بيتي مرة أخرى:

– "أجل."

– "هل استمر في زيارتكِ، بعد اختفاء الدكتورة بامبورو؟"

قالت بيتي:

– "لا. الشرطة... كانت في كل مكان بالعيادة... لا، توقف عن المجيء... سمعت... أنه تقاعد، ليس بعد وقت طويل... ميت الآن، أفترض؟"

قال سترايك:

– "نعم، هو كذلك."

كان الوجه المحطم شاهدًا على عنف ماضٍ. كان سترايك، الذي كُسر أنفه هو الآخر، متأكدًا من أن أنف بيتي لم يكن شكله هكذا في الأصل، بطرفه المعوج.

– "هل كان برينر عنيفًا معكِ أبدًا؟"

– "أبدًا."

قال سترايك:

– "بينما كان ترتيبكما قائمًا، هل ذكرته لأي أحد أبدًا؟"

قالت بيتي:

– "لا."

سأل سترايك:

– "ماذا عن بعد تقاعد برينر؟ هل صدف وأخبرتِ رجلاً يدعى تيودور آثورن؟"

قالت بيتي بقهقهة تعبر عن دهشة خفيفة:

– "ذكي، أليس كذلك؟ أجل، أخبرت تيودور... رحل منذ زمن، هو أيضًا... كنت أشرب... مع تيودور. ابن أخيه... لا يزال هنا... كبر... رأيته... في الجوار. متخلف عقليًا."

قال سترايك:

– "في رأيك، بالنظر لما تعرفينه عن برينر، هل تظنين أنه كان ليستغل مريضة؟"

ساد صمت. مسحت عينا بيتي الحليبيتان سترايك.

– "فقط... إذا كانت غائبة عن الوعي."

قال سترايك:

– "ليس غير ذلك؟"

آخذة نفسًا عميقًا من الأكسجين عبر أنفها المعوج، قالت بيتي:

– "رجل كهذا... عندما يكون هناك شيء واحد... يثيره حقًّا... فهذا كل ما يريده..."

سأل سترايك:

– "هل أراد تخديرك أبدًا؟"

قالت بيتي:

– "لا، لم يحتج لذلك..."

سأل سترايك وهو يقلب صفحة في دفتر ملاحظاته:

– "هل تتذكرين أخصائية اجتماعية تدعى ويلما بايليس؟"

قالت بيتي:

– "الفتاة الملونة؟ أجل... أنت تدخن، أليس كذلك؟" أضافت، "أستطيع شمه... أعطنا واحدة."

خرجت من الجسد العجوز المحطم لمحة من المغازلة.

قال سترايك مبتسمًا:

– "لا أعتقد أن هذه فكرة جيدة. نظرًا لكونكِ على الأكسجين."

قالت بيتي:

– "أوه، اغرب عني إذن."

– "هل أحببتِ ويلما؟"

– "من؟"

– "ويلما بايليس، أخصائيتك الاجتماعية."

قالت بيتي بلامبالاة:

– "كانت... مثلهم جميعًا."

قال سترايك:

– "تحدثنا إلى ابنتي السيدة بايليس مؤخرًا. كانتا تخبراننا عن الرسائل التهديدية التي أُرسلت للدكتورة بامبورو، قبل اختفائها."

تنفس صدر بيتي المنهارة صعودًا وهبوطًا باذلاً أقصى جهده الباسل، وخرج صرير صغير من رئتيها التالفتين.

– "هل تعرفين أي شيء عن تلك الرسائل؟"

قالت بيتي:

– "لا. سمعت... أنها أُرسلت. الجميع سمع، هنا."

– "ممن سمعوا ذلك؟"

– "ربما تلك إيرين بول..."

– "تتذكرين إيرين، أليس كذلك؟"

مع توقفات كثيرة لالتقاط أنفاسها، شرحت بيتي فولر أن أختها الصغرى كانت في نفس السنة الدراسية مع إيرين. كانت عائلة إيرين تعيش في طريق متفرع من شارع سكينر: "كوربوريشن رو".

قالت بيتي:

– "كانت تظن... أن برازها... رائحته كالورود... تلك الواحدة."

ضحكت، لكنها انخرطت مرة أخرى في نوبة من السعال الأجش. حين تعافت، قالت:

– "الشرطة... طلبت منهم جميعًا... ألا يتحدثوا... لكن فم... تلك الفتاة... الجميع عرف... أن هناك تهديدات."

قال سترايك مراقبًا رد فعل بيتي:

– "وفقًا لابنتي ويلما، أنتِ عرفتِ من أرسل تلك الرسائل."

قالت بيتي فولر، ولم تعد تبتسم:

– "لا، لم أعرف قط."

– "كنتِ واثقة أن ماركوس بايليس لم يرسلها، مع ذلك؟"

قالت بيتي فولر بنبرة حالمة:

– "ماركوس أبدًا... كان جميلاً... أتعلم، دائمًا أحببت... السمر، أنا."

نظرت روبن إلى يديها آملة ألا تكون بيتي قد رأت امتعاضها.

– "وسيم جدًا... كنت لأعطيه إياه... مجانًا... هاهاها... رجل ضخم طويل... رجل طيب... لا، لم يهدد طبيبة قط."

– "إذن من تظنين..."

تابعت بيتي:

– "ابنتي الثانية... كاثي... صماء بإصرار، والدها كان أسمر... لا أدري من كان... الواقي تمزق... احتفظت بها لأنني... أحب الأطفال، لكن... هي لا تكترث تباً... لأمري. مدمنة هيروين!"

قالت بيتي بحدة:

– "لم ألمسه أبدًا... رأيت الكثيرين... يذهبون في ذلك الطريق... سرقت مني... قلت لها... ابقي بعيدًا تباً... عن منزلي..."

لهثت بيتي:

– "سيندي طيبة. سيندي... تمر عليّ. تكسب... مالاً محترمًا..."

قال سترايك مجاريًا إياها، منتظرًا فرصته:

– "حقًا؟ ماذا تعمل سيندي؟"

لهثت بيتي:

– "مرافقِة. قوام جميل... في (ويست إند)... تكسب أكثر مما كسبت أبدًا... عرب وغيرهم... لكنها تقول... (يا أمي، لم تكنِ... لتحبي الأمر هذه الأيام... كل ما يريدونه... هو الخلفي)."

قهقهت بيتي، وسعلت، ثم دون سابق إنذار، أدارت رأسها لتنظر لروبن الجالسة على طرف السرير وقالت بحقد:

– "هي لا تجد الأمر... مضحكًا، هذه الواحدة... أليس كذلك؟"

سألت روبن المذهولة، ثم تابعت بيتي وهي ترمقها بكره:

– "أتوقع... أنكِ تعطينه... مقابل وجبات ومجوهرات... وتظنين أنه... تظنين أنه مجاني... انظر لوجهها، أنتِ مثل...؟ الأخصائية الاجتماعية... المتغطرسة اللعينة... التي جاءتنا... حين كنت... أرعى أطفال كاثي... رحلوا الآن."

قالت بيتي بغضب، مقلدة لكنة راقية بشكل بشع:

– "(كلا يا سيدة فولر... كلا، لا يُحدث... أي فرق لي... كيف تدبرن أنتن السيدات... نفقاتكن... العمل الجنسي عمل)... سيقولون لك ذلك... بتعالٍ... لعين... لكن هل... يرضون لبناتهم... فعله؟ مستحيل."

ودفعت ثمن أطول خطاب لها حتى الآن بنوبة سعال هي الأشد.

لهثت بيتي وعيناها تدمعان، حين استطاعت الحديث مجددًا:

– "سيندي تتعاطى... الكثير من الكوكايين... يبقي الوزن منخفضًا... كاثي، كان الهيروين... صديقها... كانت تعمل لأجله... ضربها حتى ازرقت... كانت حاملاً وفقدته..."

قال سترايك:

– "يؤسفني سماع ذلك."

قالت بيتي، وظهر بريق مما ظن سترايك أنه ألم حقيقي عبر القشرة القاسية المتعمدة:

– "كلهم أطفال... في الشارع... هذه الأيام. ثلاثة عشر، أربعة عشر... أطفال... في أيامي... كنا لنعيدهم... مباشرة للبيت... لا بأس، نساء بالغات، لكن أطفال – إلام تحدقين بحق الجحيم؟"

نبحث في روبن.

قالت روبن وهي تنهض وتشير نحو الباب:

– "كورموران، ربما سأ..."

قالت بيتي فولر وهي تراقب برضا بينما تغادر روبن غرفتها:

– "أجل، اغربي عن وجهي تباً. أنت تضاجعها، أليس كذلك؟"

سألت سترايك بمجرد أن أغلق الباب خلف روبن.

قال:

– "لا."

– "ما الفائدة اللعينة... إذن؟"

قال سترايك:

– "إنها جيدة جدًا في العمل. حين لا تكون في مواجهة شخص مثلكِ، يعني."

ابتسمت بيتي فولر كاشفة عن أسنانها الصفراء كجبن الشيدر.

– "هاهاها... أعرف... نوعها... لا تعرف شيئًا تباً... عن الحياة الحقيقية..."

قال سترايك:

– "كان هناك رجل يعيش في (ليذر لين)، في أيام مارغو بامبورو. اسمه نيكولو ريتشي؟ (موكي)، كانوا يسمونه."

لم تقل بيتي فولر شيئًا، لكن عينيها الحليبيتين ضاقتا.

سأل سترايك:

– "ماذا تعرفين عن ريتشي؟"

قالت بيتي:

– "مثل... الجميع."

من زاوية عينه، رأى سترايك روبن تخرج إلى ضوء النهار. رفعت شعرها قليلاً عن عنقها، وكأنها بحاجة لإزالة ثقل عن كاهلها، ثم مشت مختفية عن الأنظار ويداها في جيوب سترتها.

قالت بيتي:

– "لم يكن موكي... من هددها. لم يكن لـ... يكتب رسائل. ليس... أسلوبه."

قال سترايك:

– "ريتشي ظهر في حفل عيد الميلاد في عيادة سانت جون. وهو ما بدا غريبًا."

– "لا أعرف... شيئًا عن ذلك..."

– "وفقًا لابنتي ويلما بايليس، أنتِ أخبرتِ والدتهما أنكِ خائفة من الشخص الذي كتب الرسائل. قلتِ إن كاتب الرسائل قتل مارغو بامبورو. وأخبرتِ ويلما أنه سيقتلكِ أيضًا، لو قلتِ من هو."

كانت عينا بيتي الحليبيتان خاليتين من التعبير. صدرها النحيل يكد للحصول على أكسجين كافٍ لرئتيها. كان سترايك قد استنتج للتو أنها قطعًا لن تتحدث، حين فتحت فمها.

قالت:

– "فتاة محلية عرفتها، صديقة لي... قابلت موكي... جاء يلف بسيارته... عند زاويتنا... قال لـ جين... (أنتِ أفضل من هذا... تعملين في الشارع... بجسد مثل جسدك... يمكنني أن أجلب لكِ... خمسة أضعاف ما... تكسبينه هنا)... وهكذا ذهبت جين، إلى (ويست إند)... سوهو... تتعرى للزبائن... وتمارس الجنس مع أصدقائه..."

– "قابلتها... بعد عامين... كانت تزور أمها... وحكت لي حكاية."

– "فتاة في ناديهم... فتاة فاتنة، هكذا قالت جين... اغتُصبت... تحت تهديد السكين. جُرحت..."

أشارت بيتي فولر إلى جذعها المترهل.

– "... مباشرة أسفل الضلوع... بواسطة صديق... لـ ريتشي..."

قالت العجوز:

– "بعض الناس، يظنون أن عاهرة... حين تُغتصب... يعني الأمر فقط أنها لم... تتلقَّ أجرًا... أتوقع أن آنستك (المتخشبة المتعالية)،" قالت بيتي وهي تختلس النظر إلى النافذة، "تظن ذلك... لكن الأمر ليس كذلك..."

– "هذه الفتاة... غضبت... أرادت الانتقام... والنيل... من ريتشي... لذا تلك السافلة الغبية... تحولت لمخبرة للشرطة..."

لهثت بيتي فولر وهي تتابع:

– "وعرف موكي بالأمر... وصوره... بينما كانوا يقتلونها. صديقتي جين أخبرها... شخص ما... كان قد رأى... الفيلم... ريتشي احتفظ به... في الخزنة... ليريه للناس... إذا احتاجوا... للتخويف..."

– "جين ميتة الآن. جرعة زائدة... منذ نيف وثلاثين عامًا... ظنت أنها ستكون أفضل حالاً... في (ويست إند)... وها أنا ذي... أعمل في الشوارع... ولا أزال حية."

– "ليس لدي شيء... لأقوله... عن أي رسائل... لم يكن ماركوس... هذا كل شيء... هذه وجباتي المتنقلة."

أدارت بيتي رأسها، ورأى سترايك رجلاً يتجه نحو الباب الخارجي، وفي ذراعيه كومة من الصواني المغلفة بالقصدير.

قالت بيتي، التي بدت فجأة متعبة ونزقة:

– "انتهيت. يمكنك إعادة تشغيل... التلفاز... وتحريك... تلك الطاولة... ناولني السكين والشوكة... من المرحاض..."

كانت قد شطفتهما في حوض الحمام، لكنهما كانا لا يزالان متسخين. غسلهما سترايك مجددًا قبل أن يأخذهما إليها. وبعد ترتيب الطاولة أمام كرسيها، وإعادة تشغيل برنامج "ذا أونلي واي إز إسيكس"، فتح الباب لرجل توصيل الوجبات، الذي كان أشيب الشعر ومبتهجًا.

قال القادم الجديد بصوت عالٍ:

– "أوه مرحبًا. هل هذا ابنك يا بيتي؟"

لهثت بيتي فولر:

– "ابني، مستحيل. ماذا لديك؟"

– "طاجن دجاج وجيلي وكاسترد، يا حبيبتي..."

قال سترايك:

– "شكرًا جزيلاً لتحدثكِ معي يا سيدة فولر."

لكن مخزون بيتي من حسن النية كان قد نفد بوضوح، وباتت الآن مهتمة بطعامها أكثر بكثير.

كانت روبن تستند إلى جدار قريب، تقرأ شيئًا على هاتفها، حين خرج سترايك من المبنى.

قالت بصوت فاتر:

– "ظننت أنه من الأفضل أن أنسحب. كيف سار الأمر؟"

قال سترايك بينما كانا يتجهان معًا عائدين عبر "سانز ووك":

– "لن تتحدث عن الرسائل، وإذا سألتني عن السبب، سأقول لأنها تعتقد أن ماكي ريتشي هو من كتبها. لقد اكتشفت المزيد عن الفتاة في فيلم القتل الحقيقي."

قالت روبن وهي تبدو قلقة:

– "أنت تمزح؟"

– "على ما يبدو أنها كانت مخبرة للشرطة في أحد نوادي ريتشي..."

شهقت روبن:

– "كارا ولفسون!"

– "ماذا؟"

– "كارا ولفسون. إحدى النساء اللواتي اعتقدوا أن كريد ربما قتلهن. كارا كانت تعمل في نادٍ ليلي في سوهو – أشاع المالكون بعد اختفائها أنها كانت مخبرة للشرطة!"

سأل سترايك مذهولاً:

– "كيف عرفتِ ذلك؟"

لم يستطع تذكر هذه المعلومة من كتاب "شيطان بارادايس بارك".

تذكرت روبن فجأة أنها سمعت ذلك من برايان تاكر، في مقهى "ستار كافيه". لم تكن قد تلقت ردًا بعد من وزارة العدل بشأن إمكانية مقابلة كريد، وبما أن سترايك لم يكن لديه أدنى فكرة عما تخطط له، قالت:

– "أعتقد أنني قرأته على الإنترنت..."

ولكن مع ثقل جديد يضغط على قلبها، تذكرت روبن أن قريب كارا الوحيد المتبقي، الأخ الذي ربته، قد مات بسبب إدمان الكحول. كان هاتشينز قد قال إن الشرطة لم تتمكن من فعل شيء حيال ذلك الفيلم. جثة كارا ولفسون قد تكون في أي مكان. بعض القصص لا نهايات مرتبة لها: لم يكن هناك مكان لوضع الزهور لكارا ولفسون، إلا إذا كان في الزاوية القريبة من نادي التعري حيث شوهدت لآخر مرة.

في محاولة لمقاومة الاكتئاب الذي يهدد الآن باجتياحها، رفعت روبن هاتفها لتري سترايك ما كانت تبحث عنه، وقالت بنبرة عملية حازمة:

– "كنت أقرأ للتو عن (الولع بالنوم - Somnophilia)، المعروف أيضًا بمتلازمة الأميرة النائمة."

– "والذي، أفترض..."

قالت روبن:

– "كان انحراف بريغر."

وقرأت من هاتفها:

– "«السومنوفيليا هي بارافيليا (ولع جنسي شاذ) يُثار فيها الفرد جنسيًا بواسطة شخص غير مستجيب... ربط بعض علماء النفس السومنوفيليا بالنيكروفيليا (جماع الموتى)». كورموران... أتعرف كيف كان يخزن الباربيتورات في مكتبه؟"

قال سترايك ببطء، وهما يمشيان عائدين نحو سيارته:

– "أجل."

– "حسنًا، هذا سيعطينا شيئًا لنتحدث عنه مع ابن دوروثي، أليس كذلك؟ أتساءل عما إذا كانت مستعدة للعب دور الميتة؟ أم أنها وجدت نفسها تنام لفترة طويلة، بعد أن مر بريغر لتناول الغداء؟"

ارتجفت روبن قليلاً.

تابع سترايك وهو يشعل سيجارة:

– "أعرف. قلت إنه سيكون الملاذ الأخير، لكن لم يتبق لدينا سوى ثلاثة أشهر. بدأت أعتقد أن عليّ القيام بزيارة لـ ماكي ريتشي."

57

***«لكن فكره كله منصب على المال الدنس،
ليكدس أكوامًا من ثروة اكتسبها بالشر،
يظلم من أجلها الآخرين، ويهلك نفسه.»***

إدموند سبنسر *ملكة الجن*

عنى إضافة المراقبة النهارية لدار رعاية القديس بطرس الكاثوليكية إلى جدول المناوبات أن الوكالة وجدت نفسها، مع تقدم شهر مايو، تكافح مرة أخرى لتغطية جميع القضايا المفتوحة. أراد سترايك معرفة عدد الزوار الذين يدخلون ويخرجون، وفي أي أوقات، كي يتسنى له تحديد أفضل فرصة لدخول المبنى دون الاصطدام بأحد أقارب رجل العصابات العجوز.

تقع دار الرعاية في شارع جورجي هادئ عند أقصى طرف منطقة كليركينويل، في حي منعزل وارف الظلال، حيث تزدان المنازل المبنية من الطوب البني الداكن بجملونات كلاسيكية جديدة وأبواب أمامية سوداء لامعة. وعلى الجدار الخارجي لدار الرعاية، عُلقت لوحة خشبية داكنة مزينة بصليب، ونُقش عليها اقتباس كتابي بماء الذهب:

«عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح.»

(بطرس الأولى 1: 18-19)

علق سترايك لروبن، في إحدى عمليات تسليم المناوبة بينهما:

– "مشاعر نبيلة، لكن لا أحد يدخل إلى هناك دون مبلغ محترم من المال."

كانت دار الرعاية الخاصة صغيرة ومن الواضح أنها باهظة التكلفة. وسرعان ما حفظ أفراد الوكالة وجوه جميع الموظفين الذين كانوا يرتدون بدلات تمريض زرقاء داكنة، وينحدر معظمهم من الخارج. كان هناك ممرض أسود البشرة يبدو من لهجته أنه قادم من ترينيداد، وممرضتان شقراوان تتحدثان البولندية مع بعضهما كل صباح أثناء مرورهما بأي عضو من الوكالة تصادف وجوده متسكعًا في المنطقة حينها، متظاهرًا بإجراء مكالمة هاتفية، أو قراءة صحيفة، أو باديا وكأنه ينتظر بنفاد صبر طفيف صديقًا لم يظهر أبدًا.

كان أخصائي أقدام ومصفف شعر يترددان بانتظام على الدار، لكن بعد أسبوعين من المراقبة النهارية، خلصت الوكالة مبدئيًا إلى أن ريتشي لا يستقبل زوارًا إلا أيام الأحد، حين يظهر ابناه وعلى وجهيهما نظرات استسلام لأشخاص يؤدون واجبًا ثقيلاً. كان من السهل تمييز الأخوين من الصور التي ظهرت في الصحافة. بدا لوكا، بعبارة باركل، "وكأن بيانو سقط على رأسه"، بجمجمته الصلعاء المسطحة المليئة بالندوب بشكل ملحوظ. أما ماركو فكان أصغر حجمًا وأنحف وأكثر شعرًا، لكنه كان يشع جوان من عنف مكبوت بالكاد، فيضرب جرس باب دار الرعاية بيده مرارًا وتكرارًا إن لم يُفتح الباب فورًا، ويصفع أحد أحفاده على مؤخرة رأسه لأنه أسقط لوح شوكولاتة على الرصيف. كانت زوجتا الأخوين تملكان مظهرًا قاسيًا، ولم يحظَ أي من أفراد العائلة بالوسامة التي ربطتها روبن بالإيطاليين. ربما كان الجد الأكبر الجالس صامتًا خلف أبواب دار الرعاية لاتينيًا أصيلاً، لكن أحفاده كانوا باهتين ومخيبين للآمال بمظهرهم الساكسوني، وصولاً إلى الطفل الصغير ذي الشعر الأحمر الذي أسقط الشوكولاتة.

كانت روبن هي أول من وقعت عيناها على ريتشي نفسه، في السبت الثالث لمراقبة الوكالة للدار. كانت روبن ترتدي فستانًا تحت معطفها المطري، لأنها ستقابل سترايك لاحقًا في فندق "ستافورد" في مايفير، لمقابلة سي بي أوكدن. كانت روبن، التي لم تزر الفندق من قبل، قد بحثت عنه وعلمت أن المؤسسة ذات الخمس نجوم، ببوّابيّها الذين يرتدون قبعات "البولر" المستديرة، هي واحدة من

أقدم وأرقى فنادق لندن؛ ومن هنا جاء اختيارها غير المعتاد لملابس المراقبة. وبما أنها تنكرت سابقًا أثناء التربص خارج "القديس بطرس" (تارة بقبعة صوفية، وتارة برفع شعرها، أو عدسات لاصقة داكنة ونظارات شمسية)، شعرت بالأمان لتبدو كطبيعتها هذه المرة وهي تتنزه جيئة وذهابًا في الشارع، متظاهرة بالتحدث عبر الهاتف، رغم أنها أضافت نظارات طبية بعدسات صافية ستخلعها قبل دخول الستافورد.

كان نزلاء "القديس بطرس" المسنون يُرافقون أو يُدفعون بكراتسيهم المتحركة أحيانًا في فترة بعد الظهر إلى الساحة القريبة، التي تضم حديقة خاصة مركزية محاطة بسياج، ولا تفتح إلا لحاملي المفاتيح، ليغفوا هناك أو يستمتعوا بزهور الليلك والبنفسج وهم ملفوفون جيدًا اتقاءً للبرد. حتى الآن، لم تر الوكالة سوى نساء مسنات يؤخذن في هذه النزهات، لكن اليوم، ولأول مرة، كان هناك رجل عجوز ضمن المجموعة التي تنزل عبر المنحدر الجانبي للمبنى.

ميزت روبن ريتشي على الفور، ليس من خاتم الأسد الذي كان مخفيًا جيدًا تحت غطاء صوفي منقوش إن كان يرتديه، بل من خلال ملامح وجهه الجانبية التي ربما ضخمها الزمن، لكنه لم يستطع إخفاءها. شعره الأسود الكثيف صار الآن رماديًا داكنًا، وأنفه وشحمتا أذنيه هائلة الحجم. عيناه الكبيرتان اللتان ذكرتا سترايك بكلاب "الباسيت" كانتا أشد تدليًا في هذه الأيام. كان فم ريتشي يتدلى مفتوحًا قليلاً بينما تدفعه إحدى الممرضات البولنديات نحو الساحة، متحدثة إليه بمرح، دون أن تتلقى أي رد.

نادى الممرض الأسمر على سيدة عجوز تبدو واهنة وترتدي قبعة من جلد الغنم:

– "هل أنتِ بخير يا إينيد، يا حبيبتي؟"

فضحكت وأومأت برأسها.

أعطت روبن المجموعة فرصة للتقدم، ثم تبعتهم، تراقب إحدى الممرضات وهي تفتح بوابة الحديقة، وتختفي المجموعة بالداخل. وبينما كانت تسير حول الساحة وهاتفها ملتصق بأذنها متظاهرة بإجراء محادثة، فكرت روبن كم هو معتاد أن

ترتدي الكعب العالي في يوم كهذا تحديدًا، حيث لم تتخيل قط أن تكون هناك إمكانية للاقتراب من ريتشي والدردشة معه.

توقفت مجموعة دار الرعاية بجانب أحواض زهور أرجوانية وصفراء، ورُكن ريتشي بكرسيه المتحرك بجانب مقعد حديقة فارغ. تبادلت الممرضات الحديث فيما بينهن، ومع السيدات العجائز القادرات على الحديث، بينما حدق الرجل العجوز بفراغ عبر المروج.

لو كانت ترتدي حذاءها الرياضي المعتاد، فكرت روبن، *لكان بإمكانها ربما تسلق السياج والدخول إلى الحديقة دون أن يراها أحد؛ كانت هناك مجموعة من الأشجار توفر غطاءً يحجبها عن الممرضات، وكان بإمكانها التسلل إلى ريتشي ومعرفة، على الأقل، ما إذا كان مصابًا بالخرف*. لسوء الحظ، لم تكن لديها أي فرصة للقيام بهذا العمل البطولي بفستانها وكعبها العالي.

وبينما كانت تكمل جولتها حول الساحة، لمحت روبن شاول موريس يسير نحوها. كان موريس مبكرًا، كما يميل دائمًا أن يكون، كلما كان يستلم المناوبة من روبن.

سيذكر إما النظارة أو الكعب العالي أولًا، فكرت روبن.

قال موريس، بمجرد أن أصبح في مجال السمع، وعيناه الزرقاوان اللامعتان تمسحانها:

– "كعب عالٍ. لا أظن أنني رأيتك بالكعب من قبل. مضحك، لا أفكر فيكِ كطويلة القامة أبدًا، لكنكِ كذلك، أليس كذلك؟ نظارة مثيرة أيضًا."

وقبل أن تتمكن روبن من إيقافه، كان قد انحنى وقبلها على خدها.

قال لها وهو يعتدل ويغمز:

– "أنا الرجل الذي تقابلينه في موعد مدبر."

سألته روبن دون أن تبتسم:

– "كيف نفسر حقيقة أنني على وشك تركك واقفًا هنا؟"

ضحك موريس بقوة مبالغ فيها، تمامًا كما يفعل مع أهون نكات سترايك.

– "لا أدري... ما الذي قد يدفعك للانسحاب من موعد غرامي؟"

ظهورك أنت، فكرت روبن، لكنها تجاهلت السؤال ونظرت إلى ساعتها قائلة:

– "إذا كنت مستعدًا لاستلام المناوبة الآن، سأنطلق..."

قال موريس بصوت خافت:

– "ها هم قادمون. أوه، العجوز بالخارج هذه المرة، هاه؟ تساءلت لمَ تخليتِ عن الباب الأمامي."

أثار التعليق حنق روبن بقدر ما أثاره أسلوبه المغازل. لماذا ظن أنها ستترك الباب الأمامي ما لم يكن الهدف قد تحرك؟ ومع ذلك، انتظرت بجانبه بينما مرت المجموعة الصغيرة من الممرضات والنزلاء، بعد أن قرروا أن عشرين دقيقة من الهواء الطلق كافية، على الجانب الآخر من الشارع، عائدين إلى الدار.

قال موريس بهدوء وهو يراقب المجموعة تمر:

– "كان أطفالي يؤخذون هكذا في الحضانة. ملفوفين في عربات الأطفال، والمساعدون يدفعونهم. وربما بعض هؤلاء يرتدون حفاضات أيضًا."

تابعت عيناه الزرقاوان مجموعة "القديس بطرس".

– "اللعنة، آمل ألا ينتهي بي المطاف هكذا أبدًا. ريتشي هو الرجل الوحيد أيضًا، المسكين."

قالت روبن بينما صاح الممرض الترينيدادي "إلى الأعلى يا إينيد!":

– "أعتقد أنهم يتلقون رعاية جيدة جدًا."

قال موريس وهما يشاهدان الكراسي المتحركة تتدحرج في موكب:

– "يشبه الأمر العودة لتكون طفلاً، أليس كذلك؟ لكن دون أي من المزايا."

قالت روبن:

– "أظن ذلك. سأنطلق إذن، إذا كنت مستعدًا للتولي."

قال موريس:

– "أجل، لا مشكلة."

لكنه أضاف فورًا:

– "إلى أين أنتِ ذاهبة، بكامل أناقتك هذه؟"

– "أنا ذاهبة لمقابلة سترايك."

قال موريس وقد رفع حاجبيه:

– "أوه... فهمت..."

قالت روبن:

– "لا، أنت لا تفهم. سنجري مقابلة مع شخص في فندق راقٍ حقًا."

قال موريس:

– "آه. آسف."

لكن كان ثمة رضا غريب عن النفس، يقترب من التواطؤ، في الطريقة التي ودعها بها موريس، ولم يخطر ببال روبن إلا بعد وصولها إلى نهاية الشارع تلك الفكرة غير المرحب بها: أن موريس قد أساء تمامًا قراءة حدة إنكارها لكونها في موعد غرامي مع سترايك؛ وأنه ربما فسر ذلك، في الواقع، على أن روبن تريد أن توضح تمامًا أن مشاعرها ليست منشغلة بغيره.

هل كان موريس – هل يعقل أنه – واهم لدرجة الاعتقاد بأن روبن تأمل سرًا أن تؤدي مغازلته الفجة إلى حدوث شيء بينهما؟ حتى بعد ما حدث في "يوم الصناديق"، حين صرخت فيه لإرساله تلك الصورة لعضوه؟ ورغم أنها لم ترغب في تصديق ذلك، إلا أنها كانت تخشى أن الإجابة هي "نعم". كان موريس ثملاً للغاية حين صرخت فيه، وربما عاجزًا عن الحكم على مدى غضبها واشمئزازها الحقيقيين. بدا خجلاً من نفسه بصدق في أعقاب ذلك مباشرة، لذا أجبرت نفسها على أن تكون أكثر ودًا مما أرادت، بدافع الرغبة في تعزيز تماسك الفريق فقط. وكانت النتيجة أن موريس عاد إلى أساليبه القديمة ما قبل "صورة العضو". كانت ترد فقط على رسائله النصية في وقت متأخر من الليل، والتي تحتوي في الغالب على نكات ومحاولات للمزاح، لتمنعه من إزعاجها برسائل "هل ضايقتك؟" المتتالية. خطر لها الآن أن ما اعتبرته هي احترافية، اعتبره موريس تشجيعًا. كل ما قاله لها عن العمل كان يوحي بأنه يراها أقل قدرة وأقل خبرة من بقية أفراد الوكالة: وربما ظنها أيضًا ساذجة بما يكفي لتشعر بالإطراء من اهتمام رجل تجده هي في الواقع متعاليًا ولزجًا.

فكرت روبن وهي تتجه نحو المترو، أن موريس في الواقع لا يحب النساء. إنه يشتهيهن، لكن هذا، بالطبع، أمر مختلف تمامًا: كانت روبن، الموصومة إلى

الأبد بذكرى لا تمحى للرجل ذي قناع الغوريلا، تعرف أفضل من غيرها أن الرغبة والإعجاب شيئان مختلفان، وأحيانًا متنافيان. كان موريس يفضح نفسه باستمرار، ليس فقط في طريقة حديثه إلى روبن، بل في رغبته في تسمية السيدة سميث بـ "السافلة الغنية"، وفي إسباغه دوافع دنيئة أو استفزازية على كل امرأة تحت المراقبة، وفي القرف الذي بالكاد يخفيه وهو يلاحظ أن "ريتشي القذر" مجبر الآن على العيش في منزل مليء بالإناث. *اللعنة، آمل ألا ينتهي بي المطاف هكذا أبدًا.*

سارت روبن بضع خطوات أخرى، ثم توقفت فجأة في مكانها، مما أكسبها نظرة فضولية من شرطي مرور عابر. لقد واتتها فكرة، قدح زنادها ما قاله لها موريس للتو: أو بالأحرى، اقتحمت الفكرة مقدمة عقلها بقوة وعرفت أنها كانت هناك في عقلها الباطن طوال الوقت، بانتظار أن تعترف بها.

تنحت جانبًا كي لا تعترض طريق المارة، وأخرجت هاتفها وتفحصت قائمة "الولع الجنسي الشاذ" (البارافيليا) التي استشارتها آخر مرة حين كانت تبحث عن "متلازمة الأميرة النائمة".

أوتونيبوفيليا.

تمتمت روبن:

– "يا إلهي. هذا هو. لا بد أن يكون هذا هو."

اتصلت روبن بسترايك، لكن رقمه تحول إلى البريد الصوتي؛ بلا شك كان قد نزل إلى المترو بالفعل، متجهًا إلى الستافورد. بعد لحظة أو اثنتين من التفكير، اتصلت بباركل.

قال الاسكتلندي:

– "مرحبًا."

– "هل ما زلت خارج منزل إلينور دين؟"

– "أجل."

– "هل هناك أحد بالداخل معها؟"

– "لا."

– "سام، أعتقد أنني أعرف ما تفعله لهؤلاء الرجال."

– "ماذا؟"

أخبرته روبن. وكان الجواب الوحيد صمتًا طويلاً. وأخيرًا، قال باركل:

– "أنتِ مجنونة يا روبن."

قالت روبن:

– "ربما. لكن الطريقة الوحيدة للتأكد هي أن تطرق بابها وتسأل إن كانت ستفعل ذلك لك. قل إنك مرشح لها من طرف (إس بي)."

قال باركل:

– "اللعنة، هل سأفعل؟ هل يعرف سترايك أنكِ تطلبين مني هذا؟"

– "سام، بقي لنا أسبوع واحد قبل أن يسحب العميل التمويل. أسوأ ما يمكن أن يحدث هو أن تنكر. لن تتاح لنا فرص كثيرة أخرى."

سمعت زفير باركلي القوي.

– "حسنًا، لكن اللوم عليكِ إن كنتِ مخطئة."

أسرعت روبن باتجاه محطة المترو، وهي تراجع نفسها أثناء سيرها. هل سيظن سترايك أنها أخطأت بأن طلبت من باركلي الدخول بناءً على حدسها؟ لكن لم يتبق لديهم سوى أسبوع قبل أن يسحب العميل التمويل: ما الذي بقي ليخسروه الآن؟

كان مساء السبت، ووصلت روبن إلى رصيف المترو المزدحم لتجد أنها قد فوتت قطارًا للتو. وبحلول الوقت الذي خرجت فيه من محطة "غرين بارك"، كانت قد فقدت فرصة الوصول إلى "البار الأمريكي" مبكرًا، وهو ما كانت تأمل فعله، ليتسنى لها ولسترايك تبادل بضع كلمات قبل وصول أوكدن. والأسوأ من ذلك، حين أسرعت نازلة في شارع "سانت جيمس"، رأت، بشعور من تكرار المشهد، حشدًا كبيرًا يغلق أسفل الطريق، تنظمه الشرطة. وبينما تباطأت روبن، متسائلة عما إذا كانت ستتمكن من المرور عبر الكتلة الكثيفة من الناس إلى الستافورد، تجاوزها اثنان من مصوري الباباراتزي يركضون، مطاردين سلسلة من سيارات المرسيدس السوداء. وبينما كانت تراقبهما يلصقان عدساتهما بالنوافذ، أدركت أن الحشد في المسافة كان يهتف "جون-ني! جون-ني!".

عبر نوافذ إحدى السيارات المتجهة نحو الحدث، لمحت روبن امرأة ترتدي شعرًا مستعارًا على طراز ماري أنطوانيت. وفقط حين كاد اثنان من صائدي التوقيعات يوقعانها أرضًا وهما يركضان، وكلاهما يحمل ملصقات لفرقة "ديد بيتس"، أدركت روبن بصدمة مرعبة أن والد سترايك هو "جوني" الذي يهتفون باسمه.

قالت بصوت مسموع: "تبًا"، واستدارت مسرعة عائدة إلى أعلى الطريق، مخرجة هاتفها أثناء سيرها. كانت تعلم أن هناك مدخلاً آخر للستافورد عبر "غرين بارك". لم تكن ستتأخر فحسب، بل ضربها شك فظيع للتو. *لماذا كان أوكدن مصرًا للغاية على اللقاء في هذا المساء بالتحديد؟ ولماذا كان يجب أن يكون في هذا البار، القريب جدًا مما خشت أن يكون حدثًا يشارك فيه والد سترايك؟ هل يعرف سترايك، هل أدرك، ما يحدث بالجوار؟*

اتصلت به، لكنه لم يجب. وبينما كانت لا تزال تمشي، كتبت رسالة نصية:

«كورموران، لا أعرف إن كنت تعلم هذا، لكن جوني روكبي يقيم حفلاً قاب قوسين من هنا. أعتقد أنه من المحتمل أن أوكدن يحاول نصب فخ لك.»

بدأت تهرول، لأنها تأخرت خمس دقائق بالفعل، وعرفت أنها أخبرت سترايك للتو، ولأول مرة، أنها تعرف من هو والده.

عند وصولها إلى غرين بارك، رأت من بعيد شرطيًا عند المدخل الخلفي، كان يقوم مع أحد موظفي الفندق المعتمرين قبعات البولر، بصرف رجلين يحملان كاميرات ذات عدسات طويلة بأدب ولكن بحزم.

قال الشرطي:

– "ليس من هذا الطريق، آسف. لهذه الليلة فقط. إذا كنتما تريدان الفندق، عليكما الدوران إلى المدخل الأمامي."

سأل رجل يرتدي بدلة ويمسك بيد امرأة آسيوية جميلة ترتدي فستان شيونغسام:

– "ماذا يحدث؟ لدينا حجز عشاء! لماذا لا يمكننا المرور؟"

شرح البواب:

– "آسف جدًا يا سيدي، لكن هناك حفل في سبنسر هاوس، والشرطة تريد منا منع الناس من استخدام هذا كطريق مختصر."

شتم الرجلان اللذان يحملان الكاميرات واستدارا، مهرولين عائدين من حيث أتت روبن. خفضت رأسها أثناء مرورهما بها، سعيدة لأنها لا تزال ترتدي نظارتها غير الضرورية، لأن صورتها كانت قد ظهرت في الصحافة خلال قضية محكمة قبل عامين. ربما كانت مصابة بالبارانويا، لكن روبن قلقت من أن الصحفيين كانوا يحاولون استخدام الستافورد ليس كطريق مختصر للوصول لروكبي وضيوفه، بل كوسيلة للوصول إلى ابنه المنفصل عنه.

الآن وقد ذهب المصورون، سمح الموظف ذو قبعة البولر للمرأة ذات الشيونغسام ومرافقها بالدخول، وبعد أن رمق روبن بنظرة فاحصة من الأعلى للأسفل، قرر بوضوح أنها ليست مصورة وسمح لها بالمرور عبر البوابة إلى فناء حيث كان زبائن أنيقون يدخنون تحت سخانات خارجية. بعد التحقق من هاتفها ورؤية أن سترايك لم يرد على رسالتها، أسرعت صاعدة الدرج إلى "البار الأمريكي".

كان مكانًا مريحًا وأنيقًا من الخشب الداكن والجلد، تتدلى من سقفه رايات وقبعات بيسبول من العديد من الولايات والجامعات الأمريكية. رصدت روبن سترايك فورًا واقفًا ببدلة عند البار، وتعابيره المتجهمة مضاءة بصفوف الزجاجات المشعة على الجدار.

– "كورموران، أنا فقط..."

قال سترايك بحدة:

– "إذا كنتِ على وشك إخباري بأن والدي خلف الزاوية، فأنا أعرف. هذا الوغد لا يدرك بعد أنني كشفت محاولته لنصب الفخ."

ألقت روبن نظرة إلى الزاوية البعيدة. كان كارل أوكدن جالسًا هناك، ساقاه مفرودتان، وذراع ممدودة على ظهر المقعد الجلدي. كان يرتدي بدلة، لكن بلا ربطة عنق، وكانت وضعيته تهدف بوضوح للإيحاء برجل مرتاح في هذه الأجواء الكوزموبوليتانية. بعينيه المتقاربتين قليلاً أكثر من اللازم وجبهته الضيقة، كان لا

يزال يشبه الصبي الذي حطم وعاء الكريستال الخاص بوالدة روي قبل كل تلك السنوات.

تمتم سترايك:

– "اذهبي وتحدثي معه. يريد بعض الطعام، سأحضر قوائم الطعام. كنا قد بدأنا للتو الحديث عن ستيف دوثويت. يبدو أن دوروثي كانت دائمًا تعتقد أن الرجل مثير للريبة."

متجهة نحو أوكدن، دعت روبن أن يتمالك سترايك أعصابه. لم تره يفقد هدوءه مع شاهد سوى مرة واحدة، ولم تكن لديها رغبة في رؤية ذلك يحدث مرة أخرى.

قالت وهي تبتسم عند وصولها إليه وتمد يدها:

– "سيد أوكدن؟ أنا روبن إيلاكوت، لقد تبادلنا رسائل إلكترونية..."

قال أوكدن، وهو يدير رأسه ببطء ليتفحصها من الأعلى للأسفل بابتسامة متكلفة:

– "أعرف."

تجاهل يدها الممدودة، وأدركت روبن أنه فعل ذلك عمدًا. رافضة إظهار أنها أدركت محاولته للإهانة، خلعت معطفها المطري.

قالت بلطف وهي تجلس قبالته:

– "بار لطيف. لم آتِ إلى هنا من قبل."

سألها أوكدن:

– "عادة ما يأخذكِ إلى أماكن أرخص، أليس كذلك؟"

– "كان كورموران يخبرني للتو أنك تتذكر حديث والدتك عن ستيف دويث..."

قال أوكدن، وساقاه لا تزالان متباعدتين، وذراعه على ظهر المقعد الجلدي:

– "يا حلوة، أخبرتك طوال الوقت، لست مهتمًا بأن يُرمى بي للمساعدين أو السكرتيرات. سأتحدث معه هو، أو لا أحد."

– "أنا في الواقع شريكة كورموران..."

قال أوكدن بضحكة مكتومة:

– "أراهن أنكِ كذلك. لا أفترض أنه يستطيع التخلص منك الآن، أليس كذلك؟"

– "عفوًا؟"

قال أوكدن، مع نظرة نحو ساعدها وهو يرفع كأسه إلى شفتيه:

– "ليس الآن بعد أن طُعنتِ بالسكين وأنتِ تحاولين القيام بعمل الرجال. ربما ستقاضينه حتى يبيع ملابسه لو حاول."

كان أوكدن، الذي من الواضح أنه أجرى بحثه عن المحققين، يستمتع بوقاحته. لم تستطع روبن إلا أن تفترض أن المحتال ظن أنها يائسة جدًا للحصول على معلوماته لدرجة أنها لن تأخذ إهانته على محمل الجد. بدا مصممًا على استخلاص أقصى قدر من المتعة من هذا اللقاء: الاستمتاع بالكحول والطعام المجانيين، واستفزاز امرأة من غير المرجح أن ترحل. تساءلت روبن أي صحيفة أو وكالة صور قد اتصل بها، ليقترح استدراج سترايك على بعد بضع مئات من الياردات من حفلة والده، وكم سيجني أوكدن، إذا تمكنوا من الحصول على صورة لسترايك وهو يتجاهل والده علنًا، أو تسجيل المحقق وهو يقول شيئًا غاضبًا وصالحًا للنشر.

قال سترايك وهو يرمي بضع قوائم طعام مجلدة بالجلد على الطاولة ويجلس:

– "ها هي ذي."

لم يفكر في إحضار أي شيء لروبن لتشربه. التقط أوكدن قائمة وتفحصها ببطء، وبدا مستمتعًا بجعلهما ينتظران.

قال أخيرًا: "سآخذ شطيرة (كلوب سندويتش)"، فأشار سترايك لنادل. وبعد إعطاء الطلب، التفت سترايك مرة أخرى إلى أوكدن وقال:

– "نعم، إذن كنت تقول، والدتك وجدت دوثويت..."

قال أوكدن:

– "أوه، كانت تعتقد قطعًا أنه ساحر."

لاحظت روبن أن عينيه ظلتا تتحركان نحو مدخل البار، وكانت واثقة من أن أوكدن ينتظر اقتحام المصورين.

– "فتى لعوب، تعرف النوع. يتغزل بالسافلات في الاستقبال. قالت العجوز إنه كان يحاول مع الجميع. الممرضة كانت تصاب بنوبات قهقهة كلما كان موجودًا."

تذكرت روبن الهيكل العظمي الأسود الراقص في دفتر ملاحظات تالبوت، والكلمات المكتوبة بجانب رسم كراولي للموت:

تقول فورتونا إن بالاس أثينا، وسيريس، وفيستا، وقيطس هن نساء عاهرات يمتطين الوحش...

– "وهل اعتقدت والدتك أنه كان معجبًا بالدكتورة بامبورو؟"

أخذ أوكدن رشفة من الكوكتيل ومصمص شفتيه.

قال بضحكة ساخرة صغيرة:

– "حسنًا، أعني، مارغو... أنت تعرف، كانت من النوع الكلاسيكي الذي يريد كل شيء، أليس كذلك؟"

وجدت روبن نفسها مستاءة بشكل غير عقلاني من استخدام أوكدن للاسم الأول للطبيبة المفقودة.

سأله سترايك:

– "أي أشياء تلك؟"

قال أوكدن، وهو يأخذ رشفة أخرى من شرابه:

– "فتاة أرنب (بني غيرل)، سيقان مكشوفة، صدور بارزة. ثم، بسرعة، ارتدِ المعطف الأبيض..."

قال سترايك:

– "لا أظن أن الممارسين العامين يرتدون معاطف بيضاء."

قال أوكدن بتعالٍ:

– "أنا أتحدث مجازيًا. كانت ابنة عصرها، أليس كذلك؟"

– "كيف ذلك؟"

قال أوكدن، مع انحناءة طفيفة نحو روبن، التي فكرت فجأة أن رأسه الضيق يشبه رأس ابن عرس:

– "صعود المجتمع المتمركز حول المرأة. أواخر الستينيات، أوائل السبعينيات، هذا هو الوقت الذي بدأ فيه كل شيء يتغير، أليس كذلك؟ لديك حبوب منع الحمل: مضاجعة بلا عواقب. يبدو الأمر وكأنه يفيد الذكر، لكن بتمكين النساء من تجنب أو تخريب الوظيفة الإنجابية، فأنت تقمع الأنماط الطبيعية والصحية للسلوك الجنسي. لديك نظام قضائي منحاز للمرأة، يفضل الأنثى حتى لو لم تكن تريد الأطفال في المقام الأول. لديك استبدادية كارهة للرجال تتنكر في زي حملة للمساواة في الحقوق، تراقب أفكار الرجال وكلامهم وسلوكهم الطبيعي. ولديك استغلال جنسي واسع النطاق للرجال. نادي بلاي بوي، كل هذا هراء. انظر، لكن لا تلمس. إنها كذبة الحب العذري القديمة. المرأة موجودة لتُعبد، والرجل موجود ليقيء المال، لكنه لا يحصل أبدًا على الرضا. مغفلون، الرجال الذين يتسكعون حول تلك الأماكن."

أردف أوكدن، وعيناه تندفعان مرة أخرى نحو المدخل وتعودان لسترايك:

– "بامبورو لم تعتنِ بطفلتها، ولم تضاجع زوجها، مما سمعته، كان مريضًا دائمًا لدرجة تمنعه من الأداء. كان لديه الكثير من المال مع ذلك، لذا أحضرت مربية وراحت تتسيد على الرجال في العمل."

سأل سترايك:

– "على من، بالتحديد، تسيدت؟"

– "حسنًا، دوثويت خرج راكضًا من هناك يبكي تقريبًا آخر مرة رآها فيها، كما قالت عجوزي. لكن هذه هي ثقافتنا منذ الستينيات، أليس كذلك؟ معاناة الذكور، لا أحد يكترث لها. ينوح الناس حين ينكسر الرجال، حين لا يعودون قادرين على التحمل، حين ينفجرون. إذا كان دوثويت قد قتلها – أنا شخصيًا لا أعتقد أنه فعل،" قال أوكدن بإيماءة واسعة، وذكرت روبن نفسها بأن كارل أوكدن لم يسبق له رؤية ستيفن دوثويت على الأرجح، وأنه كان في الرابعة عشرة حين اختفت مارغو،

"لكن إذا فعل، أراهن أن السبب هو أنها ركلت ألمه عائدًا في أسنانه. النساء فقط من ينزفن، أليس هذا صحيحًا؟"

وجه السؤال لروبن بضحكة محتقرة:

– "أوه، ها هي شطيرتي."

بينما كان النادل يخدمه، نهضت روبن وتوجهت إلى البار، حيث كانت المرأة الجميلة ذات الشيونغسام، التي تدلى شعرها كالحرير الأسود في ضوء الزجاجات المصفوفة، تقف مع شريكها. كان كلاهما يطلب الكوكتيلات ويبدوان مبتهجين بوجودهما مع بعضهما. لبضع ثوانٍ تساءلت روبن فجأة عما إذا كانت ستشعر يومًا كما يشعران. *ذكّرتها وظيفتها بشكل شبه يومي بالطرق الكثيرة التي يمكن للرجال والنساء أن يؤذوا بها بعضهم البعض.*

بينما كانت تطلب ماء تونيك لنفسها، رن هاتف روبن. آملة أن يكون باركل، رأت اسم والدتها بدلاً من ذلك. ربما شمت ليندا خبر حمل سارة. ربما أخذ ماثيو زوجته المستقبلية عائدًا إلى ماشام الآن، لمشاركة الأخبار السارة. كتمت روبن صوت الهاتف، ودفعت ثمن شرابها، متمنية لو كان كحوليًا، وحملته عائدة إلى الطاولة في الوقت المناسب لتسمع أوكدن يقول لسترايك:

– "لا، هذا لم يحدث."

– "ألم تضف الفودكا إلى شراب البنش في حفلة شواء الدكتورة بامبورو؟"

أخذ أوكدن قضمة كبيرة من شطيرته المجانية، ومضغها بوقاحة. رغم شعره الخفيف والتجاعيد الكثيرة حول عينيه، استطاعت روبن بوضوح رؤية المراهق المدلل داخل الرجل ذي الأربعة والخمسين عامًا.

قال أوكدن وفمه ممتلئ:

– "سرقت البعض، ثم شربته في الكوخ. فوجئت بأنهم افتقدوه، لكن الأغنياء بخلاء. هكذا يبقون أثرياء، أليس كذلك؟"

– "سمعنا أن البنش أصاب شخصًا بالمرض."

قال أوكدن:

– "ليس خطئي."

– "سمعت أن الدكتور فيبس كان منزعجًا جدًا."

قال أوكدن بابتسامة متكلفة:

– "هو... الأمور سارت على ما يرام بالنسبة للعجوز فيبس، أليس كذلك؟"

سأل سترايك:

– "بأي طريقة؟"

– "الزوجة خارج الطريق، وتزوج المربية. كل شيء مريح للغاية."

قال سترايك:

– "لم تكن تحب فيبس، أليس كذلك؟ ظهر ذلك في كتابك."

قال أوكدن مذهولاً للحظة:

– "لقد قرأته؟ كيف؟"

– "تمكنت من تعقب نسخة تمهيدية. كان يجب أن يصدر في الـ 85، صحيح؟"

قال أوكدن:

– "أجل."

– "أتتذكر الشرفة (الغازيبو) التي كانت قيد الإنشاء في الحديقة وقت حفل الشواء؟"

رف جفن لأوكدن. رفع يده بسرعة إلى وجهه ومسح جبهته، وكأنه شعر بشعرة تدغدغه.

قال:

– "لا."

– "إنه يظهر في خلفية إحدى صورك. كانوا قد بدأوا للتو بناء الأعمدة. أتوقع أنهم وضعوا الأرضية بالفعل."

قال أوكدن:

– "لا أستطيع تذكر ذلك."

– "الكوخ الذي أخذت منه الفودكا لم يكن قريبًا من هناك إذن؟"

– "لا يمكن أن يكون كذلك."

قال سترايك:

– "بما أننا في موضوع سرقة الأشياء، هل تملك صدفة نعي الدكتور برينر الذي أخذته من منزل جانيس بيتي؟"

قال أوكدن مظهرا الازدراء:

– "لم أسرق أي نعي من منزلها قط. لماذا قد أريد ذلك؟"

– "لتحصل على بعض المعلومات التي يمكنك محاولة تمريرها على أنها من اكتشافك؟"

– "لا أحتاج للبحث عن العجوز جو برينر، أعرف الكثير عنه. كان يأتي لمنزلنا لتناول العشاء كل أحد بالتبادل. كانت عجوزي تطبخ أفضل من أخته، على ما يبدو."

قال سترايك، وقد أصبحت نبرته هجومية:

– "هات ما عندك إذن، أذهلنا."

رفع أوكدن حاجبيه المتناثرين. مضغ قضمة أخرى من الشطيرة وبلعها، قبل أن يقول:

– "مهلاً، كانت هذه فكرتك بالكامل. إذا كنت لا تريد المعلومات، أنا سعيد بالذهاب."

– "ما لم يكن لديك أكثر مما وضعته في كتابك..."

قال أوكدن بعدوانية:

– "أراد برينر شطب اسم مارغو بامبورو من السجل الطبي اللعين. جاء إلى منزلنا ذات أحد وهو ممتلئ غضبًا من ذلك. قبل أسبوعين من اختفائها. هاك، أبقيت ذلك خارج الكتاب، لأن والدتي لم ترد ذكره هناك."

– "لماذا ذلك؟"

قال أوكدن بضحكة ساخرة صغيرة:

– "لا تزال وفية له. وأردت إبقاء العجوز العزيزة سعيدة في ذلك الوقت، لأنه صدرت تلميحات حول شطب اسمي من الوصية. النساء العجائز،" قال المحتال المدان، "قابلات للإقناع أكثر من اللازم إذا لم تبقِ عينك عليهن. كانت قد

تصادقت مع القس المحلي بحلول الثمانينيات. كنت قلقًا من أن كل شيء سيذهب لإعادة بناء برج الكنيسة اللعين ما لم أراقبها."

– "لماذا أراد برينر شطب اسم بامبورو؟"

– "فحصت طفلاً ما دون إذن الوالدين."

سألت روبن:

– "هل كان هذا ابن جانيس؟"

رمقها أوكدن بنظرة حادة:

– "هل كنت أتحدث إليكِ؟"

زمجر سترايك:

– "أنت... الزم حدودك واحفظ لسانك اللعين داخل رأسك. هل كان ابن جانيس، نعم أم لا؟"

قال أوكدن:

– "ربما."

استنتجت روبن أنه لا يستطيع التذكر.

– "النقطة هي، هذا سلوك غير أخلاقي، فحص طفل دون وجود والد، وكان العجوز جو ثائرًا جدًا بسبب ذلك. (سأجعلها تُشطب بسبب هذا)، ظل يكرر. هاك. لم أحصل على ذلك من أي نعي، أليس كذلك؟"

شرب أوكدن بقية كأسه دفعة واحدة، ثم قال:

– "سآخذ واحدًا آخر من هذا."

تجاهل سترايك ذلك قائلاً:

– "وكان هذا قبل أسبوعين من اختفاء بامبورو؟"

– "تقريبًا، نعم. لم أرَ الوغد العجوز متحمسًا هكذا من قبل. كان يحب تأديب الناس، جو العجوز. وغد شرس، في الواقع."

– "بأي طريقة؟"

قال أوكدن:

– "أخبر عجوزي أمامي أنها لا تضربني بما يكفي. وقد استمعت له أيضًا، اللعينة. حاولت ضربي بشبشب بعد يومين، البقرة الغبية. تعلمت ألا تفعل ذلك مجددًا."

– "حقًا؟ ضربتها بالمثل، أليس كذلك؟"

جالت عينا أوكدن المتقاربتان في سترايك، وكأنهما تحاولان التأكد مما إذا كان يستحق التثقيف.

– "لو عاش أبي، لكان له الحق في عقابي، لكن محاولتها إذلالي لأن برينر أخبرها بذلك؟ لم أكن لأقبل بهذا."

– "ما مدى قرب والدتك وبرينر بالضبط؟"

انعقد حاجبا أوكدن الرفيعان.

– "طبيب وسكرتيرة، هذا كل شيء. لم يكن هناك أي شيء آخر بينهما، إذا كان هذا ما تلمح إليه."

قال سترايك:

– "لم يأخذا قيلولة صغيرة بعد الغداء إذن؟ لم تشعر بالنعاس، بعد مجيء برينر؟"

قال أوكدن:

– "لا تحكم على أمهات الجميع من خلال أمك."

تقبل سترايك الإهانة بابتسامة مظلمة وقال:

– "هل طلبت والدتك من برينر توقيع شهادة وفاة جدتك؟"

– "ما علاقة هذا بالجحيم بأي شيء؟"

– "هل فعلت؟"

قال أوكدن، وعيناه تندفعان مرة أخرى نحو مدخل البار:

– "لا أدري. من أين أتيت بهذه الفكرة؟ لماذا تسأل عن ذلك أصلاً؟"

– "طبيبة جدتك كانت مارغو بامبورو، صحيح؟"

قال أوكدن:

– "لا أدري."

– "تتذكر كل كلمة أخبرتك بها والدتك عن ستيف دوثويت، وصولاً إلى مغازلته لموظفات الاستقبال وبكائه آخر مرة غادر فيها العيادة، لكنك لا تتذكر تفاصيل سقوط جدتك على الدرج ومقتلها؟"

قال أوكدن:

– "لم أكن هناك. كنت في منزل صديق حين حدث ذلك. عدت ورأيت الإسعاف."

– "فقط والدتك في المنزل، إذن؟"

– "ما علاقة هذا بـ..."

سأل سترايك، مخرجًا دفتر ملاحظاته لأول مرة:

– "ما اسم الصديق الذي كنت في منزله؟"

قال أوكدن، محاولاً الضحك، وهو يسقط الجزء الأخير من شطيرته في طبقه:

– "ماذا تفعل؟ إلى ماذا تلمح بحق الجحيم؟"

– "لا تريد إعطاءنا اسمه؟"

– "لماذا بحق الجحيم يجب... كان زميل مدرسة..."

قال سترايك:

– "مفيد لك ولوالدتك، سقوط العجوز مود على الدرج. معلوماتي تقول إنها لم يكن ينبغي لها محاولة نزول الدرج وحدها، في حالتها. ورثتَ المنزل، أليس كذلك؟"

بدأ أوكدن يهز رأسه ببطء شديد، وكأنه مندهش من الغباء غير المتوقع لكورموران سترايك.

– "بجدية؟ أنت تحاول... واو. واو."

– "لن تخبرني باسم صديق مدرستك، إذن؟"

قال أوكدن محاولاً الضحك:

– "واو. تظن أنك تستطيع..."

– "... أن أهمس بكلمة في أذن صحفي صديق، مفادها أن مسيرتك الطويلة في الاحتيال على السيدات العجائز بدأت بدفعة قوية في أسفل ظهر جدتك؟ أوه نعم، أستطيع ذلك بالتأكيد."

– "انتظر لحظة..."

قال سترايك وهو يميل نحوه:

– "أعرف أنك تظن أنني أنا من يُنصب له فخ الليلة."

كانت لغة جسده تنذر بالخطر بشكل لا لبس فيه، ومن زاوية عينها، رأت روبن المرأة ذات الشعر الأسود ومرافقها يراقبون بحذر، وكلاهما كأسه على شفتيه.

– "لكن الشرطة لا تزال تحتفظ برسالة مكتوبة لهم عام 1985، تخبرهم بالحفر تحت صليب القديس يوحنا. تقنيات الحمض النووي تطورت كثيرًا منذ ذلك الحين. أتوقع أنهم سيتمكنون من الحصول على تطابق جيد من اللعاب تحت لسان الظرف."

ارتجف جفن أوكدن مرة أخرى.

– "ظننت أنك ستثير بعض الاهتمام الصحفي بقضية بامبورو، لتجعل الناس يهتمون بكتابك التافه، أليس كذلك؟"

– "أنا لم..."

– "أنا أحذرك. إذا تحدثت للصحف عني وعن أبي، أو عن عملي في قضية بامبورو، سأحرص على أن تُدان بسبب تلك الرسالة. وإذا صدف ولم ينجح ذلك، سأسلط وكالتي بأكملها لقلب كل جزء من حياتك البائسة اللعينة، حتى أجد شيئًا آخر عليك لآخذه للشرطة. مفهوم؟"

أوكدن، الذي بدا للحظة متوترًا، استعاد رباطة جأشه بسرعة. حتى إنه تمكن من إطلاق ضحكة صغيرة أخرى.

– "لا يمكنك منعي من الكتابة عما أريد. هذه حرية..."

كرر سترايك بصوت أعلى قليلاً:

– "أنا أحذرك مما سيحدث إذا وقفت في طريق هذه القضية. ويمكنك دفع ثمن شطيرتك اللعينة بنفسك."

وقف سترايك، وأسرعت روبن، التي فوجئت، للإمساك بمعطفها والنهوض أيضًا.

قالت، وهي تفكر في المصورين المتربصين أمام المبنى:

– "كورموران، لنخرج من الباب الخلفي."

لكن لم يكد يخطوان خطوتين حتى سمعا أوكدن ينادي خلفهما:

– "تظن أنني خائف من وكالتك اللعينة؟ يا لك من محقق تافه!"

والآن التفتت معظم الرؤوس في محيطهما. نظرت روبن للخلف فرأت أن أوكدن قد نهض أيضًا: خرج من خلف الطاولة ووقف في منتصف البار، عازمًا بوضوح على افتعال مشهد.

قالت روبن، التي كان لديها الآن نذير شؤون بمتاعب حقيقية:

– "سترايك، أرجوك، لنذهب فقط."

كان أوكدن مصممًا بوضوح على الخروج من اللقاء بشيء قابل للبيع، أو على الأقل، رواية يظهر فيها منتصرًا. لكن سترايك كان قد استدار بالفعل نحو من يجرون معه المقابلة.

قال أوكدن بصوت عالٍ، مشيرًا باتجاه "سبنسر هاوس":

– "أنت لم تكن تعرف حتى أن والدك اللعين يقيم حفلة خلف الزاوية. ألن تمر لتشكره على مضاجعة أمك فوق كومة من أكياس الفول بينما كان خمسون شخصًا يشاهدون؟"

راقبَت روبن ما كانت تخشى حدوثه يتكشف بحركة بطيئة ظاهرية: اندفع سترايك نحو أوكدن. حاولت الإمساك بالذراع التي سحبها سترايك للخلف ليوجه لكمة، لكن بعد فوات الأوان: اصطدم كوعه بجبهة روبن، كاسرًا نظارتها نصفين. رقصت بقع سوداء أمام عيني روبن، والشيء التالي الذي عرفته هو أنها سقطت للخلف على الأرض.

منح تدخل روبن المحتال بضع ثوانٍ للمراوغة، وبدلاً من تلقي ما كان يمكن أن تكون لكمة قاضية، لم يصب بأكثر من ضربة عابرة على الأذن. في تلك الأثناء، أدرك سترايك الهائج، الذي بالكاد لاحظ إعاقة ذراعه، ما فعله فقط حين رأى الزبائن

في جميع أنحاء البار يقفزون على أقدامهم، وعيونهم على الأرض خلفه. حين التفت، رأى روبن ملقاة هناك، يداها على وجهها، وسيل من الدم يخرج من أنفها.

زأر سترايك:

– "تبًا!"

ركض النادل الشاب من خلف البار. كان أوكدن يصرخ بشيء عن الاعتداء. وبينما كانت لا تزال تشعر بالدوار قليلاً، ودموع الألم تنهمر من عينيها، ساعد زوجان أمريكيان ثريا المظهر وشعرهما رمادي روبن المُهانة على الوقوف، وهما يثرثران حول إحضار طبيب.

سمعت نفسها تقول:

– "أنا بخير تمامًا."

كانت قد تلقت قوة كوع سترايك الكاملة بين حاجبيها، ولم تدرك أن أنفها ينزف إلا حين رشت الدم بالخطأ على قميص الأمريكي الأبيض الطيب.

كان سترايك يقول:

– "روبن، تباً..."

– "سيدي، سأضطر لـ..."

قالت روبن للنادل بأدب مفرط، بينما عيناها تدمعان وتحاول وقف النزيف من منخريها:

– "نعم، سنغادر فورًا بالتأكيد. أحتاج فقط... أوه، شكرًا جزيلاً لكِ."

قالت ذلك للمرأة الأمريكية التي ناولتها معطفها.

كان أوكدن يصرخ:

– "اتصلوا بالشرطة! فليتصل أحد بالشرطة اللعينة!"

بفضل تدخل روبن، كان سليمًا تمامًا.

قالت روبن لا لأحد بعينه:

– "لن أوجه تهمًا."

– "روبن... أنا آسف جدًا..."

ممسكة بحفنة من كم سترايك، والدم الدافئ لا يزال يقطر على ذقنها، تمتمت روبن:

– "لنذهب فقط."

داست على عدسة نظارتها المكسورة وهما يغادران البار الصامت، والزبائن يحدقون في أثرهما.

58

بدت كلماته الجميلة لها تعويضًا مستحقًا
عن كل آلامها الماضية: ساعة محبة واحدة
يمكن أن تغني عن سنوات عديدة من الحزن:
ومثقال ذرة من الحلاوة يساوي رطلًا من المرارة:
نسيت، كم من محنة أليمة
تحملتها مؤخرًا لأجله؛ لم تعد تتحدث
عن الماضي...
فأمامها يقف فارسها، الذي كابدت لأجله الكثير.
إدموند سبنسر ملكة الجن

قالت روبن من خلال أسنان مطبقة، بينما كانا يسرعان عبر الفناء الخارجي:

– "روبن –"

– "لا تقل لي إنه لم يكن يجب علي محاولة إيقافك. لو تلك اللكمة أصابت هدفها، لكنا هناك ننتظر الشرطة."

كانت رؤيتها مشوشة بدموع الألم. التفت المدخنون ليحدقوا بينما كانت تمر، تحاول وقف نزيف أنفها.

لارتياح روبن، لم يكن هناك مصورون (باباراتزي) بانتظارهم وهم يتجهون إلى "غرين بارك"، لكنها كانت خائفة من أنه لن يمر وقت طويل، بعد المشهد الذي صنعه سترايك للتو، حتى يأتوا للصيد مرة أخرى.

قال سترايك، الذي كان مستهلكًا حاليًا بمزيج من الخزي التام والغضب ضد أوكدن، ووالده، والصحافة ونفسه:

– "سنستقل سيارة أجرة. اسمعي، أنتِ محقة –"

قالت بانفعال قليل:

– "أعرف أنني محقة، شكرًا!"

لم يكن وجهها ينبض بالألم فحسب، بل كانت تتساءل الآن لماذا لم يحذرها سترايك بشأن حفلة روكبي؛ ولماذا، في الواقع، سمح لنفسه بأن يستدرج من قبل محتال من الدرجة الثانية مثل أوكدين، غير مبالٍ بالعواقب على قضيتهم وعلى الوكالة.

زأر سترايك بصوت عالٍ لدرجة جعلت روبن تقفز:

– "تاكسي!"

في مكان ما قريب، سمعت خطوات تركض.

توقفت سيارة أجرة سوداء ودفع سترايك روبن للداخل.

صرخ في السائق:

– "شارع دنمارك."

وسمعت روبن صيحات المصورين بينما كانت سيارة الأجرة تسرع مرة أخرى.

قال سترايك، ملتفتًا للنظر من النافذة الخلفية:

– "لا بأس. إنهم على الأقدام. روبن... أنا آسف جدًا بحق الجحيم."

كانت قد سحبت مرآة من حقيبتها لمحاولة تنظيف وجهها المؤلم، ماسحة الدم عن شفتها العليا وذقنها. بدا وكأنها ستحصل على عينين سوداوين (متورمتين): كلتاهما كانت تتورم بسرعة.

قال سترايك:

– "هل تريدين مني أن أوصلك للمنزل؟"

غاضبة منه، ومحاربة الرغبة في البكاء من الألم، تخيلت روبن مفاجأة وفضول ماكس عند رؤيتها بهذه الحالة؛ تخيلت الاضطرار للاستخفاف، مرة أخرى، بالإصابات التي لحقت بها أثناء العمل للوكالة. تذكرت أيضًا أنها لم تتسوق للطعام منذ أيام.

– "لا، أريدك أن تحضر لي شيئًا لآكله ومشروبًا قويًا."

قال سترايك، سعيدًا بفرصة للتعويض:

– "لكِ ذلك. هل تفي وجبة جاهزة بالغرض؟"

قالت روبن بسخرية، مشيرة إلى عينيها اللتين تسودان بسرعة:

– "لا. أود الذهاب إلى فندق الريتز، من فضلك."

بدأ سترايك في الضحك لكنه قاطع نفسه، مرعوبًا من حالة وجهها.

– "ربما يجب أن نذهب للطوارئ."

– "لا تكن سخيفًا."

– "روبن –"

– "أنت آسف. أعرف. لقد قلت."

رن هاتف سترايك. نظر للأسفل: باركلي. يمكنه الانتظار، قرر، ووضعه على الصامت.

بعد ثلاثة أرباع الساعة، أنزلتهم سيارة الأجرة في نهاية شارع دنمارك، مع كاري جاهز وزجاجتين تقرقعان.

بمجرد صعودهم، توجهت روبن إلى المرحاض في البسطة، حيث غسلت الدم الجاف من فتحتي أنفها وذقنها بقطعة من ورق التواليت المبلل. تلان متورمان بشكل متزايد، يميل لونهما للأحمر الأرجواني ويحتويان على عينيها، نظرا إليها من المرآة المشروخة. كانت كدمة زرقاء تنتشر فوق جبهتها.

داخل المكتب، سترايك، الذي كان ليأكل الكاري عادة مباشرة من صينية القصدير التي جاء فيها، أخرج أطباقًا وسكاكين وشوكًا غير متطابقة، ثم، ولأن روبن أرادت مشروبًا قويًا، صعد إلى شقته حيث كان لديه زجاجة من الويسكي المفضل لديه. كان هناك حجرة تجميد صغيرة في ثلاجته، حيث احتفظ بأكياس ثلج لجدعة ساقه بالإضافة إلى صينية مكعبات ثلج. المكعبات بداخلها كانت هناك لأكثر من عام، لأنه رغم أن سترايك يستمتع بمشروب روحي عرضي، إلا أنه يفضل البيرة عمومًا. وهو على وشك مغادرة الشقة مع صينية الثلج، فكر مرة أخرى، وعاد لأخذ أحد أكياس الثلج، أيضًا.

تمتمت روبن، عندما عاد سترايك، متقبلة كيس الثلج المقدم:

– "شكرًا لك."

كانت تجلس في مقعد بات، خلف المكتب حيث أجابت على الهاتف ذات مرة، وحيث وضع سترايك الكاري والأطباق.

أضافت، واضعة كيس الثلج بحذر على عينها اليسرى أولاً:

– "ومن الأفضل أن تعيد عمل جدول الأسبوع القادم. لأنه لا يوجد خافي عيوب (كونسيلر) في العالم سيغطي هذه الفوضى. لن يكون لدي فرصة كبيرة للمرور دون ملاحظة في المراقبة بعينين سوداوين."

قال سترايك مرة أخرى:

– "روبن. أنا آسف جدًا بحق الجحيم. كنت أحمقًا، أنا فقط... ماذا تريدين، فودكا، ويسكي –؟"

– "ويسكي. مع الثلج."

صب سترايك لكليهما مقدارًا ثلاثيًا.

قال، مرة أخرى، بينما أخذت روبن جرعة مرحبًا بها من السكوتش، ثم بدأت في سكب الكاري لنفسها:

– "أنا آسف."

جلس سترايك على الأريكة الجلدية المزيفة مقابل المكتب.

– "إيذاؤك هو آخر شيء – لا عذر لـ – رأيتُ الأحمر (أي فقدتُ صوابي)، فقدت السيطرة. أطفال والدي الآخرون كانوا يزعجونني لأشهر للذهاب لتلك الحفلة اللعينة،" قال سترايك، ممررًا يده خلال شعره الكثيف المجعد الذي لا يبدو أبدًا غير مرتب. شعر أنها تستحق القصة كاملة الآن: السبب، إن لم يكن العذر، لإفساده الأمور بهذا السوء. "أرادوا منا التقاط صورة جماعية معًا كهدية. ثم يخبرني آل أن روكبي مصاب بسرطان البروستاتا – الذي لا يبدو أنه منعه من دعوة أربعمائة صديق لحفلة صاخبة جيدة... مزقت الدعوة دون تسجيل مكان إقامة الشيء. كان يجب أن أدرك أن أوكدين يخطط لشيء ما، رفعت عيني عن الكرة، و –"

تجرع نصف مشروبه دفعة واحدة.

– "لا عذر لمحاولة لكمه، لكن كل شيء – هذه الأشهر القليلة الماضية – روكبي اتصل بي في فبراير. لأول مرة على الإطلاق. حاول رشوتي لمقابلته."

قالت روبن، ضاغطة كيس الثلج على عينها الأخرى، متذكرة صرخة "اذهب وضاجع نفسك" من المكتب الداخلي، في يوم عيد الحب:

– "حاول رشوتك؟"

– "تقريبًا. قال إنه منفتح للاقتراحات لمساعدتي... حسنًا، لقد تأخر الأمر أربعين عامًا لعينًا عن ذلك."

تجرع سترايك بقية الويسكي الخاص به، ومد يده للزجاجة وصب نفس الكمية مرة أخرى في كأسه.

سألت روبن:

– "متى كانت آخر مرة رأيته فيها؟"

قال سترايك:

– "عندما كنت في الثامنة عشرة. قابلته مرتين. المرة الأولى كانت عندما كنت طفلاً. حاولت أمي نصب كمين له بي، خارج استوديو تسجيل."

لم يخبر شارلوت بهذا إلا. كانت عائلتها على الأقل مختلة وغريبة مثل عائلته، ممزقة بمشاهد قد تكون للآخرين أحداثًا تاريخية –*"كان ذلك قبل شهر من حرق أبي لصورة أمي في الردهة، واشتعلت الألواح الخشبية، وجاءت فرقة الإطفاء، واضطررنا جميعًا للإخلاء عبر نوافذ الطابق العلوي"* – لكن لآل كامبل كانت طبيعية لدرجة أنها بدت روتينية.

قال سترايك:

– "ظننت أنه يريد رؤيتي." صدمة ما فعله بروبن، والويسكي الذي يحرق حلقه، حررا ذكريات كان يبقيها عادة مغلقة بإحكام بداخله. "كنت في السابعة. كنت متحمسًا جدًا بحق الجحيم. أردت أن أبدو أنيقًا، ليكون – ليكون فخورًا بي. أخبرت أمي أن تلبسني أفضل بنطال لدي. وصلنا خارج هذا الاستوديو – كان لأمي اتصالات في صناعة الموسيقى، شخص ما سرب لها أنه سيكون هناك – ولم يسمحوا لنا بالدخول. ظننت أن هناك خطأ ما. الرجل على الباب بوضوح لم يدرك أن أبي يريد رؤيتي."

شرب سترايك مرة أخرى. كان الكاري يبرد بينهما.

– "أثارت أمي جلبة. كانوا يهدئونها عندما خرج مدير الفرقة من سيارته خلفنا. عرف من تكون أمي ولم يرد مشهدًا علنيًا. أخذنا للداخل، إلى غرفة بعيدة عن الاستوديو.

"حاول المدير إخبارها أنها حركة غبية، الحضور هكذا. إذا أرادت المزيد من المال، يجب أن تذهب عبر المحامين. عندها أدركت أن والدي لم يدعنا على الإطلاق. كانت تحاول فقط فرض طريقها للداخل. بدأت في البكاء،" قال سترايك بخشونة. "أردت فقط الذهاب...

"وبعد ذلك، بينما أمي ومدير روكبي يتشاجران بضراوة، يدخل روكبي. سمع صراخًا في طريقه للعودة من الحمام. ربما شم سطرًا (كوكايين) للتو؛ أدركت ذلك لاحقًا. كان متوترًا بالفعل عندما دخل الغرفة.

"وحاولت الابتسام،" قال سترايك. "المخاط على كل وجهي. لم أرده أن يظن أنني كثير الشكوى. كنت أتخيل عناقًا. «ها أنت ذا، أخيرًا». لكنه نظر إلي وكأنني لا شيء. طفل معجب ما، في بنطال قصير جدًا. بناطيلي كانت دائمًا قصيرة جدًا بحق الجحيم... كنت أنمو بسرعة كبيرة...

"ثم لمح أمي، وفهم. بدآ يتشاجران. لا أستطيع تذكر كل ما قالاه. كنت طفلاً. الفحوى كانت كيف تجرؤ على التدخل، لديها تفاصيل الاتصال بمحاميه، هو يدفع ما يكفي، إنها مشكلتها إذا بددت كل ذلك، ثم قال: «كان هذا حادثًا لعينًا.» ظننت أنه يعني، أنه جاء للاستوديو بالصدفة أو شيء ما. لكن بعد ذلك نظر إلي، وأدركت، أنه كان يعنيني. أنا كنت الحادث."

قالت روبن بهدوء:

– "أوه يا إلهي، يا كورموران."

قال سترايك:

– "حسنًا، عليك أن تعطيه نقاطًا للصدق. خرج. عدنا للمنزل.

"لفترة بعد ذلك، تمسكت ببعض الأمل في أنه ندم على ما قاله. كان من الصعب التخلي عن فكرة أنه يريد رؤيتي، في أعماقه. لكن لا شيء."

بينما كانت الشمس بعيدة عن الغروب، كانت الغرفة تزداد ظلمة باطراد. المباني العالية لشارع دنمارك ألقت بالمكتب الخارجي في الظل في هذا الوقت من المساء، ولم يقم أي من المحققين بإشعال الأضواء الداخلية.

قال سترايك:

– "المرة الثانية التي التقينا فيها، حددت موعدًا مع إدارته. كنت في الثامنة عشرة. قبلت للتو في أكسفورد. لم نلمس أيًا من أموال روكبي لسنوات. عادوا للمحكمة لوضع قيود على ما يمكن لأمي فعله بها، لأنها كانت كابوسًا مع النقود، ترميها فقط. على أية حال، دون علمي، أبلغ عمي وعمتي روكبي أنني قبلت في أكسفورد. تلقت أمي رسالة تقول إنه ليس لديه التزامات تجاهي الآن وقد بلغت الثامنة عشرة، لكن تذكرها بأنه يمكنني استخدام المال الذي كان يتراكم في الحساب المصرفي.

"رتبت لرؤيته في مكتب مديره. كان هناك مع محاميه القديم، بيتر غيليسبي. حصلت على ابتسامة من روكبي هذه المرة. حسنًا، كنت خارج مسؤولياته المالية الآن، لكن كبيرًا بما يكفي للتحدث للصحافة. أكسفورد كانت بوضوح صدمة له. ربما أمل، بخلفية مثل خلفيتي، أن أنزلق بهدوء بعيدًا عن الأنظار للأبد.

"هنأني على القبول في أكسفورد وقال إن لدي مبلغًا مدخرًا لطيفًا الآن، لأن أمي لم تنفق أيًا منه لست أو سبع سنوات.

"أخبرته،" قال سترايك، "أن يحشر ماله اللعين في مؤخرته ويشعل فيه النار. ثم خرجت.

"كنت وغدًا صغيرًا بارًا بنفسي. لم يخطر ببالي أن تيد وجوان سيضطران للدفع إذا لم يفعل روكبي، وهو ما فعلاه... أدركت ذلك لاحقًا فقط. لكنني لم آخذ مالهما طويلاً. بعد وفاة أمي، في منتصف سنتي الثانية، تركت أكسفورد وتطوعت (في الجيش)."

سألت روبن بهدوء:

– "ألم يتصل بك بعد وفاة والدتك؟"

– "لا،" قال سترايك، "أو إذا فعل، لم أحصل على ذلك أبدًا. أرسل لي ملاحظة عندما نُسفت ساقي. أراهن أن ذلك ألقى الرعب في قلبه، سماع أنني نُسفت. ربما قلق حتى الموت مما قد تصنعه الصحافة من كل ذلك.

"بمجرد خروجي من سيلي أوك، حاول إعطائي المال مرة أخرى. اكتشف أنني كنت أحاول بدء الوكالة. أصدقاء شارلوت عرفوا اثنين من أولاده، وهكذا سمع بالأمر."

شعرت روبن بشيء ينقلب في معدتها عند سماع اسم شارلوت. نادرًا ما اعترف سترايك بوجودها.

– "قلت لا، في البداية. لم أرد أخذ المال، لكن لم يرد أي وغد آخر إقراض جندي سابق بساق واحدة وبدون منزل أو أي مدخرات ما يكفي من المال لإنشاء وكالة تحقيقات. أخبرت محاميه الأحمق أنني سآخذ ما يكفي فقط لبدء الوكالة وسأسدده على أقساط. وهو ما فعلته."

– "ذلك المال كان لك طوال الوقت؟" قالت روبن، التي استطاعت تذكر غيليسبي يضغط على سترايك للسداد كل بضعة أسابيع، عندما انضمت لأول مرة للوكالة.

– "أجل، لكنني لم أرده. استأت حتى من اضطراري لاقتراض جزء منه."

– "غيليسبي تصرف وكأن –"

– "تجدين أشخاصًا مثل غيليسبي حول الأغنياء والمشاهير،" قال سترايك. "غروره كله كان مستثمرًا في كونه منفذ رغبات والدي. الوغد كان نصف مغرم بوالدي العجوز، أو بشهرته، لا أدري. كنت صريحًا جدًا على الهاتف بشأن رأيي في روكبي، ولم يغفر غيليسبي ذلك. أصررت على اتفاقية قرض بيننا، وكان غيليسبي سيجبرني عليها، ليعاقبني على إخباره بالضبط برأيي فيهما."

دفع سترايك نفسه عن الأريكة، التي أصدرت أصوات الريح المعتادة وهو يفعل ذلك، وبدأ في سكب الكاري لنفسه. عندما كان كلاهما يملك طبقًا ممتلئًا، ذهب لإحضار كوبين من الماء. كان قد أنهى ثلث الويسكي بالفعل.

قالت روبن، بمجرد أن استقر مرة أخرى على الأريكة وبدأ في الأكل:

– "كورموران. أنت تدرك، أنني لن أثرثر عن والدك لأشخاص آخرين أبدًا؟ لن أتحدث إليك عنه إذا كنت لا تريد ذلك، لكن... نحن شريكان. كان بإمكانك إخباري أنه يضايقك، وتنفيس غضبك بتلك الطريقة، بدلاً من لكم شاهد."

مضغ سترايك بعضًا من دجاج الجلفريزي الخاص به، وابتلع، ثم قال بهدوء:

– "أجل، أعرف."

أكلت روبن قطعة من خبز النان. وجهها المكدوم كان يؤلمها أقل الآن: كيس الثلج والويسكي كلاهما خدرها، بطرق مختلفة. ومع ذلك، تطلب الأمر دقيقة لحشد الشجاعة لقول:

– "رأيت أن شارلوت نُقلت للمستشفى."

نظر سترايك إليها. كان يعلم، بالطبع، أن روبن تدرك جيدًا من هي شارلوت. قبل أربع سنوات، سكر لدرجة عدم القدرة على المشي تقريبًا، وأخبرها بأكثر بكثير مما نوى أبدًا، عن الحمل المزعوم الذي أصرت شارلوت أنه منه، والذي فرق بينهما للأبد.

قال سترايك:

– "أجل."

وأخبر روبن قصة رسائل الوداع النصية، وهرولته إلى الهاتف العمومي، وكيف استمع حتى وجدوا شارلوت ملقاة في الأحراش في أراضي عيادتها باهظة الثمن.

قالت روبن، واضعة شوكتها:

– "أوه يا للمسيح. متى عرفت أنها حية؟"

قال سترايك:

– "عرفت بالتأكيد بعد يومين، عندما ذكرت الصحافة ذلك." رفع نفسه مرة أخرى من كرسيه، وأعاد ملء كأس ويسكي روبن، ثم صب لنفسه المزيد قبل الجلوس مرة أخرى. "لكنني استنتجت أنها لابد حية قبل ذلك. الأخبار السيئة تنتقل أسرع من الجيدة."

ساد صمت طويل، أملت فيه روبن سماع المزيد عن كيف شعره بالانجرار إلى محاولة انتحار شارلوت، وحسب ما يبدو، إنقاذ حياتها، لكن سترايك لم يقل شيئًا، مكتفيًا بأكل الكاري.

قالت روبن أخيرًا:

– "حسنًا، مرة أخرى، في المستقبل، ربما يمكننا تجربة شيء الحديث ذاك، قبل أن تموت بنوبة قلبية ناتجة عن التوتر أو، كما تعلم، ينتهي بك الأمر بقتل شخص نحتاج لاستجوابه؟"

ابتسم سترايك بأسف.

– "أجل. يمكننا تجربة ذلك، أفترض..."

أغلق الصمت حولهما مرة أخرى، صمت بدا لسترايك الثمل قليلاً أنه يتكثف كالعسل، مريحًا وحلوًا، لكنه خطير قليلاً إذا غصت فيه بعيدًا جدًا. مليئًا بالويسكي، والندم وشعور قوي فضل في جميع الأوقات عدم الإسهاب في التفكير فيه، أراد أن يدلي بنوع من التصريح حول لطف روبن ولباقة تصرفها، لكن كل الكلمات التي خطرت له بدت خرقاء وغير صالحة للاستعمال: أراد التعبير عن شيء من الحقيقة، لكن الحقيقة كانت خطيرة.

كيف يمكنه أن يقول، انظري، حاولت ألا أعجب بكِ منذ خلعتِ معطفكِ لأول مرة في هذا المكتب. أحاول ألا أعطي أسماءً لما أشعر به تجاهك، لأنني أعرف بالفعل أنه أكثر من اللازم، وأريد السلام من القرف الذي يجلبه الحب في أثره. أريد أن أكون وحيدًا، وغير مثقل، وحرًا.

لكنني لا أريدكِ أن تكوني مع أي شخص آخر. لا أريد لبعض الأوغاد الآخرين إقناعكِ بزواج ثانٍ. أحب معرفة أن الاحتمال موجود، لنا لـ، ربما...

إلا أن الأمر سيسوء، بالطبع، لأنه دائمًا يسوء، لأنه لو كنت من النوع المناسب للاستمرار، لكنت متزوجًا بالفعل. وعندما يسوء الأمر، سأخسرك للأبد، وهذا الشيء الذي بنيناه معًا، والذي هو حرفيًا الجزء الجيد الوحيد في حياتي، دعوتي، وفخري، وأعظم إنجازاتي، سيفسد للأبد، لأنني لن أجد أي شخص أستمتع

بإدارة الأمور معه، بالطريقة التي أستمتع بإدارتها معك، وكل شيء بعد ذلك سيكون ملوثًا بذكراك.

لو أمكنها فقط الدخول إلى رأسه ورؤية ما كان هناك، فكر سترايك، لفهمت أنها تحتل مكانًا فريدًا في أفكاره وفي عواطفه. شعر أنه مدين لها بتلك المعلومة، لكنه خشي أن قولها قد ينقل هذه المحادثة إلى منطقة سيكون من الصعب التراجع عنها.

لكن، من ثانية لأخرى، جالسًا هنا، والآن مع أكثر من نصف زجاجة ويسكي صافٍ بداخله، بدت روح مختلفة تتحرك بداخله، سائلة نفسه لأول مرة عما إذا كانت العزلة المصممة هي ما يريده حقًا، إلى الأبد.

جوان تظن أنك سينتهي بك المطاف مع شريكتك في العمل. تلك الفتاة روبن.

الكل أو لا شيء. انظر ماذا سيحدث. باستثناء أن المخاطر المتضمنة في القيام بأي نوع من الخطوة ستكون الأعلى في حياته؛ أعلى بكثير مما كانت عليه عندما ترنح عبر حفلة طلابية لمغازلة شارلوت كامبل، عندما، ومهما كان حجم العذاب الذي تحمله لأجلها لاحقًا، لم يخاطر بأكثر من إذلال بسيط، وقصة جيدة ليرويها.

روبن، التي أكلت بقدر ما تستطيع من الكاري، استسلمت الآن لعدم سماع ما شعر به سترايك تجاه شارلوت. افترضت أنه كان أملاً يائسًا، لكنه كان شيئًا كانت حريصة جدًا على معرفته. الويسكي الصافي الذي شربته أعطى الليل ضبابية خفيفة، مثل ضباب المطر، وشعرت بشيء من الحنين. عرفت أنه لولا الكحول، لربما شعرت بالتعاسة ببساطة.

قال سترايك، بجرأة قدرية لفنان أرجوحة، يتأرجح خارجًا إلى ضوء الكشاف، والهواء الأسود فقط تحته:

– "أفترض، أن إلسا كانت تحاول التوفيق بيننا، من طرفك، أيضًا؟"

عبر الغرفة، جالسة في الظل، اختبرت روبن شيئًا يشبه الصدمة الكهربائية عبر جسدها. أن يلمح سترايك حتى لفكرة طرف ثالث عن كونهما متورطين

رومانسيًا كان غير مسبوق. ألم يتصرفا دائمًا وكأن لا شيء من هذا القبيل يمكن أن يكون أبعد عن ذهن أي منهما؟ ألم يتظاهرا دائمًا بأن لحظات خطيرة معينة لم تحدث أبدًا، مثل عندما عرضت ذلك الفستان الأخضر له، وعانقته وهي ترتدي فستان زفافها، وشعرت بفكرة الهروب معًا تمر عبر عقله، وكذلك عقلها؟

قالت أخيرًا:

– "نعم. كنت قلقة... حسنًا، محرجة بشأن ذلك، لأنني لم..."

قال سترايك بسرعة:

– "لا، لم أظن أبدًا أنكِ كنتِ..."

انتظرت ليقول شيئًا آخر، واعية فجأة وبشكل حاد، كما لم تكن من قبل، بأن هناك سريرًا يقع فوقهما مباشرة، على بعد دقيقتين بالكاد من حيث يجلسان. ومثل سترايك، فكرت، *كل شيء عملت وضحيت من أجله في خطر إذا أخذت هذه المحادثة إلى المكان الخطأ. علاقتنا ستشوه للأبد بالحرج والارتباك.*

لكن أسوأ من ذلك، بكثير: كانت خائفة من فضح نفسها. المشاعر التي كانت تنكرها لماثيو، ولوالدتها، ولإلسا ولنفسها يجب أن تظل مخفية.

قال سترايك:

– "حسنًا، آسف."

ماذا يعني ذلك، تساءلت روبن، وقلبها يخفق بقوة شديدة: أخذت جرعة كبيرة أخرى من الويسكي قبل أن تقول:

– "لماذا تعتذر؟ أنت لست –"

– "إنها صديقتي."

قالت روبن:

– "إنها صديقتي أيضًا، الآن. أنا... لا أعتقد أنها تستطيع منع نفسها. ترى صديقين من الجنس الآخر ينسجمان..."

قال سترايك:

– "أجل."

كل أجهزة استشعاره تعمل الآن: *هل كان ذلك كل ما هما عليه؟ صديقان من الجنس الآخر؟* غير راغب في ترك موضوع الرجال والنساء، قال:

– "لم تخبريني قط كيف سارت الوساطة. كيف استقر الأمر، بعد المماطلة طوال هذا الوقت؟"

– "سارة حامل. يريدان الزواج قبل أن تنجب... أو قبل أن تصبح أضخم من أن تدخل في فستان مصمم، بمعرفتي بسارة."

قال سترايك بهدوء:

– "تبًا."

متسائلاً عن مدى استيائها. لم يستطع قراءة نبرتها أو رؤيتها بوضوح: المكتب كان مليئًا بالظلال الآن، لكنه لم يرد إشعال الأضواء.

– "هل هو – هل توقعتِ ذلك؟"

قالت روبن، بابتسامة لم يستطع سترايك رؤيتها، لكنها آلمت وجهها المكدوم:

– "أفترض أنه كان يجب عليّ. ربما كانت تنزعج من الطريقة التي كان يطيل بها طلاقنا. عندما كان على وشك إنهاء علاقتهما، تركت قرطًا في سريرنا لأجده. ربما قلقت من أنه لن يطلب يدها، فنسيت تناول حبوب منع الحمل. إنها الطريقة الوحيدة التي يمكن للنساء التحكم بها في الرجال، أليس كذلك؟" قالت، ناسية شارلوت لحظيًا، والطفل الذي ادعت أنها فقدته. "لدي شعور بأنها كانت قد أخبرته للتو أنها حامل عندما ألغى الوساطة في المرة الأولى. قال ماثيو إنه كان حادثًا... ربما لم يرد الاحتفاظ به، عندما أخبرته لأول مرة..."

سأل سترايك روبن:

– "هل تريدين أطفالاً؟"

قالت روبن ببطء:

– "كنت أعتقد ذلك. عندما ظننت أن ماثيو وأنا كنا... كما تعلم. للأبد."

بينما قالت ذلك، جاءتها ذكريات تخيلات قديمة: لمجموعة عائلية لم توجد قط، لكنها بدت حية تمامًا لها ذات مرة. في الليلة التي عرض فيها ماثيو

الزواج، شكلت صورة ذهنية واضحة لهما مع ثلاثة أطفال (حل وسط بين عائلته، حيث كان هناك طفلان، وعائلتها، التي كان بها أربعة). رأتها كلها بوضوح تام: ماثيو يشجع ابنًا صغيرًا يتعلم لعب الرجبي، كما فعل هو نفسه؛ ماثيو يشاهد ابنته الصغيرة على المسرح، تلعب دور مريم في مسرحية الميلاد المدرسية. صدمها الآن كم كانت تخيلاتها تقليدية للغاية، وكم أصبحت توقعات ماثيو توقعاتها هي.

جالسة هنا في الظلام مع سترايك، فكرت روبن أن ماثيو، في الواقع، سيكون أبًا جيدًا جدًا لنوع الطفل الذي يتوقعه: بعبارة أخرى، صبي صغير يريد لعب الرجبي، أو فتاة صغيرة تريد الرقص في توتو. سيحمل صورهم في محفظته، سيشارك في مدارسهم، سيعانقهم عندما يحتاجون لذلك، سيهتم بواجباتهم المدرسية. لم يكن خاليًا من اللطف: شعر بالذنب عندما أخطأ. كان الأمر ببساطة أن ما اعتبره ماثيو صحيحًا كان ملونًا بشدة بما يفعله الآخرون، بما يعتبره الآخرون مقبولاً ومرغوبًا.

قالت روبن، بعد توقف قصير:

– "لكنني لا أعرف، بعد الآن. لا أستطيع رؤية نفسي أنجب أطفالاً أثناء القيام بهذه الوظيفة. أعتقد أنني سأتمزق... ولا أريد أن أتمزق مرة أخرى أبدًا. كان ماثيو يحاول دائمًا إشعاري بالذنب لترك هذه المهنة: لم أكسب ما يكفي، عملت ساعات طويلة جدًا، خضت مخاطر كبيرة جدًا... لكنني أحبها،" قالت روبن، بأثر من الشراسة، "ولا أريد الاعتذار عن ذلك بعد الآن...

– "ماذا عنك؟" سألت سترايك. "هل تريد أطفالاً؟"

قال سترايك:

– "لا."

ضحكت روبن.

– "ما المضحك؟"

– "ألقي خطابًا كاملاً للبحث في الروح حول الموضوع وأنت ببساطة: لا."

قال سترايك، من الظلام:

– "لا ينبغي لي أن أكون هنا، أليس كذلك؟ أنا حادث. لست ميالاً لإدامة الخطأ."

ساد صمت، ثم قالت روبن، بحدة:

– "سترايك، هذا مجرد تدليل للذات بشكل لعين."

قال سترايك، مفزوعًا لدرجة الضحك:

– "لماذا؟"

عندما قال نفس الشيء لشارلوت، فهمته ووافقته. في وقت مبكر من مراهقتها، أخبرتها أمها الثملة أنها فكرت في إجهاضها.

– "لأنه... بحق الله، لا يمكنك السماح لظروف حملك بتلوين حياتك بأكملها! إذا توقف كل من تم الحمل به بالخطأ عن إنجاب الأطفال –"

قال سترايك بقوة:

– "لكنا جميعًا أفضل حالاً، أليس كذلك؟ العالم مكتظ بالسكان كما هو. على أية حال، لا أحد من الأطفال الذين أعرفهم يجعلني حريصًا بشكل خاص على إنجاب أطفال خاصين بي."

– "أنت تحب جاك."

– "أحب، لكن هذا طفل واحد من بين الله يعلم كم. أطفال ديف بولورث – تعرفين من هو بولورث؟"

– "صديقك المفضل."

صححها سترايك:

– "إنه أقدم أصدقائي. صديقي المفضل..."

لجزء من الثانية تساءل عما إذا كان سيقولها، لكن الويسكي رفع الحراسة التي يفرضها عادة على نفسه: *لم لا أقولها، لم لا أترك الأمر يخرج؟*

– "... هو أنتِ."

كانت روبن مذهولة جدًا لدرجة أنها لم تستطع الكلام. أبدًا، في أربع سنوات، لم يقترب سترايك من إخبارها بما تعنيه له. كان لابد من استنتاج المودة من التعليقات العابرة، والمجاملات الصغيرة، والصمت المحرج أو الإيماءات التي

أُجبر عليها تحت الضغط. لم تشعر إلا مرة واحدة من قبل كما تشعر الآن، والهدية غير المتوقعة التي ولدت الشعور كانت خاتم ياقوت وألماس، تركته خلفها عندما خرجت من حياة الرجل الذي أعطاها إياه.

أرادت أن تقدم نوعًا من الرد، لكن للحظة أو اثنتين، شعر حلقها بضيق شديد.

قالت، محاولة ألا تبدو سعيدة جدًا:

– "أنا... حسنًا، الشعور متبادل."

على الأريكة، سجل سترايك بشكل خافت أن شخصًا ما كان على الدرج المعدني أسفل طابقهم. أحيانًا كان مصمم الجرافيك في المكتب بالأسفل يعمل حتى وقت متأخر. في الغالب كان سترايك يتلذذ بالمتعة التي منحته إياها سماع روبن ترد إعلان مودته.

والآن، ممتلئًا بالويسكي، تذكر حملها على الدرج في زفافها. كان هذا أقرب ما وصلا إليه من تلك اللحظة منذ ما يقرب من عامين، وبدا الهواء سميكًا بأشياء غير منطوقة، ومرة أخرى، شعر وكأنه يقف على منصة صغيرة، مستعدًا للتأرجح نحو المجهول. *اتركه هناك*، قالت النفس المتجهمة التي اشتهت مساحة علية منعزلة، وحرية، وسلامًا. *الآن*، همس الشيطان الوامض الذي أطلقه الويسكي، ومثل روبن قبل بضع دقائق، كان سترايك واعيًا بأنهم يجلسون على بعد أقدام قليلة من سرير مزدوج.

وصلت خطوات إلى البسطة خارج الباب الزجاجي الخارجي. قبل أن يتمكن أي من سترايك أو روبن من رد الفعل، فُتح.

قال باركلي:

– "هل انقطعت الكهرباء؟"

وأشعل النور.

بعد لحظة رمش فيها الثلاثة لبعضهم البعض في مفاجأة، قال باركلي:

– "أنتِ عبقرية ملعونة يا ر... ما الذي حدث بحق الجحيم لوجهك؟"

59

تلك المحاربة البريطانية...
... بمثل هذا الترحيب الجاف استقبلت
عشيقها المزعوم، ضيفها المُقحم،
حتى أنه أُجبر على مغادرة سرجه سريعًا،
وخدع نفسه في حبه الجديد:
وجعل من نفسه حينها مثالاً لغبائه.
وبعد أن تم ذلك، مضت قدمًا دون وداع،
تاركةً إياه الآن حزينًا، كما كان سابقًا مرحًا،
وقد تلقى تحذيرًا جيدًا ليحذر ممن يجرؤ على العبث معهن.
إدموند سبنسر ملكة الجن

وهي ترمش في الضوء الساطع، مدت روبن يدها مرة أخرى لكيس الثلج.

– "سترايك ضربني. عن غير قصد."

قال باركلي:

– "يا يسوع. لا أود رؤية ما يمكنه فعله عن قصد. كيف حدث ذلك؟"

– "وجهي اعترض طريق مرفقه."

– "هاه،" قال باركلي، ناظرًا بنهم إلى علب الكاري شبه الفارغة، "وماذا كان ذلك؟ تعويض؟"

– "بالضبط."

– "ألهذا السبب لم يجب أي منكما على هاتفه للساعات الثلاث الماضية؟"

– "تبًا، آسفة يا سام،" قالت روبن، مخرجة هاتفها المحمول وناظرة إليه.

كان لديها خمس عشرة مكالمة فائتة من باركلي منذ وضعت والدتها على الصامت

في البار الأمريكي. كانت مسرورة أيضًا لرؤية أنها فوتت رسالتين نصيتين من موريس، بدا أن إحداهما مرفق بها صورة.

قال سترايك الثمل قليلاً:

– "ما فوق نداء الواجب أن تأتي شخصيًا." لم يكن متأكدًا مما إذا كان سعيدًا أم منزعجًا لأن باركلي قاطعهم، لكن في المحصلة، اعتقد أن الانزعاج كان هو الغالب.

قال باركلي:

– "زوجتي عند والدتها مع الطفلة الليلة. لذا فكرت أن آتي لتسليم الأخبار السارة شخصيًا."

أخذ لنفسه رقاقة خبز (بابادام) وجلس على ذراع الأريكة في الطرف الآخر لسترايك.

– "لقد اكتشفت ما يفعله المدير التنفيذي (SB) في ستوك نيوينغتون. الفضل كله لروبن. هل أنتما مستعدان لهذا؟"

– "ماذا؟" قال سترايك، ناظرًا بين باركلي وروبن. "متى –؟"

قالت روبن:

– "في وقت سابق. قبل أن أقابلك."

قال باركلي:

– "رننت جرس الباب، قلت إنني موصى بي من قبل المدير التنفيذي، وتساءلت عما إذا كان بإمكانها مساعدتي. لم تصدقني. اضطررت لوضع قدمي في الباب لمنعها من صفقه في وجهي. ثم قالت إن المدير التنفيذي أخبرها أن رجلاً اسكتلنديًا أقنعه بالنزول عن جسر البرج في اليوم الآخر.

"لذا قررت أنه وقت تقليل الخسائر،" قال باركلي. "قلت، نعم، ذلك كان أنا. أنا صديق. نحن نعرف ما تفعلينه هنا. سترغبين في التحدث إلي، إذا كنتِ تهتمين بعميلك.

"لذا سمحت لي بالدخول."

أكل باركلي قطعة من رقاقة الخبز.

– "آسف، أتضور جوعًا. على أية حال، تأخذني إلى الغرفة الخلفية، وهناك كان كل شيء."

– "هناك ماذا؟"

قال باركلي، مبتسمًا بابتسامة عريضة:

– "قفص لعب (روضة أطفال) عملاق صنعته، من بعض الرغوة وألواح الخشب المضغوط (MDF). حصيرة تغيير كبيرة قديمة. كومة من حفاضات البالغين. بودرة أطفال جونسون."

بدا سترايك وكأنه فقد القدرة على الكلام للحظات. بدأت روبن في الضحك، لكنها توقفت بسرعة، لأن ذلك آلم وجهها.

– "المسكين العجوز SB يستمتع بكونه طفلاً رضيعًا. ليس لديها سوى عميل واحد آخر، ذلك الرجل في صالة الألعاب الرياضية. لا تحتاج للمزيد، لأن المدير التنفيذي يدفع لها الكثير. تلبسهم. تغير لهم. تضع البودرة على مؤخراتهم اللعـ–"

– "أنت تمزح،" قال سترايك. "هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًا."

– "إنه حقيقي،" قالت روبن، وكيس الثلج مضغوط على وجهها. "يسمى... انتظر..."

أظهرت قائمة الانحرافات (paraphilias) على هاتفها مرة أخرى.

– "الولع بالطفولة الذاتية (Autonepiophilia). «الاستثارة بفكرة المرء عن نفسه كرضيع»."

– "كيف بحق الجحيم –؟"

– "كنت أراقب كبار السن وهم يُخرجون على الكراسي المتحركة من دار الرعاية،" قالت روبن. "قال موريس إنهم مثل الأطفال، وإن بعضهم ربما يرتدون حفاضات وفجأة... فهمت الأمر. رأيتها تشتري طنًا من بودرة الأطفال واللهايات في السوبر ماركت، لكننا لم نرَ طفلاً واحدًا يدخل أو يخرج من ذلك المنزل. ثم كان هناك أمر التربيت على الرأس ذاك، وكأن الرجال أطفال صغار..."

تذكر سترايك تتبع مدير صالة الألعاب الرياضية إلى منزله، ويد الرجل على الجزء السفلي من وجهه وهو يغادر منزل إلينور دين، وكأن شيئًا يبرز من فمه ويريد إخفاءه.

كانت روبن تقول:

– "... وصناديق كبيرة يتم تسليمها، لشيء خفيف جدًا."

قال باركلي:

– "ستكون تلك حفاضات البالغين. على أية حال... هي ليست امرأة سيئة. صنعت لي كوبًا من الشاي. هي تعرف عن الابتزاز، لكن إليكم شيئًا مثيرًا للاهتمام: هي والمدير التنفيذي لا يعتقدان أن المراوغ يعرف ما يجري حقًا داخل ذلك المنزل."

– "كيف ذلك؟"

– "مدير صالة الألعاب الرياضية زل لسانه لالمراوغ بأنه يعرف رجلاً كبيرًا في شركة المراوغ. المدير التنفيذي ورجل الصالة يذهبان أحيانًا في قفص اللعب معًا، أترون. وكأنها حضا – وكأنها حضاذ –"

انفجر باركلي فجأة في نوبات من الضحك وحذا سترايك حذوه. ضغطت روبن كيس الثلج على وجهها وانضمت إليهما. لمدة دقيقة، زأر الثلاثة بالضحك على الصورة الذهنية للرجلين بالحفاضات، جالسين في قفص اللعب المصنوع من الـ MDF.

قال باركلي بصوت رفيع (فالسيتو)، ماسحًا الدموع من عينيه:

– "– وكأنها حضانة. تباً، الدنيا فيها كل الأنواع، هاه؟ على أية حال، الأحمق في الصالة زل لسانه بهذا، والمراوغ، عالمًا بأن SB العجوز لم يذهب لصالة ألعاب رياضية في حياته، وأنه يعيش في الجانب الآخر من لندن، يحقق قليلاً، ويلاحظ أن الرجل الآخر يصبح غير مرتاح. لذا يتبع المراوغ المدير التنفيذي. يراقبه يدخل ويخرج من مكان إلينور. يستخلص الاستنتاج الواضح: إنها عاهرة.

"يدخل المراوغ بعد ذلك إلى مكتب SB، ويغلق الباب، ويعطيه عنوان إلينور، ويقول إنه يعرف ما يجري هناك. كاد SB أن يوسخ نفسه من الخوف، لكنه

ليس أحمق. يظن أن المراوغ يعتقد أنه مجرد جنس عادي، لكنه قلق من أن المراوغ قد يقوم بالمزيد من التنقيب. انظروا، وجد SB إلينور عبر الإنترنت، تعلن عن خدماتها في ركن مظلم من الشبكة. SB خائف من أن يذهب المراوغ للبحث عما تفعله حقًا إذا أنكر أنه جنس، وإذا اكتشف أي شخص ما يجري حقًا هناك، فسيعود SB مباشرة لأعلى جسر البرج.

"لذا، هذا الجزء ليس مضحكًا جدًا،" قال باركلي، برصانة أكبر. "الرجل في الصالة اعترف لـ SB وإلينور قبل شهرين فقط، بشأن التحدث لالمراوغ. إنه مستعد لقتل نفسه تقريبًا، لما فعله. أزالت إلينور إعلانها، لكن الإنترنت لا ينسى أبدًا، لذا لا فائدة لعينة من ذلك...

"الشيء الأسوأ، تقول إلينور، هو أن المراوغ نفسه وغد حقيقي. أخبرها SB بكل شيء عنه. يبدو أن المراوغ يأخذ عادة الكوكايين معه للعمل وهو دائمًا يتحرش بمساعدته الشخصية (PA)، لكن SB لا يستطيع فعل أي شيء حيال ذلك، خوفًا من الانتقام. لذا،" قال باركلي، "ماذا سنفعل، هاه؟ نخبر مجلس الإدارة أن سراويل بدلة المدير التنفيذي لا تناسبه بشكل صحيح لأنه يرتدي حفاضًا تحتها؟"

لم يبتسم سترايك. كمية الويسكي التي استهلكها لم تساعد عمليات تفكيره بشكل خاص. كانت روبن هي من تحدث أولاً.

– "حسنًا، يمكننا إخبار المجلس بكل شيء، وقبول أن ذلك سيدمر بضعة حيوات... أو يمكننا السماح لهم بإنهاء عقدنا دون إخبارهم بما يحدث، وقبول أن المراوغ سيستمر في ابتزاز SB... أو..."

قال سترايك بوقار:

– "أجل. هذا هو السؤال، أليس كذلك؟ أين الخيار الثالث، حيث ينال المراوغ عقابه ولا ينتهي المطاف بـ SB في التايمز؟"

قالت روبن لباركلي:

– "يبدو، وكأن إلينور ستدعم SB، إذا ادعى أنها كانت مجرد علاقة غرامية؟ بالطبع، زوجة SB قد لا تكون سعيدة."

قال باركلي:

– "أجل، إلينور ستدعمه. إنه في مصلحتها."

قال سترايك:

– "أود الإيقاع بالمراوغ. سيسعد ذلك العميل بلا حدود، إذا ساعدناهم في التخلص من المراوغ دون تلطيخ اسم الشركة في الصحف... وهو ما سيحدث بالتأكيد إذا خرج للعلن أن مديرهم التنفيذي يحب وضع البودرة على مؤخرته..."

"إذا كانت تلك المساعدة تتعرض للتحرش الجنسي،" قال سترايك، "وتشاهده يتعاطى الكوكايين في العمل، لماذا لا تشتكي؟"

اقترحت روبن:

– "الخوف من عدم التصديق؟ من فقدان وظيفتها؟"

قال سترايك لروبن:

– "هل يمكنك، الاتصال بموريس لأجلي؟ ستكون معلومات اللازمة للاتصال بالفتاة لا تزال لديه. وأنت يا باركلي،" أضاف سترايك، ناهضًا عن الأريكة في المحاولة الثالثة، ومتجهًا للمكتب الداخلي، "تعال هنا، سنضطر لتغيير جدول الأسبوع القادم. لا يمكن لروبن تعقب الناس وهي تبدو وكأنها قامت بثلاث جولات مع مايك تايسون."

ذهب الاثنان الآخران إلى مكتب سترايك. ظلت روبن جالسة على مكتب بات للحظة، تفكر ليس فيما أخبرهم به باركلي للتو، بل في اللحظات التي سبقت وصوله، عندما كانت هي وسترايك جالسين في شبه الظلام. ذكرى إخبار سترايك لها بأنها أفضل صديق له جعلت قلبها يشعر بخفة لا توصف، وكأن شيئًا لم تكن تدرك أنه يثقله قد أزيل للأبد.

بعد لحظة من التلذذ الممتع بهذا الشعور، سحبت هاتفها المحمول، وفتحت الرسائل التي أرسلها موريس لها سابقًا. الأولى، التي كان بها الصورة المرفقة، قالت "ل ول" (lol - ضحك بصوت عالٍ). كانت الصورة للافتة تقول: *"شحنة فياغرا مسروقة. الشرطة تبحث عن عصابة من المجرمين المتصلبين (Hardened - تورية تعني قساة ومتصلبين جنسيًا)."* الرسالة الثانية قالت: *"ليست مضحكة؟"*

تمتمت روبن: "لا. ليست مضحكة."

ناهضة للوقوف، ضغطت رقم موريس، وبدأت في تنظيف بقايا الكاري بيد واحدة، بينما تمسك الهاتف على أذنها.

قال موريس، بعد بضع رنات:

– "مساء الخير. تتصلين لتخبريني أنكِ وجدتِ مجرمًا متصلبًا؟"

سألت روبن، متجاهلة الظرافة:

– "هل تقود؟"

– "على الأقدام. رأيت للتو دار المسنين تغلق لليلة. أنا في الواقع بجوار المكتب، في طريقي لإعفاء هاتشينز. إنه خارج «الآيفي»، يراقب صديق الآنسة جونز."

– "حسنًا، نحتاج لتفاصيل مساعدة المراوغ."

– "ماذا؟ لماذا؟"

– "اكتشفنا ما يبتز المراوغ رئيسه بشأنه، لكن،" ترددت، متخيلة النكات التي ستسمعها على حساب المدير التنفيذي، إذا أخبرت موريس بما تفعله إلينور دين له، "إنه ليس شيئًا غير قانوني وهو لا يؤذي أحدًا. نريد التحدث إلى مساعدة المراوغ مرة أخرى، لذا نحتاج لتفاصيل الاتصال بها."

قال موريس:

– "لا، لا أعتقد أنه يجب علينا العودة إليها. فكرة سيئة."

سألت روبن، وهي تسقط صواني القصدير في سلة المهملات التي تعمل بالدواسة، كاتمة عبوسها لأنه جعل وجهها المكدوم يؤلمها:

– "لماذا؟"

قال موريس، الذي كان يتجنب الشتائم عادة مع روبن:

– "لأن... بحق الجحيم. أنتِ كنتِ من قال إنه لا ينبغي استخدامها."

خلف روبن، في المكتب الداخلي، ضحك باركلي على شيء قاله سترايك.

للمرة الثالثة في ذلك المساء، شعرت روبن بمتاعب وشيكة.

قالت:

– "سول، أنت لست مستمرًا في مقابلتها، أليس كذلك؟"

لم يجب فورًا. التقطت روبن الأطباق من المكتب ووضعتها في الحوض، منتظرة إجابته.

قال، بمحاولة للضحك:

– "لا، بالطبع لست كذلك. أعتقد فقط أن هذه فكرة سيئة. أنتِ كنتِ من قال، من قبل، إن لديها الكثير لتخسره –"

– "لكننا لن نطلب منها الإيقاع به أو نصب فخ له هذه المرة –"

– "سأحتاج للتفكير في هذا."

وضعت روبن السكاكين والشوك في الحوض أيضًا.

– "سول، هذا ليس للنقاش. نحتاج لتفاصيل الاتصال بها."

قال موريس، وعرفت روبن أنه يكذب:

– "لا أعرف ما إذا كنت قد احتفظت بها. أين سترايك الآن؟"

قالت روبن:

– "شارع دنمارك."

ولأنها لا تريد نكتة ماكرة أخرى حول وجودها هي وسترايك معًا بعد حلول الظلام، تعمدت عدم قول إنها هناك أيضًا.

قال موريس:

– "حسنًا، سأتصل به."

وقبل أن تتمكن روبن من قول أي شيء آخر، أغلق الخط.

كان الويسكي الذي شربته لا يزال له تأثير مخدر طفيف. عرفت روبن أنها لو كانت صاحية تمامًا، لشعرت بسخط أكبر تجاه مثال آخر لمعاملة موريس لها ليس كشريكة في الشركة، بل كسكرتيرة لسترايك.

فاتحة الصنابير في منطقة المطبخ الضيقة، بدأت في شطف الأطباق والشوك، وبينما كانت صلصة الكاري تقطر في المصرف، انجرفت أفكارها مرة أخرى إلى تلك اللحظات قبل وصول باركلي، بينما كانت هي وسترايك لا يزالان جالسين في شبه الظلام.

في الخارج على طريق تشارينغ كروس، مرت سيارة، تصدح بأغنية ريتا أورا "لن أخذلك أبدًا"، وبهدوء، تحت أنفاسها، غنت روبن معها:

"أخبرني يا حبيبي ماذا سنفعل

سأجعل الأمر سهلاً، لدي الكثير لأخسره..."

واضعة السدادة في الحوض، بدأت في ملئه، ضاخة سائل الغسيل فوق أدوات المائدة. وهي تغني، وقعت عيناها على زجاجة الفودكا غير المفتوحة التي اشتراها سترايك، لكن لم يلمسها أي منهما. فكرت في أوكدن وهو يسرق الفودكا في حفل شواء مارغو...

"لقد سئمت من مراقبتي

ونسيت أن تقضي وقتًا ممتعًا..."

... وادعائه بأنه لم يلغم شراب البنش. ومع ذلك تقيأت غلوريا... في اللحظة التي سحبت فيها روبن النفس إلى رئتيها لتنادي سترايك، وتخبره بفكرتها الجديدة، أغلقت يدان على خصرها.

مرتين في حياة روبن، هاجمها رجل من الخلف: دون تفكير واعٍ، داست في وقت واحد بقوة بكعبها العالي على قدم الرجل خلفها، وأرجعت رأسها للخلف، ضاربة إياه في وجهه، وأمسكت بسكين في الحوض ودارت بينما اختفت القبضة عن خصرها.

زأر موريس:

– "آآآآه!" (اللعنة!)

لم تسمعه يصعد الدرج فوق صوت الماء المتناثر في الحوض وغنائها. كان موريس الآن منحنيًا، ويداه مطبقتين على أنفه.

صرخ مرة أخرى:

– "تبًا!"

مبعدًا يديه عن وجهه، ليكشف أن أنفه ينزف. قفز للخلف، وأثر كعبها الستيليتو مطبوع في حذائه، وانهار على الأريكة.

قال سترايك، خارجًا بسرعة من المكتب الداخلي وناظرًا من موريس على الأريكة إلى روبن، التي كانت لا تزال تحمل السكين:

– "ماذا يحدث؟"

أغلقت الصنابير، تتنفس بصعوبة.

قالت، بينما خرج باركلي من الغرفة الداخلية خلف سترايك:

– "لقد أمسك بي. لم أسمعه قادمًا."

قال موريس، فاحصًا الدم الملطخ على يديه:

– "كانت – مجرد – مزحة – لعينة. قصدت فقط إفزاعك – بحق الجحيم "

لكن الأدرينالين والويسكي أطلقا فجأة غضبًا في روبن لم تشعر بمثله منذ الليلة التي تركت فيها ماثيو. برأس خفيف، تقدمت نحو موريس.

– "هل كنت لتتسلل خلف سترايك وتمسك به من خصره؟ هل تتسلل خلف باركلي وتعانقه؟ هل ترسل لأي منهما صورًا لقضيبك؟"

ساد صمت.

قال موريس، وظاهر يده مضغوط على فتحتي أنفه:

– "أيتها الساقطة. قلتِ إنكِ لن –"

قال سترايك:

– "فعل ماذا؟"

قالت روبن الغاضبة بحدة:

– "أرسل لي صورة لقضيبه." وبالتفت إلى موريس، قالت: "لست فتاة خبرة عمل تبلغ من العمر ستة عشر عامًا تخاف من إخبارك بالتوقف. لا أريد يديك علي، مفهوم؟ لا أريدك تقبلني –"

بدأ سترايك:

– "أرسل لكِ –؟"

قالت روبن:

– "لم أخبرك لأنك كنت مضغوطًا جدًا. كانت جوان تحتضر، وكنت تسافر ذهابًا وإيابًا إلى كورنوال، لم تكن بحاجة للغم، لكنني اكتفيت. لن أعمل معه بعد الآن. أريده أن يرحل."

قال موريس مرة أخرى، رابتاً على أنفه:

– "بحق المسيح، كانت مزحة –"

قال باركلي، الذي كان واقفًا مستندًا إلى الجدار، وذراعاه معقودتان، وبدا أنه يستمتع بوقته:

– "أنت بحاجة لتعلم قراءة الغرفة (الجو العام) اللعين يا صاح."

– "لا يمكنكم طردي اللعين بسبب –"

قال سترايك:

– "أنت متعاقد من الباطن. لن نجدد عقدك. اتفاقية عدم الإفشاء الخاصة بك تظل سارية المفعول. كلمة واحدة عن أي شيء اكتشفته أثناء العمل هنا، وسأحرص على ألا تحصل أبدًا على وظيفة محقق أخرى. الآن اخرج من هذا المكتب اللعين."

بعينين زائغتين، نهض موريس، ولا يزال ينزف من فتحة أنفه اليسرى.

– "حسنًا. تريد الاحتفاظ بها لأن لديك انتصابًا لها، حسنًا."

أخذ سترايك خطوة للأمام؛ كاد موريس يسقط فوق الأريكة، متراجعًا.

قال مرة أخرى:

– "حسنًا."

استدار ومشى مباشرة خارج المكتب، صافقًا الباب الزجاجي خلفه. بينما اهتز الباب، وخطوات موريس تقرقع مبتعدة أسفل السلالم المعدنية، دفع باركلي نفسه عن الجدار، وانتزع السكين التي كانت روبن لا تزال تمسكها من يدها وذهب لإسقاطها في الحوض مع الأواني الفخارية القذرة.

قال:

– "لم أحب ذلك التافه قط."

نظر سترايك وروبن إلى بعضهما البعض، ثم إلى السجاد البالي، حيث كانت قطرتان من دم موريس لا تزالان تلمعان.

قال سترايك، ضاربًا كفيه ببعضهما:

– "واحد للكل، إذن. ما رأيكما، أول من يكسر أنف باركلي يفوز بالليلة؟"

الجزء السادس

وهكذا انقضت الشهور الاثنا عشر، وعاد كلٌّ منها إلى مقامه المرسوم...

— إدموند سبنسر، ملكة الجن (The Faerie Queene)

60

الحظ، عدو الإنجازات الشهيرة،
نادرًا (قال غايون) ما يمنح الفضيلة عونًا،
بل يلقي في طريقها الأذى وسوء الطالع،
وبذلك يتوقف مسارها، ويتعطل عبورها.
إدموند سبنسر ملكة الجن

ما الذي كان سيحدث لو لم يفتح سام باركلي الباب في تلك الليلة ويشعل الضوء؟ كان هذا السؤال هو الشغل الشاغل لشريكي التحقيق طوال عطلة نهاية الأسبوع، حيث أعاد كل منهما تشغيل المحادثة في رأسه، متسائلاً عما يفكر فيه الآخر، وما إذا كان قد قيل الكثير، أو تم البوح بأكثر مما ينبغي.

صاحيًا الآن، كان على سترايك أن يكون سعيدًا لأنه لم يفعل ما كان الويسكي يحثه على فعله. لو تصرف بناءً على ذلك الدافع الذي يغذيه الكحول، لربما كان الآن في حالة من الندم المرير، بلا طريق للعودة إلى الصداقة التي كانت فريدة في حياته. ومع ذلك، في لحظات فراغه، تساءل عما إذا كانت روبن قد عرفت مدى قربه الخطير من دفع المحادثة إلى منطقة كانت محاطة سابقًا بالأسلاك الشائكة، أو أنه، قبل ثوانٍ من ضغط باركلي على مفتاح الضوء، كان سترايك يحاول تذكر متى غير ملاءات سريره لآخر مرة.

في هذه الأثناء، استيقظت روبن صباح الأحد ووجهها يؤلمها وكأنه قد دُهس، مع صداع خفيف من أثر الكحول، ومزيج متقلب من المتعة والقلق. راجعت كل ما قالته لسترايك، آملة ألا تكون قد خانت أيًا من تلك المشاعر التي اعتادت

إنكارها، حتى لنفسها. ذكرى إخباره لها بأنها صديقه المفضل سببت دفقة صغيرة من السعادة في كل مرة عادت إليها، لكن مع مرور اليوم، وتفاقم كدماتها، تمنت لو كانت شجاعة بما يكفي لتسأله مباشرة عن شعوره الآن تجاه شارلوت كامبل.

كانت صورة شارلوت معلقة بشكل دائم في رأس روبن هذه الأيام، مثل لوحة مظلمة لم ترغب أبدًا في تعليقها. اكتسبت الصورة شكلاً وهيئة في السنوات الأربع منذ مرتا ببعضهما على الدرج في مكتب شارع دنمارك، بسبب التفاصيل العديدة التي أعطتها إياها إلسا، والمقتطفات التي قرأتها في الصحافة. لكن الليلة الماضية، أصبحت تلك الصورة صارخة وثابتة: رؤية رومانسية مظلمة لحب ضائع ومحتضر، يهمس بكلماته الأخيرة في أذن سترايك بينما ترقد هي بين الأشجار.

وكانت هذه، كيفما نظرت إليها، صورة قوية بشكل استثنائي. كان سترايك قد أخبر روبن ذات مرة، عندما كان ثملاً للغاية، أن شارلوت هي أجمل امرأة رآها في حياته، وبينما كانت تحوم بين الحياة والموت، اختارت تلك المرأة الجميلة الاتصال بسترايك، لتخبره أنها لا تزال تحبه. ما الذي كان لدى روبن إيلاكوت النثرية (العادية) لتقدمه مما يساوي بأي شكل تلك الدراما عالية المخاطر، وتلك المشاعر المتطرفة؟ جدول مناوبات محدث، وفواتير مصنفة بعناية وأكواب من الشاي الثقيل؟ بلا شك بسبب الألم في وجهها، تأرجح مزاج روبن بين بهجة متضائلة وميل للاستغراق في التفكير الكئيب. أخيرًا، وبخت نفسها بصرامة: لقد أعطاها سترايك تأكيدًا غير مسبوق للمودة، ولن تضطر لرؤية سول موريس مرة أخرى أبدًا، ويجب أن تكون سعيدة بكلا الأمرين.

كما هو متوقع، كانت بات هي من تلقى خبر الطرد المفاجئ لسول موريس بصعوبة بالغة. نقل سترايك الخبر صباح الاثنين، حيث كاد هو والسكرتيرة يصطدمان ببعضهما في المدخل المؤدي لشارع دنمارك، سترايك في طريقه للخروج، وبات في طريقها للدخول. كلاهما كان يستعد لتناول النيكوتين، حيث أخرجت بات للتو السيجارة الإلكترونية التي تستخدمها خلال ساعات العمل، وكان سترايك يحمل بالفعل سيجارة "بنسون آند هيدجز" التي نادرًا ما يدخنها في المكتب.

قال سترايك:

– "صباح الخير. تركت ملاحظة على مكتبك، شيئان أود منك القيام بهما بينما أنا بالخارج. روبن ستصل في العاشرة. أوه –"

كان قد خطا بضع خطوات قبل أن يلتفت.

– "– وهل يمكنك حساب أجر موريس حتى يوم الجمعة وتحويله إلى حسابه فورًا؟ إنه لن يعود."

لم ينتظر رد فعل، لذا كانت روبن هي من تحملت وطأة خيبة أمل سكرتيرتهم عندما وصلت في العاشرة إلا عشر دقائق. كانت بات تشغل "الراديو 2"، لكنها أطفأته لحظة دوران مقبض الباب.

قالت بات:

– "صباح الخير. لماذا – ماذا حدث لكِ؟"

بدا وجه روبن أسوأ، بعد يومين، مما كان عليه يوم السبت. وبينما هدأ التورم، كانت كلتا العينين محاطتين بحلقات رمادية داكنة مشوبة بالأحمر.

قالت روبن، وهي تخلع معطفها وتعلقه:

– "كان حادثًا. اصطدمت بشيء ما. لذا لن أكون في المراقبة هذا الأسبوع."

أخرجت كتابًا من حقيبتها وعبرت إلى الغلاية، ممسكة به. لم تستمتع بشكل خاص بالتحديق الخفي في المترو ذلك الصباح، لكنها لم تكن لتذكر مرفق سترايك لبات، لأنها حاولت، حيثما أمكن، عدم تغذية نفور بات من شريكها.

سألت بات بحدة:

– "لماذا لن يعود سول؟"

قالت روبن، وظهرها لبات بينما كانت تنزل كوبين:

– "لم ينجح الأمر."

قالت بات بسخط:

– "ماذا تعنين؟ لقد ضبط ذلك الرجل الذي كان يقيم علاقة مع المربية. كان دائمًا يبقي أوراقه محدثة، وهو أكثر مما يمكنك قوله عن ذلك الاسكتلندي المجنون."

– "أعرف. لكنه لم يكن لاعب فريق جيدًا يا بات."

أخذت بات سحبة عميقة من بخار النيكوتين، عابسة.

قالت، وهي تومئ نحو الكرسي الفارغ حيث يجلس سترايك عادة:

– "هو، يمكنه أخذ بضعة دروس من موريس!"

عرفت روبن تمامًا أنه لم يكن قرار بات من يوظف الشركاء ومن يطردون، لكن على عكس سترايك، اعتقدت أيضًا أنه في فريق صغير كهذا، تستحق بات الحقيقة.

قالت، ملتفتة لتواجه السكرتيرة:

– "لم يكن كورموران هو من أراده خارجًا، بل أنا."

قالت بات مذهولة:

– "أنتِ! ظننت أنكما معجبان ببعضكما البعض!"

– "لا. لم أحبه. بصرف النظر عن أي شيء آخر، أرسل لي صورة لقضيبه المنتصب في الكريسماس."

سجل وجه بات العميق التجاعيد فزعًا هزليًا تقريبًا.

– "في... في البريد؟"

ضحكت روبن.

– "ماذا، مدسوسة داخل بطاقة كريسماس؟ لا. عبر رسالة نصية."

– "ألم تـ...؟"

– "أطلبها؟ لا،" قالت روبن، ولم تعد تبتسم. "إنه مقزز (Creep) يا بات."

عادت إلى الغلاية. كانت زجاجة الفودكا التي لم تُمس لا تزال واقفة بجانب الحوض. عندما وقعت عينا روبن عليها، تذكرت الفكرة التي خطرت لها ليلة السبت، قبل وقت قصير من إطباق يدي موريس حول خصرها. بعد إعطاء السكرتيرة

قهوتها، حملت قهوتها الخاصة إلى المكتب الداخلي، مع الكتاب الذي أخرجته من حقيبتها. نادت بات خلفها:

– "هل أحدث جدول المناوبات، أم ستفعلين أنتِ؟"

قالت روبن وهي تغلق الباب:

– "سأفعل أنا." لكن بدلاً من ذلك، اتصلت بسترايك.

أجاب في الرنة الثانية:

– "صباح الخير."

– "مرحبًا. نسيت أن أخبرك بفكرة خطرت لي ليلة السبت."

– "هاتيها."

– "الأمر يتعلق بـ غلوريا كونتي. لماذا تقيأت في الحمام في حفل شواء مارغو، إذا لم يكن أوكدين قد لغم شراب البنش؟"

اقترح سترايك:

– "لأنه كاذب، وأنه لغم البنش بالفعل؟"

كان حاليًا في نفس ساحة إيسلينغتون التي قامت روبن بدورية فيها يوم الجمعة، لكنه توقف الآن ومد يده لسجائره، وعيناه على الحديقة المركزية، التي كانت مهجورة اليوم. بدت أحواض الزهور المزروعة بكثافة بزهور الثالوث الأرجوانية مثل عباءات مخملية مفروشة على العشب اللامع.

قالت روبن:

– "أم هل تقيأت لأنها كانت حاملاً؟"

قال سترايك، بعد توقف بينما يشعل سيجارة:

– "ظننت أن ذلك يحدث في الصباح فقط؟ أليس لهذا السبب يسمى –"

وعلى وشك قول "غثيان الصباح"، تذكر سترايك الزوجة الحامل لصديق جيش قديم، التي نُقلت للمستشفى بسبب القيء المستمر على مدار الساعة.

قالت روبن:

– "ابنة عمي كانت تتقيأ في أي وقت من اليوم عندما كانت حاملاً. لم تكن تطيق روائح طعام معينة. وغلوريا كانت في حفل شواء."

قال سترايك:

– "صحيح."

تذكر فجأة الفكرة الغريبة التي خطرت له بعد التحدث إلى أخوات بايليس. بدت نظرية روبن أقوى من نظريته. في الواقع، ضَعُفت فكرته إذا كانت فكرة روبن صحيحة.

– "إذن،" قال، "تظنين أنه ربما كانت غلوريا هي من –"

– "– خضعت للإجهاض في عيادة «برايد ستريت»؟ نعم،" قالت روبن. "وأن مارغو ساعدتها في ترتيب الأمر. ذكرت إيرين أن غلوريا كانت محبوسة في غرفة استشارات مارغو، أتذكر؟ بينما تُركِت إيرين في الاستقبال؟"

كانت شجيرة الليلك في الحديقة المركزية تطلق رائحة قوية لدرجة أن سترايك استطاع شمها حتى فوق دخان سيجارته.

قال سترايك ببطء:

– "أعتقد أنكِ قد تكونين وضعتِ يدكِ على شيء هنا."

– "ظننت أيضًا أن هذا قد يفسر –"

– "لماذا لا تريد غلوريا التحدث إلينا؟"

– "حسنًا، نعم. بصرف النظر عن كونه ذكرى مؤلمة، زوجها قد لا يعرف ما حدث،" قالت روبن. "أين أنت الآن؟"

– "إيسلينغتون. أنا على وشك تجربة حظي مع ماكي ريتشي."

قالت روبن مذهولة:

– "ماذا؟"

– "كنت أفكر في الأمر خلال عطلة نهاية الأسبوع،" قال سترايك، الذي، على عكس روبن، لم يحظَ بأي وقت راحة، بل قام بمراقبة المراوغ وصديق الآنسة جونز. "لقد قاربنا على إكمال عشرة أشهر من عامنا، وليس لدينا شيء يذكر. إذا كان مخبولاً، فمن الواضح أنه طريق مسدود، لكن لا تدرين أبدًا، قد أتمكن من الحصول على شيء منه. قد يحصل حتى،" قال سترايك، "على ركلة (إثارة) من استعادة الأيام الخوالي..."

– "وماذا لو اكتشف أبناؤه؟"

– "هو لا يستطيع التحدث، أو ليس بشكل صحيح. أراهن على كونه غير قادر على إخبارهم بأنني كنت بالداخل. انظري،" قال سترايك، غير مستعجل لإنهاء المكالمة، لأنه أراد إنهاء سيجارته، ويفضل فعل ذلك وهو يتحدث إلى روبن، "بيتي فولر تعتقد أن ريتشي قتلها، استطعت معرفة ذلك. وكذلك اعتقد تيدور آثورن؛ أخبر ابن أخيه بذلك، وكانوا من نوع الناس المطلعين على القيل والقال المحلي ويعرفون عن حياة القاع المحلية.

"أستمر في العودة إلى الشيء الذي قاله شانكر، عندما أخبرته عن اختفاء مارغو دون أثر. «عمل محترف». عندما تأخذين خطوة للوراء وتنظرين للأمر،" قال سترايك، وقد وصل الآن إلى السنتيمتر الأخير من سيجارته، "يبدو من المستحيل تقريبًا أن يختفي كل أثر لها، ما لم يتولَ الأمر شخص لديه الكثير من الممارسة."

قالت روبن بهدوء:

– "كريد كان لديه ممارسة."

قال سترايك، متجاهلاً هذه المداخلة:

– "هل تعرفين ماذا فعلت الليلة الماضية؟ بحثت عن شهادة ميلاد كارا ولفسون عبر الإنترنت."

– "لماذا؟ أوه،" قالت روبن، واستطاع سترايك سماع ابتسامتها، "البرج الفلكي؟"

– "أجل. أعرف أن هذا يكسر قاعدة الوسيلة قبل الدافع،" أضاف، قبل أن تتمكن روبن من الإشارة لذلك، "لكن خطر لي أن شخصًا ما ربما أخبر مارغو عن مقتل كارا. الأطباء يعرفون أشياء، أليس كذلك؟ يدخلون ويخرجون من منازل الناس، يجرون استشارات سرية. إنهم مثل الكهنة. يسمعون الأسرار."

قالت روبن:

– "كنت تتحقق مما إذا كانت كارا عقربًا (Scorpio)." كان تصريحًا وليس سؤالاً.

– "بالضبط. وأتساءل عما إذا كان ريتشي قد أطل برأسه في تلك الحفلة ليري حمقى العصابة أي امرأة سيقومون باقتناصها."

– "حسنًا؟"

– "حسنًا ماذا؟"

– "هل كانت كارا عقربًا؟"

– "أوه. لا. ثور (Taurus) – السابع عشر من مايو."

سمع سترايك الآن صفحات تقلب في طرف روبن من المكالمة.

قالت روبن، وكان هناك توقف قصير:

– "مما يعني، وفقًا لشميدت... أنها كانت قيطس (Cetus) (الحوت)."

– "هاه،" قال سترايك، الذي أنهى سيجارته الآن. "حسنًا، تمني لي الحظ. أنا ذاهب للداخل."

– "حظًا سـ –"

قال شخص ما بابتهاج خلفه:

– "كورموران سترايك!"

بينما أنهى سترايك المكالمة مع روبن، جاءت امرأة سوداء نحيلة في معطف كريمي بجانبه، مبتسمة بإشراق.

قالت:

– "أنت لا تتذكرني، أليس كذلك؟ سيلي أوك. أنا –"

– "مارجوري!" قال سترايك، والذاكرة تعود إليه. "مارجوري أخصائية العلاج الطبيعي. كيف حالك؟ ماذا تفعلين –؟"

– "أعمل بضع ساعات في دار المسنين في أعلى الطريق!" قالت مارجوري. "وانظر إليك، مشهور تمامًا..."

تبًا.

استغرق الأمر من سترايك خمس وعشرين دقيقة لتخليص نفسه منها.

أخبر روبن لاحقًا في المكتب:

– "... لذا انتهى ذلك الأمر اللعين. تظاهرت بأنني في المنطقة لزيارة محاسبي، لكن إذا كانت تعمل في سانت بيترز، فلا فرصة لنا للدخول لرؤية ريتشي."

– "لا فرصة لك للدخول هناك –"

قال سترايك بحدة:

– "لقد أخبرتكِ بالفعل." كانت حالة وجه روبن تحذيرًا مرئيًا ضد التهور، وعن مخاطر الفشل في التفكير في العواقب. "أنتِ لن تقتربي من هناك."

نادت بات من المكتب الخارجي:

– "لدي الآنسة جونز على الخط."

قالت روبن:

– "حوليها إلي،" بينما حرك سترايك شفتيه بكلمة "شكرًا".

تحدثت روبن إلى الآنسة جونز بينما استمرت في إعادة ضبط الجدول على حاسوبها، والذي، نظرًا لعدم توفر روبن المؤقت للمراقبة، وغياب موريس الدائم، كان مثل محاولة موازنة معادلة خطية صعبة للغاية. قضت الأربعين دقيقة التالية تصدر أصوات موافقة غامضة كلما توقفت الآنسة جونز لالتقاط أنفاسها. هدف عميلتهم، كما استطاعت روبن أن تدرك، كان البقاء على الخط لفترة كافية لعودة سترايك إلى المكتب. أخيرًا، تخلصت روبن منها بالتظاهر بتلقي رسالة من بات تقول إن سترايك سيكون خارجًا طوال اليوم.

كانت كذبتها الوحيدة لليوم، فكرت روبن، بينما كان سترايك وبات يناقشان نفقات باركلي في المكتب الخارجي. ونظرًا لأن سترايك كان بارعًا بنفسه في تجنب التعهد بكلمته عندما لا يريد ذلك، كان ينبغي عليه حقًا أن يلاحظ أن روبن لم تقدم أي وعود على الإطلاق بشأن البقاء بعيدًا عن ماكي ريتشي.

61

***«وعندما أوشكت المناوبة الثانية على الانقضاء،
انفتح ذلك الباب النحاسي، ودخلت بريتومارت الجريئة...»***
إدموند سبنسر *ملكة الجن*

في الأسبوع الأول من يونيو، نُشر خبر غامض في صحيفة "مترو"، يتعلق بوجود سترايك في "البار الأمريكي" ليلة حفل والده.

أي ابن شهير لأب شهير فضّل قضاء ليلة احتفالات والده وهو يفتعل شجارًا في بار يبعد خمسمائة ياردة عن الحفل، بدلاً من مخالطة عائلته؟ يخبرنا جواسيسنا أن لكمة قد وُجّهت، وأن مساعدته المخلصة لم تتمكن من (كبح جماحها) (Hold It Back)*. منافسة أب وابنه على الشهرة؟ الأب فاز بهذه الجولة بالتأكيد.*

وبما أن "كبح جماحها" (Hold It Back) كان اسم أحد ألبومات جوني روكبي، لم يساور أحدًا شك يذكر حول هوية الأب والابن المعنيين. اتصل بضعة صحفيين بمكتب سترايك، لكن بما أن لا هو ولا روكبي كانا راغبين في التعليق، تلاشت القصة لقلة التفاصيل. كان تعليق سترايك الوحيد: "كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ. لا صور، لا ذكر لـ بامبورو. يبدو أن أوكدن قد ارتعد وتخلى عن فكرة بيع قصص عنا."

بشعور طفيف بالذنب، كانت روبن قد تصفحت بالفعل صور حفل جوني روكبي على هاتفها، أثناء المراقبة خارج منزل صديق الآنسة جونز. كان ضيوف روكبي، الذين شملوا مشاهير من هوليوود وعالم الروك آند رول، قد حضروا جميعًا بأزياء القرن الثامن عشر. مدفونة وسط كل المشاهير كانت صورة وحيدة لروكبي

محاطًا بستة من أبنائه السبعة البالغين. ميزت روبن آل، يبتسم من تحت شعر مستعار مُبيّض بالبودرة ومعوج. لم تستطع تخيل سترايك هناك، محشورًا في ملابس الديباج، مع رقع تجميلية على وجهه، أكثر مما تستطيع تخيله يمارس القفز بالزانة.

ورغم ارتياحها لأن أوكدن بدا قد تخلى عن فكرة مناقشة شؤون الوكالة مع الصحافة، تصاعد قلق روبن مع تقدم شهر يونيو. قضية بامبورو، التي كانت تهمها أكثر من أي شيء آخر تقريبًا، وصلت إلى طريق مسدود تمامًا. قوبل طلب آنا لتعاون غلوريا كونتي بالصمت، وظل ستيف دوثويت مراوغًا كعادته، ولم تسمع روبن أي أخبار عن إمكانية مقابلة دينيس كريد، وبقي ماكي ريتشي معتكفًا داخل دار الرعاية، التي لم يعد أحد يراقبها نظرًا لنقص القوى العاملة في الوكالة.

حتى البدائل المؤقتة لـ موريس أثبت العثور عليها أنه مستحيل. اتصل سترايك بكل من يعرفه في فرع التحقيقات الخاصة، وسأل هاتشينز معارفه في شرطة العاصمة، واستطلعت روبن رأي فانيسا، لكن لم يبدِ أحد أي اهتمام بالانضمام للوكالة.

قال باركلي، حين تقاطعت سبله بروبن في المكتب بعد ظهيرة أحد أيام السبت:

– "الصيف، أليس كذلك؟ الناس لا يريدون بدء وظيفة جديدة، يريدون عطلة. أنا أتفهم شعورهم."

كان كل من باركلي وهاتشينز قد حجزا أسابيع إجازة مع زوجتيهما وأطفالهما قبل أشهر، ولم يستطع أي من الشريكين حرمان متعاقديهما من استراحة. وكانت النتيجة أنه بحلول منتصف يوليو، كان سترايك وروبن هما الوحيدين الباقيين للعمل في الوكالة.

بينما كرّس سترايك نفسه لتتبع صديق الآنسة جونز، محاولاً العثور على أي شيء قد يثبت أنه شخص غير مناسب لحضانة ابنته، كانت روبن تحاول إقامة علاقة تعارف مع مساعدة المراوغ الشخصية، وهو ما لم يكن سهلاً. حتى الآن في ذلك الشهر، مرتدية شعرًا مستعارًا وعدسات ملونة مختلفة في كل مرة، حاولت

روبن الانخراط معها في محادثة في حانة، وتعمدت التعثر بها في نادٍ ليلي، وتبعتها إلى دورة مياه السيدات في "هارفي نيكولز". وبينما لم يبدُ أن المساعدة الشخصية لديها أدنى فكرة أنها المرأة نفسها التي تضايقها أو تزعجها، لم تبدِ أي ميل للدردشة، ناهيك عن الاعتراف بأن رئيسها زير نساء أو متعاطي كوكايين.

بعد أن حاولت وفشلت في الجلوس بجانب المساعدة الشخصية في حانة شطائر في "هولبورن" ذات ظهيرة، قررت روبن، التي كان شعرها اليوم داكنًا وعيناها بنيتين داكنتين بفضل طباشير الشعر والعدسات اللاصقة، أن اللحظة قد حانت لمحاولة استدراج المعلومات من رجل عجوز جدًا، بدلاً من شابة جميلة.

لم تتخذ هذا القرار باستخفاف، ولا تعاملت معه بأي روح من اللامبالاة. ورغم أن روبن كانت تكنّ مودة غامضة لصديق سترايك القديم شانكر، لم تكن لديها أوهام حول مدى الشر الذي يجب أن يتسم به شخص ليخيف رجلاً غارقًا في العنف الإجرامي منذ سن التاسعة. وعليه، وضعت خطة، أولى خطواتها الحصول على تنكر كامل وفعال. وصادف أن تنكر اليوم جيد بشكل خاص: لقد تعلمت الكثير عن الماكياج منذ بدأت العمل مع سترايك، وحظيت أحيانًا برضا رؤية شريكها ينظر إليها مرتين قبل أن يدرك من هي. بعد فحص انعكاسها بعناية في مرآة حمام ماكدونالدز، والتأكد ليس فقط من أنها لا تشبه روبن إيلاكوت بتاتًا، بل وأنه لن يخمن أحد أنها أصيبت مؤخرًا بكدمتين سوداوين حول عينيها، انطلقت إلى المترو، وبعد أقل من عشرين دقيقة، وصلت إلى محطة "آنجل".

كانت الحديقة التي يجلس فيها نزلاء "القديس بطرس" المسنون أحيانًا فارغة حين مرت بها، رغم الطقس الدافئ. اختفت زهور البنفسج، وحلت محلها زهور النجمة الوردية، وكان الشارع العريض المشمس حيث تقع دار الرعاية شبه مهجور.

لمع اقتباس القديس بطرس ذهبيًا في ضوء الشمس بينما اقتربت روبن من الباب الأمامي.

... لَمْ تُفْتَدَوْا بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ... بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ... دَمِ الْمَسِيحِ...

رنت روبن الجرس. بعد بضع لحظات، فتحت امرأة ممتلئة الشعر أسود الشعر ترتدي الزي الأزرق المألوف.

قالت بلهجة بدت إسبانية:

– "مساء الخير."

قالت روبن، مقلدة لهجة شمال لندن من صديقتها فانيسا:

– "مرحبًا. أنا هنا لزيارة إينيد؟ أنا ابنة حفيدتها."

كانت قد احتفظت بالاسم الأول الوحيد الذي سمعته لأي من السيدات العجائز في الدار. كان خوفها الأكبر أن تكون إينيد قد ماتت قبل أن يتسنى لها استخدام اسمها، أو ألا يكون لإينيد عائلة.

قالت الممرضة مبتسمة ومشيرة نحو سجل زوار داخل الباب مباشرة:

– "أوه، هذا لطيف. سجلي دخولك من فضلك، ولا تنسي تسجيل الخروج عند المغادرة. إنها في غرفتها. قد تكون نائمة!"

خطت روبن إلى قاعة مظلمة ذات ألواح خشبية. تعمدت عدم السؤال عن رقم غرفة إينيد، لأنها نوت أن "تضل الطريق" أثناء البحث عنها.

اصطفت عدد من إطارات المشي وزوج من الكراسي المتحركة القابلة للطي بمحاذاة الجدار. هيمن على القاعة صليب ضخم يواجه الباب، عُلق عليه يسوع جصي شاحب، رُسمت عضلات بطنه السداسية بدقة مذهلة، والدم القرمزي يقطر من يديه وقدميه والثقوب التي خلفها تاج الشوك. كانت رائحة الدار أفضل من سكن بيتي فولر: فرغم وجود مسحة واضحة لروائح طهي قديمة، إلا أنها امتزجت برائحة شمع الأثاث.

تدفق ضوء الشمس عبر النافذة المروحية خلف روبن بينما انحنت فوق سجل الزوار وكتبت التاريخ، ووقت دخولها المبنى، والاسم المزيف الذي قررته: فانيسا جونز. فوق الطاولة حيث وضع سجل الزوار، علقت لوحة تظهر اسم كل نزيل. وبجانب كل اسم باب منزلق صغير، يمكن تعديله لإظهار ما إذا كان النزيل "بالداخل" أو "بالخارج". كان نيكولو ريتشي حاليًا – وكما شكت روبن، بشكل دائم تقريبًا – "بالداخل".

كان هناك مصعد، لكنها اختارت صعود الدرج المفروش بسجاد أحمر ذي الدرابزين الخشبي، مارة بالممرض الترينيدادي الذي رأته كثيرًا أثناء المراقبة، وكان يهبط الدرج. ابتسم وتمنى لها مساءً جيدًا، وذراعاه محملتان بعبوات من فوط السلس البولي.

أدى مدخل متفرع من بسطة الدرج الأولى، وبجانبه لافتة صغيرة تعلن أن هذا الطريق يؤدي لغرف النوم من 1 إلى 10. انطلقت روبن عبر الممر، تقرأ الأسماء على الأبواب. لسوء الحظ، كانت "السيدة إينيد بيلينغز" تعيش خلف الباب رقم 2، وكما اكتشفت روبن بسرعة، لم يكن ريتشي في طابقها. مدركة أن هذا سيجعل أي ادعاء بأنها ضلت الطريق إلى غرفة إينيد غير قابل للتصديق بتاتًا، عادت روبن أدراجها، وصعدت للطابق الثاني.

على بعد خطوات قليلة في ممر مطابق للذي بالأسفل، سمعت امرأة بلكنة بولندية قوية في المسافة، فتراجعت بسرعة إلى تجويف وضع فيه حوض وخزانة.

– "هل تحتاج الحمام؟ هل - تحتاج - الحمام - يا سيد - ريتشي؟"

أجاب أنين منخفض.

قالت الممرضة:

– "نعم؟ أم لا؟"

كان هناك أنين ثانٍ مجيب.

– "لا؟ حسنًا إذن..."

ارتفع صوت الخطوات: كانت الممرضة على وشك المرور بالتجويف، فخرجت روبن بجرأة منه، مبتسمة.

أخبرت الممرضة المقتربة، التي كانت شقراء ومسطحة القدمين واكتفت بالإيماء برأسها وهي تمر، مشغولة بوضوح بأمور أخرى:

– "كنت أغسل يدي فقط."

بمجرد اختفاء الممرضة، تابعت روبن سيرها في الممر، حتى وصلت لباب الرقم 15، الذي حمل اسم "السيد نيكو ريتشي".

حابسة أنفاسها دون وعي، طرقت روبن بلطف، ودفعت الباب. لم يكن هناك قفل من الداخل؛ انفتح فورًا.

الغرفة بالداخل، رغم صغرها، كانت تواجه الجنوب، وتحظى بالكثير من الشمس. بُذل جهد كبير لجعل الغرفة حميمية: علقت لوحات مائية على الجدران، بما في ذلك واحدة لخليج نابولي. كان رف الموقد مغطى بصور عائلية، وعدد من رسومات الأطفال ألصقت بشريط لاصق على باب خزانة الملابس، بما في ذلك واحدة بعنوان "جدي وأنا وطائرة ورقية".

كان النزيل المسن منحنياً ومطويًا تقريبًا في كرسي بذراعين بجانب النافذة. في الدقيقة التي انقضت منذ تركته الممرضة، كان قد غط في نوم عميق. تركت روبن الباب يغلق بهدوء خلفها، وتسللت عبر الغرفة إلى ريتشي وجلست على طرف سريره المفرد، في مواجهة القواد السابق، ومنتج المواد الإباحية، والعقل المدبر لعمليات الاغتصاب الجماعي والقتل.

لم يكن هناك شك في أن الموظفين يعتنون بنزلائهم جيدًا. كان شعر ريتشي الرمادي الداكن وأظافره نظيفة كنظافة ياقة قميصه الأبيض الناصع. ورغم دفء الغرفة، ألبسوه سترة زرقاء شاحبة. وعلى إحدى اليدين المليئتين بالعروق والملقاتين برخاوة على الكرسي بجانبه، لمع خاتم رأس الأسد الذهبي. كانت الأصابع ملتوية بطريقة جعلت روبن تتساءل عما إذا كان لا يزال قادرًا على استخدامها. ربما أصيب بسكتة دماغية، وهو ما يفسر عجزه عن الكلام.

قالت روبن بهدوء:

– "سيد ريتشي؟"

أصدر صوت شخير مكتوم صغير، ورفع رأسه ببطء، وفمه يتدلى مفتوحًا. عيناه الهائلتان المتدليتان، وإن لم تكونا مغشاتين كعيني بيتي فولر، بدتا مع ذلك كليلتين، وبدا وكأنهما – مثل أذنيه وأنفه – قد كبرتا بينما انكمش باقي جسده، تاركًا طيات رخوة من الجلد الداكن.

قالت روبن بهدوء:

– "جئت لأسألك بعض الأسئلة. عن امرأة تدعى مارغو بامبورو."

حدق فيها فاغرًا فاه. هل يستطيع سماعها؟ هل يستطيع الفهم؟ لم تكن هناك سماعة طبية في أي من أذنيه الكبيرتين بشكل مفرط. كان الصوت الأعلى في الغرفة هو خفقان قلب روبن.

سألت:

– "هل تتذكر مارغو بامبورو؟"

لدهشتها، أصدر ريتشي أنينه المنخفض. *هل عنى ذلك نعم أم لا؟*

قالت روبن:

– "أنت تتذكرها؟"

أنّ مرة أخرى.

– "لقد اختفت. هل تعرف..."

كانت هناك خطوات تقترب عبر الممر بالخارج. نهضت روبن بسرعة وسوت أثر جلوسها على مفرش السرير.

يا إلهي، أرجوك لا تجعلهم يدخلون هنا.

لكن بدا أن الله لم يكن يستمع لروبن إيلاكوت. ارتفع صوت الخطوات، ثم انفتح الباب ليكشف عن رجل طويل للغاية وجهه منقر بندوب حب الشباب، ورأسه الأصلع الناتئ يبدو، كما قال باركل، وكأن شيئًا ثقيلاً قد أسقط عليه: لوكا ريتشي.

قال:

– "من أنتِ؟"

جعل صوته، الذي كان أكثر نعومة وعلوًا مما تخيلت بمراحل، الشعر في مؤخرة عنقها يقشعر.

لثانية أو اثنتين، هدد رعب روبن بإخراج خطة الطوارئ التي أعدتها بعناية عن مسارها. أسوأ ما توقعت التعامل معه كان ممرضة. لم يكن ينبغي لأي من آل ريتشي أن يكون هنا؛ لم يكن اليوم يوم أحد. ومن بين جميع آل ريتشي الذين قد تود مقابلتهم، كان لوكا هو الأخير.

سألت روبن بلهجة شمال لندن التي تتقنها:

– "هل أنت قريبه؟ أوه، الحمد لله! كان يصدر صوت أنين غريبًا. كنت أزور جدتي للتو، وظننت أنه مريض أو شيء من هذا القبيل."

لا يزال واقفًا في المدخل، تفحص لوكا روبن من رأسها لأخمص قدميها.

قال لوكا، الذي كان يعاني من لثغة في حديثه:

– "إنه لا يقصد شيئًا بذلك. إنه يئن قليلاً، لكن هذا لا يعني شيئًا، أليس كذلك يا أبي؟"

قال جملته الأخيرة بصوت عالٍ للرجل العجوز، الذي اكتفى بالطرف بعينيه لابنه البكر.

ضحك لوكا.

– "ما اسمك؟"

قالت بسرعة:

– "فانيسا. فانيسا جونز."

خطت نصف خطوة للأمام، آملة أن يتنحى جانبًا، لكنه ظل مغروسًا مكانه بالضبط، وإن اتسعت ابتسامته قليلاً. عرفت أنه فهم رغبتها في المغادرة، لكنها لم تستطع تحديد ما إذا كان إصراره الواضح على إبقائها بالداخل نابعًا من المتعة البسيطة في إبقائها محاصرة للحظات، أم لأنه لم يصدق سبب وجودها في غرفة والده. شعرت روبن بالعرق تحت إبطيها وفوق فروة رأسها، ودعت الله ألا يزول طباشير الشعر الذي صبغت به شعرها.

قال لوكا:

– "لم أركِ هنا من قبل قط."

قالت روبن، مجبرة نفسها على الابتسام:

– "لا، إنها المرة الأولى لي. إنهم يعتنون بهم جيدًا، أليس كذلك؟"

قال لوكا:

– "أجل، ليس سيئًا. عادة ما آتي أيام الأحد، لكننا مسافرون إلى فلوريدا غدًا. سأفوت عيد ميلاده. ليس وكأنه يعرف أنه عيد ميلاده – أليس كذلك، هاه؟"

وجه حديثه لوالده، الذي استمر فمه مفتوحًا وعيناه مثبتتين بفراغ على ابنه.

أخرج لوكا رزمة صغيرة مغلفة من تحت سترته، وانحنى فوق خزانة الأدراج ووضعها في الأعلى دون أن يزحزح قدميه الكبيرتين قيد أنملة.

قالت روبن:

– "آه، هذا لطيف."

كانت تشعر بالعرق الآن على عظمة صدرها، حيث سيكون مرئيًا للوكا. كانت الغرفة دافئة كدفيئة زجاجية. حتى لو لم تكن تعرف من هو لوكا، لكانت عرفت ما هو. كانت تستشعر احتمالية العنف المنبعثة منه كالإشعاع. كانت كامنة في الابتسامة الجشعة التي يرمقها بها، وفي الطريقة التي كان يستند بها الآن على عضادة الباب، مستمتعًا بممارسة القوة الصامتة.

قال لوكا:

– "إنها مجرد شوكولاتة. من هي جدتك؟"

قالت روبن، محاولة كسب الوقت وتذكر أي من الأسماء التي مرت بها في طريقها لغرفة ريتشي:

– "جدة والدتي، في الواقع، لكنني أناديها (الجدة). سادي."

– "أين هي؟"

قالت روبن مشيرة لليسار:

– "على بعد غرفتين في ذلك الاتجاه. وعدت أمي أن أمر لزيارتها بينما هي في عطلة."

أملت ألا يسمع مدى جفاف فمها.

قال لوكا:

– "أجل؟ إلى أين ذهبت أمك؟"

اختلقت روبن بجموح:

– "فلورنسا. معارض فنية."

قال لوكا مرة أخرى:

– "أجل؟ عائلتنا من نابولي، أصلاً. أليس كذلك يا أبي؟"

نادى من فوق رأس روبن على الرجل العجوز الفاغر فاه، قبل أن ينظر لروبن من الأعلى للأسفل مرة أخرى.

– "هل تعرفين ماذا كان يعمل والدي سابقًا؟"

قالت روبن محاولة الحفاظ على ابتسامتها:

– "لا."

قال لوكا ريتشي:

– "كان يملك نوادي تعري. في الأيام الخوالي، كان لينزع ملابسك الداخلية عنك مباشرة."

حاولت الضحك، لكنها لم تستطع، ورأت أن لوكا مسرور لرؤية ارتباكها.

– "أوه نعم. فتاة مثلك؟ كان ليعرض عليك وظيفة مضيفة. كانت تدر مالاً جيدًا أيضًا، حتى لو اضطررتِ لمص أعضاء بعض أصدقاء أبي، هاهاها."

كانت ضحكته حادة كضحكة امرأة. لم تستطع روبن مجاراته. كانت تتذكر كارا ولفسون.

قالت، وهي تشعر بالعرق يسيل على عنقها:

– "حسنًا، أنا حقًا بحاجة..."

قال لوكا مبتسمًا، ولا يزال يقف بحزم بينها وبين الباب:

– "لا تقلقي، أنا لست في تلك اللعبة."

سألت روبن، التي كانت على وشك أن تطلب منه التنحي جانبًا، لكن خارت قواها:

– "ماذا تعمل أنت؟"

قال لوكا مبتسمًا ابتسامة عريضة:

– "أعمل في التأمين. وماذا عنك؟"

قالت روبن، مستلهمة الفكرة من خربشات الأطفال على باب الخزانة:

– "مربية أطفال."

– "أجل؟ تحبين الأطفال، هاه؟"

قالت روبن:

– "أحبهم."

قال لوكا:

– "أجل. وأنا أيضًا. لدي ستة."

– "واو. ستة!"

قال لوكا ناظرًا فوق رأس روبن مرة أخرى إلى والده الفاغر فاه:

– "أجل. وأنا لست مثله. لم يكن مهتمًا بنا حتى كبرنا. أنا أحب الصغار."

قالت روبن بحماس:

– "أوه، وأنا كذلك."

قال لوكا:

– "كنت تحتاج لأن تدهسك سيارة لتحظى بانتباهه، حين كنا أطفالاً. حدث ذلك لأخي ماركو، حين كان في الثانية عشرة."

قالت روبن بأدب:

– "أوه لا."

كان يتلاعب بها، طالبًا منها إعطاء ردود مناسبة، بينما كلاهما يدرك تمامًا أنها خائفة جدًا من أن تطلب منه التحرك، خشية ما قد يفعله. ابتسم الآن لقلقها المصطنع بشأن حادث سيارة أخيه ماركو منذ زمن طويل.

قال لوكا:

– "أجل، بقي أبي في المستشفى مع ماركو لثلاثة أسابيع متواصلة، حتى زال الخطر عن ماركو. على الأقل، أظن أنه كان يبقى لأجل ماركو. ربما كان لأجل الممرضات. في الأيام الخوالي،" قال لوكا وهو يتفحص روبن مرة أخرى، "كنّ يرتدين جوارب سوداء."

استطاعت روبن سماع خطوات مرة أخرى، وهذه المرة دعت: *أرجوك، لتكن قادمة إلى هنا*، واستُجيب دعاؤها. انفتح الباب خلف لوكا، ضاربًا إياه في ظهره.

عادت الممرضة الشقراء مسطحة القدمين.

قالت الممرضة بينما تنحى لوكا جانبًا:

– "أوه، آسفة، سيد ريتشي. أوه،" كررت حين انتبهت لوجود روبن.

قالت روبن مرة أخرى، مشيرة إلى موكي في كرسيه:

– "كان يئن. آسفة، لم يكن عليّ أن... ظننت أنه قد يتألم أو شيء من هذا القبيل."

وفي اللحظة المناسبة تمامًا، أنّ ماكي ريتشي، وعلى الأرجح لكي يناقضها.

قالت الممرضة:

– "أجل، هو يفعل ذلك قليلاً، إذا أراد شيئًا ما. ربما هو مستعد للحمام الآن، أليس كذلك يا سيد ريتشي؟"

قال لوكا ريتشي بضحكة صغيرة:

– "لن أبقى لأشاهده يتغوط. جئت فقط لأترك هديته ليوم الخميس."

كانت روبن قد قطعت نصف الطريق للخروج من الباب، لكن لرعبها، لم تكد تمشي ثلاث خطوات حتى ظهر لوكا خلفها، آخذًا خطوة واحدة مقابل كل خطوتين لها.

سأل وهما يمران بباب السيدة سادي أوكيف:

– "ألن تودعي سادي؟"

قالت روبن:

– "أوه، لقد نامت بينما كنت بالداخل، فليباركها الرب. غطت في النوم تمامًا."

نزلا الدرج، ولوكا خلفها قليلاً طوال الطريق. كانت تشعر بعينيه، كالليزر، على مؤخرة عنقها، وعلى ساقيها ومؤخرتها.

بعد ما بدا كأنه عشر دقائق، رغم أنها بالكاد كانت ثلاثًا، وصلا للطابق الأرضي. نظر يسوع الجصي بحجمه الطبيعي تقريبًا بحزن إلى القاتل والمنتحلة وهما يتجهان نحو الباب. كانت روبن قد وضعت يدها للتو على المقبض حين قال لوكا:

– "انتظري لحظة يا فانيسا."

استدارت روبن، وعرق ينبض في عنقها.

قال لوكا وهو يمد لها قلمًا:

– "عليكِ تسجيل الخروج."

قالت روبن بقهقهة لاهثة:

– "أوه، نسيت. أخبرتك، إنها المرة الأولى لي هنا."

انحنت فوق سجل الزوار. ومباشرة أسفل التوقيع الذي كتبته عند دخول المبنى، كان توقيع لوكا.

لوكا ريتشي

وفي المساحة المتروكة لـ "الملاحظات" كتب:

أحضرت له بعض الشوكولاتة لعيد ميلاده يوم الخميس، يرجى إعطاؤها له صباح يوم 25 يوليو.

خربشت روبن الوقت بجانب توقيعها، ثم استدارت عائدة للباب. كان يمسكه مفتوحًا لها.

قالت لاهثة وهي تنسل بجانبه إلى الهواء الطلق:

– "شكرًا جزيلاً."

سألها لوكا متوقفًا عند أعلى الدرجات المؤدية للشارع:

– "هل أوصلكِ لأي مكان؟ سيارتي عند الزاوية. أستون مارتن."

قالت روبن:

– "أوه، لا، شكرًا جزيلاً رغم ذلك. سأقابل حبيبي."

قال لوكا ريتشي:

– "كوني مهذبة إذن. وإذا لم تستطيعي أن تكوني مهذبة، فكوني حذرة، هاهاها."

قالت روبن بجموح قليل:

– "أجل. أوه، واستمتع بفلوريدا!"

رفع يده لها وبدأ يبتعد، وهو يصفر لحن أغنية "ابدأ البيغين" (Begin the Beguine). وبخفة رأس نابعة من الارتياح، سارت روبن في الاتجاه المعاكس.

تطلب الأمر أقصى درجات ضبط النفس لمنع نفسها من الانطلاق ركضًا.

بمجرد وصولها للساحة، انزلقت خلف شجيرة الليلك وراقبت واجهة دار الرعاية لنصف ساعة كاملة. وحين تأكدت من أن لوكا ريتشي قد غادر حقًا، عادت أدراجها.

62

«أحيانًا يحدث، أن هموم العقل،
تجد دواءها دون سعي، وهو ما لا يدركه الساعي.»
إدموند سبنسر *ملكة الجن*

كان الشجار، الذي تحسبت روبن له، واحدًا من أسوأ ما خاضته هي وسترايك على الإطلاق. فغضبه العارم من اقترابها من ماكي ريتشي، بعد تحذيراته وتعليماته الواضحة بعدم فعل ذلك، ظل متقدًا حتى بعد جدال استمر لساعة كاملة في المكتب ذلك المساء، وانتهى بانتزاع روبن حقيبتها ومغادرتها بينما كان سترايك في منتصف جملته، تاركة إياه يواجه الباب الزجاجي المهتز، متمنيًا لو تهشم، ليتمكن من إلزامها بدفع فاتورته.

لم يخفف نوم ليلة واحدة من غضب سترايك إلا قليلاً. نعم، كانت هناك فروق جوهرية بين تصرفات روبن هذه المرة، وتلك التي أدت لطرده لها قبل ثلاث سنوات: فهي لم تتسبب، مثلاً، في إخافة مشتبه به ودفعه للاختباء. ولم يكن هناك أي مؤشر، على الأقل في الساعات الأربع والعشرين الأولى بعد زيارتها، على أن عائلة ريتشي أو دار الرعاية اشتبهت في أن "فانيسا جونز" هي أي شخص آخر غير ما ادعته. وفوق كل شيء (وهذه حقيقة أججت الغضب بدلاً من تهدئته)، كانت روبن الآن شريكة في المؤسسة، لا مجرد متعاقدة فرعية بسيطة. ولأول مرة، اصطدم سترايك بالحقيقة الصعبة: إن افترقا يومًا، ستبتلعه دوامة قانونية ومالية. سيكون الأمر، في الواقع، شبيهًا بالطلاق.

لم يكن يريد الانفصال عن روبن، لكن وعيه المستيقظ حديثًا بأنه جعل حدوث ذلك صعبًا للغاية زاد من حنقه. ظل الجو بينهما مشحونًا لأسبوعين بعد زيارتها لـ "القديس بطرس"، حتى صباح الأول من أغسطس، حين تلقت روبن رسالة نصية مقتضبة من سترايك يطلب منها التخلي عن محاولتها الجديدة لمصادقة المساعدة الشخصية لـ المراوغ، والعودة للمكتب.

عندما دخلت الغرفة الداخلية، وجدت سترايك جالسًا على مكتب الشركاء، وأمامه أجزاء وقطع من ملف شرطة بامبورو. رفع نظره إليها، ولاحظ أن لون عينيها وشعرها هما لوناها الطبيعيان، ثم قال بفظاظة:

– "عملاء المراوغ اتصلوا للتو. لقد أنهوا المهمة، لعدم وجود نتائج."

قالت روبن وهي تغوص في الكرسي المقابل له:

– "أوه لا. أنا آسفة، حاولت حقًا مع مساعدة المراوغ..."

– "وآنا وكيم تريدان التحدث إلينا. لقد رتبت مكالمة جماعية في الرابعة."

– "ألا تعتقد...؟"

قال سترايك بجمود:

– "أنهما ستنهيان الأمور؟ ربما. يبدو أنهما تلقتا دعوة مفاجئة من صديق للانضمام إليه في عطلة بتوسكاني. تريدان التحدث إلينا قبل ذهابهما، لأنهما ستكونان لا تزالان بعيدتين في الخامس عشر من الشهر."

ساد صمت طويل. لم يبدُ أن لدى سترايك أي شيء آخر ليقوله، بل استأنف تفحصه لأجزاء مختلفة من ملف القضية.

– "كورموران."

– "ماذا؟"

– "هل يمكننا التحدث عن (القديس بطرس) من فضلك؟"

قال سترايك وهو يلتقط إفادة روبي إليوت عن المرأتين اللتين كانتا تتصارعان تحت المطر، ويتظاهر بقراءتها مرة أخرى:

– "لقد قلت كل ما لدي."

– "لا أقصد بخصوص ذهابي إلى هناك. لقد قلت بالفعل..."

– "لقد قلتِ إنك لن تقتربي من ريتشي..."

قالت روبن وهي ترسم علامتي تنصيص في الهواء:

– "لقد (وافقت) على عدم الاقتراب من ريتشي، تمامًا كما (وافقت) أنت مع غريغوري تالبوت على عدم إخبار الشرطة من أين حصلت على لفة الفيلم تلك."

كانت روبن تتحدث بصوت خافت، واعية تمامًا بـ بات التي تطبع في المكتب الخارجي.

– "لم أخطط لتحديك؛ لقد تركتُ أمره لك، أتذكر؟ لكن كان يجب القيام بذلك، وأنت لم تستطع. وفي حال لم تلاحظ، أنا أفضل منك بكثير في التنكر وتغيير المظهر."

قال سترايك وهو يلقي بإفادة روبي إليوت جانبًا ويلتقط وصف غلوريا لـ ثيو بدلاً منها:

– "هذا ليس موضع شك. ما يزعجني، كما تعرفين جيدًا بحق الجحيم، هو أنك لم تخبريني أنك ذاهبة لـ..."

– "هل تتصل بي كل ثلاث ثوانٍ لتخبرني بما ستفعله تاليًا؟ أنت سعيد بما يكفي بعملي بمبادرتي الخاصة حين يناسبك الأمر..."

قال سترايك، متخليًا عن التظاهر بأن وصف ثيو يحظى باهتمامه:

– "لوكا ريتشي سُجن لوضعه أقطابًا كهربائية على أعضاء الناس التناسلية يا روبن!"

– "كم مرة سنعيد هذا الحديث؟ هل تظن أنني كنت مسرورة حين دخل الغرفة؟ ما كنت لأدخل هناك أبدًا لو علمت أنه على وشك القيام بظهور مفاجئ! الحقيقة تظل..."

– "... إنها ليست حقيقة..."

– "... لو لم أكن قد..."

– "... هذه النظرية..."

– "إنها ليست نظرية لعينة يا سترايك، إنها واقع، وأنت فقط تعاند كالبغل."

أخرجت روبن هاتفها من جيبها الخلفي وأظهرت الصورة التي التقطتها في زيارتها الثانية لدار الرعاية، والتي استمرت بالكاد دقيقتين، وتضمنت التقاطها صورة سريعة وغير مرصودة لخط يد لوكا ريتشي في سجل الزوار.

أمرت سترايك وهي تمد يدها للورقة الزرقاء المجعدة التي أخذاها من لقائهما مع شقيقتي بايليس:

– "أعطني الرسالة المجهولة. هاك."

وضعتهما جنبًا إلى جنب أمام سترايك. بالنسبة لروبن، كان التشابه لا يقبل الجدل: نفس المزيج الغريب من الأحرف الكبيرة والصغيرة، كلها متميزة ومنفصلة، لكن مع زخارف صغيرة غريبة وغير ضرورية، تشبه إلى حد ما اللثغة غير المتناسبة لرجل طويل ذي مظهر خطير، جلده منقر كقشرة برتقالة نصف مقشرة.

قال سترايك:

– "لا يمكنك إثبات أنه نفس الخط من صورة فوتوغرافية."

كان يعلم أنه يتصرف بفظاظة، لكن غضبه لم ينفد تمامًا بعد.

– "التحليل الخبير يعتمد على ضغط القلم، فضلاً عن أي شيء آخر."

قالت روبن، التي شعرت الآن بغصة صلبة غاضبة في حلقها:

– "حسنًا، لا بأس."

نهضت وخرجت، تاركة الباب مفتوحًا قليلاً. من خلال الفجوة، سمعها سترايك تتحدث إلى بات، متبوعًا برنين الأكواب. رغم انزعاجه، كان لا يزال يأمل أنها ستحضر له كوب شاي أيضًا.

مقطبًا جبينه قليلاً، سحب هاتف روبن والرسالة المجهولة نحوه ونظر مرة أخرى من أحدهما للآخر. كانت محقة، وكان يعرف ذلك، رغم عدم اعترافه به، منذ اللحظة التي أطلعته فيها على الصورة على هاتفها، عند عودتها من "القديس بطرس". ورغم أنه لم يخبر روبن بذلك، إلا أن سترايك أرسل صورة لكل من الرسالة المجهولة ورسالة سجل زوار لوكا ريتشي إلى خبيرة تحليل خطوط تواصل معها عبر علاقاته بالشرطة. أبدت المرأة حذرًا بشأن التوصل لاستنتاج قاطع دون وجود

العينات الأصلية أمامها، لكنها قالت، بناءً على الأدلة، إنها "متأكدة بنسبة سبعين إلى ثمانين بالمائة" أن كلتيهما كتبهما الشخص نفسه.

سأل سترايك:

– "هل يظل خط اليد ثابتًا هكذا، بفارق أربعين عامًا؟"

أجابت الخبيرة:

– "ليس دائمًا. تتوقع تغييرات عادة. في الغالب، يتدهور خط الناس مع العمر بسبب عوامل جسدية. المزاج يمكن أن يكون له تأثير أيضًا. يميل بحثي لإظهار أن خط اليد يتغير بأقل قدر لدى الأشخاص الذين يكتبون بشكل غير متكرر، مقارنة بمن يكتبون كثيرًا. الكُتاب العرضيون يبدون متمسكين بالنمط الذي تبنوه مبكرًا، ربما في المدرسة. في حالة هاتين العينتين، هناك بالتأكيد سمات مميزة يبدو أنها بقيت منذ الشباب."

قال سترايك:

– "أعتقد أنه من الإنصاف القول إن هذا الرجل لا يكتب كثيرًا في مجال عمله."

فترة سجن لوكا الأخيرة، كما أخبره شانكر، كانت لأمره وإشرافه على عملية طعن. الضحية طُعن في خصيتيه. بمعجزة، نجا، "لكنه لن ينجب أي أطفال آخرين، المسكين اللعين"، هكذا أخبر شانكر سترايك قبل ليلتين. "لا يمكنه الحصول على انتصاب لعين دون ألم مبرح. الحياة لا تستحق العيش، أليس كذلك، بعد ذلك؟ السكين شق الخصية اليمنى مباشرة، كما سمعت – بالطبع، كانوا قد ثبتوه أرضًا..."

قال سترايك:

– "لا داعي للتفاصيل."

كان قد شعر للتو بإحساس كريه يشع من خصيتيه صعودًا إلى صدره.

اتصل سترايك بشانكر بذريعة واهية، فقط ليرى ما إذا كانت أي شائعة قد وصلت لصديقه القديم عن قلق لوكا ريتشي من ظهور محققة في دار رعاية والده. وبما أن شانكر لم يذكر شيئًا، اضطر سترايك للاستنتاج بأن لا همسات كهذه كانت تتردد.

بينما كان هذا مريحًا، لم يكن مفاجئًا حقًا. بمجرد أن هدأ، اضطر سترايك للاعتراف لنفسه بأنه متأكد من أن روبن قد نجت بفعلتها. كل ما عرفه سترايك عن لوكا ريتشي يوحي بأنه لم يكن ليدعها ترحل سليمة لو اعتقد أنها هناك للتحقيق بشأن أي فرد من عائلته. الأشخاص الذين تُكبح دوافعهم المظلمة بضمائرهم، أو إملاءات القانون، أو الأعراف الاجتماعية والحس السليم، قد يجدون صعوبة في تصديق أن أي شخص سيكون أحمق أو متهورًا لدرجة إيذاء روبن داخل غرفة نوم بدار رعاية، أو إخراجها من المبنى وسكين مصوب لظهرها. *لن يفعل ذلك في وضح النهار*، سيقولون. *لن يجرؤ، والشهود في كل مكان!* لكن سمعة لوكا المخيفة ارتكزت على ميله للعنف الوقح، بغض النظر عن مكانه، أو من يراقب. كان يعمل على افتراض الإفلات من العقاب، وله مبرراته الكثيرة لذلك. فمقابل كل فترة سجن قضاها، كانت هناك حوادث كثيرة كان ينبغي أن تودي به للإدانة، لكنه تمكن من الإفلات منها بترهيب الشهود، أو إرهاب آخرين لتحمل التهمة.

عادت روبن للمكتب الداخلي، بوجه حجري، لكنها تحمل كوبين من الشاي. دفعت الباب بقدمها ليغلق، ثم وضعت الشاي الأغمق لونًا أمام سترايك.

تمتم سترايك:

– "شكرًا."

ردت بجمود وهي تنظر لساعتها وتجلس:

– "عفوًا."

بقيت عشرون دقيقة قبل المكالمة الجماعية مع آنا وكيم.

قال سترايك:

– "لا يمكننا إخبار آنا أننا نعتقد أن لوكا ريتشي كتب الرسائل المجهولة."

نظرت روبن إليه فقط.

– "لا يمكننا أن نجعل امرأتين لطيفتين من الطبقة المتوسطة تتجولان وتخبران الناس أن ريتشي هدد مارغو، وربما قتلها. سنعرضهما للخطر، ناهيك عن أنفسنا."

– "ألا يمكننا على الأقل عرض العينات على خبير؟"

قال سترايك:

– "لقد فعلت."

وشرح ما قالته المرأة.

– "لماذا لم تخبر..."

– "لأنني كنت لا أزال غاضبًا بحق الجحيم."

قال سترايك وهو يرتشف شايه. كان بالضبط كما يحبه، قويًا، وحلوًا، ولونه كلون الكريوزوت.

– "روبن، الواقع هو، إذا أخذنا الصورة والرسالة للشرطة، سواء نتج عن ذلك شيء أم لا، ستكونين قد رسمتِ هدفًا عملاقًا على ظهرك. سيبدأ ريتشي بالبحث عمن يمكن أن يكون قد صور خط يده في سجل الزوار ذاك. لن يستغرق الأمر طويلاً ليجدنا."

قالت روبن بهدوء:

– "كان في الثانية والعشرين حين اختفت مارغو. كبيرًا بما يكفي وضخمًا بما يكفي ليخطف امرأة. كان لديه اتصالات للمساعدة في التخلص من جثة. بيتي فولر اعتقدت أن الشخص الذي كتب الرسائل هو القاتل، ولا تزال خائفة من إخبارنا بمن هو. قد يعني ذلك الابن، تمامًا كما قد يعني الأب."

– "أسلم لكِ بكل ذلك، لكن حان وقت التحقق من الواقع. ليس لدينا الموارد لمواجهة مجرمين منظمين. ذهابك لـ (القديس بطرس) كان متهورًا بما يكفي..."

قالت روبن:

– "هل يمكن أن تشرح لي لماذا كان متهورًا حين قمت أنا به، وليس حين كنت أنت تخطط للقيام به؟"

عجز سترايك عن الرد لحظيًا.

– "لأنني أقل خبرة؟ لأنك تظن أنني سأفسد الأمر، أو سأفزع؟ أو أنني لا أستطيع التفكير والتصرف بسرعة؟"

قال سترايك، رغم أن الاعتراف كلفه بعض الألم:

– "لا شيء من ذلك."

– "إذن..."

– "لأن فرص نجاتي إذا هاجمني لوكا ريتشي بمضرب بيسبول أفضل من فرصك، حسنًا؟"

قالت روبن بمنطقية:

– "لكن لوكا لا يهاجم الناس بمضارب البيسبول. يهاجمهم بالسكاكين والأقطاب الكهربائية والحمض، ولا أرى كيف ستتحمل أيًا من ذلك أفضل مما سأفعل. الحقيقة هي أنك سعيد بالمخاطرة بمخاطر لا تريدني أن آخذها. لا أعرف ما إذا كان ذلك نقصًا في الثقة بي، أو شهامة، أو واحدة متنكرة في زي الأخرى..."

– "اسمعي..."

– "لا، أنت اسمع. لو تم التعرف عليك هناك، لكانت الوكالة كلها دفعت الثمن. لقد قرأت عن ريتشي، لست غبية. إنه يستهدف عائلات الناس وشركاءهم وحتى حيواناتهم الأليفة بقدر ما يستهدفهم شخصيًا. شئت أم أبيت، هناك أماكن يمكنني الذهاب إليها بسهولة أكبر منك. مظهري أقل تميزًا، وأسهل في التنكر، والناس يثقون بالنساء أكثر من الرجال، خاصة حول الأطفال وكبار السن. ما كنا لنعرف أيًا من هذا لو لم أذهب لـ (القديس بطرس)..."

رد سترايك بحدة:

– "كنا سنكون أفضل حالاً دون معرفته. شانكر قال لي قبل أشهر: (إذا كان موكي هو الإجابة، فعليك التوقف عن طرح السؤال). وينطبق الأمر نفسه على لوكا، وبشدة."

قالت روبن:

– "أنت لا تعني ذلك. أعرف أنك لا تعنيه. ما كنت لتختار أبدًا عدم المعرفة."

كانت محقة، لكن سترايك لم يرد الاعتراف بذلك. والواقع أن أحد الأشياء التي أبقت غضبه يغلي خلال الأسبوعين الماضيين هو معرفته بوجود نقص جوهري في المنطق بموقفه هو. إذا كانت محاولة الحصول على معلومات عن عائلة ريتشي تستحق القيام بها أصلاً، فكان ينبغي القيام بها، وكما أثبتت روبن، كانت هي

الشخص الأفضل للمهمة. وبينما استاء من أنها لم تحذره مما كانت على وشك فعله، كان يعلم تمامًا أنه لو فعلت، لكان قد استخدم حق النقض، بدافع رغبة لا يمكن الدفاع عنها أساسًا لإبعادها عن طريق الأذى، في حين أن الاستنتاج المنطقي لهذا الخط من التفكير هو أنه لا ينبغي لها القيام بهذه الوظيفة أصلاً. أرادها أن تكون صريحة ومباشرة معه، لكنه علم أن موقفه غير المتسق بشأن خوضها للمخاطر الجسدية هو السبب في أنها لم تكن صادقة بشأن نواياها. الندبة الطويلة على ساعدها كانت تلومه كلما نظر إليها، رغم أن الخطأ الذي أدى للهجوم كان خطأها بالكامل. كان يعرف الكثير عن ماضيها؛ أصبحت العلاقة شخصية أكثر من اللازم: لم يكن يريد زيارتها في المستشفى مرة أخرى. شعر بالضبط بذلك الحس المزعج بالمسؤولية الذي أبقاه أعزب بإصرار، لكن دون أي من المتع التعويضية. لم يكن أي من هذا خطأها، لكن الأمر استغرق منه أسبوعين ليواجه هذه الحقائق بوضوح.

تمتم أخيرًا:

– "حسنًا. ما كنت لأختار عدم المعرفة."

بذل جهدًا فائقًا وأضاف:

– "لقد أبليت بلاءً حسنًا بحق الجحيم."

قالت روبن، مندهشة بقدر ما كانت ممتنة:

– "شكرًا لك."

– "هل يمكننا الاتفاق، رغم ذلك – رجاءً؟ أن نناقش هذه الأمور مستقبلاً؟"

– "لو كنت سألتك..."

– "أجل، ربما كنت سأقول لا، وكنت سأكون مخطئًا، وسأضع ذلك في اعتباري المرة القادمة، حسنًا؟ لكن كما تذكرينني باستمرار، نحن شريكان، لذا سأكون ممتنًا..."

قالت روبن:

– "حسنًا. نعم. سنناقش الأمر. أنا آسفة لأنني لم أفعل."

في تلك اللحظة، طرقت بات الباب وفتحته بضع بوصات.

– "لدي السيدة فيبس والسيدة سوليفان على الخط لأجلك."

قال سترايك:

– "حوليهما، من فضلك."

شاعرة وكأنها تحضر جلسة إعلان أخبار طبية سيئة، تركت روبن سترايك يتولى الحديث مع آنا وكيم. أخذ الزوجين بشكل منهجي عبر كل مقابلة أجرتها الوكالة على مدار الأحد عشر شهرًا ونصف الماضية، مخبرًا إياهما بالأسرار التي كشفها هو وروبن، والاستنتاجات الأولية التي توصلا إليها.

كشف أن إيرين هيكسون كانت متورطة لفترة وجيزة مع حبيب مارغو السابق، وأن كليهما كذب بشأن ذلك، وشرح أن ساتشويل ربما كان قلقًا من أن تخبر مارغو السلطات عن طريقة وفاة أخته؛ وأن ويلما المنظفة لم تطأ قدمها قط منزل "بروم هاوس"، وأن قصة مشي روي كانت كاذبة بشكل شبه مؤكد؛ وأن الرسائل التهديدية كانت حقيقية، لكن (مع نظرة لروبن) لم يتمكنا من تحديد هوية الكاتب؛ وأن جوزيف برينر كان شخصية أكثر بغضًا مما أدرك أي شخص، لكن لم يكن هناك ما يربطه باختفاء مارغو؛ وأن غلوريا كونتي، آخر شخص رأى مارغو حية، تعيش في فرنسا، ولا تريد التحدث إليهما؛ وأن ستيف دوثويت، مريض مارغو المثير للريبة، قد اختفى دون أثر.

أخيرًا، أخبرهما أنهما يعتقدان أنهما حددا الشاحنة التي شوهدت تسرع مبتعدة عن "كليركينويل غرين" في الليلة التي اختفت فيها مارغو، وأنهما واثقان من أنها لم تكن شاحنة دينيس كريد.

كان الصوت الوحيد الذي كسر الصمت حين توقف سترايك عن الحديث لأول مرة هو الطنين الخافت المنبعث من مكبر الصوت على مكتبه، مما أثبت أن الخط لا يزال مفتوحًا. بانتظار حديث آنا، أدركت روبن فجأة أن عينيها ممتلئتان بالدموع. لقد أرادت بشدة معرفة ما حدث لمارغو بامبورو.

قالت آنا أخيرًا:

– "حسنًا... كنا نعرف أن الأمر سيكون صعبًا. إن لم يكن مستحيلاً."

استطاعت روبن تمييز أن آنا تبكي أيضًا. شعرت بالبؤس.

قال سترايك بلهجة رسمية:

– "أنا آسف. آسف جدًا، لعدم امتلاكي أخبارًا أفضل لكما. ومع ذلك، يظل دوثويت مثيرًا للاهتمام حقًا، و..."

– "لا."

ميزت روبن رفض كيم الحازم.

قالت الأخصائية النفسية:

– "لا، أنا آسفة. لقد اتفقنا على عام."

قال سترايك:

– "نحن في الواقع ينقصنا أسبوعان، وإذا..."

– "هل لديك أي سبب للاعتقاد بأنك تستطيع العثور على ستيف دوثويت في الأسبوعين المقبلين؟"

التقت عينا سترايك المحتقنتان قليلاً بعيني روبن المبللتين.

اعترف:

– "لا."

قالت كيم:

– "كما قلت في رسالتي الإلكترونية، نحن على وشك الذهاب في عطلة. في غياب العثور الفعلي على جثة مارغو، كان من المحتم دائمًا وجود زاوية أخرى يمكنكم تجربتها، شخص آخر قد يعرف شيئًا، وكما قلت في بداية هذا الأمر، ليس لدينا المال، أو بصراحة، القدرة العاطفية، لإبقاء هذا مستمرًا للأبد. أعتقد أنه من الأفضل – والأنظف – أن نقبل بأنكما بذلتما قصارى جهدكما، ونشكركما على العناء الذي تكبدتماه بوضوح. لقد كان هذا تمرينًا مجديًا، حتى لو... أعني، علاقة آنا وروي أفضل مما كانت عليه منذ سنوات، بفضل زيارتك. سيكون سعيدًا بسماع أن المنظفة قبلت بأنه لم يكن قادرًا على المشي ذلك اليوم."

قال سترايك:

– "حسنًا، هذا جيد. أنا آسف فقط..."

قالت آنا بصوت متهدج:

– "كنت أعرف أن الأمر سيكون... شبه مستحيل. على الأقل أعرف أنني حاولت."

بعد أن أغلقت آنا الخط، ساد صمت في الغرفة. أخيرًا قال سترايك "أحتاج للتبول"، ونهض وغادر الغرفة.

نهضت روبن أيضًا، وبدأت في جمع الصفحات المصورة من ملف الشرطة. لم تصدق أن الأمر قد انتهى كله. بعد وضع السجلات في كومة مرتبة، جلست وبدأت تقلب فيها مرة أخرى، عالمة أنها تأمل في رؤية شيء – أي شيء – قد أغفلاه.

من إفادة غلوريا كونتي لـ لاوسون:

كانت امرأة قصيرة، سمراء، ممتلئة الجسم تبدو كغجرية. قدرت أنها في سن المراهقة. جاءت وحدها وقالت إنها تتألم بشدة. قالت إن اسمها ثيو. لم ألتقط اسم عائلتها ولم أطلب منها تكراره لأنني ظننت أنها بحاجة لعناية عاجلة. كانت تمسك ببطنها. طلبت منها الانتظار وذهبت لسؤال الدكتور برينر إن كان سيفحصها، لأن الدكتورة بامبورو كانت لا تزال مع المرضى.

من إفادة روبي إليوت لتالبوت:

رأيتهما بجانب كشك هاتف، امرأتان تتصارعان نوعًا ما معًا. الطويلة التي ترتدي المعطف المطري كانت تستند على القصيرة، التي ارتدت غطاء مطر بلاستيكيًا. بدتا لي كامرأتين، لكنني لم أرَ وجهيهما. بدا لي أن إحداهما كانت تحاول جعل الأخرى تمشي أسرع.

من إفادة جانيس بيتي لـ لاوسون:

أنا على علاقة حديث بالسيد دوثويت منذ الاعتداء عليه في الشقق، لكنني لا أسميه صديقًا. أخبرني بمدى انزعاجه لأن صديقته قتلت نفسها. أخبرني أن لديه صداعًا. ظننت أنه توتر. أعرف أنه نشأ في الرعاية البديلة، لكنه لم يخبرني أبدًا بأسماء أي من أمهاته البديلات. لم يتحدث معي أبدًا عن

الدكتورة بامبورو إلا ليقول إنه ذهب إليها بخصوص صداعه. لم يخبرني أنه سيغادر (بيرسيفال هاوس). لا أعرف أين ذهب.

من إفادة إيرين هيكسون الثانية لـ لاوسون:

الإيصال المرفق يثبت أنني كنت في شارع أكسفورد في الظهيرة المعنية. نادمة بشدة لعدم كوني صادقة بشأن مكان تواجدي، لكنني خجلت من الكذب للحصول على الظهيرة إجازة.

وتحت الإفادة كانت صورة إيصال إيرين: ماركس آند سبنسر، ثلاثة أصناف، بإجمالي 4.73 جنيه إسترليني.

من إفادة جوزيف برينر لتالبوت:

غادرت العيادة في وقتي المعتاد، بعد أن وعدت أختي بأن أكون في المنزل في الوقت المناسب للعشاء. وافقت الدكتورة بامبورو بلطف على رؤية مريضة الطوارئ، حيث كان لديها موعد لاحق مع صديقة في المنطقة. ليست لدي أدنى فكرة عما إذا كانت الدكتورة بامبورو تعاني مشاكل شخصية. علاقتنا كانت مهنية تمامًا. ليس لدي علم بأي شخص أراد إيذاءها. أتذكر أن أحد مرضاها أرسل لها صندوق شوكولاتة صغيرًا، رغم أنني لا أستطيع الجزم بأنه كان من ستيفن دوثويت. أنا لا أعرف السيد دوثويت. أتذكر أن الدكتورة بامبورو بدت مستاءة حين سلمتها دوروثي الشوكولاتة، وطلبت من غلوريا، موظفة الاستقبال، رميها مباشرة في سلة المهملات، رغم أنها أخرجتها لاحقًا من السلة. كانت تحب الحلويات بشدة.

دخل سترايك المكتب مرة أخرى وأسقط ورقة نقدية من فئة خمسة جنيهات على الطاولة أمام روبن.

– "ما هذا؟"

قال:

– "تراهننا حول ما إذا كانوا سيمددون العام إذا كانت لدينا خيوط معلقة. قلت إنهم سيفعلون. وقلتِ إنهم لن يفعلوا."

قالت روبن تاركة الخمسة جنيهات مكانها:

– "لن آخذ هذا. لا يزال هناك أسبوعان آخران."

– "لقد أنهوا للتو..."

– "لقد دفعوا حتى نهاية الشهر. لن أتوقف."

قال سترايك مقطبًا جبينه ناظرًا إليها:

– "ألم أوضح نفسي للتو؟ سنترك ريتشي."

قالت روبن:

– "أعرف."

تحققت من ساعتها مرة أخرى.

– "من المفترض أن أستلم المناوبة من آندي بعد ساعة. من الأفضل أن أذهب."

بعد مغادرة روبن، أعاد سترايك الأوراق المصورة إلى صناديق سجلات الشرطة القديمة التي لا تزال تحت المكتب، ثم خرج إلى المكتب حيث كانت بات تجلس، والسيجارة الإلكترونية بين أسنانها كالمعتاد.

أخبرها:

– "خسرنا عميلين. من التالي على قائمة الانتظار؟"

قالت بات، مستحضرة الملف المشفر على شاشتها لتري سترايك اسمًا معروفًا:

– "لاعب الكرة ذاك. وإذا كنت تريد استبدال كليهما، فهناك تلك المرأة الأرستقراطية صاحبة كلب الشيواوا."

تردد سترايك.

– "سنأخذ لاعب الكرة فقط حاليًا. هل يمكنك الاتصال بمساعده والقول إنني متاح لأخذ التفاصيل في أي وقت غدًا؟"

قالت بات:

– "إنه يوم سبت."

– "أعرف. أنا أعمل في عطلات نهاية الأسبوع وأشك أنه سيرغب في أن يراه أحد قادمًا إلى هنا. قولي إنني سعيد بالذهاب لمكانه."

عاد إلى المكتب الداخلي ورفع النافذة، سامحًا لهواء الظهيرة، المثقل بعوادم السيارات ورائحة لندن الخاصة من الطوب الدافئ والسخام، واليوم، أثر خافت لأوراق الشجر والأشجار والعشب، بالتسلل للمكتب. وإذ غلبه إغراء التدخين، كبح نفسه احترامًا لبات، لأنه طلب منها عدم التدخين في المكتب. كان العملاء هذه الأيام جميعهم تقريبًا غير مدخنين وشعر أنه يعطي انطباعًا سيئًا أن تكون رائحة المكان مثل منفضة سجائر. اتكأ على حافة النافذة وراقب رواد الحانات والمتسوقين في ليلة الجمعة يسيرون جيئة وذهابًا في شارع الدنمارك، مستمعًا بنصف أذن لمحادثة بات مع مساعد لاعب الدوري الإنجليزي الممتاز، لكن تفكيره كان منصبًا في الغالب على مارغو بامبورو.

كان يعلم طوال الوقت أن هناك فرصة ضئيلة للغاية لمعرفة ما حدث لها، لكن أين ذهب خمسون أسبوعًا؟ تذكر كل الوقت الذي قضاه مع جوان في كورنوال، والعملاء الآخرين الذين جاؤوا وذهبوا، وسأل نفسه عما إذا كانوا سيكتشفون ما حدث لمارغو بامبورو لو لم تعترض أي من هذه الأشياء طريقهم. ورغم إغراء لوم المشتتات، اعتقد أن النتيجة كانت لتكون هي نفسها. ربما كان لوكا ريتشي هو الإجابة التي لن يتمكنوا أبدًا من الاعتراف بها. إجابة معقولة، من نواح كثيرة: عملية اغتيال احترافية، نُفذت لسبب غامض من أسباب العالم السفلي، لأن مارغو اقتربت أكثر مما يجب من سر ما، أو تدخلت في أعمال العصابات. *اترك فتاتي وشأنها...* كانت من النوع الذي ينصح متعرية، أو عاهرة، أو ممثلة إباحية، أو مدمنة، باختيار حياة مختلفة، وبالشهادة ضد الرجال الذين أساؤوا إليها...

نعب صوت بات من خلف سترايك:

– "الحادية عشرة غدًا. في مكانه. تركت عنوانه على المكتب لك."

قال وهو يستدير ليراها ترتدي معطفها بالفعل:

– "شكرًا جزيلاً."

كانت الساعة الخامسة. بدت متفاجئة بشكل غامض لسماع شكره، لكن منذ صرخت روبن في وجهه لكونه وقحًا مع بات، كان سترايك يحاول بوعي أن يكون

أكثر تهذيبًا مع السكرتيرة. ترددت للحظة، والسيجارة الإلكترونية بين أسنانها الصفراء، ثم أزالتها لتقول:

– "روبن أخبرتني بما فعله موريس ذاك. ما أرسله لها."

قال سترايك:

– "أجل. وغد منحط."

قالت بات:

– "أجل."

كانت تتفحصه عن كثب، وكأنها ترى أشياء لم تتوقع أبدًا العثور عليها.

– "فظيع. وكان دائمًا يذكرني بـ ميل غيبسون شاب."

قال سترايك:

– "حقًا؟"

قالت:

– "المظاهر شيء مضحك. تجعلك تضع افتراضات."

– "أفترض ذلك."

أخبرته بات:

– "أنت تشبه زوجي الأول حقًا."

قال سترايك مندهشًا:

– "أهذا صحيح؟"

– "أجل. حسنًا... سأذهب. أتمنى لك عطلة نهاية أسبوع جيدة."

– "وأنتِ أيضًا."

انتظر حتى خفتت خطواتها على الدرج المعدني، قبل أن يخرج سجائره، ويشعل واحدة ويعود للمكتب الداخلي، حيث كانت النافذة لا تزال مفتوحة. هناك، أخرج منفضة سجائر قديمة من درج المكتب ودفتر ملاحظات تالبوت الجلدي من الدرج العلوي لخزانة الملفات، واستقر في كرسيه المعتاد ليقلب فيه مرة أخرى، متوقفًا عند الصفحة الأخيرة.

لم يمنح سترايك خربشات تالبوت الأخيرة أكثر من اهتمام عابر، جزئيًا لنفاد صبره حين وصل إليها، وجزئيًا لأنها كانت من أكثر أجزاء الملاحظات فوضوية وتفككًا. لكن الليلة، كان لديه سبب حزين لفحص الصفحة الأخيرة من دفتر ملاحظات تالبوت، لأن سترايك، أيضًا، وصل لنهاية القضية. لذا تفحص رسم تالبوت للشيطان الذي اعتقد أنه استحضره قبل مجيء الإسعاف لأخذه: روح مارغو بامبورو، عادت من مستوى نجمي ما لتطارده في هيئة بابالون، أم الأرجاس.



لم يعد هناك ضغط للفهم بعد الآن. أرخى سترايك تركيز عقله كما قد يرخي عينيه، ليرصد بشكل أفضل إحدى تلك الصور ثلاثية الأبعاد المخبأة فيما يبدو كنمط مسطح. انزلقت عيناه فوق العبارات والشظايا التي تذكرها تالبوت جزئيًا من كتابات كراولي، ومن استشارة تاروت "تحوت". وبينما كان يدقق في صورة الشيطانة ثقيلة

الثديين، التي نقش تالبوت التائب لاحقًا على بطنها صليبًا مسيحيًا، تذكر كلمات روبن قبل كل تلك الشهور في قصر هامبتون كورت، عن جاذبية الأسطورة والرمز، وفكرة اللاوعي الجمعي، حيث تكمن النماذج البدائية. هذا الشيطان، والعبارات غير المترابطة التي بدت ذات صلة لتالبوت في حالته الذهانية، نبعت من اللاوعي الخاص بالشرطي: كان من السهل جدًا، والتبسيطي جدًا، لوم كراولي وليفي على ما اختار عقل تالبوت الاحتفاظ به. هذا ما ولّده عقله، في تشنج أخير للجنون، في محاولة أخيرة للحل. *سبعة حجب، سبعة رؤوس، سبعة جداول. شهوة ومخدرات غريبة. سبعة حول عنقها. الظلام المسموم للقمر الأسود. دم وخطيئة. تمتطي الأسد الثعبان.*

قرب سترايك المصباح من الصفحة، ليدقق في الرسم عن كثب. هل كان يخدع نفسه، أم أن بعض هذه الخربشات المجنونة تشير إلى أن تالبوت لاحظ المصادفات الغريبة التي لاحظها سترايك، بعد التحدث إلى شقيقتي بايليس؟ وبينما انتقلت نظراته من شظية كتابة صوفية لأخرى، ظن سترايك أنه يرى، ليس فقط مرتاد كنيسة تائبًا يحاول التكفير عن انحداره للسحر، بل الجهد اليائس الأخير لمحقق جيد، يحاول إنقاذ أدلة من الفوضى، ومعنى من الجنون.

63

وفي النهاية، عزموا على المضي قدمًا في طريقهم،
حتى يجدوا نهاية ما، أو مخرجًا؛
فسلكوا الدرب الذي بدا مطروقًا، وإن كان الأكثر وعورة،
والذي بدا وكأنه يقود عبر المتاهة...

إدموند سبنسر ملكة الجن

على مدار الأسبوعين التاليين، لاحظت روبن أن كتاب *تنجيم 14* لـ ستيفن شميدت، الكتاب المستعمل الذي تركته في المكتب، يغير موقعه باستمرار. في صباح أحد الأيام كان فوق خزانة الملفات حيث تركته، وبعد بضعة أيام على نصف مكتب سترايك، وفي الليلة التالية ملقى بجانب الغلاية. وبالمثل، استمرت أجزاء مختلفة من سجلات شرطة بامبورو في الظهور، ثم الاختفاء مرة أخرى، بينما اختفى دفتر ملاحظات بيل تالبوت المجلد بالجلد من خزانة الملفات، وشكت في أنه شق طريقه للأعلى إلى شقة سترايك العلوية.

كانت الوكالة مشغولة جدًا مرة أخرى. العميل الجديد، لاعب كرة قدم في الدوري الممتاز، أغرق مليوني جنيه إسترليني في ملهى ليلي مقترح فشل في التجسد. شريكه في المشروع اختفى الآن، مع كل المال. لاعب كرة القدم، الملقب بـ "دوبي" (الغبي) من قبل باركلي غير المتعاطف، كان يخشى فضيحة الصحافة تقريبًا بقدر خوفه من عدم استعادة أمواله.

في الوقت نفسه، استمر صديق الآنسة جونز في عيش حياة محبطة في التزامها بالقانون، لكنها بدت سعيدة بمواصلة دفع فواتير الوكالة، طالما تحمل

سترايك مكالمات هاتفية مرتين في الأسبوع معها. خلال جلسات الاستدراك المزعومة هذه، أخبرت سترايك بكل مشاكلها، وألمحت بوضوح إلى أن دعوة العشاء ستقبل بسعادة.

بالإضافة إلى هؤلاء العملاء، ومتجاوزًا أولئك الموجودين على قائمة الانتظار، كان رئيس المراوغ (SB)، الذي أُجبر على التقاعد المبكر من قبل مجلس الإدارة. دخل المدير التنفيذي من شارع دنمارك ذات صباح يبحث عن باركلي، الذي ترك تفاصيل الاتصال به مع إلينور دين. لدهشة سترايك، لم يبدُ التقاعد المبكر قد دفع المدير التنفيذي إلى اليأس، بل حرره.

قال لسترايك:

– "صدق أو لا تصدق، كنت أفكر بصدق في قتل نفسي، قبل بضعة أشهر فقط. لكنني خرجت من تحت إبهام ذلك الوغد الآن. الآن وقد أخبرت زوجتي عن إلينور –"

قال سترايك متفاجئًا:

– "أخبرتها، هاه؟"

– "وكانت متفهمة للغاية. في زواجي السابق، كانت... حسنًا، احتياجاتي... تعتني بها زوجتي السابقة، لكن منذ انفصالنا... على أية حال، تحدثنا أنا وبورشيا في الأمر كله، وهي سعيدة تمامًا لاستمرار ترتيبي مع إلينور، طالما لا توجد خيانة."

أخفى سترايك تعبير وجهه خلف كوبه. كان بإمكانه تخيل جيدًا أن بورشيا، بأظافرها التي يبلغ طولها بوصة وتصفيفات شعرها الاحترافية، وعطلاتها الثلاث سنويًا، وبطاقتها السوداء من أمريكان إكسبريس ومنزلها المكون من ست غرف نوم مع حمام سباحة في ويست برومبتون، تفضل أن يقوم شخص آخر بتغيير حفاض المدير التنفيذي.

قال المدير التنفيذي، وقد استبدلت ابتسامته الراضية بنظرة قاسية:

– "لا، كل ما أريده الآن، هو التأكد من أن ذلك الوغد المراوغ ينال ما يستحقه. وأنا مستعد للدفع."

لذا استأنفت الوكالة مراقبة كل من المراوغ ومساعدته الشخصية (PA).

نتيجة القضايا الثلاث المتطلبة عنت أن معظم التواصل بين الشريكين تم عبر الهاتف لبقية الشهر. تقاطعت طرقهما أخيرًا بعد ظهر يوم خميس في أواخر أغسطس، عندما دخل سترايك المكتب بينما كانت روبن على وشك المغادرة.

عرضت بات، التي كانت تستمع للراديو بينما تدفع مجموعة من الفواتير، إطفاءه عند رؤية سترايك، الذي لفت انتباهه للتو الفستان الأزرق الضيق الذي كانت ترتديه روبن.

قال:

– "لا، لا بأس. من الجيد سماع بعض الموسيقى."

سألت روبن، مشيرة إليه للدخول إلى المكتب الداخلي:

– "كورموران، هل يمكنني التحدث إليك سريعًا قبل أن أذهب؟"

"... التالي، في قائمة المائة أغنية ناجحة من السبعينيات، أغنية قديمة لكن جيدة من فرقة الضربة الواحدة ميدل أوف ذا رود: «تيربي تيربي شيب شيب»..."

قال سترايك، مغلقًا الباب الداخلي على بات:

– "إلى أين أنتِ ذاهبة؟"

كان قد قضى معظم الليلة السابقة على قدميه، يراقب المراوغ وهو يسكر ويتعاطى الكوكايين في ملهى ليلي، واليوم يقود بين العناوين المختلفة التي استخدمها شريك عمل دوبي على مدار العامين الماضيين. غير حليق وكل جسده يؤلمه، نخر بارتياح وهو يغوص في كرسيه المعتاد.

قالت روبن:

– "«ذا فينتري» (The Vintry). بار نبيذ في الحي المالي (The City). جيما ستكون هناك لاحقًا، سمعها آندي ترتب لذلك. آمل أن تكون مع صديقات. سأحاول اختراق المجموعة بطريقة ما."

جيما كانت مساعدة المراوغ الشخصية. من خلال الباب المغلق سمعا الآن نغمات أغنية مرحة تعزف على الراديو، بكلماتها غير المتناغمة: *"أين ذهبت ماما؟"* (Where’s your mamma gone؟).

سألت روبن:

– "لا تزال تعمل على بامبورو، أليس كذلك؟"

اعترف سترايك:

– "فقط أراجع بضعة أشياء."

– "وماذا؟"

– "ولا شيء. إنها مثل المتاهة. في اللحظة التي أبدأ فيها بالتفكير بأنني أصل لمكان ما، أنعطف عند زاوية وأصطدم بطريق مسدود. أو أجد نفسي عدت حيث بدأت. لماذا تبدين مسرورة جدًا؟"

– "أنا فقط سعيدة لأنك لم تستسلم."

– "لن تقولي ذلك عندما يسحبونني إلى نفس المصحة العقلية مثل بيل تالبوت. إذا لم أرَ برجًا فلكيًا لعينًا آخر أبدًا، فسيكون ذلك مبكرًا جدًا... أين بحق الجحيم هو دوثويت؟ ماذا حدث له؟"

– "هل تعتقد –؟"

– "أعتقد أنه مريب بشكل لعين، لطالما ظننت ذلك. حجة غيابه تساوي لا شيء. ثم يغير اسمه. ثم، كما اكتشفتِ، تموت شابة أخرى في محيطه – تلك الريد كوت (موظفة الترفيه) الغارقة. ثم يختفي مرة أخرى.

"لو كان بإمكاني فقط التحدث إلى دوثويت،" قال سترايك، ضاربًا أصابعه على المكتب، "لاستسلمت (توقفت عن البحث)."

قالت روبن:

– "حقًا؟"

نظر إليها، ثم، عابسًا، أشاح بوجهه. كانت تبدو مثيرة بشكل خاص في ذلك الفستان الأزرق، الذي لم يره من قبل.

– "أجل، لو كان بإمكاني التحدث إلى دوثويت، فسيكفيني ذلك."

"الليلة الماضية سمعت ماما تغني أغنية..."

قال سترايك:

– "وربما غلوريا كونتي."

"استيقظت هذا الصباح، وماما قد رحلت..."

– "وكريد،" قال سترايك. "أود التحدث إلى دينيس كريد."

شعرت روبن بقفزة صغيرة من الإثارة. كانت قد تلقت بريدًا إلكترونيًا في وقت سابق، يخبرها بتوقع قرار بحلول نهاية اليوم حول ما إذا كان يمكن إعادة استجواب كريد أم لا.

قالت:

– "من الأفضل أن أتحرك. من المفترض أن تكون جيما هناك في السادسة. كان لطفًا منك،" أضافت، وهي تمد يدها لمقبض الباب، "أن تدع بات تبقي الراديو يعمل."

قال سترايك، بهزة كتف:

– "أجل، حسنًا. أحاول أن أكون ودودًا."

بينما كانت روبن ترتدي معطفها في المكتب الخارجي، قالت بات:

– "هذا لون جيد جدًا عليكِ."

– "شكرًا. إنه قديم جدًا. معجزة أنه لا يزال يناسبني، مع كل الشوكولاتة التي كنت آكلها مؤخرًا."

– "هل سيعجبه كوب شاي، في رأيك؟"

قالت روبن متفاجئة:

– "أنا متأكدة أنه سيفعل."

يبدو أن سترايك لم يكن الوحيد الذي يحاول أن يكون ودودًا.

قالت بات: "أووه، اعتدت أن أحب هذه"، بينما ملأت النغمات الافتتاحية لأغنية "اعزفوا تلك الموسيقى غير التقليدية (Funky)" المكتب، وبينما كانت روبن تنزل الدرج، سمعت بات تغني معها، بصوتها الباريتون الأجش:

"ذات مرة كنت مغنيًا غير تقليدي،

أعزف في فرقة روك آند رول..."

كان بار "ذا فينتري"، الذي وصلت إليه روبن بعد عشرين دقيقة، يقع بالقرب من محطة مترو "كانون ستريت" في قلب الحي المالي، وكان بالضبط نوع

المكان الذي استمتع به زوجها السابق أكثر من غيره. حديث بشكل غير متطلب وبطريقة تقليدية عالية المواصفات، بمزيجه الأنيق من العوارض الفولاذية، والنوافذ الكبيرة والأرضيات الخشبية، كان فيه لمحة من مكتب مفتوح التخطيط، على الرغم من البار الطويل والمقاعد المبطنة. كانت هناك لمسة غريبة عرضية، مثل الأرنبين المحنطين على حافة النافذة، اللذين كانا يحملان نماذج بنادق ويرتديان قبعات صيد، لكن في المجمل، الزبائن، الذين تكون معظمهم من رجال يرتدون بدلات رسمية، كانوا محاطين بجو من الرتابة البيج الذوقية. وقفوا في مجموعات، قادمين لتوهم من عمل اليوم، يشربون، ويضحكون معًا، ويقرؤون الصحف أو هواتفهم، أو يتفحصون القلة من الزبائن الإناث – بالنسبة لروبن بدوا وكأنهم ينضحون ليس فقط بالثقة، بل بالرضا عن النفس. تلقت عددًا من النظرات التقديرية وهي تنسل بين وسطاء الأسهم، والمصرفيين والتجار في طريقها إلى البار.

ناظرة بعناية حول المنطقة الكبيرة المفتوحة، استنتجت روبن أن جيما لم تصل بعد، لذا أخذت كرسي بار فارغًا، وطلبت ماء تونيك وتظاهرت بقراءة أخبار اليوم من هاتفها، فقط لتجنب التحديق الصريح للشابين على يمينها، أحدهما بدا مصممًا على جعل روبن تنظر للأعلى، ولو للتأكد من مصدر الضحكة المزعجة والنهيقية. إلى يسارها، كان زوج من الرجال الأكبر سنًا يناقش استفتاء الاستقلال الاسكتلندي الوشيك.

قال الرجل الأول:

– "الاستطلاعات تبدو مهتزة. آمل أن يعرف كاميرون ما يفعله."

– "سيكونون مجانين بحق الجحيم ليفعلوا ذلك. مجانين."

قال الرجل الأول:

– "هناك فرصة في الجنون – لقلة، على أية حال. أتذكر، عندما كنت في هونغ كونغ – أوه، أعتقد أن طاولتنا فرغت..."

غادر المتحدثان لعشائهما. نظرت روبن حولها مرة أخرى، متجنبة بعناية التقاء عينيها بعيني الشاب ذي الضحكة النهيقية، ولفتت نظرها بقعة قرمزية في الطرف البعيد من البار. وصلت جيما، وكانت تقف وحدها، تحاول جذب انتباه

النادل. انزلقت روبن عن كرسي البار، وحملت مشروبها إلى جيما، التي كان شعرها الداكن الطويل ينسدل في تجعيدات غجرية حتى منتصف ظهرها.

– "مرحبًا – ليندا؟"

قالت جيما، مأخوذة:

– "ماذا؟ لا، آسفة."

قالت روبن، وبدا عليها الخيبة:

– "أوه. ربما أخطأت في البار. هل لهذا المكان فروع أخرى؟"

– "لا فكرة لدي، آسفة،" قالت جيما، ولا تزال يدها مرفوعة، تحاول جذب انتباه النادل.

قالت روبن، ناظرة حولها إلى بحر البدلات:

– "قالت إنها سترتدي الأحمر."

نظرت جيما إلى روبن، مهتمة بشكل معتدل.

– "موعد أعمى؟"

قالت روبن، مديرة عينيها:

– "أتمنى. لا، إنها صديقة لصديقة تعتقد أنه قد يكون هناك وظيفة شاغرة في «وينفري آند هيوز». قالت المرأة إنها ستقابلني لمشروب سريع."

– "وينفري آند هيوز؟ هذا مكان عملي."

قالت روبن بضحكة:

– "أنتِ تمزحين! مهلاً – أنتِ لست ليندا حقًا، أليس كذلك؟ وتتظاهرين بأنك شخص مختلف، لأن شكلي لم يعجبك أو شيء من هذا القبيل؟"

قالت المرأة الأخرى مبتسمة:

– "لا. أنا جيما."

– "أوه. هل تقابلين شخصًا ما، أم –؟"

قالت جيما:

– "من المفترض ذلك. نعم."

– "هل تمانعين جلوسي هنا معك؟ فقط حتى يصلوا؟ كنت أتلقى بعض النظرات الشهوانية حقًا هناك."

قالت جيما، بينما كانت روبن تتسلق كرسي البار بجانبها:

– "حدثيني عن ذلك."

اقترب النادل الآن من رجل يرتدي بدلة مخططة وشعره رمادي وصل للتو.

نادت روبن: "أوي"، والتفتت رؤوس نصف دزينة من رجال الأعمال، وكذلك النادل. "كانت هنا أولاً،" قالت روبن، مشيرة جانبيًا إلى جيما، التي ضحكت مرة أخرى.

– "واو. أنتِ لا تضيعين الوقت، أليس كذلك؟"

قالت روبن، آخذة رشفة من مائها:

– "لا جدوى، أليس كذلك؟"

كانت قد ضخمت لهجتها اليوركشايرية بمهارة، كما تفعل غالبًا عندما تتظاهر بأنها شخصية أجرأ وأكثر وقاحة مما تشعر به حقيقة. "يجب أن تمسكي بزمام الأمور، وإلا سيدوسون عليكِ."

تنهدت جيما:

– "لستِ مخطئة في ذلك."

– "وينفري آند هيوز ليست هكذا، أليس كذلك؟ مليئة بالتافهين؟"

– "حسنًا..."

وصل النادل في تلك اللحظة لأخذ طلب جيما. بمجرد حصول المساعدة الشخصية على كأسها الكبير من النبيذ الأحمر، أخذت جرعة وقالت:

– "لا بأس بها، في الواقع. يعتمد على القسم الذي تعملين فيه. أنا مساعدة شخصية لأحد الكبار. العمل مثير للاهتمام."

سألت روبن بشكل عارض:

– "رجل لطيف؟"

شربت جيما عدة رشفات من النبيذ قبل أن تقول:

– "إنه... لا بأس به. الشيطان الذي تعرفه، أليس كذلك؟ أحب الوظيفة والشركة. لدي راتب رائع وطناً من الأصدقاء هناك... أوه تباً –"

انزلقت حقيبة يدها عن كرسي البار. وبينما انحنت جيما لاستعادتها، رصدت روبن، التي جالت عيناها عبر مشهد الكريم والرمادي والبيج أمامها، فجأة سول موريس.

كان قد دخل البار للتو، مرتديًا بدلة، وقميصًا مفتوح الرقبة وابتسامة متعجرفة بشكل ملحوظ. نظر حوله، وميز جيما وروبن بألوان فساتينهما الزاهية، وتجمد. لثانية أو اثنتين، حدق هو وروبن ببساطة في بعضهما البعض؛ ثم استدار موريس فجأة وهرع خارجًا من البار.

استقرت جيما مرة أخرى على كرسيها، والحقيبة بأمان في حجرها. الهاتف المحمول الذي تركته ملقى على المنضدة أضاء الآن.

قالت جيما، مجيبة بسرعة: "آندي؟ نعم... لا، أنا هنا بالفعل..."

ساد صمت طويل. استطاعت روبن سماع صوت موريس. كان يستخدم نفس نبرة التملق التي حاول بها استدراجها للفراش، بكل تلك النكات الصبيانية و"هل أغضبتك".

قالت جيما، وتعبير وجهها يتصلب:

– "حسنًا. حسنًا. أنا فقط... سأمسح رقمك من هاتفي الآن وأود منك... لا، في الواقع، أنا... أوه فقط اغرب عن وجهي (Fuck off)!"

أغلقت الخط، محمرة الوجه، وشفتيها ترتجفان.

قالت:

– "لماذا يريدون دائمًا أن يُقال لهم إنهم لا يزالون رجالاً لطفاء، بعد أن تصرفوا كأوغاد كاملين؟"

قالت "روبن اليوركشايرية":

– "كثيرًا ما تساءلت عن ذلك بنفسي. حبيب؟"

قالت جيما المصدومة:

– "أجل. لستة أشهر. ثم يخلف موعدًا معي ذات ليلة، دون تفسير. ثم يعود بضع مرات – مكالمات جنس (booty calls)، في الأساس،" قالت، آخذة جرعة كبيرة أخرى من النبيذ. "وأخيرًا يختفي تمامًا (Ghosts me). راسلته أمس، قلت، انظر، أريد فقط أن نلتقي، أريد فقط تفسيرًا –"

– "يبدو كأحمق حقيقي،" قالت روبن، التي كان قلبها يتسابق من الإثارة لهذه الفرصة المثالية لحديث من القلب للقلب. نادت النادل: "مهلاً، هل يمكننا الحصول على كأسين آخرين من النبيذ وقائمة طعام، من فضلك؟"

وبعد ذلك، وجدت روبن أن استخراج الأسرار من جيما سهل كتقشير البازلاء. مع ثلاثة كؤوس كبيرة من النبيذ في جوفها، وصديقتها الجديدة من يوركشاير التي كانت مضحكة، وداعمة ومتفهمة للغاية، وطبق من الدجاج والبولينتا لتأكله، وزجاجة نبيذ ("أجل، لمَ لا بحق الجحيم؟")، انتقلت بسلاسة من جنح "آندي" إلى التلمس غير اللائق وغير المرغوب فيه من قبل رئيسها الذي تصاعد حتى أصبحت على وشك الاستقالة.

سألت روبن:

– "ألا يمكنك الذهاب للموارد البشرية؟"

– "يقول إن لا أحد سيصدقني بسبب ما حدث عندما كنا في دورة تدريبية العام الماضي... رغم أن... لقول الحقيقة، لا أعرف حقًا ما حدث،" قالت جيما، وناظرة بعيدًا عن روبن تمتمت، "أعني... مارسنا الجنس... لكنني كنت غائبة عن الوعي تمامًا... ثملة جدًا... أعني، لم يكن، كما تعلمين... لم يكن اغتصابًا... أنا لا أقول ذلك..."

– "هل كنتِ في حالة تسمح بإعطاء الموافقة؟" سألت روبن، ولم تعد تضحك. شربت نصف كأس نبيذ فقط.

– "حسنًا، ليس... لكن... لا، لن أضع نفسي في ذلك الموقف،" قالت جيما، محمرة ودامعة. "ليس الشرطة وكل شيء، يا إلهي لا... إنه شخصية كبيرة، يمكنه تحمل تكاليف محامين كبار... وإذا لم أفز، كيف سأحصل على وظيفة أخرى في الحي المالي؟... المحكمة، والصحف... على أية حال، فات الأوان الآن... الناس

رأوني... أخرج من غرفته. تظاهرت بأن كل شيء على ما يرام. كان علي ذلك، كنت محرجة جدًا... طاحونة الشائعات تعمل بأقصى سرعة منذ ذلك الحين. كلانا أنكر حدوث أي شيء، فكيف سيبدو الأمر إذا أنا...

"أخبرني آندي أنه لا ينبغي علي الإبلاغ عن ذلك،" قالت جيما، صابة آخر الزجاجة في كأسها.

– "فعل؟"

– "أجل... أخبرته عن ذلك، أول مرة مارسنا فيها الجنس... أترين، كانت المرة الأولى التي أنام فيها مع أي شخص منذ... وقال: «نعم، سترغبين في إبقاء ذلك طي الكتمان... سيكون الكثير من الغم لكِ، وعلى الأرجح سيفلت هو»... كان شرطيًا سابقًا، آندي، كان يعرف كل شيء عن هذا النوع من الأمور."

يا لك من وغد كامل يا موريس.

قالت جيما، بضبابية:

– "لا، إذا كنت سأخبر عن أي شيء، فسيكون التداول الداخلي اللعين... أوه نعم... لا أحد يعرف سواي..."

بعد ساعة واحدة، خرجت روبن وجيما إلى الشارع الذي بدأ يظلم، وروبن تكاد تحمل جيما، لأنها أظهرت ميلاً للترهل إذا لم تكن مدعومة. بعد انتظار عشر دقائق، نجحت في إيقاف سيارة أجرة، وحملت جيما الثملة جدًا إلى داخلها.

نادت جيما لروبن، محاولة منعها من إغلاق الباب:

– "لنخرج يوم السبت!"

قالت روبن، التي أعطت المساعدة الشخصية رقمًا مزيفًا:

– "رائع! اتصلي بي!"

– "أجل، سأفعل... شكرًا جزيلاً على العشاء!"

– "لا مشكلة!" قالت روبن، ونجحت أخيرًا في صفق الباب على جيما، التي لوحت لها حتى انعطفت السيارة عند الزاوية.

استدارت روبن ومشت بسرعة عائدة مرورًا بـ "ذا فينتري". أطلق شاب يرتدي بدلة صفير إعجاب وهي تمر.

تمتمت روبن: "أوه اغرب عن وجهي"، وهي تخرج هاتفها للاتصال بسترايك. لدهشتها، رأت أنها فوتت سبع مكالمات منه. تلقت أيضًا بريدًا إلكترونيًا كان سطر موضوعه يقرأ: *كريد*.

قالت روبن بصوت عالٍ:

– "يا إلهي."

أسرعت، راغبة في الابتعاد عن جحافل الرجال بالبدلات الذين لا يزالون يمشون في الشوارع، لتكون وحدها وقادرة على التركيز. متراجعة أخيرًا إلى المدخل المظلم لمبنى مكاتب حجري رمادي، فتحت البريد الإلكتروني. بعد قراءته ثلاث مرات، للتأكد تمامًا من أن عينيها لا تخدعانها، عاودت الاتصال بسترايك.

قال، مجيبًا في الرنة الأولى:

– "ها أنتِ ذا! خمني ماذا؟"

– "ماذا؟"

– "وجدتُ دوثويت!"

شهقت روبن، جاذبة انتباه رجل أعمال وقور المظهر يجر قدميه مارًا في الظلام، ممسكًا بمظلة ملفوفة بإحكام:

– "فعلت ماذا؟ كيف؟"

– "الأسماء،" قال سترايك، الذي بدا مبتهجًا. "وبات تستمع لأغاني السبعينيات."

– "أنا لا –"

– "سمى نفسه جاكس في المرة الأولى، صحيح؟ حسنًا، تيري جاكس كان لديه أغنية ناجحة جدًا تسمى «مواسم في الشمس» في عام 74. شغلوها بعد ظهر اليوم. نحن نعلم أن دوثويت كان يتخيل نفسه مغنيًا، لذا فكرت، أراهن أن هذا هو المكان الذي حصل منه على فكرة «جاكس»..."

استطاعت روبن سماع سترايك يذرع الغرفة جيئة وذهابًا. كان من الواضح أنه متحمس بقدر ما كانت تشعر.

– "لذا عدت إلى كتاب أوكدين. قال إن أغنية دوثويت «لونغفيلو سيريناد» كانت ناجحة بشكل خاص مع السيدات. بحثت عنها. كانت واحدة من أغاني نيل دايموند. لذا،" قال سترايك، "بدأت أبحث في غوغل عن ستيف دايموند...

"أنا على وشك إرسال صورة لكِ نصيًا،" قال سترايك. "استعدي."

أبعدت روبن الهاتف عن أذنها وانتظرت. في غضون بضع ثوانٍ، وصلت الرسالة، وفتحت الصورة المرفقة.

رجل متعرق، أحمر الوجه، أصلع في الستينيات من عمره يغني في ميكروفون. كان يرتدي قميصًا فيروزيًا مشدودًا فوق بطن كبيرة. سلسلة لا تزال تتدلى حول عنقه، لكن الشبه الوحيد الآخر بصورة الشاب ذي الشعر الشائك والوقح بربطة العنق العريضة كان العينين، اللتين كانتا داكنتين ولامعتين كما كانتا دائمًا.

قالت روبن:

– "إنه هو."

قال سترايك:

– "جاءت تلك الصورة من موقع ويب لحانة في سكيغنيس. لا يزال ملك الكاريوكي ويشارك في ملكية وإدارة نزل مبيت وإفطار هناك، مع زوجته دونا. أتساءل،" قال سترايك، "عما إذا كانت تدرك أن اسمه لم يكن دائمًا دايموند؟"

قالت روبن، مبتهجة لدرجة أنها بدأت تمشي في الشارع مرة أخرى، لمجرد استخدام الطاقة التي تتدفق من خلالها الآن:

– "هذا مذهل! أنت عبقري!"

قال سترايك، بلمحة من الزهو:

– "أعرف. إذن، نحن ذاهبان إلى سكيغنيس. غدًا."

– "من المفترض أن أكون –"

– "لقد غيرت الجدول،" قال سترايك. "هل يمكنك أن تقليني مبكرًا؟ لنقل، الثامنة؟ سأخرج إلى إيرلز كورت."

– "بالتأكيد."

– "إذن سأراكِ –"

– "انتظر،" قالت روبن.

قال سترايك بأدب:

– "أوه، تباً، نعم. كان يجب أن أسأل. كيف سارت الأمور مع جيما؟"

– "عظيم. المراوغ يقوم بتداول داخلي (Insider trading)، لكن لا يهم ذلك الآن."

– "إنه –؟"

قالت، غير قادرة على قمع نبرة الانتصار في صوتها:

– "سترايك، لا أريد أن أسرق الأضواء منك أو أي شيء، لأن العثور على دوثويت أمر لا يصدق، لكنني أعتقد أنه يجب أن تعلم... سيسمح لك بمقابلة دينيس كريد في برودمور، في التاسع عشر من سبتمبر."

64

... ارتجفت يده،
واهتزت كورقة شجر الحور الخضراء،
والدم المضطرب شوهد عبر وجهه الشاحب
يجيء ويذهب، بأخبارٍ من القلب،
وكأنه رسولٌ يركض.
إدموند سبنسر ملكة الجن

قال سترايك، وهو يصعد إلى سيارة اللاند روفر في صباح اليوم التالي:

– "حسنًا."

ابتسم كلاهما للآخر بإشراق: للحظة، ظنت روبن أنها رأت فكرة معانقتها تعبر ذهن سترايك، لكنه بدلاً من ذلك مد يده، وصافح يدها.

– "يا للمسيح، تنتظر عامًا من أجل انفراجة..."

ضحكت روبن، وضعت اللاند روفر في الغيار وانطلقت إلى الطريق. كان اليوم حارًا بشكل غير معتاد: كانت تقود بنظارة شمسية، ومع ذلك لاحظ سترايك وشاحًا يبرز من الحقيبة خلف مقعدها.

قال، ناظرًا إلى السماء الصافية:

– "لا أعتقد أنكِ ستحتاجين لذلك. طقس صيفي حقيقي."

قالت روبن بتشكك:

– "سنرى. اعتدنا زيارة سكيغنيس عندما كنا أطفالاً. كانت أخت أمي تعيش في بوستون، على الطريق. عادة ما يكون هناك نسيم منعش (قوي) قادم من بحر الشمال."

قال سترايك، مشيرًا إلى الرسالة التي حولتها روبن له، والتي حددت كلاً من الشروط والأحكام الخاصة بمقابلته لـ دينيس كريد، والأسباب التي دعت السلطات للسماح لسترايك بفعل ذلك:

– "إذن، قرأت البريد الإلكتروني."

سألت روبن:

– "ما رأيك؟"

– "بخلاف كوني مذهولاً بحق الجحيم لأنكِ نجحتِ في ذلك –"

– "استغرق الأمر وقتًا طويلاً."

– "لست متفاجئًا. بخلاف ذلك، لن أكذب... أشعر بالضغط."

– "تعني، بسبب عائلة تاكر؟"

قال سترايك، فاتحًا النافذة ليتمكن من إشعال سيجارة:

– "أجل. آنا لا تعرف أنني سأحصل على هذه الفرصة، لذا لن ترفع آمالهم، لكن ذلك المسكين تاكر..."

السرية المطلقة حول المقابلة، بما في ذلك توقيع اتفاقية عدم إفشاء تضمن أن سترايك لن يتحدث أبدًا للصحافة عنها، كانت الشرط المسبق الأول الذي وضعته السلطات.

قالت روبن:

– "إنه يريدك أنت حقًا. تاكر. يقول إن كريد لديه غرور كبير وسيرغب في مقابلتك. ولابد أن الأطباء النفسيين وافقوا، أليس كذلك، وإلا لما سمحوا بذلك؟ يقول برايان تاكر إن كريد كان يرى نفسه دائمًا ذا مكانة عالية، ويستحق الاختلاط بالمشاهير والناجحين."

قال سترايك:

– "ليست وظيفة الطبيب النفسي أن يقرر ما إذا كنت سأتمكن من الحصول على أي شيء منه. أتخيل أن كل ما سيهمهم هو ما إذا كنت سأثير غضبه. لا يتم وضعك في برودمور لكونك غريب الأطوار بشكل طفيف."

صمت سترايك لفترة طويلة، ناظرًا من النافذة، وظلت روبن هادئة أيضًا، لا تريد مقاطعة قطار أفكاره. عندما تحدث سترايك أخيرًا مرة أخرى، بدا عمليًا، ومركزًا على الخطة الخاصة بسكيغنيس.

– "بحثت عن نزل المبيت والإفطار (B&B) على «تريب أدفايزر». اسمه «ألارديس» (The Allardice)، وهو اسم عائلة زوجته قبل الزواج. لن ندخل هناك دون تمهيد، لأنه إذا لم يكن هناك وشمت الزوجة رائحة شيء مريب، يمكنها الاتصال به وتحذيره من العودة، لذا سنركن السيارة، ونضع أنفسنا في موقع يمكننا منه رؤية المبنى، ونتصل به. إذا كان هناك، ندخل مباشرة قبل أن تتاح له فرصة الهرب – أو نمسك به وهو يغادر، حسب الحالة. وإذا لم يكن في الداخل، ننتظر."

– "إلى متى؟"

– "أود أن أقول «طالما تطلب الأمر»،" قال سترايك، "لكننا لا نتقاضى أجرًا فعليًا مقابل هذا، لذا علي العودة للمدينة يوم الاثنين."

اقترحت روبن:

– "يمكنني البقاء."

قال سترايك:

– "لا أعتقد ذلك."

قالت روبن، نادمة فورًا على الاقتراح، خائفة من أن يظن سترايك أنها تسعى ببساطة وراء عطلة نهاية أسبوع أخرى في فندق:

– "آسفة. أعرف أننا نعاني من نقص في الموظفين –"

– "ليس هذا هو السبب. أنتِ من أشار إلى أن النساء لديهن عادة الموت أو الاختفاء حول ستيف دوثويت. يمكن أن تكون حالة سوء حظ، لكن من ناحية أخرى... ثلاثة ألقاب (أسماء عائلة) مختلفة هو عدد كبير لرجل ليس لديه ما يخفيه. سأتولى القيادة في هذه المهمة."

وصلا إلى البلدة الساحلية الصغيرة في الحادية عشرة، تاركين اللاند روفر في موقف سيارات بجانب "سكيغنيس بول"، وهي صالة بولينغ ضخمة ذات جدران حمراء على الواجهة البحرية. استطاع سترايك شم وتذوق البحر بمجرد خروجه من

السيارة، والتفت غريزيًا نحوه، لكن المحيط كان غير مرئي من حيث وقف. بدلاً من ذلك وجد نفسه ينظر إلى ممر مائي اصطناعي بلون أخضر عكر، كانت شابة ضاحكة وصديقها يجدفان فيه بقارب بحجم زورق مطاطي. صفق باب السائق والتفت سترايك ليرى روبن، لا تزال بنظارتها الشمسية، تلف الوشاح حول عنقها.

قالت لسترايك المحتار، الذي شعر أن اليوم حار بلا لبس:

– "أخبرتك."

متسائلاً ليس للمرة الأولى عن النساء وقدرتهن الغريبة على الشعور ببرودة غير موجودة، أشعل سترايك سيجارة، وانتظر بجانب اللاند روفر بينما اشترت روبن تصريح وقوف السيارات، ثم مشى معها صعودًا إلى "غراند باراد"، وهو شارع عريض يمتد على طول الواجهة البحرية.

قال سترايك، مبتسمًا بتكلف وهو يقرأ أسماء الفنادق الأكبر، التي بالتأكيد ترى نوافذها العليا البحر البعيد:

– "«ذا سافوي». «ذا كورن». «ذا تشاتسورث»."

قالت روبن:

– "لا تسخر. كنت أحب المجيء إلى سكيغنيس عندما كنت طفلة."

قال سترايك، وهما يعبران الطريق، مشيرًا لأعلى شارع "سكاربورو" العريض:

– "يجب أن يكون «ألارديس» هناك. نعم، إنه ذاك، الذي بمظلة زرقاء."

توقفا عند الزاوية، بجانب فندق ضخم على طراز تيودور المقلد يتباهى بـ "مقهى ومطعم جوبيلي". كان الزبائن المبكرون لكل من الجعة والقهوة جالسين على الطاولات الخارجية، يستمتعون بأشعة الشمس.

قال سترايك، مشيرًا إلى إحدى طاولات الرصيف هذه:

– "مكان مثالي للمراقبة. سيعجبني كوب من الشاي."

– "حسنًا، سأطلب أنا. أحتاج للمرحاض، على أية حال. هل ستتصل به أم تريد مني أن أفعل ذلك؟"

قال سترايك، غائصًا بالفعل في أحد الكراسي، ومخرجًا هاتفه المحمول:

– "سأفعل أنا."

بينما اختفت روبن داخل البار، أشعل سترايك سيجارة، ثم ضغط رقم ألارديس، وعيناه على واجهة نزل المبيت والإفطار. كان يقف في صف من ثمانية مبانٍ حمراء طويلة، تم تحويل العديد منها إلى نزل صغيرة ولها مظلات PVC (بلاستيكية) مماثلة ذات حواف متموجة فوق المداخل. ستائر دانتيل بيضاء ناصعة علقت في كل نافذة تقريبًا.

قالت امرأة اسكتلندية، بدت مائلة للحدة:

– "صباح الخير، ألارديس."

قال سترايك، متصنعًا اللامبالاة والثقة:

– "هل ستيف موجود؟"

– "هل هذا أنت يا باري يا عزيزي؟"

– "أجل."

– "إنه في طريقه الآن. لم يكن لدينا سوى القليل، آسفة. لكن أسدِ لي معروفًا يا باري، ولا تؤخره، لأن هناك أربعة أسرّة لتغييرها هنا ومن المفترض أن يحضر لي المزيد من الحليب."

– "حسنًا،" قال سترايك، ولأنه لا يريد نطق مقطع لفظي آخر قد يكشف أنه ليس باري، أغلق الخط.

سألت روبن بقلق، وهي تسقط في المقعد المقابل لسترايك:

– "هل هو هناك؟"

كانت قد غسلت يديها في الحمام، لكنهما كانتا لا تزالان رطبتين، لأنها كانت في عجلة من أمرها للعودة لسترايك.

قال سترايك، نافضًا رماد سيجارته في الدلو المعدني الوردي الصغير الموضوع على الطاولة لهذا الغرض:

– "لا. إنه يوصل شيئًا لرجل في أعلى الطريق وسيعود بعد قليل، حاملاً الحليب."

قالت روبن بهدوء، ملتفتة للنظر من فوق كتفها إلى المظلة الزرقاء الملكية لألارديس، والتي نُقش الاسم عليها بحروف بيضاء متعرجة:

– "أوه."

أحضر النادل إبريقين معدنيين وفناجين صينية، وشرب المحققان الشاي في صمت، سترايك يبقي عينًا ساهرة على ألارديس، وروبن على غراند باراد. كان البحر محجوبًا عن رؤيتها بالواجهة العريضة، متعددة الألوان لمدخل رصيف سكيغنيس البحري، الذي أعلن، من بين عوامل جذب أخرى، عن "بار ومطعم هوليوود" المتفائل الاسم. كبار السن يركبون دراجات التنقل صعودًا ونزولاً في غراند باراد. عائلات تتنزه مارة، تأكل الآيس كريم. كلاب المالطي ذيل الريشة، والباغ السمين والشيواوا اللاهث تهرول فوق الأرصفة الساخنة بجانب أصحابها.

تمتمت روبن فجأة:

– "كورموران."

كان رجل قد انعطف للتو عند الزاوية إلى شارع سكاربورو، وحقيبة تسوق ثقيلة تتدلى من يده. كان شعره الرمادي مقصوصًا بشكل قصير حول الأذنين، لكن بضع خصلات كانت ممشطة فوق مساحة واسعة من الجبهة المتعرقة. كتفاه المستديران ونظرته البائسة (Hangdog) أعطته مظهر رجل طحنته الحياة إلى طاعة كئيبة. نفس القميص الفيروزي (تي شيرت) الذي ارتداه في صورة الكاريوكي كان مشدودًا بإحكام فوق كرش الجعة الخاص به. عبر دوثويت الطريق، وصعد الدرجات الثلاث المؤدية لباب ألارديس الأمامي، ومع ومضة شمس على الزجاج، اختفى عن الأنظار.

سأل سترايك، متجرعًا بقية شايه وواضعًا كوبه الفارغ مرة أخرى على الصحن:

– "هل دفعتِ ثمن هذا؟"

– "نعم."

– "إذن لنذهب،" قال سترايك، مسقطًا سيجارته في الدلو المعدني ورافعًا نفسه للوقوف، "قبل أن يتمكن من الاختفاء في الطابق العلوي والبدء في تغيير الأسرّة."

عبرا الطريق بأسرع ما يمكن لسترايك المشي وتوجها صعودًا على الدرجات الأمامية، التي طليت باللون الأزرق الشاحب. سلال من زهور البتونيا الأرجوانية تتدلى تحت نوافذ الطابق الأرضي وتشكيلة من الملصقات تزين الجزء الزجاجي من الباب الأمامي، أحدها يعلن أن هذا سكن ثلاث نجوم، وآخر يطلب من الضيوف مسح أقدامهم.

أعلن جرس رنان عن وصولهم. كانت الردهة المهجورة ضيقة، وسلالمها مغطاة بسجاد ترتان أزرق داكن وأخضر. انتظرا بجانب طاولة محملة بمنشورات حول مناطق الجذب المحلية، يتنفسان مزيجًا من الطعام المقلي ومعطر جو قوي برائحة الورد.

قالت امرأة ذات شعر قصير مصبوغ بلون الكناري الأصفر خرجت من باب على اليمين: "... وبولا لديها أنابيب جديدة في أسرّة التسمير الخاصة بها." كان خط عمودي عميق محفورًا في منتصف جبهتها. حافية الساقين، كانت ترتدي مئزرًا مزينًا ببقرة هايلاند فوق قميصها وتنورتها الجينز، وزوجًا من صنادل دكتور شول.

قالت:

– "ليس لدينا شواغر، آسفة."

سأل سترايك:

– "هل أنتِ دونا؟ كنا نأمل في كلمة مع ستيف."

– "عن ماذا؟"

قال سترايك، مخرجًا محفظته ليعطيها بطاقة:

– "نحن محققان خاصان، ونحقق في –"

ظهرت سيدة عجوز بدينة بشكل ضخم على البسطة فوقهم. كانت ترتدي "ليغينغز" (طماق) ورديًا فاقعًا وقميصًا يحمل شعار *"كلما قابلت ناسًا أكثر، أحببت كلبي أكثر"*. لاهثة بشكل مسموع، بدأت في النزول جانبيًا، وكلتا يديها تقبضان على الدرابزين.

أنهى سترايك بهدوء، وهو يعطي دونا بطاقته:

– "– قضية شخص مفقود."

في تلك اللحظة، ظهر ستيف دوثويت من خلف زوجته، وكومة من المناشف بين ذراعيه. عن قرب، كانت عيناه الداكنتان محتقنتين بالدم ومنتفختين. كل ملامحه قد خشنها العمر و، ربما، الشراب. سلوك زوجته، والبطاقة في يدها ووجود الغريبين اللذين ينظران إليه الآن جعله يتوقف، وعيناه الداكنتان خائفتان فوق كومة مناشفه.

تمتمت دونا، قارئة البطاقة:

– "كورموران سترايك؟ ألست أنت الذي..."

السيدة العجوز، التي كانت بالكاد في منتصف الدرج، كانت الآن تصفّر بشكل مسموع.

تمتمت دونا، مشيرة لسترايك وروبن نحو الغرفة التي خرجت منها للتو:

– "ادخلا هنا. وأنت،" قالت بحدة لزوجها.

دخلا غرفة جلوس عامة صغيرة، بتلفزيون مثبت على الحائط، وخزانة كتب قليلة المخزون ونبتة عنكبوت بائسة المظهر تجلس في جرة ذات قاعدة. من خلال قوس كانت هناك غرفة إفطار، حيث كانت خمس طاولات طعام متراصة بإحكام يتم مسحها من قبل شابة تبدو ساخطة وترتدي نظارة، والتي سرعت من وتيرتها بشكل ملحوظ عندما أدركت أن دونا قد عادت. خمنت روبن أنهما أم وابنتها. رغم أن الشابة كانت سمراء وليست شقراء، إلا أن الحياة حفرت أخدودًا متطابقًا من عدم الرضا في جبهتها.

قالت دونا فجأة:

– "اتركي ذلك يا كيرستي. خذي هذه المناشف للأعلى، هلا فعلت؟ وأغلقي الباب."

أراحت كيرستي دوثويت بصمت من كومة المناشف الخاصة به وغادرت الغرفة، وشباشبها تصفع أسفل قدميها العاريتين (بدون جوارب). انغلق الباب خلفها بنقرة.

أمرت دونا سترايك وروبن:

– "اجلسا." ففعلا، على أريكة صغيرة.

اتخذ دوثويت وضعية الوقوف، وذراعاه معقودتان، وظهره للتلفزيون. عابسًا قليلاً، انتقلت عيناه بين سترايك وروبن وعادت لزوجته. ألقى ضوء الشمس المرشح عبر ستائر الدانتيل ضوءًا لا يرحم على شعره، الذي بدا كخصلات متناثرة من الصوف الفولاذي.

قالت دونا لزوجها، محركة رأسها باتجاه سترايك:

– "إنه الذي أمسك بسفاح شاكلويل ذاك. لماذا يلاحقك؟" ارتفع صوتها في الحدة والحجم. "هل كنت تعبث مع المرأة الخطأ مرة أخرى، هاه؟ هل كنت؟"

قال دوثويت: "ماذا؟" لكن كان من الواضح أن هذا تكتيك للمماطلة: لقد فهم جيدًا بما فيه الكفاية. كان ساعده الأيمن موشومًا بساعة رملية، وحولها شريط ملفوف بكلمات *"أبداً لا يكفي"*.

بدأ سترايك: "سيد دوثويت"، لكن دوثويت قال بسرعة:

– "دايموند! إنه دايموند!"

سألت دونا:

– "لماذا تنادونه دوثويت؟"

قال سترايك بغير صدق:

– "أنا آسف. خطئي. زوجك ولد باسم ستيفن دوثويت، وأنا متأكد أنكِ –"

لكن دونا بوضوح لم تكن تعلم. التفتت، مذهولة، من سترايك إلى دوثويت، الذي تجمد، وفمه مفتوح قليلاً.

كررت دونا:

– "دوثويت؟" التفتت لزوجها. "أخبرتني أن اسمك كان جاكس!"

– "أنا –"

– "متى كنت دوثويت؟"

– "– منذ عصور –"

– "لماذا لم تخبرني؟"

– "أنا – ما الذي يهم؟"

رن الجرس مرة أخرى وسُمعت مجموعة من الناس في الردهة. لا تزال مصدومة وغاضبة، خرجت دونا بخطوات واسعة لترَ ما المطلوب، وصنادلها ذات النعل الخشبي تقرقع فوق البلاط. في اللحظة التي اختفت فيها، خاطب دوثويت سترايك.

– "ماذا تريد؟"

قال سترايك:

– "لقد استأجرتنا ابنة الدكتورة مارغو بامبورو، للتحقيق في اختفائها."

ابيضت الأجزاء من وجه دوثويت التي لم تكن متوردة بالعروق المكسورة.

السيدة العجوز الضخمة التي كانت تنزل الدرج دخلت الآن الغرفة، وجهها العريض البريء يظهر مناعة تامة للجو المشحون بالداخل.

– "أي طريق لمحمية الفقمات؟"

قال دوثويت بصوت مبحوح:

– "نهاية الطريق. انعطفي يسارًا."

انسلت خارج الغرفة مرة أخرى. رن الجرس بالخارج.

قال دوثويت بسرعة، بينما ارتفع صوت خطوات زوجته مرة أخرى:

– "اسمع، أنت تضيع وقتك. لا أعرف شيئًا عن مارغو بامبورو."

سأل سترايك، مخرجًا نسخة من جيبه الداخلي:

– "ربما يمكنك إلقاء نظرة على إفادتك القديمة للشرطة، على الأقل."

قالت دونا، العائدة الآن للغرفة:

– "ماذا؟ أي إفادة شرطة؟ أوه، بحق المسيح،" قالت، بينما رن الجرس مرة أخرى، وخرجت بقعقعة من الغرفة وصرخت لأعلى الدرج: "كيرستي! كيرس-تي!"

قال دوثويت، ناظرًا لسترايك بعيون محتقنة بالدم، وجبهته تتصبب عرقًا:

– "تلك الطبيبة، كل ذلك حدث قبل نيف وأربعين عامًا، لا أعرف شيئًا عما حدث، لم أعرف قط."

عادت دونا المنهكة.

قالت، محدقة بغضب في زوجها:

– "كيرستي ستهتم بالباب الأمامي. سنذهب للأعلى. غرفة «لوشناغار» فارغة. لا يمكننا الذهاب لغرفتنا،" أضافت لسترايك وروبن، مشيرة نحو القبو، "أحفادي هناك، يلعبون ألعاب الكمبيوتر."

رفع دوثويت بنطاله وألقى نظرة جامحة خارج ستائر الدانتيل، وكأنه يفكر في الهروب.

قالت دونا بضراوة:

– "تعال."

ومع عودة نظرته البائسة، تبع زوجته خارج الباب.

مرت كيرستي بهم، متجهة للطابق الأرضي، بينما صعدوا سلالم الترتان الشديدة الانحدار، وسترايك يستخدم الدرابزين بحرية لسحب نفسه للأعلى. أمل أن تكون لوشناغار في الطابق الأول، لكنه أصيب بخيبة أمل. كانت تقع، كما يوحي الاسم (اسم جبل)، في قمة النزل، وتواجه الجزء الخلفي من المبنى.

كان الأثاث بالداخل مصنوعًا من خشب الصنوبر الرخيص. رتبت كيرستي المناشف على شكل بجعتين تتبادلان القبل على مفرش السرير القرمزي، الذي طابق ورق الحائط المزخرف بالقرمزي والأرجواني الداكن. أسلاك تتدلى من خلف التلفزيون المثبت على الحائط. غلاية بلاستيكية تجلس في الزاوية على طاولة منخفضة، بجانب مكبس السراويل (Corby trouser press). من خلال النافذة لمح سترايك البحر أخيرًا: شريط ذهبي لامع يقع منخفضًا بين المباني، في الضباب الذي خلقته ستائر الدانتيل.

عبرت دونا الغرفة وأخذت الكرسي الوحيد. كانت يداها تقبضان على ذراعيها العلويين بقوة لدرجة أن اللحم بدا أبيض.

أخبرت سترايك وروبن:

– "يمكنكما الجلوس."

لعدم وجود مكان آخر للقيام بذلك، جلس كلاهما على طرف السرير المزدوج، بغطائه القرمزي الزلق. بقي دوثويت عند الباب، ظهره عليه، وذراعاه معقودتان، عارضًا وشم الساعة الرملية.

سردت دونا:

– "دايموند، جاكس، دوثويت. كم اسمًا آخر كان لديك؟"

قال دوثويت، محاولاً الضحك، لكنه فشل:

– "لا شيء."

طالبت:

– "لماذا غيرت اسمك من دوثويت إلى جاكس؟ لماذا كانت الشرطة تلاحقك؟"

نعق دوثويت:

– "لم يكونوا يلاحقونني. كان هذا منذ زمن بعيد. أردت بداية جديدة، هذا كل شيء."

– "كم بداية جديدة يحتاجها رجل واحد؟ ماذا فعلت؟ لماذا اضطررت لتقديم إفادة للشرطة؟"

– "اختفت طبيبة،" قال دوثويت، بنظرة لسترايك.

– "أي طبيبة؟ متى؟"

– "كان اسمها مارغو بامبورو."

كررت دونا، وجبهتها مشقوقة بخط العبوس العميق ذاك:

– "بامبورو؟ لكن ذلك... كان ذلك في كل الأخبار..."

قال دوثويت بسرعة:

– "استجوبوا جميع المرضى الذين رأتهم قبل اختفائها. كان إجراءً روتينيًا! لم يكن لديهم أي شيء ضدي."

قالت دونا:

– "لابد أنك تظن أنني ولدت البارحة بحق الجحيم. هم،" أشارت لسترايك وروبن، "لم يتعقبوك لأنها كانت استفسارات روتينية، أليس كذلك؟ لم تغير اسمك اللعين لأنها كانت استفسارات روتينية! كنت تضاجعها، أليس كذلك؟"

قال دوثويت، بأول علامة على المقاومة:

– "لا، لم أكن أضاجعها بحق الجحيم!"

بدأ سترايك:

– "سيد دوثويت."

قال دوثويت، بيأس أكثر منه غضبًا:

– "دايموند! إنه دايموند!"

– "سأكون ممتنًا لو قرأت إفادة الشرطة الخاصة بك، لترى ما إذا كان لديك أي شيء لتضيفه."

بدا دوثويت وكأنه يود الرفض، لكن بعد تردد طفيف أخذ الأوراق وبدأ في القراءة. كانت الإفادة طويلة، تغطي انتحار جوانا هاموند، عشيقته السابقة المتزوجة، والضرب الذي تحمله على يد زوجها، والقلق والاكتئاب الذي أدى للعديد من الزيارات لعيادة سانت جون، وتأكيده أنه لم يشعر تجاه مارغو بامبورو بأكثر من امتنان معتدل لخبرتها السريرية، وإنكاره أنه أحضر أو أرسل لها هدايا أبدًا، وحجة غيابه الواهية وقت اختفائها.

قال دوثويت أخيرًا، مادًا الأوراق مرة أخرى لسترايك:

– "أجل، ليس لدي ما أضيفه لذلك."

قالت دونا فورًا:

– "أريد قراءتها."

قال دوثويت:

– "لا علاقة للأمر بـ – إنه قبل أربعين عامًا، إنه لا شيء."

قالت بضراوة:

– "اسمك الحقيقي دوثويت وأنا لم أعرف حتى قبل خمس دقائق! لدي الحق في معرفة من تكون، لدي الحق في المعرفة، لأتمكن من تقرير ما إذا كنت مغفلة لعينة للبقاء معك، بعد الـ..."

قال دوثويت بتبجح غير مقنع:

– "حسنًا، اقرئيها، هيا." وناول سترايك الإفادة لدونا.

بالكاد قرأت لمدة دقيقة عندما انفجرت:

– "كنت تنام مع متزوجة – وقتلت نفسها؟"

– "لم أكن – لم نكن – مرة واحدة، حدث ذلك، مرة واحدة! لا أحد يقتل نفسه بسبب ذلك!"

– "لماذا فعلتها إذن؟ لماذا؟"

– "كان زوجها وغدًا."

– "زوجي وغد. لم أقتل نفسي!"

– "بحق المسيح يا دونا –"

– "ماذا حدث؟"

– "لم يكن شيئًا! اعتدنا التسكع معًا، قلة من الشباب في العمل وزوجاتهم وما إلى ذلك، وذات ليلة كنت في الخارج مع بعض الأصدقاء الآخرين واصطدمت بجوانا، التي كانت مع بعض الصديقات و... وغد ما وشى لزوجها بأننا غادرنا الحانة معًا و –"

– "وبعد ذلك اختفت هذه الطبيبة وكل شيء، وجاءت الشرطة؟"

نهضت دونا على قدميها، وإفادة دوثويت المجعدة ترتجف في يدها. روبن، التي لا تزال جالسة على الغطاء القرمزي الزلق، تذكرت اليوم الذي وجدت فيه قرط سارة شادلوك الماسي في سريرها، وظنت أنها تعرف القليل، القليل جدًا، مما تمر به دونا.

قالت دونا بغضب:

– "كنت أعلم أنك خائن وكاذب لعين، لكن ثلاث صديقات ميتات؟ واحدة مأساة،" وتساءل سترايك عما إذا كانوا على وشك سماع حكمة وايلدية (نسبة لأوسكار وايلد)، "لكن ثلاث؟ كم يمكن لرجل واحد أن يكون سيئ الحظ بحق الجحيم؟"

– "لم يكن لدي أي علاقة بتلك الطبيبة أبدًا!"

صرخت دونا:

– "ستحاول مع أي واحدة!" ومخاطبة روبن، قالت: "في العام قبل الماضي، ضبطته في غرفة نوم الضيوف مع واحدة من أعز صديقاتي –"

انتحب دوثويت:

– "بحق المسيح يا دونا!"

– "– وقبل ستة أشهر –"

– "دونا –"

– "– اكتشفت أنه كان يتسلل مع إحدى زبوناتنا المنتظمات – والآن –" قالت دونا، متقدمة نحو دوثويت، وإفاداته مقبوضة في يدها. "أيها الوغد المقزز، ماذا حدث لكل هؤلاء النساء؟"

قال دوثويت، محاولاً الضحك بعدم تصديق لكنه بدا مرعوبًا فقط:

– "لم يكن لي علاقة بموت أي منهن، بحق الجحيم! دونا، كوني واقعية – تظنين أنني نوع من القتلة؟"

– "تتوقع مني أن أصدق –"

لدهشة سترايك، قفزت روبن فجأة على قدميها. ممسكة دونا من كتفيها، وجهتها للعودة إلى كرسيها.

كانت روبن تقول:

– "اخفضي رأسك، رأسك للأسفل."

عندما تحركت روبن لفك مئزر دونا، الذي كان ضيقًا حول خصرها، ورأى سترايك أن جبهة دونا، وهي كل ما استطاع رؤيته الآن وقد دفنت وجهها بين يديها، كانت بيضاء مثل ستارة الدانتيل خلفها.

قال دوثويت بوهن: "دونا؟" لكن زوجته همست:

– "ابتعد عني، أيها الوغد."

كانت روبن تقول، جاثية بجانب كرسي دونا:

– "تنفسي. أحضر لها بعض الماء،" أخبرت سترايك، الذي نهض وذهب إلى غرفة الاستحمام الصغيرة، حيث كان كوب بلاستيكي في حامل فوق الحوض. شاحبًا تقريبًا مثل زوجته، راقب دوثويت بينما أقنعت روبن دونا بالشرب.

قالت روبن لصاحبة النزل، ويدها مستقرة على كتفها:

– "ابقِ هناك، الآن. لا تنهضي."

همست دونا، ناظرة جانبيًا لروبن، وبؤبؤا عينيها ضخمان من الصدمة:

– "هل كان له علاقة بموتهن؟"

تمتمت روبن ردًا:

– "هذا ما نحن هنا لمعرفته."

التفتت ونظرت بشكل ذي مغزى لسترايك، الذي وافق بصمت على أن أفضل شيء يمكنه فعله لدونا المنكوبة هو الحصول على معلومات من دوثويت.

أخبره سترايك:

– "لدينا عدد من الأسئلة نود طرحها عليك. بوضوح لست ملزمًا بالإجابة عليها، لكنني أطرح عليك أنه سيكون في مصلحة الجميع، بما في ذلك نفسك، أن تتعاون."

قال دوثويت، ولا يزال مسطحًا ضد الباب:

– "أي أسئلة؟" ثم، في سيل من الكلمات، قال: "لم أؤذِ أحدًا قط، أبدًا، لست رجلاً عنيفًا. دونا ستخبرك، لم أرفع إصبعًا عليها غضبًا قط، ليس هذا ما أنا عليه."

لكن عندما استمر سترايك في النظر إليه فقط، قال دوثويت بتوسل:

– "انظر، لقد أخبرتك – مع جوانا – كانت ليلة واحدة. كنت مجرد طفل،" قال، وفي صدى لإيرين هيكسون، قال: "تفعل هذا النوع من الأشياء عندما تكون شابًا، أليس كذلك؟"

همست دونا:

– "وعندما تكون عجوزًا. وكل السنوات اللعينة بينهما..."

سأل سترايك دوثويت:

– "أين كنت عندما قتلت جوانا نفسها؟"

قال دوثويت:

– "في برنت. أميالاً بعيدًا! وكان لدي شهود لإثبات ذلك. اعتدنا العمل في أزواج، نبيع، كل واحد يأخذ جانبًا من الشارع، وكنت في الخارج مع رجل يدعى تادجر،" وحاول الضحك مرة أخرى. لم يبتسم أحد. "تادجر، يمكنك تخيل الغم الذي... حسنًا، كان معي طوال اليوم...

"عدنا للمكتب في وقت متأخر من بعد الظهر، وكانت هناك مجموعة من الشباب هناك، وأخبرونا أن هاموند تلقى للتو رسالة بأن زوجته قتلت نفسها...

"فظيع،" قال دوثويت الشاحب والمتعرق، "لكن باستثناء تلك الليلة الواحدة معًا، لم يكن لي علاقة بالأمر. لكن زوجها – حسنًا، كان من الأسهل لومي،" قال دوثويت، "أليس كذلك، من التفكير في سلوكه الدموي الخاص؟

"عدت للمنزل بعد ليلتين وكان يكمن لي. كمين. ضربني ضربًا مبرحًا."

قالت دونا، بنصف شهقة:

– "جيد!"

– "وجارتك، جانيس الممرضة، اعتنت –"

قالت دونا، بضحكة جوفاء:

– "مباشرة مع الجارة، أكنت كذلك يا ستيف؟ اجعل الممرضة تمسحك (تداويك)؟"

قال دوثويت بحماسة مفاجئة:

– "لم يكن الأمر كذلك!"

أخبرت دونا شاحبة الوجه روبن، التي كانت لا تزال جاثية بجانب كرسيها:

– "إنها حيلته الصغيرة. دائمًا لديه قصة حزينة جاهزة. وقعت فيها بنفسي. محطم القلب بعد غرق حب حياته... أوه يا إلهي،" همست دونا، هازة رأسها ببطء. "وكانت هي الثالثة." بضحكة صغيرة هستيرية، قالت: "بقدر ما نعرف. ربما هناك أخريات. من يدري؟"

قال دوثويت، مرة أخرى:

– "بحق المسيح يا دونا!" كانت بقع العرق تحت الإبط مرئية من خلال قميصه الفيروزي الرقيق: استطاع سترايك شم خوفه حرفيًا. "هيا، أنتِ تعرفينني، تعرفين أنني لن أؤذي أحدًا أبدًا!"

– "جانيس تقول إنها نصحتك برؤية الطبيب بشأن أعراض –"

قاطعها دوثويت بحدة، وعينه على زوجته:

– "لم تخبرني أبدًا بالذهاب للطبيب! لم أكن بحاجة لمن يخبرني، ذهبت بمبادرة مني لأنني كنت قلقًا فقط بشأن... الصداع و... في الغالب الصداع. شعرت بسوء شديد."

قال سترايك:

– "زرت مارغو ست مرات في فترة أسبوعين."

– "شعرت بالمرض، آلام معدة وما إلى ذلك... أعني، بوضوح أثر عليّ الأمر، موت جوانا، ثم حديث الناس عني..."

تمتمت دونا:

– "أوه، مسكين أنت، مسكين أنت. يا يسوع المسيح اللعين. أنت تكره الذهاب للطبيب. ست مرات في أسبوعين؟"

قال دوثويت متوسلاً:

– "دونا، كوني واقعية، كنت أشعر كالخراء! ثم تأتي الشرطة الدموية وتصور الأمر وكأنني كنت أطاردها أو شيئًا ما. كان كله صحتي!"

بدأ سترايك:

– "هل اشتريت لها –؟"

– "– شوكولاتة؟ لا!" قال دوثويت، الذي بدا فجأة مضطربًا للغاية. "إذا أرسل لها شخص ما شوكولاتة، ربما يجب أن تجدوهم. لكنه لم يكن أنا! أخبرت الشرطة أنني لم أشترِ لها أي شيء أبدًا، لم يكن الأمر كذلك –"

قال سترايك:

– "قال الشهود إنك بدوت منزعجًا وربما غاضبًا، في المرة الأخيرة التي غادرت فيها عيادة الدكتورة بامبورو. ماذا حدث خلال تلك الزيارة الأخيرة؟"

كان تنفس دوثويت سريعًا الآن. فجأة، وبشكل عدواني تقريبًا، نظر مباشرة في عيني سترايك.

بخبرته في لغة جسد المشتبه بهم الذين يتوقون للتحرر والراحة من إفراغ ما في جعبتهم، مهما كانت العواقب، عرف سترايك فجأة أن دوثويت يترنح على

حافة البوح. كان ليعطي أي شيء تقريبًا لإبعاد الرجل الآن، إلى غرفة استجواب هادئة، لكن تمامًا كما خشي، اختطفت دونا اللحظة الثمينة.

– "رفضتك، أليس كذلك؟ ماذا ظننت يا ستيف – بائع فاشل قذر لديه فرصة مع طبيبة؟"

قال دوثويت، ملتفتًا لزوجته:

– "لم أكن أبحث عن فرصة بحق الجحيم! كنت هناك من أجل صحتي، كنت في حالة يرثى لها!"

قالت دونا لروبن:

– "إنه مثل قط لعين، يتسلل وراء ظهور الجميع. سيستخدم أي شيء ليفرغ شهوته، أي شيء. حبيبته قتلت نفسها وهو يستخدم ذلك لمغازلة الممرضات والطبيبات –"

– "لم أكن، كنت مريضًا!"

بدأ سترايك مرة أخرى:

– "ذلك اللقاء الأخير –"

قال دوثويت، متجنبًا النظر في وجه سترايك الآن:

– "لا أعرف عما تتحدث، لم يكن شيئًا. الطبيبة كانت تخبرني فقط أن أهون على نفسي."

بصقت دونا:

– "وكأنك احتجت لمن يخبرك بذلك أبدًا، أيها الوغد الكسول."

قال سترايك:

– "ربما، بما أنكِ تشعرين بتوعك يا سيدة دايموند، يمكنني التحدث إلى ستيف في مكان منفصل –"

قالت دونا:

– "أوه لا لن تفعل! مستحيل! أريد –"

انفجرت في البكاء، وكتفاها يرتخيان، ووجهها بين يديها.

– "سأسمع كل شيء الآن... آخر فرصة..."

قال دوثويت بشفقة:

– "دونا –"

نشجت في أصابعها:

– "لا تفعل. إياك أن تجرؤ."

قال سترايك، آملاً العودة للزيارة الأخيرة مع مارغو في الوقت المناسب:

– "ربما، يمكننا مراجعة حجة غيابك لوقت اختفاء الدكتورة بامبورو؟"

كانت دونا تنتحب، الدموع والمخاط يتدفقان بحرية الآن. التقطت روبن منديلاً ورقيًا من الصينية بجانب الغلاية وناولتها إياه.

خاضعًا لمحنة زوجته، سمح دوثويت لسترايك بإعادته عبر حجة غيابه المهتزة للمساء المعني، متمسكًا بقصة أنه كان جالسًا دون أن يلاحظه أحد في مقهى، يمسح الصحف بحثًا عن شقق للإيجار.

– "أردت الخروج، الابتعاد عن كل القيل والقال حول جوانا. أردت فقط الابتعاد."

سأل سترايك:

– "إذن الرغبة في الانتقال لم يثيرها أي شيء مر بينك وبين الدكتورة بامبورو خلال زيارتك الأخيرة؟"

قال دوثويت، ولا يزال لا ينظر لسترايك:

– "لا. كيف يمكن ذلك؟"

سألت دونا من خلف المنديل المبلل الذي كانت تجفف به عينيها:

– "يئست منها؟ عرفت أنه جعل من نفسه أحمق. كما مع تلك الفتاة الشابة من ليدز، هاه، ستيف؟"

– "دونا، بحق الجحيم –"

قالت دونا لروبن:

– "ينسى، أنه ليس ذلك الوغد المغرور في العشرينيات من عمره بعد الآن. واهم، وغد أصلع،" نشجت.

– "دونا –"

حفزه سترايك:

– "إذن انتقلت إلى والثام فورست..."

قال دوثويت:

– "أجل. الشرطة. الصحافة. كان كابوسًا. فكرت في إنهائه، لأقول لك الـ –"

قالت دونا بوحشية:

– "خسارة أنك لم تفعل. كنت ستوفر علينا جميعًا الكثير من الوقت والمتاعب."

وكأنه لم يسمع هذا، ومتجاهلاً نظرة السخط من دوثويت، سأل سترايك:

– "ما الذي جعلك تذهب إلى كلاكتون أون سي؟ هل كان لديك عائلة هناك؟"

– "ليس لدي عائلة، نشأت في الرعاية –"

قالت دونا:

– "أوه، ليناول أحدكم كمانًا لعينًا."

قال دوثويت، مظهرًا غضبًا غير مزخرف لأول مرة:

– "حسنًا، هذا صحيح، أليس كذلك؟ ومسموح لي بقول الحقيقة عن حياتي اللعينة الخاصة، أليس كذلك؟ أردت فقط أن أكون موظف ترفيه (ريد كوت)، لأنني أغني قليلاً وبدا طريقة ممتعة لكسب العيش –"

تمتمت دونا: "ممتعة، أوه نعم، طالما أنك تستمتع يا ستيف –"

– "– الابتعاد عن الناس الذين يعاملونني كأنني قتلت شخصًا ما –"

– "وأوبس!" قالت دونا. "هناك واحدة أخرى ذهبت، في المسبح –"

– "أنتِ تعلمين جيدًا بحق الجحيم أنه لم يكن لي علاقة بغرق جولي!"

– "كيف لي أن أعرف؟ لم أكن هناك! كان ذلك قبل حتى أن نلتقي!"

– "أريتك القصة في الصحيفة!" قال دوثويت. "أريتك، يا دونا، كوني واقعية!" التفت لسترايك. "مجموعة منا كنا نشرب في شاليهنا. أنا وبعض الأصدقاء كنا نلعب البوكر. جولي كانت متعبة. غادرت قبل أن ننهي لعبتنا، مشت عائدة لشاليهها. مشت حول المسبح، انزلقت في الظلام، فقدت وعيها و –"

لأول مرة، أظهر دوثويت حزنًا حقيقيًا.

– "– غرقت. لن أنسى ذلك أبدًا. أبدًا. ركضت للخارج بملابسي الداخلية في الصباح التالي، عندما سمعت الصراخ. رأيت جثتها عندما كانوا يخرجونها من المسبح. لا تنسى شيئًا كهذا. كانت طفلة. اثنان وعشرون أو شيء من هذا القبيل. جاء والداها و... كان شيئًا مروعًا. مروعًا. لم أكن أبدًا... أن شخصًا يمكن أن يذهب هكذا. انزلاقة وتعثر...

"أجل، لذا... عندها تقدمت لوظيفة في «إنغولد ميلز بوتلينز» أعلى الطريق من هنا. وهناك التقيت بدونا،" قال، بنظرة قلقة لزوجته.

سأل سترايك:

– "إذن مغادرتك لكلاكتون أون سي وتغيير اسمك مرة أخرى لم يكن له علاقة برجل يدعى أوكدين جاء لاستجوابك عن مارغو بامبورو؟"

ارتفع رأس دونا بحدة.

قالت:

– "أوه يا إلهي، إذن حتى جزء جولي كذبة؟"

قال دوثويت بصوت عالٍ:

– "ليست كذبة! أخبرتك أنني وجولي تشاجرنا قبل يومين من موتها، أخبرتك بذلك، لأنني شعرت بذنب كبير بعد ذلك! هذا الرجل، هذا – ماذا قلت إن اسمه كان؟ أوكدين؟ – أجل، ظهر، قائلاً إنه يكتب كتابًا عن اختفاء الدكتورة بامبورو. ذهب حول كل الريد كوتس الآخرين يتحدث إليهم عني، مخبرًا إياهم جميعًا أنني كنت مشتبهًا به وكيف غيرت اسمي بعد ذلك، جاعلاً إياي أبدو مريبًا كالجحيم. وجولي كانت غاضبة حقًا مني لأنني لم أخبرها –"

قالت دونا:

– "حسنًا، لقد تعلمت ذلك الدرس حقًا، أليس كذلك يا ستيف؟ اهرب واختبئ، هذا كل ما تعرفه، وعندما يتم اكتشاف أمرك، تتسلل فقط وتجد امرأة أخرى لتئن لها، حتى تكتشف أمرك، وبعد ذلك –"

قال سترايك، مقاطعًا دونا:

– "سيد دوثويت، أريد أن أشكرك على وقتك. أعلم أنها كانت صدمة، نبش كل هذا مرة أخرى."

نظرت روبن لسترايك، مذهولة. لا يمكن أنه ينهي المقابلة هنا، بالتأكيد؟ بدا آل دوثويت (أو دايموند، كما يعتبرون أنفسهم)، مأخوذين بالمثل. استخرج سترايك بطاقة ثانية من جيبه ومدها لدوثويت.

قال المحقق:

– "إذا تذكرت أي شيء، فأنت تعرف أين تجدني. لم يفت الأوان أبدًا."

تموج وشم الساعة الرملية على ساعد دوثويت وهو يمد يده للبطاقة.

سأل دوثويت سترايك:

– "من غيري تحدثت إليه؟"

الآن وقد انتهت محنته، بدا كارهًا بشكل غريب لإنهائها. ربما، فكرت روبن، يخشى البقاء وحده مع زوجته.

قال سترايك، مراقبًا ردود فعل دوثويت:

– "زوج مارغو وعائلتها. زملاء العمل الذين لا يزالون على قيد الحياة – الدكتور غوبتا. إحدى موظفات الاستقبال، إيرين هيكسون. جانيس بيتي، الممـ –"

قالت دونا بصوت عالٍ:

– "هذا لطيف، الممرضة لا تزال متاحة يا ستيف –"

– "– حبيب سابق لمارغو، صديقتها المفضلة، وبضعة أشخاص آخرين."

قال دوثويت، الذي احمر خجلاً لمداخلة زوجته:

– "ليس دينيس كريد؟"

قال سترايك:

– "ليس بعد. حسنًا،" نظر من الزوج إلى الزوجة، "شكرًا لوقتكما. نقدر ذلك."

نهضت روبن.

قالت بهدوء لدونا:

– "أنا آسفة. آمل أن تشعري بتحسن."

تمتمت دونا: "شكرًا".

بينما وصل سترايك وروبن إلى قمة الدرج، سمعا صراخًا يندلع مرة أخرى خلف باب لوشناغار.

– "دونا، يا حبيبتي –"

– "إياك أن تجرؤ على مناداتي حبيبتي، أيها الوغد اللعين!"

قال سترايك بهدوء، بادئًا النزول على درجات الترتان الشديدة الانحدار ببطء السيدة العجوز البدينة:

– "لا جدوى من الاستمرار. لن يقولها وهي موجودة."

– "يقول ماذا؟"

قال سترايك، بينما تردد صدى صراخ آل دوثويت أسفل الدرج:

– "حسنًا، هذا، هو السؤال، أليس كذلك؟"

65

كمثل سفينة، تشق طريقها عبر المحيط الواسع
موجهةً دفتها نحو ساحلٍ معلوم،
تلقاها رياحُ معاكسة وأمواجٌ عاتية،
فتُعاق سرعتها المجنحة وتُصد،
وتتقاذفها الأنواء العاصفة؛
ومع ذلك، وعبر تجاوزها العديد من الحدود والخلجان،
تظفر بطريقها، ولا تفقد بوصلتها:
هكذا هو حالي في هذا الدرب الطويل،
الذي كثيرًا ما تعطل مساره، لكنه لم يضل أبدًا.
إدموند سبنسر ملكة الجن

أعلن سترايك، بمجرد نزولهما إلى الرصيف المشمس خارج نزل "ألارديس":

– "أنا جائع."

قالت روبن:

– "لنحصل على بعض السمك والبطاطس."

قال سترايك بحماس، وهما يتجهان نحو نهاية شارع "سكاربورو":

– "الآن تتحدثين."

– "كورموران، ما الذي يجعلك تعتقد أن دوثويت يعرف شيئًا؟"

– "ألم تري الطريقة التي نظر بها إلي، عندما سألته عن موعده الأخير مع مارغو؟"

– "لابد أنني كنت أنظر إلى دونا. كنت قلقة بجدية من أنها ستفقد الوعي."

– "تمنيت لو فعلت."

– "سترايك!"

– "كان يفكر بالتأكيد في إخباري بشيء ما، ثم أفسدت هي الأمر برمته."

عند وصولهما لنهاية الطريق، قال: "كان ذلك رجلاً خائفًا، ولا أعتقد أنه خائف من زوجته فقط... هل نذهب يسارًا أم يمينًا؟"

قالت روبن: "يمينًا"، لذا توجها على طول "غراند باراد"، مارين بمبنى طويل مفتوح الواجهة يسمى "فان لاند" (أرض المرح)، كان مليئًا بألعاب الفيديو التي تصدر أصواتًا وومضات، وآلات المخالب والخيول الميكانيكية التي تعمل بقطع النقود المعدنية ليركبها الأطفال.

– "هل تقول إن دوثويت مذنب؟"

قال سترايك، وهما يشقان طريقهما بين العائلات والأزواج المبتهجين الذين يرتدون القمصان الصيفية:

– "أعتقد أنه يشعر بذلك. نظر إلي هناك وكأنه يكاد ينفجر ليخبرني بشيء يثقل كاهله."

– "إذا كان لديه دليل فعلي، فلماذا لم يخبر الشرطة؟ كان ذلك سيبعدهم عن ظهره."

– "يمكنني التفكير في سبب واحد."

– "كان خائفًا من الشخص الذي اعتقد أنه قتلها؟"

– "بالضبط."

– "إذن... لوكا ريتشي؟"

في تلك اللحظة، نادى صوت ذكر من أعماق "فان لاند": *"أبيض سبعة وأربعة، أربعة وسبعون."*

قال سترايك، وإن لم يبدُ مقتنعًا تمامًا:

– "محتمل. دوثويت وريتشي كانا يعيشان في نفس المنطقة في ذلك الوقت. ربما يرتادان نفس الحانات. أفترض أنه ربما سمع إشاعة عن كون ريتشي ينوي النيل منها. لكن ذلك لا يتناسب مع روايات شهود العيان، أليس كذلك؟ لو كان دوثويت هو من يصدر التحذير، لتوقعنا أن تكون مارغو هي من تبدو منزعجة بعد ذلك، بينما نعلم أنه هو من خرج راكضًا من هناك يبدو خائفًا وقلقًا... لكن

حدسي يخبرني أن دوثويت يعتقد أن ما حدث بينهما في ذلك الموعد الأخير له صلة باختفائها."

كان مدخل حديقة معتنى بها جيدًا على يمينهما متوهجًا بزهور البتونيا. أمامهما، على جزيرة في وسط جزيرة مرورية، وقف برج ساعة من الطوب والحجر بارتفاع ستين قدمًا، بمظهر قوطي باهت، وبوجوه تشبه ساعة "بيغ بن" مصغرة.

سأل سترايك، عندما توقفا عند التقاطع المزدحم بجانب برج الساعة:

– "كم عدد متاجر السمك والبطاطس التي تمتلكها سكيغنيس بالضبط؟"

كانا يقفان بجوار مؤسستين لهما طاولات تمتد إلى الرصيف، وكان بإمكانه رؤية متجرين آخرين للسمك والبطاطس على الجانب الآخر من التقاطع.

قالت روبن:

– "لم أحصها قط. كنت دائمًا مهتمة بالحمير أكثر. هل نجرب هنا؟"

سألت، مشيرة إلى أقرب طاولة فارغة، والتي كانت بلون الفستق الأخضر وتنتمي لـ "توني تشيبي" (*نحن نبيع الجودة لا السعر*).

كرر سترايك مبتسمًا، وهو يجلس على المقعد الطويل:

– "الحمير؟"

– "هذا صحيح. سمك القد أم الحدوق؟"

قال سترايك:

– "حدوق، من فضلك." وتوجهت روبن إلى متجر الرقائق للطلب.

بعد دقيقة أو نحو ذلك، متطلعًا لرقائق البطاطس ومستمتعًا بشعور الشمس على ظهره، أصبح سترايك واعيًا بأنه لا يزال يراقب روبن، فثبت عينيه بدلاً من ذلك على كتلة ترفرف فوقه مباشرة. ورغم أن قمة الدرابزين الأصفر الذي يفصل "توني" عن "هاري رامسبوتوم" كانت مزودة بمسامير دقيقة لمنع الطيور من الهبوط عليها، إلا أن حفنة من الزرازير المرقطة كانت تفعل ذلك بالضبط، متوازنة بدقة بين الإبر، وفي الدوائر الحديدية أسفلها مباشرة، في انتظار فرصة للانقضاض على رقاقة بطاطس مهجورة.

مراقبًا الطيور، تساءل سترايك عن احتمالات اتصال دوثويت بالرقم الموجود على بطاقته. كان رجلاً له سجل طويل في الاختباء من ماضيه، لكن سترايك قرأ بالتأكيد في وجهه يأسًا لم يره إلا في وجوه الرجال الذين لم يعودوا قادرين على تحمل ضغط سر رهيب. فاركًا ذقنه بكسل، قرر سترايك منح الرجل فترة سماح قصيرة، ثم إما الاتصال به مرة أخرى، أو حتى العودة، دون إعلان، إلى سكيغنيس، حيث قد يعترض طريق دوثويت في الشارع أو حانة، حيث لا تستطيع دونا التدخل.

كان سترايك لا يزال يراقب الزرازير عندما وضعت روبن صينيتين من البوليسترين، وشوكتين خشبيتين صغيرتين وعلبتي كوكاكولا على الطاولة.

قال سترايك، ناظرًا إلى صينية روبن، حيث كانت كتلة ضخمة مما يشبه العصيدة الخضراء تجلس بجانب سمكها وبطاطسها:

– "بازلاء مهروسة."

قالت روبن وهي تجلس:

– "كافيار يوركشاير. لم أعتقد أنك سترغب في أي منها."

قال سترايك، ملتقطًا كيسًا من صلصة الطماطم بينما يراقب بشيء يشبه الاشمئزاز وروبن تغمس رقاقة بطاطس في الوحل الأخضر وتأكلها:

– "كنتِ محقة."

قالت:

– "أنت جنوبي ناعم (مدلل)." فضحك سترايك.

– "لا تدعي بولورث يسمعكِ تقولين ذلك أبدًا."

كسر قطعة من السمك بأصابعه، وغمسها في الكاتشب وأكلها. ثم، ودون سابق إنذار، انطلق يغني:

"سيفٌ صقيلٌ ويدٌ أمينة!

وقلبٌ مرحٌ وصادق!

سيدرك رجال الملك جيمس،

ما يقدر عليه فتيان كورنوال."

سألت روبن ضاحكة:

– "ما هذا بحق الأرض؟"

– "المقطع الأول من «أغنية الرجال الغربيين». الفحوى هي أن رجال كورنوال هم نقيض الأوغاد الناعمين. يا للجحيم، هذا جيد."

قالت روبن:

– "أعرف. لا تحصل على سمك وبطاطس كهذا في لندن."

لبضع دقائق أكلا في صمت. الورق المقاوم للشحوم الذي لفت به صواني البطاطس كان مطبوعًا بصفحات قديمة من صحيفة "ميرور". *بول يترك البيتلز*. كانت هناك رسوم كاريكاتورية أيضًا، من نوع البطاقات البريدية البذيئة: شقراء ممتلئة الصدر في السرير مع رئيسها المسن تقول *"العمل لابد مزدهر. لم تعطني قط هذا القدر من العمل الإضافي."* ذكرها ذلك بـ جيما المساعدة الشخصية، التي ربما اتصلت بالفعل بالرقم المزيف الذي أعطته إياها روبن، وأدركت أنه ليس حبيبها السابق، "آندي"، هو الوحيد الذي لم يكن كما بدا. لكن روبن كان لديها تسجيل على هاتفها لكل ما عرفته جيما عن تداول المراوغ الداخلي، وكانت بات، في تلك اللحظة، تفرغه في مستند خالٍ من أي شيء قد يحدد هوية المخبر. أملت روبن أن يصبح المراوغ قريباً بلا وظيفة، ومع أي حظ، في المحكمة.

حجب امتداد طويل من ألعاب الملاهي على الجانب الآخر من الطريق البحر عن نظرها. كانت مقاعد العجلة الدوارة البعيدة محاطة بأغلفة على شكل مناطيد هواء ساخن بلون الباستيل. بالجوار وقف إطار تسلق عملاق للبالغين، بحبال وإطارات متأرجحة، على ارتفاع مائة قدم في الهواء. مراقبة الأشخاص المربوطين بالأحزمة وهم يتنقلون عبر العقبات، شعرت روبن بمزيج غريب من الرضا والحزن: احتمال تطور غير معروف في قضية بامبورو، والبطاطس والبازلاء اللذيذة، وصحبة سترايك وأشعة الشمس كانت كلها مبهجة، لكنها كانت تتذكر أيضًا الركض على طول الشاطئ غير المرئي كطفلة صغيرة، محاولة سبق أخيها ستيفن للوصول إلى الحمير والاختيار أولاً. *لماذا تلسع ذكرى البراءة بهذا القدر،*

عندما تكبر؟ لماذا تسبب ذكرى الطفلة التي ظنت أنها محصنة، التي لم تعرف القسوة قط، ألمًا أكثر من المتعة؟

طفولتها كانت سعيدة، على عكس سترايك؛ لم يكن ينبغي أن تؤلم. على مدى عطلات نهاية الأسبوع الصيفية المتباعدة بسنوات، تنافست روبن وإخوتها لركوب الحمار الأسود المسمى "نودي"، الذي بلا شك رحل منذ زمن طويل. *هل الفناء، إذن، هو الذي يحول الذكريات المبهجة إلى حلوة ومرة؟* ربما، فكرت روبن، ستحضر أنابيل هنا عندما تكبر بما يكفي، وتدللها بأول ركوب حمار لها. كانت فكرة لطيفة، لكنها شكت في أن ستيفن وجيني سيريان سكيغنيس كوجهة مرغوبة لعطلة نهاية الأسبوع. انتقلت عمة أنابيل الكبرى بعيدًا عن بوستون: لم يعد هناك أي صلة عائلية بالمنطقة. الزمن يتغير، وكذلك الطفولة.

سأل سترايك، مراقبًا وجه روبن:

– "أنتِ بخير؟"

– "بخير. أفكر فقط... سأبلغ الثلاثين في غضون أسابيع قليلة."

نخر سترايك.

– "حسنًا، لن تحصلي على أي تعاطف مني. سأبلغ الأربعين في الشهر التالي."

فتح علبة الكولا الخاصة به وشرب. راقبت روبن عائلة تمر، الأربعة يأكلون الآيس كريم، يرافقهم كلب داشهند (Dachshund) يتهادى ويشمشم كيسًا يحمل علم الاتحاد (Union Jack) يتأرجح من يد الأب.

– "هل تعتقد أن اسكتلندا ستغادر؟"

قال سترايك:

– "تذهب للاستقلال؟ ربما. الاستطلاعات متقاربة. باركلي يعتقد أن ذلك قد يحدث. كان يخبرني عن بعض أصدقائه القدامى في الوطن. يبدون تمامًا مثل بولورث. نفس رموز الكراهية، نفس الوعود بأن كل شيء سيكون أقواس قزح ووحيد قرن (unicorns) فقط لو قطعوا أنفسهم عن لندن. أي شخص يشير إلى المخاطر أو

الصعوبات هو مروج للخوف. الخبراء لا يعرفون شيئًا. الحقائق تكذب. «لا يمكن للأمور أن تكون أسوأ مما هي عليه»."

وضع سترايك عدة رقائق بطاطس في فمه، ومضغ، وابتلع، ثم قال:

– "لكن الحياة علمتني أن الأمور يمكن دائمًا أن تصبح أسوأ مما هي عليه. ظننت أنني أعاني، ثم دفعوا برجل إلى الجناح (في المستشفى) نُسفت ساقاه وأعضاؤه التناسلية."

لم يتحدث أبدًا لروبن من قبل عن عواقب إصابته التي غيرت حياته. في الواقع، نادرًا ما ذكر ساقه المفقودة. *سقط حاجز بالتأكيد*، فكرت روبن، منذ حديثهما المشبع بالويسكي في المكتب المظلم.

قال، منهيًا آخر رقائق بطاطس لديه:

– "الجميع يريد حلاً واحدًا وبسيطًا. «حيلة غريبة واحدة لخسارة دهون البطن». لم أنقر عليها أبدًا، لكنني أفهم الجاذبية."

قالت روبن، وعيناها على مناطيد الهواء الساخن المزيفة، تدور في مسارها المحدد:

– "حسنًا، إعادة اختراع الذات فكرة مغرية، أليست كذلك؟ انظر إلى دوثويت، يغير اسمه ويجد امرأة جديدة كل بضع سنوات. إعادة اختراع بلد بأكمله سيبدو مذهلاً. كونك جزءًا من ذلك."

قال سترايك:

– "أجل. بالطبع، يعتقد الناس أنهم إذا دمجوا أنفسهم في شيء أكبر، وتغير ذلك الشيء، سيتغيرون هم أيضًا."

– "حسنًا، لا حرج في الرغبة في أن تكون أفضل، أو مختلفًا، أليس كذلك؟ لا حرج في الرغبة في تحسين الأمور؟"

– "على الإطلاق. لكن الأشخاص الذين يتغيرون جوهريًا نادرون، في تجربتي، لأن ذلك عمل شاق لعين مقارنة بالذهاب في مسيرة أو التلويح بعلم. هل قابلنا شخصًا واحدًا في هذه القضية يختلف جذريًا عن الشخص الذي كان عليه قبل أربعين عامًا؟"

– "لا أعرف... أعتقد أنني تغيرت." ثم شعرت بالحرج لقولها ذلك بصوت عالٍ.

نظر إليها سترايك دون ابتسامة للمدة التي استغرقها لمضغ وبلع رقاقة، ثم قال:

– "أجل. لكنكِ استثناء، أليس كذلك؟"

وقبل أن يكون لدى روبن وقت لأي شيء سوى احمرار خفيف، قال سترايك:

– "ألن تنهي تلك البطاطس؟"

قالت روبن، دافعة الصينية نحوه:

– "تفضل."

سحبت هاتفها من جيبها.

– "سأبحث عن تلك الحيلة الغريبة الواحدة لخسارة دهون البطن."

ابتسم سترايك بتكلف. بعد مسح يديها بمنديلها الورقي، تحققت روبن من رسائل بريدها الإلكتروني.

– "هل رأيت هذا من فانيسا إكوينسي؟ وضعتك في النسخة."

– "ماذا؟"

– "قد تعرف شخصًا يمكنه أن يحل محل موريس... امرأة تدعى ميشيل غرينستريت... تريد ترك الشرطة. هي في الخدمة منذ ثماني سنوات،" قالت روبن، ممررة ببطء لأسفل البريد الإلكتروني، "لا تستمتع بشرطة الاستجابة... هي في مانشستر... تريد الانتقال إلى لندن، متحمسة جدًا لجانب التحري..."

قال سترايك:

– "تبدو واعدة. لنحدد موعدًا لمقابلة. لقد اجتازت العقبة الأولى بالفعل بنجاح باهر."

نظرت روبن للأعلى.

– "أي عقبة؟"

– "أشك أنها أرسلت صورة لقضيبها لأحد من قبل."

ربت على جيوبه، وسحب علبة "بنسون آند هيدجز" لكنه وجدها فارغة.

– "أحتاج للمزيد من السجائر، لـ –"

قالت روبن، التي كانت لا تزال تحدق في هاتفها المحمول:

– "انتظر. أوه يا إلهي. كورموران – غلوريا كونتي أرسلت لي بريدًا إلكترونيًا."

قال سترايك:

– "أنتِ تمزحين."

بعد أن نهض جزئيًا، ترك نفسه يسقط مرة أخرى على المقعد.

قرأت روبن بصوت عالٍ:

– "«عزيزتي الآنسة إيلاكوت، أنا آسفة لأنني لم أجب على رسائلك الإلكترونية. لم أكن على علم بأنكِ كنتِ تحاولين الاتصال بي واكتشفت ذلك للتو. إذا كان ذلك مناسبًا، سأكون متاحة للتحدث إليكِ مساء الغد في السابعة مساءً. المخلصة...» وأعطت رقم هاتفها،" قالت روبن، ناظرة إلى سترايك بدهشة. "كيف يمكن أنها اكتشفت ذلك للتو؟ لقد مرت أشهر وأنا أراسلها دون أي رد... إلا إذا كانت آنا قد حثتها؟"

– "ممكن. وهو ما لا يوحي بشخص يريد انتهاء التحقيق."

– "بالطبع لا تريد. لكن من أجل سلامة العقل، عليك رسم خط في مكان ما."

– "إذن ماذا يجعلنا ذلك؟"

ابتسمت روبن وهزت رأسها.

– "متفانين؟"

– "كونتي: آخر شخص رأى مارغو حية. أقرب شخص لمارغو في العيادة..."

قالت روبن، التي كانت تطبع بسرعة على هاتفها المحمول:

– "أشكرها، وأوافق على المكالمة غدًا."

– "يمكننا فعل ذلك من المكتب، معًا. ربما «فيس تايم» (FaceTime)، إذا وافقت؟"

قالت روبن، ولا تزال تطبع:

– "سأسأل."

انطلقا بعد بضع دقائق بحثًا عن السجائر، وروبن تفكر في مدى سهولة موافقتها للتو على الذهاب للعمل مساء السبت، لتتمكن من إجراء مقابلة غلوريا مع سترايك. لم يعد هناك ماثيو غاضب في المنزل، يستشيط غضبًا من التزامها بساعات طويلة، ويشك فيما تفعله هي وسترايك، وحدهما في المكتب في المساء. وفكرت مرة أخرى في رفض ماثيو النظر في عينيها عبر الطاولة في جلسة الوساطة. لقد غير شريكته، وشركته؛ وقريبًا سيصبح أبًا. حياته تغيرت، لكن هل تغير هو؟

انعطفا عند الزاوية ليجدا نفسيهما يواجهان ما صنفه سترايك ذهنيًا بـ "فدادين من الخردة". على مد البصر كانت هناك رفوف من البضائع المعروضة على الرصيف: كرات شاطئ، سلاسل مفاتيح، مجوهرات رخيصة، نظارات شمسية، دلاء من غزل البنات، حلوى الفادج وألعاب محشوة.

قالت روبن فجأة، مشيرة إلى يمينها:

– "انظر إلى ذلك."

لافتة صفراء زاهية تقرأ: *حياتك بين يديك*. على الزجاج المظلم للباب أدناه كُتب: *قارئة كف. عرافة*، جنبًا إلى جنب مع مخطط دائري، وجميع علامات الأبراج الاثني عشر ممثلة بالرموز حول شمس مركزية.

قال سترايك:

– "ماذا؟"

– "حسنًا، لقد حصلت على طالعك. ربما أريد طالعي."

تمتم سترايك: "تبًا"، ومشيا، وروبن تبتسم لنفسها.

انتظرت بالخارج، تفحص البطاقات البريدية، بينما دخل سترايك بائع الصحف لشراء السجائر.

بينما كان ينتظر ليتم خدمته، استولت على سترايك نزوة مفاجئة ومثالية (حفزتها بلا شك الألوان الصارخة حوله، والشمس وأعواد الحلوى الصخرية، وقعقعة ورنين صالات الألعاب ومعدة ممتلئة ببعض من أفضل السمك والبطاطس التي أكلها على الإطلاق) لشراء حمار لعبة لروبن. عاد لرشده تقريبًا قبل أن تتشكل الفكرة: *ماذا كان، طفلاً في موعد نهاري مع حبيبته الأولى؟* خارجًا مرة أخرى إلى

ضوء الشمس وهو يغادر المتجر، لاحظ أنه لم يكن ليتمكن من شراء حمار حتى لو أراد. لم يكن هناك واحد في الأفق: الصناديق المليئة بالألعاب المحشوة لم تحتوِ إلا على حيوانات وحيد القرن (يونيكورن).

قالت روبن:

– "عودة للسيارة، إذن؟"

قال سترايك، ممزقًا السلوفان عن سجائره:

– "أجل." لكنه قال بعد ذلك: "سننزل إلى البحر قبل أن ننطلق، ما رأيك؟"

قالت روبن متفاجئة:

– "حسنًا. إم – لماذا؟"

– "فقط أرغب في ذلك. من الخطأ التواجد بجانب البحر دون أن تقع عيناك عليه فعليًا."

سألت روبن، وهما يتجهان عائدين إلى غراند باراد:

– "هل هذا شيء كورنوالي؟"

– "ربما."

أشعل السيجارة بين أسنانه. أخذ سحبة، وزفر ثم غنى:

"وعندما نأتي إلى سور لندن،

منظر يسر العين،

اخرجوا! اخرجوا! أيها الجبناء جميعًا:

هنا رجال جيدون مثلكم."

– "«أغنية الرجال الغربيين»؟"

– "هي بعينها."

– "لماذا تعتقد أنهم يشعرون بالحاجة لإخبار اللندنيين أنهم جيدون مثلهم؟ أليس ذلك أمرًا مفروغًا منه؟"

قال سترايك، وهما يعبران الطريق:

– "إنها لندن فقط، أليس كذلك؟ تغضب الجميع."

– "أنا أحب لندن."

– "وأنا كذلك. لكنني أستطيع أن أرى لماذا تغضب الجميع."

مرا بنافورة يتوسطها تمثال لـ "البحار المرح" (Jolly Fisherman)، ذلك البحار البدين الملتحي الذي يقفز في مهب الريح العاتية، والذي استخدم في الملصقات التي تعلن عن سكيغنيس لما يقرب من قرن، وتقدما عبر منطقة مرصوفة ملساء نحو الشاطئ.

أخيرًا رأيا ما شعر سترايك بالحاجة لرؤيته: امتداد واسع لمحيط مسطح، بلون العقيق الأبيض (chalcedony)، تحت سماء بلون زهرة العناقية (periwinkle). بعيدًا في البحر، مفسدًا الأفق، كان هناك جيش من توربينات الرياح البيضاء الطويلة، وبينما استمتع سترايك شخصيًا بالنسيم البارد القادم من المحيط الواسع، فهم أخيرًا لماذا أحضرت روبن وشاحًا.

دخن سترايك في صمت، والرياح الباردة لا تحدث أي فرق يذكر في شعره المجعد. كان يفكر في جوان. لم يخطر بباله حتى هذه اللحظة أن خطتها لمثواها الأخير قد منحتهم قبرًا لزيارته في أي وقت يكونون فيه على الساحل البريطاني. مولودة في كورنوال، ومتربية في كورنوال، عرفت جوان أن هذه الحاجة لإعادة الاتصال بالبحر تعيش فيهم جميعًا. الآن، في كل مرة يشقون طريقهم للساحل كانوا يقدمون لها التحية، جنبًا إلى جنب مع التوقير الواجب للأمواج.

قال بعد فترة:

– "كانت المفضلة لجوان، الورود الوردية. ما أرسلتموه، للجنازة."

قالت روبن:

– "أوه، حقًا؟ أنا... حسنًا، كانت لدي نوع من الصورة في رأسي لجوان، من الأشياء التي أخبرتني بها، و... الورود الوردية بدت تناسبها."

قال سترايك، وهما يلتفتان كلاهما بعيدًا عن البحر:

– "إذا فشلت الوكالة يومًا ما، يمكنك العودة إلى سكيغنيس وتؤسسين نفسك كعرافة."

قالت روبن، وهما يمشيان عائدين نحو موقف السيارات:

– "تخصص دقيق بعض الشيء (Niche). تخمين الزهور المفضلة للموتى."

قال سترايك، ناظرًا خلف كتفه إلى الشاطئ:

– "لا حمير."

قالت روبن بلطف:

– "لا عليك. أعتقد أنك كنت لتكون ثقيلاً بعض الشيء."

66

«تكلمي أيتها المرأة الضعيفة، تكلمي بثقة.»

إدموند سبنسر *ملكة الجن*

في المساء التالي، جلس سترايك وروبن معًا على نفس الجانب من مكتب الشركاء. كانا وحيدين في المكتب لأول مرة منذ الليلة التي تسبب فيها سترايك في إصابتها بكدمتين حول عينيها. كانت الأضواء مضاءة هذه المرة، ولا أكواب ويسكي في أيديهما، لكن كلاً منهما كان واعيًا جدًا بما حدث في المرة السابقة، وكلاهما شعر بحرج طفيف، تجلى من جانب سترايك في نبرة أكثر حدة قليلاً بينما يعدان شاشة الكمبيوتر ليتمكنا كلاهما من رؤيتها جيدًا، ومن جانب روبن في تركيزها على جميع الأسئلة التي أرادت طرحها على غلوريا.

في السادسة مساءً – التي كانت السابعة بتوقيت غلوريا – اتصل سترايك برقم غلوريا، وبعد لحظة ترقب، سمعا رنينًا، وظهرت امرأة على الشاشة، تبدو متوترة قليلاً، فيما بدا أنه مكتبة منزلية مصفوفة بالكتب. وفي إطار على الجدار خلفها، كانت صورة كبيرة لعائلة: غلوريا نفسها، وزوج يبدو متميزًا، وثلاثة أبناء بالغين، يرتدون جميعًا قمصانًا بيضاء، وكلهم جذابون بشكل ملحوظ.

من بين جميع الأشخاص الذين التقوهم وحققوا معهم بخصوص مارغو بامبورو، بدت غلوريا كونتي، في رأي روبن، الأقرب لشبهها بنفسها في شبابها، رغم أنها لم تبذل أي جهود واضحة لإخفاء علامات التقدم في السن. كان شعرها، الأبيض النقي، مقصوصًا بتسريحة قصيرة وملائمة. ورغم وجود خطوط دقيقة على

جبينها وحول عينيها، إلا أن بشرتها الفاتحة بدت وكأنها لم تتعرض كثيرًا للشمس. كانت نحيلة وذات وجنتين بارزتين، بحيث بقي هيكل وجهها كما كان في شبابها، وكان قميصها الكحلي عالي الرقبة، وأقراطها الذهبية الصغيرة، ونظارتها مربعة الإطار، أنيقة وبسيطة. فكرت روبن أن غلوريا تبدو أقرب لتصورها عن أستاذة جامعية منها لسليلة عائلة إجرامية، لكن ربما تأثرت بصفوف الكتب على الرفوف خلفها.

قالت غلوريا بتوتر:

– "مساء الخير."

قال سترايك وروبن معًا:

– "مساء الخير."

قال سترايك:

– "من اللطف الشديد منك التحدث إلينا، يا سيدة جوبير. نحن نقدر ذلك."

قالت بأدب:

– "أوه، لا داعي للشكر."

لم تتخيل روبن نطقًا فصيحًا بناءً على أوصاف إيرين هيكسون لفتاة من خلفية خشنة، لكن بالطبع، وكما هو الحال مع بول ساتشويل، أمضت غلوريا الآن وقتًا خارج بلد مولدها أطول مما قضته داخله.

قالت روبن:

– "كنا نأمل التحدث إليكِ منذ وقت طويل."

قالت غلوريا:

– "نعم، أنا آسفة جدًا لذلك. زوجي، هوغو، لم يخبرني بأي من رسائلكم، كما ترون. وجدت رسالتكم الإلكترونية الأخيرة في مجلد المهملات، بالصدفة. هكذا أدركت أنكم تحاولون الاتصال بي. هوغو... حسنًا، اعتقد أنه يفعل الصواب."

تذكرت روبن تلك المناسبة حين حذف ماثيو بريدًا صوتيًا من سترايك على هاتف روبن في محاولة لمنعها من العودة للعمل في الوكالة. فوجئت برؤية أن

غلوريا لم تبدُ مستاءة من تدخل زوجها. ربما استطاعت غلوريا قراءة أفكارها، لأنها قالت:

– "افترض هوغو أنني لن أرغب في الحديث عما حدث مع غرباء. لم يدرك أنكم، في الواقع، الأشخاص الوحيدون الذين قد أرغب في التحدث إليهم، لأنكم تحاولون معرفة ما حدث حقًا، وإذا نجحتم، سيكون ذلك... حسنًا، سيرفع ثقلاً هائلاً عن كاهلي."

سألها سترايك:

– "هل تمانعين إن دونت ملاحظات؟"

قالت غلوريا بأدب:

– "لا، على الإطلاق."

بينما نقر سترايك قلمه لإخراج الرأس، مدت غلوريا يدها خارج الكادر لتلتقط كأسًا كبيرًا من النبيذ الأحمر، أخذت رشفة، وبدا أنها تستجمع قواها وقالت بسرعة نوعًا ما:

– "رجاءً – إذا لم تمانعا – هل يمكنني شرح بعض الأمور أولاً؟ منذ الأمس، وأنا أستعيد الأمر في رأسي، وأعتقد أنني إذا قصصت عليكما حكايتي سأوفر عليكما الكثير من الوقت. إنها مفتاح لفهم علاقتي بمارغو ولماذا تصرفت... كما تصرفت."

قال سترايك وقلمه متأهب:

– "سيكون ذلك مفيدًا جدًا. تفضلي."

أخذت غلوريا رشفة أخرى من النبيذ، وأعادت كأسها لمكان لا يمكنهما رؤيته، أخذت نفسًا عميقًا وقالت:

– "توفي والداي كلاهما في حريق منزل حين كنت في الخامسة."

قالت روبن مذهولة:

– "يا للفظاعة."

كان سجل تعداد عام 1961 قد أظهر عائلة كاملة من أربعة أفراد.

– "أنا آسفة جدًا."

أصدر سترايك همهمة مواساة.

قالت غلوريا:

– "شكرًا لكما. أخبركما بذلك فقط لأشرح – كما تريان، نجوت لأن والدي رماني من النافذة إلى بطانية كان الجيران يمسكون بها. لم يقفز أمي وأبي، لأنهما كانا يحاولان الوصول لأخي الأكبر، الذي كان محاصرًا. مات ثلاثتهم، لذا رُبيت بواسطة والديّ أمي. كانا شخصين رائعين. كانا ليبيعا روحيهما لأجلي، مما يجعل كل ما سأقوله أسوأ بكثير..."

– "كنت فتاة خجولة نوعًا ما. حسدت حقًا الفتيات في المدرسة اللواتي امتلكن آباءً – كما تعلمون – مواكبين للموضة. جدتي المسكينة لم تفهم حقًا الستينيات والسبعينيات. كانت ملابسي دائمًا قديمة الطراز قليلاً. لا تنانير قصيرة ولا مكياج عيون، كما تعلمون..."

– "كان رد فعلي هو تطوير حياة خيالية معقدة للغاية. أعرف أن معظم المراهقين حالمون، لكنني كنت... متطرفة. خرج كل شيء عن السيطرة نوعًا ما حين بلغت السادسة عشرة، وذهبت لمشاهدة فيلم (العراب) The Godfather..."

قالت غلوريا بجدية:

– "الأمر سخيف، لكنها الحقيقة. لقد... تعلقت بذلك الفيلم. أصبحت مهووسة به. لا أعرف كم مرة شاهدته؛ عشرين مرة على الأقل، أتوقع. كنت تلميذة إنجليزية من (إزلينغتون) السبعينيات، لكن ما أردته حقًا هو أن أكون أبولونيا من صقلية الأربعينيات، وأقابل رجل مافيا أمريكيًا وسيمًا، وألا أنفجر بقنبلة سيارة، بل أذهب للعيش مع مايكل كورليوني في نيويورك وأكون جميلة وساحرة بينما يقوم زوجي بأشياء إجرامية عنيفة وساحرة، كلها مدعومة، كما تعلمون، بقانون أخلاقي صارم."

ضحك سترايك وروبن، لكن غلوريا لم تبتسم. على العكس، بدت حزينة وخجلة.

تابعت قائلة:

– "ظننت بطريقة ما أن كل هذا قد يكون قابلاً للتحقق، لأنني أملك اسم عائلة إيطاليًا. لم أكترث لذلك حقًا من قبل (العراب). الآن، ومن العدم، طلبت من

جديّ أن يأخذاني للكنيسة الإيطالية في شارع (كليركينويل) للقداس، بدلاً من كنيستهما المعتادة – وليباركهما الرب، فعلا ذلك. ليتهم لم يفعلا. ليتهم قالوا لي ألا أكون أنانية جدًا، لأن كنيستهما المعتادة كانت تمنحهما الكثير من الدعم وكانت مركز حياتهما الاجتماعية."

– "كنت دائمًا أشعر بأنني إنجليزية تمامًا، وهو ما كنت عليه من جانب أمي، لكنني بدأت الآن أحاول معرفة كل ما أستطيع عن عائلة أبي. أملت أن أكتشف أنني أنحدر من المافيا. حينها يمكنني إقناع جديّ بإعطائي المال للذهاب ومقابلتهم جميعًا في صقلية وربما الزواج من قريب بعيد. لكن كل ما اكتشفته هو أن جدي الإيطالي هاجر إلى لندن للعمل في مقهى. كنت أعرف بالفعل أن أبي عمل في هيئة نقل لندن. كل من اكتشفت شيئًا عنهم، مهما عدت بالزمن، كانوا محترمين تمامًا وملتزمين بالقانون. كانت خيبة أمل حقيقية."

قالت غلوريا ذلك مع تنهيدة.

– "ثم ذات أحد، في (القديس بطرس)، أشار أحدهم لرجل يدعى نيكولو ريتشي، جالسًا في مؤخرة الكنيسة الإيطالية. قالوا إنه واحد من آخر رجال عصابات (إيطاليا الصغيرة)."

توقفت غلوريا لتأخذ رشفة أخرى من النبيذ، وأعادت الكأس خارج الكادر مرة أخرى، ثم قالت:

– "على أي حال... كان لريتشي أبناء."

وضع سترايك القلم على الورق لأول مرة الآن.

قالت غلوريا بجفاء:

– "لم يكن هناك تشابه كبير، في الواقع، بين لوكا ريتشي وآل باتشينو، لكنني تمكنت من إيجاد واحد. كان يكبرني بأربع سنوات، وكل من سألته عنه قال إنه يجلب المشاكل، وهو بالضبط ما أردت سماعه. بدأ الأمر ببضع ابتسامات عابرة..."

– "خرجنا في موعدنا الأول قبل شهرين من موعد امتحاناتي. أخبرت الجدة والجد أنني أراجع دروسي في منزل صديقة مدرسة. كنت دائمًا فتاة جيدة جدًا؛ لم يحلموا أبدًا بأنني قد أكذب."

– "أردت بشدة أن أحب لوكا، لأن هذا كان طريقي إلى خيالي. كان لديه سيارة، وكان مجرمًا بالتأكيد. لم يخبرني أي شيء عن اجتماعات القمة بين رؤساء عائلات الجريمة، رغم ذلك... كان يتحدث في الغالب عن سيارته الفيات، والمخدرات وضرب الناس."

– "بعد بضعة مواعيد، كان من الواضح أن لوكا معجب بي جدًا، أو... لا،" قالت غلوريا دون ابتسامة، "ليس معجبًا، لأن ذلك يوحي بمودة حقيقية. كان يريد فقط تثبيتي، إبقائي ملكه. كنت غبية جدًا وغارقة في خيالي، ووجدت ذلك مثيرًا نوعًا ما، لأنه بدا – كما تعلمون – الموقف المافيوي المناسب. لكنني أحببت لوكا أكثر حين لم أكن معه بالفعل، حين كنت أخلط بينه وبين مايكل كورليوني في رأسي، في سريري ليلاً."

– "توقفت عن الدراسة. سيطرت حياتي الخيالية عليّ تمامًا. عشيقات رجال العصابات لم يحتجن لشهادات (A-levels). لوكا لم يعتقد أنني أحتاج لشهادات (A-levels) أيضًا. رسبت فيها جميعًا."

– "شعر جداي بخيبة أمل حقيقية، رغم أنهما كانا لطيفين جدًا بشأن الأمر،" قالت غلوريا. ولأول مرة، ارتعش صوتها قليلاً. "ثم – أعتقد أنه كان الأسبوع التالي – اكتشفا أمر مقابلتي للوكا. كانا قلقين ومستائين بشدة، لكن بحلول هذا الوقت، لم أعد أكترث حقًا. أخبرتهما أنني تخليت عن فكرة الجامعة. أردت الخروج للعمل."

– "تقدمت لوظيفة في عيادة (سانت جون) فقط لأنها كانت في قلب (إيطاليا الصغيرة)، رغم أن (إيطاليا الصغيرة) لم تعد موجودة حقًا. كان والد لوكا واحدًا من آخر الآثار المتبقية. لكن كل ذلك كان جزءًا من خيالي: كنتُ من عائلة كونتي، يجب أن أكون هناك، حيث كان أجدادي. جعل ذلك رؤية لوكا أسهل أيضًا، لأنه كان يعيش هناك."

– "ما كان يجب أن أحصل على وظيفة الاستقبال تلك أبدًا. كنت أصغر من اللازم ولم تكن لدي خبرة. كانت مارغو هي من أرادتني أن أحصل عليها."

توقفت غلوريا، وكانت روبن متأكدة من أن السبب هو اضطرارها لقول اسم مارغو لأول مرة. آخذة نفسًا عميقًا آخر، قالت:

– "وهكذا، كنت هناك، في الاستقبال مع إيرين طوال اليوم. لم يكن جداي مسجلين في (سانت جون)، لأنهما كانا يعيشان في إزلينغتون، لذا نجوت بإخبار إيرين مجموعة من الأكاذيب حول خلفيتي."

– "كنت قد خلقت شخصية كاملة بحلول ذلك الوقت. أخبرتها أن آل كونتي عائلة صقلية قديمة، وكيف كان جدي وأبي جزءًا من عائلة إجرامية ولا أعرف ماذا أيضًا. أحيانًا استخدمت مقتطفات وقطعًا أخبرني بها لوكا عن آل ريتشي. بعضها كان مأخوذًا مباشرة من (العراب). ومن سخرية القدر،" قالت غلوريا بقلب بسيط للعينين، "أن الشيء الإجرامي الوحيد الحقيقي الذي كان بإمكاني إخبارها به، لم أخبرها إياه. أبقيت فمي مغلقًا بشأن حبيبي. أخبرني لوكا ألا أتحدث عنه وعن عائلته لأشخاص آخرين أبدًا، لذا لم أفعل. أخذت كلامه على محمل الجد."

– "أتذكر، بعد بضعة أشهر من حصولي على الوظيفة، انتشرت شائعة في المنطقة المحلية بأنهم عثروا على جثة مدفونة في الخرسانة في أحد مواقع البناء في أعلى الطريق. تظاهرت أنني أعرف كل شيء عن ذلك من خلال اتصالاتي بالعالم السفلي. أخبرت إيرين أنني علمت من مصدر موثوق أن الجثة كانت لعضو في عصابة سابيني. كنت حمقاء حقًا،" قالت غلوريا بهدوء. "حمقاء صغيرة..."

– "لكن كان لدي دائمًا شعور بأن مارغو تستطيع الرؤية من خلالي تمامًا. أخبرتني بعد وقت قصير من بدايتي هناك أنها (رأت شيئًا) فيّ، أثناء المقابلة. لم يعجبني ذلك، شعرت وكأنها تتعالى عليّ. لم تعاملني أبدًا بالطريقة التي أردت أن أعامل بها، كفتاة مافيا ذكية تعرف ألاعيب الشوارع ولديها أسرار مظلمة، بل دائمًا كما لو كنت مجرد فتاة صغيرة لطيفة. إيرين لم تحب مارغو أيضًا، وكنا نتذمر منها طوال الوقت في الاستقبال. كان لدى مارغو اهتمام كبير بالتعليم والحفاظ على

المهنة، وكنا نقول كم هي منافقة، لأنها تزوجت هذا الاستشاري الغني. حين تعيش كذبة، لا شيء يهددك أكثر من الناس الذين يقولون الحقيقة..."

– "أنا آسفة،" قالت غلوريا مع هزة رأس نافدة الصبر، "ربما لا يبدو هذا ذا صلة على الإطلاق، لكنه كذلك، إذا تحملتماني قليلاً..."

قال سترايك:

– "خذي وقتك."

– "حسنًا... في اليوم التالي لعيد ميلادي الثامن عشر، تشاجرت أنا ولوكا. لا أستطيع تذكر السبب، لكنه وضع يده حول عنقي ودفعني إلى الجدار حتى لم أعد أستطيع التنفس. كنت مرعوبة."

– "أفلتني، لكن كانت هناك تلك النظرة الفظيعة في عينيه. قال: (لا تلومي إلا نفسك). وقال: (بدأتِ تتحدثين مثل تلك الطبيبة)."

– "كنت قد تحدثت معه كثيرًا عن مارغو، كما ترون. أخبرته أنها مفسدة للمتعة تمامًا، متسلطة ومتحذلقة. ظللت أكرر أشياء قالتها، لأحط من قدرها، لأخبر نفسي أنه لا قيمة لها."

– "اقتبست سيمون دي بوفوار مرة، خلال اجتماع للموظفين. شتمت حين أسقطت قلمها، فقال الدكتور برينر: (الناس يسألونني دائمًا كيف هو العمل مع سيدة طبيبة، وإذا قابلت واحدة يومًا، سأتمكن من إخبارهم). ضحكت دوروثي – وهي نادراً ما كانت تضحك – فردت عليه مارغو بحدة – أحفظ الاقتباس عن ظهر قلب الآن، بالفرنسية أيضًا – (الرجل يُعرّف كإنسان والمرأة كأنثى – وحين تتصرف كإنسان يقال إنها تقلد الذكر)."

– "تحدثت أنا وإيرين عن الأمر لاحقًا. أسميناها متباهية لاقتباسها امرأة فرنسية ما، لكن أشياء كهذه علقت في رأسي ولم أستطع إخراجها. ظننت أنني أريد أن أكون ربة منزل مافيا من الخمسينيات، لكن أحيانًا كانت مارغو مضحكة حقًا، وكنت أراقبها وهي لا تتراجع أبدًا أمام برينر، ولم يسعك إلا الإعجاب بها لذلك..."

تجرعت غلوريا جرعة كبيرة أخرى من النبيذ.

– "على أي حال، الليلة التي خنقني فيها لوكا حتى كدت أموت، ذهبت للمنزل وظللت مستيقظة أبكي نصف الليل. في الصباح التالي، ارتديت قميصًا بياقة عالية للعمل لإخفاء الكدمات، وفي الخامسة من بعد ظهر ذلك اليوم، حين غادرت العمل، ذهبت مباشرة لكشك هاتف قرب العيادة، اتصلت بلوكا وأنهيت العلاقة معه. أخبرته أنه أخافني وأنني لا أريد رؤيته بعد الآن."

– "تلقى الأمر بهدوء تام. فوجئت، لكنني ارتحت جدًا... لثلاثة أو أربعة أيام ظننت أن الأمر انتهى، وشعرت بشعور مذهل. كان الأمر مثل الاستيقاظ، أو الصعود للتنفس بعد البقاء تحت الماء. كنت لا أزال أرغب في أن أكون حبيبة رجل عصابات، لكن النسخة الخيالية كانت كافية. لقد حصلت على جرعة زائدة قليلاً من الواقع."

– "ثم، في نهاية حفلة عيد الميلاد بالعيادة، دخل لوكا، مع والده وأحد أبناء عمومته."

– "كنت مرعوبة تمامًا لرؤيتهم هناك. قال لي لوكا: (أبي أراد فقط مقابلة حبيبتي). و—لا أعرف لماذا، سوى أنني كنت مرتعبة من حدوث مشهد—قلت فقط: (أوه، حسنًا). وأمسكت معطفي وغادرت مع ثلاثتهم، قبل أن يتمكن أحد من التحدث إليهم."

– "رافقوني إلى محطة الحافلة. في الطريق، قال نيكو: (أنتِ فتاة لطيفة. لوكا كان مستاءً جدًا مما قلتِه له على الهاتف. إنه مولع بكِ جدًا، أتعلمين. لا تريدين جعله تعيسًا، أليس كذلك؟) ثم ابتعد هو وابن عم لوكا. قال لوكا: (لم تعني ما قلتِه، أليس كذلك؟) وأنا... كنت خائفة جدًا. إحضاره لوالده وابن عمه... قلت لنفسي سأتمكن من التملص من الأمر لاحقًا. فقط أبقِه سعيدًا الآن. فقلت: (لا، لم أعنه. لن تفعل شيئًا كهذا مرة أخرى أبدًا، أليس كذلك؟) فقال: (مثل ماذا؟) وكأنه لم يضغط على قصبة هوائي حتى لم أعد أستطيع التنفس. وكأنني تخيلت الأمر."

تابعت غلوريا:

– "وهكذا، استمررنا في رؤية بعضنا. بدأ لوكا يتحدث عن الزواج. ظللت أقول إنني أشعر أنني صغيرة جدًا. كل مرة اقتربت فيها من إنهاء الأمر، كان يتهمني

بخيانته، وهي أسوأ جريمة على الإطلاق، ولم تكن هناك طريقة لإثبات أنني لم أكن كذلك، إلا بالاستمرار في الخروج معه."

نظرت غلوريا الآن بعيدًا عنهما، وعيناها على شيء خارج الشاشة.

– "كنا ننام معًا بحلول ذلك الوقت. لم أكن أريد ذلك. لا أقول إنه أجبرني – ليس حقًا،" قالت غلوريا، وفكرت روبن في مساعدة المراوغ، جيما، "لكن إبقاءه سعيدًا كان الطريقة الوحيدة للاستمرار. وإلا ستكون هناك صفعة أو ما هو أسوأ. ذات مرة، أدلى بتعليق ما حول إيذاء جدتي إذا لم أحسن التصرف. صرخت فيه بجنون، فضحك، وقال إنها كانت مزحة واضحة، لكنه أراد زرع الفكرة في ذهني، ونجح."

– "ولم يكن يؤمن بمنع الحمل. كان من المفترض أن نستخدم... تعرفون، طريقة العد (فترة الأمان)،" قالت غلوريا، مادة يدها مرة أخرى لنبيذها. "لكنه كان... لنقل، كان مهملاً، وكنت متأكدة أنه يريدني حاملاً، لأنه حينها سيحاصرني، وسأتزوجه. جداي كانا ربما سيدعمانه. كانا متدينين."

– "لذا، ودون إخبار لوكا، ذهبت لمارغو لأجل حبوب منع الحمل. قالت إنها سعيدة بإعطائي إياها، لكنها لم تكن تعرف أن لدي حبيبًا حتى، لم أقل أبدًا..."

– "ورغم أنني لم أكن أحبها حقًا،" قالت غلوريا، "أخبرتها ببعض الأمر. كان المكان الوحيد الذي يمكنني فيه إسقاط القناع، كما أفترض. كنت أعلم أنها لا تستطيع إخبار أي أحد خارج غرفة استشارتها. حاولت إقناعي بالمنطق. حاولت أن تريني أن هناك طرقًا للخروج من الوضع، غير مجرد الاستسلام للوكا طوال الوقت. ظننت أن الأمر سهل عليها، بكل مالها ومنزلها الكبير الآمن..."

– "لكنها أعطتني بصيص أمل، أفترض. مرة، بعد أن ضربني، وأخبرني أنني أستحق ذلك، وأخبرني أنه يجب أن أكون ممتنة لأن لدي شخصًا يعرض عليّ مخرجًا من العيش في المنزل مع عجوزين، قلت: (هناك أماكن أخرى يمكنني الذهاب إليها)، وأعتقد أنه قلق من أن شخصًا ما عرض مساعدتي للهروب. كنت قد توقفت عن السخرية من مارغو بحلول هذا الوقت، ولم يكن لوكا رجلاً غبيًا..."

– "حينها كتب لها رسائل التهديد. بشكل مجهول، كما تعلمون – لكنني عرفت أنه هو،" قالت غلوريا. "عرفت خطه. كانت دوروثي غائبة يومًا لأن ابنها كان يجري عملية اللوزتين، فكانت إيرين تفتح البريد وفردت إحدى الرسائل، عند المكتب بجانبي تمامًا. كانت تشمت بالأمر، واضطررت للتظاهر بأنني أجد الأمر مضحكًا، لكن دون التعرف على خط اليد."

– "واجهت لوكا بالأمر. أخبرني ألا أكون غبية جدًا، بالطبع لم يكتب الرسائل، لكنني كنت أعرف أنه فعل..."

– "على أي حال – أعتقد أنه كان مباشرة بعد الرسالة الثانية – اكتشفت أن ما كنت أخشى حدوثه قد حدث. كنت حاملاً. لم أدرك أن الحبوب لن تعمل إذا كنت مصابة باضطراب في المعدة، وكنت قد أصبت بجرثومة، قبل شهر. عرفت أنني محاصرة، وكان الأوان قد فات، سأضطر للزواج من لوكا. آل ريتشي سيريدون ذلك، وجداي لن يريدا مني أن أكون أمًا غير متزوجة."

– "حينها اعترفت لنفسي بالأمر لأول مرة،" قالت غلوريا، ناظرة مباشرة لسترايك وروبن. "أنا أكره لوكا ريتشي تمامًا."

قالت روبن بهدوء:

– "غلوريا، أنا آسفة للمقاطعة، لكن هل لي أن أسألك: حين مرضتِ في حفل شواء مارغو...؟"

– "سمعتم عن ذلك، أليس كذلك؟ نعم، كان ذلك حين أصبت بجرثومة البطن. قال الناس إن أحد الأطفال قد دس شيئًا في شراب البنش، لكنني لا أعتقد ذلك. لم يمرض أحد غيري بتلك الدرجة."

من زاوية عين روبن، رأت سترايك يكتب شيئًا في دفتر ملاحظاته.

– "عدت إلى مارغو لأتأكد تمامًا ما إذا كنت حاملاً،" قالت غلوريا. "كنت أعرف أنني أستطيع الوثوق بها. انهارت أعصابي مرة أخرى في عيادتها، وبكيت بحرقة، حين أكدت الأمر. وحينها... حسنًا، كانت رائعة ببساطة. أمسكت بيدي وتحدثت معي لوقت طويل."

– "كنت أعتقد أن الإجهاض خطيئة،" قالت غلوريا. "هكذا تربيت. هي لم تعتقد أنه خطيئة، ليس مارغو. تحدثت معي عن الحياة التي من المحتمل أن أعيشها مع لوكا، إذا أنجبت الطفل. ناقشنا احتفاظي به، وحدي، لكن كلينا عرف أن لوكا لن يقبل بذلك، وأنه سيكون في حياتي للأبد إذا أنجبت طفله. كان الأمر صعبًا، حينها، أن تكوني وحيدة مع طفل. كنت أراقب جانيس الممرضة تفعل ذلك. دائمًا توازن بين ابنها والوظيفة."

– "لم أخبر لوكا، بوضوح،" قالت غلوريا. "كنت أعرف أنني إذا كنت سأفعل – سأفعل أي شيء – يجب أن أفعله بسرعة، قبل أن يلاحظ تغير جسدي، لكن الأهم من ذلك كله، قبل أن يشعر به الطفل أو..."

أحنت غلوريا رأسها فجأة، وغطت وجهها بيديها.

قالت روبن:

– "أنا آسفة جدًا. لابد أن الأمر كان فظيعًا بالنسبة لك..."

قالت غلوريا وهي تعتدل وتدفع شعرها الأبيض للخلف مرة أخرى، وعيناها مبللتان:

– "لا – حسنًا – لا يهم ذلك. أخبركما فقط، لتفهما..."

– "مارغو حجزت الموعد لي. أعطت العيادة اسمها وتفاصيل الاتصال بها واشترت لكلتينا شعرًا مستعارًا، لأنه إذا تم التعرف عليها، قد يتعرف أحدهم عليّ بالارتباط. وجاءت معي – كان يوم سبت – لهذا المكان في (برايد ستريت) (شارع العروس). لم أنسَ اسم الشارع أبدًا، لأن عروسًا هو بالضبط ما لم أرد أن أكونه، وهذا سبب وجودي هناك."

– "كانت العيادة تستخدم اسم مارغو كطبيبة محيلة، وأعتقد أنه حدث خلط ما في مكان ما، لأنهم ظنوا أن (مارغو بامبورو) هي من ستجري العملية. قالت مارغو: (لا يهم، لن يعرف أحد أبدًا، كل هذه السجلات سرية). وقالت، بطريقة ما كان الأمر مريحًا، إذا كانت هناك أي متابعة مطلوبة، يمكنهم الاتصال بها وترتيب الأمر."

– "أمسكت بيدي في طريق الدخول، وكانت هناك حين استيقظت،" قالت غلوريا، والآن تسربت الدموع من عينيها الداكنتين، ومسحتها بسرعة. "حين كنت مستعدة للعودة للمنزل، أخذتني إلى نهاية شارع جديّ في سيارة أجرة. أخبرتني بما أفعل لاحقًا، كيف أعتني بنفسي..."

– "لم أكن مثل مارغو،" قالت غلوريا وصوتها يتهدج. "لم أعتقد أن ما فعلته كان صوابًا. الرابع عشر من سبتمبر: لا أعتقد أن هذا التاريخ مر مرة واحدة، منذ ذلك الحين، دون أن أتذكر، وأفكر في ذلك الطفل."

– "حين عدت للعمل بعد بضعة أيام إجازة، أخذتني لمكتبها وسألتني كيف أشعر، ثم قالت: (والآن يا غلوريا، عليكِ أن تكوني شجاعة. إذا بقيتِ مع لوكا، سيحدث هذا مرة أخرى). قالت: (نحتاج لإيجاد وظيفة لك بعيدًا عن لندن، والتأكد من أنه لا يعرف أين ذهبتِ). وقالت شيئًا بقي معي دائمًا: (نحن لسنا أخطاءنا. ما نفعله بشأن الخطأ هو ما يظهر من نحن)."

– "لكنني لم أكن مثل مارغو،" قالت غلوريا مرة أخرى. "لم أكن شجاعة، لم أستطع تخيل ترك جديّ. تظاهرت بالموافقة، لكن بعد عشرة أيام من الإجهاض كنت أنام مع لوكا مرة أخرى، ليس لأنني أردت، بل لأنه لم يبدُ أن هناك خيارًا آخر."

– "وبعد ذلك،" قالت غلوريا، "بعد حوالي شهر من ذهابنا للعيادة، حدث الأمر. اختفت مارغو."

سُمع صوت رجل مكتوم الآن في طرف غلوريا من المكالمة. التفتت نحو الباب خلفها وقالت:

– "كلا، لا يزال جاريًا!" (Non, c’est toujours en cours!).

عائدة للكمبيوتر قالت:

– "عفوًا. أعني، آسفة."

قال سترايك:

– "سيدة جوبير – غلوريا، هل يمكن من فضلك أن تأخذينا عبر اليوم الذي اختفت فيه مارغو؟"

– "اليوم كله؟"

أومأ سترايك. أخذت غلوريا نفسًا بطيئًا للداخل، كشخص على وشك الغوص في مياه عميقة، ثم قالت:

– "حسنًا، الصباح كان طبيعيًا تمامًا. الجميع كان هناك باستثناء ويلما المنظفة. لم تكن تأتي أيام الجمعة."

– "أتذكر شيئين عن الصباح: لقاء جانيس عند الغلاية في الخلف، وحديثها المستمر عن الجزء الثاني من (العراب) الذي سيصدر قريبًا، وتظاهري بالحماس له، وشعوري الفعلي بأنني أفضل الركض لميل على الذهاب لمشاهدته... وكون إيرين مغرورة ومسرورة جدًا لأن جانيس خرجت للتو في موعد مع رجل كانت تحاول تدبير لقاء لجانيس معه منذ زمن."

– "كانت إيرين غريبة بشأن جانيس،" قالت غلوريا. "كان من المفترض أن تكونا صديقتين عظيمتين، لكنها كانت تتحدث دائمًا عن كون جانيس (أكلة رجال) نوعًا ما، وهو أمر مضحك لو عرفتم إيرين. كانت تقول إن جانيس تحتاج لتعلم مد رجليها على قدر لحافها، وأنها واهمة، تنتظر ظهور شخص مثل جيمس كان ليخطف قلبها، لأنها أم عزباء وليست بتلك الصيدة العظيمة. ظنت إيرين أن أفضل ما يمكنها أن تأمل به هو هذا الرجل من عمل إيدي، الذي بدا بسيطًا بعض الشيء. كانت إيرين تضحك دائمًا عليه لأنه يسيء فهم الأمور..."

– "كنا مشغولين نوعًا ما، كما أذكر، الأطباء الثلاثة يدخلون ويخرجون من غرفة الانتظار لمناداة مرضاهم. لا أذكر أي شيء غير عادي بشأن فترة بعد الظهر باستثناء أن إيرين غادرت مبكرًا. ادعت أنها تعاني من ألم في الأسنان، لكنني ظننت أنها كذبة في ذلك الوقت. لم تبدُ متألمة لي، حين كانت تتحدث بإسهاب عن حياة جانيس العاطفية."

– "كنت أعرف أن مارغو ستقابل صديقتها لاحقًا في الحانة. أخبرتني، لأنها كانت تملك كعكة دونات مغلفة بالنايلون في الثلاجة، وطلبت مني إحضارها لها، قبل أن ترى مريضها الأخير مباشرة، لتبقي طاقتها. كانت تحب السكر. كانت دائمًا تمد يدها لعلبة البسكويت في الخامسة. كان لديها أحد تلك الأيضات السريعة، لم يزد وزنها أبدًا، ممتلئة بالطاقة العصبية."

– "أتذكر الدونات، لأنني حين أخذتها لها، قلت: (لماذا لم تأكلي تلك الشوكولاتة وحسب؟) كان لديها علبة أخرجتها من سلة المهملات، أعتقد أنه كان اليوم السابق. أعني، كانت لا تزال في غلاف السيلوفان حين أخرجتها من السلة، لم يكن الأمر غير صحي. أحدهم أرسلها لها..."

كرر سترايك:

– "أحدهم؟"

قالت غلوريا:

– "حسنًا، كلنا اعتقدنا أنه ذلك المريض الذي كانت الشرطة مهتمة به جدًا، ستيف دوثويت. دوروثي اعتقدت ذلك، على أي حال."

– "ألم تكن هناك رسالة مرفقة؟"

قالت غلوريا:

– "كانت هناك بطاقة تقول (شكرًا)، وربما افترضت دوروثي أنه ستيف دوثويت، لأننا جميعًا اعتقدنا أنه يأتي كثيرًا. لا أعتقد أن البطاقة كانت موقعة، رغم ذلك."

– "إذن مارغو رمت العلبة في السلة، ثم أخرجتها مرة أخرى، لاحقًا؟"

قالت غلوريا:

– "أجل، لأنني ضحكت عليها بسبب ذلك. قلت: (كنت أعرف أنك لا تستطيعين المقاومة)، وضحكت هي أيضًا. وفي اليوم التالي، حين قلت: (لماذا لا تأكلينها؟) قالت: (لقد أكلتها، لقد أنهيتها)."

– "لكنها كانت لا تزال تحتفظ بالعلبة هناك؟"

– "أجل، على الرف مع كتبها. عدت للمكتب الأمامي. مريض برينر غادر، لكن برينر لم يفعل، لأنه كان يكتب الملاحظات."

سأل سترايك:

– "هل لي أن أسألك ما إذا كنت تعرفين عن إدمان الدكتور برينر للباربيتورات؟"

قالت غلوريا:

– "ماذا؟"

– "لم يخبركِ أحد عن ذلك أبدًا؟"

قالت وهي تبدو متفاجئة:

– "لا. لم تكن لدي أي فكرة."

– "لم تسمعي أبدًا أن جانيس وجدت كبسولة (أمايتال) في قاع كوب شاي؟"

– "لا... أوه. هل لهذا السبب بدأت مارغو في صنع الشاي لنفسها؟ أخبرتني أن إيرين تجعله حليبيًا أكثر من اللازم."

– "لنعد لترتيب مغادرة الجميع."

– "حسنًا، إذن، مريض الدكتور غوبتا كان التالي، وغادر الدكتور غوبتا بعد ذلك مباشرة. كان لديه عشاء عائلي يحتاج لحضوره، فغادر."

– "وبعد ذلك، وفقط حين كنت أظن أننا انتهينا لليوم، دخلت تلك الفتاة، ثيو."

قال سترايك:

– "أخبرينا عن ثيو."

– "شعر أسود طويل... داكنة البشرة. بدت رومانية أو تركية. أقراط مزخرفة، كما تعلمون: غجرية الطراز. في الواقع ظننت أنها تبدو كغجرية. لم أرها من قبل قط، لذا عرفت أنها غير مسجلة لدينا. بدت وكأنها تعاني ألمًا شديدًا، في معدتها. جاءت للمكتب وطلبت رؤية طبيب بشكل عاجل. سألت عن اسمها، فقالت ثيو... شيئًا ما. لم أسألها مرة أخرى لأنها كانت تعاني بوضوح، فأخبرتها أن تنتظر وذهبت لأرى ما إذا كان هناك طبيب متفرغ. باب مارغو كان لا يزال مغلقًا، فسألت الدكتور برينر. لم يرد رؤيتها. كان دائمًا هكذا، صعبًا دائمًا. لم أحبه قط."

– "ثم انفتح باب مارغو، وغادرت الأم والطفل اللذان كانا معها، وقالت إنها سترى الفتاة التي تنتظر."

سأل سترايك:

– "وهل كانت ثيو فتاة بالتأكيد؟"

قالت غلوريا بحزم:

– "بلا أدنى شك على الإطلاق. كانت عريضة الكتفين، لاحظت ذلك حين جاءت للمكتب، لكنها كانت امرأة بالتأكيد. ربما الكتفان هما ما جعل الدكتور برينر يقول، لاحقًا، إنها بدت كرجل، لكن بصدق..."

– "كنت أفكر فيه الليلة الماضية، وأنا أعرف أنني سأتحدث إليكما. برينر كان ربما أكبر كاره للنساء قابلته. كان يحط من قدر النساء لعدم ظهورهن بمظهر أنثوي أو التحدث (كسيدات)، لكنه احتقر إيرين أيضًا، التي كانت كثيرة الضحك وشقراء وأنثوية جدًا، كما تعلمون. أفترض أن ما أراده هو أن نكون جميعًا مثل دوروثي، خاضعات ومحترمات، بياقات عالية وأطراف ملابس منخفضة. دوروثي كانت مثل راهبة عديمة الفكاهة حقًا."

فكرت روبن في بيتي فولر، ممددة على سرير، تتظاهر بالغيبوبة، بينما يصب برينر كلمات قذرة في أذنها.

– "المريضات النساء لم يحببن برينر حقًا. كن يطلبن دائمًا التحويل لمارغو، لكن اضطررنا لرفض معظمهن، لأن قائمتها كانت ممتلئة جدًا. لكن برينر كان يقترب من التقاعد وكنا نأمل في الحصول على شخص أفضل حين يرحل."

– "إذن، نعم، غادر هو، ودخلت ثيو لرؤية مارغو. ظللت أتحقق من الوقت، لأنه كان من المفترض أن أقابل لوكا، وإذا جعلته ينتظر، كانت هناك مشاكل دائمًا. لكن موعد ثيو استمر واستمر. في السادسة والربع، خرجت ثيو أخيرًا من العيادة وغادرت."

– "خرجت مارغو بعد دقيقتين فقط. بدت منهكة تمامًا. كان يومًا حافلاً. قالت: (سأكتب ملاحظاتها غدًا، عليّ الذهاب، أونا تنتظر. أغلقي بالمفتاح الاحتياطي). لم أجب حقًا،" قالت غلوريا، "لأنني كنت قلقة جدًا من غضب لوكا مني. لذا، لم أقل وداعًا، أو أمسية سعيدة، لهذه المرأة التي أنقذت حياتي..."

– "لأنها فعلت، كما تعلمون. لم أقل ذلك لها أبدًا، لكنها فعلت..."

سالت دمعة على وجهها. توقفت غلوريا لتمسحها، ثم قالت:

– "أتذكر، بينما كانت تفتح مظلتها، انزلقت. التوى كعبها. كانت تمطر، والرصيف مبتل. ثم اعتدلت ومشت حتى غابت عن الأنظار."

– "بدأت أركض في المكان، أطفئ الأنوار، وأغلق على السجلات في خزائن الملفات. ثم تأكدت من أن الباب الخلفي مغلق، وكان كذلك – سألتني الشرطة عن ذلك. أغلقت الباب الأمامي وأقفلته، وركضت مباشرة عبر (باسينج آلي)، الذي كان بجوار العيادة تمامًا، لمقابلة لوكا في شارع (سانت جون)."

– "وكانت تلك آخر مرة رأيت فيها مارغو."

مدت غلوريا يدها مرة أخرى لكأس نبيذها شبه الفارغ، وشربته حتى آخره.

سأل سترايك:

– "هل كانت لديكِ أي فكرة عما قد يكون حدث لها؟"

قالت غلوريا بهدوء:

– "بالطبع. كنت مرعوبة من أن لوكا قد جعل شخصًا يؤذيها، أو يخطفها. كانت قد أصبحت بعبعًا بالنسبة له. كل مرة دافعت فيها عن نفسي، كان يقول أشياء فظيعة عن تأثير مارغو عليّ. كان مقتنعًا بأنها تحاول إقناعي بتركه، وهو ما كانت تفعله بالطبع. كان خوفي الأكبر هو أن يكتشف بطريقة ما ما ساعدتني على فعله... كما تعلمون. في (برايد ستريت)."

– "كنت أعرف أنه لم يستطع خطفها شخصيًا، لأنني قابلته في شارع (سانت جون)، بعد أقل من خمس دقائق من مغادرتها العيادة، وأعرف أنه لا يمكن أن يكون والده، لأن شقيقه ماركو كان في المستشفى في ذلك الوقت، والوالدان كانا معه على مدار الساعة. لكن كان للوكا أصدقاء وأبناء عمومة."

– "لم أستطع إخبار الشرطة. كان لوكا قد توقف عن التظاهر بأنه يمزح، حين هدد جديّ. سألته عما إذا كان وراء الأمر، رغم ذلك. القلق كان أكبر من أن يُحتمل: كان عليّ أن أسأل. غضب حقًا، ونعتني بأسماء – سافلة غبية، أشياء كهذه. قال، بالطبع لم يفعل. لكنه كان قد أخبرني قصصًا عن والده (الذي يجعل الناس يختفون)، لذا لم أكن أعرف..."

سألت روبن مترددة:

– "هل كان لديكِ سبب لافتراض أنه عرف... ما حدث في (برايد ستريت)؟"

قالت غلوريا:

– "أنا متأكدة تمامًا أنه لم يعرف قط. كانت مارغو أذكى منه بكثير. الشعر المستعار واستخدام اسمها وإعطائي قصة معقولة لسبب عدم قدرتي على ممارسة الجنس معه لفترة... هي السبب في نجاتي بفعلتي. لا، لا أعتقد أنه عرف أبدًا. لذا، في أفضل لحظاتي، كنت أظن، لم يكن لديه سبب قوي بما يكفي حقًا.."

انفتح الباب خلف غلوريا، ودخل رجل وسيم معقوف الأنف، أشيب الشعر، يرتدي قميصًا مقلمًا وجينز، حاملاً زجاجة نبيذ أحمر. وتبعه كلب راعٍ ألماني كبير إلى الغرفة، وذيله يهتز.

قال مبتسمًا لسترايك وروبن على الشاشة:

– "أعتذر. أنا آسف لـ... كيف نقول (interrompre)؟" سأل زوجته.

قالت:

– "مقاطعة."

– "نعم. أنا آسف للمقاطعة."

أعاد ملء كأس زوجته، وناوله لها، وربت على كتفها، ثم خرج مرة أخرى، مناديًا الكلب.

– "تعال، أوبليكس."

حين اختفى الرجل والكلب كلاهما، قالت غلوريا بضحكة صغيرة:

– "كان ذلك هوغو."

سأل سترايك، رغم أنه يعرف الإجابة:

– "كم بقيتِ في عيادة (سانت جون)، بعد اختفاء مارغو؟"

قالت غلوريا:

– "ستة، سبعة أشهر، أعتقد. وقتًا كافيًا لرؤية الشرطي الجديد يتولى الأمر. كنا جميعًا مسرورين، لأن الأول – تالبوت، أليس كذلك؟ – كان غريبًا جدًا. تنمر على ويلما وجانيس بشدة. أعتقد أن هذا ما جعل ويلما تمرض، في الواقع. كان لديها ما يكفي من الهموم دون مطاردة الشرطة لها."

سألت روبن:

– "لا تعتقدين أنها كانت تشرب، إذن؟"

قالت غلوريا هازة رأسها:

– "تشرب؟ كان ذلك كله خبث دوروثي. كانت دوروثي تحاول إلصاق السرقات بويلما. هل سمعتما عن ذلك؟"

أومأ سترايك وروبن.

– "حين لم تستطع إثبات أن ويلما كانت تأخذ المال من حقائب الناس، أشاعت أنها كانت تشرب واستقالت المرأة المسكينة. ربما كانت سعيدة بالمغادرة، لكنها كانت لا تزال خسارة لراتب، أليس كذلك؟"

– "أردت المغادرة بنفسي،" قالت غلوريا، "لكنني كنت مشلولة. كان لدي هذا الشعور الغريب جدًا بأنه، لو بقيت هناك فقط، سيصحح العالم نفسه. ستعود مارغو. فقط بعد اختفائها أدركت... ما كانت تعنيه لي..."

تنهدت غلوريا:

– "على أي حال، ذات ليلة، بعد أشهر من اختفائها، كان لوكا عنيفًا حقًا معي. كنت قد ابتسمت لرجل فتح لي بابًا بينما كنت أغادر الحانة مع لوكا، هذا ما أشعل الأمر. ضربني كما لم يضربني من قبل، في مكانه – كان لديه شقة صغيرة."

– "أتذكر قولي (أنا آسفة، أنا آسفة، لم يكن يجب أن أبتسم له). وطوال الوقت الذي كنت أقول فيه ذلك، كنت أرى – هنا –" نقرت غلوريا على رأسها، "مارغو تراقبني، وحتى وأنا أتوسل للوكا ليتوقف، وأوافق على أنني تصرفت كساقطة صغيرة، وأنه لا يجب أن أبتسم لرجال غرباء أبدًا، كنت أفكر، أنا ذاهبة يا مارغو. أنا ذاهبة لمكان لن يجدني فيه أبدًا."

– "لأن الأمر اتضح في رأسي أخيرًا. كانت قد أخبرتني أنني بحاجة لأكون شجاعة. لم يكن هناك جدوى من انتظار أي شخص آخر لينقذني. كان عليّ إنقاذ نفسي."

– "بعد أن هدأ، سمح لي بالعودة لمنزل جديّ، لكنه أراد رؤيتي مرة أخرى لاحقًا. كان الأمر دائمًا هكذا بعد أن يكون عنيفًا حقًا. كان يريد اتصالاً إضافيًا."

– "لم يضربني على وجهي. لم يفعل ذلك قط، لم يفقد السيطرة بتلك الطريقة أبدًا، لذا عدت لجديّ وتصرفت وكأن كل شيء على ما يرام. خرجت لمقابلة لوكا تلك الليلة، وأخذني للعشاء، وكانت تلك الليلة التي تقدم فيها لخطبتي، بخاتم وكل شيء."

– "وقلت نعم،" قالت غلوريا بابتسامة غريبة وهزة كتف. "وضعت ذلك الخاتم، ونظرت إليه، ولم أضطر حتى لتمثيل السعادة، لأنني كنت سعيدة بصدق. فكرت: (هذا سيشتري جزءًا من تذكرة طائرتي). مع العلم، لم يسبق لي ركوب طائرة في حياتي. كانت الفكرة تخيفني. لكن طوال الوقت، كنت أرى مارغو في رأسي. (عليكِ أن تكوني شجاعة، غلوريا)."

– "اضطررت لإخبار جديّ أنني مخطوبة. لم أستطع إخبارهما بما كنت أخطط له حقًا، لأنني خفت ألا يتمكنا من التمثيل، أو يحاولا مواجهة لوكا أو، الأسوأ، الذهاب للشرطة. على أي حال، جاء لوكا للمنزل لمقابلتهما بشكل رسمي، متظاهرًا بأنه شاب لطيف، وكان الأمر فظيعًا، واضطررت للتصرف وكأنني مبتهجة بكل ذلك."

– "كل يوم بعد ذلك، كنت أشتري جميع الصحف، وأضع دوائر حول كل الوظائف في الخارج التي قد تكون لي فرصة في الحصول عليها. كان عليّ فعل كل ذلك سرًا. طبعت سيرة ذاتية في العمل وركبت حافلة لـ (ويست إند) لإرسال جميع الطلبات بالبريد، لأنني خفت أن يراني شخص يعرف لوكا وأنا أضع الكثير من المظاريف في البريد."

– "بعد بضعة أسابيع، حصلت على مقابلة مع امرأة فرنسية كانت تبحث عن مساعدة منزلية إنجليزية، لتعلم أطفالها الإنجليزية. ما جعلني أحصل على الوظيفة حقًا هو القدرة على الطباعة. كانت تدير عملها الخاص من المنزل، لذا كان بإمكاني القيام ببعض الأعمال الإدارية لها بينما الأطفال في الحضانة. جاءت الوظيفة مع سكن وطعام، وكانت صاحبة العمل ستشتري تذكرة طائرتي، لذا لم أضطر لبيع خاتم لوكا، والتظاهر بأنني أضعته..."

– "أتعلمون، اليوم الذي ذهبت فيه لـ (سانت جون) وأخبرتهم أنني أستقيل، حدث شيء مضحك. لم يذكر أحد مارغو لأسابيع. فور اختفائها، كان الحديث عنها

هو كل ما يمكننا فعله، لكن بعد ذلك أصبح الأمر محرمًا، بطريقة ما. كان لدينا طبيب بديل جديد في غرفتها. لا أستطيع تذكر اسمه. ومنظف جديد أيضًا. لكن في هذا اليوم، وصلت دوروثي، مضطربة تمامًا، وهي لم تكن تظهر أي عاطفة، عادة..."

– "هذا المحلي... ما الكلمة؟" قالت غلوريا، طارقة أصابعها، ولأول مرة تضيع في لغتها الأم. "كنا سنقول (un dingue)... أوه، تعرفون، رجل مجنون، مخبول... غير مؤذٍ، لكنه غريب. لحية طويلة كبيرة، قذر، كنت تراه يتجول جيئة وذهابًا في شارع (كليركينويل) مع ابنه. على أي حال، كان قد اعترض طريق دوروثي نوعًا ما في منتصف الشارع، وأخبرها أنه قتل مارغو بامبورو."

– "هز الأمر دوروثي، لكن بطريقة غريبة... أرجوكم لا تظنوا أن هذا فظيع... أملت أن يكون ذلك صحيحًا. لأنه رغم أنني كنت لأعطي أي شيء لأعرف أن مارغو حية، كنت متأكدة أنها ميتة. لم تكن من النوع الذي يهرب. وكان كابوسي الأسوأ هو أن لوكا مسؤول، لأن ذلك يعني أن الأمر كله خطئي."

هزت روبن رأسها، لكن غلوريا تجاهلتها.

– "لم أخبر جديّ بالحقيقة إلا في الليلة التي سبقت موعد مغادرتي لفرنسا. لم أدعهما ينفقان أي مال على الزفاف الذي لم يكن ليحدث، لكن مع ذلك، كانت صدمة هائلة لهما. أجلستهما، وأخبرتهما بكل شيء، باستثناء الإجهاض."

– "بالطبع، كانا مذعورين. في البداية، لم يريدا مني المغادرة، أرادا مني الذهاب للشرطة. كان عليّ شرح سبب كون تلك فكرة فظيعة، وإخبارهما عن التهديدات التي وجهها لوكا، وكل ذلك. لكنهما كانا سعيدين جدًا لأنني لن أتزوجه، فقبلا بالأمر في النهاية. أخبرتهما أن الأمر سيهدأ كله، وسأعود قريبًا... رغم أنني لم أكن واثقة من صحة ذلك، أو إمكانيته."

– "أخذني جدي للمطار، باكرًا في اليوم التالي. كنا قد اتفقنا على قصة، لحين مجيء لوكا يسأل عن مكاني. كان عليهما القول إنني راودتني شكوك، لأنه كان عنيفًا، وأنني ذهبت لإيطاليا للإقامة مع بعض أقارب أبي، لأعيد التفكير في الأمور. حتى إننا لفقنا عنوانًا مزيفًا لإعطائه إياه. لا أدري إن كان قد كتب إليه أبدًا."

– "وهذا كل شيء،" قالت غلوريا، مستندة بظهرها لكرسي المكتب. "بقيت مع صاحبة عملي الأولى لسبع سنوات، وانتهى بي المطاف بمنصب مبتدئ في شركتها. لم أزر لندن مرة أخرى حتى سمعت أن لوكا تزوج واستقر." أخذت رشفة أخرى من النبيذ من الكأس التي ملأها زوجها. "زوجته الأولى شربت حتى الموت في سن التاسعة والثلاثين. كان يضربها ضربًا مبرحًا. اكتشفت كل ذلك لاحقًا."

– "ولم أكذب كذبة أخرى عن نفسي قط،" قالت غلوريا رافعة ذقنها. "لم أبالغ أبدًا، لم أتظاهر أبدًا، قلت الحقيقة المطلقة دائمًا، باستثناء نقطة واحدة. حتى الليلة، الشخص الوحيد الذي عرف بشأن الإجهاض كان هوغو، لكن الآن أنتما تعرفان أيضًا."

– "حتى لو اكتشفتما أن لوكا كان وراء ما حدث لمارغو، وتوجب عليّ حمل ذلك في ضميري للأبد، فأنا مدينة لها بالحقيقة. تلك المرأة أنقذتني، ولم أنسها أبدًا، أبدًا. كانت واحدة من أشجع وأطيب الناس الذين عرفتهم في حياتي."

67

«هناك من خلال ومضات ليلة مرصعة بالنجوم وغير محددة،
ومن خلال تلألؤ نارهم المقدسة،
استطاع أن يلمح بصيصًا من الفجر...»

إدموند سبنسر *ملكة الجن*

شكر سترايك وروبن غلوريا على وقتها وصدقها. وبعد أن ودعاها، جلس الاثنان عند مكتب الشركاء، وكل منهما غارق في أفكاره، حتى عرض سترايك على روبن إحدى عبوات المعكرونة المجففة التي يحتفظ بها كوجبات خفيفة في المكتب. رفضت روبن، وبدلاً من ذلك أخرجت كيسًا من المكسرات المشكلة من حقيبتها دون حماس، وفتحته.

بعد أن أضاف سترايك الماء المغلي إلى العبوة البلاستيكية، عاد إلى المكتب، محركًا المعكرونة بشوكة.

قال وهو يجلس مرة أخرى:

– "إنها الكفاءة. هذا ما يزعجني. حرفيًا لا أثر لها في أي مكان. أحدهم كان إما ذكيًا بشكل استثنائي، أو محظوظًا بشكل غير مسبوق. وكريد لا يزال يناسب هذه الصورة بشكل أفضل، مع لوكا ريتشي في المرتبة الثانية بفارق ضئيل."

– "باستثناء أنه لا يمكن أن يكون لوكا. لديه حجة غياب: غلوريا."

– "لكن كما تقول، كان يعرف أشخاصًا يمكنهم الاهتمام بإخفاء شخص ما – لأنه ما هي الاحتمالات، إذا خُطفت مارغو من الشارع، أن يكون هذا عملاً فرديًا بحتًا؟ حتى كريد كان لديه شركاء غير واعين. صاحبة المنزل الغافلة، التي منحته

ذلك القبو الآمن، وعامل التنظيف الجاف الذي سمح له بأخذ الشاحنة ذلك اليوم و..."

قالت روبن بحدة:

– "لا تفعل."

– "لا أفعل ماذا؟"

– "تلومهم."

– "أنا لا ألومهم، أنا..."

قالت روبن:

– "كنت أنا وماكس نتحدث عن هذا. عن الطريقة التي يُلام بها الناس – النساء عادة – لعدم معرفتهم، أو رؤيتهم – لكن الجميع مذنب بهذا النوع من التحيز. الجميع يفعل ذلك."

قال سترايك بصوت مكتوم، وفمه ممتلئ بأول لقمة من المعكرونة:

– "تظنين ذلك؟"

– "نعم. لدينا جميعًا ميل للتعميم من تجاربنا السابقة الخاصة. انظر إلى فيوليت كوبر. ظنت أنها تعرف من هو كريد حقًّا، لأنها قابلت بضعة رجال تصرفوا مثله، في أيام عملها بالمسرح."

– "رجال لم يدعوا أي أحد يدخل شققهم في القبو لأنهم كانوا يغلون جماجم؟"

قالت روبن رافضة أن تجاري سخريته:

– "أنت تعرف ما أعنيه يا سترايك. ناعم الصوت، لطيف ظاهريًا، أنثوي قليلاً. كريد أحب ارتداء وشاح الريش الخاص بها، وتظاهر بحب أغاني المسرحيات الموسيقية، فظنت أنه رجل مثلي. لكن لو كان الرجل المثلي الوحيد الذي قابلته هو ماكس، شريكي في السكن..."

قال سترايك، الذي كانت ذكرياته عن ماكس غير واضحة:

– "هو مثلي، أليس كذلك؟"

– "نعم، وهو ليس متصنعًا على الإطلاق، ويكره المسرحيات الموسيقية. بالمناسبة، لو قابلت بضعة من أصدقاء مات مغايري الجنس في نادي الرغبي، الذين لا يطيون صبرًا لحشر برتقال تحت قمصانهم والرقص بتبختر، لربما استخلصت استنتاجًا مختلفًا، أليس كذلك؟"

قال سترايك، وهو يمضغ المعكرونة ويفكر في هذه النقطة:

– "أفترض ذلك. وللإنصاف، معظم الناس لا يعرفون أي قتلة متسلسلين."

– "بالضبط. لذا حتى لو كان لدى شخص ما عادات غير معتادة، تميل تجربتنا المباشرة لافتراض أنهم مجرد غريبي الأطوار. لم تقابل (في) قط رجلاً لديه ولع بملابس النساء أو... آسفة، أنا أضجرك."

أضافت روبن ذلك لأن عيني سترايك بدا عليهما الشرود.

تمتم قائلاً:

– "لا، لستِ كذلك. أنتِ في الواقع تجعلينني أفكر... خطرت لي فكرة، أتعلمين. ظننت أنني رصدت بعض المصادفات، وجعلتني أتساءل..."

وضع عبوة المعكرونة جانبًا، ومد يده تحت المكتب وسحب أحد صناديق أدلة الشرطة نحوه، وعلى قمته كانت الأوراق التي كان يعيد فحصها آخر مرة. أخرج هذه القصاصات الورقية الآن، ونشرها أمامه مرة أخرى، واستأنف أكل المعكرونة.

قالت روبن بلمحة من نفاد الصبر:

– "هل ستخبرني عن المصادفات؟"

قال سترايك وهو ينظر إليها:

– "انتظري دقيقة. لماذا كانت ثيو تقف خارج كشك الهاتف؟"

قالت روبن مرتبكة:

– "ماذا؟"

– "لا أعتقد أنه يمكننا الشك، الآن، أليس كذلك، في أن روبي إليوت رأت ثيو بجانب كشك الهاتف ذاك قرب (ألبيمارل واي)؟ وصفها ووصف غلوريا يتطابقان تمامًا... لذا لماذا كانت ثيو تقف خارج كشك الهاتف؟"

– "كانت تنتظر الشاحنة لتقلها."

– "صحيح. لكن، ودون ذكر البديهي، جوانب أكشاك الهاتف الحمراء القديمة بها نوافذ. كانت السماء تمطر بغزارة. ثيو لم تكن تملك مظلة، وقالت روبي إن شعر ثيو كان ملتصقًا برأسها – لذا لماذا لم تحتمِ داخل كشك الهاتف، وتراقب وصول وسيلة نقلها؟ شارع (كليركينويل) طويل ومستقيم. كان سيكون لديها رؤية ممتازة من كشك الهاتف ذاك، والكثير من الوقت للخروج وإظهار نفسها لسائق الشاحنة. لماذا،" قال سترايك للمرة الثالثة، "كانت تقف خارج كشك الهاتف؟"

– "لأن... كان هناك شخص بداخله؟"

– "سيبدو هذا التفسير المنطقي. وكشك الهاتف ذاك عند نهاية (ألبيمارل واي) يمنحك رؤية لأعلى (سانت جونز لين)."

– "تظن أن أحدهم كان يتربص بمارغو؟ يراقب من كشك الهاتف ذاك؟"

تردد سترايك.

– "أسدي لي معروفًا وابحثي عن (متلازمة الكروموسوم إكس الهش) Fragile X syndrome؟"

قالت روبن وهي تضع لوزاتها وتبدأ في الكتابة:

– "حسنًا... لماذا؟"

– "كشك الهاتف ذاك يقع عند نهاية شارع عائلة آثورن."

بينما كانت روبن تستخرج نتائج البحث، سحب سترايك نسخة من إيصال إيرين هيكسون نحوه. كان الوقت المسجل عليه 3:10 مساءً. وبينما يأكل المعكرونة، كان سترايك لا يزال ينظر لقصاصة الورق حين قالت روبن قارئة من شاشتها:

– "«سميت أولاً متلازمة مارتن-بيل... جين FMR1 على الكروموسوم X تم تسلسله عام 1991»... آسفة، ما الذي تحتاجه بالضبط؟"

– "ما الإعاقات المحددة التي تسببها؟"

قالت روبن قارئة مرة أخرى:

– "«قلق اجتماعي... نقص في التواصل البصري... تحديات في تكوين العلاقات... قلق من المواقف والأشخاص غير المألوفين... قدرة ضعيفة على

التعرف على الوجوه التي شوهدت من قبل»، لكن «ذاكرة طويلة المدى جيدة، مهارات تقليد جيدة وتعلم بصري جيد». الرجال يتأثرون بشدة أكثر من النساء... حس دعابة جيد، عادة... «يمكن أن يكونوا مبدعين، خاصة بصريًا»..."

نظرت حول شاشة الكمبيوتر.

– "لماذا تريد معرفة كل هذا؟"

– "مجرد تفكير."

– "في غويلهيرم؟"

قال سترايك:

– "أجل. حسنًا، في العائلة بأكملها."

– "لكنه لم يكن مصابًا بمتلازمة إكس الهش، أليس كذلك؟"

– "لا، لا أعرف ما كانت مشكلة غويلهيرم. ربما فقط حبوب (البينيز)."

لم يبتسم وهو يلفظ الاسم هذه المرة.

– "كورموران، ما المصادفات التي لاحظتها؟"

بدلاً من الإجابة، سحب سترايك صفحتين من ملاحظات الشرطة نحوه وقرأهما مرة أخرى. وبحكم العادة، مدت روبن يدها لدفتر ملاحظات تالبوت، وفتحت الصفحة الأولى. لبضع دقائق، ساد الصمت في المكتب، ولم يلاحظ أي من الشريكين أيًا من الأصوات التي كانت مألوفة لديهما كأنفاسهما: حركة المرور المتدحرجة أسفل طريق (تشارينغ كروس)، وصيحات عرضية ومقاطع موسيقية من شارع الدنمارك بالأسفل.

بدأت الصفحة الأولى من دفتر ملاحظات بيل تالبوت بخربشات غير مرتبة لما عرفت روبن أنه أدلة وملاحظات حقيقية. كان الجزء الأكثر تماسكًا من الملاحظات، لكن أولى النجمات الخماسية ظهرت في أسفل الصفحة تمامًا، وكذلك أول ملاحظة فلكية.

أعادت روبن قراءة هذه الفقرة الأخيرة مرتين، مقطبة جبينها قليلاً. ثم نحت كيس اللوز جانبًا لتبحث في أقرب صندوق لأدلة الشرطة. استغرقها الأمر خمس

دقائق للعثور على سجل الشرطة الأصلي لإفادة روبي إليوت، وبينما كانت تبحث، ظل سترايك غارقًا بعمق في جزئه الخاص من الملاحظات.

رأيتهما بجانب كشك هاتف، امرأتان تتصارعان نوعًا ما معًا. الطويلة التي ترتدي المعطف المطري كانت تستند على القصيرة، التي ارتدت غطاء مطر بلاستيكيًا. بدتا لي كامرأتين، لكنني لم أرَ وجهيهما. بدا لي أن إحداهما كانت تحاول جعل الأخرى تمشي أسرع.

بنبض متسارع الآن، نحت روبن هذه الورقة جانبًا، وجثت على ركبتيها مرة أخرى وبدأت البحث عن سجل إفادة روبي لـ لاوسون، وهو ما استغرقها خمس دقائق أخرى.

رأيتهما بجانب كشكَي الهاتف في (كليركينويل غرين)، امرأتان تتصارعان مع بعضهما. الطويلة التي ترتدي المعطف المطري كانت تحاول جعل الصغيرة ذات غطاء المطر تمشي أسرع.

قالت روبن بإلحاح:

– "كورموران."

نظر سترايك لأعلى.

– "الأطوال معكوسة."

– "ماذا؟"

قالت روبن:

– "في إفادة روبي الأولى جدًا لتالبوت، قالت: (رأيتهما بجانب كشك هاتف، امرأتان تتصارعان نوعًا ما معًا. الطويلة التي ترتدي المعطف المطري كانت تستند على القصيرة، التي ارتدت غطاء مطر بلاستيكيًا. بدتا لي كامرأتين، لكنني لم أرَ وجهيهما. بدا لي أن إحداهما كانت تحاول جعل الأخرى تمشي أسرع)."

قال سترايك مقطبًا جبينه قليلاً:

– "صحيح."

قالت روبن:

– "وهذا ما كتبه تالبوت في ملاحظات الأبراج الخاصة به أيضًا. لكن ليس هكذا كان ينبغي أن يكون الأمر، لو كانت هاتان المرأتان هما آل فلوري. أين تلك الصورة؟"

قال سترايك دافعًا الصندوق بقدمه السليمة نحو روبن:

– "الصندوق الأول."

جثت تحت المكتب وبدأت البحث في الأوراق المصورة حتى وجدت حزمة قصاصات الصحف التي أراها إياها سترايك، قبل أشهر، في "الملوك الثلاثة".

قالت روبن:

– "ها هي. انظر. هاك."

وكانت هناك الصورة القديمة، للمرأتين اللتين تقدمتا لتقولا إنهما المرأتان المتصارعتان اللتان رأتهما روبي: الشابة الطويلة العريضة بوجهها البشوش، وأمها المسنة، التي كانت ضئيلة ومحدبة.

كررت روبن:

– "الأمر معكوس. لو استندت فيونا فلوري على والدتها، لكانت سحقتها..."

مسحت روبن السطور القليلة أسفل الصورة.

– "كورموران، الأمر لا يتطابق. فيونا تقول إنها كانت ترتدي قبعة المطر، لكن روبي تقول إن المرأة القصيرة هي التي كانت ترتدي قبعة المطر."

قال سترايك، لكن روبن استطاعت رؤية اهتمامه يزداد حدة وهو يمد يده لهذه الأوراق:

– "روبي كانت مشوشة. ربما التبس عليها الأمر..."

قالت روبن:

– "تالبوت لم يعتقد أبدًا أن آل فلوري هما من رأتهما روبي، وهذا هو السبب! الأطوال كانت معكوسة. المرأة الأطول التي رأتها روبي كانت غير متزنة، وليست الصغيرة..."

– "إذن كيف لم تخبر لاوسون أن آل فلوري لا يمكن أن يكونا من رأتهما؟"

– "نفس السبب الذي جعلها لا تخبر أحدًا أبدًا أنها رأت ثيو؟ لأنها كانت مرتبكة بسبب محاولة تالبوت إجبارها على ليّ قصتها لتناسب نظرياته؟ لأنها فقدت الثقة بنفسها، ولم تعرف ما رأته حقًا؟ كانت تمطر، وكانت تائهة، ومذعورة... بحلول الوقت الذي وصل الأمر لـ لاوسون، ربما أرادت فقط الموافقة على أنها رأت آل فلوري وتُترك وشأنها؟"

اعترف سترايك:

– "معقول."

– "كم كان طول مارغو؟"

قال سترايك:

– "خمسة أقدام وتسعة بوصات."

– "وكريد؟"

– "خمسة أقدام وسبعة بوصات."

قالت روبن بصوت خافت:

– "يا إلهي."

مرت دقيقة صمت أخرى، بينما جلس سترايك غارقًا في التفكير وروبن تعيد قراءة الإفادات المنشورة أمامها.

قال سترايك أخيرًا:

– "أكشاك الهاتف. أكشاك الهاتف اللعينة تلك..."

– "ماذا عنها؟"

– "أراد تالبوت من روبي أن تكون قد رأت المرأتين المتصارعتين بجانب كشكَي الهاتف في (كليركينويل غرين)، صحيح؟ لكي يربطهما بالشاحنة التي كانت تسرع مبتعدة صعودًا في شارع (أيلزبري)، والتي كان من المفترض أن تحتوي على كريد."

قالت روبن:

– "صحيح."

– "لكن بعد تقدم آل فلوري، حاول تالبوت جعل روبي توافق على أنها رأت المرأتين المتصارعتين بجانب كشك الهاتف الأول، الذي يقع عند نهاية (ألبيمارل واي)."

قالت روبن:

– "لكنها رفضت تغيير قصتها، لأنها رأت ثيو هناك."

قال سترايك:

– "بالضبط، لكن ذلك لا يبدو منطقيًا."

– "أنا لا..."

– "هي تقود في دائرة هائلة تحت المطر، صحيح، باحثة عن هذا المنزل الذي لا تستطيع العثور عليه، صحيح؟"

– "نعم..."

– "حسنًا، فقط لأن روبي رأت ثيو تركب شاحنة بجانب كشك الهاتف في إحدى دوراتها، لا يعني أنها لا يمكن أن تكون قد رأت امرأتين تتصارعان في دورتها الثانية أو الثالثة. نحن نعرف أنها كانت مشوشة بشأن المعالم، وغير معتادة على المنطقة وبلا حس بالاتجاهات، ابنتها كانت واضحة جدًا بشأن ذلك. لكن لديها هذه الذاكرة البصرية القوية، إنها شخص يلاحظ الملابس وتسريحات الشعر..."

نظر سترايك لأسفل المكتب مرة أخرى، وللمرة الثانية، التقط إيصال إيرين هيكسون وفحصه. ثم، وفجأة لدرجة جعلت روبن تنتفض، ترك سترايك الإيصال يسقط ووقف، مشبكًا كلتا يديه خلف رأسه.

قال:

– "تبًا. تبًا! لا تثق أبدًا بمكالمة هاتفية لم تتحقق من مصدرها!"

سألت روبن بتوتر، مسترجعة بذاكرتها أي مكالمات هاتفية تلقتها خلال مسار القضية:

– "أي مكالمة هاتفية؟"

قال سترايك، وهو يمشي خارج الغرفة إلى المكتب الخارجي ثم يعود، لا يزال يشبك يديه خلف رأسه، محتاجًا بوضوح للمشي، تمامًا كما احتاجت روبن للمشي حين اكتشفت أن سترايك يمكنه مقابلة كريد:

– "بحق الجحيم. كيف لم أرَ ذلك تباً؟"

– "كورموران، ماذا...؟"

قال سترايك:

– "لماذا احتفظت مارغو بعلبة شوكولاتة فارغة؟"

قالت روبن مرتبكة:

– "لا أعرف."

قال سترايك ببطء:

– "أتعلمين ماذا؟ أعتقد أنني أعرف."

68

... لقد كان ضبعًا،
يقتات على لحوم النساء، كما تقتات الوحوش الأخرى على العشب.
إدموند سبنسر ملكة الجن

يقع مستشفى "برودمور" (Broadmoor) للأمراض العقلية شديد الحراسة على بعد ساعة ونيف خارج لندن، في مقاطعة بيركشاير. فقدت كلمة "برودمور" منذ زمن طويل كل ارتباطاتها الريفية في العقل الجمعي للجمهور البريطاني، ولم يكن سترايك استثناءً لهذه القاعدة. بعيدًا عن الإشارة إلى امتداد واسع من الأراضي العشبية أو المروج، كان الاسم يعني لسترايك فقط العنف، والجرائم الشنيعة ومائتي رجل من أخطر الرجال في بريطانيا، الذين أطلقت عليهم الصحف الشعبية لقب "وحوش".

وبناءً عليه، ورغم حقيقة أن سترايك كان يعلم أنه يزور مستشفى وليس سجنًا، فقد اتخذ جميع إجراءات الحس السليم التي كان سيتخذها لسجن شديد الحراسة: لم يرتد ربطة عنق، وتأكد من أنه وسيارته لا يحملان أي شيء من المرجح أن يؤدي إلى تفتيش مرهق، وأحضر نوعين من بطاقات الهوية المصورة ونسخة من رسالته من وزارة العدل، وانطلق مبكرًا، متيقنًا، رغم أنه لم يذهب إلى هناك من قبل، أن الدخول إلى المنشأة سيستغرق وقتًا طويلاً.

كان صباحًا ذهبيًا من صباحات سبتمبر. أشعة الشمس تنهمر على الطريق أمامه من بين سحب بيضاء رقيقة، وبينما كان سترايك يقود عبر بيركشاير في سيارته الـ "بي إم دبليو"، استمع إلى الأخبار على الراديو، وكان الخبر الرئيسي هو أن

اسكتلندا صوتت، بنسبة 55 في المائة مقابل 45 في المائة، للبقاء في المملكة المتحدة. كان يتساءل كيف تلقى ديف بولورث وسام باركلي الأخبار، عندما رن هاتفه المحمول.

قال الصوت المبحوح:

– "أنا برايان، برايان تاكر. لا أقاطعك، أليس كذلك؟ أردت أن أتمنى لك حظًا سعيدًا."

قال سترايك:

– "شكرًا يا برايان."

كانا قد التقيا أخيرًا قبل ثلاثة أيام، في مكتب سترايك. أرى تاكر سترايك الرسالة القديمة من كريد، ووصف قلادة الفراشة المأخوذة من قبو القاتل، والتي كان يعتقد أنها لابنته، وشارك نظرياته وارتجف بالعاطفة والأعصاب عند التفكير في مواجهة سترايك وجهًا لوجه مع الرجل الذي يعتقد أنه قتل ابنته الكبرى.

قال تاكر:

– "سأدعك تذهب، لن أؤخرك. ستتصل بي عندما ينتهي الأمر، أليس كذلك؟"

– "سأفعل، بالطبع."

كان من الصعب التركيز على الأخبار الآن وقد سمع قلق وإثارة تاكر. أطفأ سترايك الراديو، وحول أفكاره بدلاً من ذلك إلى ما ينتظره.

مهما كان من المُرضي الاعتقاد بأنه، كورموران سترايك، قد يخدع أو يقنع كريد بالاعتراف حيث فشل الآخرون، لم يكن سترايك مغرورًا إلى هذا الحد. لقد استجوب الكثير من المشتبه بهم في حياته المهنية؛ المهارة تكمن في جعل قول الحقيقة للمشتبه به أسهل من الاستمرار في الكذب. البعض يُنهك بالاستجواب الصبور، والبعض الآخر يقاوم كل شيء عدا الضغط الشديد، والبعض الآخر يتوق لتفريغ ما في جعبته، وكان على أساليب المحقق أن تتغير وفقًا لذلك.

ومع ذلك، في التحدث إلى كريد، سيكون نصف ترسانة سترايك الاستجوابية خارج الخدمة. لسبب واحد، كان هناك برغبة كريد، لأن المريض كان عليه أن

يعطي موافقته على المقابلة. لسبب آخر، كان من الصعب رؤية كيف يمكن لسترايك رسم صورة مخيفة لعواقب الصمت، عندما كان من يقابله يقضي بالفعل عقوبة السجن المؤبد في برودمور. أسرار كريد كانت القوة الوحيدة التي بقيت لديه، وكان سترايك يدرك جيدًا أن إقناعه بالتخلي عن أي منها قد يكون مهمة تفوق قدرة أي محقق بشري. المناشدات القياسية للضمير، أو للرغبة في الظهور كشخص أفضل للنفس أو للآخرين، كانت عديمة الفائدة بالمثل. كما أظهرت حياة كريد بأكملها، كانت مصادر متعته الأساسية هي إلحاق الألم وتأسيس الهيمنة، وكان من المشكوك فيه أن يقنعه أي شيء آخر بالإفصاح.

كانت لمحة سترايك الأولى للمستشفى سيئ السمعة هي لقلعة على أرض مرتفعة. بناها الفيكتوريون في وسط الغابات والمروج، صرح من الطوب الأحمر ببرج ساعة هو أعلى نقطة في المجمع. كانت الجدران المحيطة بارتفاع عشرين قدمًا، وبينما كان سترايك يقود سيارته نحو البوابات الأمامية، كان بإمكانه رؤية رؤوس مئات الكاميرات الأمنية الشبيهة بعين "السايكلوب" (العملاق ذي العين الواحدة) على أعمدة. مع فتح البوابات، اختبر سترايك انفجارًا من الأدرينالين، وللحظة، بدت الصور الشبحية بالأبيض والأسود للنساء السبع الميتات، والوجه القلق لبرايان تاكر، تسبح أمامه.

كان قد أرسل رقم تسجيل سيارته مسبقًا. بمجرد المرور عبر المجموعة الأولى من البوابات المزدوجة واجه سياجًا سلكيًا داخليًا، بارتفاع الجدار الذي مر عبره للتو. فتح رجل يرتدي قميصًا أبيض وبنطالاً أسود ذو وقفة عسكرية مجموعة ثانية من البوابات بمجرد إغلاق الأولى خلف الـ "بي إم دبليو"، ووجه سترايك إلى مكان لوقوف السيارات. قبل مغادرة سيارته، ورغبة منه في توفير الوقت في التفتيش الأمني الذي كان على وشك مواجهته، وضع المحقق هاتفه، ومفاتيحه، وحزامه، وسجائره، وقداحته وفكته في حجرة القفازات وأغلقها.

قال الرجل المبتسم ذو القميص الأبيض، الذي كانت لهجته ويلزية وملامحه توحي بملاكم:

– "السيد سترايك، أليس كذلك؟ هل معك بطاقة هويتك؟"

أظهر سترايك رخصة قيادته، واقتيد للداخل، حيث واجه ماسحًا ضوئيًا من نوع أمن المطارات. تلا ذلك تسلية حتمية وجيدة النية عندما أعلن الماسح الضوئي استياءه الصاخب من ساق سترايك المعدنية السفلية، وكان لا بد من رفع بنطاله لإثبات أنه لا يحمل سلاحًا. بعد تفتيشه ذاتيًا، كان حرًا للانضمام إلى الدكتور رانبير بيجرال، الذي كان ينتظره على الجانب الآخر من الماسحات الضوئية، طبيب نفسي نحيل وملتحٍ، ضرب قميصه الأصفر المفتوح الرقبة نغمة مبهجة ضد الأرضيات المبلطة باللون الأخضر الرمادي الكئيب، والجدران البيضاء والهواء غير المنعش لجميع المؤسسات الطبية، جزء مطهر، وجزء طعام مقلي، مع أثر لبشر محبوسين.

قال الدكتور بيجرال، وهو يقود سترايك على طول ممر فارغ بشكل مخيف، عبر مجموعات عديدة من الأبواب المتأرجحة الفيروزية:

– "لدينا عشرون دقيقة حتى يكون دينيس جاهزًا لك. نحن ننسق تحركات المرضى بعناية ودائمًا ما يكون تحريكه إنجازًا بعض الشيء. علينا التأكد من أنه لا يتلامس أبدًا مع المرضى الذين لديهم كراهية خاصة له، كما ترى. إنه غير محبوب. سننتظر في مكتبي."

كان سترايك معتادًا على المستشفيات، لكنه لم يدخل قط مستشفى بهذا القدر القليل من الصخب أو حركة المرضى في الممرات. كان الفراغ مزعجًا قليلاً. مروا بالعديد من الأبواب المغلقة. سارت ممرضة قصيرة بملابس طبية زرقاء داكنة (scrubs) مارة بهم. ابتسمت لسترايك، الذي رد الابتسامة.

قال، متفاجئًا قليلاً:

– "لديك نساء يعملن هنا."

قال الدكتور بيجرال:

– "بالطبع."

كان سترايك قد تخيل بطريقة ما طاقمًا من الذكور بالكامل، رغم أنه يعلم أن سجون الرجال بها حارسات. دفع الدكتور بيجرال باب مكتب صغير بدا وكأنه غرفة علاج محولة، بطلاء متقشر على الجدران وقضبان على النوافذ.

قال الدكتور بيجرال، ملوحًا بيده نحو الكرسي المقابل لمكتبه، وبأدب متكلف قليلاً، سأل:

– "تفضل بالجلوس. هل كانت رحلتك جيدة؟ جئت من لندن؟"

– "أجل، كانت قيادة لطيفة."

بينما جلس خلف المكتب، أصبح الدكتور بيجرال عمليًا.

– "حسنًا، إذن: سنعطيك خمسًا وأربعين دقيقة مع كريد."

كرر سترايك:

– "خمسًا وأربعين دقيقة."

– "إذا أراد دينيس الاعتراف بجريمة قتل أخرى، يجب أن يكون ذلك وقتًا كافيًا،" قال الدكتور بيجرال، "لكن... هل لي أن أكون صريحًا معك يا سيد سترايك؟"

– "بالطبع."

– "لو كان الأمر متروكًا لفريق علاج دينيس، لما سمحنا بهذه الزيارة على الأرجح. أعلم أن وزارة العدل تشعر أنه يجب منح آل بامبورو وآل تاكر فرصة أخيرة لسؤال دينيس عن أقاربهم، لكن –"

مال الدكتور بيجرال للخلف في مقعده وتنهد.

– "– إنه معتل اجتماعيًا (Sociopath) كلاسيكي، كما ترى، مثال نقي للنوع. يسجل درجات عالية جدًا في الثالوث المظلم: النرجسية، والميكافيلية والاعتلال النفسي (السيكوباتية). ماكر، وسادي، وغير نادم وأناني للغاية."

قال سترايك:

– "لست من المعجبين إذن؟"

سمح الطبيب لنفسه بابتسامة مقتضبة.

– "المشكلة، كما ترى، هي أنه إذا اعترف بجريمة قتل أخرى تحت استجوابك، فستحصل أنت على الفضل. ودينيس لا يمكنه قبول ذلك، لا يمكنه السماح لشخص آخر بالخروج منتصرًا. كان عليه أن يعطي موافقته لمقابلتك، بالطبع، وأعتقد أنه وافق لأن استجوابه يغذي غروره، خاصة من قبل رجل كان في

الصحف، وأعتقد أنه يود التلاعب بك لتكون مدافعًا عنه بطريقة ما. لقد كان يضغط للخروج من برودمور والعودة إلى السجن منذ فترة طويلة الآن."

– "ظننت أنه كان يستميت للدخول هنا؟"

– "كان كذلك، ذات مرة،" قال بيجرال. "الجناة الجنسيون البارزون عادة ما يكونون عرضة لخطر الهجوم في نظام السجون، كما تعلم على الأرجح. ربما رأيت في الصحف، رجل كاد يقتلع عينه بمقبض ملعقة مشحذ. أراد دينيس المجيء إلى برودمور عندما أدين لأول مرة، لكن لم تكن هناك أسس لإدخاله المستشفى في ذلك الوقت. الاعتلال النفسي (السيكوباتية) ليس، في حد ذاته، قابلاً للعلاج."

– "ما الذي تغير؟"

– "كان من الصعب للغاية إدارته في نظام السجون. تمكن من إقناع جانح شاب مصاب بمتلازمة أسبرجر بقتل نفسه. بسبب ذلك، وُضع في الحبس الانفرادي. انتهى بهم الأمر بإبقائه هناك لما يقرب من عام. في الليل، بدأ في إعادة تمثيل ما حدث في القبو في طريق ليفربول، يصرخ طوال الليل، مؤديًا صوته وأصوات النساء. لم يستطع الحراس تحمل سماع ذلك، ناهيك عن السجناء.

"بعد أحد عشر شهرًا في الانفرادي، أصبح يميل للانتحار. أولاً أضرب عن الطعام. ثم بدأ في محاولة قضم معصميه لفتحهما، وضرب رأسه بالحائط. تم تقييمه، وحُكم عليه بأنه ذهاني ونُقل إلى هنا.

"بمجرد أن حصلنا عليه لبضعة أشهر، ادعى أنه كان يتظاهر بمرضه العقلي، وهو تصرف دينيس خالص. لا أحد آخر يمكن أن يكون أذكى منه. لكن في الواقع، كانت صحته العقلية سيئة للغاية عندما جاء إلينا، وتطلب الأمر شهورًا عديدة من الأدوية والعلاج لإيقافه عن إيذاء نفسه ومحاولة قتل نفسه."

– "والآن يريد المغادرة؟"

– "بمجرد أن أصبح بصحة جيدة بما يكفي لتقدير الفرق بين السجن والمستشفى تمامًا، أعتقد أنه من العدل القول إنه أصيب بخيبة أمل. كان لديه حرية أكبر في بلمارش. كان يكتب ويرسم كثيرًا قبل أن يمرض. قرأت السيرة الذاتية التي كان يعمل عليها، عندما أُدخل. كانت مفيدة في تقييمه. يكتب بشكل

جيد جدًا لرجل لم يحصل على أي تعليم تقريبًا، لكن..." شبك الدكتور بيجرال أصابعه معًا، وتذكر سترايك طبيبًا آخر، تحدث عن العمل الجماعي بينما يأكل لفائف التين. "كما ترى، إقناع المرضى بمناقشة جرائمهم عادة ما يكون جزءًا مهمًا من العملية العلاجية. أنت تحاول إيجاد مسار للمساءلة والندم، لكن دينيس لا يشعر بالندم. لا يزال يُثار بالتفكير فيما فعله بهؤلاء النساء، ويستمتع بالحديث والكتابة عنه. اعتاد رسم حلقات من القبو، أيضًا؛ منتجًا بشكل أساسي مواد إباحية عنيفة خاصة به. لذا عندما جاء إلى هنا، صادرنا جميع مواد الكتابة والرسم.

"يلومنا دينيس على تدهور قدراته العقلية، رغم أنه في الواقع، لرجل يبلغ من العمر سبعة وسبعين عامًا، هو حاد الذكاء بشكل ملحوظ. كل مريض مختلف، ونحن ندير دينيس بنظام صارم للمكافأة والعقاب. مكافآته المختارة غير عادية. يستمتع بالشطرنج؛ علم نفسه في بلمارش، لذا أحيانًا ألعب معه جولة. يحب الكلمات المتقاطعة وألغاز المنطق أيضًا. نسمح له بالوصول إليها عندما يحسن التصرف.

"لكن لا يجب أن تظن أنه نموذجي لمرضانا،" أضاف الدكتور بيجرال بجدية. "الغالبية العظمى من المرضى العقليين لا يشكلون أي خطر للعنف على الإطلاق، كما أنا متأكد أنك تعلم. والناس يغادرون برودمور بالفعل، ويتحسنون. يمكن لسلوك الناس أن يتغير، إذا كانوا متحفزون، وإذا أعطوا المساعدة الصحيحة. هدفنا هو الشفاء دائمًا. يمكن للمرء أن يكره الجريمة، لكن يشعر بالتعاطف مع الجاني. العديد من الرجال هنا مروا بطفولة مسيئة بشكل مروع. طفولة دينيس كانت جحيمًا خالصًا – رغم أن، بالطبع، أشخاصًا آخرين لديهم نشأة سيئة بنفس القدر ولا يفعلون أبدًا ما فعله دينيس. في الواقع، أحد مرضانا السابقين –"

كان هناك طرق على الباب وأطلت شقراء مرحة برأسها للداخل.

قالت: "دينيس جاهز في الغرفة يا رانبير"، وانسحبت.

قال الدكتور بيجرال، ناهضًا:

– "هل نذهب؟ سأكون جالسًا في المقابلة، وكذلك ممرض دينيس الأساسي."

مشت المرأة التي أعلنت وصول دينيس في غرفة الاجتماعات مع سترايك والطبيب النفسي أسفل بضعة ممرات أخرى. الآن كانت هناك أبواب يجب فتحها وإعادة قفلها عند كل ممر. عبر المجموعة الثالثة من الأبواب المقفلة، رأى سترايك رجلاً بدينًا يجر قدميه في بنطال رياضي "نايكي"، يحيط به زوج من الممرضين، كل منهما يمسك بإحدى ذراعي المريض المتيبستين خلف ظهره. أعطى المريض سترايك نظرة زجاجية بينما مر الثلاثي في صمت.

أخيرًا، وصلت مجموعة سترايك إلى منطقة مفتوحة مهجورة، بها كراسي بذراعين وتلفزيون مطفأ. افترض سترايك أن المرأة الشقراء كانت ممرضة كريد، لكنه كان مخطئًا: رجل ضخم بوشم أسفل ذراعيه، وفك بارز مربع، قُدم على أنه "مارفين، ممرض دينيس الرئيسي"، وابتسمت المرأة الشقراء لسترايك، وتمنت له الحظ وابتعدت.

قال الدكتور بيجرال: "حسنًا، هل ندخل؟" وفتح مارفين الباب على غرفة اجتماعات متقشفة، بنافذة واحدة وسبورة بيضاء على الحائط.

الشاغل الوحيد، رجل صغير، بدين، يرتدي نظارة، كان يرتدي الجينز وسترة رياضية سوداء. كان لديه ذقن ثلاثية، وأبقت بطنه مسافة قدم ونصف بينه وبين الطاولة ذات السطح الفورميكا الأبيض التي كان يجلس عليها. لو نُقل إلى محطة حافلات، لكان دينيس كريد مجرد رجل عجوز آخر، أشعث قليلاً، وشعره الرمادي الفاتح بحاجة لقص.

(كان قد ضغط بمكاوي ساخنة على الصدور العارية للسكرتيرة جاكي أيليت. اقتلع جميع أظافر يدي وقدمي مصففة الشعر سوزان ماير. حفر مقلتي عيني وكيلة العقارات نورين ستوروك من وجهها وهي لا تزال حية ومصفدة إلى مشعاع.)

قال الدكتور بيجرال، وهو يجلس على كرسي بمحاذاة الحائط:

– "دينيس، هذا كورموران سترايك." وقف مارفين، بذراعيه الموشومتين المعقودتين، بجانبه.

قال سترايك، جالسًا قبالته:

– "مرحبًا، دينيس."

– "مرحبًا، كورموران،" قال كريد، بصوت مسطح احتفظ بلهجته من الطبقة العاملة، من شرق لندن.

سقط ضوء الشمس مثل لوح لامع عبر الطاولة بينهما، مبرزًا اللطخات على عدسات نظارة كريد ذات الإطار السلكي وذرات الغبار في الهواء. خلف القذارة، رأى سترايك قزحيات بلون رمادي شاحب جدًا لدرجة أنها تلاشت في بياض العين، بحيث بدت الحدقات الضخمة محاطة بالبياض. عن قرب، استطاع سترايك رؤية الندبة المتعرجة التي تمتد من الصدغ إلى الأنف، ساحبة جفنه الأيسر السفلي، أثر للهجوم الذي كاد يأخذ نصف بصر كريد. كانت اليدان الممتلئتان، الشاحبتان على الطاولة ترتجفان قليلاً والفم المرتخي يرتعش: آثار جانبية، خمن سترايك، لأدوية كريد.

سأل كريد:

– "لحساب من تعمل؟"

قال سترايك:

– "أتوقع أنك ستكون قادرًا على استنتاج ذلك، من أسئلتي."

– "لماذا لا تقول إذن؟" سأل كريد، وعندما لم يجب سترايك، قال: "علامة على النرجسية، حجب المعلومات لتجعل نفسك تشعر بالقوة، كما تعلم."

ابتسم سترايك.

– "إنها ليست مسألة محاولة الشعور بالقوة. أنا ببساطة على دراية بـ «مناورة الملك» (King's Gambit - افتتاحية شطرنج)."

دفع كريد نظارته ذات الإطار السلكي لأعلى أنفه.

– "أخبروك أنني ألعب الشطرنج، هاه؟"

– "أجل."

– "هل تلعب؟"

– "بشكل سيء."

– "إذن كيف تنطبق مناورة الملك على هذا الموقف؟"

– "نقلتك الافتتاحية تبدو وكأنها تفتح طريقًا سهلاً لملكك. أنت تعرض القفز مباشرة لمناقشة المرأة المفقودة التي أحقق بشأنها."

– "لكنك تظن أن تلك خدعة؟"

– "ربما."

ساد توقف قصير. ثم قال كريد:

– "سأخبرك بمن أعتقد أنه أرسلك إذن، ما رأيك؟"

– "تفضل."

قال دينيس كريد، مراقبًا رد فعل سترايك بعناية:

– "ابنة مارغو بامبورو. الزوج يئس منها منذ زمن طويل، لكن ابنتها ستكون في الأربعينيات الآن وستكون ميسورة الحال. من استأجرك لديه مال. أنت لست رخيصًا. قرأت كل شيء عنك، في الصحيفة.

"الاحتمال الثاني،" قال كريد، عندما لم يرد سترايك، "هو برايان تاكر العجوز. يظهر كل بضع سنوات، جاعلاً من نفسه أضحوكة. تاكر مفلس، رغم ذلك... أم هل أخرج وعاء التسول على الإنترنت؟ جلس على الكمبيوتر وناح بقصة حزينة، ليرسل المغفلون المال؟ لكنني أعتقد، لو فعل ذلك، لكان الأمر في الصحف."

سأل سترايك:

– "هل تدخل على الإنترنت كثيرًا؟"

قال كريد:

– "غير مسموح لنا، هنا. لماذا تضيع الوقت؟ لدينا خمس وأربعون دقيقة فقط. اسأل سؤالاً."

– "كان ذلك سؤالاً، ما سألتك إياه للتو."

– "لماذا لا تخبرني بأي ضحية مزعومة أنت مهتم بها؟"

– "ضحية «مزعومة»؟"

قال كريد:

– "تسميات اعتباطية. «ضحية». «مريض». هذا يستحق الشفقة... هذا يُحبس في قفص. ربما كانت تلك النساء اللواتي قتلتهن هن المريضات الحقيقيات، وأنا الضحية الحقيقية؟"

قال سترايك:

– "وجهة نظر جديدة."

قال كريد، دافعًا نظارته لأعلى أنفه مرة أخرى:

– "أجل، حسنًا، يفيد الناس سماع وجهات نظر جديدة. توقظهم، إذا كانوا قادرين على ذلك."

– "ممَ ستقول إنك كنت تعالج هؤلاء النساء؟"

– "من عدوى الحياة؟ التشخيص: حياة. مرض عضال. *«لا تشفق على الساقطين! لم أعرفهم قط. لست لهم. لا أواسي: أكره المعزَّى والمعزِي...»*"

(كان قد شق زاويتي فم التلميذة جيرالدين كريستي، وصورها وهي تبكي وتصرخ، قبل، كما أخبر والديها من قفص الاتهام، أن يقطع حنجرتها لأنها كانت تصدر الكثير من الضجيج.)

– "*«... أنا فريد وفاتح. لست من العبيد الذين يفنون.»* هل تعرف من قال ذلك؟"

قال سترايك:

– "أليستر كراولي."

قال كريد:

– "مادة قراءة غير عادية، لجندي مزين بالأوسمة في الجيش البريطاني."

– "أوه، كلنا عبدة شيطان في الخفاء."

قال كريد، الذي أصبح تعبيره حادًا:

– "تظن أنك تمزح، لكنك تقتل وتحصل على ميدالية وتسمى بطلاً. أنا أقتل وأُسمى شريرًا وأُحبس للأبد. فئات اعتباطية. هل تعرف ما الذي يقع أسفل الطريق من هنا مباشرة؟"

– "ساندهيرست (أكاديمية عسكرية)."

كرر كريد، وكأن سترايك لم يتحدث:

– "ساندهيرست. مؤسسات للقتلة، جنبًا إلى جنب، واحدة لصنعهم، وواحدة لكسرهم. اشرح لي لماذا هو أكثر أخلاقية قتل الأطفال السمر الصغار بأمر من توني بلير، من فعل ما فعلته؟ أنا مصنوع بالطريقة التي أنا عليها. مسح الدماغ سيظهر لك، لقد درسوا أشخاصًا مثلي. هكذا نحن مبرمجون. لماذا هو أكثر شرًا أن تقتل لأن عليك ذلك، لأنها طبيعتك، من تفجير الناس السمر الفقراء لأننا نريد النفط؟ إذا نُظر للأمر بشكل صحيح، فأنا البريء، لكنني أُسمن وأُخدر مثل خنزير حبيس، وأنت تحصل على معاش حكومي."

قال سترايك:

– "حجة مثيرة للاهتمام. إذن لم تكن لديك سيطرة على ما فعلت؟"

سخر كريد، هازًا رأسه:

– "سيطرة. هذا يظهر كم أنت بعيد – لا أستطيع شرح الأمر بمصطلحات يفهمها شخص مثلك. *«لديك طريقك. ولدي طريقي. أما الطريق الصحيح، والطريق القويم، والطريق الوحيد، فهو غير موجود.»* هل تعرف من قال ذلك؟"

– "يبدو مثل نيتشه."

قال كريد، متحدثًا فوقه:

– "نيتشه. بوضوح، نعم. قرأت كثيرًا في بلمارش، قبل أن يحشوني بالكثير من الأدوية لدرجة أنني لم أعد أستطيع التركيز من بداية الجملة إلى نهايتها.

"أنا مصاب بالسكري الآن، هل كنت تعلم ذلك؟" تابع كريد. "أجل. سكري مكتسب من المستشفى. أخذوا رجلاً نحيفًا، لائقًا بدنيًا، وكوموا الوزن علي، بهذه الأدوية التي لا أحتاجها وعلف الخنازير الذي نجبر على أكله. ثمانمائة مما يسمون معالجين يمتصون العيش منا. يحتاجوننا مرضى، لأننا مصدر رزقهم. مورلوكس (Morlocks). هل تفهم تلك الكلمة؟"

– "كائنات تحتية خيالية،" قال سترايك، "في آلة الـ–"

– "بوضوح، نعم،" قال كريد مرة أخرى، وبدا منزعجًا من أن سترايك يفهم إشاراته. "إتش. جي. ويلز. كائنات بدائية تفترس الأنواع المتطورة للغاية، التي لا تدرك أنها تُربى لتؤكل. إلا أنني أدرك ذلك، أعرف ما يجري."

سأل سترايك:

– "ترى نفسك كواحد من الـ إيلوي (Eloi)، إذن؟"

– "الشيء المثير للاهتمام بشأن الإيلوي،" قال كريد، "هو افتقارهم التام للضمير. العرق الأعلى فكري، وراقٍ، بلا ما يسمى بالندم... كنت أستكشف كل هذا في كتابي، الكتاب الذي كنت أكتبه قبل أن يأخذوه مني. شيء ويلز كان مجرد قصة رمزية سطحية، لكنه كان يتلمس طريقه نحو حقيقة... ما كنت أكتبه، جزء سيرة ذاتية، وجزء أطروحة علمية – لكنه أُخذ مني، صادروا مخطوطتي. كان يمكن أن يكون موردًا لا يقدر بثمن، لكن لا، لأنه لي، يجب تدميره. لدي معدل ذكاء 140، لكنهم يريدون دماغي مترهلاً مثل جسدي."

– "تبدو لي يقظًا تمامًا. ما الأدوية التي يضعونك عليها؟"

– "لا ينبغي أن أكون على أي أدوية على الإطلاق. يجب أن أكون في إعادة تأهيل حازمة لكنهم لن يخرجوني من الاعتمادية العالية. يتركون الفصاميين الصغار طلقاء في الورش بالسكاكين هناك، وأنا لا يمكنني امتلاك قلم رصاص. عندما جئت إلى هنا، ظننت أنني سأقابل أشخاصًا أذكياء... أي طفل يمكنه حفظ جدول الضرب في سبعة يمكن أن يكون طبيبًا، كله تعلم عن ظهر قلب وعقيدة. المريض من المفترض أن يكون شريكًا في هذه العملية العلاجية، وأنا أقول إنني بخير بما يكفي للعودة إلى السجن."

قال سترايك:

– "بالتأكيد تبدو عاقلاً لي."

– "شكرًا لك،" قال كريد، الذي أصبح متوردًا. "شكرًا لك. أنت رجل ذكي، كما يبدو. ظننت أنك ستكون كذلك. لهذا السبب وافقت على هذا."

– "لكنك لا تزال تتناول الدواء –"

– "أعرف كل شيء عن أدويتهم، وهم يعطونني الكثير. يمكنني أن أصف لنفسي أفضل مما يعرفون كيف يفعلون، هنا."

– "كيف تعرف عن هذه الأشياء؟"

– "واضح، سهل،" قال كريد، بإيماءة متغطرسة. "استخدمت نفسي كحقل تجارب، طورت سلسلتي الخاصة من الاختبارات الموحدة. كيف يمكنني المشي والتحدث بشكل جيد على عشرين مليجرامًا، ثلاثين مليجرامًا... دونت ملاحظات عن الارتباك، والنعاس، والاختلافات في الآثار الجانبية..."

– "أي أنواع من الأدوية كانت هذه؟"

– "أموباربيتال، بنتوباربيتال، فينوباربيتال،" سرد كريد بسرعة: أسماء الباربيتورات من أوائل السبعينيات، استبدلت في الغالب، الآن، بأدوية أخرى.

– "سهلة الشراء في الشارع؟"

– "اشتريت من الشارع أحيانًا فقط، كان لدي قنوات أخرى، لم تكن معروفة على نطاق واسع أبدًا..."

وانطلق كريد في خطاب متعرج لا يمكن تسميته قصة بشكل صحيح، لأن السرد كان مفككًا ومليئًا بالتلميحات الغامضة والإشارات غير المباشرة، لكن الفحوى بدت أن كريد كان يختلط بالعديد من الأشخاص غير المسماة لكنهم أقوياء في الستينيات والسبعينيات، وأن الإمداد المستمر بالأدوية الموصوفة كان ميزة عرضية، إما للعمل لصالح رجال العصابات، أو التجسس عليهم لصالح السلطات. ألمح إلى تجنيده من قبل الأجهزة الأمنية، وتحدث عن رحلات إلى أمريكا لا يوجد دليل على أنه قام بها أبدًا، وعن سياسيين ومشاهير مدمنين للباربيتورات، والرغبة الخطيرة للبشر من جميع مناحي الحياة لتخدير أنفسهم للتعامل مع الحقائق القاسية للعالم، وهو ميل وإغراء استنكره دينيس كريد وقاومه دائمًا.

استنتج سترايك أن هذه الذكريات المزيفة صممت لتغذية رغبة كريد المتغطرسة في المكانة. بلا شك علمته عقوده في السجون شديدة الحراسة والمستشفيات العقلية أن الاغتصاب والتعذيب يعتبران حقيرين هناك تقريبًا بقدر ما كانا في الخارج. قد يستمر في استمداد المتعة الجنسية من إعادة عيش

جرائمه، لكن في الآخرين، لم تثر إلا الاحتقار. بدون مهنة خيالية يكون فيها جزء جاسوس، وجزء رجل عصابات، كان الرجل ذو معدل الذكاء 140 مجرد عامل توصيل مصبغة، ومنحرف جنسي يشتري حفنات من المهدئات من تجار الشوارع الذين استغلوه، ثم خانوه.

– "... هل رأيت كل ذلك الأمن حولي، في المحاكمة؟ كانت هناك قوى أخرى تلعب دورًا، هذا كل ما سأقوله..."

كان هناك طوق صلب من الشرطة حول كريد في طريقه للدخول والخروج من المحكمة لأن الحشد أراد تمزيقه إربًا. تسربت تفاصيل غرفة تعذيبه: وجدت الشرطة المكاوي الساخنة والكماشات، والكمامات الكروية والسياط، والصور التي التقطها كريد لضحاياه، أحياءً وأمواتًا، ورأس ويدي أندريا هوتون المتحللين، جالسين في حوض حمامه. لكن صورة نفسه التي قدمها كريد لسترايك الآن حولت القتل إلى شيء عرضي لحياة إجرامية أكثر وجاهة بكثير، هواية استمر الجمهور لسبب ما في العزف عليها، عندما كان هناك الكثير ليُحكى، ويُعجب به.

– "... لأنهم يحبون سيلان لعابهم على الأشياء الصغيرة القذرة التي تثيرهم، كمنفذ لرغباتهم غير المقبولة،" قال كريد. "كان بإمكاني أن أكون طبيبًا، ربما كان ينبغي أن أكون، في الواقع..."

(كان قد سكب زيت الطهي فوق رأس سيدة الغداء فيرا كيني، ثم أشعل النار في شعرها وصورها وهي تحترق، وكمامة كروية في فمها. قطع لسان غيل رايتمان العاطلة عن العمل. قتل مصففة الشعر سوزان ماير بالدوس مرارًا وتكرارًا على رأسها.)

– "لم تقتل أي شخص بجرعة زائدة أبدًا، أليس كذلك؟"

– "يتطلب الأمر مهارة أكبر بكثير لإرباكهم ولكن إبقائهم على أقدامهم. أي أحمق يمكنه حشر جرعة زائدة في حلق شخص ما. الآخر يتطلب معرفة وخبرة. هكذا أعرف أنهم يستخدمون الكثير عليّ هنا، لأنني أفهم الآثار الجانبية."

– "ماذا كنت تعطي النساء في القبو؟"

– "لم أخدر امرأة قط، بمجرد أن أصبحت عندي في المنزل. بمجرد أن تكون في الداخل، كان لدي طرق أخرى لإبقائها هادئة."

فم أندريا هوتون خيطه كريد وهي لا تزال حية: آثار الخيط كانت لا تزال موجودة على الرأس المتعفن.

نظر الطبيب النفسي إلى ساعته.

سأل سترايك:

– "ماذا لو كانت المرأة ثملة بالفعل؟ غيل رايتمان: التقطتها في بار، صحيح؟ ألم يكن هناك خطر الجرعة الزائدة، إذا خدرتها فوق الشراب؟"

قال كريد، شاربًا سترايك بحدقتيه الضخمتين:

– "سؤال ذكي. عادة ما أستطيع معرفة ما تناولته المرأة بالوحدة الدقيقة. غيل كانت وحدها، تحرد. رجل ما تخلف عن موعدها..."

لم يكن كريد يكشف أي شيء: لم تكن هذه أسرارًا. لقد اعترف بكل ذلك بالفعل، في قفص الاتهام، حيث استمتع بنقل الحقائق، مراقبًا رد فعل أقارب الضحايا. الصور المخبأة تحت ألواح الأرضية، لغيل وأندريا، وسوزان وفيرا، ونورين، وجاكي وجيرالدين، مقيدات، ومحروقات ومطعونات، أحياء ومشوهات، وجثثهن المشوهة وأحيانًا مقطوعة الرأس موضوعة في وضعيات إباحية، أدانته قبل أن يفتح فمه، لكنه أصر على محاكمة كاملة، معترفًا بالذنب بسبب الجنون.

– "... في شعر مستعار، قليل من أحمر الشفاه... يظنون أنك غير مؤذٍ، غريب الأطوار... ربما مثلي (queer). تحدثت إليها لدقيقة أو دقيقتين، زاوية مظلمة صغيرة. تتصرف باهتمام...

"قليل من النيمبوتال في مشروبها... كمية ضئيلة، ضئيلة." قال كريد، ممسكًا أصابعه المرتجفة متباعدة بملليمترات. "نيمبوتال وكحول، خطر محتمل، إذا كنت لا تعرف ما تفعله، لكنني عرفت، بوضوح...

"لذا أقول: «حسنًا، يجب أن أذهب الآن يا حبيبتي، كوني حذرة.» «كوني حذرة!» دائمًا ما نجحت." قلد كريد نبرات صوتية صريرية لتقليد غيل، "«أووه، لا تذهب، تناول مشروبًا!» «لا يا عزيزتي، أحتاج لنوم الجمال الخاص بي.» عندها

تثبت أنك لست تهديدًا. تتصرف وكأنك تريد المغادرة، أو تمشي مبتعدًا بالفعل. ثم، عندما ينادونك للعودة، أو يصطدمون بك بعد عشر دقائق، عندما يبدؤون في الشعور كالخراء، يشعرون بالارتياح، لأنك الرجل اللطيف الآمن...

"كان كل ذلك في كتابي، الطرق المختلفة التي حصلت عليهن بها. مفيد للنساء اللواتي يردن الابتعاد عن المشاكل، قد تظن، قراءة كيف يعمل قاتل عالي الكفاءة، لكن السلطات لن تسمح بنشره، مما يجعلك تتساءل، هل هم سعداء بقطف الساقطات من الشوارع؟ ربما هم كذلك.

"لماذا يوجد أشخاص مثلي أصلاً يا كورموران؟ لماذا سمح التطور بحدوث ذلك؟ لأن البشر متطورون للغاية، لا يمكننا تخفيف أعدادنا إلا بمفترسات من داخل النوع. التخلص من الضعفاء، والمنحرفين أخلاقيًا. إنه شيء جيد ألا تتكاثر النساء المنحطات، الثملات. هذه مجرد حقيقة، إنها حقيقة،" قال دينيس كريد.

"كنت أنزل نافذتي. «تريدين توصيلة يا حب؟» تترنح في كل مكان. سعيدة لرؤيتي. ركبت الشاحنة، لا مشاكل، ممتنة للجلوس...

"اعتدت القول لغيل، بمجرد أن أصبحت عندي في القبو: «كان يجب أن تذهبي للحمام بدلاً من ذلك، أيتها العاهرة الصغيرة القذرة، أليس كذلك؟ أراهن أنكِ من النوع الذي يتبول في الشارع. قذارة، تلك قذارة»... لماذا أنت مهتم جدًا بالتخدير؟"

جف تدفق الحديث فجأة. اندفعت عينا كريد الرمادية والسوداء الفارغة يسارًا ويمينًا بين عيني سترايك.

– "تظن أن الدكتورة بامبورو كانت لتكون أذكى من أن تدع نفسها تُخدر من قبل أمثالي، أليس كذلك؟"

– "الأطباء يمكن أن يرتكبوا أخطاء، مثل أي شخص آخر،" قال سترايك. "قابلت نورين ستوروك في حافلة، صحيح؟"

تأمل كريد سترايك لعدة ثوانٍ، وكأنه يحاول استنتاج شيء ما.

– "حافلات، الآن، هاه؟ كم مرة أخذت مارغو بامبورو الحافلة؟"

– "بشكل متكرر، أتخيل."

– "هل كانت لتأخذ علبة كوكاكولا من غريب؟"

– "هذا ما عرضته على نورين، صحيح؟ والكولا كانت مليئة بالفينوباربيتال؟"

– "أجل. كانت شبه نائمة بحلول الوقت الذي وصلنا فيه لمحطتي. قلت: «لقد فوتِ محطتك يا عزيزتي. تعالي، سآخذك لموقف سيارات الأجرة.» مشيت بها مباشرة من الحافلة، ذراعي حولها. لم تكن فتاة كبيرة، نورين. كانت واحدة من الأسهل."

– "هل عدلت الجرعة حسب الوزن؟"

كان هناك توقف طفيف آخر.

– "حافلات وعلب مياه غازية، وتعديل الأدوية حسب الوزن؟... أتعرف ماذا يا كورموران؟ أعتقد أن تخميني الثاني كان صحيحًا. أنت هنا من أجل الصغيرة لويز تاكر."

– "لا،" قال سترايك بتنهيدة، مسترخيًا في كرسيه. "كما يحدث، كنت مصيبًا في المرة الأولى. تم استئجاري من قبل ابنة مارغو بامبورو."

ساد صمت أطول الآن، وتحقق الطبيب النفسي من ساعته مرة أخرى. عرف سترايك أن وقته قد أوشك على الانتهاء، واعتقد أن كريد يعرف ذلك أيضًا.

– "أريد العودة إلى بلمارش يا كورموران،" قال كريد، مائلاً للداخل الآن بعد أن مال سترايك للخلف. "أريد إنهاء كتابي. أنا عاقل، أنت تعرف ذلك أيضًا، قلت ذلك للتو. لست مريضًا. يكلف دافع الضرائب خمسة أضعاف لإبقائي هنا عما سيكلفه في السجن. أين سيقول الجمهور البريطاني إنه يجب أن أكون، هاه؟"

– "أوه، سيريدونك في السجن."

– "حسنًا، أنا أتفق معهم،" قال كريد. "أنا أتفق."

نظر جانبيًا إلى الدكتور بيجرال، الذي بدا كرجل على وشك إنهاء اللقاء.

– "أنا عاقل وإذا عوملت على هذا الأساس، سأتصرف على هذا الأساس،" قال كريد.

مال أكثر للأمام.

– "قتلت لويز تاكر،" قال كريد بصوت ناعم، وفي الرؤية المحيطية لسترايك تجمد الطبيب النفسي والممرض، مذهولين. "التقطتها من زاوية شارع في شاحنتي، نوفمبر 1972. ليلة شديدة البرودة. أرادت العودة للمنزل ولم يكن لديها مال. لم أستطع المقاومة يا كورموران،" قال كريد، وتلك الحدقات السوداء الكبيرة تثقب سترايك. "فتاة صغيرة في زيها المدرسي. لا رجل يستطيع المقاومة. فعلتها بدافع نزوة... لا تخطيط... لا شعر مستعار، لا كولا مخدرة، لا شيء..."

– "لماذا لم يكن هناك أي أثر لها في القبو؟" قال سترايك.

– "كان هناك. كان لدي قلادتها. لكن لم يكن لدي هي في القبو أبدًا، أترين؟ تريد دليلاً، سأعطيك دليلاً: كانت تسمي زوجة أبيها «مخالب» (Claws). أخبر تاكر أنها أخبرتني بذلك، حسنًا؟ أجل، أجرينا دردشة لخمس دقائق حول مدى استيائها في المنزل، قبل أن تدرك أننا نسير في الطريق الخطأ. ثم بدأت تصرخ وتضرب على النوافذ.

"انعطفت إلى موقف سيارات مظلم،" قال كريد بهدوء، "وضعت يدي على فمها، وسحبتها للجزء الخلفي من الشاحنة، وضاجعتها وخنقتها. كنت أود الاحتفاظ بها لفترة أطول، لكنها كانت صاخبة، صاخبة جدًا.

"شيء غبي لفعله، لكن لم أستطع المقاومة يا كورموران. لا تخطيط – زي مدرسي! لكن كان لدي عمل في اليوم التالي، احتجت الشاحنة فارغة. أردت أخذ الجثة عائدًا للقبو، لكن فاي كوبر العجوز كانت مستيقظة تمامًا عندما قدت عائدًا في طريق ليفربول. كانت تنظر إلي من النافذة العلوية عندما مررت، لذا لم أتوقف. أخبرتها لاحقًا أنها تخيلت أنه أنا. العاهرة العجوز اعتادت السهر لترى متى أعود. عادة ما كنت أخدرها إذا كنت في الخارج أتصيد، لكن هذه كانت متعة وليدة اللحظة..."

– "ماذا فعلت بالجثة؟"

– "آه،" قال كريد، جالسًا للخلف في مقعده. انزلقت الشفاه المبللة فوق بعضها البعض، وفغرت الحدقات الواسعة. "أعتقد أنني سأحتاج لنقل العودة إلى بلمارش قبل أن أخبر أي شخص بذلك. اذهب وأخبر الصحف أنني قررت الاعتراف

بقتل لويز، وأنني عاقل، ويجب أن أكون في بلمارش، وإذا تم نقلي، سأخبر برايان تاكر العجوز أين وضعت فتاته الصغيرة. اذهب وأخبر السلطات، هذا هو عرضي...

"لا تدرِ أبدًا، قد أشعر حتى بالقدرة على الحديث عن مارغو بامبورو عندما أخرج من هنا. لنخرج هذه الأدوية من نظامي، وربما سأتذكر بشكل أفضل."

قال سترايك، ناهضًا على قدميه، وبدا عليه الغضب:

– "أنت مليء بالخراء (كاذب). لن أمرر هذا."

قال كريد، بابتسامة بطيئة:

– "لا تكن هكذا، لأنها ليست التي جئت من أجلها. أنت تتصرف كنرجسي حقيقي يا كورموران."

أخبر سترايك الدكتور بيجرال:

– "أنا جاهز للذهاب."

قال كريد: "لا تكن هكذا. أوي!"

التفت سترايك.

– "حسنًا... سأعطيك دليلاً صغيرًا حول المكان الذي وضعت فيه جثة لويز، وسنرى ما إذا كنت ذكيًا كما تظن، حسنًا؟ سنرى ما إذا كنت أنت أو الشرطة ستكتشفون الأمر أولاً. إذا وجدوا الجثة، سيعرفون أنني عاقل، وأنا مستعد للحديث عن مارغو بامبورو، طالما تم نقلي إلى حيث أريد الذهاب. وإذا لم يتمكن أحد من حل الدليل، سيضطر شخص ما للعودة والتحدث معي، أليس كذلك؟ ربما حتى أنت. يمكننا لعب الشطرنج من أجل المزيد من الأدلة يا كورموران."

استطاع سترايك أن يرى أن كريد يتخيل أسابيع من الصفحات الأولى، وهو يضع أثرًا للمحققين ليتبعوه. تعذيب نفسي لآل تاكر، تلاعب بالرأي العام، وسترايك، ربما، رهن إشارته: كان ذلك حلمًا رطبًا لسادي.

قال سترايك، ناظرًا إليه بازدراء:

– "تفضل إذن. ما الدليل؟"

قال كريد:

– "ستجد جثة لويز تاكر حيث تجد M54."

وعرف سترايك أن كريد قد فكر في الدليل مسبقًا بوقت طويل، وكان متأكدًا أنه كان سيكون دليلاً حول مارغو، لو قال سترايك إنه مستأجر من قبل آل تاكر. احتاج كريد للاعتقاد بأنه لم يعطِ سترايك ما أراده حقًا. كان عليه الخروج منتصرًا.

قال سترايك:

– "حسنًا." والتفت للدكتور بيجرال. "هل نذهب؟"

نادى كريد:

–"M54، حسنًا يا كورموران؟"

– "سمعتك."

نادى كريد:

– "آسف لعدم القدرة على المساعدة بخصوص الدكتورة بامبورو!"

واستطاع سترايك سماع متعته بفكرة أنه أحبط المحقق.

التفت سترايك مرة أخيرة، والآن توقف عن التظاهر بالغضب، وابتسم هو أيضًا.

– "كنت هنا من أجل لويز، أيها الوغد الغبي. أعرف أنك لم تقابل مارغو بامبورو قط. قُتلت على يد قاتل أكثر مهارة بكثير مما كنت عليه في أي وقت مضى. وليكن في علمك،" أضاف سترايك، بينما رنت مفاتيح الممرض، وسجل وجه كريد المرتخي والبدين الفزع، "أعتقد أنك مجنون لعين، وإذا سألني أي شخص، سأقول إنه يجب أن تكون في برودمور حتى تتعفن."

69

أتحملين صورة لرأس تلك السيدة؟
نابض بالحياة هو الشبه، رغم أن الجوهر ميت.
إدموند سبنسر ملكة الجن

بعد ما يقرب من ساعة من استخلاص المعلومات مع الدكتور بيجرال، والتي اتصل خلالها الطبيب النفسي المصدوم بـ "سكوتلاند يارد"، غادر المحقق المستشفى وهو يشعر وكأنه قضى هناك ضعف الوقت الذي قضاه بالفعل. لم تكن قرية "كروثورن" تقع على طريق عودة سترايك إلى لندن، لكنه كان جائعًا، وأراد الاتصال بـ روبن وشعر بحاجة قوية لوضع نفسه بين أشخاص عاديين يمارسون حياتهم، لطرد ذكرى تلك الممرات الفارغة ذات الصدى، ورنين المفاتيح وحدقتي دينيس كريد المتسعتين بشدة.

أوقف سيارته خارج حانة، وأشعل لنفسه السيجارة التي كان يتوق إليها طوال الساعتين والنصف الماضيتين، ثم أعاد تشغيل هاتفه. كان قد فوت بالفعل مكالمتين من برايان تاكر، لكن بدلاً من معاودة الاتصال بالرجل العجوز، ضغط رقم روبن. أجابت في الرنة الثانية.

– "ماذا حدث؟"

أخبرها سترايك. عندما انتهى، ساد صمت قصير.

قالت روبن، وبدا صوتها متوتراً:

– "قل الدليل (اللغز) مرة أخرى."

– "«ستجدها حيث تجد M54»."

– "ليس M54؟ ليس الطريق السريع؟"

– "كان يمكن أن يقصد ذلك، لكنه حذف أداة التعريف (The)."

– "طريق M54 يمتد لعشرين ميلاً ونيف."

– "أعرف."

بدأ رد الفعل يظهر: كان يجب أن يشعر سترايك بالانتصار، لكنه في الواقع كان متعبًا ومتوترًا. أصدر هاتفه صوت تنبيه ونظر إلى الشاشة.

أخبر روبن:

– "هذا برايان تاكر مرة أخرى، يحاول الاتصال بي."

– "ماذا ستخبره؟"

قال سترايك بوقار، نافثًا الدخان من نافذته المفتوحة:

– "الحقيقة. اتصل الدكتور بيجرال بسكوتلاند يارد بالفعل. المشكلة هي، إذا كان هذا الدليل بلا معنى، أو غير قابل للحل، فإنه يترك تاكر عالمًا بأن كريد قتل ابنته، لكن دون استعادة الجثة أبدًا. قد تكون هذه فكرة كريد عن التعذيب المطلق."

قالت روبن:

– "إنه شيء ما أن تحصل على اعتراف، رغم ذلك، أليس كذلك؟ تاكر كان مقتنعًا بأن كريد قتلها لعقود. الاعتراف بدون جثة يبقي الجرح مفتوحًا فقط. سيظل لكريد الضحكة الأخيرة، عالمًا بمكانها وغير مخبر... كيف سارت أمورك في المكتبة البريطانية؟"

– "أوه. جيد. وجدت جوانا هاموند قبل بضع ساعات."

قال سترايك، متيقظًا الآن:

– "و؟"

– "كان لديها شامة (Mole) كبيرة على وجهها. الخد الأيسر. يمكنك رؤيتها في صورة زفافها في الصحيفة المحلية. سأرسلها لك نصيًا الآن."

– "وال...؟"

– "كانت لتكون على ظهر نعيها. نفس الصحيفة المحلية."

قال سترايك:

– "يا يسوع المسيح."

ساد صمت أطول. أصدر هاتف سترايك صوت تنبيه مرة أخرى، ورأى أن روبن قد أرسلت له صورة.

بفتحها، رأى زوجين في يوم زفافهما عام 1969: صورة ضبابية بالأبيض والأسود لعروس سمراء مبتسمة بأسنان بارزة، شعرها مصفف في خصلات مجعدة، في فستان دانتيل بياقة عالية، وقبعة دائرية صغيرة (Pillbox hat) فوق طرحتها، وشامة كبيرة على عظمة خدها الأيسر. الزوج الأشقر يخيم فوق كتفها، غير مبتسم. حتى بعد دقائق من الحياة الزوجية، كان لديه مظهر رجل مستعد لاستخدام مضرب بيسبول.

قالت روبن، ووضع سترايك الهاتف مرة أخرى على أذنه:

– "لم تكن قوسًا (Sagittarius) وفقًا لـ شميدت، كانت عقربًا (Scorpio) "

قال سترايك بتنهيدة:

– "– وهو ما اعتقد تالبوت أنه يناسبها أكثر، بسبب الشامة. كان يجب أن أعود عبر جميع التعريفات بمجرد أن اكتشفتِ أمر شميدت. ربما كنا وصلنا هنا عاجلاً."

– "ماذا سنفعل بشأن دوثويت؟"

قال سترايك، بعد لحظة توقف:

– "سأتصل به. الآن. ثم سأعاود الاتصال بك."

قرقرت معدته وهو يتصل بنزل "ألارديس" في سكيغنيس، وسمع اللهجة الاسكتلندية الغاضبة المألوفة لـ دونا، زوجة دوثويت.

قالت، عندما عرف سترايك بنفسه:

– "أوه يا مسيح. ماذا الآن؟"

كذب سترايك، الذي كان بإمكانه سماع راديو يعمل في الخلفية:

– "لا شيء يدعو للقلق. أردت فقط التحقق مرة أخرى من بضع نقاط."

سمعها تصرخ، بعيدًا عن السماعة:

– "ستيف! إنه هو!... ماذا تعني بـ «من؟»، من تظن بحق الجحيم؟"

سمع سترايك خطوات ثم دوثويت، الذي بدا نصف غاضب، ونصف خائف.

– "ماذا تريد؟"

قال سترايك:

– "أريد أن أخبرك بما أعتقد أنه حدث خلال موعدك الأخير مع مارغو بامبورو."

تحدث لمدة دقيقتين، ولم يقاطعه دوثويت، رغم أن سترايك عرف أنه لا يزال هناك، بسبب الأصوات البعيدة لنزل المبيت والإفطار التي لا تزال تصله عبر الخط. عندما أنهى سترايك إعادة بنائه لاستشارة دوثويت الأخيرة، ساد صمت إلا من الراديو البعيد، الذي كان يعزف أغنية "اللوم" (Blame) لـ كالفن هاريس.

لذا ألقِ باللوم على الليل... لا تلقِ باللوم علي...

قال سترايك:

– "حسنًا؟"

كان يعلم أن دوثويت لا يريد تأكيد ذلك. كان دوثويت جبانًا، رجلاً ضعيفًا يهرب من المشاكل. كان بإمكانه منع المزيد من الوفيات لو امتلك الشجاعة لقول ما يعرفه، لكنه كان خائفًا على جلده، خائفًا من أن يُنظر إليه كمتواطئ، وغبي وحقير، في عيون قراء الصحف. وهكذا هرب، لكن ذلك جعل الأمور أسوأ، وتبعت ذلك عواقب كابوسية، وهرب من تلك أيضًا، بالكاد معترفًا لنفسه بما يخشاه، مشتتًا نفسه بالشراب، وبالكاريوكي، وبالنساء.

والآن كان سترايك يضعه أمام خيار مروع لم يكن في الواقع خيارًا على الإطلاق. مثل فايوليت كوبر، كان ستيف دوثويت يواجه حياة من الازدراء من الجمهور المنتقد، وكم كان ليكون أفضل لو صارح تالبوت قبل أربعين عامًا، عندما كان يمكن العثور على جثة مارغو بامبورو بسرعة، وتقديم قاتل للعدالة قبل أن يضطر آخرون للموت.

قال سترايك:

– "هل أنا محق؟"

قال دوثويت أخيرًا:

– "نعم."

– "حسنًا، إذن، إذا أخذت بنصيحتي، ستذهب مباشرة لزوجتك وتخبرها، قبل أن تفعل الصحافة ذلك. لن يكون هناك اختباء من هذا."

قال دوثويت بهدوء:

– "تبًا."

قال سترايك بنشاط:

– "أراك في المحكمة، إذن."

وأغلق الخط، واتصل بروبن مباشرة.

– "لقد أكد ذلك."

– "كورموران."

– "نصحته بإخبار دونا –"

قالت روبن مرة أخرى:

– "كورموران."

– "ماذا؟"

– "أعتقد أنني أعرف ما هو M54."

– "ليس –"

– "– الطريق السريع؟ لا. M54 هو عنقود كروي (Globular cluster) –"

– "ماذا؟"

– "عنقود كروي من النجوم."

قال سترايك، بشعور بالهبوط:

– "نجوم؟ انتظري –"

– "اسمع. ظن كريد أنه ذكي، لكن الأمر يتطلب بحثًا في غوغل فقط –"

– "ليس لديهم إنترنت هناك. كان يتذمر بشأن ذلك –"

قالت روبن:

– "حسنًا، M54 هو عنقود من النجوم في كوكبة القوس (Sagittarius)."

قال سترايك، مغمضًا عينيه:

– "ليس التنجيم مرة أخرى. روبن –"

– "استمع إلي. قال: «ستجدها حيث تجد M54»، صحيح؟"

– "أجل –"

– "كوكبة القوس تُعرف أيضًا باسم الرامي (The Archer)."

– "إذن؟"

– "برايان أرانا الخريطة يا سترايك! دينيس كريد كان زائرًا منتظمًا لفندق «آرشر» (Archer Hotel) في إيسلينغتون في أوائل السبعينيات، عندما كان يوصل التنظيف الجاف الخاص بهم. كان هناك بئر في العقار، في الحديقة الخلفية. مغطى بالألواح، والآن مغطى بمشتل زجاجي."

دخل رجلان مرحان بكرشين متطابقين من الجعة إلى الحانة عبر الطريق. بالكاد سجلهما سترايك. نسي حتى أن يأخذ سحبات من السيجارة المحترقة بين أصابعه.

قالت روبن في أذنه:

– "فكر في الأمر. لدى كريد جثة لم يتوقعها في الشاحنة، لكنه لا يستطيع أخذها لغابة إيبينغ، لأنه لا يزال هناك مسرح جريمة نشط هناك. وجدوا للتو رفات فيرا كيني. لا أعرف لماذا لم يأخذ الجثة للقبو –"

قال سترايك:

– "أنا أعرف. أخبرني للتو. قاد مارًا بالمنزل وكانت فاي كوبر مستيقظة وعند النافذة."

– "حسنًا – تمام – لذا عليه إفراغ الشاحنة قبل العمل. يعرف طريقه حول حديقة الآرشر، ويعلم أن هناك بوابة خلفية. لديه أدوات في الجزء الخلفي من الشاحنة، يمكنه نزع تلك الألواح بسهولة. كورموران، أنا متأكدة أنها في بئر الآرشر القديم."

ساد توقف قصير، ثم سقط رماد ساخن في حجر سترايك من سيجارته المهملة.

– "يا للخصي –"

نقر العقب خارج النافذة، مكتسبًا نظرة استنكار من امرأة عجوز مارة تسحب عربة تسوق بترتان.

أخبر روبن:

– "حسنًا، إليكِ ما سنفعله. سأتصل بتاكر وأخبره بما حدث للتو، بما في ذلك استنتاجك. أنتِ تتصلين بـ جورج لايبورن وتخبرينه عن البئر في فندق الآرشر. كلما أسرعت الشرطة في تفتيشه، كان ذلك أفضل لآل تاكر، خاصة إذا تسربت أخبار اعتراف كريد."

– "حسنًا، سأبدأ في ذلك حا–"

قال سترايك:

– "انتظري، لم أنتهِ. عندما تنتهين من التحدث مع لايبورن، أريدك أن تتصلي بـ باركلي وتخبريه أنه ذاهب في مهمة معك، صباح الغد. يمكنه نسيان صديق الآنسة جونز لبضع ساعات. أو، على الأرجح، طوال اليوم، إذا حدث ما أعتقد أنه سيحدث."

سألت روبن:

– "أي مهمة سنقوم بها أنا وباركلي؟"

قال سترايك، فاتحًا عينيه مرة أخرى:

– "أليس الأمر واضحًا؟ نحن في سباق مع الزمن إذا تحدث دوثويت لأي شخص."

– "إذن أنا وباركلي...؟"

قال سترايك:

– "ستعثران على جثة مارغو. نعم."

ساد صمت طويل. قرقرت معدة سترايك مرة أخرى. الآن دخلت شابتان الحانة، تقهقهان على شيء أرت إحداهما الأخرى إياه على هاتفها.

قالت روبن، مهتزة قليلاً:

– "تعتقد حقًا أنها هناك؟"

– "أنا متأكد من ذلك."

– "وأنت –؟"

– "سأتصل ببرايان تاكر، وآكل بعض البطاطس، وأجري تلك المكالمة الهاتفية بعيدة المسافة – أعتقد أنهم متقدمون عنا بثلاث ساعات، لذا يجب أن يعمل ذلك بشكل جيد – ثم أقود عائدًا إلى المكتب. سأعود في وقت متأخر من بعد الظهر ويمكننا التحدث في الأمر برمته بشكل صحيح."

قالت روبن:

– "حسنًا. حظًا سعيدًا."

أغلقت الخط. تردد سترايك للحظة قبل الاتصال ببرايان تاكر: كان يود فعل ذلك وكأس جعة في يده، لكنه لا يزال بحاجة للقيادة عائدًا إلى لندن، والقبض عليه بتهمة القيادة تحت تأثير الكحول عشية الإمساك بقاتل مارغو بامبورو كان تعقيدًا لم يرغب حقًا في المخاطرة به. بدلاً من ذلك، أشعل لنفسه سيجارة ثانية، واستعد لإخبار أب مفجوع أنه بعد انتظار دام اثنين وأربعين عامًا، قد يكون قريبًا في وضع يسمح له بدفن ابنته.

70

... وأخيرًا الموت؛
الموت الذي يتبدى بوجهٍ أشد قتامةً وفظاعة...
إدموند سبنسر ملكة الجن

كان الصباح معتدلاً لدرجة توحي بالصيف، لكن أوراق أشجار الدلب بجانب كشك الهاتف عند مدخل طريق "ألبيمارل" كانت قد بدأت تصفر. سماء مرقعة بالأزرق والأبيض تمنح الدفء وتسحبه بينما تنزلق الشمس دخولاً وخروجًا خلف السحب، وشعرت روبن بقشعريرة رغم السترة التي كانت ترتديها تحت معطفها الواقي من المطر، وكأن ريحًا باردة تهب صعودًا في طريق ألبيمارل، ذلك الشارع الجانبي القصير الذي تبقيه مبانيه الشاهقة المتصلة في الظل للأبد.

كانت تقف بجانب كشك الهاتف حيث، ذات مرة، قبل ما يقرب من أربعين عامًا، انتظر قاتل مارغو بامبورو وراقب، شاعرًا، كما تخيلت روبن، بنفس ما تشعر به الآن. لابد أنه كان هناك خوف، وتوتر، وشك في أن الخطة قد تنجح، ورعب من عواقب الفشل. لكن هذا الشعور بالقرابة لم يجعل روبن تشعر بأي تعاطف مع القاتل. ناظرة عبر الطريق إلى القوس القديم لبوابة "سانت جون"، استطاعت تخيل مارغو بامبورو تمشي عبره في أمسية ممطرة قبل أربعين عامًا، أو ربما تترنح، شاعرة بدوار غريب ولا تعرف السبب... أو هل أدركت؟ ربما. كانت مارغو امرأة ذكية، ولهذا السبب توجب عليها أن تموت...

كان طريق "كليركينويل" مزدحمًا بحركة المرور والمشاة. شعرت روبن بالعزلة التامة عنهم جميعًا. لا أحد يمر بروبن يمكن أن تكون لديه أدنى فكرة عما

كانت على وشك محاولة فعله. *كم سيعتقدون أن خطط صباحها غريبة، كم هي مروعة...* تسللت قطرة من الذعر أسفل عمود روبن الفقري...

فكري في شيء آخر.

كانت هناك صورة في صحيفة "مترو" ذلك الصباح لـ شارلوت روس ترتدي نظارة شمسية ومعطفًا داكنًا طويلاً، تمشي في شارع في "مايفير" مع أختها، أميليا. لم يكن هناك أثر لزوج شارلوت أو توأمها الصغيرين، والقصة القصيرة غير ذات المحتوى أسفل الصورة لم تخبر روبن بأي شيء أرادت معرفته.

شوهدت شارلوت كامبل تستمتع بنزهة صباحية في لندن مع أختها، أميليا كريشتون، أمس. شارلوت، المتزوجة من جاغو، وريث فيكونتية كروي، خرجت مؤخرًا من المستشفى، بعد إقامة طويلة في «سيموندز هاوس»، وهي منشأة للإدمان والصحة العقلية مفضلة كثيرًا لدى الأثرياء والمشاهير.

شارلوت، التي تصدرت ذات مرة قائمة «تاتلر» لأجمل 100 لندني، كانت مفضلة لأعمدة النميمة منذ هربت لأول مرة من المدرسة، في سن 14. ابنة...

فكري في شيء آخر، قالت روبن لنفسها، وتحسست بوعي بحثًا عن موضوع آخر.

كان اليوم هو العشرون من سبتمبر. الشخص المولود اليوم سيكون تحت برج العذراء. تساءلت روبن كم من الوقت سيستغرق الأمر لتخليص نفسها من اللازمة الذهنية لربط التواريخ بالأبراج الفلكية. فكرت في ماثيو، الذي كان أكثر مواليد العذراء معرفة بها. كان يُفترض أن يكون البرج ذكيًا، ومنظمًا، ومتوترًا. كان منظمًا بالتأكيد، وذكيًا بطريقة الكتب... تذكرت أونا كينيدي تقول: *"أفكر أحيانًا، كلما كانوا أذكى مع الكتب، كانوا أغبى مع الجنس"*، وتساءلت عما إذا كان سعيدًا الآن بشأن الحمل الذي قال إنه كان عرضيًا...

فكري في شيء آخر.

تحققت من ساعتها. أين باركلي؟ صحيح، وصلت روبن مبكرة جدًا، وتقنيًا لم يكن باركلي متأخرًا، لكنها لم تحب الوقوف هنا وحدها، تحاول تشتيت نفسها عن التفكير فيما كانوا على وشك فعله.

وقفت ثيو ذات مرة حيث كانت روبن الآن تقريبًا، تراقب حركة المرور تتدفق صعودًا وهبوطًا في طريق كليركينويل، ثيو ذات الشعر الداكن وأقراط "كوتشي" والبطن المؤلم، تنتظر الشاحنة الفضية التي ستقلها بعيدًا. لماذا لم تتقدم ثيو أبدًا بعد ذلك، ولماذا لم تشعر بامتنان كافٍ للمرأة التي فحصتها في وقت قصير، على الأقل لاستبعاد نفسها من الشبهة وإيقاف تالبوت عن مطاردة وهم، ظل لغزًا صغيرًا. لكن بالطبع، ذلك يفترض أن ثيو شعرت بالامتنان. لا أحد يعرف حقًا ما حدث بين طبيب ومريض: كان ذلك المعادل العلماني لكرسي الاعتراف. كانت أفكار روبن قد انتقلت إلى دوثويت عندما رصدت، أخيرًا، باركلي، الذي كان يقترب، حاملاً حقيبة كبيرة. عندما اقترب بما يكفي، سمعت روبن الأدوات بداخلها تقرقع.

قال، متوقفًا بجانبها:

– "أشعر بشيء من «الديجا فو» (شوهد من قبل) هنا. ألم نذهب للحفر بحثًا عن جثة من قبل؟"

قالت روبن:

– "لا أعتقد أن هذا يصنف كحفر."

– "ما آخر الأخبار؟"

– "لقد خرج. يقول سترايك إنه يجب علينا الانتظار حتى يعود."

سأل باركلي، مومئًا للكيس في يد روبن:

– "ماذا في ذلك؟"

– "بسكويت شوكولاتة."

– "رشوة؟"

– "بشكل أساسي."

– "وهل سترايك –؟"

– "ليس بعد. إنه في موقعه. يريد منا أن..."

انتظرت روبن حتى تبتعد مجموعة ممن بدوا كطلاب خارج نطاق السمع.

– "... نقوم بجزئنا، أولاً. هل كنت مسرورًا،" تابعت روبن، لا تزال تحاول عدم التفكير فيما كانوا على وشك فعله حتى يصبح ضروريًا تمامًا، "بنتائج الاستفتاء؟"

قال باركلي بظلامية:

– "أجل، لكن لا تخدعي نفسك. هذا لم ينتهِ. ذلك الأحمق الغبي كاميرون يلعب مباشرة في أيدي القوميين. «أصوات إنجليزية للقوانين الإنجليزية»، في اليوم التالي لقرار اسكتلندا بالبقاء؟ أنت لا تحارب القومية اللعينة بالمزيد من القومية اللعينة. يحتاج لإخراج رأسه من مؤخرة فاراج – هل هذا هو صاحبنا الصغير الآن؟"

نظرت روبن حولها. مرتسمًا كخيال ضد نهاية طريق ألبيمارل كان رجل يمشي بمشية متأرجحة غريبة، ويحمل كيسين ممتلئين. توقف عند باب، وضع مشترياته، وضع مفتاحه في القفل، التقط أكياس تسوقه، وخطا فوق العتبة واختفى عن الأنظار.

قالت روبن، بينما بدت أحشاؤها تضطرب:

– "إنه هو. لنذهب."

سارا جنبًا إلى جنب أسفل الشارع إلى الباب الأمامي الأزرق الداكن.

قال باركلي، مشيرًا:

– "لقد ترك المفتاح في القفل."

كانت روبن على وشك رن الجرس عندما فتح الباب، وعاود سامهاين آثورن الظهور. شاحبًا، بأذنين كبيرتين وشعر بلون الفأر، فغر فاه قليلاً. كان يرتدي سترة "باتمان". مرتبكًا للعثور على شخصين على عتبة بابه، رمش، ثم خاطب كتف روبن الأيسر.

– "تركت المفتاح."

مد يده ليسحبه من القفل. وبينما هم بإغلاق الباب، أدخل باركلي قدمًا بمهارة.

قالت روبن، مبتسمة له، بينما فغر سامهاين فاه:

– "أنت سامهاين، أليس كذلك؟ نحن أصدقاء كورموران سترايك. كنت مفيدًا جدًا له، قبل بضعة أشهر."

قال سامهاين:

– "أحتاج لوضع المشتريات بعيدًا."

حاول إغلاق الباب الأمامي، لكن قدم باركلي كانت في الطريق.

سألت روبن:

– "هل يمكننا الدخول؟ فقط لفترة قصيرة؟ نود التحدث إليك وإلى والدتك. كنت مفيدًا جدًا، من قبل، بإخبار كورموران عن عمك تيدور –"

قال سامهاين:

– "عمي تيدور ميت."

– "أعرف. أنا آسفة."

– "مات في المستشفى."

– "حقًا؟"

– "أبي-غويليم مات تحت الجسر."

– "هذا محزن جدًا. هل يمكننا الدخول، من فضلك، للحظة فقط؟ أراد كورموران مني أن أحضر لك هذه،" أضافت، مخرجة علبة بسكويت الشوكولاتة من حقيبتها. "كشكر لك."

سأل سامهاين، ناظرًا للعلبة بطرف عينه:

– "ما هذه؟"

– "بسكويت شوكولاتة."

أخذ العلبة من يدها.

قال:

– "أجل. يمكنكما الدخول."

ومديراً ظهره، سار صاعدًا الدرج الداخلي المظلم.

بنظرة لباركلي، قادت روبن الطريق للداخل. سمعت رفيقها يغلق الباب خلفها، وقعقعة الأدوات في حقيبته. كان الدرج شديد الانحدار، وضيقًا ومظلمًا بعد

ضوء النهار، والمصباح بالأعلى ميت. عندما وصلت روبن إلى البسطة رأت، من خلال الباب المفتوح، امرأة بيضاء الشعر بأذنين كبيرتين مثل سامهاين، تمسح أسطح مطبخ مبلط باللون البني بينما سامهاين، الذي كان يوليه ظهره، يقشر بلهفة الغلاف البلاستيكي عن علبة بسكويت الشوكولاتة.

التفتت ديبورا، وضفيرتها البيضاء المرتبة تنزلق على كتفها، لتثبت عينيها الداكنتين على الغريبين.

قالت روبن، متوقفة في الردهة:

– "مرحبًا، سيدة آثورن."

سألت ديبورا ببطء:

– "هل أنتما من قسم الخدمة الاجتماعية؟ اتصلت بـ كلير..."

قال باركلي، قبل أن تتمكن روبن من الإجابة:

– "يمكننا المساعدة في أي شيء تستطيعه كلير. ما المشكلة؟"

قال سامهاين، الذي كان يحفر الآن بنشاط في علبة بسكويت الشوكولاتة، ويختار تلك المغلفة برقائق ذهبية:

– "هو في الطابق السفلي وغد. هذه هي الأفضل، في الورق اللامع، هكذا تعرف."

سألت روبن، مع تصاعد مفاجئ للإثارة قارب الذعر:

– "هل الرجل في الطابق السفلي يشتكي مرة أخرى؟"

سأل باركلي:

– "هل يمكننا إلقاء نظرة على ما هي المشكلة؟ أين يعتقد أن سقفه يتشقق؟"

أشارت ديبورا نحو غرفة الجلوس.

قال باركلي بثقة:

– "سألقي نظرة صغيرة."

وانطلق نحو غرفة الجلوس.

قالت ديبورا، التي عادت للمسح المنهجي لجانبي المطبخ:

– "لا تأكلها كلها يا سامي."

قال سامهاين، وفمه ممتلئ بالشوكولاتة:

– "هم أعطوني إياها، أيتها المرأة السخيفة."

تبعت روبن باركلي، تحارب شعورًا بعدم الواقعية التامة. *هل يمكن لما يشك فيه سترايك أن يكون صحيحًا حقًا؟*

كان طائرا البادجي يغردان في قفص في زاوية غرفة الجلوس الصغيرة، التي، مثل الردهة، كانت مفروشة بسجاد مزخرف بدوامات من البني والبرتقالي. كانت بطانية كروشيه مفروشة على ظهر الأريكة. كان باركلي ينظر لأسفل إلى أحجية (بازل) شبه مكتملة لخيول وحيدة القرن تقفز فوق قوس قزح. نظرت روبن حولها. كان المكان قليل الأثاث. بصرف النظر عن الأريكة وقفص الطيور، لم يكن هناك سوى كرسي بذراعين صغير، وجهاز تلفزيون تعلوه جرة رماد، ووحدة رفوف صغيرة عليها بضعة كتب ورقية قديمة وبعض التحف الرخيصة. توقفت عيناها عند الرمز المصري للحياة الأبدية المرسوم على رقعة من جدار أخضر قذر.

إنها ترقد في مكان مقدس.

همست لباركلي:

– "ألوح أرضية؟"

هز رأسه، ونظر بشكل ذي مغزى لأسفل إلى أحجية وحيد القرن، ثم أشار بقدمه إلى مسند القدمين (العثمانية - Ottoman) الكبير جدًا الذي كانت عليه الأحجية.

همست روبن، قبل أن تتمكن من إيقاف نفسها:

– "أوه يا إلهي، لا. أتعتقد ذلك؟"

تمتم باركلي:

– "وإلا لكان السجاد قد اضطر للرفع. تحريك الأثاث، ورفع ألواح الأرضية... وهل سيجعل ذلك السقف يتشقق، بالأسفل؟ وماذا عن الرائحة؟"

جاء سامهاين الآن متهاديًا إلى الغرفة، يأكل بسكويتته الثانية المغلفة بالرقائق.

سأل، ناظرًا إلى ركبتي روبن:

– "هل تريدين شوكولاتة ساخنة، أم لا؟"

قالت روبن، مبتسمة له:

– "إم... لا، شكرًا لك."

– "هل يريد هو شوكولاتة ساخنة، أم لا؟"

قال باركلي:

– "لا شكرًا يا صاح. هل يمكننا تحريك هذه الأحجية؟ أحتاج لإلقاء نظرة تحتها."

قال سامهاين بصرامة:

– "ديبورا لا تحب أن تُلمس أحجيتها."

قالت روبن:

– "نحتاج لإثبات أن الرجل في الطابق السفلي يكذب، مع ذلك. بشأن تشقق سقفه."

نادى سامهاين:

– "ديبورا. يريدان تحريك أحجيتك."

خرج من الغرفة بمشيته المتأرجحة، وأخذت والدته مكانه عند الباب، ناظرة لحذاء روبن وهي تقول:

– "لا يمكنكما تحريك وحيد القرن خاصتي."

قالت روبن:

– "نحتاج لإلقاء نظرة صغيرة تحتها. أعدك بأننا سنعتني بها جيدًا، ولن نكسرها. يمكننا نقلها..."

نظرت حولها، لكن لم يكن هناك امتداد من الأرضية كبير بما يكفي لاستيعابها.

قال سامهاين، عائدًا للظهور:

– "في غرفتي، يمكنك وضعها. على سريري، يمكنهما وضعها يا ديبورا."

قال باركلي بحماس، منحنيًا لرفعها:

– "فكرة ممتازة."

قالت روبن بسرعة:

– "أغلقها أولاً."

وطوت أجنحة حصيرة الأحجية فوق اللغز، محتوية كل القطع.

قال باركلي: "عمل جيد"، وحمل حصيرة الأحجية بعناية خارجًا عبر باب غرفة الجلوس، متبوعًا بديبورا، التي بدت قلقة ومنزعجة، وسامهاين المغتر بنفسه، الذي بدا فخورًا بتبني خطته من قبل هذا الرجل الجديد في الشقة.

لبضع ثوانٍ، وقفت روبن وحدها في غرفة الجلوس، تنظر لأسفل إلى العثمانية التي كانت كبيرة جدًا بالنسبة لهذه الغرفة الصغيرة. كانت مغطاة بقطعة قماش شكت روبن أنها تعود للستينيات، كونها من القطن الرقيق الباهت الأرجواني، وتحمل تصميم "ماندالا". إذا كورت امرأة طويلة نفسها، قد تتسع داخل تلك العثمانية، طالما كانت نحيفة، بالطبع.

لا أريد أن أنظر، فكرت روبن فجأة، والذعر يتصاعد مرة أخرى. *لا أريد أن أرى...*

لكن كان عليها أن تنظر. كان عليها أن ترى. كان ذلك ما جاءت لأجله.

عاد باركلي، متبوعًا بسامهاين الذي بدا مهتمًا وديبورا المضطربة.

قالت ديبورا، مشيرة إلى العثمانية المكشوفة:

– "ذلك لا يفتح. لا يمكنكما فتح ذلك. اتركا ذلك وشأنه."

قال سامهاين:

– "كانت ألعابي هناك. ألم تكن يا ديبورا؟ ذات مرة كانت. لكن أبي-غويليم لم يرد مني الاحتفاظ بها هناك بعد الآن."

كررت ديبورا، مكروبة الآن:

– "لا يمكنكما فتح ذلك. اتركاه، لا تلمسا ذلك."

قالت روبن بهدوء، ماشية نحو المرأة الأكبر سنًا:

– "ديبورا، علينا معرفة سبب تشقق السقف بالأسفل. أنتِ تعلمين كيف يشتكي الرجل بالأسفل دائمًا، ويقول إنه يود أن تنتقلي أنت وسامهاين؟"

قالت ديبورا فورًا، ولجزء من الثانية كادت عيناها الداكنتان تلتقيان بعيني روبن، قبل أن تعودا للسجاد المتموج:

– "لا أريد الذهاب. لا أريد الانتقال. سأتصل بكلير."

– "لا،" قالت روبن، متحركة بسرعة حول ديبورا وسادة طريقها للعودة إلى المطبخ، بهاتفه القديم المثبت على الحائط بجانب الثلاجة. أملت ألا تكون ديبورا قد سمعت ذعرها. "نحن هنا بدلاً من كلير، أترين؟ لمساعدتك مع الرجل في الأسفل. لكننا نعتقد – سام وأنا –"

قال سامهاين:

– "أبي-غويليم ناداني سام. ألم يفعل يا ديبورا؟"

قالت روبن:

– "هذا لطيف." وأشارت إلى باركلي. "هذا الرجل اسمه سام، أيضًا."

قال سامهاين بابتهاج:

– "هل اسمه سام، حقًا؟" وبجرأة رفع عينيه لوجه باركلي قبل أن ينظر بعيدًا مرة أخرى، مبتسمًا. "اثنان سام. ديبورا! اثنان سام!"

خاطبت روبن ديبورا المرتبكة، التي كانت الآن تنقل وزنها من قدم لأخرى بطريقة تذكر بمشية ابنها المتأرجحة.

– "سام وأنا نريد تسوية هذا يا ديبورا، لكي لا تحصلي على المزيد من المتاعب مع الرجل في الأسفل."

قالت ديبورا، مادة يدها بتوتر لطرف ضفيرتها البيضاء:

– "غويليم لم يرد لذلك أن يفتح. لم يرد لذلك أن يفتح، أراد أن يبقى مغلقًا."

– "لكن غويليم كان ليريد أن يُسمح لك ولسامهاين بالبقاء هنا، أليس كذلك؟"

وضعت ديبورا طرف ضفيرتها في فمها ومصته، وكأنه مصاصة ثلج. جالت عيناها الداكنتان وكأنها تبحث عن مساعدة.

قالت روبن بلطف:

– "أعتقد أنه سيكون من الجيد إذا انتظرتِ أنت وسامهاين في غرفة نومه بينما نلقي نظرة على العثمانية."

قال سامهاين، وقهقه مرة أخرى:

– "رجل العُقد (Knotty man)." "سام! مهلاً – سام! رجل العقد!"

قال باركلي، مبتسمًا:

– "واحدة جيدة."

قالت روبن، زالقة ذراعًا حول ديبورا:

– "تعالي. انتظري في غرفة النوم مع سامهاين. لم تفعلي أي شيء خاطئ، نحن نعرف ذلك. كل شيء سيكون على ما يرام."

بينما كانت تقود ديبورا ببطء عبر البسطة، سمعت سامهاين يقول بمرح:

– "سأبقى هنا، رغم ذلك."

أجاب باركلي، بينما دخلت روبن وديبورا غرفة نوم سامهاين الصغيرة:

– "لا يا صاح."

كان كل بوصة من الجدار مغطاة بصور الأبطال الخارقين وشخصيات الألعاب. أحجية ديبورا العملاقة احتلت معظم السرير. كانت الأرضية حول "البلاي ستيشن" مليئة بأغلفة الشوكولاتة.

كان باركلي يقول:

– "اعتنِ بأمك، وبعد ذلك، سأعلمك خدعة سحرية."

– "أبي-غويليم كان يستطيع القيام بالسحر!"

– "أجل، أعرف، سمعت. ذلك يجعل من السهل عليك القيام بالسحر، إذا كان والدك يستطيع فعله، هاه؟"

أخبرت روبن والدة سامهاين الخائفة:

– "لن نتأخر. فقط ابقيا هنا الآن، حسنًا؟ من فضلك يا ديبورا؟"

اكتفت ديبورا بالرمش في وجهها. كانت روبن خائفة بشكل خاص من محاولة المرأة الوصول للهاتف على جدار المطبخ، لأنها لم تكن تريد الاضطرار لتقييدها جسديًا. عائدة لغرفة الجلوس، وجدت باركلي لا يزال يساوم سامهاين.

كان سامهاين يقول، مبتسمًا، ناظرًا من يدي باركلي إلى ذقنه إلى أذنه:

– "افعلها الآن. هيا، أرني الآن."

قالت روبن:

– "سام لا يمكنه القيام بالسحر إلا بعد أن ننهي عملنا. سامهاين، هل ستنتظر في غرفة النوم مع أمك، من فضلك؟"

قال باركلي:

– "هيا يا صاح. فقط لفترة قصيرة. ثم سأعلمك الخدعة."

تلاشت الابتسامة عن وجه سامهاين.

قال بنكد لروبن:

– "امرأة سخيفة. امرأة غبية."

خرج من الغرفة، لكن بدلاً من الذهاب لغرفة نومه، اتجه للمطبخ.

تمتمت روبن:

– "تبًا، لا تفعل شيئًا بعد يا سام –"

عاد سامهاين للظهور، ممسكًا بعلبة بسكويت الشوكولاتة، ومشى إلى غرفة نومه وصفق الباب خلفه.

قالت روبن:

– "الآن."

قال سام (باركلي):

– "ابقي بجوار الباب، راقبيهم."

أغلقت روبن باب غرفة الجلوس، تاركة شقًا صغيرًا يمكنها من خلاله التجسس على غرفة نوم سامهاين، وأعطت باركلي إشارة الإبهام لأعلى.

سحب الغطاء ذا الماندالا عن العثمانية، وانحنى، وأمسك بحافة الغطاء ورفع. الغطاء لم يتزحزح. وضع كل قوته فيه، لكنه لم يتحرك. من غرفة سامهاين جاء صوت أصوات مرتفعة. كانت ديبورا تخبر سامهاين ألا يأكل المزيد من بسكويت الشوكولاتة.

قال باركلي، لاهثًا وتاركًا الغطاء:

– "الأمر وكأنه – مقفول – من الداخل."

فتح سحاب حقيبته، وبعد بعض البحث، أخرج عتلة (crowbar)، وحشر نهايتها في الشق الفاصل بين الغطاء وجسم العثمانية. "هيا – أيها – الوغد،" لهث، بينما فقدت نهاية العتلة قبضتها وكادت تضرب باركلي في وجهه. "شيء ما يلصقه بالأسفل."

اختلست روبن النظر للخلف إلى باب غرفة نوم سامهاين. ظل مغلقًا. الأم والابن كانا لا يزالان يتجادلان حول بسكويت الشوكولاتة. غردت طيور البادجي. خلف النافذة، استطاعت روبن رؤية ذيل طائرة، منظف غليون أبيض وضبابي ممدود عبر السماء. الأشياء اليومية أصبحت غريبة جدًا، عندما تكون تنتظر حدوث شيء مروع. كان قلبها يدق بسرعة.

قال باركلي من خلال أسنانه المطبقة:

– "ساعديني."

كان قد تمكن من إدخال نهاية العتلة أعمق في الشق بالعثمانية.

– "سيستغرق الأمر اثنين."

بعد نظرة أخرى على باب سامهاين المغلق، هرعت روبن إلى باركلي وأمسكت بالعتلة بجانبه. مستخدمين كل وزنهما وقوتهما، دفع كلاهما المقبض نحو الأرض.

لهثت روبن:

– "يا يسوع. ما الذي يمسكه؟"

– "أين – سترايك – عندما تحتاج –"

كان هناك صوت طحن وتكسر عالٍ. استسلمت العتلة فجأة وانفتح غطاء العثمانية. التفتت روبن ورأت سحابة من الغبار ترتفع في الهواء. دفع باركلي الغطاء للأعلى.

كانت العثمانية قد ملئت بالخرسانة، التي ألصقت الغطاء بنفسها. كانت المادة الرمادية متكتلة وبدت وكأنها قد خُلطت بشكل سيء. في مكانين، اخترق شيء أملس السطح الرمادي غير المستوي: أحدهما يشبه بضع بوصات من ناب

فظ، والآخر، سطح منحنٍ يلمح إلى كرة عاجية داكنة. ثم رأت روبن، ملتصقة بقطعة من الخرسانة التي علقت بغطاء العثمانية، بضع شعيرات شقراء.

سمعا خطوات على البسطة. صفق باركلي غطاء العثمانية مغلقًا بينما فتح سامهاين الباب. تبعته ديبورا.

قال باركلي، ماشيًا نحو سامهاين:

– "سأعلمك تلك الخدعة السحرية الآن. تعال للمطبخ، سنفعلها هناك."

غادر الرجلان. جرجرت ديبورا قدميها إلى الغرفة، والتقطت الغطاء الأرجواني الباهت الذي رمته روبن جانبًا.

تمتمت، وعيناها على السجاد القديم:

– "هل فتحتماه؟"

قالت روبن، بهدوء أكثر بكثير مما كانت تشعر:

– "نعم." وجلست على العثمانية، رغم أنها شعرت بأنها ترتكب تدنيسًا بفعل ذلك. *أنا آسفة يا مارغو. أنا آسفة جدًا.*

– "أحتاج لإجراء مكالمة هاتفية الآن يا ديبورا. ثم أعتقد أننا يجب جميعًا أن نتناول بعض الشوكولاتة الساخنة."

71

تلك هي سحنة الزيف، وتلك هي هيئة
«دويسا» الشنيعة، حين يُنزع عنها نورها
المستعار، وتنكشف الخديعة للعيان.

إدموند سبنسر ملكة الجن

أقبل قطار يهدر ويقعقع على طول خط السكك الحديدية الجنوبي الشرقي. شعر سترايك، الذي كان واقفًا على الجانب الآَخر من الطريق، بهاتفه المحمول يهتز في جيبه فسحبه، لكن لعدة ثوانٍ كان الضجيج عاليًا لدرجة أنه لم يستطع سماع روبن على الفور.

– "... وجدناها."

صرخ سترايك، بينما كان القطار يبتعد وهديره يخفت:

– "قولي ذلك مرة أخرى؟"

– "لقد – وجدناها. داخل العثمانية (مسند القدمين) في غرفة الجلوس. الخرسانة صُبت حولها بالكامل، لكن يمكننا رؤية جزء من جمجمتها وربما عظم فخذ."

– "تبًا."

كان سترايك يتوقع وجود الجثة في شقة آل آثورن، لكن لم يكن هناك شيء روتيني أبدًا بشأن العثور على إنسان ميت.

كرر:

– "خرسانة؟"

– "نعم. لا تبدو مخلوطة جيدًا. عمل هواة. لكنها أدت الغرض. ربما قتلت معظم الرائحة."

– "وزن هائل على عارضة دعم."

– "حسنًا، بالضبط. أين أنت؟"

– "بالخارج، على وشك الدخول. حسنًا: اتصلي بالطوارئ (999)، ثم اتصلي بـ لايبورن وأخبريه بمكاني، ولماذا. يجب أن يسرع ذلك الأمور."

– "مفهوم. حظًا سعيدًا."

أغلق سترايك الخط. كان الشارع العادي ذو المنازل المتلاصقة هادئًا الآن بعد رحيل القطار، وحل تغريد الطيور محل ضجيجه المدوي. سترايك، الذي كان ينتظر حيث لا يمكن رؤيته، مشى الآن صعودًا في الشارع، مارًا بثلاثة منازل صغيرة، وعند الرابع، انعطف يسارًا صاعدًا ممر حديقة قصيرًا، ثم طرق بقوة إيقاعية على الباب الأمامي الأحمر الداكن.

اهتزت ستائر الدانتيل، وظهر وجه جانيس بيتي العابس. رفع سترايك يده للتحية. سقطت الستارة.

بعد انتظار أطول قليلاً مما كان متوقعًا، نظرًا لقصر المسافة من غرفة الجلوس إلى الردهة، فتحت جانيس الباب. كانت ترتدي الأسود بالكامل اليوم، مع خف من جلد الغنم في قدميها. بدت عيناها الزرقاوان الصافيتان كلون الخزف الصيني، والمحاطتان بإطار فولاذي، لطيفتين وبريئتين كالعادة. بشعرها الفضي، وخديها المتوردين كالتفاح، عبست في وجه المحقق، لكنها لم تتحدث.

سأل سترايك:

– "هل يمكنني الدخول؟"

ساد توقف طويل. غردت الطيور البرية، وفكر سترايك للحظة في طيور البادجي في شقة آل آثورن، حيث كان جزء من عقله يسهب في التفكير في صورة الجمجمة وعظم الفخذ، البارزين من خلال الخرسانة.

قالت جانيس ببطء:

– "إذا كان لا بد من ذلك."

تبع جانيس إلى غرفة الجلوس الحمراء، بسجادتها التركية القرمزية الرخيصة، وصور الزهور المجففة والصور الفوتوغرافية الباهتة. كانت الشمس تجعل عربة سندريلا المصنوعة من الزجاج المغزول وخيولها الستة تتلألأ فوق المدفأة، التي كانت جانيس قد شغلتها، رغم اعتدال يوم سبتمبر.

قالت جانيس:

– "تريد كوبًا من الشاي؟"

قال سترايك، واعيًا تمامًا لعدم واقعية الموقف:

– "سيكون ذلك رائعًا."

استمع لخطواتها المكتومة بخف جلد الغنم وهي تبتعد وصوت باب المطبخ يفتح. مخرجًا هاتفه المحمول، حوله إلى وضع التسجيل ووضعه على ذراع الكرسي الذي جلس فيه في المرة السابقة. ثم ارتدى زوجًا من قفازات اللاتكس وتبع جانيس بهدوء خارج الغرفة، والسجاد البالي يكتم خطواته.

عند الباب، توقف، مستمعًا لفقاعات الماء المغلي الناعمة ضد غطاء الغلاية، ورنين الملاعق الصغيرة، وفتح خزانة. بطرف إصبع واحد، دفع باب المطبخ ليفتح.

دارت جانيس حول نفسها، وعيناها متسعتان. عند رؤيته، أمسكت بأحد الأكواب الصينية على الصينية ورفعته بسرعة إلى شفتيها، لكن سترايك كان قد اتخذ بالفعل خطوة واسعة نحوها. ممسكًا بالمعصم النحيل بيده المغطاة بقفاز اللاتكس، ومجبرًا الكوب بعيدًا عن فمها، شعر بالعظم تحت اللحم الطري والجلد الرقيق للمسنّة. بيده الحرة، سحب الكوب من يدها، وفحصه. كانت بوصة جيدة من سائل أبيض لزج تسبح في قاعه. وهو لا يزال ممسكًا بمعصم جانيس، نظر داخل إبريق الشاي، الذي احتوى على المزيد من نفس الشيء، ثم فتح الخزانة فوق الغلاية.

كانت مكتظة بزجاجات الحبوب، ومبيد الأعشاب، والمبيض ومرطبانات المربى المليئة بما بدا وكأنه نباتات، وأوراق وفطريات مجففة منزليًا: مخزن

السامة، شهادة على عمر من الدراسة المتأنية للوسائل التي يمكن بها تقديم الموت في هيئة شفاء.

قال سترايك:

– "أعتقد أنني سأفوت الشاي. لنجرِ دردشة، ما رأيك؟"

لم تبدِ أي مقاومة وهو يقودها من معصمها عائدًا عبر الممر إلى غرفة الجلوس ويدفعها للجلوس على الأريكة.

قال سترايك، واقفًا فوقها:

– "جريمة قتل وانتحار كانت لتكون طريقة درامية للخروج، لكنني لا أشتهي كثيرًا أن أكون الضحية رقم... كم وصل العدد؟"

لم تقل جانيس شيئًا. لم تسجل عيناها الزرقاوان المستديرتان سوى الصدمة.

نظر سترايك للأعلى إلى جدار الصور القديمة. أظهرت إحداها عروسًا سمراء مبتسمة بأسنان بارزة، شعرها مصفف في خصلات مجعدة، في فستان دانتيل بياقة عالية، وقبعة دائرية صغيرة فوق طرحتها، وشامة كبيرة على عظمة خدها الأيسر. فوقها مباشرة كانت صورة لشابة شقراء بشعرها المصفف بتمويج الثمانينيات المجعد. كانت ترتدي معطفًا أحمر. لم يلاحظ، لم يرَ، لأنه دخل الغرفة بتوقعات معينة، صانعًا افتراضات لا تقل شمولية عما فعله تالبوت، بقناعته أن مواليد السرطان حدسيون، ولطيفون ومدركون. الممرضات ملائكة، يخدمن الضعفاء: كان مذنباً بالتحيز تمامًا مثل فاي كوبر، رائيًا جانيس من خلال منظور ذكرياته الممتنة للممرضات في "سيلي أوك" اللواتي ساعدنه في إدارة الألم والاكتئاب، وكيرينزا في كورنوال، التي جلبت الراحة واللطف كل يوم. وفوق كل ذلك، خدعته عبقرية حقيقية في الأكاذيب والتضليل.

قال سترايك:

– "ظننت أنه يجب عليّ المجيء وإخبار الأخصائية الاجتماعية لآل آثورن شخصيًا بأنه تم العثور على جثة في شقتهم. أنتِ تتقنين اللهجة الطبقية المتوسطة

بشكل جيد جدًا يا جانيس. أفترض أن الهاتف الذي تستخدمه «كلير» موجود هنا في مكان ما؟"

نظر حوله. ربما أخفته عندما رأت من بالباب. رصد فجأة مجفف الشعر، مدسوسًا خلف الأريكة، لكن سلكه بارز. انسل مارًا بطاولة القهوة، وانحنى وسحبه، جنبًا إلى جنب مع لفة من السلوفان، وقارورة صغيرة نُزع عنها الملصق، وحقنة وبعض الشوكولاتة.

قالت جانيس فجأة وبغضب:

– "اتركها."

لكنه وضع الأشياء على طاولة القهوة بدلاً من ذلك.

سأل:

– "كم كنت سأمرض لو أكلت واحدة من تلك التمرات التي كنتِ تحقنينها عندما وصلت في المرة السابقة؟ تستخدمين مجفف الشعر لإعادة تثبيت السلوفان حولها، صحيح؟" وعندما لم تجب، قال: "لم أشكركِ على تلك الشوكولاتة التي أرسلتِها لروبن ولي في الكريسماس. كنت مصابًا بالإنفلونزا. تمكنت فقط من أكل اثنتين قبل أن أتقيأ أحشائي. رميت الباقي، لأنها ارتبطت لدي بذكرى سيئة. محظوظ أنا، هاه؟"

جلس سترايك الآن في الكرسي بذراعين، بجانب هاتفه المحمول، الذي كان لا يزال يسجل.

سأل سترايك، مشيرًا بيده للأعلى نحو جدار الصور:

– "هل قتلتِ كل هؤلاء الناس؟ أم أن بعضهم فقط عانى من مشاكل معوية متكررة حولك؟ لا،" قال، متفحصًا الجدار، "إيرين ليست هناك، أليس كذلك؟"

رمشت في وجهه من خلال عدسات نظارتها الفضية المستديرة، التي كانت أنظف بكثير من نظارات دينيس كريد.

جاءت سيارة تتدحرج ببطء في الطريق خلف ستائر الدانتيل. راقبتها جانيس تمر، وظن سترايك أنها كانت تتوقع نصف توقع رؤية سيارة شرطة. ربما لن

تتحدث على الإطلاق. أحيانًا، لا يفعل الناس ذلك. يفضلون ترك الأمر كله للمحامين.

قال سترايك:

– "تحدثت إلى ابنك عبر الهاتف الليلة الماضية."

– "أنت لم تفعل!"

اندفعت الكلمات منها، في صدمة.

قال سترايك:

– "لقد فعلت. كيفن فوجئ تمامًا بسماع أنكِ كنت تزورينه في دبي، لأنه لم يركِ منذ ما يقرب من سبع سنوات. لماذا تدعين أنكِ تزورينه؟ للحصول على استراحة من إيرين؟"

أطبقت شفتيها معًا. كانت يد تعبث بخاتم الزواج البالي في اليد الأخرى.

– "أخبرني كيفن أنه لم يكن لديه أي اتصال بكِ تقريبًا، منذ مغادرته المنزل. لم تكونا قريبين أبدًا، كما قال. لكنه دفع تكاليف طيرانك إلى هناك قبل سبع سنوات، لأنه اعتقد أنه يجب أن يعطيكِ «فرصة أخرى»، كما عبر عنها... وابنته الصغيرة تمكنت من ابتلاع قدر كبير من المبيض بينما كنتِ تعتنين بها. نجت – بالكاد – ومنذ ذلك الحين، قطع علاقته بكِ تمامًا.

"انتهى بنا الأمر بالحديث لما يقرب من ساعتين،" قال سترايك، مراقبًا تذبذب لون وجه جانيس. "كان من الصعب على كيفن أن يقول بصوت عالٍ ما اشتبه به طوال هذه السنوات. من يريد تصديق أن أمه كانت تسمم الناس؟ فضل الاعتقاد بأنه مصاب بالبارانويا بشأن كل تلك «المشروبات الخاصة» التي اعتدتِ إعطاءه إياها. ويبدو أن زوجك الأول –"

تمتمت جانيس:

– "لم يكن زوجي. لم نتزوج قط."

– "– غادر لأنه اعتقد أنكِ تفعلين أشياء لوجباته، أيضًا. اعتاد كيفن الاعتقاد بأن والده يختلق الأمر برمته. لكن بعد دردشتنا الليلة الماضية، أعتقد أنه يرى الأمور بشكل مختلف تمامًا. إنه مستعد للمجيء والشهادة ضدك."

أعطت جانيس رعشة تشنجية صغيرة. لمدة دقيقة تقريبًا ساد الصمت.

همست أخيرًا، ناظرة إلى الهاتف المحمول الملقى على ذراع كرسي سترايك:

– "أنت تسجل هذا."

قال سترايك:

– "أنا أفعل، نعم."

– "إذا أطفأته، سأتحدث إليك."

– "سأظل قادرًا على الشهادة بما ستخبرينني به."

– "أنا متأكدة أن محاميًا سيقول لي ألا أدع نفسي أسجل، مع ذلك."

اعترف سترايك:

– "أجل، أنتِ محقة على الأرجح."

التقط الهاتف المحمول، وأداره ليواجهها لتتمكن من المشاهدة، وأوقف التسجيل، ثم وضعه على طاولة القهوة الصغيرة بجانب الشوكولاتة، والقارورة الفارغة، والحقنة، والسلوفان ومجفف الشعر.

– "لماذا تفعلين ذلك يا جانيس؟"

كانت لا تزال تمسد الجانب السفلي من خاتم زواجها.

قالت:

– "لا أعرف لماذا. أنا فقط... أحب ذلك."

جالت عيناها عبر جدار الصور.

– "أحب رؤية ما يحدث لهم، إذا تناولوا السم أو الكثير من الأدوية. أحيانًا أحب مساعدتهم وجعلهم ممتنين، وأحيانًا أحب مشاهدتهم يعانون، وأحيانًا أحب مشاهدتهم يرحلون..." سرت قشعريرة في مؤخرة عنق سترايك. "لا أعرف لماذا،" قالت مرة أخرى. "أفكر أحيانًا أنه بسبب ضربة تلقيتها على الرأس، عندما كنت في العاشرة. ضربني أبي وأسقطني على الدرج. فقدت الوعي لمدة خمس عشرة دقيقة. منذ ذلك الحين، أعاني من الصداع. صدمات الرأس يمكن أن تفعل أشياء بك، كما تعلم. لذا ربما ليس خطئي، لكن... لا أدري...

"مع حفيدتي،" قالت جانيس، عابسة قليلاً، "أردت فقط أن ترحل، بصراحة... مدللة وكثيرة الأنين... أنا لا أحب الأطفال،" قالت، ناظرة مباشرة مرة أخرى إلى سترايك. "لم أحب الأطفال قط. لم أردهم أبدًا، لم أرد كيف أبدًا، لكنني ظننت أنه إذا أنجبته، فقد يتزوجني والده... لكنه لم يفعل أبدًا، لم يرد...

"إنجاب طفل هو ما قتل أمي،" قالت جانيس. "كنت في الثامنة. أنجبته في المنزل. المشيمة المنزاحة (Placenta previa)، كان ذلك. الدم في كل مكان، وأنا أحاول المساعدة، لا طبيب، ووالدي سكران، يصرخ في الجميع...

"أخذت هذا،" قالت جانيس بهدوء، مرية سترايك خاتم الزواج في إصبعها، "من يد أمي الميتة. عرفت أن والدي سيبيعه من أجل الشراب. أخذته وخبأته لكي لا يتمكن من الحصول عليه. إنه كل ما لدي منها. أحببت أمي،" قالت جانيس بيتي، ماسحة على خاتم الزواج، وتساءل سترايك عما إذا كان ذلك صحيحًا، أم أن صدمة الرأس والإيذاء المبكر قد جعلا جانيس ما هي عليه، وعما إذا كانت جانيس تملك القدرة على الحب على الإطلاق.

سأل سترايك، مشيرًا إلى الإطار المزدوج بجانب جانيس، حيث الرجل ناعس العينين ذو الوزن الزائد وأسنان المدخن يواجه الشقراء الممتلئة ولكن الجميلة:

– "هل تلك حقًا أختك الصغيرة، كلير؟"

قالت جانيس، ناظرة إلى الصورة. بعد توقف قصير، قالت:

– "لا. كانت عشيقة لاري. قتلت كليهما. لست آسفة. استحقوا ذلك. كان معي، لم يكن صيدًا ثمينًا، لكنه كان معي، والاثنان يمارسان ألاعيبهما من وراء ظهري. عاهرة،" قالت جانيس بهدوء، ناظرة إلى صورة الشقراء الممتلئة.

– "أفترض أنكِ احتفظتِ بالنعوات؟"

نهضت ببطء من الأريكة، وسمع سترايك ركبتيها تطقطقان وهي تمشي نحو الخزانة الصينية في الزاوية التي كانت تأوي معظم زخارفها الزجاجية الرخيصة، وركعت، مثبتة نفسها مرة أخرى بيد واحدة على رف الموقد. لكن الآن، بدلاً من مجلد واحد، سحبت اثنين من الدرج في قاعدة الخزانة، وتذكر سترايك كيف

حركت الأشياء في الدرج في المرة السابقة، بلا شك مزيلة تلك الأشياء التي لم تكن تريده أن يراها.

قالت، مرية إياه الأسمن بين المجلدين:

– "ذاك الواحد، هو كل الأشياء عن مارغو. قصصت كل شيء استطعت العثور عليه. احتجت لمجلد ثانٍ لكل قصاصاتها..."

فتحت المجلد الأرق، الذي كان هو الذي رآه سترايك من قبل، واستخرجت نشرة إخبارية قديمة للعمل بعنوان *هيكسون وشركاه*. ظهرت صورة الشقراء الملونة بشكل بارز في الأعلى.

– "كلير مارتن،" قالت جانيس. "كانت شرّيبة (مدمنة كحول) ثقيلة، كانت كذلك. «جرعة زائدة عرضية»... فشل كبدي. كنت أعلم أنها تتناول الكثير من الباراسيتامول لمرض بطانة الرحم لديها، راقبتها تفعل ذلك. أنا ولاري استضفنا مجموعة من الناس في المنزل. ظنوا أنني غبية. تواصل بصري بينهما طوال الليل. أغبياء كالحجارة، كلاهما. كنت أخلط المشروبات. كل كوكتيل أعطيته إياه كان نصفه باراسيتامول سائلاً. ماتت بعد ثمانية أيام...

"وهناك نعي لاري،" قالت بلا مبالاة، رافعة نشرة إخبارية ثانية من هيكسون وشركاه.

– "انتظرت ستة، سبعة أشهر. كان ذلك سهلاً. كان قنبلة موقوتة تمشي، لاري، الأطباء حذروه، قلبه كان محطمًا. سودوإيفيدرين، كان ذلك. لم يفحصوه حتى بحثًا عن مخدرات في نظامه. عرفوا ما كان السبب: التدخين والأكل مثل الخنزير. لم ينظر أحد أبعد من قلبه المعتل..."

لم يكتشف سترايك أدنى علامة على الندم وهي تخلط نعوات ضحاياها وكأنها أنماط حياكة. كانت أصابعها ترتجف، لكن سترايك اعتقد أن ذلك يعود للصدمة، وليس الخجل. قبل دقائق معدودة كانت تفكر في الانتحار. ربما كان ذلك العقل البارد والذكي يعمل بجد تحت السطح الصريح ظاهريًا، وفجأة مد سترايك يده وأزال الشوكولاتة المخدرة من الطاولة بجانب جانيس، ووضعها على الأرض بجانب كرسيه. تبعتها عيناها، وكان واثقًا من أنه كان محقًا في الشك بأنها تفكر في أكلها.

الآن مال للأمام مرة أخرى والتقط القصاصة الصفراء القديمة التي فحصها في المرة السابقة، والتي تظهر جوني ماركس الصغير من بيثنال غرين.

– "كان هو الأول، أليس كذلك؟"

أخذت جانيس نفسًا عميقًا وزفرته. رفرف زوج من القصاصات.

– "أجل،" قالت بثقل. "مبيد حشري. كان بإمكانك الحصول على كل الأنواع في تلك الأيام، شراؤها من المتجر. الفوسفات العضوي. كنت معجبة به بشدة، جوني ماركس، لكنه سخر مني. نعم، لذا ظنوا أنه التهاب الصفاق ومات. صحيح أن الطبيب لم يظهر، تذكر. الناس لم يهتموا، عندما كانوا أطفالاً من حي فقير... كان ذلك موتًا سيئًا، الذي حظي به. سُمح لي بالدخول والنظر إليه، بعد موته. أعطيته قبلة صغيرة على الخد،" قالت جانيس. "لم يستطع منعي حينها، أليس كذلك؟ لم يكن ينبغي له السخرية مني."

قال سترايك، فاحصًا القصاصة:

– "ماركس، أعطاكي الفكرة لاسم سبنسر، صحيح؟ (ماركس آند سبنسر). كان الاسم هو أول ما ربطها بك، لكن كان يجب أن أفطن للأمر عندما اتصلت بي كلير بهذه السرعة. الأخصائيون الاجتماعيون لا يفعلون ذلك أبدًا. مثقلون بالعمل للغاية."

قالت جانيس: "هاه"، وكادت تبتسم. "نعم. من هناك حصلت على الاسم: كلير مارتن وجوني ماركس."

– "أنتِ لم تحتفظي بنعوة برينر، أليس كذلك؟"

قالت جانيس:

– "لا."

– "لأنكِ لم تقتليه؟"

– "لا. مات من الشيخوخة في مكان ما في ديفون. لم أقرأ حتى نعيه، لكن كان علي أن أبتكر شيئًا، أليس كذلك، عندما طلبتها؟ فقلت إن أوكدين أخذها."

ربما كانت أكفأ كاذبة قابلها سترايك على الإطلاق. قدرتها على الإتيان بالأكاذيب في لحظة، والطريقة التي نسجت بها أكاذيبها المعقولة مع الحقيقة،

دون محاولة الكثير أبدًا، وتقديم كل شيء بهالة من الأصالة والصدق، وضعتها في فئة خاصة.

– "هل كان برينر مدمنًا للباربيتورات حقًا؟"

– "لا،" قالت جانيس.

كانت تعيد خلط النعي مع غيره في مجلدها الآن، ورصد سترايك القصاصة حول الريحان المقدس، التي كان على ظهرها إشعار وفاة جوانا هاموند.

كررت: "لا"، وهي تعيد الأنعية إلى درجها السفلي وتغلقه، وكأنه يهم بعد الآن ما إذا كانت ترتب هذه الأشياء بعيدًا، وكأنها لن تستخدم قريبًا كدليل ضدها. طقطقت ركبتاها، ونهضت ببطء على قدميها مرة أخرى، وعادت إلى الأريكة.

– "كنت أجعل برينر يوقع على الأدوية لي،" قالت. "ظن أنني أبيعها في الشارع، الوغد العجوز الغبي."

– "كيف أقنعته بطلب كميات زائدة من الأدوية؟ ابتزاز؟"

– "أفترض أنك ستسمي ذلك هكذا، نعم،" قالت. "اكتشفت أنه كان يذهب لرؤية بائعة هوى محليًا. أحد أطفالها أخبرني أن برينر كان يزورها مرة في الأسبوع. فكرت، حسنًا، سأنال منك، أيها الوغد العجوز القذر. كان يقترب من التقاعد. عرفت أنه لا يريد إنهاء مسيرته في عار. دخلت لرؤيته ذات يوم في غرفة استشارته وأخبرته أنني أعرف. كاد يصاب بنوبة قلبية،" قالت جانيس، بابتسامة خبيثة. "أخبرته أنني أعرف كيف أبقي فمي مغلقًا، ثم طلبت منه أن يحضر لي بعض الأدوية. وقع مثل الحمل الوديع. كنت أستخدم الأشياء التي أحضرها لي برينر لسنوات، بعد ذلك."

– "بائعة الهوى كانت بيتي فولر، صحيح؟"

– "أجل،" قالت جانيس. "ظننت أنك ستكتشف ذلك."

– "هل اعتدى برينر حقًا على ديبورا آثورن؟"

– "لا. فحص غرزها بعد أن أنجبت سامهاين، هذا كل شيء."

– "لماذا أخبرتني كلير سبنسر بتلك القصة؟ مجرد ذر المزيد من الرماد في العيون؟"

هزت جانيس كتفيها.

– "لا أدري. فكرت ربما ستظن أن برينر كان متحرشًا جنسيًا وأن مارغو اكتشفت أنه كان يعبث مع المرضى."

– "هل كانت هناك حقًا كبسولة أميتال في كوب برينر؟"

– "لا،" قالت جانيس. "كانت في كوب إيرين... كان ذلك غبيًا،" قالت، وجبينها الوردي والأبيض مقطب. انجرفت عيناها الزرقاوان الواسعتان فوق جدار صور الضحايا، إلى النافذة وعودة إلى سترايك. "لم يكن ينبغي لي فعل ذلك. أحيانًا كنت أقترب قليلاً من حافة الهاوية. جازفت بمخاطر سخيفة. كانت إيرين تغضبني ذات يوم في الاستقبال، تغازل – مجرد مغازلة،" قالت جانيس، "لذا أخذت لها كوب شاي فيه كبسولتان. إنها تتحدث حتى تود خنقها، أردت فقط أن تخرس بحق الجحيم لفترة. لكنها تركته يبرد...

"كنت سعيدة نوعًا ما، بعد أن هدأت. أخذت الكوب وأخرجته للخلف لغسله، لكن مارغو جاءت متسللة خلفي في حذائها المسطح. حاولت إخفاءه، لكنها رأت.

"ظننت أنها ستذهب وتشي بي، لذا كان علي أن أسبقها. ذهبت مباشرة للدكتور غوبتا وقلت إنني وجدت كبسولة في شاي الدكتور برينر، وأخبرته أنني ظننت أنه يطلب أدوية زائدة وأنه مدمن. ماذا كان بوسعي أن أفعل؟ غوبتا كان رجلاً لطيفًا لكنه كان جبانًا. خائف قليلاً من برينر. ظننت أنه ربما لن يواجهه، ولم يفعل، لكن بصراحة، كنت أعلم حتى لو فعل، فإن برينر سيفضل التظاهر بأنه مدمن على المخاطرة بإخباري لأي شخص عن علاقته القذرة الصغيرة مع بيتي فولر."

– "وهل كانت مارغو قلقة حقًا بشأن كيفية وفاة والدة دوروثي أوكدين؟"

– "لا،" قالت جانيس مرة أخرى. "لكن كان علي إخبارك بشيء ما، أليس كذلك؟"

قال سترايك:

– "أنتِ عبقرية في التضليل."

تحول لون جانيس للوردي قليلاً.

تمتمت:

– "لطالما كنت ذكية، لكن ذلك لا يساعد المرأة. من الأفضل أن تكوني جميلة. تحظين بحياة أفضل إذا كنتِ حسنة المظهر. الرجال دائمًا ما ذهبوا لإيرين، وليس لي. كانت تتحدث الهراء طوال الليل، لكنهم أحبوها أكثر. لم أكن سيئة المظهر... فقط لم أملك ما يحبه الرجال."

قال سترايك، متجاهلاً هذا:

– "عندما التقينا بكما لأول مرة، ظننت أن إيرين ربما أرادت مقابلتكما معًا للتأكد من أنكِ لم تفشي أسرارها، لكن الأمر كان العكس، أليس كذلك؟ أنتِ أردتِ أن تكوني هناك للسيطرة على ما تقوله."

– "أجل، حسنًا." قالت جانيس، بتنهيدة أخرى، "لم أبلِ بلاءً حسنًا في ذلك، أليس كذلك؟ كانت تثرثر يمينًا ويسارًا."

– "أخبريني، هل رأى تشارلي راماج حقًا امرأة مفقودة في ليمنغتون سبا؟"

– "لا. كنت بحاجة فقط لإعطائك شيئًا لتفكر فيه بدلاً من نكز مارغو لبطن كيف. أخبرني تشارلي راماج أنه رأى ماري فلاناغان في فناء كنيسة ريفي في... وورسسترشاير في مكان ما، أعتقد أنه كان. كنت أعلم أن لا أحد يستطيع قول غير ذلك، كنت أعلم أنه ميت وكنت أعلم أنه كان يتحدث الكثير من الهراء، لا أحد حوله سيتذكر قصة طويلة أخرى."

– "هل كان ذكر ليمنغتون سبا يهدف لتعويقي نحو إيرين وساتشويل؟"

– "أجل،" قالت جانيس.

– "هل وضعتِ مخدرات في ترمس ويلما بايليس؟ هل لهذا السبب بدت ثملة للناس في العيادة؟"

– "فعلت، أجل."

– "لماذا؟"

قالت جانيس بتململ:

– "أخبرتك بالفعل، لا أعرف لماذا أفعل ذلك، أنا فقط أفعل... أردت أن أرى ما سيحدث لها. أحب معرفة سبب حدوث الأشياء، عندما لا يعرف أحد آخر...

"كيف اكتشفت كل هذا؟" طالبت. "تالبوت ولوسون لم يشكّا قط."

– "لوسون ربما لم يفعل،" قال سترايك، "لكنني أعتقد أن تالبوت فعل."

قالت جانيس فورًا:

– "لم يفعل أبدًا. كان يأكل من يدي."

– "لست متأكدًا من ذلك،" قال سترايك. "ترك مجموعة غريبة من الملاحظات، وخلالها كلها ظل يدور عائدًا إلى موت «العقرب»، أو «جونو»، وهي الأسماء التي أعطاها لجوانا هاموند. سبع مقابلات يا جانيس. أعتقد أنه عرف في عقله الباطن أن هناك شيئًا غير طبيعي بشأنك. يذكر السم كثيرًا، وهو ما أعتقد أنه علق في ذهنه بسبب طريقة موت جوانا. في نقطة ما – كنت أقرأ الملاحظات مرة أخرى، الليلة الماضية – نسخ وصفًا طويلاً لبطاقة التاروت «ملكة الكؤوس». كلمات تفيد بأنها تعكس المراقب لنفسه. «رؤية حقيقتها شبه مستحيلة». وفي الليلة التي سحبوه فيها للمستشفى، هلوس بشيطانه أنثى بكأس في يدها ورقم سبعة يتدلى حول عنقها. كان مريضًا جدًا لربط شكوكه ببعضها، لكن عقله الباطن ظل يحاول إخباره بأنكِ لستِ كل ما تبدين عليه. في نقطة ما، كتب: «هل قيطس محققة؟» – سمى إيرين قيطس – وفي النهاية سألت نفسي عما كان يمكن أن تكون محققة بشأنه. ثم تذكرت أنه في المرة الأولى التي التقينا فيها بكما، أخبرتنا أنها تعتقد أنكِ «معجبة بـ» دوثويت."

عند سماع اسم دوثويت، جفلت جانيس قليلاً.

تابع سترايك، مراقبًا إياها عن كثب:

– "قال أوكدين إنكِ كنتِ تضحكين حول دوثويت، أيضًا. ودوروثي صنفتكِ مع إيرين وغلوريا كنوع من النساء اللعوب، مما يعني أنكِ قمتِ ببعض المغازلة أمامها."

قالت جانيس، متمكنة من وضع نبرة ازدراء في صوتها، رغم أنه اعتقد أنها تبدو مهتزة:

– "هل هذا كل ما استندت إليه: أنني غازلت مرة، وكوني ملكة الكؤوس؟"

قال سترايك:

– "لا، كانت هناك أشياء أخرى كثيرة. شذوذ وصدف غريبة. ظل الناس يخبرونني أن مارغو لم تكن تحب «الممرضة»، لكنهم خلطوا بينك وبين إيرين كثيرًا، لذا استغرق الأمر مني بعض الوقت لأدرك أنهم كانوا يعنونك حقًا.

"ثم كان هناك متلازمة الهشاشة X. عندما رأيتك تلك المرة الأولى، مع إيرين، ادعيتِ أنكِ ذهبتِ لزيارة آل آثورن مرة واحدة فقط، لكن في المرة الثانية التي قابلتك فيها، بدا أنكِ تعرفين الكثير بحق الجحيم عنهم. كانت متلازمة الهشاشة X تسمى متلازمة «مارتن-بيل» في أوائل السبعينيات. إذا كنتِ قد رأيتهم تلك المرة الواحدة فقط، بدا من الغريب أنكِ تعرفين بالضبط ما هو خطؤهم، واستخدمتِ المصطلح الحديث...

"ثم بدأت ألاحظ كم عدد الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات في المعدة أو يتصرفون وكأنهم مخدرون. هل وضعتِ شيئًا في شراب البنش في حفل شواء مارغو وروي؟"

– "فعلت، أجل،" قالت. "شراب عرق الذهب (Ipecac syrup)، كان ذلك. ظننت أنه سيكون مضحكًا إذا ظنوا جميعًا أنهم أصيبوا بتسمم غذائي من الشواء، لكن بعد ذلك كسر كارل الوعاء، وكنت سعيدة، حقًا... أردت فقط رؤيتهم جميعًا مرضى، وربما الاعتناء بهم جميعًا، وإفساد حفلتها، لكن ذلك كان غبيًا، أليس كذلك؟... هذا ما أعنيه، لقد جازفت بمخاطر كبيرة أحيانًا، كانوا أطباء، ماذا لو عرفوا؟... كانت غلوريا فقط من تناولت كأسًا كبيرًا وتقيأت. لم يعجب ذلك زوج مارغو... أفسد منزلهم الأنيق..."

ورأى سترايك الرغبة شبه العشوائية في التخريب التي تكمن خلف المظهر الوديع.

قال سترايك:

– "غلوريا تتقيأ في حفل الشواء. إيرين ومتلازمة القولون العصبي الخاصة بها – كيفن وآلام معدته المستمرة – ويلما تترنح على قدميها وتتقيأ بينما كانت تعمل في سانت جون – أنا، أتقيأ شوكولاتة الكريسماس الخاصة بي – وبالطبع، ستيف دوثويت ومشاكل رؤيته، وصداعه وأمعائه المضطربة... أفترض أنه كان

دوثويت الذي كانت إيرين تغازله، في اليوم الذي وضعتِ فيه كبسولات الأميتال في شايها؟"

أطبقت جانيس شفتيها، وعيناها ضيقتان.

– "أفترض أنكِ أخبرتِها أنه مثلي لمحاولة جعلها تتراجع؟"

انفجرت جانيس:

– "كان لديها إدي يتوق للزواج منها بالفعل. كان لديها كل هؤلاء الرجال في الحانة يغازلونها. لو أخبرتها كم أحببت ستيف، لكانت أخذته من أجل المتعة فقط، هكذا كانت. لذا نعم، أخبرتها أنه شاذ."

– "بمَ تخدرينها، هذه الأيام؟"

– "يختلف الأمر،" قالت جانيس بهدوء. "يعتمد على مدى إزعاجها لي."

– "إذن أخبريني عن ستيف دوثويت."

فجأة، كانت جانيس تتنفس بعمق. كان وجهها متوردًا مرة أخرى: بدت عاطفية.

– "كان... رجلاً جميلاً جدًا."

أذهلت الرعشة العاطفية في صوتها سترايك، تقريبًا أكثر من مخزون السموم الكامل الذي كانت تحتفظ به في مطبخها. فكر في الشاب الوقح بربطة العنق العريضة، الذي أصبح المالك المنتفخ، محتقن العينين لنزل ألارديس في سكيغنيس، بخصلات شعره الرمادي الملتصقة بجبهته المتعرقة، وليس للمرة الأولى، كان لدى سترايك سبب للتأمل في الطبيعة غير المتوقعة بشكل استثنائي للحب البشري.

قالت جانيس: "كنت دائمًا من النوع الذي يقع في الحب بعنف"، وفكر سترايك في جوني ماركس يموت في عذاب، وجانيس تقبله مودعة على خده الميت البارد. "أوه، ستيف كان يمكنه أن يجعلك تضحك. أحب الرجل الذي يمكنه جعلك تضحك. وسيم حقًا. اعتدت المشي أمام شقته عشر مرات في اليوم فقط لأحصل على تحية... أصبحنا ودودين...

"بدأ يمر علي، يخبرني بكل مشاكله... ويخبرني كيف أنه مجنون بتلك المرأة المتزوجة. وقع في حب زوجة صديقه. يتحدث باستمرار عن مدى صعوبة حياتها، وها أنا ذا أجلس هناك بطفل بمفردي. ماذا عن حياتي الصعبة؟ كان لديها زوج، أليس كذلك؟ لكن لا، استطعت أن أرى أنني لن أصل إلى أي مكان معه ما لم تكن هي خارج الطريق، ففكرت، حسنًا، إذن، يجب أن تذهب...

"لم تكن أجمل مني،" تمتمت جانيس، مشيرة إلى صورة جوانا هاموند على الحائط. "حالة ذلك الشيء على وجهها...

"لذا بحثت عنها في دليل الهاتف وذهبت فقط لمنزلها عندما عرفت أن زوجها في العمل. كان لدي هذا الشعر المستعار الذي ارتديته للحفلات. وضعته، وزيي الرسمي، وزوج من النظارات كان لدي، لكنني لم أكن بحاجة إليه. رننت جرس الباب، أخبرتها أنني تلقيت بلاغًا عن وضعها المنزلي.

"الناس دائمًا ما يسمحون لممرضة بالدخول،" قالت جانيس. "كانت يائسة للتحدث إلى شخص ما. جعلتها تتأثر وتبكي وكل ذلك. أخبرتني عن النوم مع ستيف، وكيف ظنت أنها وقعت في حبه...

"صنعت لها مشروبًا وأنا أرتدي قفازات لاتكس. نصفه كان مبيد أعشاب. عرفت، في اللحظة التي تذوقته فيها، لكنني أمسكت بشعرها من الخلف،" قلدت جانيس الحركة في الهواء، "سحبت رأسها للخلف، أجبرته أسفل حلقها اللعين. أوه نعم. بمجرد أن أصبحت على الأرض، تختنق، صببت المزيد، صافيًا.

"كان علي البقاء لفترة، للتأكد من أنها لن تحاول الاتصال بأي شخص. بمجرد أن عرفت أنها ذهبت أبعد من أن تُنقذ، خلعت زيي وغادرت.

"يتطلب الأمر أعصابًا،" قالت جانيس بيتي، ولونها مرتفع وعيناها لامعتان، "لكن تصرف بطبيعية ولن يرى الناس أي شيء غريب... عليك فقط أن تحافظ على رباطة جأشك. وربما لم أكن ملفتة للنظر عندما كنت شابة، لكن ذلك ساعد. لم أكن من النوع الذي يتذكره الناس...

"في اليوم التالي، تقريبًا، كان لدي ستيف يبكي بحرقة في مكاني. كان كل شيء يسير بشكل رائع،" قالت المرأة التي صبت مبيد الأعشاب الصافي في حلق

منافستها، "رأيته كثيرًا بعد ذلك، كان في مكاني طوال الوقت. كان هناك شيء ما بيننا، كنت أستطيع الشعور به.

"لم أخدره كثيرًا أبدًا،" قالت جانيس، وكأن هذا دليل حقيقي على المودة. "فقط ما يكفي لمنعه من الخروج، لجعله يشعر أنه بحاجة إلي. اعتدت الاعتناء به جيدًا حقًا. ذات مرة، نام على أريكتي، ومسحت وجهه له، بينما كان نائمًا،" قالت، ومرة أخرى، فكر سترايك في القبلة التي أعطتها لجوني ماركس الميت.

"لكن أحيانًا،" قالت جانيس بمرارة، "ظن الرجال أنني من النوع الأمومي ولم يروني كأي شيء آخر. استطعت أن أقول إن ستيف أحبني، لكنني ظننت أنه قد لا يراني بالطريقة الصحيحة، كما تعلم، مع كوني ممرضة، وكيف دائمًا يتبعني. ذات مساء، جاء ستيف، وكان كيف في نوبة غضب، وقال ستيف، إنه يعتقد أنه سيغادر، ليدعني أعتني بكيف... واستطعت أن أقول، فكرت، أنت لن تريدني بطفل. ففكرت، كيف يحتاج للذهاب."

قالتها وكأنها تتحدث عن إخراج القمامة.

"لكن عليك أن تكون حذرًا عندما يكون طفلك،" قالت جانيس. "احتجت لبدء تاريخ مرضي. لم يكن ممكنًا أن يموت فقط، ليس بعد أن كان بصحة جيدة تمامًا. بدأت التجربة بأشياء، كنت أفكر، ربما جرعة زائدة من الملح، أدعي أنه فعل ذلك كتحدٍ أو شيء من هذا القبيل. بدأت في وضع أشياء في طعامه هنا وهناك. جعلته يشتكي للمعلمين من آلام في المعدة وذلك، ثم كنت أقول: «أوه، أعرف، أعتقد أنه قليل من التمارض (Schoolitis)»..."

قال سترايك:

– "لكن بعد ذلك فحصته مارغو."

كررت جانيس ببطء، وهي تومئ:

– "لكن بعد ذلك، تلك العاهرة المتعجرفة تأخذه إلى عيادتها وتفحصه. وعرفت أنها كانت تشك. سألتني بعد ذلك، ما المشروبات التي كنت أعطيها له، لأن الوغد الصغير أخبرها أن مامي كانت تعطيه مشروبات خاصة...

"بعد أقل من أسبوع،" قالت جانيس، تلوح بخاتم الزواج القديم في إصبعها، "أدركت أن ستيف ذاهب لرؤيتها بشأن صحته، بدلاً من المجيء لرؤيتي. الشيء التالي الذي أعرفه، مارغو تسألني كل شيء عن موت جوانا، في الخلف بجانب الغلاية، ودوروثي وغلوريا تستمعان. قلت: «كيف بحق الجحيم يفترض بي أن أعرف ما حدث؟» لكنني كنت قلقة. فكرت، ما الذي يخبرها به ستيف؟ هل قال إنه يعتقد أن هناك شيئًا خاطئًا في الأمر؟ هل قال شخص ما إنه رأى ممرضة تغادر المنزل؟

"كنت أشعر بالقلق. أرسلت لها شوكولاتة مليئة بالفينوباربيتال. أخبرتني إيرين أن مارغو تلقت رسائل تهديد، ولست متفاجئة، عاهرة متطفلة، كانت كذلك... فكرت، سيظنون أنه أيًا كان من أرسل تلك الرسائل، أرسل الشوكولاتة...

"لكنها لم تأكلها أبدًا. رمتها في سلة المهملات أمامي، لكن بعد ذلك، سمعت أنها أخرجتها من السلة واحتفظت بها. وعندها عرفت، عرفت حقًا. فكرت، ستخضعها للفحص..."

قال سترايك:

– "وعندها وافقتِ أخيرًا على الخروج في موعد مع لاري العجوز البسيط."

قالت جانيس مشتعلة غضبًا:

– "من يقول إنه كان بسيطًا؟"

– "إيرين. كنتِ بحاجة للوصول للخرسانة، أليس كذلك؟ لم ترغبي في أن يراك أحد تشترينها، أتخيل. ماذا فعلتِ، أخبرت لاري أن يأخذ البعض ولا يذكر ذلك لأي شخص؟"

نظرت إليه فقط بتلك العينين الزرقاوين المستديرتين اللتين لا يمكن لأحد لم يسمع هذه المحادثة أن يشك فيهما.

سأل سترايك:

– "ما الذي أعطاكِ فكرة الخرسانة؟ تلك الشائعة عن الجثة في الأساسات؟"

– "أجل،" قالت جانيس أخيرًا. "بدا الأمر كطريقة لمنع الجثة من الرائحة. احتجت أن تختفي. كان الأمر قريبًا جدًا من المنزل، مع فحصها لكيف، وسؤالها لي

عن جوانا، واحتفاظها بتلك الشوكولاتة. أردت أن يظن الناس ربما نال منها سفاح إسيكس، أو الرجل الذي أرسل رسائل التهديد."

– "كم مرة زرت آل آثورن قبل أن تقتلي مارغو؟"

– "بضع مرات."

– "لأنهم احتاجوا لممرضة؟ أم لسبب آخر؟"

تلا ذلك أطول توقف حتى الآن، طويل بما يكفي لتنزلق الشمس من خلف سحابة، وتحترق عربة سندريلا الزجاجية لفترة وجيزة مثل نار بيضاء، ثم تعود لتصبح الحلية التافهة التي كانت عليها في الواقع.

قالت جانيس ببطء:

– "فكرت نوعًا ما في قتلهم. لا أعرف لماذا، حقًا. فقط منذ وقت لقائي بهم... كانوا غرباء ولا أحد يذهب هناك أبدًا. أبناء عمومتهم أولئك زاروا مرة كل عشر سنوات. قابلتهم في يناير الماضي، أولئك الأقارب، عندما احتاجت الشقة للتنظيف، لمنع ذلك الرجل في الطابق السفلي من الذهاب للمحكمة... بقوا ساعة وتركوا «كلير» تفعل كل الباقي...

"أجل، فكرت فقط أنني قد أقتل آل آثورن يومًا ما،" قالت، بهزة كتف. "لهذا السبب استمررت في الزيارة. أحببت فكرة مشاهدة عائلة بأكملها تموت معًا، والانتظار لرؤية متى يدرك الناس، وبعد ذلك سيكون الأمر في الأخبار، على الأرجح، وسأعرف ما حدث عندما يثرثر الجميع، محليًا...

"أجريت بعض التجارب عليهم. حقن فيتامين، أخبرتهم أنها كذلك. علاجات خاصة. واعتدت إمساك أنوفهم وهم نائمون. اعتدت سحب جفونهم والنظر في عيونهم، وهم فاقدون للوعي. الممرضات لا يعطين التخدير أبدًا، أترين، لكن الدكتور برينر كان يسمح لي بالحصول على كل الأنواع، وآل آثورن سمحوا لي فقط بفعل أشياء لهم، حتى غويليم. أحب قدومي. كان يقضي أيامًا على البنزيدرين ثم يحصل على مهدئات مني. مدمن حقيقي.

"كنت أقول له، الآن، لا تذهب وتخبر أحدًا بما نفعله. هذه علاجات باهظة الثمن. إنها فقط لأنني أحب عائلتكم.

"في بعض الأيام، كنت أفكر، سأقتل الطفل ثم أشهد ضد غويليم. كانت تلك فكرة راودتني. فكرت، سأظهر في الصحف، بكامل أناقتي، أدلي بشهادة ضده، كما تعلم. صورتي على الصفحة الأولى... وفكرت أن ذلك سيكون شيئًا مثيرًا للاهتمام للتحدث عنه مع ستيف، عندما يرى صورتي في الصحيفة. الرجال يحبون الممرضات. كان ذلك الشيء الوحيد الذي يميزني عندما كنت بالخارج مع إيرين، ثم تبدأ العاهرة في التظاهر بأنها ممرضة أيضًا...

"فقط الحمد لله أنني لم أفعل أيًا من ذلك، الحمد لله أنني أنقذت آل آثورن، لأنه ماذا كنت سأفعل بمارغو لو لم يكن لدي هم في أعلى الطريق؟ كنت قد سرقت مفتاحهم الاحتياطي بحلول ذلك الوقت. لم يلاحظوا أبدًا.

"لم أظن أبدًا أن الأمر سينجح،" قالت جانيس، "لأنني اضطررت لتجميع الخطة في حوالي خمس دقائق. عرفت أنها كشفت أمري، عندما احتفظت بالشوكولاتة، وكنت مستيقظة طوال الليل، أفكر، وأقلق... وكان في اليوم التالي، أو ربما اليوم الذي يليه، خرج ستيف مسرعًا من عيادتها تلك المرة الأخيرة. كنت خائفة أنها حذرته مني، لأنه عندما ذهبت إليه تلك الليلة، اختلق عذرًا لعدم السماح لي بالدخول... أعني، لم يذهب للشرطة أبدًا، لذا أعرف الآن أنني كنت مصابة بالبارانويا، لكن في ذلك الوقت –"

قال سترايك:

– "لم تكوني مصابة بالبارانويا. تحدثت إليه أمس. مارغو أخبرته أنه يجب أن يتوقف عن أكل أي شيء تعدينه له. هذا فقط. لكنه فهم ما كانت تقوله."

ازداد وجه جانيس احمرارًا.

قالت بسم:

– "تلك العاهرة. لماذا فعلت ذلك؟ كان لديها زوج غني وحبيب يريدها العودة، لماذا كان عليها أن تأخذ ستيف مني؟"

قال سترايك:

– "أكملي، حول كيف فعلتِ ذلك."

تغيير طفيف طرأ الآن على جانيس. سابقًا، بدت مترددة، عملية، أو حتى خجلة من تهورها، لكن الآن، ولأول مرة، بدت تستمتع بما تقوله، وكأنها تقتل مارغو بامبورو مرة أخرى، في الرواية.

– "خرجت مع لاري. أخبرته ببعض الهراء عن هذه العائلة الفقيرة التي تحتاج لصب الخرسانة فوق شيء ما على شرفة سطحهم. قلت إنهم فقراء مدقعون. كان حريصًا جدًا على إبهاري، الأحمق السخيف، أراد الذهاب والقيام بأعمال البناء لهم."

قلبت عينيها.

– "كان علي إعطاؤه كل هذا الهراء حول كيف سيجعل ذلك الأب يشعر بالنقص... قلت إن مجرد سرقة بضعة أكياس من خليط الخرسانة من موقع البناء سيكون كافيًا.

"قاد لاري بها إلى طريق ألبيمارل لأجلي وحملها للأعلى إلى بسطتهم. لم أسمح له بالمجيء أبعد من ذلك، قلت إنه سيكون غير أخلاقي له رؤية المرضى. كان سخيفًا، لاري، يمكنك إخباره بأي شيء... لكنه لم يرغب في الزواج مني،" قالت جانيس فجأة. "لماذا ذلك؟ لماذا لم يرغب أحد في الزواج مني؟ ما الذي لا أملكه، وتملكه نساء أخريات؟" سألت الممرضة التي سحبت جفون ضحاياها المخدرين للتحديق في عيونهم التي لا تبصر. "لم يرغب أحد أبدًا في الزواج مني... أبدًا... أردت أن أكون في الصحيفة بفستان أبيض. أردت يومي في الكنيسة ولم أحصل عليه أبدًا. أبدًا..."

قال سترايك، متجاهلاً سؤالها:

– "احتجتِ لحجة غياب بالإضافة للخرسانة، على ما يبدو؟ أفترض أنكِ اخترتِ السيدة العجوز المخبولة في شارع غوبسال لأنها لا تستطيع القول بطريقة أو بأخرى ما إذا كنتِ معها عندما اختفت مارغو؟"

– "أجل،" قالت جانيس، عائدة لقصتها، "ذهبت لرؤيتها في وقت متأخر من الصباح وتركت أدوية هناك وملاحظة، لإثبات أنني كنت بالداخل. عرفت أنها

ستوافق على أنني كنت هناك في وقت مبكر من المساء. لم يكن لديها عائلة، كانت لتوافق على أي شيء تقوله لها...

"ذهبت من مكانها لشراء تذكرة سينما للعرض المتأخر، واتصلت بجليسة الأطفال وأخبرتها أنني سأتأخر عما ظننت لأننا سنحضر العرض الأخير. عرفت أن إيرين لن ترغب في الذهاب معي. كانت تلمح لعدم شعورها بالقدرة على ذلك طوال الصباح. عرفت أنه ليس لديها سن سيء، لكنني تظاهرت بمجاراتها. لم ترغب إيرين أبدًا في الذهاب لأي مكان لن نقابل فيه رجالاً."

– "إذن، عدتِ للعيادة بعد ظهر ذلك اليوم – عبر الباب الخلفي، أفترض؟"

– "أجل،" قالت جانيس، وعيناها غير مركزتين قليلاً الآن. "لم يرني أحد. عرفت أن مارغو لديها كعكة دونات في الثلاجة، لأنني كنت هناك ذلك الصباح ورأيتها، لكن كان هناك ناس حول المكان طوال الوقت، فلم أستطع فعل شيء. حقنتها بمحلول صوديوم النيمبوتال، عبر السلوفان."

– "لابد أنكِ كنتِ متمرسة جيدًا بحلول ذلك الوقت؟ عرفتِ الكمية التي يجب إعطاؤها لها، لتتمكن من المشي في الطريق؟"

قالت الممرضة:

– "لا شيء مؤكد." على عكس كريد، لم تدع القدرة الكلية، لكن في النهاية، كانت أيضًا، مهما كان ذلك على مضض، في مهنة الشفاء وكذلك القتل. "كان لدي شعور جيد بالجرعات، لكن لا يمكنك أبدًا التأكد مائة بالمائة. سمعت أنها كانت ستقابل صديقة في حانة في أعلى الطريق، وعادة ما تأكل شيئًا قبل الذهاب، لكن لم أستطع التأكد من أنها ستأكلها، أو ستظل قادرة على المشي في الطريق بعدها، أو متى ستضربها حقًا...

"طوال الوقت الذي كنت أفعل فيه ذلك، أحضر الخرسانة وأخدر الدونات، كنت أفكر، هذا لن ينجح، لا يمكن أن ينجح. ستذهبين للسجن يا جانيس... وتعرف شيئًا؟" قالت الممرضة، وخداها ورديان الآن وشرسة، "بحلول ذلك الوقت، لم أكن أهتم حتى. ليس إذا كانت قد أخبرت ستيف عني. فكرت، سأحاكم وسأخبرهم كيف عاملني كأم وممرضة واستغلني، في شقتي في كل الأوقات. سيضطر

لملاحظتي وسماعي حينها بشكل لعين، أليس كذلك؟ لم أهتم. فكرت فقط، أريدك ميتة يا سيدة. أريدك ميتة، أنتِ وزوجك وعشيقك على الجانب، ورجلي يأتي لرؤيتك ثلاث مرات في الأسبوع...

"إما أنها تموت، فكرت، وأفلت بالأمر، أو سأكون مشهورة، سأكون في الصحف... وأعجبتني الفكرة، حينها."

نظرت حول غرفة جلوسها الصغيرة، وكان سترايك واثقًا من أنها تتساءل كيف ستبدو زنزانتها.

– "تركت العيادة وذهبت من الطريق الطويل إلى منزل آل آثورن، لكن عندما أدخلت نفسي، لم يكن غويليم هناك. فكرت، حسنًا، هذه مشكلة. أين هو؟

"وبعد ذلك بدأ ديبورا وسامهاين في التذمر. لم يريدا حقن الفيتامين الخاصة بهما. كان علي أن أكون صارمة معهما. قلت لديبورا، هذه الحقن هي التي تبقيك بصحة جيدة. إذا لم تأخذيها، سأضطر للاتصال بالإسعاف وجعلهم يأخذونك للمستشفى للتقييم... كان يمكنك إخافتها لفعل أي شيء إذا أخبرتها أنها ستضطر للخروج. أعطيت ديبورا وسامهاين «حقن الفيتامين» الخاصة بهما، مستلقين جنبًا إلى جنب في غرفة النوم المزدوجة. دحرجتهما على جانبيهما. غابا عن الوعي تمامًا.

"لذا أخرج، وأنتظر في كشك الهاتف، متظاهرة بأنني على الهاتف، أراقب.

"لم يبد الأمر حقيقيًا، أي منه. لم أظن أنه سينجح. على الأرجح سأذهب للعمل في اليوم التالي وأسمع أن مارغو أغمي عليها في الشارع، ثم ستبدأ في الصراخ وإسقاط المكان قائلة إنها خُدرت، وعرفت أنها ستشير بإصبع الاتهام إلي...

"لم تأتِ لفترة طويلة. فكرت، انتهى الأمر. أكلت الدونات ومرضت في العيادة. اتصلت بالإسعاف. خمنت، ومرضت. كانت هناك تلك الفتاة، واقفة أمام كشك الهاتف، وأنا أحاول الرؤية من حولها، أحاول الرؤية...

"وبعد ذلك رأيت مارغو قادمة في الطريق. فكرت، حسنًا، ها هي ذي. كان المطر يهطل بغزارة. الناس لم يكونوا ينظرون. كان الأمر كله مظلات وسيارات ترش الماء. عبرت الطريق واستطعت أن أرى أنها في حالة سيئة. تترنح في كل مكان.

وصلت لجانبي من الطريق واستندت إلى الجدار. ساقاها كانتا على وشك الاستسلام. خرجت من كشك الهاتف وقلت: «تعالي يا حبيبتي، تحتاجين للجلوس.» أبقيت وجهي منخفضًا. جاءت معي، بضع خطوات، ثم أدركت أنني أنا. تصارعنا قليلاً. أوصلتها بضعة أقدام أخرى، داخل طريق ألبيمارل مباشرة، لكنها كانت فتاة طويلة... وفكرت، هنا ينتهي الأمر...

"وبعد ذلك رأيت غويليم قادمًا في الطريق الآخر. كانت فرصتي الوحيدة. ناديته ليساعدني. ظن أنه يساعدها. ساعدني في سحبها للأعلى على الدرج. لم تكن بها مقاومة تذكر بحلول ذلك الوقت. أخبرت غويليم ببعض الهراء لمنعه من الاتصال بالإسعاف. قلت إنني أستطيع علاجها بنفسي... قلت إنه لا يريد مجيء الشرطة، والنظر حول الشقة... كان رجلاً مصابًا بجنون الارتياب الشديد بشأن السلطات، لذا نجح ذلك...

"قلت، اذهب وانظر ما إذا كان ديبورا وسامهاين لا يزالان نائمين. كلاهما كان قلقًا جدًا بشأن مكانك، وكان علي إعطاؤهما مهدئًا صغيرًا.

"خنقتها بينما كان خارج الغرفة. لم يتطلب الأمر الكثير. أمسكت أنفها، وأبقيت فمها مغلقًا. فعلت بمارغو ما كنت أخطط لفعله بآل آثورن.

"عندما عرفت أنها ميتة،" قالت جانيس، "تركتها جالسة على الأريكة وذهبت إلى الحمام. جلست على المرحاض، أنظر إلى طيور الفلامنغو على ورق الحائط وفكرت، ماذا الآن؟ غويليم هنا. رآها... والشيء الوحيد الذي استطعت التفكير فيه كان، دعه يظن أنه فعلها. إنه مجنون بما يكفي. فكرت، سأضطر على الأرجح لقتله أيضًا، في النهاية، لكنني سأقلق بشأن ذلك لاحقًا...

"لذا انتظرت في الحمام وتركته يدخل الغرفة ويجدها.

"أعطيته خمس دقائق وحده مع الجثة، ثم عدت للداخل، أتحدث لمارغو، وكأنني تركتها حية. «تشعرين بخير الآن يا مارغو يا عزيزتي؟» وبعد ذلك أقول، «ماذا فعلت يا غويليم؟ ماذا فعلت؟»

"ويقول: «لا شيء، لا شيء، لم أفعل شيئًا،» وأنا أقول: «أخبرتني أنك تستطيع قتل الناس بقواك. ربما من الأفضل الاتصال بالشرطة،» وهو يتوسل إلي ألا

أفعل، لم يقصد، كان كله خطأ. لذا في النهاية أقول، حسنًا، لن أشي بك. سأجعلها تختفي. سأهتم بالأمر.

"كان يبكي كالطفل وطلب مني واحدة من مهدئاتي. طلب مني أن أنومه، هل تصدق ذلك؟ أعطيته بعض المهبطات. تركته متكورًا نائمًا على سرير سامهاين.

"كان الأمر صعبًا حقًا، وضعها في ذلك الصندوق الكبير بمفردي تمامًا. كان علي إخراج كل القرف الذي احتفظوا به هناك. طويتها. بمجرد أن وضعتها هناك، تفقدت جميع آل آثورن. تأكدت من أن مجاري الهواء غير مسدودة. ثم ركضت للخارج مرة أخرى لكشك الهاتف. قلت لإيرين، هل ما زلنا ذاهبتين للسينما؟ وقالت لا، كما ظننت أنها ستفعل، الحمد لله.

"لذا عدت للداخل. كنت هناك حتى منتصف الليل، تقريبًا. كان علي خلط الخرسانة شيئًا فشيئًا، باليد، في دلو. استغرق الأمر عصورًا. ملأت مارغو معظم ذلك الصندوق، لكن استغرق الأمر وقتًا طويلاً لوضع كل الخرسانة حولها. ثم أغلقت الغطاء. التصق بالخرسانة. لم أستطع رفعه مرة أخرى، فكان ذلك جيدًا.

"عندما استيقظوا جميعًا، أخبرت غويليم أنني اهتممت بالأمر. قلت له بهدوء، غطاء ذلك الصندوق قد انحشر. من الأفضل إيجاد مكان آخر لوضع ألعاب سامهاين.

"عرف، بوضوح. أعتقد أنه تظاهر لنفسه بأنه لم يفعل، لكنه فعل. كنت هناك ثلاث مرات في الأسبوع، بعد ذلك. كان علي أن أكون. أبقيه سعيدًا. في مرة ذهبت وكان قد رسم كل تلك الرموز على الجدران، وكأنه نوع من المعبد الوثني أو شيء ما.

"أسابيع بعد ذلك، شهور بعد ذلك، كنت قلقة حتى الموت. عرفت أنه كان يخبر الناس بأنه قتلها. لحسن الحظ، ظن الجميع أنه معتوه، محلي. لكن الأمر ساء، قرب النهاية. كان عليه أن يذهب. لا أزال لا أصدق أنني انتظرت عامًا للتخلص منه..."

– "وفي الوقت الذي قتلتِه فيه تقريبًا، اتصلتِ بسينثيا فيبس وتظاهرتِ بأنكِ مارغو، أليس كذلك؟ لإعطاء الشرطة خيطًا آخر لتطارده، وصرف الانتباه عن غويليم، في حال أخذه أحد على محمل الجد؟"

– "أجل. هذا صحيح،" تمتمت جانيس، لاعبة بخاتم الزواج القديم.

– "واستمريت في زيارة ديبورا وسامهاين ككلير سبنسر؟"

– "حسنًا، نعم،" قالت جانيس. "كان علي ذلك. احتاجوا للمراقبة. آخر شيء أردته هو أخصائيون اجتماعيون حقيقيون يعبثون هناك."

– "وديبورا وسامهاين لم يدركا أبدًا أن كلير هي نفسها جانيس الممرضة؟"

– "الأشخاص المصابون بمتلازمة الهشاشة X لا يتعرفون على الوجوه بسهولة،" قالت جانيس. "غيرت لون شعري واستخدمت نظارتي. فعلت الكثير لإبقائهم بصحة جيدة، كما تعلم. فيتامين د لديبورا، لأنها لا تخرج أبدًا. إنها أصغر مني... فكرت، قد أكون ميتة قبل أن يجد أحد الجثة. كلما طال الأمر، قل احتمال أن يعرف أحد أبدًا أن لي علاقة بالأمر..."

– "وماذا عن دوثويت؟"

– "لقد هرب ،" قالت جانيس، وتلاشت ابتسامتها. "ذلك كسر قلبي تقريبًا. ها أنا ذا أضطر للخروج في مواعيد رباعية مع إيرين وإدي، وأتصرف وكأنني سعيدة مع لاري، وحب حياتي قد اختفى. سألت الجميع أين ذهب ستيف، ولم يعرف أحد."

– "إذن لماذا جولي ويلكس على جدارك؟" سأل سترايك.

– "من؟" قالت جانيس، ضائعة في تأملاتها المشفقة على الذات.

– "الريد كوت التي عملت في كلاكتون أون سي،" قال سترايك، مشيرًا إلى الشقراء الشابة بشعرها المجعد، المؤطرة على جدار جانيس.

– "أوه... هي،" قالت جانيس بتنهيدة. "أجل... اصطدمت بشخص يعرف شخصًا قابل ستيف في بوتلينز، بعد بضع سنوات... أوه، كنت متحمسة. يا إلهي، كنت قد مللت من لاري بحلول ذلك الوقت. أردت حقًا رؤية ستيف مرة أخرى. أحب الرجل الذي يمكنه جعلي أضحك،" كررت المرأة التي خططت لقتل عائلة، من

أجل متعة مشاهدتهم يموتون. "عرفت أن هناك شيئًا بيننا، عرفت أنه كان بإمكاننا أن نكون ثنائيًا. لذا حجزت لي وللاري عطلة في بوتلينز. كيف لم يرد المجيء – ناسبني ذلك. حصلت لنفسي على تمويج شعر (بيرم) وذهبت في حمية. لم أطق الانتظار. تبني الأشياء في عقلك، أليس كذلك؟

"وذهبنا لليلة النادي وهناك كان هو،" قالت جانيس بهدوء. "أوه، بدا رائعًا. «لونغفيلو سيريناد». كل الفتيات جن جنونهن عليه عندما أنهى الغناء. وهناك لاري يسكر... بعد أن ذهب لاري للفراش في الشاليه خرجت مرة أخرى. لم أستطع العثور عليه.

"استغرق الأمر مني ثلاثة أيام للحصول على كلمة معه. قلت: «ستيف، إنها أنا. جانيس. جارتك. الممرضة!»"

تحول لونها ببطء للأحمر أكثر مما كانت عليه طوال المقابلة. دمعت عيناها من شدة احمرارها خجلاً.

– "يقول «أوه نعم. كيف حالك يا جانيس؟» ويمشي مبتعدًا. ورأيته،" قالت جانيس، وارتجف فكها، "يقبل تلك الفتاة، تلك جولي، وينظر للخلف إلي، وكأنه يريدني أن أرى...

"وفكرت، لا. بعد كل ما فعلته لأجلك يا ستيف؟ لا.

"فعلتها في الليلة ما قبل الأخيرة من عطلتنا. لاري يشخر بصوت عالٍ كالعادة. لم يلاحظ أبدًا أنني لست في السرير.

"اعتادوا جميعًا الذهاب لشاليه ستيف بعد العمل، اكتشفت ذلك، بتتبعهم. خرجت بمفردها. ثملة. الثانية صباحًا.

"لم يكن الأمر صعبًا. لم يكن هناك أحد حول المكان. لم يكن لديهم كاميرات في كل مكان كما يفعلون هذه الأيام. دفعتها، وقفزت خلفها، وأمسكت بها تحت الماء. كانت المفاجأة هي ما قتلها. ابتلعت كمية كبيرة من الماء في طريقها للأسفل. كانت تلك المرة الوحيدة التي فعلتها بدون مخدرات، لكنني كنت غاضبة، أترين...

"خرجت، جففت نفسي. مسحت كل آثار الأقدام، لكنها كانت ليلة دافئة، لم يكن بإمكانك رؤية شيء بحلول الصباح.

"في اليوم التالي، رأيته. قلت: «شيء فظيع، تلك الفتاة يا ستيف. تبدو مريعًا. تريد الحصول على مشروب؟»

"أصبح أبيض كورقة، لكنني فكرت، حسنًا، لقد استخدمتني يا ستيف، ثم تركتني وحيدة وعالقة، أليس كذلك؟"

دوى صوت صفارة إنذار شرطة في مكان ما في المسافة، وظن سترايك، ناظرًا لساعته، أنها من المحتمل أن تكون متجهة إلى هنا، لشارع نايتينغيل غروف.

– "أخذت تعاطفي ولطفي وسمحت لي بالطبخ لك،" قالت جانيس، لا تزال تخاطب ستيف دوثويت خياليًا. "كنت مستعدة حتى لقتل طفلي من أجلك! ثم تذهب لتعيث فسادًا مع نساء أخريات؟ لا. للأفعال عواقب،" قالت جانيس، وخدّاها لا يزالان يشتعلان. "يحتاج الرجال لتعلم ذلك، وتحمل بعض المسؤولية. النساء يضطررن لذلك،" قالت، بينما صوت صفارة الشرطة يزداد علوًا. "حسنًا، سأراه مرة أخرى في المحكمة، أليس كذلك؟ أتعلم، أنا أتطلع لذلك تمامًا، الآن وأنا أفكر في الأمر،" قالت جانيس. "ليس ممتعًا، العيش هنا وحيدة تمامًا. سيكون مضحكًا رؤية وجه إيرين. سأكون في كل الصحف، أليس كذلك؟ وربما سيقرأ بعض الرجال عن سبب قيامي بذلك، ويدركون أنهم يريدون توخي الحذر بمن يعلقون آمالهم. درس مفيد للرجال في كل مكان، إذا سألتني. الأفعال،" كررت جانيس بيتي، بينما توقفت سيارة الشرطة خارج بابها الأمامي، وسوت كتفيها، مستعدة لتقبل مصيرها، "العواقب."

الجزء السابع

ثم أقبل أكتوبر، ممتلئًا بالبهجة والمرح...

— إدموند سبنسر، ملكة الجن (The Faerie Queene)

72

... لأنهم لن يكفوا عن عملهم لأي سبب...

إدموند سبنسر ملكة الجن

النجاح، كما تعلم كورموران سترايك منذ زمن طويل، هو أمر أكثر تعقيدًا بكثير مما يفترضه معظم الناس.

لم تكن هذه المرة الأولى التي توجه فيها الصحافة أنظارها نحو وكالة التحقيقات، وبينما كان الثناء بلا شك مغريًا وإعلانًا جيدًا للعمل، إلا أنه كان، كالعادة، ضارًا بشدة بقدرة الشريكين على مواصلة العمل. لجأت روبن، التي سرعان ما اكتشفت الصحافة عنوان منزلها، إلى منزل فانيسا إكوينسي، وبمساعدة عدد من الشعر المستعار وبعض المكياج المتقن، تمكنت من الاستمرار في تغطية قدر معين من العمل، حتى لا يضطر باركلي وهاتشينز للقيام بكل شيء بمفردهما.

من ناحية أخرى، أُجبر سترايك على العودة إلى غرفة الضيوف لدى نيك وإلسا، حيث ترك لحيته تنمو، وتوارى عن الأنظار، موجهًا متعاقدي الوكالة عبر الهاتف. بقيت بات تشونسي وحدها متمركزة في المكتب بشارع دنمارك، تتولى الشؤون الإدارية، وتفتح وتغلق بجمود كل صباح ومساء.

كانت تنعب مرتين يوميًا في وجه عقدة الصحفيين المتسكعين حول شارع دنمارك:

– "ليس لدي تعليق. من الأفضل لكم جميعًا أن تغربوا عن وجهي."

فورة الدعاية التي تلت الاكتشافين المزدوجين لجثة امرأة مغلفة بالخرسانة في شقة هادئة في كليركينويل، وهيكل عظمي لمراهقة مخبأ تحت الأنقاض في أعماق بئر جوفي في إيسلينغتون، لم تظهر أي علامة على الهدوء السريع. كان هناك الكثير جدًا من الزوايا المثيرة لهذه القصة: الحفريات المنفصلة والتعرف الإيجابي على عظام مارغو بامبورو ولويز تاكر، وتعليقات العائلتين المفجوعتين، اللتين بالكاد عرفتا ما إذا كانتا تشعران بالارتياح أكثر أم بالحزن، وملفات تعريف لقاتلين مختلفين تمامًا، وبالطبع، المحققان الخاصان اللذان يُشاد بهما الآن على نطاق واسع كأكثر محققي العاصمة موهبة.

ورغم أن هذا كان مرضيًا، إلا أن سترايك لم يجد أي رضا في الطريقة التي طاردت بها الصحافة غريغوري تالبوت (*"ماذا تقول للأشخاص الذين يقولون إن والدك كانت يداه ملطختين بالدماء؟"*) أو الدكتور دينيش غوبتا (*"هل تندم على إعطاء جانيس بيتي تلك التوصية المتوهجة يا دكتور؟"*) ولا في رؤية آل آثورن يُقتادون خارج شقتهم من قبل أخصائيين اجتماعيين حقيقيين، خائفين، ومشردين وغير مدركين لما يحدث. ظهر كارل أوكدين لفترة وجيزة في صحيفة "ديلي ميل"، محاولاً بيع نفسه كخبير في كل من سترايك ومارغو بامبورو، لكن بما أن المقال بدأ بكلمات *"المحتال المدان كارل برايس، ابن سكرتيرة العيادة القديمة، دوروثي..."*، ربما لم يكن من المستغرب أن ينسل أوكدين عائدًا إلى الظل قريبًا. والد سترايك، من ناحية أخرى، كان سعيدًا بمواصلة ربط اسمه باسم سترايك، مُصدرًا بيانًا مفعمًا بالفخر بابنه الأكبر من خلال وكيله الإعلامي. مغتاظًا بصمت، تجاهل سترايك جميع طلبات التعليق.

دينيس كريد، الذي تلقى لفترة طويلة الصدارة في أي قصة إخبارية تشمله، هبط تقريبًا إلى حاشية في هذه القصة. تفوقت عليه جانيس بيتي، ليس فقط في عدد ضحاياها المشتبه بهم، ولكن في البقاء غير مكتشفة لعقود أطول. سُربت صور لغرفة جلوسها في "نايتينغيل غروف" إلى الصحافة، التي سلطت الضوء على الصور المؤطرة للموتى على الجدران، ومجلد الأنعية المحفوظ في خزانتها الصينية، والحقنة، والسلوفان ومجفف الشعر التي وجدها سترايك خلف الأريكة. مخزون

الأدوية والسموم المسترد من مطبخها حُمل خارج منزلها من قبل خبراء الطب الشرعي، ورمشت الممرضة ذات الخدود الوردية والشعر الفضي الملقبة بـ "الجدة المسممة" بلا مبالاة في كاميرات الأخبار وهي تقتاد إلى المحكمة وتوضع رهن الحبس الاحتياطي.

في هذه الأثناء، بالكاد استطاع سترايك فتح صحيفة أو تشغيل التلفزيون دون رؤية برايان تاكر، الذي كان يجري مقابلات مع أي شخص يتحدث إليه. بصوت متهدج بكى، وابتهج، وأشاد بسترايك وروبن، وأخبر العالم أنهما يستحقان لقب الفروسية (*"أو الشيء الآخر، ما هو للنساء؟" "لقب السيدة (Damehood)"، تمتمت المذيعة الشقراء المتعاطفة، التي كانت تمسك يد تاكر العاطفي*)، وبكى وهو يسترجع ذكريات ابنته، ووصف التحضيرات لجنازتها، وانتقد الشرطة وأخبر العالم أنه كان يشك طوال الوقت أن لويز مخبأة في البئر. سترايك، الذي كان سعيدًا للرجل العجوز، تمنى مع ذلك، من أجل مصلحته الخاصة ومصلحة تاكر، أن يذهب ويحزن بهدوء في مكان ما، بدلاً من شغل مساحة في سلسلة لا تنتهي من أرائك التلفزيون النهاري.

سرعان ما تحول سيل من الأقارب، المشككين في الطريقة التي مات بها أحباؤهم تحت رعاية جانيس، إلى طوفان. صدرت أوامر استخراج الجثث، وتم عمل ملف تعريفي لـ إيرين هيكسون، التي أزالت الشرطة محتويات خزائن طعامها وحللتها، في صحيفة "ديلي ميل"، جالسة في غرفة جلوسها المزينة بالكشكشة والأهداب، يحيط بها ابنتان ممتلئتان تشبهانها كثيرًا.

"أعني، كانت جان دائمًا آكلة للرجال قليلاً (لعوب)، لكنني لم أشك في أي شيء كهذا قط، أبدًا. كنت لأسميها أعز صديقة لي. لا أعرف كيف أمكنني أن أكون حمقاء هكذا! اعتادت أن تعرض الذهاب لشراء الطعام لي، قبل أن أعود من الإقامة عند ابنتي. ثم كنت آكل بعض الأشياء التي وضعتها في الثلاجة، وأمرض، وأتصل بها وأطلب منها المجيء. أفترض أن هذا المنزل أكثر راحة من منزلها، وكانت تحب البقاء هنا، وكنت أعطيها المال أحيانًا، ولهذا السبب لست ميتة. لا أعرف ما إذا كنت سأتجاوز الصدمة أبدًا، بصراحة. لا أستطيع النوم، أشعر بالغثيان طوال الوقت،

لا أستطيع التوقف عن التفكير في الأمر. أنظر للوراء الآن، وأسأل نفسي، كيف لم أرَ أبدًا؟ وإذا اتضح أنها قتلت لاري، لاري المسكين الذي عرفناه أنا وإدي عليها، لا أعرف كيف سأعيش مع نفسي، بصراحة، الأمر كله مجرد كابوس. لا تتوقع هذا من ممرضة، أليس كذلك؟"

وفي هذه النقطة، إن لم يكن في غيرها، اضطر سترايك للاتفاق مع إيرين هيكسون. سأل نفسه لماذا استغرق الأمر منه وقتًا طويلاً للنظر عن كثب في حجة غياب عرف منذ البداية أنها بالكاد كافية، ولماذا أخذ كلمة جانيس على ظاهرها، عندما تحدى كلمة أي شخص آخر تقريبًا. اضطر للاستنتاج أنه، مثل النساء اللواتي صعدن طواعية إلى شاحنة دينيس كريد، قد خُدع بأداء متقن للأنوثة. تمامًا كما موّه كريد نفسه خلف واجهة تبدو غريبة الأطوار ولطيفة، كذلك اختبأت جانيس خلف شخصية الراعية، والمعطية غير الأنانية، والأم الحنون. كان سترايك قد فضل تواضعها الظاهر على ثرثرة إيرين وعذوبتها على خبث صديقتها، ومع ذلك عرف أنه كان سيكون أقل استعدادًا بكثير لأخذ تلك السمات على ظاهرها، لو قابلها في رجل. *سيريس راعية وحامية. السرطان طيب، غريزته هي الحماية.* جرعة كبيرة من لوم الذات كدرت احتفالات سترايك، الأمر الذي حير إلسا ونيك، اللذين كانا يميلان للشماتة (الفخر) بتقارير الصحف عن أحدث وأشهر انتصارات صديقهما المحقق.

في هذه الأثناء، كانت آنا فيبس تتوق لشكر سترايك وروبن شخصيًا، لكن الشريكين المحققين أجلا الاجتماع حتى يهدأ التدفق الأول لاهتمام الصحافة. سترايك الحذر للغاية، الذي كانت لحيته تنمو بشكل جيد الآن، وافق أخيرًا على اجتماع بعد أكثر من أسبوعين من العثور على جثة مارغو. ورغم أنه وروبن كانا على اتصال يومي عبر الهاتف، إلا أن هذه ستكون المرة الأولى التي يلتقيان فيها منذ حل القضية.

كان المطر يطقطق على نافذة غرفة الضيوف لدى نيك وإلسا بينما كان سترايك يرتدي ملابسه ذلك الصباح. كان يسحب جوربًا فوق قدمه الاصطناعية عندما أصدر هاتفه المحمول صوت تنبيه من الطاولة الجانبية. متوقعًا رؤية رسالة

من روبن، ربما تحذره من أن الصحافة تجول خارج منزل آنا وكيم، رأى، بدلاً من ذلك، اسم شارلوت.

مرحبًا بلووي. ظننت أن جاغو رمى هذا الهاتف، لكنني وجدته للتو مخبأً في الجزء الخلفي من خزانة. إذن، لقد فعلت شيئًا مذهلاً آخر. كنت أقرأ كل شيء عنك في الصحافة. أتمنى لو كان لديهم بعض الصور اللائقة لك، لكنني أفترض أنك سعيد لأنهم لا يملكون؟ تهانينا، على أية حال. لابد أنه شعور جيد إثبات خطأ كل من لم يؤمن بالوكالة. وهو ما يشملني، أفترض. أتمنى لو كنت أكثر دعمًا، لكن فات الأوان الآن. لا أعرف ما إذا كنت ستسعد بالسماع مني أم لا. على الأرجح لا. لم تتصل بالمستشفى أبدًا، أو إذا فعلت، لم يخبرني أحد. ربما كنت لتسعد سرًا لو مت؟ مشكلة حُلت، وأنت تحب حل الأشياء... لا تظن أنني لست ممتنة. أفترض أنني كذلك، أو سأكون، يومًا ما. لكنني أعلم أنك كنت لتفعل ما فعلته لأي شخص. هذا هو قانونك، أليس كذلك؟ وأنا أردت دائمًا شيئًا خاصًا منك، شيئًا لن تعطيه لأي شخص آخر. مضحك، لقد بدأت في تقدير الأشخاص الذين يعاملون الجميع باحترام، لكن فات الأوان لذلك أيضًا، أليس كذلك؟ جاغو وأنا ننفصل، إلا أنه لا يريد تسمية الأمر كذلك بعد، لأن ترك زوجتك التي تحاول الانتحار ليس مظهرًا جيدًا ولا أحد سيصدق أنني أنا من يتركه. ما زلت أعني الشيء الذي قلته لك في النهاية. وسأعنيه دائمًا.

جلس سترايك مرة أخرى على السرير الاحتياطي، والهاتف في يديه، جورب ملبوس، والآخر لا. أضاء ضوء النهار الممطر شاشة الهاتف، عاكسًا وجهه الملتحي عليه وهو يعبس في وجه رسالة "شارلوتية" جدًا لدرجة أنه كان بإمكانه كتابتها بنفسه: الاستسلام الظاهري لمصيرها، ومحاولات استفزازه ليطمئنها، والضعف الذي يُشهر كسلاح. هل تركت جاغو حقًا؟ أين كان التوأمان البالغان من العمر عامين الآن؟ فكر في كل الأشياء التي كان يمكن أن يخبرها بها، والتي كانت ستمنحها الأمل: أنه أراد الاتصال بالمستشفى، وأنه حلم بها منذ محاولة الانتحار، وأنها تحتفظ بسيطرة قوية على خياله حاول طردها لكنه لم يستطع. فكر في تجاهل

الرسالة، لكن بعد ذلك، وهو على وشك وضع الهاتف جانبًا، غير رأيه، وحرفًا بحرف بعناية، كتب رده الموجز.

أنتِ محققة، كنت لأفعل ما فعلته لأي شخص. هذا لا يعني أنني لست سعيدًا بأنكِ حية، لأنني كذلك. لكن عليكِ البقاء حية لنفسك ولأطفالك الآن. أنا على وشك تغيير رقمي. اعتني بنفسك.

أعاد قراءة كلماته قبل الإرسال. بلا شك ستشعر بالكلمات كضربة، لكنه فكر كثيرًا منذ محاولتها الانتحار. بعد أن أخبر نفسه دائمًا أنه لم يغير رقمه أبدًا لأن الكثير من جهات الاتصال تملكه، اعترف لنفسه مؤخرًا بأنه أراد إبقاء قناة اتصال مفتوحة بينه وبين شارلوت، لأنه أراد أن يعرف أنها لا تستطيع نسيانه، بقدر ما لا يستطيع هو نسيانها. حان الوقت لقطع ذلك الخيط الأخير، الرفيع. ضغط "إرسال" على الرسالة، ثم أنهى ارتداء ملابسه.

بعد التأكد من أن قطتي نيك وإلسا محبوستان في المطبخ، غادر المنزل. وصلت رسالة نصية أخرى من شارلوت بينما كان يسير في الشارع تحت المطر.

لا أعتقد أنني شعرت بالحسد في حياتي بقدر ما أحسد تلك الفتاة روبن.

وهذه، قرر سترايك تجاهلها.

انطلق لمحطة "كلافام ساوث" مبكرًا عمدًا، لأنه أراد وقتًا لتدخين سيجارة قبل أن تقله روبن وتقود بهما المسافة القصيرة إلى شقة آنا وكيم. واقفًا تحت البروز خارج المحطة، أشعل سيجارته، ناظرًا عبر صف من الدراجات إلى زاوية موحلة من "كلافام كومون"، حيث كانت الأشجار ذات الأوراق المغرة ترتجف في المطر المنهمر. لم يأخذ سوى سحبتين من سيجارته عندما رن هاتفه المحمول في جيبه. عازمًا على عدم الرد إذا كانت شارلوت، سحبه ورأى اسم بولورث.

– "بخير يا تشام (يا رفيق)؟"

– "لا يزال لديك وقت للصغار إذن يا شيرلوك؟"

– "يمكنني أن أخصص لك دقيقة أو اثنتين،" قال سترايك، مراقبًا المطر. "لا أريد أن يظن الناس أنني فقدت التواضع. كيف الأمور؟"

– "نحن قادمون إلى لندن لقضاء عطلة نهاية أسبوع."

بدا بولورث متحمسًا كرجل يواجه تنظيرًا للقولون.

– "ظننت أن لندن هي قلب كل الشرور؟"

– "ليس خياري. إنه عيد ميلاد روز. تريد رؤية «الأسد الملك» اللعين وميدان ترافلغار والقرف."

– "إذا كنت تبحث عن مكان للإقامة، فليس لدي سوى غرفة نوم واحدة."

– "حجزنا في «إير بي إن بي». عطلة نهاية الأسبوع بعد القادمة. تساءلت فقط عما إذا كنت مستعدًا لتناول كأس. يمكنك إحضار روبن خاصتك معك، ليكون لدى بيني شخص تتحدث إليه. ما لم يكن، لا أدري، الملكة اللعينة لديها وظيفة لك."

قال سترايك:

– "حسنًا، لديها، لكنني أخبرتها أن قائمة الانتظار ممتلئة. سيكون ذلك رائعًا. ما الجديد أيضًا؟"

– "لا شيء. رأيت أن الاسكتلنديين تراجعوا (جبنوا)؟"

ظهرت سيارة اللاند روفر القديمة في خط حركة المرور. ولعدم رغبته في الخوض في موضوع القومية السلتية، قال سترايك:

– "إذا كان «التراجع» هو ما تريد تسميته، نعم. اسمع، علي الذهاب يا صاح، روبن على وشك إقلالي بالسيارة. سأتصل بك لاحقًا."

راميًا عقب سيجارته في مصرف عاصفة قريب، كان مستعدًا للصعود إلى اللاند روفر بمجرد توقف روبن.

قالت، بينما رفع سترايك نفسه إلى مقعد الراكب:

– "صباح الخير. هل تأخرت؟"

– "لا، أنا كنت مبكرًا."

قالت روبن، بينما كانت تبتعد عن الرصيف في المطر:

– "لحية لطيفة. تبدو كقائد ميليشيا نفذ للتو انقلابًا ناجحًا."

قال سترايك:

– "أشعر وكأني واحد."

وفي الواقع، في هذه اللحظة، مجتمعًا بروبن، شعر بإحساس مباشر بالانتصار كان يراوغه لأيام.

سألت روبن:

– "هل كانت تلك بات التي كنت تتحدث إليها للتو؟ على الهاتف؟"

– "لا، بولورث. إنه قادم إلى لندن في عطلة نهاية الأسبوع بعد القادمة."

– "ظننت أنه يكره لندن؟"

– "يكرهها. إحدى بناته تريد الزيارة. يريد مقابلتك، لكنني لا أنصح بذلك."

سألت روبن، التي شعرت بالإطراء المعتدل:

– "لماذا لا؟"

– "النساء لا يحببن بولورث عادة."

– "ظننت أنه متزوج؟"

– "هو كذلك. زوجته لا تحبه."

ضحكت روبن.

سأل سترايك:

– "لماذا ظننت أن بات ستتصل بي؟"

– "تحدثت معها للتو. الآنسة جونز منزعجة لعدم حصولها على تحديثات منك شخصيًا."

قال سترايك، بينما كانا يعبران المنتزه (Common)، والمساحات تعمل:

– "سأتصل بها عبر «فيس تايم» لاحقًا. آمل أن تنفرها اللحية."

قالت روبن:

– "بعض النساء يحببنها."

ولم يستطع سترايك إلا أن يتساءل عما إذا كانت روبن واحدة منهن.

قال:

– "يبدو أن هاتشينز وباركلي يضيقان الخناق على شريك دوبي."

– "نعم. باركلي يعرض الذهاب إلى مايوركا وإلقاء نظرة."

– "أراهن أنه يفعل. هل ما زلنا على موعد لمقابلة المتعاقدة الجديدة معًا، يوم الاثنين؟"

– "ميشيل؟ نعم، بالتأكيد."

– "نأمل أن نكون قد عدنا للمكتب بحلول ذلك الوقت."

انعطفت روبن إلى طريق "كيرل". لم تكن هناك أي علامة على الصحافة، لذا أوقفت السيارة خارج منزل فيكتوري متلاصق مقسم إلى شقتين.

عندما رن سترايك الجرس المسمى "فيبس/سوليفان"، سمعا خطوات على الدرج عبر الباب، الذي فُتح ليكشف عن آنا فيبس، التي كانت ترتدي نفس الجمبسوت القطني الأزرق الفضفاض والحذاء القماشي الأبيض كما في المرة الأولى التي قابلاها فيها، في فالموث.

قالت مبتسمة وهي تتراجع ليتمكنا من دخول مساحة مربعة صغيرة في أسفل الدرج:

– "تفضلا بالدخول."

كانت الجدران مطلية بالأبيض: سلسلة من المطبوعات التجريدية أحادية اللون تغطي الجدران، والنافذة المروحية فوق الباب تلقي بركًا من الضوء على الدرج غير المفروش بالسجاد، مذكرًا روبن بدار رعاية "سانت بيترز"، وتمثال يسوع بالحجم الطبيعي الذي يراقب المدخل.

قالت آنا بهدوء، وكأنها خائفة من أن يسمعها أحد، لكن رغم عزمها، كانت عيناها مليئتين بالدموع بالفعل:

– "سأحاول ألا أبكي. أنا آسفة، لكنني – أود حقًا معانقتكما."

وفعلت ذلك فورًا، معانقة روبن أولاً، ثم سترايك. متراجعة للخلف، هزت رأسها، ضاحكة نصف ضحكة، ومسحت عينيها.

– "لا أستطيع أبدًا التعبير لكما عن مدى امتناني... كم أنا ممتنة. ما أعطيتماه لي..." قامت بإيماءة لا توصف وهزت رأسها. "الأمر فقط... غريب جدًا. أنا سعيدة ومرتاحة بشكل لا يصدق، لكن في نفس الوقت، أنا في حداد... هل هذا منطقي؟"

قالت روبن:

– "تمامًا." ونخر سترايك موافقًا.

قالت آنا، مشيرة للأعلى:

– "الجميع هنا. كيم، وأبي، وسين، وأونا أيضًا. دعوتها للمجيء لبضعة أيام. نحن نخطط للجنازة، أترين – أبي وسين يتركان الأمر لي حقًا – على أية حال... اصعدا، الجميع يريد شكركما..."

بينما كانا يتبعان آنا صعودًا على الدرج شديد الانحدار، وسترايك يستخدم الدرابزين لرفع نفسه، تذكر تشابك المشاعر الذي ضربه عندما تلقى المكالمة التي تخبره بوفاة والدته. وسط موجة الحزن الغامرة كانت هناك وخزة طفيفة من الراحة، صدمته وأخجلته، واستغرقت وقتًا طويلاً لمعالجتها. بمرور الوقت، توصل لفهم أنه في زاوية مظلمة من عقله، كان يخشى ويتوقع الخبر نصف توقع. سقط الفأس أخيرًا، وانتهى التشويق للأبد: ذوق ليدا المروع في الرجال تتوج بموت قذر على مرتبة متسخة، وبينما افتقدها منذ ذلك الحين، سيكون كاذبًا لو ادعى أنه يفتقد المزيج السام من القلق، والذنب والرهبة الذي تحمله خلال السنتين الأخيرتين من حياتها.

لم يكن بإمكانه إلا تخيل مزيج المشاعر الذي يتملك زوج مارغو حاليًا، أو المربية التي أخذت مكان مارغو في العائلة. عند وصوله للبسطة العلوية، لمح روي فيبس جالسًا في كرسي بذراعين في غرفة الجلوس. التقت عيناهما للحظة، قبل أن تخرج كيم من الغرفة، حاجبة رؤية سترايك لأخصائي أمراض الدم. كانت الأخصائية النفسية الشقراء تبتسم بابتسامة عريضة: هي، على الأقل، بدت تشعر بمتعة خالصة.

قالت، مصافحة يد سترايك أولاً، ثم روبن:

– "حسنًا، ماذا يمكننا أن نقول، حقًا؟ تفضلا بالدخول..."

تبع سترايك وروبن آنا وكيم إلى غرفة الجلوس، التي كانت كبيرة وجيدة التهوية مثل منزل عطلاتهم في فالموث، بستائر شاش طويلة على النوافذ، وألواح أرضية مكشوفة، وسجادة بيضاء كبيرة وجدران رمادية شاحبة. الكتب كانت مرتبة

حسب اللون. كل شيء بسيط وجيد التصميم؛ مختلف جدًا عن المنزل الذي نشأت فيه آنا، ببرونزياته الفيكتورية القبيحة وكراسيه المغطاة بقماش الشيت. الفن الوحيد على الجدران كان فوق المدفأة: صورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود للبحر والسماء.

كان المطر يضرب النافذة البارزة الكبيرة خلف روي، الذي كان واقفًا بالفعل. مسح يده بتوتر على بنطاله قبل مدها لسترايك.

سأل بشكل متقطع:

– "كيف حالك؟"

– "بخير جدًا، شكرًا."

قال روي، مادًا يده لروبن بدورها:

– "آنسة إيلاكوت. أفهم أنكِ فعليًا...؟"

الكلمات غير المنطوقة *وجدتها* بدت وكأنها ترن في أرجاء الغرفة.

قالت روبن: "نعم"، وأومأ روي وزم شفتيه، وعيناه الكبيرتان تتركانها للتركيز على إحدى قطط "راغدول"، التي كانت قد تسللت للتو إلى الغرفة، وعيناها الزبرجديتان ثاقبتان.

قالت آنا بلطف:

– "اجلس يا أبي." وفعل روي كما قيل له.

قالت كيم بمرح:

– "سأذهب فقط لأرى ما إذا كانت أونا قد وجدت كل شيء؛ إنها تصنع الشاي." وغادرت.

قالت آنا لسترايك وروبن:

– "تفضلا، اجلسا."

جلسا جنبًا إلى جنب على الأريكة. في اللحظة التي استقر فيها سترايك، قفزت قطة الراغدول بخفة بجانبه وصعدت إلى حجره. في هذه الأثناء، لاحظت روبن العثمانية التي كانت تقف مكان طاولة القهوة. كانت منجدة بقماش مخطط بالرمادي والأبيض، وأصغر بكثير من تلك التي في شقة آل آثورن، أصغر من أن تتكور

فيها امرأة، لكن حتى مع ذلك، كانت قطعة أثاث شكت روبن في أنها ستقتنيها أبدًا، مهما كانت مفيدة. لن تنسى أبدًا الكتلة الغبارية من الخرسانة الصلبة، وجمجمة مارغو بامبورو تتقوس خارجة منها.

سألت آنا والدها:

– "أين سين؟"

قال روي، بصوت مبحوح قليلاً:

– "الحمام."

ألقى نظرة عصبية على البسطة الفارغة خلف الباب، قبل مخاطبة المحقق:

– "أنا – يجب أن أخبرك بمدى خجلي لأنني لم أستأجر أي شخص بنفسي قط. صدقني، التفكير في أننا كنا يمكن أن نعرف كل هذا قبل عشر، عشرين سنة..."

قال سترايك، ممسدًا القطة الخرخرة:

– "حسنًا، هذا ليس جيدًا جدًا لغرورنا يا روي. التلميح بأن أي شخص كان يمكنه فعل ما فعلناه."

ضحك كل من روي وآنا بقوة أكبر مما يستحقه التعليق، لكن سترايك فهم الحاجة لتنفيس النكات، بعد صدمة عميقة. بعد أيام فقط من نقله جوان من الحفرة الدموية حيث رقد بعد نسف ساقه، يغيب عن الوعي ويعود إليه وجذع غاري توبلي بجانبه، بدا أنه يتذكر ريتشارد آنستيس، الناجي الآخر، الذي تشوه وجهه في الانفجار، يلقي نكتة غبية عن التوفير الذي كان غاري سيجنيه في السراويل، لو عاش. كان سترايك لا يزال يتذكر الضحك على النكتة الحمقاء، عديمة الذوق، والاستمتاع ببضع ثوانٍ من الراحة من الصدمة، والحزن والألم.

جاءت أصوات النساء الآن عبر البسطة: عادت كيم بصينية شاي، متبوعة بـ أونا كينيدي، التي كانت تحمل كعكة شوكولاتة كبيرة. كانت تبتسم بإشراق من تحت غرتها المخططة بالأرجواني، وصليبها الجمشتي يرتد على صدرها كما من قبل، وعندما وضعت الكعكة، قالت:

– "ها هما إذن، أبطال الساعة! سأعانقكما كلاكما!"

نهضت روبن لتلقي تحيتها، لكن سترايك، الذي لم يرغب في إزعاج القطة، تلقى عناقه بشكل أخرق وهو جالس.

قالت أونا، ضاحكة وهي تعتدل، وتمسح عينيها:

– "وها أنا ذا مرة أخرى! أقسم بالله، الأمر يشبه ركوب الأفعوانية. صعود دقيقة، وهبوط في التالية –"

قالت آنا، ضاحكة على أونا:

– "فعلت نفس الشيء، عندما رأيتهما."

لاحظت روبن أن ابتسامة روي كانت متوترة وثابتة قليلاً. *كيف هو الشعور،* تساءلت، *أن تكون وجهًا لوجه مع أعز صديقة لزوجتك الميتة، بعد كل هذه السنوات؟* هل جعلته التغيرات الجسدية في أونا يتساءل كيف كانت ستبدو مارغو، لو عاشت لسن السبعين؟ أم أنه كان يتساءل من جديد، كما لابد فعل طوال السنوات الفاصلة، عما إذا كان زواجه سينجو من فترة الصمت الجليدي الطويلة التي تلت شربها مع بول ساتشويل، وما إذا كان يمكن التغلب على الضغوط والتوترات في العلاقة، أو ما إذا كانت مارغو ستقبل عرض أونا باللجوء إلى شقتها؟

كانا سيتطلقان، فكرت روبن، بيقين مطلق، لكنها تساءلت بعد ذلك عما إذا كانت لا تخلط بين مارغو وبين نفسها، كما مالت لفعله طوال القضية.

قال صوت لاهث من المدخل:

– "أوه، مرحبًا."

نظر الجميع ليروا سينثيا، التي كانت ترتسم على وجهها النحيل الشاحب ابتسامة لم تصل تمامًا لعينيها القلقتين المرقطتين. كانت ترتدي فستانًا أسود، وتساءلت روبن عما إذا كانت قد ارتدته بوعي للإيحاء بالحداد.

– "آسفة، كنت – كيف حالكما؟"

قالت روبن:

– "بخير."

– "عظيم،" قال سترايك.

أطلقت سينثيا واحدة من ضحكاتها المتوترة اللاهثة، وقالت:

– "نعم، لا – رائع جدًا –"

هل كان رائعًا لسينثيا، تساءلت روبن، بينما سحبت زوجة أبي آنا كرسيًا، ورفضت قطعة من الكعكة التي، اتضح، أن أونا خرجت في المطر لشرائها. *كيف هو الشعور باستعادة مارغو بامبورو، حتى في شكل هيكل عظمي في صندوق؟ هل آلمها رؤية زوجها مهتزًا وعاطفيًا جدًا، واضطرارها لاستقبال أونا، أعز صديقة لمارغو، في قلب العائلة، مثل عمة مكتشفة حديثًا؟* روبن، التي بدا أنها تمر بنوبة استبصار، شعرت بالتأكيد أنه لو لم تُقتل مارغو، بل طلقت روي ببساطة، لما كانت سينثيا أبدًا خيار أخصائي أمراض الدم كزوجة ثانية. ربما كانت مارغو ستتوسل لسينثيا الشابة لمرافقتها في حياتها الجديدة، ومواصلة الاعتناء بآنا. *هل كانت سينثيا لتوافق، أم أن ولاءها كان ليكون لروي؟ إلى أين كانت ستذهب، ومن كانت ستتزوج، بمجرد ألا يعود هناك مكان لها في بروم هاوس؟*

دخلت القطة الثانية الغرفة الآن، محدقة في المجموعة الكبيرة غير العادية التي وجدتها بالداخل. شقت طريقها متجاوزة الكراسي بذراعين، والعثمانية والأريكة، وقفزت إلى حافة النافذة وجلست مولية ظهرها لهم، تراقب قطرات المطر تنزلق على الزجاج.

قالت كيم، من الكرسي المستقيم الظهر الذي أحضرته من زاوية الغرفة:

– "الآن، اسمعا، نريد حقًا أن ندفع لكما مقابل الشهر الإضافي الذي بذلتماه. أعلم أنكما قلتما لا –"

قال سترايك:

– "كان خيارنا الاستمرار في العمل على القضية. نحن سعداء لأننا ساعدنا وبالتأكيد لا نريد المزيد من المال."

كان هو وروبن قد اتفقا، بما أن قضية مارغو بامبورو بدت مرجحة لتسدد تكاليفها ثلاث مرات من حيث الدعاية والعمل الإضافي، وبما أن سترايك شعر أنه كان ينبغي عليه حقًا حلها في وقت أقرب، فإن أخذ المزيد من النقود من آنا وكيم بدا جشعًا دون داعٍ.

قالت كيم:

– "إذن نود تقديم تبرع لجمعية خيرية. هل هناك واحدة تودان منا دعمها؟"

قال سترايك، منظفًا حلقه:

– "حسنًا، إذا كنتما جادتين، ممرضات ماكميلان..."

رأى نظرة مفاجأة طفيفة على وجوه العائلة.

شرح:

– "عمتي توفيت هذا العام، وممرضة ماكميلان قدمت لها الكثير من الدعم."

قالت كيم، بضحكة خفيفة:

– "أوه، فهمت."

وكان هناك توقف صغير، بدا فيه شبح جانيس بيتي يرتفع في وسطهم، مثل خيط البخار المنبعث من فوهة إبريق الشاي.

قالت آنا بهدوء:

– "ممرضة. من يشك في ممرضة؟"

قال روي وأونا معًا:

– "مارغو."

التقت عيناهما، وابتسما: ابتسامة آسفة، بلا شك متفاجئين من العثور على أنفسهما متفقين أخيرًا، ورأت روبن سينثيا تنظر بعيدًا.

قالت أونا:

– "لم تحب تلك الممرضة. أخبرتني بذلك. لكنني خلطت بين المرأة وتلك الشقراء في حفلة الكريسماس التي افتعلت مشهدًا."

قال روي:

– "لا، لم ترتح للممرضة أبدًا. أخبرتني، أيضًا، عندما انضمت للعيادة. لم أعطِ الأمر اهتمامًا كبيرًا..."

بدا مصممًا على أن يكون صادقًا، الآن، مهما كان ذلك مؤلمًا.

– "... ظننت أنها حالة امرأتين متشابهتين للغاية: كلتاهما من الطبقة العاملة، كلتاهما شخصية قوية. عندما قابلت المرأة في حفل الشواء، اعتقدت في الواقع أنها تبدو... حسنًا... محترمة تمامًا. بالطبع، لم تخبرني مارغو أبدًا بشكوكها..."

ساد صمت آخر، وكان سترايك واثقًا من أن الجميع في الغرفة يتذكرون أن روي لم يتحدث إلى زوجته على الإطلاق في تلك الأسابيع القليلة قبل مقتلها، وهو بالضبط الوقت الذي لابد أن شكوك مارغو في جانيس قد تبلورت فيه.

قال سترايك، في الجو المتوتر:

– "جانيس بيتي ربما تكون أفضل كاذبة قابلتها في حياتي، وممثلة بارعة."

قالت آنا:

– "تلقيت رسالة غير عادية، من ابنها، كيفن. هل علمتما أنه قادم من دبي للشهادة ضدها؟"

– "علمنا،" قال سترايك، الذي كان جورج لايبورن يطلعه بانتظام على تقدم تحقيق الشرطة.

قالت آنا:

– "كتب أنه يعتقد أن فحص أمي له أنقذ حياته."

لاحظت روبن كيف أن آنا تنادي مارغو الآن "أمي"، بينما كانت تقول سابقًا "والدتي" فقط.

قالت كيم، مومئة:

– "إنها رسالة رائعة. مليئة بالاعتذارات، وكأن الأمر خطؤه بطريقة ما."

قالت أونا بهدوء:

– "رجل مسكين."

قالت آنا مرة أخرى، فوق صوت خرخرة القطة كاغني في حجر سترايك:

– "يقول إنه يلوم نفسه لعدم الذهاب للشرطة بشأنها، لكن أي طفل سيصدق أن أمه قاتلة متسلسلة؟ لا أستطيع حقًا أن أشرح لكما بشكل كافٍ ما

فعلتماه من أجلي... من أجلنا جميعًا. عدم المعرفة كان فظيعًا جدًا، والآن أعرف بيقين أن أمي لم تغادر طواعية وأنها رحلت... حسنًا، بسلام إلى حد ما..."

قال سترايك:

– "بقدر ما تذهب الوفيات، كان غير مؤلم تقريبًا."

قالت آنا:

– "وأعرف بيقين أنها أحبتني."

بدأت سينثيا: "لطالما –" لكن ابنة زوجها قالت بسرعة:

– "أعرف أنكِ أخبرتِني دائمًا أنها فعلت يا سين، لكن دون معرفة ما حدث حقًا، كان سيكون هناك دائمًا شك، أليس كذلك؟ لكن عندما أقارن وضعي بوضع كيفن بيتي، أشعر أنني محظوظة في الواقع... هل تعلمان،" سألت آنا سترايك وروبن، "ماذا وجدوا عندما – أنتما تعلمان – أخرجوا أمي من الخرسانة؟"

قال سترايك:

– "لا."

كانت يدا سينثيا النحيلتان تلعبان بخاتم زواجها، تلويه حول إصبعها.

قالت آنا، وعيناها تلمعان فجأة بالدموع مرة أخرى:

– "القلادة التي أهداها إياها أبي. إنها مشوهة، لكن عندما فتحوها، كان بها صورة لي بداخلها، والتي كانت بحالة جيدة كالجديدة." مدت أونا يدها وربتت على ركبة آنا. "يقولون إنني سأتمكن من استعادتها، بمجرد الانتهاء من جميع إجراءات الطب الشرعي."

قالت روبن بهدوء:

– "كم هذا جميل."

سألت كيم:

– "وهل سمعتما عما كان في حقيبة يدها؟"

– "لا،" قال سترايك.

قالت كيم:

– "ملاحظات من استشارتها حول ثيو. إنها مقروءة تمامًا – محمية بالجلد، كما تعلمون. اسمها الكامل كان ثيودوسيا لافريدج وكانت من عائلة من الرحل (الغجر). اشتبهت مارغو في حمل خارج الرحم وأرادت الاتصال بالإسعاف، لكن ثيو قالت إن حبيبها سيأخذها. تشير ملاحظات مارغو إلى أن ثيو كانت خائفة من معرفة عائلتها بأنها حامل. لا يبدو أنهم وافقوا على الحبيب."

قالت روبن:

– "إذن لهذا السبب لم تتقدم أبدًا، بعد ذلك؟"

قالت كيم:

– "أفترض ذلك. مسكينة الفتاة. آمل أنها كانت بخير."

سأل روي، ناظرًا إلى سترايك:

– "هل لي أن أسأل، ما مدى قوة القضية ضد جانيس بيتي في رأيك؟ لأنه – لا أعرف ما أخبرتك به جهات اتصالك في الشرطة – لكن آخر ما سمعناه هو أن الطب الشرعي لم يتمكن من إثبات أن مارغو قد خُدرت."

قال سترايك، الذي تحدث إلى جورج لايبورن في المساء السابق:

– "ليس حتى الآن، لكنني سمعت أنهم سيجربون طريقة حديثة مبتكرة للحصول على آثار للمخدرات والمواد الكيميائية من الخرسانة المحيطة بالجثة. لا توجد ضمانات، لكنها استخدمت بنجاح في قضية في الولايات المتحدة مؤخرًا."

قال روي، وتعبيره حاد:

– "لكن إذا لم يتمكنوا من إثبات أنها خُدرت، فالقضية ضد جانيس ظرفية بالكامل، أليست كذلك؟"

قالت كيم:

– "محاميها يحاول بالتأكيد تبرئتها، بالحكم من تعليقاته للصحافة."

قال سترايك:

– "سيكون لديه عمل شاق. على الدفاع أن يأتي بأسباب للعثور على هاتف يخص أخصائية اجتماعية غير موجودة في منزلها، ولماذا كان لدى آل آثورن الرقم. أبناء عمومة آل آثورن في ليدز يمكنهم التعرف عليها كالمرأة التي ساعدتهم في

تنظيف الشقة. غلوريا كونتي مستعدة للمجيء للشهادة بشأن الدونات في الثلاجة ونوبات القيء التي عانت منها هي وويلما، ودوثويت سيعتلي المنصة –"

قالت أونا، وتعبير وجهها ينفرج:

– "سيفعل؟ أوه، هذا جيد، كنا قلقين بشأنه –"

– "أعتقد أنه أدرك أخيرًا أن الطريقة الوحيدة للخروج من هذا هي المضي قدمًا فيه،" قال سترايك. "إنه مستعد للشهادة بأنه من اللحظة التي بدأ فيها تناول طعام أعدته جانيس، كانت لديه أعراض تسمم، والأهم من ذلك، أنه خلال استشارتهم الأخيرة، نصحته مارغو بعدم تناول أي شيء آخر تعده جانيس.

"ثم لدينا كيفن بيتي يشهد بأن ابنته شربت مبيضًا بينما كانت جانيس يفترض أنها تعتني بها، وأن والدته اعتادت إطعامه «مشروبات خاصة» جعلته يشعر بالمرض... ماذا أيضًا؟" قال سترايك، داعيًا روبن للمتابعة، بشكل أساسي ليتمكن من أكل بعض الكعك.

قالت روبن:

– "حسنًا، هناك كل المواد القاتلة التي أخذوها من مطبخ جانيس، ناهيك عن حقيقة أنها حاولت تسميم شاي كورموران عندما ذهب لمواجهتها. هناك أيضًا الطعام المخدر الذي وجدته الشرطة في منزل إيرين، والصور المؤطرة على جدارها، بما في ذلك جوانا هاموند، التي ادعت أنها لم تقابلها قط، وجولي ويلكس، التي غرقت في بوتلينز كلاكتون أون سي. والشرطة واثقة من أنها ستكون قادرة على الحصول على أدلة جنائية من قبور الضحايا الآخرين، حتى لو كانت نتائج مارغو غير حاسمة. أحرقت جانيس شريكها السابق، لاري، لكن عشيقته كلير دفنت وسيتم استخراج جثتها."

قال سترايك، الذي تمكن من أكل نصف شريحته من كعكة الشوكولاتة بينما كانت روبن تتحدث:

– "شخصيًا، أعتقد أنها ستموت في السجن."

قال روي، وبدا مرتاحًا:

– "حسنًا، هذا جيد لسماعه."

وقالت سينثيا بلهثة:

– "نعم، لا، بالتأكيد."

نظرت القطة عند النافذة حولها ثم، ببطء، التفتت لتواجه المطر مرة أخرى، بينما ضربت توأمها بمخلبها بكسل سترة سترايك.

سألت آنا:

– "أنتما الاثنان ستأتيان للجنازة، أليس كذلك؟"

قالت روبن، لأن سترايك كان قد أخذ لتوّه لقمة كبيرة أخرى من الكعكة:

– "سيكون لنا الشرف."

قال روي:

– "نحن، آه، نترك الترتيبات لآنا. إنها تتولى القيادة."

قالت آنا:

– "أود أن يكون لأمي قبر حقيقي. مكان لزيارته، كما تعلمون... كل هذه السنوات، دون معرفة أين هي. أريدها حيث يمكنني العثور عليها."

قال سترايك:

– "أستطيع تفهم ذلك."

قالت آنا، للمرة الثالثة:

– "أنتما حقًا لا تعرفان ما أعطيتماه لي." مدت يدها لأونا، لكنها كانت تنظر لسينثيا. "لدي أونا، الآن، بالإضافة إلى سين، التي كانت أروع أم... أمي اختارت بالتأكيد الشخص المناسب لتربيتي..."

بينما تجعد وجه سينثيا بالبكاء، نظر سترايك وروبن بلباقة بعيدًا، روبن إلى القطة عند النافذة وسترايك إلى المنظر البحري فوق رف الموقد. طبل المطر على النافذة، وخرخرت القطة في حجره، وتذكر جرة الزنبقة تطفو مبتعدة. مع التواء في صدره، ورغم رضاه عن إنجاز ما شرع في فعله، تمنى لو كان بإمكانه الاتصال بجوا، وإخبارها بنهاية قصة مارغو بامبورو، وسماعها تقول إنها فخورة به، لمرة أخيرة.

73

لأن العاطفة الفطرية سرعان ما تخبو،
وتنطفئ بلهيب «كيوبيد» الأعظم:
لكن الصداقة الوفيّة تكبح كليهما،
وتروضهما بـ انضباطٍ مُحكم،
عبر أفكارٍ تطمح لمجدٍ أبدي.
فكما تحكمُ الروح الكتلةَ الطينية،
وتسيطر على كل جوارح الجسد،
كذلك يعلو حب الروح على حب الجسد،
تمامًا كما يعلو الذهب الخالص على النحاس الخسيس.

إدموند سبنسر ملكة الجن

استيقظت روبن بعد بضعة أيام على أشعة شمس خريفية تتدفق عبر الفجوة في ستائرها. وبإلقاء نظرة سريعة على هاتفها المحمول، رأت لدهشتها أنها العاشرة صباحًا، مما يعني أنها استمتعت للتو بأطول نوم لها طوال العام. ثم تذكرت سبب استرخائها في السرير: كان اليوم التاسع من أكتوبر، وكان عيد ميلادها.

رتبت إلسا عشاءً على شرفها في المساء التالي، الذي كان يوم جمعة. اختارت إلسا وحجزت المطعم الأنيق، ودُعي إليه هي ونيك، وفانيسا وخطيبها أوليفر، وباركلي، وهاتشينز وزوجتاهما، وماكس، وصديقه الجديد (مدير الإضاءة في برنامجه التلفزيوني) وسترايك. لم يكن لدى روبن أي خطط لليوم، يوم ميلادها الفعلي، الذي أصر سترايك على أن تأخذه كإجازة. جلست الآن في السرير، تتثاءب، ونظرت إلى الطرود الملقاة على خزانة ذات أدراج قبالتها، والتي كانت جميعها من عائلتها. الطرد الصغير من والدتها كان له مظهر قطعة مجوهرات، بلا شك تكريمًا

لعيد الميلاد المفصلي هذا. وبينما كانت على وشك النهوض من السرير، أصدر هاتفها صوت تنبيه ورأت رسالة نصية من سترايك.

أعرف أنه من المفترض أنكِ في يوم عطلة لكن شيئًا ما طرأ. هل يمكنك من فضلك مقابلتي في «رأس شكسبير»، شارع مارلبورو، الساعة 5 مساءً. ارتدي ملابس أنيقة، قد نحتاج للذهاب لمكان راقٍ.

قرأت روبن هذا مرتين، وكأنها ربما فوتت عبارة "عيد ميلاد سعيد". بالتأكيد – بالتأكيد – لم ينسَ مرة أخرى؟ أم هل ظن أنه، بالتخطيط للظهور في العشاء الذي رتبته إلسا، كان يفعل كل ما هو مطلوب، وأن يوم ولادتها الفعلي لا يتطلب أي اعتراف؟ صحيح، شعرت ببعض الفراغ والضياع بدون عمل ومع عدم توفر أي من أصدقائها، لكن سترايك لم يكن ليعلم ذلك، لذا بمشاعر مختلطة للغاية ردت نصيًا: *حسنًا.*

ومع ذلك، عندما وصلت إلى الطابق العلوي بروب حمامها لإحضار كوب من الشاي، وجدت روبن صندوقًا كبيرًا يجلس على طاولة المطبخ، وفوقه بطاقة، واسمها على الظرف بخط سترايك المتراص الذي لا تخطئه العين وصعب القراءة. ماكس، كما علمت، غادر الشقة مبكرًا لتصوير مشاهد خارجية في كنت، آخذًا فولفغانغ معه، الذي سينام في السيارة ويستمتع بنزهة وقت الغداء. وبما أنها لم تسمع جرس الباب، كان عليها أن تستنتج أن سترايك نقل بطريقة ما كلاً من الصندوق والبطاقة إلى ماكس في وقت سابق، لمفاجأتها هذا الصباح.

هذا ينم عن درجات من التخطيط والجهد بدت غير معهودة للغاية. علاوة على ذلك، لم تتلقَ قط بطاقة حقيقية من سترايك، ولا حتى عندما اشترى لها الفستان الأخضر بعد حل قضيتهما الأولى.

كانت واجهة بطاقة عيد الميلاد عامة إلى حد ما وتضمنت رقمًا ورديًا كبيرًا ولامعًا للثلاثين. في الداخل، كتب سترايك:

عيد ميلاد سعيد. هذه ليست هديتك الحقيقية،

ستحصلين عليها لاحقًا. (ليست زهوراً)

مع حبي، سترايك (قبلة x)

نظرت روبن إلى هذه الرسالة لفترة أطول بكثير مما تستحق. أسعدتها أشياء كثيرة فيها، بما في ذلك القبلة وحقيقة أنه سمى نفسه "سترايك". وضعت البطاقة على الطاولة والتقطت الصندوق الكبير الذي، لدهشتها، كان خفيفًا جدًا لدرجة أنه بدا فارغًا. ثم رأت اسم المنتج على الجانب: *بالون في صندوق*.

فاتحة الغطاء، سحبت بالونًا على شكل رأس حمار، مربوطًا بشريط سميك بقاعدة مثقلة. مبتسمة بابتسامة عريضة، وضعته على الطاولة، وصنعت لنفسها الشاي والإفطار، ثم راسلت سترايك.

شكرًا على حمار البالون. توقيت مثالي. حماري القديم انكمش تقريبًا.

تلقت إجابة بعد ستين ثانية.

عظيم. كنت قلقًا من أن الفكرة واضحة جدًا، وأن الجميع قد أحضروا لك واحدًا. أراك في الـ 5.

بقلب خفيف الآن، شربت روبن الشاي، وأكلت خبزها المحمص وعادت للطابق السفلي لفتح هدايا عائلتها. اشترى لها الجميع نسخًا أغلى قليلاً من هدايا العام الماضي، باستثناء والديها، اللذين أرسلا قلادة جميلة: حجر "أوبال" مستدير واحد، وهو حجر ميلادها، يتلألأ بالأخضر والأزرق، محاطًا بماسات صغيرة. قرأت البطاقة المرفقة: *"ثلاثون سعيدًا يا روبن. نحن نحبك، أمي وأبي x."*

شعرت روبن بحظها، هذه الأيام، لامتلاكها والدين محبين. علمها عملها كم من الناس لم يكونوا محظوظين بتلك الدرجة، وكم من الناس كانت عائلاتهم محطمة بشكل لا يمكن إصلاحه، وكم من البالغين يمشون حاملين ندوبًا غير مرئية من طفولتهم المبكرة، وقد تغيرت تصوراتهم وارتباطاتهم للأبد بسبب نقص الحب، والعنف، والقسوة. لذا اتصلت بـ ليندا لشكرها، وانتهى بها الأمر بالتحدث إلى والدتها لأكثر من ساعة: ثرثرة غير مهمة، معظمها، لكنها مبهجة، مع ذلك. كان من الأسهل الاتصال بالمنزل الآن وقد انتهى طلاقها. لم تخبر روبن والدتها أن ماثيو وسارة ينتظران طفلاً: ستدع ليندا تكتشف ذلك في وقتها الخاص، وتفرغ غضبها الأولي بعيدًا عن مسامع روبن.

قرب نهاية المكالمة، ذكرت ليندا، التي لم توافق على تغيير روبن الدرامي لمهنتها منذ إصابتها الأولى في الوظيفة، التغطية الصحفية المستمرة بخصوص مارغو بامبورو.

قالت ليندا:

– "لقد فعلتِ شيئًا لا يصدق حقًا، هناك. أنتِ و، إم... كورموران."

قالت روبن، متفاجئة بقدر ما كانت متأثرة:

– "شكرًا يا أمي."

سألت والدتها، بنبرة حاولت أن تبدو عارضة:

– "كيف حال موريس؟"

قالت روبن بمرح، ناسية أنها لم تخبر والدتها بذلك أيضًا:

– "أوه، طردناه. بديلته ستبدأ الأسبوع القادم. امرأة تدعى ميشيل غرينستريت. إنها رائعة."

بعد الاستحمام، عادت روبن إلى غرفتها لتجفيف شعرها بشكل صحيح، وتناولت الغداء وهي تشاهد التلفزيون، ثم عادت للطابق السفلي لتغيير ملابسها إلى الفستان الأزرق الضيق الذي ارتدته آخر مرة عندما أقنعت مساعدة المراوغ بالتخلي عن أسرارها. أضافت قلادة الأوبال، التي أصبحت الآن، بعد أن تركت خاتم خطوبتها خلفها عند ترك ماثيو، أغلى قطعة مجوهرات تمتلكها. الحجر الجميل، ببريق ألوانه القزحية، رفع من مظهر الفستان القديم، وللمرة الأولى راضية عن مظهرها، التقطت روبن حقيبة يدها الثانية، التي كانت أكثر أناقة قليلاً من تلك التي تأخذها عادة للمكتب، وذهبت لالتقاط هاتفها المحمول من طاولتها الجانبية.

كان درج الطاولة الجانبية مفتوحًا قليلاً، وبالنظر للأسفل، لمحت روبن مجموعة تاروت "ثوث"، جالسة بالداخل. للحظة، ترددت؛ ثم، تحت العيون المبتسمة لحمار البالون الذي وضعته في زاوية غرفتها، تحققت من الوقت على هاتفها. كان الوقت لا يزال مبكرًا لمغادرة المنزل، إذا أرادت مقابلة سترايك في شارع "مارلبورو" في الخامسة. واضعة حقيبتها، أخرجت مجموعة التاروت،

وجلست على سريرها وبدأت في خلط الأوراق قبل قلب البطاقة الأولى ووضعها أمامها.

سيفان يتقاطعان مع وردة زرقاء على خلفية خضراء. استشارت *كتاب ثوث*.

السلام... سيفان (The Two of Swords). إنها تمثل هزة عامة، ناتجة عن صراع النار والماء في زواجهما... هذا الهدوء النسبي مؤكد بالصفة الفلكية: القمر في الميزان...

تذكرت روبن الآن أن هذه البطاقة الأولى كان من المفترض أن تمثل "طبيعة المشكلة".

تمتمت للغرفة الفارغة:

– "السلام ليس مشكلة. السلام جيد."

لكن بالطبع، لم تكن قد طرحت سؤالاً فعليًا على البطاقات؛ أرادت منها ببساطة أن تخبرها شيئًا اليوم، في يوم ميلادها. قلبت البطاقة الثانية، السبب المفترض للمشكلة.

شخصية أنثوية غريبة مقنعة باللون الأخضر تقف تحت زوج من الموازين، تحمل سيفًا أخضر.

التعديل (Adjustment)... هذه البطاقة تمثل برج الميزان... إنها تمثل «المرأة الراضية». التوازن يقف بمعزل عن أي تحيزات فردية... لذا يجب فهمها على أنها تقيم فضيلة كل فعل وتطالب برضا دقيق ومحدد...

رفعت روبن حاجبيها وقلبت البطاقة الثالثة والأخيرة: الحل.

هنا مرة أخرى كانت السمكتان المتشابكتان، اللتان تصبان الماء في كأسين ذهبيين يطفوان على بحيرة خضراء: كانت نفس البطاقة التي قلبتها في ليمنغتون سبا، عندما كانت لا تزال لا تعرف من قتل مارغو بامبورو.

الحب... تشير البطاقة أيضًا إلى الزهرة في السرطان. تظهر انسجام الذكر والأنثى: مفسرًا بالمعنى الأوسع. إنه انسجام تام وهادئ...

أخذت روبن نفسًا عميقًا، ثم أعادت جميع البطاقات إلى علبتها والعلبة إلى درجها الجانبي. بينما وقفت والتقطت معطفها الواقي من المطر، تمايل حمار البالون قليلاً على شريطه.

استطاعت روبن الشعور بالأوبال الجديد يستقر في تجويف قاعدة عنقها وهي تمشي نحو محطة المترو على طول الطريق، وبعد أن نامت بشكل صحيح لمرة واحدة، وبشعر نظيف، وحاملة شعورًا بالخفة معها استمر منذ أخرجت حمار البالون من صندوقه، جذبت العديد من أزواج العيون الذكورية في الشارع وفي القطار. لكن روبن تجاهلتهم جميعًا، متجهة صعودًا على الدرج في "أكسفورد سيركس"، ثم تقدمت أسفل شارع "ريجنت" وأخيرًا، إلى "رأس شكسبير" حيث رأت سترايك يقف بالخارج، مرتديًا بدلة.

قال: "عيد ميلاد سعيد"، وبعد تردد وجيز انحنى وقبلها على خدها. لاحظت روبن أن رائحته، ليس فقط سجائر، بل عطر لافندر خفيف لما بعد الحلاقة، وهو أمر غير معتاد.

– "شكرًا... ألن ندخل الحانة؟"

– "إم – لا،" قال سترايك. "أريد شراء عطر جديد لكِ." أشار نحو المدخل الخلفي لـ "ليبرتي"، الذي يقع على بعد عشر ياردات فقط. "إنها هدية عيد ميلادك الحقيقية – ما لم تكوني قد اشتريتِ بعضًا بالفعل؟" أضاف. أمل حقًا ألا تكون فعلت. لم يستطع التفكير في أي شيء آخر يقدمه لها لا يعيدهم إلى عالم الحرج وسوء الفهم المحتمل.

قالت روبن:

– "أنا... لا. كيف عرفت أنني..."

– "لأنني اتصلت بإلسا، الكريسماس الماضي..."

بينما كان يمسك الباب الزجاجي مفتوحًا لها، والذي أدى إلى قسم شوكولاتة ممتلئ الآن بحلوى الهالوين، شرح سترايك عن محاولته الفاشلة لشراء عطر لروبن، في ديسمبر الماضي.

– "... لذا سألت البائع، لكنه استمر في إريتي أشياء بأسماء مثل... لا أدري... «أنتِ المثيرة» (Shaggable You)..."

الضحكة التي فشلت روبن في كبتها كانت عالية لدرجة أن الناس التفتوا للنظر إليها. مرا بطاولات مكدسة بالترافل باهظ الثمن.

اعترف سترايك:

– "... وأصبت بالذعر، ولهذا السبب انتهى بكِ الأمر مع الشوكولاتة. على أية حال،" قال، بينما وصلا إلى عتبة غرفة العطور، بقبتها المرسومة بالقمر والنجوم، "اختاري ما تشائين وسأدفع."

قالت روبن:

– "سترايك، هذا... هذا تفكير عميق (مراعاة)."

قال شريكها، بهزة كتف:

– "أجل، حسنًا. الناس يمكن أن يتغيروا. أو هكذا أخبرني طبيب نفسي في برودمور. سأقف هنا،" قال، مشيرًا إلى زاوية أمل ألا يعيق فيها ضخامته أحدًا. "خذي وقتك."

لذا قضت روبن ربع ساعة ممتعة تتصفح بين الزجاجات، ترش العينات على الشرائط، مستمتعة باستشارة قصيرة مع البائع المساعد، وأخيرًا حصرت خيارها في عطرين. ترددت الآن، متسائلة عما إذا كانت تجرؤ على فعل ما تريده... لكن بالتأكيد، إذا كانا صديقين مفضلين، فالأمر لا بأس به؟

قالت روبن، عائدة للظهور بجانب سترايك:

– "حسنًا، هناك اثنان يعجبانني حقًا. أعطني رأيك. عليك أن تتعايش معه، في اللاند روفر."

قال:

– "إذا كانا قويين بما يكفي لتغطية رائحة تلك السيارة، فهما غير صالحين للاستنشاق البشري." لكن مع ذلك، أخذ شريطي الشم.

الأول كانت رائحته فانيليا، ذكرته بالكعك، وأعجبه. الثاني ذكره ببشرة دافئة، ومسكية، مع إيحاء بزهور مرضوضة.

– "ذلك الواحد. الثاني."

– "هاه. ظننت أنك ستفضل الأول."

– "لأن رائحته مثل الطعام؟"

ابتسمت وهي تشم الأشرطة.

– "نعم... أعتقد أنني أفضل الثاني، أيضًا. إنه ليس رخيصًا."

– "سأتدبر الأمر."

لذا حمل مكعبًا ثقيلاً من الزجاج الأبيض يحمل الاسم غير الاستثنائي "*نارسيسو*" (Narciso) إلى المكتب.

قال سترايك عندما سُئل: "نعم، إنها هدية"، وانتظر بصبر بينما نُزع ملصق السعر وأضيف شريط وتغليف. لم يستطع شخصيًا رؤية الجدوى، لكنه شعر أن روبن تستحق القليل من المراسم، وابتسامتها وهي تأخذ الكيس منه أخبرته أنه أجاب بشكل صحيح. الآن سارا معًا عائدين عبر المتجر وخارجين من المدخل الرئيسي، حيث أحاطت بهما دلاء الزهور.

سألت روبن:

– "إذن إلى أين –؟"

قال سترايك:

– "سآخذك إلى «الريتز» لشرب الشمبانيا."

– "هل أنت جاد؟"

– "أجل. لهذا السبب أرتدي بدلة."

للحظة نظرت روبن إليه ببساطة، ثم مدت يديها وعانقته بقوة. محاطين بضفاف الزهور، تذكر كلاهما العناق الذي تشاركاه في أعلى الدرج في يوم زفافها، لكن هذه المرة، أدارت روبن وجهها وقبلت سترايك بتعمد على خده، شفتان على ذقن خشنة.

– "شكرًا، سترايك. هذا يعني الكثير حقًا."

وذلك، فكر شريكها، بينما كان الاثنان يتجهان بعيدًا نحو الريتز في الوهج الذهبي لأوائل المساء، *كان يستحق حقًا الستين جنيهًا والقليل من الجهد...*

من عقله الباطن ارتفع الاسمان مازانكوف وكروبوف، ومرت ثانية أو اثنتان قبل أن يتذكر أين سمعهما، ولماذا بدا لهما وقع كورنوالي، ولماذا فكر فيهما الآن.

اختلجت زوايا فمه، لكن بما أن روبن لم تره يبتسم، لم يشعر بأي إجبار للشرح.

-تمت-

دماء مضطربة

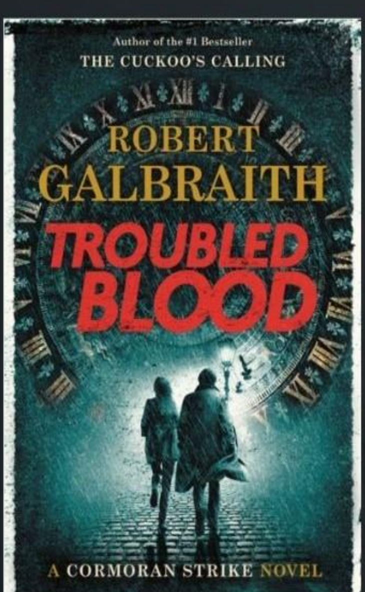
روبرت غالبريث

"بينما كان المحقق الخاص كورموران سترايك في زيارة عائلية هادئة في كورنوال، استوقفته امرأة بطلب يلفه اليأس: العثور على والدتها، مارغو بامبورو، التي تلاشت في ظروف غامضة عام 1974.

لم يسبق لسترايك أن نبش في "قضية باردة" من قبل، ناهيك عن لغز مر عليه أربعون عاماً. ورغم ضآلة الأمل في النجاح، إلا أن الفضول يدفعه لقبول التحدي، ليضيف عبئاً جديداً إلى قائمة القضايا المتراكمة أمامه وأمام شريكته في الوكالة، روبن إليكوت. تلك الشريكة التي تخوض حروبها الخاصة؛ ممزقة بين طلاق فوضوي، وملاحقات ذكورية غير مرغوبة، وصراعها الداخلي مع مشاعرها تجاه سترايك.

وبينما يغوص سترايك وروبن في خبايا اختفاء مارغو، يجدان نفسيهما في مواجهة قضية شيطانية التعقيد.. متاهة من أوراق التارو، وظلال قاتل متسلسل سيكوباتي، وشهود لا يمكن الوثوق بهم. وهناك، وسط الغموض، يدركان حقيقة مرعبة: حتى القضايا التي دُفنت منذ عقود.. قد تكون مميتة."

ترجمات مكتبة الوادي
t.me/wadistreambooks



ترجمة / قناة wadistreambooks

@t.me/wadistreambooks